

طبعة ثانية مزيّدة و مصحّحة



✽ الأستاذ المحقق محمد هادي معرفة ✽

الجزء الثاني
المفسرون
التفسير

فتح ثوبه القشيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير والمفسرون

في توكيد القسبيات

الجزء الثاني

طبعة ثانية مزيدة ومنقحة

شبكة كتب الشيعة



تأليف

الأستاذ المحقق الشيخ محمد هادي مكي

shiabooks.net

رابطه بديل < mktba.net

معرفة، محمد هادي

التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب / تأليف محمد هادي معرفة - مشهد:
الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ١٤٢٦ ق. = ١٣٨٤ ش.

ISBN 964-7673-14-0 (جلد دوم)

٢ ج

ISBN 2 Vol set 964-7673-12-4

عربي

کتابنامه

١. تفسير - - - - - ٢. مفسران. الف. دانشگاه علوم اسلامی رضوی.

ب. عنوان

٢٩٧/١٧١

٧٦٨/٥/٩١١ BP

٧٧-١٣٧٦٩/٧٨

کتابخانه ملی ایران



کتابخانه
مرکز تحقیقات کابو نوری علوم اسلامی
شماره ثبت: ١٠٠٣٨
تاریخ ثبت:

الکتاب: التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب / ج ٢

المؤلف: الأستاذ المحقق الشيخ محمد هادي معرفة

المتن: قسم النشر

تصميم الغلاف: محمد حبيبة احمدی زر

الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

الطبعة الثانية: ١٤٢٦ ق. = ١٣٨٤ ش.

الطبع: مؤسسة الطبع و النشر في الأستانة الرضوية المقدسة

سعر الدورة: ٦٠٠٠٠ ريال

جميع الحقوق محفوظة للناشر

شكر و تقدير

و يجدر بنا أن نقدر خدمات فنيّة و علميّة قام بها كلّ من أصحاب الفضيلة: علي جلاّتيان اكبرنيا، محمّد سعيد رضواني و عبد الله غلامي، في إنجاز هذا المشروع الضخم و ساهموا في مراجعته و إخراجاته الفنيّة و إعداد فهارسه و تنضيد حروفه المطبعية بالحاسب الإلكترونيّ و غيرها، في قسم الدراسات القرآنيّة في الجامعة الرضويّة. فنقدّم لهم جزيل شكرنا المتواصل و نبتهل إلى الله أن يوفّق الجميع لخدمة الدين و لا سيما أساسه القويم القرآن الكريم إنّه تعالى وليّ التوفيق.

الجامعة الرضويّة للعلوم الإسلاميّة

(قسم البحوث)

التفسير و المفسرون

في نوره القريب

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ

بحث مستوف بشؤون التفسير:

نشأته و تطوره و ألوانه

مع عرض شامل لأشهر المفسرين

و تحليل كامل لأهم كتب التفسير

المرحلة السادسة

التفسير في عهد التدوين

النمط الأول

التفسير بالمأثور

• أنواع التفسير بالمأثور

١. تفسير القرآن بالقرآن
٢. تفسير القرآن بالسنة
٣. تفسير القرآن بقول الصحابي
٤. تفسير القرآن بقول التابعي

• آفات التفسير بالمأثور

١. ضعف الأسانيد
٢. الوضع في التفسير
٣. الإسرائيليات

• أهم كتب التفسير بالمأثور

التفسير في عهد التدوين

كان التفسير في عهد نشوئه إنما يُتلَق شفاهاً و يُحَفَظ في الصدور، ثم يتناقل نقلَ الحديث يداً بيد. هكذا كان التفسير على عهد الرسالة، وعلى عهد الصحابة و التابعين الأول. أما في عهد تابعي التابعين، فجعل يُضَبَط و يُبَيَّن في الدفاتر و الألواح؛ و بذلك بدأ عهد تدوين التفسير إلى جنب كتابة الحديث، و ذلك في أواسط القرن الثاني، حيث راج تدوين الأحاديث المأثورة عن السلف.

و لعلَّ أوَّل من سجَّل التفسير في الدفاتر و الألواح هو مجاهد بن جبير، تُوفِّي سنة (١٠١ هـ). يقول ابن أبي مليكة: «رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواحه. فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتَّى سأله عن التفسير كلَّه^١. و كان أعلم الناس بالتفسير. قال الفضل بن ميمون: «سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرَّات»^٢.

و له تفسير متقطع و مرَّتب على السور، من سورة البقرة إلى نهاية القرآن. يرويه عنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجيب الثقفي الكوفي، تُوفِّي سنة (١٣١ هـ) و قد صحَّحه الأئمة و اعتمده أرباب الحديث، و قد طُبِع أخيراً في باكستان سنة (١٣٦٧ هـ) حسبما تقدَّم في

ترجمته.

و يذكر ابن حجر عند ترجمته لعطاء بن دينار المصري - وكان من ثقات المصريين، تُوفِّي سنة (١٢٦ هـ) - أنَّ له تفسيراً يرويه عن سعيد بن جبير، قُتل سنة (٩٥ هـ) وكان في صحيفة. قال: ولا دلالة أنه سمع من سعيد بن جبير. وعن أبي حاتم أنه أخذه من الديوان؛ وذلك أنَّ عبد الملك بن مروان، تُوفِّي سنة (٨٦ هـ) سأل سعيداً أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير. فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه، فأرسله عن سعيد^١.

فهذا صريح في أنَّ سعيد بن جبير جمع تفسير القرآن في كتاب، وهذا الكتاب أخذه عطاء بن دينار. وبما أنَّ سعيد بن جبير قُتل سنة (٩٥ هـ) ولا شك أنَّ تأليفه هذا كان قبل موت عبد الملك سنة (٨٦ هـ)، فهذا التفسير قد كُتب ودُوِّن قبل هذا الحين.

و يذكر ابن خلِّكان: أنَّ عمرو بن عبيد - شيخ المعتزلة، تُوفِّي سنة (١٤٤ هـ) - كتب تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري المتوفِّي سنة (١١٦ هـ)^٢.

ولابن جريج، توفِّي سنة (١٥٠ هـ) تفسير كبير في ثلاثة أجزاء، يرويه بواسطة عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس، توفِّي سنة (٦٨ هـ)، و يرويه عنه محمد بن ثور. وقد صحَّحته الأئمة^٣. وذكر أحمد بن حنبل: أنه أول من صنَّف الكتب^٤.

وأشال هذه التفاسير مما كُتب على الأنواع أو في صحائف ذلك العهد كثير، كانت تقتضيه طبيعة الأخذ والتلقِّي ذلك الحين، وقد قلَّ الاعتماد على الحفظ والضبط في الصدور.

غير أنَّ هذه التفاسير كانت مقتصرة على نقل المعاني وروايتها عن التابعين والأصحاب، و تَبَيَّها في الدفاتر خشية الضياع، ولم يكن التفسير قد توسَّع، أو دخله الاجتهاد في شكل ملحوظ.

١. تَهذِيبُ التَهذِيبِ ج ٧، ص ١٩٨-١٩٩، رقم ٣٨٢. ٢. وفيات الأعيان لابن خلِّكان، ج ٣، ص ٤٦٢، رقم ٥٠٣.
٣. الأئمة في علوم القرآن للسيوطي، ج ٤، ص ٢٠٨. ٤. تَهذِيبُ التَهذِيبِ ج ٦، ص ٤٠٣-٤٠٤.



ولعلَّ أوَّل من توسَّع في التفسير وضمَّ إلى جانب المعاني جوانب أخرى، ولا سيَّما التعرُّض لأدب القرآن و ذكر خصائص اللغة، واجتهد في ذلك، هو أبو زكريَّا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة (٢٠٧هـ).

يذكر ابن النديم في الفهرست أنَّ أبا العباس ثعلب قال: كان السبب في إملاء كتاب الفراء في معاني القرآن، أنَّ عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل. فكتب إلى الفراء: أنَّ الأمير الحسن بن سهل، ربَّما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب. فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً، أرجع إليه فعلت. فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتَّى أملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذَن و يقرأ بالناس في الصلاة. فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسها، ثم نوفي الكتاب كلَّه. فقرأ الرجل و يفسر الفراء. قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسب أنَّ أحداً يزيد عليه!

ولا شكَّ أنَّ تفسير الفراء هذا هو أوَّل تفسير تعرَّض لآيات القرآن آية آية، حسب ترتيب المصحف و فسرها على التابع، و توسَّع فيه. وكانت التفاسير قبله تقتصر على تفسير المشكل، و بصورة متقطعة، غير مستوعبة لجميع الآيات على التابع. و قد جنح إلى هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين المصري في ضحى الإسلام!

و على أيَّ تقدير، فإنَّ ذلك يُعدُّ أوَّل بذرة عُرسَت للتفسير المدوَّن بشكل رتيب. فقد كان القرن الثاني من بدايته إلى نهايته، عهد تطوُّر التفسير، من مرحلة تناقله بالحفظ إلى مرحلة كتابته بالثبوت. كما أخذ بالتوسُّع و الشمول أيضاً بعد ما كان مقتصرأ على النقل بالمأثور.

و ازداد في القرن الثالث فما بعد، في الأخذ في التنوع، و تلونه بألوان العلوم و المعارف و الثقافات التي كانت دارجة في تلك العصور.

تدرج التفسير و تلونه

و في هذا الدور أخذ التفسير يخطو من مرحلة إلى أخرى و يزداد توسعاً و تنوعاً. فقد انتقل من دور التفسير بالمأثور إلى دور الاجتهاد العقلي، و أعمال النظر و الرأي، و استنباط معاني القرآن الكريم في ضوء الأدب - أولاً - ثم في ضوء أنواع العلوم و المعارف التي كان ذلك العهد أهلاً بها، مضافاً إليه بعض النظرات الفلسفية الكلامية، مما نشأ على يد أرباب الكلام و ذوي النزعات المذهبية العقائدية، و كانت متنوعة ذلك العهد. كل ذلك أثر في التفسير، و زاد في حجمه، كما جملة على أنواع و أشكال مختلفة.

فمنهم من اقتصر على أسلوب السلف بالاكفاء بالتفسير بالمأثور من أقوال الصحابة و كبار التابعين، و منهم من زاد عليه بالتوسع في اللغة و الأدب، و منهم من تجاوز إلى معارف آخر من فلسفة و كلام؛ و بذلك تلون التفسير حسب ألوان الثقافات الموجودة آنذاك.

و لكل من هذه الألوان و الأنحاء التفسيرية مميزات و مشخصاته، بها يمتاز كل نوع من التفسير عن سائر الأنواع، و منهم من جمع بين هذه الألوان أو بعضها؛ فكانت تفسيرات جامعة تعرض لمختلف أبعاد التفسير، كاللغة و الأدب و الكلام، إلى جنب المأثور من الأحاديث الواردة و نقل الأقوال. و قد كثر في العهد المتأخر هذا النمط الجامع من التفسير، كما قد زاد عليه المتأخرون جوانب الشؤون الاجتماعية و السياسية التي تعرض لها القرآن، و بسطوا القول فيها حسب حاجة الزمن.

و هكذا تدرج التفسير، و اتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة و تحكمت الاصطلاحات العلمية و العقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية و العلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار العرفان الصوفي، و آثار

النحل و الأهواء فيه ظهوراً جلياً.

و ذلك أن كل من برع في فنّ من فنون العلم و الأدب، يكاد يقتصر تفسيره على الفنّ الذي برع فيه. فالتحويّ تراه لا همّ له إلا الإعراب، و ذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه. و تراه ينقل مسائل النحو و فروعه و خلافاً، و ذلك كالزجاج، و الواحديّ في البسيط، و أبي حيان في البحر المحيط.

و صاحب العلوم العقلية تراه يُعني في تفسيره بأقوال الحكماء و الفلاسفة، كما يذكر شُبههم و الردّ عليها، و ذلك كالنخعي الرازي في كتابه مفاتيح الغيب. و صاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلّة للفروع الفقهية، و الردّ على من يخالف مذهبه، و ذلك كالجصاص و القرطبيّ و أمثالهما كثير.

و صاحب التاريخ ليس له شغل إلا القصص، و ذكر أخبار السلف، ما صحّ منها و ما لم يصحّ، و ذلك كالعلينيّ و الخازن و غيرهما.

و أصحاب المذاهب الكلامية إنما يحاولون تأويل الظواهر إلى ما يتفق و مذاهيبهم في الكلام، و يقصرون الكلام في تفاسيرهم على هذا الجانب؛ حيث يتوسعون فيه، و ذلك كالرمانيّ و الجبائنيّ، و القاضي عبد الجبار، و الزمخشريّ و الطوسيّ.

و أرباب التصوّف و عرفان الصوفيّ إنما يتجهون بكلّ اتجاهاتهم إلى ناحية تزكية الروح و تطهير النفس، و الترفّع بها إلى ذروة الأخلاق الحميدة، كما يحاولون في استخراج المعاني الإشارية - حسبما يزعمون - من الآيات القرآنية بما يتفق مع مشاربهم، و يتناسب مع رياضاتهم و مواجيدهم في عرفان الذات. و من هؤلاء ابن عربيّ، و أبو عبد الرحمان السلميّ، و القشيريّ في لطائف الإشارات، و الفيض الكاشانيّ في أكثر مواضع تفسيره.

و هكذا فسّر كلّ صاحب فنّ أو مذهب بما يتناسب مع فنّه أو يشهد لمذهبه. و قد استمرت هذه النزعة العلمية و العقائدية، و راجت في فترة غير قصيرة رواجاً عظيماً، كما راجت في عصر متأخّر تفسيرات يحاول أهلها أن يحملوا آيات القرآن كلّ العلوم ما ظهر منها و ما لم يظهر، كأنّ هذا فيما يبدو وجه و جوه إعجاز القرآن و صلاحيته، لأنّ يتمشى

مع الزمن، فيما زعموا.

أما في عصرنا الحاضر فقد راج اللون الأدبي الاجتماعي على التفسير، ووجدت بعض محاولات علمية، في كثير منها تكلف باهت وغلوّ ظاهر، وستكلم عن مختلف هذه الألوان، بما وسع لنا المقال إن شاء الله.

كان التفسير في اجتيازه تلك المراحل و تطوره مع سير الزمان، قد وجدت له ألوان و ظهرت أشكال، أشرنا إليها. غير أن هذه الأشكال و الألوان لم تنزل مستمرة، و دام وجودها في كل عصر من الأعصار. و من ثم فإن المفسرين لم يزالوا يتوعون في التفسير، و تظهر على أيديهم أنواع من التفسير، حسب مختلف براعاتهم في الفنون و العلوم، و تخصصاتهم في أنحاء المعارف و الثقافات؛ و بذلك نستطيع أن ننوع التفسير منذ عهد تدوينه فإلى الآن، إلى أنواع مختلفة:

و لقد كان التفسير في بدء نشوئه متقطعاً و مترتباً حسب ترتيب السور و الآيات. كان المفسر يراجع شيخه في مواضع من القرآن، كان قد أشكل عليه فهمه، فيسأله عنه و يسجله في دفتره، مبتدئاً من أول القرآن إلى آخره. هذا هو نمط التفسير المأثور عن السلف، المحفوظ بعضه إلى اليوم، كتفسير مجاهد و غيره.

فأول نوع من التفسير الذي جاء إلى الوجود هو «التفسير بالمأثور» و متقطعاً، و لكن مرتباً حسب ترتيب السور و الآيات. ثم بعده أخذ في تشكل أكثر و انسجام أبلغ، مضافاً إليه بعض التوسع و التنوع، كما عرفت.

و لكن ظهر إلى جنب هذا النوع من التفسير الرتيب، نوع آخر تعرض للجوانب الفقهية أو اللغوية فقط، تاركاً جوانبه الأخرى، و هذا نوع من «التفسير الموضوعي» الذي ظهر إلى عالم الوجود، من أول يومه و لا يزال.

فهذه كتب آيات الأحكام، و كتب غريب القرآن، هي تفاسير موضوعية، مقتصرة على جانب فهم الأحكام، و استنباط فروع المسائل من القرآن، و هكذا تفسير ما ورد في القرآن من غريب الألفاظ.

و هكذا تنوع التفسير من أوّل يومه إلى تفسير رتيب و تفسير موضوعي، غير أنّ التفسير الرّتيب كان مقتصرأ في الأكثر على المأثور من الأقوال و الآثار، و الموضوعي على الفقه و اللغة فحسب. و زاد المتأخرون جانب الناسخ و المنسوخ في القرآن، و أسباب النزول، و غيرهما من مواضيع قرآنية، أفردوا لها كتبأ تبحث عنها بالخصوص.



و التفسير الرتيب مذ نشأ، نشأ على نمطين: تفسير يمجّد المأثور من الآراء و الأقوال، و تفسير اجتهاديّ معتمد على الرأي و النظر و الاستدلال. و من هذا النمط الثاني التفاسير التي غلب عليها اللون المذهبيّ أو الكلاميّ أو الصوفيّ العرفانيّ - و هو من التفسير الباطنيّ في مصطلحهم - و كذلك اللغويّ و الأدبيّ و ما شاكل. و هناك من جمع بين هذه الأبعاد المتنوعة، فجاء تفسيره جامعأ لمختلف الجوانب التي تعرّض لها المفسرون المتخصّصون. و قد شاع هذا النمط الجامع من التفسير في العصور المتأخّرة، فكانت تفاسير جامعة بين النظر و النقل، مضافأ إليه جانب أدب القرآن، أمثال تفسير أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ - من أكبر علماء القرن السادس - و بحق أسمى تفسيره بـ «مجمع البيان»؛ حيث كان من أحسن التفاسير و أجمعهنّ لمختلف جوانب القرآن الكريم. و هكذا تفسير أبي عبدالله محمّد بن أحمد القرطبيّ - من علماء القرن السابع - المسمّى بـ «الجامع لأحكام القرآن»، فإنّه تفسير جامع نافع، و غيرهما كثير، و سنتعرّض لها.

و أمّا التفاسير المعتمدة على مجرّد النقل فأقدمها من حيث البسط و الشمول تفسير جامع البيان تأليف أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ المتوفّي سنة (٣١٠ هـ)، ثمّ الدرّ المتثور لجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطيّ المتوفّي سنة (٩١١ هـ)، و بعدهما تفسير نور الثقلين لعبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحوزيّ المتوفّي سنة (١٠٩١ هـ) و البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم بن سليمان البحرانيّ التولبيّ الكتكانيّ المتوفّي سنة (١١٠٩ هـ)، و هذان اقتصرأ على المأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام. و قد زاد عليهما و بسط الكلام في هذا النوع من التفسير المولى صالح البرغانيّ القزوينيّ المتوفّي سنة

(١٢٩٤هـ)، له تفسير كبير معتمد على المأثور من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.



و أما المناهج التفسيرية التي يسلكها المفسر و يتجه نحوها في تفسيره للآيات القرآنية، فتختلف حسب اختلاف اتجاهات المفسرين و أذواقهم، و أيضاً حسب معطياتهم و مواهبهم في العلوم و المعارف و أنحاء الثقافات، فمنهم من لا يعدو النقل، معتقداً أن لا سبيل للعقل في تفسير كلامه تعالى، و منهم من أجاز للعقل التدخل فيه، و يرى للرأي و النظر و الاجتهاد مجالاً واسعاً في التفسير؛ حيث قوله تعالى: ﴿أَنلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^١ و قوله تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢ فللتدبر في القرآن، و التفكير حول آياته و مفاهيمه مجال واسع، قد فتح القرآن ذاته أبوابه بمصرعين. غير أن بعضهم أسرف في التعقل، و ربما التحق بالتوهم المتكلف فيه.

و على أيّ تقدير، فالمنهج الذي انتهجه المفسرون إما تقليدي أو اجتهادي. و قد عرفنا سبيل التقليدي و اعتماده على المأثور من الآراء و الأقوال، إتما مع شيء من البيان و التوضيح، كما سلكه أبو جعفر الطبري، أو مجرد النقل من غير نظر و بيان، كالذي انتهجه جلال الدين السيوطي و السيد البحراني.

و أما النظري الاجتهادي فمعتده إما مجرد الرأي الخاص حسب عقيدته و مذهبه، فهذا كأكثر تفاسير أهل الباطن. أو مجموعة مصادر التفسير من المنقول و المعقول، و هذا هو الشائع من التفاسير المعتمدة الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الأول و لا يزال. و لنذكر هذين النمطين من التفسير، اللذين بُدئ بهما منذ أول يومه، و نذكر شيئاً من مقوماتهما و آفاتهما.



النمط الأول: التفسير بالمأثور

أنحاء التفسير بالمأثور

يعتمد التفسير التقليدي أو التفسير بالمأثور، على ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل أولاً، ثم على ما نُقل عن المعصوم: النبي ﷺ أو الأئمة من عترته الطيبين الطاهرين، وبعده على المأثور من الصحابة الأخيار والتابعين لهم بإحسان، متى جاء بياناً وتوضيحاً لجوانب أبهمت من القرآن.

وكان إدراج ما روي عن التابعين في التفسير بالمأثور، من جهة أن أقدم كتب التفسير بالمأثور كتفسير ابن جرير وغيره، اعتمد على أقوال التابعين وآرائهم في التفسير، على نحو اعتماده على المأثور من المعصوم. فنراهم قد أردفوا ما نُقل عن التابعين إلى جنب المنقول عن الصحابة، بل إلى جنب أحاديث الرسول ﷺ و سائر الأئمة الطاهرين.

ولنتكلم عن أنحاء التفسير بالمأثور، و مقدار صحته، ومدى اعتباره، في عالم التفسير:

١. تفسير القرآن بالقرآن

لا شك أن أتن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه؛ لأنه ينطق بمضه ببعض، ويشهد

بعضه على بعض^١ - كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - حيث ما جاء منه مبهماً في موضع منه، قد جاء مفصلاً ومبيّناً في موضع آخر، بل وفي القرآن تبيان لكل شيء جاء مبهماً في الشريعة، فلأن يكون تبياناً لنفسه أولى. ومن ذلك جاء قولهم: «القرآن يفسر بعضه بعضاً» كلام معروف.

وتفسير القرآن بالقرآن على نمطين: منه ما أبهم في موضع ويبيّن في موضع آخر - فكان أحدهما متناسباً مع الآخر تناسباً معنوياً أو لفظياً - كما في قوله تعالى: ﴿خَمِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^٢ وقد جاء تبين هذه الليلة المباركة بلبلة القدر في سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^٣ وقد بين في سورة البقرة أنها واقعة في شهر رمضان: ﴿فَهَرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^٤.
فقد تبين من مجموع ذلك: أن القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾^٥ ما هذه الحيلولة وكيف هي، وهو تهديد لاذع بأولئك الزائفين المتمردين عن الشريعة والدين.

وهذا الإيهام يرتفع عند مراجعة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^٦. فعرفنا أنها نسيان الذات، فالذي يجعل من شريعة الله وراء ظهره، إنما حرم نفسه ونسي حظّه، فقد تاه في غياهب ضلالة الجهل والعمى.
وهكذا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَمُكِّمُ لِمَنْ يَشَاءُ لِيُكَيِّبَهُ وَهُوَ تَرِيحُ الْحِسَابِ﴾^٧ ما هو المقصود من «الأرض» هنا في هذه الآية، وكيف يقع

١. نهج البلاغة ج ١٣٣، ص ١٩٢ (صبي صالح).

٢. القدر (٩٧): ١.

٣. البقرة (٢): ١٨٥.

٤. الحشر (٥٩): ١٩.

٥. الرعد (١٣): ٤١.

تقصانها؟

أما الأرض فالمقصود منها هو الثمران منها، وليس المراد هي الكرة الأرضية. ويشهد لذلك قوله تعالى بشأن المحاربين المفسدين في الأرض: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^١. فإن النبي من الأرض، يراد به الإيعاد عن الثمران ليظل حيراناً بين البراري والقفار.

أما كيف يقع النقصان؟ فقد فسره الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وكذا ولده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: بفقد العلماء، وأن عمارة الأرض سوف تزول وتندثر عند ذهاب علمائها وخيار أهلها، وهكذا ورد تفسير الآية بذلك عن ابن عباس^٢.



ومن هذا النمط أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^٣. ما هذه الأمانة التي كان الإنسان صالحاً لحملها، دون سائر المخلوق؟ فجاءت آية أخرى تفسرها بالخلافة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^٤.

ثم ما هذه الخلافة التي منحت للإنسان، وحُطي بها هذا المخلوق دون سائر المخلوق؟ كانت آية ثالثة تفسر الخلافة بقدرة الإبداع وإمكان التصرف في ساحة الوجود: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^٥ ﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^٦ فقدرة الإنسان التسخيرية وإمكان تصرفه في عالم الوجود، علوه وسفله،

١. المائدة (٥): ٣٣.

٢. راجع: جوهان في تفسير القرآن للبحراني، ج ٢، ص ٣٠٢-٣٠١.

٣. البقرة (٢): ٣٠.

٤. الأحزاب (٣٣): ٧٢.

٥. الجاثية (٤٥): ١٣.

٦. لقمان (٣١): ٢٠.

هي قدرته الإبداعية التي تمثل قدرة الله العاكمة على عالم الوجود بذاته المقدسة.

فجاءت كل آية تفسر أختها، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

والنمط الآخر من تفسير القرآن بالقرآن، كان ما جاء فيه البيان غير مرتبط ظاهراً لا معنوياً ولا لفظياً مع موضع الإيهام من الآية الأخرى، سوى إمكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الإيهام.

مثال ذلك، آية السركة؛ حيث أبهم فيها موضع قطع اليد، فقد بين الإمام أبو جعفر محمد ابن علي الجواد عليه السلام أنه من موضع الأشاجع (مفصل أصول الأصابع) مستشهداً لذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^١ حيث إن السارق إنما جنى على نفسه؛ فعنود عقوبته إلى ما يمسّه من الأعضاء، وبما أن مواضع السجود لله تعالى، لا يشركه فيها أحد، وراحة الكفّ من مواضع السجود لله، فلا موضع للقطع فيها^٢.

ومثال آخر قوله تعالى - في سورة الحمد -: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ما هذا الصراط الذي يبتهل الإنسان ليله ونهاره إلى الله لأن يهديه إليه.. بل ويطلبه النبي والأئمة وسائر الناس على سواء..

وقد فسر بتفاسير أغلبها لا يلتزم وهذا الشمول في الطلب الحثيث نحوه..

ومن ثم فتفسيره - بما يتفق وهذا الشمول - هو طلب الاهتداء إلى الحق في جميع شؤون الحياة، إن مادية أو معنوية. وذلك أن الإنسان في مزاوالات حياته اليومية قد يصطدم - وربما كان أكثرها - مع متشابكات الأمور، فلا يدري المخلص ويظل حائراً لا يهتدي إلى سبيل النجاح...

غير أنه تعالى - لطفاً بعباده المؤمنين - سوف يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى منجى الحياة وسعادة المآل.. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^٣. نعم، من شملته عناية ربانية، وغطته ولاية الله الكبرى، فإنه سوف لا يبقى في ظلمات

٢. راجع: تفسير المكي، ج ١، ص ٣١٩-٣٢٠.

١. الجن (٧٢): ١٨.

٣. البقرة (٢): ٢٥٧.

الحياة، ما دامت العناية الإلهية ترافقه عبر مسيرة الحياة.. فجاءت آية تنطق آية أخرى وإن كانت من غير لفظها.



و جميع الآيات التي بظاهرها التشبيه، يفسرها قوله تعالى: ﴿لَهُمْ كَيْفُهَا﴾^١ حيث إنها تنفي التشبيه على الإطلاق، فلا بدّ هناك في آيات التشبيه من تأويل صحيح، يوضحه العقل السليم.

٢. تفسير القرآن بالسنة

لا شك أنّ مجموعة أحكام الشريعة وفروع مسائلها، جاءت تفاصيل عمّا أهم في القرآن وأجمل من عموم وإطلاق. وهكذا ما ورد في لسان المحصوم وفعله وتقريره، بياناً لمختلف أبعاد الشريعة، هي بيانات عمّا جاء في القرآن من رؤوس الأحكام والأخلاق والآداب.

قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^٢. فقد كانت وظيفة النبي الأساسية هي بيان وتبيين ما جاء في الذكر الحكيم، وكلّ ما صدر عنه في بيان أبعاد الشريعة، فإنّما هو تفسير للقرآن الكريم.

هذا فضلاً عمّا سُئل عن معاني القرآن، حيثما أبهم على الصحابة، فيبّنه لهم في شرح وتبيين، على ما أسلفنا في الكلام عن التفسير المأثور عن النبي ﷺ. وهكذا ما ورد عن أنمة أهل البيت عليهم السلام تفسيراً لما أبهم أو تفصيلاً لما أجمل في القرآن الكريم. وقد تكلمنا عن دور أهل البيت في التفسير في فصل خاص.

٣. تفسير القرآن بقول الصحابي

ونحن قد تكلمنا عن قيمة تفسير الصحابي الذي تروى في أحضان الرسالة، وقد أخذ

العلم مباشرة من منهل العذب السائغ، وكان ممن تفقه على يده الكريمة، و تحت هديه وإرشاده المستقيم ﷺ فلا يبدأ أنهم - أي صحابته الأخيار - أقرب الناس فهماً إلى معاني القرآن الحكيم، وأهداهم إلى معالمه الرشيدة.

هذا ابن مسعود يقول: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن»^١.

وهذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «وإنما هو تعلم من ذي علم... علم علمه الله نبيه فعلمتنيبه ودعالي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي»^٢.

إلى غير ذلك من تصريحات تنبؤك عن مدى حرصه ﷺ على تعليم صحابته وتثقيفهم الثقافة الإسلامية القرآنية الكاملة.

٤. تفسير القرآن بقول التابعي

لا شك أن التابعين هم أمس جانباً بأحاديث الرسول ﷺ والعلماء من صحابته الأخيار، وكانوا أقرب فهماً لمعاني القرآن الكريم؛ حيث قُربهم بأصول معاني اللفظة الفصحى غير المتحوّرة، الباقية على صفوها الأول، كما كانت الحوادث والوقائع المقترنة بنزول الآيات، والموجبة أحياناً للنزول، كانت تلك الحوادث والأسباب والموجبات في متناولهم القريب، كما كان باب الفهم والسؤال لديهم مفتوحاً، وبالتالي كان باب العلم بأسباب النزول وفهم معاني القرآن والسؤال عن مواضع الإبهام فيه منفتحاً لهم بمصرعين، الأمر الذي لم يحظ بها من تأخر من أرباب التفسير.

هذا، ومع ذلك إنما نعتبر قول التابعي شاهداً ومؤيداً، وليس حجة على الإطلاق، كما كان حديث المعصوم عليه السلام حجة برأسه، أو قول الصحابي بالنسبة وفي الغالب الأكثر حجة معتبرة، فإنما يقع قول التابعي في الدرجة الثالثة من الاعتبار، وليس على إطلاقه.



٢. نهج البلاغة، ج ١٢٨، ص ١٨٦ (صحي صالح).

١. فخر الطبري، ج ١، ص ٢٧ و ٣٠.

موضع الحديث من التفسير

وإذ بلغ البحث بنا إلى مصادر حديثية لفهم معاني القرآن، وهي أحاديث مأثورة عن النبي وعترة - صلوات الله عليهم - وعن صحابته الأجلاء والتابعين لهم بإحسان، فيجدر بنا النظر فيما قاله الأصوليون، بشأن حجية أخبار الأحاد، والتي لم تبلغ مبلغ التواتر أو الاستفاضة، فهل هي حجة فيما لا سبيل إلى التعبد فيه كأصول المعارف، ويلحق بها الأحداث التاريخية، وكذا في مجال التفسير؛ حيث المطلوب فيه هو الفهم، وهو أمر وجداني لا مجال للتعبد فيه؟

نعم، إن كانت حجية الخبر الواحد مستندة إلى دليل التعبد به، ومن غير أو يوجب علماً عرفياً - فهذا لا يُجدي نفعاً في باب التفسير وما شاكله، مما لا مجال للتعبد فيه؛ إذ لا تعبد في فهم، كما لا تعبد في شك أو وهم، فضلاً عن التعبد في يقين. وإنما التعبد فيما كان المطلوب هو العمل، وهو يخص باب التكاليف والأحكام، دون الوجدانيات والمعتقدات. قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: ولا يجوز لأحد أن يقلد أحداً منهم (المفسرين القدامى والمتأخرين) بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلة الصحيحة، إما العقلية أو الشرعية، من إجماع أو نقل متواتر عن أتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصة إذا كان [المجال] مما طريقتة العلم. ومتى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين أهل اللغة شائعاً بينهم. وأما طريقة الأحاد من الروايات الشاردة والأفاظ النادرة، فإنه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهداً على كتاب الله، وينبغي أن يتوقف فيه^١.

والأصل في ذلك ما ذكره الشيخ أبو عبدالله المنفرد بشأن الروايات في باب الاعتقادات، من أن حجيتها إنما هي من باب التعبد بها، ولا تعبد فيما سبيله العلم المبني على الفهم والعلم دون الظن والاحتمال. ذكر ذلك مكرراً في كتابه تصحيح

الاعتقاد رداً على أبي جعفر الصدوق، حيث اعتمد في أصول المعتقدات على روايات لا تعدو أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً^١.

لكنه عليه السلام إنما أنكر على الصدوق اعتماده آحاد الأخبار من غير تمحيص ولا تمييز بين الصحيح والسقيم، وليس مطلقاً الأخذ بالخبر الواحد إذا كان وجيهاً معلوم الوجهة! قال في مسألة الإرادة والمشيئة - بعد أن ذكر كلام الصدوق -: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر عليه السلام في هذا الباب لا يتحصّل، ومعانيه تختلف وتتناقض. والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممن يرى النظر فيميّز بين الحقّ منها والباطل ويعمل على ما يوجب الحجّة. ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه...^٢.

وقال في مسألة القضاء والقدر - بعد أن ذكر كلام الصدوق في النهي عن الخوض فيها -: عوّل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذ، لها وجوه يعرفها العلماء متى صحّت وثبت إسنادها، ولم يقل فيه قولاً محصّلاً. وقد كان ينبغي له - لما لم يكن يعرف للقضاء [الإلهي] معنى - أن يهمل الكلام فيه...^٣.

إذن لم ينكر الشيخ المفيد جواز التعويل على أخبار الآحاد بصورة مطلقة، وإنما أنكر التعويل عليها من غير تمحيص ولا تقويم، ولا سيّما لمن لم يكن من أهله!

ومن ثمّ نراه هو قد اعتمد الكثير من أخبار الآحاد في نفس الكتاب وغيره حيث وجدها صالحة للاعتماد.. وهكذا نرى أبا المعالي علم الهدى السيّد المرتضى عليه السلام إنما أنكر على الجمهور اعتمادهم أخبار الآحاد من غير رويّة ولا مبالاة^٤. أمّا الخبر إذا كان ذا

١. راجع بالخصوص: قوله عن حديث نزول القرآن جملة واحدة إلى البيت المعمور (مصنّفات المفيد، ج ٥، ص ١٢٣).

٢. المصدر نفسه، ص ٥٤.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٩.

٤. راجع: الفريفة إلى أصول الشريعة للمرتضى، ج ٢، ص ٥١٧-٥٥٥؛ رسائل الشريف المرتضى (رسالة في إبطال العمل بأخبار الآحاد)، المجموعة الأولى، الفصل الثاني من أجوبة المسائل الثبائيات، ص ٢١-٢٩، المجموعة الثالثة، مسألة ٤٨، ص ٣٠٩.

مستند وثيق و كان راويه مَن يوثق به و لم يكن ما ضمَّته مما يرفضه العقل أو يخالف ظاهر الكتاب، فهذا ممَّا لا مساغ للمنع من الأخذ به و العمل عليه، نظير الإخبار عن الحوادث و البلدان، و قد اعتمد الأصحاب رواية الثقة في الشرائع و الأحكام، و طريقتهم هذه معروفة و حجة معتبرة، كما ذكره الشيخ في كتابه هذه الأصول^١.

و للشيخ نجم الدين أبي القاسم المحقق الحلِّي صاحب كتاب شرائع الإسلام تحقيق لطيف عن مذهب السيِّد و الشيخ و ينتهي إلى ما ذكره الشيخ في نهاية المطاف^٢.

و على ما ذكره هؤلاء الأعلام مشي سيِّدنا الأستاذ الإمام الخوئي^٣ و بين قَبله شيخه المحقق النائيني^٤ و أن ما نفاه السيِّد و تبعه الشيخ من عدم اعتبار أخبار الآحاد، إنَّما هو في الأخبار الضعيفة الإسناد أو الموهونة، لا التي رواها الثقات الأتبات من الرجال..

قال سيِّدنا الأستاذ: إنَّ للخبر الواحد مصطلحين، أحدهما: مقابل المتواتر أو المحفوف بقرائن قطعية. و الثاني: الضعيف الموهون. و لا يبعد أن يكون محطَّ الإجماع على عدم الحجية، الذي ادَّعاه السيِّد و تبعه الشيخ و غيرهما، هو الخبر الواحد بالمعنى الثاني. فدعواهم الإجماع على رفض الحجية لا تتنافى مع عملهم بالأخبار، حيث محطَّ الإجماع هو المعنى الثاني، و المعمول به هو الخبر بالمعنى الأوَّل..

قال: و الشاهد على ذلك أنَّ الشيخ، الذي ادَّعى الإجماع على حجية خبر الواحد^٥، كثيراً ما يقول - في كتاب الاستحصار، في مقام الاعتذار عن عدم العمل بخبر -: إنَّما لم تعمل به لأنَّه خبر واحد^٦. و المراد هو المعنى الثاني. و إلا فخير الثقة العدل عنده حجة مسلَّمة^٧. و قد كان دأبه و كذا السيِّد و الشيخ المفيد و غيرهم من علمائنا الأعلام هو العمل بخبر الثقة الثابت.

١. راجع: هذه الأصول للطوسي، ج ١، ص ٣٦٧، ٣٣٦.

٢. راجع: مدارج الأصول للحلِّي، ص ١٤٠-١٤٨.

٣. راجع على سبيل المثال: الاستحصار للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٣٦٠، ٣٦٥، ج ١، ص ٩٦.

٤. راجع: هدية في الأصول للصابغيني، ج ٣، ص ١١٧٥، مصباح الأصول للبهسروذي، ج ١، ص ١٤٩.

و قد تواتر عن الأئمة الراشدين عليهم السلام لزوم الأخذ بما يرويه عنهم الثقات: جاء في التوقيع الذي خرج على يد القاسم بن العلاء: «فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدبه عنا ثقاتنا، قد عرفوا بأتنا نفاوضهم سرنا ونحملهم إياه إليهم^١.. وهكذا روايات أخرى ذكرها أبو جعفر الكليني^٢.

وروى ثقة الإسلام الكليني بإسناده الصحيح إلى أحمد بن إسحاق.

قال: سألت أبا الحسن الهادي عليه السلام: من أعامل، و عمن آخذ، و قول من أقبل؟ فقال: العُمريّ ثقّي، فما أدّى إليك عنيّ فعنيّ يؤدّي، و ما قال لك عنيّ فعنيّ يقول. فاسمع له و أطمع، فإنّه الثقة المأمون.

و أيضاً قال: إنّه سأل أبا محمّد العسكريّ عن مثل ذلك؟ فقال: العُمريّ و ابنه ثقتان، فما أدّى إليك عنيّ يؤدّيان، و ما قال لك فعنيّ يقولان، فاسمع لهما و أطمعهما، فإنّهما الثقتان المأمونان^٣.

و العُمريّ و ابنه هما: عثمان بن سعيد العمريّ و ابنه محمّد بن عثمان، كانا النائبين الأوّل و الثاني من النواب الأربعة في الناحية المقدّسة على عهد الغيبة الصغرى. على أنّ دأب علمائنا الأعلام على الأخذ برواية الثقة الثبت الأمين، معروف معهود لا غبار عليه، كما ذكره الشيخ في العُدّة حتّى و لم يشترطوا كونه إمامياً بعد إحراز كونه صدوقاً في حديثه أميناً في روايته. و هذا هو مذهب أصحابنا أجمع من غير خلاف. و هكذا المعهود من دأبهم الأخذ برواية الثقة الثبت، في مختلف شؤون الدين، في المعارف و الأحكام و التاريخ و التفسير جميعاً و من غير فرق.



نعم، هناك من أخذ من كلام المفيد، بأن لا تعبد في غير التكاليف، مستنداً لرفض

١. رجال الكليني، ج ٢، ص ٨١٦، في ترجمة أحمد بن هلال المبرقاني، رقم ١٠٢٠.

٢. راجع: كفاية الشريفة، ج ١، ص ٣٢٩-٣٣٠.

٣. كفاية الشريفة، ج ١، ص ٣٢٩-٣٣٠، كتاب الحجّة، باب نسمية من رآه، رقم ١.

حجّية خبر الواحد في مجال التفسير، حيث المطلوب فيه هو فهم المعاني، وهو من باب العلم ولا مساس له بالعمل فيما سوى آيات الأحكام.

وبذلك فسر كثير من الأصوليين الحجّية التبعديّة في باب الأمارات والدلائل الظنيّة، ومنها خبر الواحد، بالتجزؤ والتعذّر تبعدياً^١، ولا مجال له في غير التكاليف. ومن ثمّ قالوا - في مسألة الإخبار مع الوساطة - بضرورة كون المُخبر به ذا أثر شرعيّ حتّى يشمل دليل الحجّية التبعديّة^٢.

وهكذا ذهب العلامة الطباطبائيّ إلى عدم حجّية خبر الواحد في باب التفسير، استناداً إلى ما ذكره علماء الأصول. قال: الذي استقرّ عليه النظر اليوم في المسألة، أنّ الخبر إذا كان متواتراً أو محفوظاً بقرينة قطعيّة فهو حجّة، وأمّا غير ذلك فلا حجّية فيه، ما سوى الأخبار الواردة بشأن الأحكام الشرعيّة الفرعيّة، إذا كان الخبر موثوق الصدور.. قال: وذلك أنّ الحجّية الشرعيّة (التبعديّة) من الاعتبارات العقلانيّة، فتتبع وجود أثر شرعيّ في المورد ليقبل الجعل والاعتبار الشرعيّ. أمّا القضايا التاريخيّة والأمر الاعتقاديّة، فلا معنى لجعل الحجّية فيها، لعدم أثر شرعيّ.. قال: ولا معنى لحكم الشارع بكون غير العلم علماً وإلزام المكلّفين بالتعبّد به^٣.

وهذا الذي نفاه أخيراً، قد أثبتته سيّدنا الأستاذ الخوئيّ ومن قبله شيخه المحقّق النائينيّ وغيرهما من أعلام الأصوليين.

أمّا المحقّق النائينيّ فإنّه يرى من تفسير الحجّية في باب الأمارات هو: اعتبار كاشفيّتها وجعلها دلائل علميّة، حسب اعتبار العقلاء عرفيّاً، وليس تبعديّاً محضاً. إنّه يرى في باب الطرق والأمارات، أنّ المجمعول (الذي تعلق به الاعتبار والحجّية) هو نفس الكاشفيّة

١. راجع: كفاية الأصول للمحقّق الخراسانيّ، ج ١، ص ٢٧٧.

٢. راجع: أجود تشريعات للإمام الخوئيّ، تقريراً لمباحث المحقّق النائينيّ، ج ٢، ص ١١٠٥. كفاية الأصول، ج ١، ص ٢٩٧.

٣. راجع: الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائيّ، ج ١٠، ص ٣٦٦-٣٦٥ وج ٣، ص ٨٧-٨٨ وج ٦، ص ٥٩ وج ١٢، ص ٢٧٨؛ كتابه قرآن هو سلام، ص ٧٠.

و الوسيطية في الإثبات، فالمجموع هو الطريقة التامة أي تتيمم الكشف، حسب مصطلحهم^١ وهكذا جاء في تقارير سيدنا الأستاذ لمحاضرات شيخه النائي حرقاً بحرف^٢.

قال سيدنا الأستاذ عند كلامه عن أصول التفسير و تبين مواضع أئمة الدين من التفسير: «لا شبهة في ثبوت قولهم بالتفصيل إذا دلّ عليه طريق قطعي لا شك فيه... و هل يثبت بطريق ظنيّ دلّ على اعتباره دليل قطعيّ؟ فيه كلام بين الأعلام:

و قد يشكل في حجّية خبر الواحد الثقة إذا ورد عن المعصومين في تفسير الكتاب، ووجه الإشكال في ذلك: أنّ معنى الحجّية التي ثبتت لخبر الواحد و لغيره من الأدّلة الظنيّة، هو وجوب ترتيب الآثار عليه عملاً.. و هذا المعنى لا يتحقّق إلّا إذا كان مؤدّي الخبر حكماً شرعيّاً أو موضوعاً لحكم شرعيّ، و هذا المعنى مفقود في رواية التفسير.

قال: و هذا الإشكال خلاف التحقيق، فإنّنا قد أوضحنا في مباحث الأصول: أنّ معنى الحجّية في الأمانة (الناظرة إلى الواقع، أي التي كان لها جهة كاشفيّة) هو جعلها علماً تعديديّاً في حكم الشارع (أي اعتبر الظنّ الحاصل منها بمنزلة العلم) فيصبح الطريق (الظنيّ) المعتبر فرداً من أفراد العلم، لكنّه تعديداً لا وجداناً. فيترتب عليه جميع ما يترتب على القطع (العلم) من آثار. فيصحّ الإخبار على طبقه كما يصحّ الإخبار طبق العلم الوجدانيّ و لا يكون قولاً بغير علم»^٣.

و عليه فلا فرق في ذلك بين الأخبار المتكفّلة لبيان حكم شرعيّ أو غيره، كما في التفسير بل و سائر شؤون الدين.

و قال -في مباحثه عن حجّية الظنّ-: إن كان الظنّ متعلّقاً بما يجب التّباني و عقد القلب عليه و التسليم و الاتقياد له، كتفاصيل البرزخ و تفاصيل المعاد و وقائع يوم القيامة و تفاصيل الصراط و الميزان و نحو ذلك ممّا لا تجب معرفته، وإنّما الواجب عقد القلب

١. راجع: فوائده الأصول للمحقّق الكاظمي، تقريراً لمباحث المحقّق النائي، ج ٣، ص ١٨٠-١٨١.

٢. راجع: هيان للإمام الخوئي، ص ٤٢١.

٣. أجود هفتبراه، ج ٢، ص ١٠٥.

عليه والالتقياد له على تقدير إخبار النبي ﷺ، فإن كان المتعلق بهذه الأمور من الظنون الخاصة (الثابتة حجيتها بغير دليل الاستداد) فهو حجة، بمعنى أنه لا مانع من الالتزام بمتعلقه و عقد القلب عليه، لأنه ثابت بالتعبّد الشرعيّ. بلا فرق بين أن تكون الحجية بمعنى جعل الطريقتيّه - كما اخترناه - أو بمعنى جعل المنجزية والمعدّرية - كما اختاره صاحب الكفاية...

و أما الظنّ المتعلق بالأمور التكوينية أو التاريخية، كالظنّ بأنّ تحت الأرض كذا أو فوق السماء كذا، والظنّ بأحوال أهل القرون الماضية وكيفية حياتهم ونحو ذلك، فإن كان الظنّ من الظنون الخاصة، فلا بدّ من التفصيل بين مسلكتنا ومسلك صاحب الكفاية، فإنه على مسلكتنا من أنّ معنى الحجية جعل غير العلم علماً بالتعبّد، يكون الظنّ المذكور حجة، باعتبار أثر واحد وهو جواز الإخبار بمتعلقه. فإذا قام ظنّ خاصّ على قضية تاريخية أو تكوينية، جاز لنا الإخبار بتلك القضية، بمقتضى حجية الظنّ المذكور، لأنّ جواز الإخبار عن الشيء منوط بالعلم به، وقد علمنا به بالتعبّد الشرعيّ. وهذا بخلاف مسلك صاحب الكفاية... إذ لا أثر شرعيّاً للموجودات الخارجية أو القضايا التاريخية ليكون الظنّ منجزاً أو معدّراً بالنسبة إليه. وأما جواز الإخبار عن شيء فهو فرع العلم به، والمفروض حصول العلم - ولو عن تعبّد شرعيّ - كما تبيننا!

وهذا الذي ذكره سيّدنا الأستاذ - طاب ثراه - في غاية الدقّة والإتقان، غير أنّ هنا التفاتة يجدر التنبيه لها، وتعود إلى جانب قوله بالتعبّد في حجية الأمارات، كما جاء في كلام سائر المشايخ العظام من اعتبارهم حجية خبر الواحد من باب التعبّد به شرعيّاً... ولنتساءل: هل هناك تعبّد - في منح هذه الحجية لخبر الثقة العدل - أم هي مرافقة مع العرف العامّ (أعراف العقلاء)؟

والذي يبدو لنا: أنّ حجية خبر الواحد (الجامع لشرائط الاعتبار) لم تكن مستندة إلى

دليل تعبدّي (بأن تعبدنا الشارع به) وإنما هي سيرة عقلانيّة مشى عليها عرفهم العامّ وجرى معهم الشارع الحكيم في مرافقة رشيدة! فلا تعبد هناك - إطلاقاً - كي يلتبس ترتّب أثر عمليّ عليه أو يكون الشارع استهدفه تكليفيّاً! وإنما هي مسابرة مع أعراف انغلاق في مناهجهم لتنظيم الحياة العامّة، وكان إخبار الثقة الضابط هو أحد أسباب العلم عندهم، فأمضاء الشارع وواكبه في هذا المنهج الحكيم. وما ورد من آيات وروايات بشأن اعتبار خبر الثقة الأمين، إنما هي شواهد على هذا الإمضاء والمرافقة، وفي الحقيقة إنّه إرشاد إلى ذلك الاعتبار العامّ، وليس مجرد تكليف بالتعبد محضاً..

إذن فلا تعبد - بشأن اعتبار خبر الثقة - إطلاقاً، وإنما هي مسابرة مع العرف العامّ، في الاعتماد على خبر الثقة باعتباره مفيداً للعلم حسب المتعارف وليس مجرد الظنّ غير الموجب للاطمينان... ومن ثمّ يرتّبون عليه آثار العلم الوجدانيّ، اللهمّ إلا إذا كانت هناك بعض دلائل الاتّهام^١، وهكذا اعتبر الشارع مخبر الثقة باعتباره شيئاً عقليّاً وطريقاً اطمئنانيّاً ينبغي الركون إليه في الشرعيّات إطلاقاً، كما اعتمده العقلاء في سائر شؤونهم في الحياة من غير فرق، فلا تعبد هناك وإنما هو ركون إلى عماد وثيق.

١. وهكذا استثنى الشارع إخبار الفاسق: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَلْيُرْ بِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ (الحجرات: ٤٩). (٦).

آفات التفسير بالمأثور

علمنا أن التفسير النقلّي يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة، وما كان موقوفاً على الصحابة، أو المروي عن التابعين. أما تفسير القرآن بالقرآن بعد وضوح الدلالة، أو بما ثبت من السنة الصحيحة فذلك ممّا لا خلاف فيه ولا شكّ يعتره؛ لأنّه من أحسن الطرق إلى فهم معاني كلامه تعالى، وأمتها وأتقنها.

وأما ما أضيف إلى النبي ﷺ أو إلى أحد الأئمة الأطهار، وكان في سنده ضعف أو في منته وهن، فذلك مردود غير مقبول، مادام لم تصحّ نسبته إلى المعصوم.

وأما تفسير القرآن بالمروي عن الصحابة والتابعين، فقد تسرّب إليه الخلل، وتطرّق إليه الضعف والوهن الكثير، إلى حدّ كاد يُفقدنا الثقة بكلّ ما روي من ذلك - كما قال الأستاذ الذهبي^١ - حيث وفرة أسباب الضعف والوهن في ذلك الخضمّ من الرويات، في كتب التفسير المعزّوة إلى الصحابة والتابعين. وقد خلط سليمها بسقيمها؛ بحيث خفي وجه الصواب.

ولقد كانت كثرة المروي من ذلك كثرةً جاوزت الحدّ، وبخاصّة ما إذا وجدنا التناقض وتضارب الأقوال، وكثيراً ما تضادّ ما نُسب إلى شخص واحد، كالرويات عن ابن

عبّاس، كان ذلك من أكبر عوامل زوال الثقة بها أو بالأكثرية الساحقة منها، الأمر الذي يستدعي التثبت لديها، وإمعان النظر والبحث والتمحيص.

هذا الإمام أحمد بن حنبل يصرّح بأنّه لم يثبت في التفسير شيء. يقول: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير. قال المحققون من أصحابه: مراده أنّ الغالب أنّه ليس لها أسانيد صحاح متصلة^١.

وهذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلاّ شبيه بمائة حديث^٢. مراده: عدم صحّة الإسناد إليه في الكثير من الروايات عنه. وهذا الكلام، وإن كان مبالغاً فيه، إلاّ أنّه يدلّنا على مبلغ ما دخل في التفسير النقلّي من الروايات المكذوبة المصطنعة، فضلاً عن الضعاف والمراسيل.

وعلى أيّ تقدير فأسباب الوهن في التفسير النقلّي تعود إلى الأمور الثلاثة التالية:
أولاً: ضعف الأسانيد وإرسالها أو حذفها رأساً؛ ممّا يوجب القدح في التفسير بالمأثور.

وثانياً: كثرة الوضع والدسّ والتزوير في الحديث والتفسير، بما أوجب زوال الثقة به.
وثالثاً: وفرة الإسرائيليات في التفسير والتاريخ بما شوّه وجه التفسير.
ولنتكلّم عن هذه الأمور الثلاثة في شيء من التوضيح:

١. ضعف الأسانيد

ممّا أوجب الوهن في وجه التفسير النقلّي، ضعف الأسانيد بكثرة المجاهيل أو ضعاف الحال أو الإرسال أو حذف الإسناد رأساً، وما إلى ذلك ممّا يوجب ضعف الطريق في الحديث المأثور.

هذا إذا كنّا نرافق علماء الأصول - أصول الفقه - في أساليبهم في توثيق الأسانيد أو تضعيفها، وجرينا معهم على غرار ما نجري في فقه الأحكام، وملاحظة شرائط

استنباطها من دلائل الكتاب و السنة. فإن كانت الشرائط هناك تجري هنا - في باب التفسير - أيضاً، كانت نفس الأساليب واجبة الاتباع، غير أن باب التفسير يختلف عن الفقه اختلافاً في الجذور.

الفقه: استنباط أحكام و تكاليف ترجع إلى عمل المكلفين، إما فعلاً أو تركاً، إلزاماً أو رجحاناً. فلا بد للفقهاء من أن يستوثق في الاستنباط، و يبنى الفروع على أصول متينة. والاستيثاق و الاطمئنان إنما يحصلان بحصول الظنّ الغالب المعتبر شرعاً و عقلاً؛ فيجب عليه اتّباعه، و إن لم يحصل له القطع و اليقين؛ لأنّ ظنّه هذا حجة معتبرة.

أما التفسير - و كذا التاريخ - فليس الأمر كذلك؛ حيث طريق الاستيثاق و الحجية تختلف أساليبه عن أساليب الفقه. إذاً لا حجة تعبدية هنا، كما كانت حجة تعبدية هناك. فإنّ دليل التعبد قاصر الشمول هنا؛ إذ لا عمل يوجب التعبد فيه. إنما هو عقيدة و ركون نفس، إن حصلت أسبابه حصل، و إلا فلا، و لا معنى للتعبد في العقيدة و الرأي أو في وقوع حادثة أو عدم وقوعها.

مثلاً: لا معنى للتعبد بأنّ تفسير الآية الفلانية كذا؛ إذ التفسير: كشف القناع عن وجه اللفظ المبهم، فإن ارتفع الإبهام و انكشف المعنى، أصبح موضع القبول و الإذعان به، و إن لم يرتفع الإبهام، فلا موضع للقبول و الإذعان تعبداً محضاً.

و هذا نظير الأحداث التاريخية، إنما يُدعى بها إذا حصل الاطمئنان الشخصي بوقوعها من أيّ سبب كان، و لا يمكن التعبد بوقوع حدث تاريخي إطلاقاً.

و هذا معنى قولهم: لا اعتبار بالخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ و العقائد؛ إذ لا يوجب علماً و لا عملاً، حيث المطلوب في هذه الأبواب هو العلم، الذي لا يحصل بخبر الواحد بمجردده، كما لا عمل - فعلاً أو تركاً - هنا، كي يستدعي الخبر الواحد التعبد به. و من ثمّ اختصّ باب التعبد في اعتبار الخبر الواحد بالفقه؛ حيث العمل هناك محضاً.

إذن فما قيمة الحديث - الخبر الواحد - في باب التفسير و كذا التاريخ؟ الأمر الذي يجب الإمعان فيه: قيمة الخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ إنما هي بملاحظة المتن

الوارد فيه، دون مجرد السند. فإن كان مضمون الخبر - وهو محتوى الحديث الوارد - ما يعالج دفع مشكلة إيهام في الأمر، فنفس المتن شاهد على صدقه، وإلا فلا دليل على التعبد به.

فالحديث المأثور عن الرسول ﷺ أو عن أحد الأئمة عليهم السلام أو أحد الصحابة العلماء أو التابعين الكبار، إن كان يزيد في معرفة أو يرفع من إيهام في اللفظ أو المعنى فهو شاهد صدقه؛ ذلك أنهم أعرف بمواضع النزول وأقرب تناولاً فيه؛ حيث قرب عهدهم به، أو أنهم حضروا الحادثة فنقلوها.

وللعلاء طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه علانية فيعتمدونه؛ وعليه جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، فقد أقرّ العقلاء على قبولهم للنبأ ما لم يكن الآتي به متجاهراً بالفسق، ممن لا يتورع الكذب، ولا يخاف الله في سره وعلانيته.

فمن عُرف بالصدق والأمانة قبل تبوّءه، ومن عُرف بالكذب والخيانة ترك، ومن كان مجهولاً تريئناً، فإن ظهرت منه دلائل الصدق قبلناه وإلا رفضناه.

إذن فشرط قبول الخبر احتفافه بقرائن الصدق: من وجوده في أصل معتبر، وكون الراوي معروفاً بالصدق والأمانة، وعلى الأقلّ غير معروف بالكذب والخيانة، وسلامة المتن واستقامته، مما يزيد علماً أو يزيل شكاً. وأن لا يخالف معقولاً أو منقولاً ثابتاً في الدين والشريعة، الأمر الذي إذا تورق في حديث أوجب الاطمئنان به وإمكان ركون النفس إليه؛ وعليه فلا يضره حتى الإرسال في السند إن وجدت سائر شرائط القبول.

٢. الوضع في التفسير

كان الوضع والتزوير من أهم أسباب الوهن في التفسير المأثور. فقد كانت الدواعي متوفرة للدسّ والاختلاق في المأثور من التفسير، إلى جنب الوضع في الحديث، فهناك

أسباب سياسية وأخرى مذهبية وكلامية، وربما عاطفية، كانت عن قصور النظر لا عن سوء نية. والعمدة أن القرآن كان المحور الأساسي الذي يدور عليه رحى الدين والسياسة والسلوك آنذاك، فلا بد لكل منتحلي مسلك من المسالك أن يتشبَّهت برؤى القرآن، ويجعل من آياته الكريمة وسيلة ناجعة، لبلوغ أهدافه إن خيراً وإن شراً، الأمر الذي جعل من سوق الكذب والتزوير في التفسير والحديث رائجاً ذلك العهد.

وقد بُدئ ذلك على يد معاوية، حيث كان يجعل الجمائل على وضع الحديث أو قلبه تمشية لسياسته الفاشمة ذلك الحين^١، وراج ذلك طول عهد الأمويين وبعدهم العباسيين؛ حيث أخذ بالتوسع والاطراد.

قال الأستاذ الذهبي: وكان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى وأربعين بعد وفاة الإمام أمير المؤمنين حين اختلف المسلمون سياسياً، وتفرقوا شيعاً، ووجد من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم وتعضبوا لأهوائهم. ودخل في الإسلام من تبطن الكفر والتحف الإسلام بقصد الكيد له وتضليل أهله. فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة و رغباتهم الخبيثة^٢.

قال الأستاذ أبو رية: وقد أجمع الباحثون والعلماء المحققون، على أن نشأة الاختراع في الرواية وضع الحديث على رسول الله ﷺ إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته، ثم اشتد الاختراع واستفاض بعد مبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة تامة، حتى ذرَّ قرْنُ الشيطان الأموي ليفتصب الخلافة من صاحبها، ويجعلها حكماً أمويّاً. وقد كان وأسفاها^٣!

وفي ذلك يقول الإمام الشيخ محمد عبده: وتوالت الأحداث بعد الفتنة الكبرى، ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما عقدوا، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين! غير أن بناء الجماعة قد انصدع،

١. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣. و سيأتي ذلك عند الكلام عن الوضع للسياسة.

٢. انصاف على لغة المحمدية لأبي رية، ص ١١٨.

٣. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٥٨.

وانفصمت عرى الوحدة بينهم، و تفرقت بهم المذاهب في الخلافة، وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم، كلّ ينصر رأيه على رأى خصمه بالقول والعمل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل، وغلاكلّ قبيل^١.

أهم أسباب الوضع

ذكروا الوضع الحديث والكذب على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه الخيار والأئمة الأطهار أسباباً كثيرة، نأتي على أهمها:

١. ما وضعه الزنادقة اللابسون لباس الإسلام غشاً و نفاقاً، و قصدهم بذلك إفساد الدين وإيقاع الخلاف والافتراق بين المسلمين. قال حماد بن زيد: وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث. قال أبو رية: هذا بحسب ما وصل إليه علمه واختباره في كشف كذبها^٢، وإلا فقد أكثر الزنادقة من وضع الأحاديث في أعداد هائلة. فهذا عبد الكريم بن أبي العوجاء - وكان خال معن بن زائدة و ربيب حماد بن سلمة، وكان يدسّ الأحاديث في كتب حماد - فلما أخذ و أتى به إلى محمد بن سليمان بن عليّ، فأمر بضرب عنقه لزندقته، فلما أيقن بالقتل قال: و الله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرمّ فيها الحلال وأحلّ فيها الحرام. و لقد فطرّكم في يوم صومكم و صومتكم في يوم فطركم. فهذا زنديق واحد يضع أربعة آلاف حديث، فكيف بغيره و هم كثيرون. و أيضاً روى حماد بن زيد عن جعفر بن سليمان، قال: سمعت المهديّ يقول: أقرّ عندي رجل من الزنادقة أنّه وضع أربع مائة حديث، فهي تجول في أيدي الناس.

كما روى ابن الجوزيّ بإسناده إلى حماد بن زيد، يقول: وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث^٣.

و أخرج جلال الدين السيوطيّ بإسناده إلى ابن مبارك، أنّه قال بشأن حديث فضائل

١. رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص ٨٠٧ (ط ١).

٢. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٢١.

٣. الموضوعات لابن الجوزي، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

السور المعزوة إلى أبي بن كعب: أظن الزنادقة وضعته؛ وذلك تشويهاً لسمعة القرآن الكريمة.

و ذكر ابن الجوزي أن جماعة من الكذابين ندموا على كذبهم وتصلوا من ذلك. فقد حدث عن أبي شيبة، قال: كنت أطوف بالبيت ورجل من قدامي يقول: اللهم اغفر لي، وما أراك تفعل! فقلت: يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك؟ فقال: دعني، فقلت: أخبرني، فقال: إني كذبت على رسول الله ﷺ خمسين حديثاً، و طارت في الناس، ما أقدر أن أرد منها شيئاً و قال ابن لهيعة: دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: وضعت أربع مائة حديث أدرجتها إدراجاً مع الناس، فلا أدري كيف أصنع؟!^١



٢. الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين وفروعه. فإن المذاهب والآراء لما تشعبت، جعل كل فريق يستفرغ ما بوسعه لإثبات مذهبه ودعم عقيدته، لا سيما بعد ما فتّح باب المجادلة والمناظرة في المذاهب والآراء. ولم يكن المقصود من ذلك إلا إفحام الجانب الآخر مهما بلغ ثمن ذلك، ولو بالحط من كرامة الدين.

فقد روى ابن الجوزي بإسناده إلى الدارقطني عن أبي حاتم ابن حبان، قال: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت محمد بن أحمد بن الجنيد يقول: سمعت عبد الله بن يزيد المعري يقول عن رجل من أهل البدع رجع عن بدعته، فجعل يقول: انظروا هذا الحديث ممن تأخذونه، فإننا كنا إذا رأينا رأياً جعلناه حديثاً.

و بإسناده إلى ابن لهيعة قال: سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع، وهو يقول: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً. وعن آخر، قال: كنا إذا اجتمعنا استحسنا شيئاً جعلناه حديثاً.^٢

قال أبو رية: وليس الوضع لنصرة المذاهب محصوراً في مبتدعة وأهل المذاهب في

١. الثلاث المنسوخة في الأحاديث الموضوعة، ج ١، ص ٢٢٧؛ راجع: الموضوعات، ج ١، ص ٢٤١.

٢. المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.

٣. الموضوعات، ج ١، ص ٤٩.

الأصول، بل إنَّ من أهل السنة المختلفين في الفروع من وضع أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه أو تعظيم إمامه.

من ذلك ما رواه الأحناف، قدحاً في الشافعيّ و مدحاً لأبي حنيفة، بإسناد رفعوه إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ: «يكون في أمّتي رجل يقال له: محمّد بن إدريس، أضّرّ على أمّتي من إبليس. و يكون في أمّتي رجل يقال له: أبو حنيفة، هو سراج أمّتي». و قد رواه الخطيب مقتصراً على ما ذكروه في أبي حنيفة، و قال: موضوع و ضعه محمّد ابن سعيد المروزيّ البورقيّ، و هكذا حدّث به في بلاد خراسان ثمّ حدّث به في العراق، و زاد فيه: «و سيكون في أمّتي رجل يقال له: محمّد بن إدريس، فتنته أضّرّ على أمّتي من فتنة إبليس».

قال أبو ريّة: و هذا الإفك ممّا لا يحتاج إلى بيان بطلانه، و مع هذا تجد فقهاء الأحناف المعترين يذكرون في كتبهم الفقهيّة شقّ الحديث الذي يصف أبا حنيفة بأنّه سراج الأمتة و يسكنون إليه، بل يستدلّون به على تعظيم إمامهم على سائر الأمتة. الأمر الذي اضطرّ الشافعيّة إزاء ذلك أن يضعوا في إمامهم حديثاً يفضّلونه على كلّ إمام، و هذا نصّه: «أكرموا قريشاً فإنّ عالمها يملأ طباق الأرض علماً». و أنصار الإمام مالك لم يلبثوا أن وضعوا في إمامهم هذا الحديث: «يخرج الناس من المشرق إلى المغرب، فلا يجدون أعلم من عالم أهل المدينة». و أحاديث مشابهة وضعوها بهذا الشأن!



هذا فضلاً عن الدسّ و التزوير في الأحاديث لنصرة المذهب.

هذا أبو العباس القرطبيّ - في شرح صحيح مسلم - يقول: أجاز بعض فقهاء أهل الرأي، نسبة الحكم الذي دلّ عليه القياس الجليّ إلى رسول الله ﷺ نسبة قوليّة، فيقولون في ذلك: قال رسول الله ﷺ: كذا و كذا؛ و لهذا نرى كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها

١. انشاء على سنة الحسينيّة ص ١١٢٢ راجع: هذنيو للمأمة الأمين، ج ٥، ص ٢٧٧-٢٨٨ (تجد فصلاً مشعباً بهذه المدرسات من المناقب و المكرمات).

بأنها موضوعة؛ لأنها تشبه فتاوى الفقهاء، ولا تليق بجزالة كلام سيّد المرسلين، كما لا يقيمونها لها أسناداً.

قال أبو شامة في مختصر كتابه المؤمل: ممّا يفعله شيوخ الفقه في الأحاديث النبوية والآثار المروية، كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون إليه، نصرة لقولهم، و ينقصون في ألفاظ الحديث، وتارة يزيدون فيه. قال: وما أكثره في كتب أبي المعالي وصاحبه أبي حامد.



٣. شدة الترهيب وزيادة الترغيب لأجل هداية الناس. فقد تساهل الوعاظ وعلماء الأخلاق في تصحيح ما يروونه بهذا الشأن، وربما تنازل بعضهم فأجاز الاختلاق في ذلك، مادام الغرض هو هداية الناس، وليس إغواءهم. فقد كان الوضع لله، وبرر بعضهم ذلك بأنه إنما كذب لرسول الله ولم يكذب عليه.

يقول أبو رية عن العبّاد والصوفية: إنّه راجت عليهم الأكاذيب وحدثوا عن غير معرفة ولا بصيرة، فيجب أن لا يعتمد على الأحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ والرقائق والتصوّف، من غير بيان تخريجها ودرجتها. ولا يختصّ هذا الحكم بالكتب التي لا يعرف لمؤلفها قدم في العلم، ككتاب نزهة المجالس المملوءة بالأكاذيب في الحديث وغيره. بل إن كتب أئمة العلماء ككتاب الإحياء للقرطبي لا تخلو من الموضوعات الكثيرة^١. قلت: وهكذا بعض كتب الوعظ والإرشاد عندنا، ككتاب الأتوار النعمانية للسيّد نعمة الله الجزائري، مملوءة بالأكاذيب والمخاريق، ومثله كتاب خزائن الجواهر للشيخ علي أكبر النهاوندي فيه من المخاريق الطامات. وأيضاً كتب المقاتل والمراثي من المتأخرين، ككتاب محرق القلوب للمولى مهديّ النراقي، وكتاب أسرار الشهادة لآقا بن عابد الدرندي المملوءة بالأكاذيب والطامات. وأمثال هذه الكتب كثير مع الأسف، كتبتها أيدي

١. أضواء على سنة الحسينية، ص ١١٢٢ (المختصر، ص ٢١).

٢. أضواء على سنة الحسينية، ص ١٢٢-١٢٣.

أناس ضعاف العقول، ممن تساهلوا في أمر الدين، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنماً،
سامحهم الله.

أخرج ابن الجوزي بإسناده إلى محمود بن غيلان قال: سمعت مؤملاً يقول: حدثني
شيخ بفضائل سور القرآن الذي يُروى عن أبي بن كعب. فقلت للشيخ: من حدثك؟ قال:
حدثني رجل بالمدائن و هو حي، فصرت إليه. فقال: حدثني شيخ بواسط و هو حي،
فصرت إليه. فقال: حدثني شيخ بالبصرة، فصرت إليه. فقال: حدثني شيخ بعبادان، فصرت
إليه. فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة و معهم شيخ. فقال: هذا الشيخ
حدثني. فقلت: يا شيخ من حدثك؟ فقال: لم يحدثني أحد، و لكننا رأينا الناس قد رغبوا
عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن^١.

و من ثم قال يعقوب بن سعيد القطان: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.
وأولاه مسلم بأنه يجري الكذب على لسانهم و لا يتعمدون الكذب^٢.

قال القرطبي في التذكار لا التفتات لما وضعه الواضعون و اختلقه المختلقون من
الأحاديث الكاذبة. و الأخبار الباطلة في فضل سور القرآن، و غير ذلك من فضائل
الأعمال، و قد ارتكبتها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة - كما زعموا - يدعون الناس
إلى فضائل الأعمال، كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي و محمد بن
عكاشة الكرماني، و أحمد بن عبد الله الجويباري، و غيرهم. قيل لأبي عصمة: من أين لك
عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إنني رأيت الناس قد
أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة و مغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذا
الحديث حسبة^٣.

و قال: قد ذكر الحاكم و غيره من شيوخ المحدثين: أن رجلاً من الزهاد انتدب في وضع
أحاديث في فضل القرآن و سورة. فقيل له: لِمَ فعلت هذا؟ فقال: رأيت الناس زهدوا في

١. الموضوعات ج ١، ص ٢٤١؛ الثنائى المصنوعة ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨.

٢. صحح مسلم (المقدمة): الحديث، ج ١، ص ١٣-١٤، رقم ٤٠.

القرآن فأحببت أن أرغبهم فيها فقبل له: فإن النبي ﷺ قال: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». فقال: أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له.

قال تحذيراً من الأحاديث الموضوعة: وأعظمهم ضرراً، قوم منسويون إلى الزهد، وضعوا الحديث حسبة! فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركوناً إليهم، فضلّوا وأضلّوا!

وهذا ميسرة بن عبد ربّه - كان كذاباً وضاعاً - وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً. قال أبو زرعة: كان يقول: إني أحتسب في ذلك. وقال ابن الطباع: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعت أُرغب الناس فيه. وقد وصفه جماعة بالزهد.

وهكذا كان الحسن - الراوي عن المسيّب بن واضح - ممن يضع الحديث حسبةً.

وكان نعيم بن حماد يضع الحديث في تقوية السنة^١.

وكان الهيثم الطائي يقوم عاتمة الليل بالصلاة، فإذا أصبح يجلس و يكذب، وأمثاله كثير من الزهاد كانوا من الوضّاعين حسبة لله فيما زعموا^٢.

قال ابن الجوزي: منهم قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب؛ ليحثوا الناس يزعمهم على الخير ويزجرهم عن الشرّ. وهذا تعاطف على الشريعة، ومضمون فعلهم أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمّة، فقد أتمناها. ثم أسند إلى أبي عبد الله النهاوندي، قال: قلت لغلام خليل: هذه الأحاديث التي تحدّث بها من الرقائق؟ فقال: وضعناها لترقق بها قلوب العامة. وكان غلام خليل هذا يتزهد ويهجن شهوات الدنيا ويستقوت البساقلا تصوّفاً. وغلقت أسواق بغداد يوم موته^٣.

١. الحكايات للقرطبي، ص ١٥٥-١٥٦. (فتاوى، ج ٥، ص ٢٧٥-٢٧٦)؛ راجع: تفسير القرطبي (المقدمة)، ج ١، ص ٧٨.

٢. راجع: الفتاوى، ج ٥، ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

٣. وقد أورد العلامة الأميني فصلاً أورد أسماءهم فيه (المصدر نفسه، ص ٢٧٥-٢٧٧).

٤. الموضوعات، ج ١، ص ٣٩-٤٠.



٤. وضع الحديث تزلفاً لدى الأمراء. كان بعض ضعفاء النفوس من المحدثين الضعيفي الإيمان يتزلفون لدى الأمراء و السلاطين، بوضع أحاديث تروقهم، أو تشيد من شناعاتهم في السياسة و الحكم.

كان الرشيد يعجبه الحمام و اللهبه، فأهدي إليه حمام، و عنده أبو البخترى القاضي^١، فقال: روى أبو هريرة عن النبي أنه قال: لا سبق إلا في خفّ أو حافر أو جناح. فزاد جناح. و قد وضعها تزلفاً لدى الرشيد، فأعطاه جائزة سنّية. و لما خرج قال الرشيد: والله لقد علمت أنه كذاب، و أمر بالحمام أن يذبح. فقيل له: و ما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كُذّب على رسول الله ﷺ^٢. و حكى ابن الجوزي نظير هذه القصة لغيث بن إبراهيم بمحضر المهديّ العبّاسي^٣.

و هكذا حدّث الرشيد: أنّ جعفر بن محمد حدّثه عن أبيه: أنّ جبرائيل نزل على النبي ﷺ و عليه قباء أسود و منقطة. و إنّما قال ذلك؛ لأنّ ذلك كان شعار العبّاسيين. فدخل يحيى بن معين، فقال له: كذبت يا عدوّ الله، و قال للشرطيّة خذوه... فقال فيه المعافي التميمي:

ويل و عول لأبى البخترى إذا توافى الناس في المحشر

من قوله الزور و إعلاته بالكذب في الناس على جعفر

إلى آخر الأبيات، و هي مشهورة. و لما بلغ ابن المهديّ موته قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه^٤.

و روى ابن الجوزي عن زكريّا بن يحيى الساجي، قال: بلغني أن أبا البخترى دخل

١. أبو البخترى، وهب بن وهب، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولّاه القضاء بمصر المهديّ (المحلّة الممروقة بالمرصافة بالجانب الشرقي من بغداد) ثمّ عزله و ولّاه القضاء بمدينة الرسول ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيرى، و جعل إليه ولاية حربها، مع القضاء. ثمّ عزله، فقدم بغداد و أقام بها إلى أن هلك سنة (٢٠٠ هـ).
٢. راجع: فسطح القرطبي: (المقدّمة)، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

٣. لسان الميزان لابن حجر، ج ١٦، ص ٣٣٣.

٤. الموضوعات، ج ١، ص ٤٢.

على الرشيد - وهو قاض - و هارون إذ ذاك يطير الحمام، فقال: هل تحفظ في هذا شيئاً؟ فقال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: «إن النبي ﷺ كان يطير الحمام». فقال هارون: أخرج عني. ثم قال: لولا أنه رجل من قريش لعزلته.

قال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل أبي البخري، واسمه وهب بن وهب. كان من كبار الوضّاعين^١.

و روى حديث القباء الأسود، قال: لَمَّا قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ في قباء أسود و منطقة. فقال أبو البخري: «حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزل جبرئيل على النبي ﷺ و عليه قباء أسود و منطقة، محتجزاً فيها بخنجر».

قال يحيى بن معين: وفتت على حلقة أبي البخري و هو يحدث بهذا الحديث، مسنداً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر. فقلت له: كذبت يا عدوّ الله، على رسول الله. قال: فأخذني الشُرط. فقلت: هذا يزعم أن رسول رب العالمين نزل على النبي و عليه قباء. فقالوا لي: هذا والله قاصّ كذاب. و أفرجوا عني^٢.

و الأحاديث في أولاد العبّاس و ملكهم، و لا سيّما الزي العبّاسي الذي تزوّج به جبرائيل، كثيرة، أوردها ابن الجوزي في موضوعاته و فنّدها خير تفنيد فراجع^٣.



٥. الوضع نزولاً مع سياسة الطغاة. كان معاوية أوّل من وضع سياسته على وضع الأحاديث و قلبها، تمشيةً مع أهدافه المرتدلة، في التغلّب على واقع الإسلام الرفيع. قال الأستاذ أبو ريّة: لا بدّ لنا أن نكشف عن ناحية خطيرة من نواحي الوضع في الحديث، كان لها أثر بعيد في الحياة الإسلاميّة، و لا يزال هذا الأثر يعمل عمله في الأفكار العفنة و العقول المتخلّفة و النفوس المتعصّبة. ذلك أن السياسة قد دخلت في هذا الأمر، و أثرت فيه تأثيراً بالغاً، فسخرته ليؤيدها في حكمها، و جعلته من أقوى الدعائم لإقامة

١. الموضوعات، ج ٣، ص ١٢.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٧٠٣٠.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٧-٤٨.

بنائها.

وقد علا موج هذا الوضع السياسيّ وطفا ماؤه في عهد معاوية الذي أعان عليه وساعده بنفذه وماله، فلم يقف وُضَاع الحديث عند بيان فضله والإشادة بذكره، بل آمنوا في مناصرته، والتعصّب له، حتّى رفعا مقام الشام الذي يحكمه إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول ﷺ ولا البلد الحرام الذي ولد فيه. وأسرفوا في ذلك إسرافاً كثيراً، وأكثروا حتّى ألّفت في ذلك مصنّفات!

و ذكر ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي: أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيلة في عليّ ﷺ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغَب في مثله، فاختلقوا ما أَرْضاه. منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

روى الزهريّ أنّ عروة بن الزبير حدّثه، قال: حدّثتني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ. فقال: يا عائشة، إنّ هذين يموتان على غير ملّتي - أو قال - غير ديني.

وفي حديث آخر عنه، قال: حدّثتني عائشة، قالت: كنت عند النبيّ ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إنّ سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار، فانظري إلى هذين قد طلعا.

وأما عمرو بن العاص فقد أخرج عنه البخاريّ ومسلم بإسناد متّصل إليه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء. إنّما وليّ الله وصالح المؤمنين». وأما أبو هريرة فروي عنه الحديث الذي معناه: أنّ عليّاً ﷺ خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله ﷺ فأسخطه، فخطب، وقال: لاها الله، لا تجتمع ابنة وليّ الله وابنة عدوّ الله أبي جهل، إنّ فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها. فإنّ كان عليّ يريد ابنة أبي جهل

فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد.

و أيضاً روى أبو جعفر عن الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة^١، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله^٢ وأحرق نفسي بالنارا والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا، وَإِنَّ حَرَمِي بِالْمَدِينَةِ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ. فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وأشهد أن علياً أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة^٣.

و أيضاً روى عن شيخه أبي جعفر: أن معاوية بذل لسمرّة بن جندب -الرجل الوقح- مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْإِخْتِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَخَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُتِمِّدَ فِيهَا وَجْهَكَ الْحَرْتَ وَالنُّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»^٤ وأن الآية الأخرى نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»^٥ فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاث مائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربع مائة ألف فقبل، وروى ذلك^٦.

نعم، كان معاوية يرى لنفسه ما يضاهاه به علياً في مثل مقامه ومرتبته، ومن ثم كان

١. هو العام الذي نزل فيه الإمام البسط الأكبر عن الحكم لمعاوية الطاغية، حقناً لدماء المسلمين سنة (٤١ هـ).
وسمّوه عام الجماعة. قال أبو رتبة: وهو في الحقيقة كان عام التفرقة (أضواء على السنة المحترقة -بالهامش- ص ٢١٦).

٢. قال أبو رتبة: يبدو من هذا القول أن كذب أبي هريرة على النبي كان قد أشهر من أول يومه حتى عم الأفاق. لأنه قال ذلك وهو بالعراق، وأن الناس جميعاً كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان. قلت: ولقد كان معروفاً بالكذب قبل ذلك. روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج ٤، ص ٦٧-٦٨): أن عمر ضربه بالذرة، وقال له: قد أكثرت من الرواية وأحربك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.

٣. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣-٦٨.

٤. البقرة (٢): ٢٠٧.

٥. البقرة (٢): ٢٠٤-٢٠٥.

٦. شرح نهج البلاغة ج ٤، ص ٧٣.

يعاول الانتشال من مقامه الوضيع ليتسنى له المقابلة مع مثل أمير المؤمنين عليه السلام فكان يجعل الجعائل للوضع في تفضيله و تفضيل بلاده التي كان يحكمها، و حاضرة ملكه، كان يجهد جهده في ذلك.

قال أبو رية: و معاوية - كما هو معروف - أسلم هو و أبوه يوم فتح مكة، فهو بذلك من الطلقاء. و كان كذلك من المؤلفة قلوبهم الذين كانوا يأخذون ثمناً لإسلامهم. و هو الذي هدم مبدأ الخلافة الرشيدة في الإسلام، فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة. و قد اتخذ دمشق حاضرةً لملكه، و قد وضعوا فيه و في تفضيل الشام أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه و آله نذكر منها: ما أخرجه الترمذي أن النبي قال لمعاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً. و في حديث آخر أن النبي قال: اللهم علمه الكتاب و الحساب و قي العذاب - و هناك زيادة -: و أدخله الجنة.

و على كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن إسحاق بن راهويه و هو الإمام الكبير و شيخ البخاري قد قال: إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء^١. و للعلامة الأميني هنا مقال ضاف بشأن المغالاة في فضائل معاوية، و قد أردفها بما ورد في ذاته من أحاديث صحاح لا مغمز في إسناده، جعلنا في غنى عن الكلام فيه هنا، فراجع^٢.

و هكذا ذكر الأستاذ أبو رية: أن إشادة كهان اليهود - يريد كعباً و أذناه - إلى أن ملك النبي سيكون بالشام إنما هو لأمر خبي في أنفسهم. و قد تبين أن الشام ما كان لينال من الإشادة بذكره و الثناء عليه، إلا لقيام دولة بني أمية فيه، تلك الدولة التي قلبت الحكم من خلافة عادلة إلى ملك عضوض، و التي تحت كنفها و في أيامها نشأت الفرق الإسلامية التي فتت في عضد الدولة الإسلامية و مرقتها تميزاً، و استفاض فيها وضع الحديث. فكان جديراً بكهنة اليهود أن ينتهزوا هذه الفرصة و ينفخوا في نار الفتنة، و يمدوها

٢. الخليلي، ج ١٠، ص ١٣٨، فما بعد.

١. انوار، حل الفتنة المحمدية، ص ١٢٨.

بجيش الأكاذيب والكيد. وكان من هذه الأكاذيب أن بالغوا في مدح الشام وأهله، وأن الخير كل الخير فيه، والشر كل الشر في غيره^١.

وَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ الْكُهَنَةُ بِهَذَا الشَّانِ: إِنَّ مُلْكَ النَّبِيِّ سَيَكُونُ بِالشَّامِ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - تَلْمِيزُ كَعْبٍ - مَرْفُوعاً: الْخِلَافَةُ بِالْمَدِينَةِ وَالْمُلْكُ بِالشَّامِ. وَعَنْ كَعْبٍ: أَهْلُ الشَّامِ سَيْفٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ يَنْتَقِمُ اللَّهُ بِهِمْ مَتَى عَصَاهُ.

وَمِنْ حَدِيثٍ: سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامَ، فَإِذَا خُيِّرْتُمْ الْمَنَازِلَ فِيهَا فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: «دَمَشَقٌ» - وَهِيَ حَاضِرَةُ الْأُمُويِّينَ - فَإِنَّهَا مَعْقَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَلْحَمِ، وَفَسْطَاطُهَا مِنْهَا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: «الْقَوَاطِةُ».

وَقَدْ جَعَلُوا دَمَشَقَ هَذِهِ، هِيَ الرِّبْوَةُ الَّتِي ذَكَرْتُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «وَأَوْنَاهَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قُرَارٍ وَصَعِينٍ»^٢ وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقد جَعَلَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ أَيْضاً فِي حَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ هَذَا نَصُّهُ: «أَرْبَعٌ مَدَائِنٌ مِنْ مَدَائِنِ الْجَنَّةِ: مَكَّةُ، وَالْمَدِينَةُ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَدَمَشَقٌ»^٣.

وَهَكَذَا نَرَى مَعَاوِيَةَ الَّذِي تَعَلَّمَ مِنْ كَعْبٍ كَيْفَ يَضَعُ الْحَدِيثَ، يَصِفُ نَفْسَهُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَدَهُ بِأَنَّهُ سَيَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ. قَالَ فِي خُطْبَتِهِ لَمَّا عَادَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ بَيْعَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ ﷺ سَنَةَ (٤١ هـ): «أَتَيْهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّكَ سَتَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، فَاخْتَرِ الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ، فَإِنَّ فِيهَا الْأَبْدَالَ»^٤ قَالَ أَبُو رِيَّةَ: وَمَا كَادَ

١. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٧٠.

٢. المؤمنون (٢٣): ٥٠.

٣. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٢٩.

٤. شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢. والأبدال، جمع بَدَلٌ أو تَدَلُّ بِمَعْنَى الْخَلْفِ أَوْ الْكُرْمِ وَالشَّرِيفِ، عَنَوَانَ بِطَلْقٍ عَلَى فِتْنَةٍ خَاصَّةٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ذَوِي مَنْزِلَةٍ رَقِيبَةٍ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. وَإِذَا مَضَى أَحَدُهُمْ إِلَى جِوَارِثِهِ خَلَفَهُ آخَرُ مِثْلِهِ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُمُ الْأَثِيرُ وَالشُّبَادُ. الرَّاحِدُ يَبْدُلُ كَجِبْتَلٍ وَأَحْمَالٍ، وَيَبْدُلُ كَجِبْتَلٍ وَأَجْمَالٍ. سَمَّوْا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَلَّمَا مَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَبْدَلُ بِآخَرٍ... (التهذيب لابن أثير، حرف الباء)

وَفِي حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْفَارِسِيِّ عَنِ الرَّضَائِيِّ: سَأَلَهُ عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ: إِنَّ فِي الْأَرْضِ أَبْدَالَ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: صَدَقُوا: الْأَبْدَالُ الْأَوْصِيَاءُ، جَمَلُهُمْ اللَّهُ ﷻ فِي الْأَرْضِ بِدَلِ الْأَنْبِيَاءِ - أَيْ خَلَفَهُمْ - إِذْ رَفَعَ الْأَنْبِيَاءَ وَخَتَمَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ (راجع: سفينة البحار، للشيخ عباس القسَمِي، حرف الباء).

معاوية يذكر أنّ الشام أرض الأبدال إلا وظهرت أحاديث مرفوعة عن هؤلاء الأبدال وقد أوردها السيوطي في الجامع الصغير^١.

وبذلك نكشف عن جانب خطير من كيد الدهاء اليهودي للمسلمين ودينهم وملكهم. ذلك أنهم لم يكتفوا بما قالوه في الشام بل زادوا على ذلك بأن جعلوا الطائفة الظاهرة على الحقّ تكون في الشام كذلك، وحتى نزول عيسى الذي قالوا عنه: سيكون بأرضه.

فقد جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك. روى البخاري: هم بالشام^٢. وفي رواية أبي أمامة الباهلي: أنهم لما سألوا النبيّ قال: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس^٣. وفي مسلم عن أبي هريرة: أنّ النبيّ قال: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحقّ حتى تقوم الساعة. قال أحمد وغيره: هم أهل الشام.

وفي كشف الخفاء: أنّ كعب الأخبار قال: أهل الشام سيف من سيوف الله، ينتقم الله بهم من العصاة.

قال أبو رية: ولعلّ العصاة هنا هم الذين لا ينضون تحت لواء معاوية، ويتبعون غيره. وغيره هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب^٤.

نعم، وجد أهل الحقّ على الإسلام في معاوية و الشام أرضية خصبة لبذر الشقاق والتفريق بين كلمة المسلمين، فعادوا عليّاً^٥ حيث وجدوه المثال الأتمّ لحقيقة الإسلام الناصعة، وأفرغوا عداؤهم له وللإسلام، في قالب الثناء على معاوية و الشام بلد الأبدال،

١. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٣٠-١٣١.

٢. جامع البخاري، ج ٤، ص ٢٥٢.

٣. نهاية الأدب للنويري، ج ١، ص ٣٣٣.

٤. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٧٠-١٧١. و من طرف ما يُذكر هنا: أنّ رجلاً لقي كعب الأخبار فسلم عليه و دعا له. فسأله كعب: من هو؟ فقال: من أهل الشام. قال: لملكك من الجند الذين يدخلون الجنة منهم سبعون ألفاً بشير حساب. قال الرجل: و من هم؟ قال: أهل دمشق. قال: لست منهم. قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم في كل يوم مرتين، قال: و من هم؟ قال: أهل فلسطين. قال الرجل: أنا منهم. و في لفظ: قال: لملكك من الجند الذين يشفع شهيدهم بسجين، قال: و من هم؟ قال: أهل حمص (تاريخ دمشق لابن عسّكر، ج ١، ص ٥٧). قال أبو رية: و حمص هذه هي البلدة التي دفن فيها جثمان كعب.

فيما اختلقوه.

أخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي ما تقول في عليّ و معاوية؟ فأطرق، ثم قال: أيش أقول فيهما، أن علياً عليه السلام كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل - يريد معاوية - قد حاربه و قاتله فأطروه، كيداً منهم لعليّ عليه السلام!

قال ابن حجر: فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له. قال: وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد. وبذلك جزم إسحاق بن راهويه و النسائي و غيرهما^٢.

و من طريق الأمر، أن البخاري في كتاب الفضائل نراه عنون الباب الذي خصّه بمعاوية، بقوله: «باب ذكر معاوية»، و لم يجرأ أن يعنونه بلفظة «الفضائل» كما في سائر الأبواب، و بالفعل لم يأت فيه شيئاً مذكوراً^٣، و هكذا ابن الجوزي^٤ و غيره. و من ثمّ قال ابن حجر في الشرح: عبّر البخاري في هذه الترجمة بقوله «ذكر» و لم يقل: «فضيلة» و لا «منقبة»، لكون «الفضيلة» لا تؤخذ من حديث الباب^٥، أي لا تستفاد فضيلة من الحديث الذي ذكره تحت هذه الترجمة، و قد عرفت أنه لم يصحّ فيه حديث.

و روى الذهبي قال: سئل النسائي - و هو بدمشق - عن فضائل معاوية، فقال: ألا يرضى رأساً برأس، حتّى يُفضّل؟ قال الذهبي: فما زالوا يدافعونه حتّى أخرج من المسجد، و حُمِل إلى مكة، فتوفّي بها^٦.



و هكذا استمرّ الحال بعد معاوية ما دامت السلطة الأموية قائمة. فهذا هشام بن عبد

٢. فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر، ج ٧، ص ٨١.

٤. للموضوعات، ج ٢، ص ١٥.

١. الموضوعات، ج ٢، ص ٢٤.

٣. جامع البخاري، ج ٥، ص ٣٥.

٥. فتح الباري، ج ٧، ص ٨١.

٦. سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٣٢. و هو الذي روى حديث «اللهم لا تشيع بطنه»، ص ١٢٩.

الملك نراه يفرض على أتباعه و متلقّيه من علماء ذلك العصر أن يرووا أنّ الآية: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^١ نزلت في عليّ عليه السلام فأقرّوه على ذلك^٢.



٦. الوضع نزولاً مع رغبة العامة، و رغبة فيما بأيديهم من حطام الدنيا. و هذه مهنة القصاصين، يقصّون على الناس القصص و الأساطير البائدة و يحدثونهم الغرائب و العجائب، ليستدرّوا ما لديهم من تقود و إعانات و فضول طعام. و قد كان وضع الحديث لإرضاء الناس و ابتغاء القبول عندهم، و استمالتهم لحضور مجالسهم الوعظية، و توسيع حلقاتهم، أمراً رائجاً و لا يزال.

قال القرطبي في مقدّمة تفسيره: منهم (من الوضّاع و الكذّابين) قوم من السوّال و المكذّبين، يقفون في الأسواق و المساجد، فيضعون على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد^٣.

قال ابن الجوزي: هناك قوم شقّ عليهم الحفظ، فضربوا نقد الوقت، و ربّما رأوا أن الحفظ معروف، فأتوا بما يفرّب ممّا يحصل مقصودهم، فهوّلاء قسمان، أحدهما: القصاص، و معظم البلاء منهم يجري؛ لأنّهم يزيدون أحاديث تنقف و ترقّق، و الصحاح يقلّ فيها هذا. ثمّ إنّ الحفظ يشقّ عليهم و يتفق عدم الدين، و من يحضرهم جهال، فيقولون. و لقد حكى لي فقيهان تفتان عن بعض قصاص زماننا و كان يظهر التسك و التخشّع، أنّه حكى لهما، قال: يوم عاشوراء، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من فعل اليوم كذا فله كذا، و من فعل كذا فله كذا، إلى آخر المجلس. فقال له: و من أين حفظت هذه الأحاديث؟ فقال: والله ما حفظتها، و لا أعرفها، بل في وقتي قلتها.

قال: و لا جرم كان القصاص شديدي التعير، ساقطي الجاه، لا يلتفت الناس إليهم، فلا

١. النور (٢٤): ١١.

٢. الموضوعات في الآثار و الأخبار لهاشم معروف الحسن، ص ١٣٧ و ١٩٩.

٣. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩.

لهم دنيا ولا آخرة. وقد صنف بعض قصاص زماننا كتاباً فذكر فيه: «أن الحسن والحسين دخلا على عمر بن الخطاب وهو مشغول، فلما فرغ من شغله رفع رأسه فرأهما، فقام فقبلهما، وهب لكل واحد منهما ألفاً، وقال: اجعلاتي في حلّ، فما عرفت دخولكما، فرجعا وشكراه بين يدي أبيهما عليّ عليه السلام. فقال عليّ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عمر ابن الخطاب نور في الإسلام وسراج لأهل الجنة. فرجعا فحدثناه. فدعا بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، حدثني سيّدنا شباب أهل الجنة عن أبيهما المرتضى عن جدّهما المصطفى أنّه قال: عمر نور الإسلام في الدنيا وسراج أهل الجنة في الجنة. وأوصى أن تُجعل في كفنه على صدره، فوضع. فلما أصبحوا وجدوه على قبره، وفيه: صدق الحسن والحسين وصدق أبوهما وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله: عمر نور الإسلام وسراج أهل الجنة».

قال ابن الجوزي: والمعجب بهذا الذي بلغت به الوقاحة إلى أن يضيف مثل هذا. وما كفاه حتّى عرضه على كبار الفقهاء، فكتبوا عليه تصويب ذلك التصنيف. فلا هو عرف أنّ مثل هذا محال ولا هم عرفوا. وهذا جهل متوفّر، علم به أنّه من أجهل الجهال الذين ما شمّوا ريح النقل، ولعلّه قد سمعه من بعض الطرقيين^١.

قال الإمام أحمد بن حنبل: أكذب الناس السوّال والقصاص.

وعن أبي قلابة: ما أمارت العلم إلا القصاص.

وكان أبو عبد الرحمان يقول: اتّعوا القصاص^٢.



وكان الذي أحدث القصص - في المساجد - هو معاوية بن أبي سفيان. فقد أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم، قالوا: إنّما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة^٣.

٢. أضواء أهل السنة المحمّدية، ص ١٢٤.

١. الموضوعات، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

٣. المصدر نفسه.

لكن سيوافيك في قصة الإسرائيليات أن القصص في المساجد، حدث في أواخر عهد عمر، حين استجاره تميم الداري فأجازه أن يقصّ قائماً في مسجد المدينة^١. وهكذا استمرّ على عهد عثمان، حتّى كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي طرد القصاص من المساجد على عهده^٢، الأمر الذي قد أصرّ معاوية على تدوامه في المساجد، منذ أن أجازه عمر بن الخطّاب.

وكان الذي أشاع القصص في المساجد هو كعب الأحبار؛ حيث انتهز الفرصة أيّام الفتنة لبثّ مخاريقه بين المسلمين كيداً بالإسلام؛ وذلك أن وجد من سياسة معاوية إمكان إشاعة أساطيره بين الناس.

كان كعب قد توعدّه عمر بالنفي إلى أرض القردة إذا هو روى إسرائيليّاته أو ما كان يلصقه بالنبي صلى الله عليه وآله من أحاديث خرافة (ستوافيك في حقل الإسرائيليات). فلم يجد كعب تلقاء هذا التهديد مناصاً من أن يدعن في غيظ و موجدة، ثم أخذ يسعى في الخفاء لكي يحقّق أغراضه التي أسلم من أجلها. قال أبو رية: وما لبث أن أتاحت له فرصة المؤامرة التي دبرتها جمعيّة سرّيّة لقتل عمر، فاشترك هو فيها، ونفخ في نارها.

فلما خلا له الجوّ بقتله، أطلق العنان لنفسه لكي يبتّ ما شاء الكيد اليهودي أن يبتّ من الخرافات الإسرائيليات التي تشوّه بهاء الدين، يعاونه في ذلك تلاميذه الكبار أمثال: عبد الله بن عمرو بن العاص، و عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وأبي هريرة.

وقد درس هذا الكاهن اليهودي في ملامح معاوية تحقيق أهدافه وإمكان رواج إسرائيليّاته، فلم يدع تلك الفرصة، و اغتتمها منذ عهد عثمان.

ذلك أنّه لما اشتعلت نيران الفتنة في زمن عثمان و اشتدّ زفيرها، حتّى التهمت عثمان و قتلته و هو في بيته، لم يدع هذا الكاهن الماكر هذه الفرصة تمرّ دون أن يبتهلها، بل أسرع ينفخ في نارها، و يسهم بكيده اليهودي فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وقد كان من كيده

٢. فجر الإسلام لأحمد أمين، ص ١٥٩-١٦٠.

١. سير اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٧.

في هذه الفتنة أن أرهص بيهوديته بأن الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية.

فقد روى وكيع عن الأعمش عن أبي صالح: أن العادي كان يحدو بعثمان يقول:

إِنَّ الْأَمِيرَ بِمَعْدِهِ عَلِيٌّ وَفِي الزَّبِيرِ خَلْقٌ رَضِيٌّ^١

فقال كعب: بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - وكان يراه يركب بغلة، فبلغ ذلك معاوية فأناه، فقال: يا أبا إسحاق ما تقول هذا؟ وهاهنا عليّ والزبير وأصحاب محمد! قال: أنت صاحبها - لعله أردف ذلك بقوله: إني وجدت ذلك في التوراة - كما هي عادته.

وقدّر معاوية هذه اليد الجليلة لكعب، وأخذ يقره بإفضاله.

وقد عُرف من تاريخ هذا الكاهن أنه تحوّل إلى الشام في عهد عثمان، وعاش تحت كنف معاوية، فاستصفاه معاوية لنفسه وجعله من خلصاته، لكي يروي من أكاذيبه وإسرائيلياته ما شاء أن يروي في قصصه؛ لتأييده، وتثبيت قوائم دولته.

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني بأن معاوية هو الذي أمر كعباً بأن يقصّ في الشام^٢. وهو الذي بثّ أحاديث تفضيل الشام وأهلها، سواء بنفسه أو على يد تلامذته.

أقسام الوضّاعين

قسّم ابن الجوزي الرواة الذين وقع في حديثهم الموضوع والكذب والمقلوب إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: قوم غلب عليهم الزهد والتقصّف، فتغلّفوا عن الحفظ والتمييز. ومنهم من ضاعت كتيبه أو احترقت أو دفنها، ثمّ حدثت من حفظه فغلط. فهؤلاء تارة يرفضون المرسل، وتارة يسندون الموقوف، وتارة يقلبون الإسناد، وتارة يدخلون حديثاً في حديث.

١. النزاع والخصام فيما بين بني أمية وبني هاشم للمفريزي، ص ٥١.

٢. الإصباح في تمييز الصحابة لابن حجر، ج ٣، ص ٣١٦ راجع: أضواء على السنة المحمدية، ص ١٧٩-١٨١.

و القسم الثاني: قوم لم يعانوا على النقل، فكثروا خطاؤهم و فحش، على نحو ما جرى للقسم الأوّل.

و القسم الثالث: قوم تقات لكثمتهم اختلطت عقولهم في آخر أعمارهم، فخلطوا في الرواية.

و القسم الرابع: قوم متفقلون، فمنهم من كان يلقن فيلقن، و منهم من يروي حديثاً فيظنّ أنّه سمعه و لم يسمعه، أو يظنّ جواز إسناد ما لم يسمع. و قد قيل لبعضهم: هذه الصحيفة سماعك؟ فقال: لا، و لكن مات الذي رواها فرويتها مكانه. و منهم من كان بعض أولاده يضع له الحديث، فيدوّن و لا يعلم.

و القسم الخامس: قوم تعمّدوا الكذب، و هؤلاء على ثلاثة أصناف:

الصنف الأوّل: قوم رووا الخطأ من غير أن يعلموا أنّه خطأ. فلما عرفوا وجه الصواب أنفوا أن يرجعوا، فأصرّوا على خطائهم، أنفة أن ينسبوا إلى غلط.

و الصنف الثاني: قوم رووا عن كذّابين و عن ضعفاء يعلمونهم، لكنهم دأسوا في أسمائهم. فالكذب من أولئك المجرّوحين، و الخطأ القبيح من هؤلاء المدّسين.

و الصنف الثالث: قوم تعمّدوا الكذب الصريح.

و هؤلاء، منهم الزنادقة، وضعوا الحديث قصداً إلى إفساد الشريعة، و إيقاع الشكّ في قلوب العامة، و التلاعب بالدين، أمثال: ابن أبي العوجاء وضع أربعة آلاف حديث. و غيره ممن وضعوا كميّات كبيرة، أحلّوا بها الحرام و حرّموا بها الحلال.

و منهم، أصحاب العصبية الجاهلة، كانوا يضعون الحديث نصرة لمذهبيهم، و سؤل لهم الشيطان أنّ ذلك جائز.

و منهم، أهل التصوّف و التقشّف، وضعوا الحديث في الترغيب و التهريب، ليحتووا الناس - بزعمهم - على فعل الخير و ترك الشرّ، و هذا تعاطف على الشريعة، و مضمون فعلهم أنّ الشريعة ناقصة تحتاج إلى تتمّة فقد أتوها.

و منهم، قوم استجازوا وضع الأسانيد لكلّ كلام حسن، فقد حدّث محمد بن خالد عن

أبيه قال: سمعت محمد بن سعيد يقول: لا بأس إذا كان الكلام حسناً أن تضع له إسناداً. و منهم قوم وضعوا الحديث تزلفاً إلى سلطان أو نيلاً إلى نوال، كما وضع غياث بن إبراهيم حديث «لا سبق إلا في نصل أو خفّ أو حافر أو جناح» تزلفاً إلى المهدي، وكان يحب الحمام.

و منهم من كان يضع الحديث جواباً لسائليه ليحظى منزلة رفيعة لديه. و منهم من كان يضع الحديث لمدح أو مدح في أناس لأغراض مختلفة، كالأحاديث الموضوعية في قدح و مدح الشافعيّ و أبي حنيفة.

و منهم من كان يضع الغريب من الحديث، استجلاباً لأنظار العامة، كما كان يفعله القصاص؛ و معظم البلاء منهم يجري، لأنهم يزيدون أحاديث تثقف و ترقق، و الصحاح يقلّ فيها هذا. لا جرم كان القصاص شديدي التعير ساقطي الجاه، لا التفات إليهم، ليست لهم دنيا و لا آخرة.

و من هؤلاء القصاص شحاذون، يضعون الحديث و يسندونه إلى من شاؤوا، و لا سيما من كان معروفاً لدى العامة بالجاه و القبول.

قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل و يحيى بن معين في مسجد الرصافة. فقام بين أيديهم قصاص، فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، قال: حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، خلق الله كلّ كلمة منها طيراً متقاربه من ذهب و ريشه من مرجان...» و أخذ في قصّة نحو عشرين ورقة. فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، و يحيى ينظر إلى أحمد، فقال له: أنت حدّثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه و أخذ القطيعات، ثمّ قعد ينتظر بقيتها، أشار إليه يحيى بيده أن تعال، فجاء متوهماً النوال. فقال له يحيى: من حدّثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فقال: أنا يحيى و هذا أحمد، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله ﷺ فإن كان لا بدّ و الكذب فعلى غيرنا! فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم.

قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحق، ما تحققت إلا الساعة. قال له يحيى: كيف علمت أنني أحق؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما. قد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فوضع أحمد كفه على وجهه، وقال: دعه يقوم. فقام كالمستهزئ بهما^١.

أقطاب الرضاعين

قال الحافظ أبو عبد الرحمان النسائي - صاحب السنن -: الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله ﷺ أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل ابن سليمان بخراسان، ومحمد بن سعيد بالشام، يعرف بالمصلوب^٢.

أما ابن أبي يحيى، فهو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، واسمه سسمان الأسلمي المدني. روى عن الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري، وروى عنه الثوري والإمام الشافعي. رُمي بالقدر والتشيع والكذب. قال ابن عدي: لم أجد لإبراهيم حديثاً منكرًا إلا عن شيوخ يُحتملون. وقد حدث عنه ابن جريج والثوري والكبار. له كتاب صنّفه في المسانيد أسماء الموطأ أضعاف موطأ مالك، وأحاديثه كثيرة، رواه عنه الشافعي بمصر، وكان يُكنى عنه. وفي مسند الشافعي عنه أحاديث، وكان يقول عنه: لأن يسخّر إبراهيم من بعد، أحب إليّ من أن يكذب، وكان ثقة في الحديث. وقال أبو أحمد بن عدي: سألت أحمد بن محمد بن سعيد - يعني ابن عقدة - فقلت له: تعلم أحداً أحسن القول في إبراهيم غير الشافعي؟ فقال: نعم، حدثنا أحمد بن يحيى الأودي، قال: سمعت حمدان بن الأصبهاني، قلت: أتدين بحديث إبراهيم بن أبي يحيى؟ قال: نعم. ثم قال لي أحمد بن محمد بن سعيد: نظرت في حديث إبراهيم كثيراً وليس بمنكر الحديث. قال ابن عدي: وهذا الذي قاله، كما قال. وقد نظرت أنا أيضاً في حديثه الكثير فلم أجد فيه منكرًا إلا عن

١. الموضوعات، ج ١، ص ٦٠٣.

٢. ملحق كتابه في الضعفاء والثروكين للنسائي، ص ١٢٢. غير أن أغلب من ذكرهم يتردّد من هذه النسبة على ما سنذكر.

شيوخ يُحتملون، وإِنَّمَا رُوِيَ المنكر من قبل الرواي عنه أو من قبل شيخه. قال: وهو من جملة من يكتب حديثه.

نعم، يقال: إِنَّ الرجل كان يقع في بعض السلف، و من ثمَّ اتُّهم و رُمي بالاعتزال تارة، وبالرفض و التشيع أخرى^١.

في حين أَنَّ الرجل مستقيم لا بأس به، و لا مغمز فيه سوى جانب إخلاصه لأهل البيت و صحبته للأئمة من ذرِّيَةِ الرسول ﷺ، و قد عدَّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من رجال الإمامين الباقر و الصادق ﷺ. قال: إبراهيم بن محمَّد بن أبي يحيى أبو إسحاق مولى أسلم، مدنيّ. روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله ﷺ، و كان خاصاً بحدِيثنا، و العامة تضعفه لذلك. ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه في أسباب تضعيفه عن بعض الناس، أَنَّهُ سمعه ينال من الأوّلين. و ذكر بعض ثقات العامة أَن كتب الواقديّ سائرها - أي جميعها - إِنَّمَا هي كتب إبراهيم بن محمَّد بن أبي يحيى، نقلها الواقديّ و ادّعاها، و لم نعرف منها شيئاً منسوباً إلى إبراهيم. و له كتاب مبوب في الحلال و الحرام عن جعفر بن محمَّد ﷺ، و للشيخ إليه طريق^٢.



و الواقديّ هو: محمَّد بن عمر بن واقد الأسلميّ، مولاهم الواقديّ المدنيّ القاضي، صاحب التصانيف و المغازي، العلامة الإمام أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه. سمع من صفار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز و الشام و غير ذلك. و قد اتَّفقوا على تضعيفه غير جماعة، فوثقوه كإبراهيم الحريريّ، قال: الواقديّ أمين الناس على أهل الإسلام، كان أعلم الناس بأمر الإسلام. و قال إبراهيم بن جابر الفقيه: سمعت أبا بكر الصاغانيّ - و ذكر الواقديّ - فقال: والله لولا أَنَّهُ عندي ثقة ما حدّثت عنه، قد حدّث عنه أبو بكر بن أبي شيبة، و أبو عبيد، و غيرهما. و لإبراهيم الحريريّ شهادة أخرى قال: سمعت مصعب بن عبد الله

١. راجع: سير أعلام النبلاء ج ٨، ص ٤٥٠، رقم ١١١٩ تهذيب تهذيبه ج ١، ص ١٥٨، رقم ٢٨٤.

٢. راجع: فهرست للشيخ الطوسي، ص ١٦، رقم ٢٤.

يقول: الواقدي ثقة مأمون. و سُئِلَ معن بن عيسى عن الواقدي، فقال: أنا أسأل عن الواقدي؟! الواقدي يُسأل عني! قال الذهبي: وسألت ابن نمير عنه فقال: أما حديثه ها هنا فمستوي، وأما حديث أهل المدينة، فهم أعلم به. وعن يزيد بن هارون: الواقدي ثقة. الحري قال: سمعت أبا عبد الله يقول: الواقدي ثقة.

وتجاه ذلك من ضعفه: قال يحيى بن معين: أغرب الواقدي علي رسول الله ﷺ عشرين ألف حديث. وقال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: كُتِبَ الواقدي كَذِبٌ. وعن ابن معين: ليس الواقدي بشيء. وقال مرة: لا يُكْتَبُ حديثه. وعن أحمد بن حنبل: الواقدي كَذَابٌ.

قال الذهبي: وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يُحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يُذكر. فهذه الكتب الستة ومسند أحمد، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يُخرجون للواقدي شيئاً. قال: مع أن وزنه عندي مع ضعفه أنه يُكْتَبُ حديثه ويُروى، لأنني لا أهتمهم بالوضع، وقول من أهدر فيه مجازفة من بعض الوجوه^١.

قلت: وهذا المنهج الذي انتهجه الذهبي هو الأرجح في النظر؛ لأن الرجل رجل التاريخ والسير والمغازي، وليس من رجال الفقه والحديث والتفسير. والعمدة أنه لم يكن ممن يضع وإن خلط الغث بالسمين والخرز بالدر الثمين، شأن سائر أرباب التاريخ والسير كابن جرير وابن الاثير وأبي الفداء وغيرهم من أعلام التاريخ. ولد سنة (١٣٠ هـ)، ومات سنة (٢١٧ هـ). ببغداد، وهو قاض بعسكر المهدي من قبل المأمون.



ومقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني المروزي. أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد وحَدَّثَ بها. وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله، وله تفسير معروف. أخذ العلم

١. سير اعلام النبلاء، ج ٩، ص ٤٥٤-٤٦٩، رقم ١١٧٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج ٣، ص ٢١٣ وغيرهما من أئمة كتب التراجم.

عن مجاهد و عطاء و الضحّاك و غيرهم من كبار التابعين. و كان من العلماء الأجلّاء. قال الإمام الشافعي: الناس كلّهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. و كان تفسيره هذا موضع إعجاب العلماء من أوّل يومه، و قد اتّهمه من لا خلاق له حسداً عليه. قال إبراهيم الحريّ و قد سئل ما بال الناس يطعنون عليه؟ فقال: حسداً منهم له. و له حديث عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله يدلّ على رفيع منزلته لدى أتمة أهل البيت عليهم السلام. و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الباقر و الصادق عليهم السلام. و قد أتيانا على ترجمته - و أنّ الرجل صالح لا مغمز فيه - عند الكلام عن الطرق إلى ابن عباس توفّي سنة (١٥٠ هـ).

و أمّا محمّد بن سعيد المصلوب، فهو من أهل دمشق، أتهم بالزندقة فصلبه أبو جعفر. وهو الذي وضع الحديث المرويّ من طريقه، عن حميد عن أنس مرفوعاً: «أنا خاتم النبيّن، لا نبيّ بعدي، إلّا أن يشاء الله» فقد وضع و افترى هذا الاستثناء، تأييداً لمذهبه في الزندقة^٢. ثم أخذ يدّعي النبوة^٣. و كان يضع الحديث و يضع الأسانيد. قال: لا بأس إذا كان الكلام حسناً أن تضع له إسناداً. و عن أحمد بن حنبل قال: عمداً، كان يضع الحديث^٤.



و قال ابن الجوزي: و الكذّابون و الوضّاعون خلق كثير، قد جمعت أسماءهم في كتاب الضمفاء و المتروكين. و كان من كبار الكذّابين: وهب بن وهب القاضي، و محمّد بن السائب الكلبي^٥، و محمّد بن سعيد الشاميّ المصلوب، و أبو داود النخعيّ، و إسحاق بن نجيب الملطّي، و غياث بن إبراهيم النخعيّ، و المغيرة بن سعيد الكوفيّ، و أحمد بن عبد الله الجويباري، و مأمون بن أحمد الهرويّ، و محمّد بن عكاشة الكرمانّي، و محمّد بن القاسم

١. راجع: تاريخ بغداد ج ١٣، ص ١٦٠-١٦٩؛ وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣ و غيرها من أمّهات التراجم.

٢. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٨.

٣. هامش ملحق الضمفاء و المتروكين، ص ١٢٤.

٤. ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٣، ص ٥٦١، رقم ٧٥٩٢.

٥. و سنلكر أنّه لا مغمز فيه.

الكانكاني.

و روى بإسناده عن أبي عبد الله محمد بن العباس الضبي، قال: سمعت سهل بن السري يقول: قد وضع أحمد بن عبد الله الجويباري، و محمد بن عكاشة الكرماني، و محمد بن تميم الفارابي، على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث!

* * *

و للعلامة الأميني فهرس بأسماء الكذابين ممن كان يكذب على رسول الله ﷺ صريحاً من غير أن يتورع. أورده في كتابه التميم الغدير بعنوان «سلسلة الكذابين و الوضاعين»^١ ذكر فيها الأهم ممن كان يضع الحديث، و نحن نقتطف منها نماذج:

١. إبراهيم بن الفضل الأصبهاني أبو منصور توفّي سنة (٥٣٠ هـ). أحد الحفاظ كذاب. كان يقف في سوق أصفهان و يروي من حفظه بسنده، و كان يضع في الحال. قال معمر: رأيت في السوق و قد روى مناكير بأسانيد الصحاح، و كنت أتأمله مفرطاً أظن أن الشيطان تبدى على صورته.

٢. إبراهيم بن هدبة البصري، كذاب خبيث حدّث بالأباطيل و وضع على أنس. كان رقاصاً بالبصرة يدعى إلى العرائس فيرقص لهم، و كان يشرب المسكر. بقى إلى سنة (٥٢٠ هـ).

٣. أحمد بن الحسن بن أبان البصري من كبار شيوخ الطبراني، كان كذاباً دجالاً يضع الحديث على الثقات.

٤. أحمد بن داود، ابن أخت عبد الرزاق، من أكذب الناس، عامّة أحاديثه مناكير.

٥. أحمد بن عبد الله الشيباني أبو علي الجويباري، كذاب، يضع الحديث، دجال. قال البيهقي: إنّي أعرفه حقّ المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله ﷺ فقد وضع عليه أكثر من ألف حديث. و سمعت الحاكم يقول: هذا كذاب خبيث، وضع كثيراً في فضائل

الأعمال، لا تحلّ رواية حديثه بوجه. وقال ابن حبان: دجال من الدجاجلة، روى عن الأئمة ألوف أحاديث، ما حدثوا بشيء منها.

٦. أحمد بن عبد الله بن محمد أبو الحسن البكري، كذاب دجال واضع القصص التي لم تكن قطّ، فما أجهله وأقلّ حياءه. قاله الذهبي في ميزان الاعتدال.

٧. أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمن الفاريانيّ. كان وضاعاً مشهوراً.

٨. أحمد بن محمد بن محمد أبو الفتح الغزاليّ الطوسيّ الواعظ المفوه المتوفى سنة (٥٢٠ هـ)، أخو أبي حامد، كان يضع، والغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعة، وكان يتعصب لإبليس ويعذره.

٩. أحمد بن محمد بن الصلت، وضاع، لم يكن في الكذابين أقلّ حياءً منه.

١٠. أحمد بن محمد بن غالب الباهليّ أبو عبد الله المتوفى سنة (٢٧٥ هـ)، غلام

الخليل، من كبار الزهاد ببغداد، كذاب وضاع، وكان دجالاً.

١١. إسحاق بن بشر البخاريّ أبو حذيفة المتوفى سنة (٢٠٦ هـ)، قد أجمعوا على أنه

كذاب يضع الحديث.

١٢. إسحاق بن ناصح، من أكذب الناس، يحدث عن النبيّ عن ابن سيرين، برأي

أبي حنيفة.

١٣. إسحاق بن نجيب الملقب بالأزديّ، دجال، أكذب الناس، عدوّ الله، رجل سوء،

خبث، كان يضع الحديث.

١٤. إسحاق بن وهب الظهرسيّ، كذاب متروك، كان يضع صراحاً.

١٥. إسماعيل بن عليّ بن المثنى الواعظ الأسترآباديّ المتوفى (٤٤٨ هـ)، كذاب ابن

كذاب، كان يقصّ ويكذب، يركّب المتون الموضوعة على الأسانيد الصحيحة.

١٦. بشير بن نعيم البصريّ المتوفى (٢٣٨ هـ)، كان ركناً من أركان الكذب، كذاب يضع

الحديث.

١٧. الحسن بن عليّ الأهوازيّ أبو عليّ المتوفى سنة (٤٤٦ هـ)، كذاب في الحديث

والقراءة، كان من أكذب الناس، صنّف كتاباً أتى بالموضوعات والفضائح.

١٨. الحسن بن عليّ أبو عليّ النخعيّ المعروف بأبي الأشنان. قال ابن عدّي: رأيت به بغداد يكذب كذباً فاحشاً ويحدّث عن قوم لم يره، وكان يلزق أحاديث قوم تفرّدوا به، على قوم ليس عندهم.

١٩. الحسن بن عليّ بن زكريّا أبو سعيد العدويّ البصريّ، شيخ قليل الحياء كذاب أفك، يضع الحديث على رسول الله ﷺ ويسرق الحديث، ويلزقه على قوم آخرين، ويحدّث عن قوم لا يعرفون، وعامة أحاديثه إلا القليل موضوعات، يتيقن أنّه هو الذي وضعه. كذاب على رسول الله ﷺ يقول عليه ما لم يقله. قال ابن حبان: لعله قد حدّث عن الثقات بالأشياء الموضوعّة، ما يزيد على ألف حديث.

٢٠. الحسن بن عمارة بن المضرب أبو محمّد الكوفيّ المتوفّي سنة (١٥٣ هـ)، فقيه كبير كذاب ساقط متروك، وكان يضع الحديث. قال شعبة: من أراد أن ينظر إلى أكذب الناس فليتنظر إلى الحسن بن عمارة.

٢١. الحسين بن حميد بن ربيع الكوفيّ الخزّاز المتوفّي (٢٨٢ هـ)، كذاب ابن كذاب ابن كذاب.

٢٢. الحسين بن محمّد البزريّ المتوفّي سنة (٤٢٣ هـ)، كذاب، أحد المشايخ الأربعة الكذّابين ببغداد.

٢٣. حمّاد بن عمر النصيبيّ. قال يعقوب بن معين: إنّه من المعروفين بالكذب ووضع الحديث.

٢٤. داود بن المحبّر أبو سليمان البصريّ نزيل بغداد، والمتوفّي بها (٢٠٦ هـ)، كذاب وضّاع على الثقات، صاحب مناكير، متروك الحديث.

٢٥. ربيع بن محمود الماردينيّ المتوفّي (٦٥٢ هـ)، دجال مفتر ادّعى الصحبة والتعمير توفي سنة (٥٩٩ هـ).

٢٦. زكريّا بن يحيى المصريّ أبو يحيى الوكّار المتوفّي (٢٥٤ هـ)، كذاب من الكذّابين

الكبار، وكان فقيهاً صاحب حلقة. ومن الصلحاء والعباد والفقهاء.

٢٧. سليمان بن داود البصريّ أبو أيوب المعروف بالشاذكونيّ المتوفى (٢٣٤ هـ)، أحد الحفاظ، كذاب خبيث، كان يضع الحديث في الوقت، وكان يتماطى المسكر ويتماجن.

٢٨. سليمان بن عمرو أبو داود النخعيّ. كان أكذب الناس على رسول الله ﷺ معروف بوضع الحديث، وكان رجلاً صالحاً في الظاهر، إلا أنه كان يضع الحديث وضاعاً. قال الخطيب: كان يبغداد رجال يكذبون ويضعون، منهم أبو داود النخعيّ. وقال الحاكم: لست أشك في وضعه الحديث على تقشفه وكثرة عبادته.

٢٩. صالح بن بشير أبو بشر المرّي البصريّ، قاصّ كذاب، متروك الحديث.

٣٠. عامر بن صالح حفيد الزبير بن العوام، كذاب خبيث، عدوّ لله.

٣١. عبد الله بن الحارث الصنعانيّ، شيخ دجال يضع الحديث وضاعاً، حدّث عن عبد الرزاق بنسخة كلّها موضوعة.

٣٢. عبد الله بن عبد الرحمان الكلبيّ الأسميّ، من أكذب خلق الله، روى بالباطيل.

٣٣. عبد الله بن علان بن رزين الخزاعيّ الواسطيّ، كان كذاباً، كثير الكذب والتزوير.

٣٤. عبد المنعم بن إدريس اليمانيّ المتوفى (٢٢٨ هـ)، قصاص كذاب خبيث، يضع الحديث.

٣٥. كثير بن عبد الله بن عمرو المُرزيّ المدنيّ، ركن من أركان الكذب.

٣٦. محمّد بن شجاع أبو عبد الله الثلجيّ الحنفيّ المتوفى (٢٦٦ هـ)، فقيه العراق في وقته، كان كذاباً، يضع الحديث في التشبيه. احتال في إبطال الحديث عن رسول الله، وردّه نصرة لأبي حنيفة ورأيه.

٣٧. محمّد بن محمّد بن عبد الرحمان أبو الفتح الخشاب، كان يُضرب به المثل في الكذب والتخيّلات ووضعها، وكان منهماكماً على الشرب. قال فيه إبراهيم بن عثمان المريّ:

أوصاه أن ينحت الأخشاب والدّه فلم يطقه وأضحى ينحت الكذبا

٣٨. نوح بن مريم أبو عصمة المروزيّ المتوفى (١٧٣ هـ)، شيخ كذاب، كان يضع

الحديث. وضع حديث فضائل القرآن الطويل.

٣٩. هناد بن إبراهيم النسفي، كذاب وضاع، راوية للموضوعات والبلايا. توفي سنة

(٤٦٥ هـ).

٤٠. وهب بن وهب القاضي أبو البخترى القرشي المدني، أكذب الناس. توفي سنة

(٢٠٠ هـ)، كذاب خبيث، دجال عدو الله، كان يضع الحديث وضعاً. وكان عامة الليل

يضع الحديث. قال فيه سويد بن عمرو بن الزبير:

إننا وجدنا ابن وهب حدثنا

يروى أحاديث من إفك مجمعة

عن النبي أضاع الدين والورعا

أف لوهب وما روى وما جمعا

إلى آخر أبيات.

قال ابن عدي: أبو البخترى من الكذابين الوضاعين، وكان يجمع في كل حديث يرويه

أسانيد من جسارته على الكذب، ووضعه على الثقات.

٤١. يحيى بن هاشم الغساني السمسار أبو زكريا، كذاب، دجال هذه الأمة كان يضع

الحديث ويسرقه.

٤٢. أبو المغيرة شيخ، من أكذب الناس وأخبثهم.



فهؤلاء أكثر من أربعين شيخاً من كبار المحدثين الوضاعين، المعروفين بالكذب

والاختلاق، اخترناهم من سبع مائة شيخ كذاب، أوردهم العلامة الأسيدي في الضدير.

ولعلك تستغرب هذا العدد الهائل من الكذابين على رسول الله ﷺ حيث عدم المبالاة

في القرية في الدين. ولكن لا غرابة فيمن سوّلت له نفسه وأنساه الشيطان ذكر ربه. فهؤلاء

ممن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا

يَعْتَلُونَ﴾ صدق الله العلي العظيم.

و بعد، فهذا غييض من فيض، احتمله سيل الكذابين ممن اجترأوا على الله واجتروا السيئات، فسوّهوا وجه الحديث عن رسول الله ﷺ. ولقد صدق قوله في خطبته في حجة الوداع: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر. فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوه، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»^١.

فقد زالت الثقة بكتب الحديث من أهل العشو، مع هذا الحِصَم من الموضوعات المدسوسة في الحديث والتفسير.

أنحاء الموضوعات

كانت الأكاذيب تتوّع حسب تنوّع الأسباب الداعية للكذب والاختلاق، فهناك كذب سياسي و آخر تعمّس مذهبي أو تعصّب جاهلي أو تزلف لدى أمير أو رغبة في جناه أو استمالة للامة؛ لغرض استدرار ما لديهم من تقود و قطيعات، وما أشبه ذلك. وقد تكفّلت الكتب المخصّصة لبيان الموضوعات كلّ هذه الجوانب، ورّسبتها في فصول وأبواب، ونحن نورد من ذلك أمثلة نموذجية:

فمما وضعت يد السياسة الفاشمة، ما رواه داود بن عقّان عن أنس مرفوعاً: «الأمناء سبعة: اللّوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل، ومحمّد، و معاوية». و داود هذا من الرّسّاعين. قال الذهبي: روى عن أنس بنسخة موضوعة. وقال ابن حبان: كان يدور بغراسان ويضع على أنس^٢.

و ذكره ابن كثير في تاريخه (٨-١٢٠) قال: هذا أنكر من الأحاديث التي قبله، وأضعف إسناده.

و عن وائلة مرفوعاً: «أنّ الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا و معاوية. وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه و ائتمانه على كلام ربّي. يغفر الله لمعاوية ذنوبه، و وقاه حسابه،

٢. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ١٢-١٣، رقم ٢٦٣٢.

١. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٥.

و علمه كتابه، وجعله هادياً مهدياً، و هدى به».

قال الحاكم: سئل أحمد بن عمر الدمشقي - وكان عالماً بعديث الشام - عن هذا الحديث، فأنكره جداً. أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٧: ٣٢٢).



و مما وضع تزلقاً لدى الأمراء ما أخرجه الخطيب في تاريخه (١٣: ٤٨٣) قال: لما قدم الرشيد المدينة، أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ في قباء أسود و منطقة، فقال أبو البخترى: حدثني جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي ﷺ و عليه قباء و منطقة، مخنجرأ فيها بخنجر، و في ذلك قال المعالي التيمي:

وإل و عول لأبسي البخترى	إذا ثوى للناس في المحشر
من قوله الزور و إعلاؤه	بالكذب في الناس على جعفر
والله ما جالسه ساعة	للفقه في بدو و لا محضر
و لا رآه الناس في دهره	يسمر بين القبر و المنبر
يا قاتل الله ابن و هب لقد	أعلن بالزور و بالمنكر
يزعم أن المصطفى أحمدا	أتاه جبريل التقي السري
عليه خف و قباء أسود	مخنجرأ في الحق بالخنجر ^٢



مما وضع في الفضائل ما أخرجه الخطيب في تاريخه (٢: ٩٧) عن أنس قال: لما نزلت سورة التين على رسول الله ﷺ فرح لنا فرحاً شديداً حتى بان لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس - بعد ذلك - عن تفسيرها، فقال: أما «التين» فبلاد الشام، «و الزيتون» فبلاد فلسطين، «و طور سينين» فطور سينا الذي كلم الله موسى، «و هذا البلد الأمين» فبلد مكة، «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» محمد، «ثم رددناه أسفل سافلين» عبادة اللات

والعزى، «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أبو بكر و عمر، «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» عثمان، «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ» علي، «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ» بعثك فيهم و جمعكم على التقوى.

قال الخطيب: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل، لا أصل له يصح فيما نعلم. و ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال (٣: ٣٢) أَنَّ الْعَلَّةَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ بِيَّانٍ فَقَدْ رَوَاهُ بِقَلَّةٍ حَيَاءٍ مِنَ اللَّهِ، وَ هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ^١.

و روى القرطبي في تفسيره مرسلأ رفعه إلى أبي بن كعب، قال: قرأت على رسول الله ﷺ «وَالصَّبْرَ». ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: «وَالصَّبْرُ» قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار، «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ»، «وَالصَّبْرُ» أبو جهل، «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» أبو بكر، «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» عمر، «وَوَاصُوا بِالْحَقِّ» عثمان، «وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ» علي^٢.

و روى الصنوبري في نزهة المجالس قال: قال ابن عباس في قوله تعالى: «وَوَاعظْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»^٣؛ إذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت أحمر، فيجلس أبو بكر على كرسي، و عمر على كرسي، و عثمان على كرسي، و علي على كرسي، ثم يأمر الله الكراسي فتطير بهم إلى تحت العرش، فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء. ثم يؤتى بأربع كاسات، فأبو بكر يسقي عمر، و عمر يسقي عثمان، و عثمان يسقي علياً، و علي يسقي أبا بكر، ثم يأمر الله جهنم أن تتمخض بأسواجها، فتغذف الروافض على ساحلها، فيكشف الله عن أبصارهم، ينظرون إلى منازل أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم و شقينا نحن بمخالفتهم، ثم يُردون إلى جهنم بحسرة و ندامة^٤.

١. المصدر نفسه، ج ٢٠، ص ١٨٠.

٢. المصدر نفسه، ج ٢٠، ص ١٨٠.

٣. الحجر (١٥): ٤٧.

٤. نزهة المجالس للصنوبري، ج ٢، ص ٢١٧؛ راجع: فهاب النزول للراحمي، ص ٢٠٧. و للعلامة الأسيدي هنا تنفيذ

لاذع، فراجع: القدير، ج ١٠، ص ١٣٤-١٣٦.

و أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَ دُسْرٍ فُجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^١ قال: إنَّ نوحاً لما عمل السفينة جاءه جبرئيل بأربعة مسامير مكتوب على كلِّ مسمار «ع»: عين عبد الله، وهو أبو بكر، وعين عمر، وعين عثمان، وعين عليّ، فجرت السفينة ببركتهم^٢.
أورد ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ جاء العباس إلى عليّ، فقال له: قم بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألاه عن ذلك. فقال: يا عمّ، إنَّ الله جعل أبا بكر خليفتي عن دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوا ترشدوا.
وفي حديث آخر: فأطيعوه بعدى تهتدوا، واقتدوا به ترشدوا. قال ابن عباس: ففعلوا فرشدوا.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصحّ، ومدار الطريقين على عمر بن إبراهيم، وهو الكرديّ. قال: الدارطنيّ: كان كذاباً يضع الحديث.

قال: هكذا روى أبو بكر الجوزقيّ من حديث أبي سعيد عن همر، قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء، قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدى عليّ بن أبي طالب، فارتجت السماوات، وهتف بي الملائكة من كلّ جانب: يا محمد اقرأ ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٣ قد شاء الله أن يكون من بعدك أبا بكر الصديق.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وضعه يوسف بن جعفر، وكان يضع الحديث^٤.



ومما وضع في المجون والدجل ما رواه أبو صالح عمرو بن خليف الخنواويّ، بإسناد وضعه عن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئباً، فقلت: أذنب في الجنة؟! قال: إنّي أكلت ابن شرطيّ. قال ابن عباس: هذا وإنما أكل ابنه، فلو أكله رُفِعَ في عليّين^٥. قال الأميني: لبت ابن عباس كان يُفصح عن أنّه لو كان أكل مدير الشرطة أين كان

٢. نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢١٤.

١. الضم (٥٤): ١٣.

٤. الموضوعات، ج ١، ص ٣١٦، ٣١٥.

٣. الإنسان (٧٦): ٣٠.

٥. لسان الميزان لابن حجر، ج ٤، ص ٣٦٣، رقم ١٠٦١.

يُرفع؟!١ وقد عُدَّ ذلك من خزيات الخناوي.

وروى محمد بن يزيد بإسناده عن أبي منظور - وكانت له صحبة - قال: لما فتح الله على نبيه خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال، وأربعة خفاف، وعشرة أواق ذهب وفضة، وحمار أسود. قال: فكلم النبي ﷺ الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج من نسل جدِّي ستون حماراً كلهم لم يركبه إلا نبي، ولم يبق من نسل جدِّي غيري ولا من الأنبياء غيرك، أتوقَّع أن تركبني، وقد كنت لرجل من اليهود كنت أعره به عمداً. فقال النبي ﷺ: قد سميتك ينفورا، يا ينفور، أتشتي الإناث؟ قال: لا. وكان النبي يركبه في حاجة، فإذا نزل بعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أو ما إليه أن أجب رسول الله ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم ابن التيهان فتردَّى فيها فصارت قبراً له، جزهاً منه على رسول الله ﷺ.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، فلن الله واضعه، فإنه لم يقصد إلا القدح في الإسلام والاستهزاء به. قال أبو حاتم ابن حبان: لا أصل لهذا الحديث، وإسناده ليس بشيء، ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن يزيد.



ومما وضع شيئاً على مقام النبوة، حديث التضييب الممشوق:

روى أبو جعفر الصدوق في أماليه بإسناد فيه ضعف، رفعه إلى ابن عباس، قال: لما مرض رسول الله ﷺ قال لبلال: هلم علي بالناس. فاجتمع الناس، فخرج رسول الله ﷺ متعصباً بعمامته، متوكياً على قوسه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «معاشر أصحابي، أي نبي كنت لكم، ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تُكسّر ربايعتي، ألم يُعفر جبينني، ألم تسل الدماء على حرّ وجهي حتى كنت لحييتي، ألم أكابد الشدة

والجهد مع جهال قومي، ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟

قالوا: بلي يا رسول الله، لقد كنت لله صابراً وعلى منكر بلاه الله ناهياً، فجزاك الله عتياً أفضل الجزاء. قال: وأنتم فجزاكم الله. ثم قال: إن ربِّي ﷻ حكيم، وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله، أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه. فالتقصاص في دار الدنيا أحب إلي من التقصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم، يقال له: سودة بن قيس. فقال له: فذاك أبي وأمي يا رسول الله ﷺ أنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضاء، ويديك القضيب المشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأً فقال النبي ﷺ: معاذ الله أن أكون تعمدت.

ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فائتني بالقضيب المشوق. فخرج بلال، وهو ينادي في سكك المدينة، معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة. وطرق بلال الباب على فاطمة ﷺ وهو يقول: يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب المشوق. فأقبلت فاطمة وهي تقول: يا بلال، وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب! فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أن والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا، فصاحت فاطمة وقالت: وا غمّاه لغمّك يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب. ثم ناولت بلالاً القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي. فقال: تعال، فاقصص مني حتى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف عن بطنه. فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعود بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار.

فقال رسول الله ﷺ: يا سودة بن قيس، أتعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول

الله ﷺ. فقال: اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفى عن نبيك محمد^١.

ورواه ابن شهر آشوب في كتاب المناقب مرسلًا^٢.

وجال إسناد الصدوق في هذا الحديث أكثرهم مجاهيل أو ضعاف، فضلاً عن عدم استقامة المتن على أصول المذهب؛ إذ لا يشرع القصاص في غير العمد، كما لا قصاص في الضرب بالعصا. ولعلّ واضح هذا الحديث غفل عن مباني شريعة القصاص في الإسلام، أو لعله أراد الخطّ من سيّد الأنبياء، في حادثة وضعها على خلاف الشريعة.



هذا، وسودة بن قيس، مجهول في زمرة أصحاب رسول الله، لم يأت له ذكر في التراجم. نعم، ذكر ابن حجر ما يقارب هذه القصة بشأن سودة بن غزية الأنصاري تارة، وبشأن سواد بن عمرو أخرى، وذكر القصة في يوم بدر. كان ﷺ يمدّل الصفوف وفي يده قِدْحٌ (هو السهم قبل أن يراش) فمرّ بسواد بن غزية فطعن في بطنه، فقال: أوجعتني فأقذني، فكشف عن بطنه، فاعتنقه وقبّل بطنه، فدعا له بخير. قال أبو عمر: رويت هذه القصة لسواد بن عمرو. قال ابن حجر: لا يمتنع التعمد، لا سيّما مع اختلاف السبب. روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه: أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية، فذكر القصة، وعن معمر عن رجل عن الحسن نحوه. لكن قال: فأصاب به سودة بن عمرو، وكان يصيب من الخلف فنهاه النبي ﷺ، وفيها: فلقية ذات يوم ومع جريدة فطمنه في بطنه، فقال: أقذني يا رسول الله؟ فكشف عن بطنه فقال له: اقتصص. فألقى الجريدة وطفى يقبّله. قال الحسن: حجّزه الإسلام^٣.



و القصة - كما رواه أبو جعفر الصدوق - رواها ابن الجوزي بإسناده إلى أبي نعيم الأصبهاني، أسنده إلى وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله وابن عباس وذكر القصة بطولها

١. الأخطي لأبي جعفر الصدوق، ص ٥٦٧-٥٦٨، المجلس ٨٢ الحديث رقم ٦ (ط نجف).

٢. مناقب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٢٣٤-٢٣٥. ٣. الإصبلي ج ٢، ص ٩٥-٩٦، رقم ٣٥٨٢.

لكن جاء بدل سودة بن قيس، رجل يقال له: «عكاشة» والقصة أطول مما ذكره الصدوق، وعلى الغرائب أشمل.

قال ابن الجوزي بعد سردها بكما لها: هذا حديث موضوع، كافأ الله من وضعه وبيع من يشين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد، والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ ولا بالصحابة، والمتهم به: عبد المنعم بن إدريس. قال أحمد بن حنبل: كان يكذب على وهب. وقال يعقوب: كذاب خبيث^١.

وهكذا ذكر جلال الدين السيوطي القصة في الموضوعات^٢.



٣. الإسرائيليات

إسرائيليات: جمع إسرائيلية، وهي قصة أو أسطورة تُروى عن مصدر إسرائيلي، سواء أكان عن كتاب أو شخص، تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة.

والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو لقب يعقوب النبي ﷺ، وإليه تُنسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، سواء أكانوا منسوبين إليه بالنسب، أو بالإيمان. فكل من آمن باليهودية فهو إسرائيلي، سواء أكان منتسباً إلى أحد الأسباط أم لم يكن^٣.

واللفظة عبرية تعطي معنى: الغلبة على الله؛ حيث القصة الأسطورية في مصارعة يعقوب مع الله ليلة كاملة، وغلبته عليه عند الصباح^٤.

و«إسرا» بمعنى الغلبة، و«ئيل» بمعنى القدرة الكاملة، لقب الإله، وتلقب به الأصنام أيضاً^٥. فمعنى «إسرائيل»: الغالب على القدرة الكاملة، وهو الله تعالى - في زعمهم -، وقد

١. الموضوعات، ج ١، ص ٢٠١-٢٩٥.

٢. الثلاث المنوعة في الأحاديث الموضوعية، ج ١، ص ٢٧٧-٢٨٢.

٣. صرح بهذا التعميم جيمس هاكس في نفوس الكتاب المقدس، ص ٥٣.

٤. راجع: سفر التكوين، إصحاح ٣٢، عدد ٢٥ «فقال له إله: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وفتدت».

٥. نفوس الكتاب المقدس، ص ٥٣ و ١٤٢.

أصبح لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنه صار مع الله و غلب عليه.
ولفظ «إسرائيليات» وإن كان بظاهره يدلّ على القصص الذي يُروى أصلاً عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير والحديث، و يطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية. فهو في اصطلاحهم يدلّ على كل ما تطرّق إلى التفسير والحديث والتاريخ من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسّع بعض المفسرين والمحدثين فعُدّوا من الإسرائيليات ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث، من أخبار لا أصل لها حتّى في مصدر قديم. وإنّما هي من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بغيب نية وسوء طوية، ثمّ دسّوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين.

وإنّما أطلق لفظ الإسرائيليات على كلّ ذلك، من باب التغليب للون اليهودي على غيره؛ لأنّ غالب ما يُروى من هذه الخرافات والأباطيل، يرجع في أصله إلى مصدر يهودي؛ ولأنّهم الفئة التي كانت العرب الأوائل وكذا المسلمون في المهد الأوّل يرجعون إليها في الأغلب الأكثر. واليهود قوم يُهت، وهم أشدّ الناس عناداً وبغضاً للإسلام والمسلمين، كما قال سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^١. واليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين. و ثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، وحيلهم التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام كانت مكرّة خادعة، وكان لهم نصيب كبير في هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات الدخيلة. فمن أجل هذا كلّه، غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير والحديث، وأطلق عليه كلّه لفظ «الإسرائيليات».

الإسرائيليات في التفسير والحديث

كانت العرب منذ أوّل يومها تزعم من أهل الكتاب، ولا سيّما اليهود القاطنين بين

أظهرهم، أهل دين وثقافة ومعرفة بشؤون الحياة، ومن ثم كانوا يراجعونهم فيما تنوق إليه نفوسهم في معرفة شؤون الخليقة وتواريخ الأمم السالفة والأنبياء وما إلى ذلك. وهكذا بعد ظهور الإسلام كانوا يفضلون مراجعة أهل الكتاب في معرفة شؤون الإسلام والدعوة. ولا سيما وقد حدا بهم القرآن إلى مسائلة أهل الذكر والكتاب. قال تعالى مخاطباً لهم: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْكَ فَأَسْأَلِ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^١. وهذا من باب ﴿وَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^٢.

المخاطب، وإن كان هو النبي ﷺ لكن المقصود غيره ممن شك في رسالته، فليراجعوا أهل الكتاب في معرفة سمات نبي الإسلام. وهذا كان في إبان الدعوة؛ حيث كان يُرجى الصدق من أهل الكتاب.

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٣.

وقوله: ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^٤.

وقوله: ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ...﴾^٥. إلى غيرها من آيات، تخاطب المشركين، فيما لو ارتابوا في صحة ما جاء به القرآن، أن يراجعوا أهل الكتاب.

وقد حسب بعض المسلمين الأوائل، أن ذلك تجويز لهم أيضاً في مراجعة اليهود، فيسألوهم عن بعض شؤون الشريعة، ولا سيما في أصول معارفها وشؤون الخليقة وتاريخ الأنبياء.

٢. يس (٣٦): ٢٢.

٤. النحل (١٦): ٤٣.

١. يونس (١٠): ٩٤.

٣. الأنبياء (٢١): ٧.

٥. الإسراء (١٧): ١٠١.



لكن الأمر لم يستمر على ذلك حتى جاء النهي الصريح عن مراجعة أهل الكتاب؛ وذلك بعد أن عُرف منهم الغيب واللؤم في تضليل المسلمين، وتشويه سمعة الإسلام، وتضعيف العقائد.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْمُونُكُمْ خِبَالًا وَذُؤَا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^١

﴿بَطَانَةٌ﴾: ما يستبطنه الإنسان من ثيابه التي تلي جسده، أي لا تتخذوا أصحاب سرٍّ من غيركم.

﴿لَا يَأْمُونُكُمْ خِبَالًا﴾، أي لا يقصرون في إفساد ذهنيّاتكم عن الإسلام، ومنه الخبل: فساد العقل. ورجل مخبل: فاسد الرأي.

﴿وَذُؤَا مَا عَنِتُّمْ﴾، أي كانت غاية جهدهم إيقاع العنت بكم. والعنت: المشقة الروحية، والقلق الفكري.



ومن ثمّ أصدر النبي ﷺ نهي الصريح عن مراجعة أهل الكتاب، بما أنّهم لا يُخلصون النصيحة للمسلمين، ولا يأبهون إن حقاً قالوا أو باطلاً، ما دامت الغاية هي إيقاع الفساد والعنت بين المؤمنين.

فقد أخرج أحمد في مسنده وكذا ابن أبي شيبة والبرزاري من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: إنَّ عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه (و في نسخة أحمد: فقرأه النبي) فغضب، فقال: أمتهم كون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم

عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني^١.

المتهوك: الذي خاس عقله، فترد في الأمور من غير روية ولا تعقل، كالمتهور غير المبالي.

وهذا اللحن من الخطاب غاية في الاستكثار على صنيع قبيح لا يليق بشأن إنسان عاقل متدبر بصير. فقد وثق عليه السلام عمر في صنيعه هذا، وأنه راجع اليهود في بعض مسائله، وهذا الإسلام ناصح جلي بين يديه يُجيب على جميع مسائل الإنسان في الحياة، لا إيهام فيه ولا قصور.

فقد أبان عليه السلام أن نبي الله موسى عليه السلام لو أدرك هذا الزمان، لكان الواجب نبذ ما لديه، والأخذ بما جاء به نبي الإسلام، فكيف بالمسلمين يراجعون اليهود في مخاريق قديمة العهد، لا وزن لها ولا اعتبار، وأنها مزيج أباطيل قد يوجد في طيها بعض الحقيقة، مما لا يمكن الوثوق من صحتها، ما دامت ضائعة بين الأباطيل.



وقد عقد البخاري في صحيحه باباً عنونه بقول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»^٢. وذكر فيه حديث معاوية عن كعب الأحبار: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب. قوله: «نبلو عليه الكذب»، أي نختبره فنجد في أخباره كذباً. هذا الحديث قاله معاوية عندما حج في خلافته^٣.

وروى بإسناده عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالبرانية

١. مستند أصح ج ٣، ص ١٣٨٧ راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨١. قال ابن حجر: رجاله موثوقون إلا أن في مجالده ضعفاً... غير أن البخاري قال: إنه صدوق. وقال يعقوب بن سفيان: تكلم الناس فيه وهو صدوق. قال ابن عدي: له عن الشعبي عن جابر أحاديث سالحة. قلت: وهذا الحديث من هذا الطريق الصالح. راجع: تهذيب تهذيبه ج ١٠، ص ٤١٤٠.

٢. جامع البخاري، ج ٩، ص ١٣٦ و راجع: ج ٣، ص ٢٢٧.

٣. راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨٢.

ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»^١.

أقول: ويل تلك الفئة من المنتحلين بالإسلام، يتركون القرآن العربي الفصيح، ويستمعون إلى سفاسف عبرية يفسرها ذوو الأحقاد من أهل الكتاب.

وهذا كان في أخريات حياة النبي ﷺ حيث كان أبو هريرة^٢ ممن يستمع إلى مثل تلك السفاسف، فجاه النهي، والأمر بالإقتناع بما جاء به القرآن.

وروى حديث ابن عباس في الاستنكار لمراجعة بعض المسلمين لأهل الكتاب، وسنذكره.



هذا، ومع ذلك كان من المسلمين من لم ينته عن مراجعة أهل الكتاب أو النظر في كتبهم ورسائلهم، بغية الحصول على مطالب كان يزعم افتقادها في أحاديث المسلمين. وقد راجت هذه العادة الجاهلية - التي كانت تضعف حيناً وتقوى حيناً آخر - بعد وفاة النبي ﷺ حيث انسدّ على كثير من الناس باب علم الله المتمثل في شخصية الرسول ﷺ متغافلين عن خلفائه العلماء أبواب علومه اللبّاسة، ولا سيما باب علم النبي عليّ أمير المؤمنين^٣ ومن كان على حدّوه كابن عباس وابن مسعود وأضرابهما، فتركوا السبيل السويّ ولجأوا إلى معوج الطريق.

هذا ابن عباس يناديهم فيقول: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله أحدث^٤، تقرأونه محضاً لم يُشَبَّ^٥. وقد حدّثكم أنّ أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً

١. جامع البحار، ج ٩، ص ١٣٦.

٢. لأنّ أبا هريرة أسلم بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة.

٣. في نسخة: «أحدث الأخبار بالله».

٤. لم يُشَبَّ: من الشوب وهو الخلط، أي لم يشبه شيء، كناية عن عدم الدش فيه والتحرّف، كما كان عليه كتب السالفين.

قليلاً. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم. لا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم^١.



وكان من الآثار السيئة التي خلفتها مراجعة أهل الكتاب رغم نهى النبي عنها أن خلطت الأكاذيب الإسرائيلية بالتفسير والحديث الوارد عن النبي والخيار من صحابته الأجلاء، فشوهت وجه التفسير، فضلاً عن التاريخ والحديث. وسوف نذكر نماذج من هذا التشويه، ولا سيما في التفسير بالمأثور.

قال ابن خلدون: و صار التفسير على صنفين: تفسير تقليدي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جمع المتقدمون في ذلك وأزوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الفتى والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك: أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية، في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإثما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود، ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من جثير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلثما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار وهب بن منبه وعبدالله بن سلام وأمثالهم، فامتلت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم. وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملاؤا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كما

١. المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٣٦، ج ٣، ص ٢٣٧. وفي الموضوعين بعض الاختلاف في لفظ الحديث.

قلنا- عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ!

هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟

و هل هناك ما يبرر مراجعة أهل الكتاب؟

زعم الكثير من الكتاب المتأخرين - تبريراً لمواقف لغير من الصحابة الذين صعدوا على الرجوع إليهم، ولا سيما مسلمة أهل الكتاب- أن هناك دلائل على الجواز، إما في زمن متأخر عن المنع الذي كان في ابتداء الأمر، أو في شؤون لا تمس أحكام الشريعة في مثل القصص والتواريخ، أو فيما لم تمسه يد التحريف وقد توافق مع ما جاء به القرآن الكريم، أو نحو ذلك.

هذا ابن تيمية يذكر عن السدي الكبير (هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمان الكوفي توفي سنة ١٢٧ هـ) أنه كان في بعض الأحيان ينقل ما يحكى من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها - فيما زعم - رسول الله ﷺ حيث قال: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^١، رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص. ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين^٢ من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك^٣.

قال: ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة

أقسام:

١. المقتضية لابن خلدون، ص ٤٣٩، ٤٤٠، آخر الفصل الخامس فيما ذكره بشأن التفسير.
٢. رواه البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل من كتاب الأضيحة ج ٤، ص ٢٠٧.
٣. الزاملة: هي الملقبة، وربما كانت حمل بغير، وقد فسر أبو شهبة الزاملتين بحمل بغيرين (الإسرائيليات واليهوديات، ص ٩٢).
٤. سنأتي على تفسير هذا الحديث بغير ما فهمه هؤلاء.

أحداها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجاوز حكايته، لما تقدم^١. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا اختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، في مثل أسماء أهل الكهف وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ودينهم. ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز^٢.

و يستدلّ الذهبيّ لجواز مراجعة أهل الكتاب والنقل عنهم فيما لا يخالف الشريعة بآيات، زعم دلالتها على إباحة الرجوع إليهم، قال:

وإذا نحن نظرنا في القرآن الكريم، وجدنا من آياته البيّنات ما يدعو نبيّ الإسلام وجماعة المسلمين إلى أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسألوهم عن بعض الحقائق التي جاءت في كتبهم، وجاء بها الإسلام فأنكروها، أو أغفلوها، ليقم عليهم الحجّة، ولعلّهم يهتدون.

ومن هذه الآيات الدالّة على إباحة رجوع النبيّ ﷺ ومن تبع دينه من المسلمين إلى أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^٣. وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٤. وقوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^٥. قال: ومعناه: واسأل أممهم وعلماء دينهم. قال الفراء مبيّناً وجه المجاز في الآية: هم إنّما يخبرونه عن كتب الرسل، فإذا سألهم فكانه سؤال الأنبياء ﷺ، وقوله: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً

١. من عدم تصديقهم ولا تكذيبهم فيما يحكونه. ذكر ذلك في ص ١٩ من رسالته.

٢. مفضة في أصول الفقيه، ص ٤٥-٤٦، (المطبعة السلفية)؛ راجع: تفسير ابن كثير (المقدمة)، ج ١، ص ٤.

٣. بونس (١٠): ٩٤. ٤. الأنبياء (٢١): ١٧ النحل (١٦): ٤٣.

٥. الزخرف (٤٣): ٤٥.

البحر»، وقوله: «فاسأل بني إسرائيل»، وقوله: «سأل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيته»^١.

قال: كل ما تقدم من أمر الله ﷻ بسؤال أهل الكتاب، يدل على جواز الرجوع إليهم، ولكن لا في كل شيء، بل فيما لم تصل له يد التحريف والتبديل من الحقائق التي تصدق القرآن وتلزم المعاندين منهم ومن غيرهم الحجة^٢.

قال: وعلى هذا فما جاء موافقاً لما في شرعنا تجوز روايته، وعليه تحمل الآيات الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب، وعليه أيضاً يعمل قوله ﷻ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»: إذ المعنى: حدثوا عنهم بما تعلمون صدقة.

وأما ما جاء مخالفاً لما في شرعنا أو كان لا يصدقه العقل، فلا تجوز روايته؛ لأن حديث الإباحة لا يتناول ما كان كذباً. وأما ما سكت عنه شرعنا، ولم يكن ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملاً، فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه؛ وعلى هذا يحمل قول النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم». أما روايته فجازت على أنها مجرد حكاية لما عندهم؛ لأنها تدخل في عموم الإباحة المفهومة، من قوله ﷻ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»^٣.

وأضاف قائلاً: ما ثبت من أن بعض الصحابة كأبي هريرة وابن عباس، كانوا يراجعون بعض من أسلم من أهل الكتاب، يسألونهم عما في كتبهم، وما روي من أن عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب يوم البيروك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما، لا يعارض ما رواه البخاري من إنكار ابن عباس على من يسأل أهل الكتاب.

ولا ما رواه عبد الرزاق في مسنده عن ابن مسعود من نهي عن سؤال أهل الكتاب بقوله: «لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم».

ولا ما رواه أحمد من إنكار الرسول ﷺ على عمر لما أتاه بكتاب أصابه من بعض

١. الإسرائيليات في التفسير وفتحها، الذهبي، ص ٦٠، ٦١؛ الأعراف (٧): ١١٦٣، الإسراء (١٧): ١١٠١، البقرة (٢): ٢١١.

٢. المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.

٣. المصدر نفسه، ص ٦٣.

أهل الكتاب بقوله: «أَمْتَهُوْكَوْن فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ».

قال: «نعم لا تعارض بين هذا وذاك؛ لأنَّ صحابة الرسول ﷺ كانوا أعرف الناس بأمر دينهم، و كان لهم منهج سديد و معيار دقيق في قبول ما يُلقى إليهم من الإسرائيليات، ما كانوا يرجعون إليهم في كلِّ شيء، و إنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث و الأخبار».

قال: أما إنكار الرسول ﷺ و إنكار الصحابة على من كان يرجع إليهم، فقد كان في مبدأ الإسلام و قبل استقرار الأحكام، مخافة التشويش على عقائدهم و أفكارهم^١.
قال ابن حجر: «و كأنَّ النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية و القواعد الدينية خشية الفتنة. ثمَّ لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار»^٢.

مناقشة دلائل الجواز

غير أنَّ هذه الدلائل غير وافية بإثبات المطلوب، و لا هي تُبرِّر مراجعة أهل الكتاب في شيء من تفسير القرآن الحكيم أو تاريخ الأنبياء ﷺ.

ذلك لأنَّ اليهود الذين جاؤوا العرب كانوا أهل بادية مثلهم - كما قال ابن خلدون - لا علم لهم و لا تحقيق بمعرفة الصحيح من الأخبار، سوى ما شاع لديهم من أخبار عامية ممَّا لا يمكن الوثوق بها. أمَّا علماءهم فكانوا أهل دجل و تزوير، كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم - كما حكى عنهم القرآن - و يزورون الحديث و يقولون: هذا من عند الله، و ما هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، بغية حطام الدنيا الرذيلة.

و من ثمَّ كان المنع من ذلك شديداً كما عرفت في مناهي النبيِّ و أصحابه الكبار عن ذلك، و لم يدلَّ على جوازه شيء من الأخبار و الآثار.

أما الآيات التي زعموها مبيحةً لذلك، فالاستدلال بها عقيم؛ لأنَّها من باب «إِيَّاكَ أَعْنِي

١. المصدر نفسه، ص ٦٦-٦٧.

٢. راجع: فتح الباري، ج ١٦، ص ٣٢٠.

و اسمعي يا جارة». كان الخطاب في ظاهره مع النبي ﷺ غير أن المقصود غيره من المتشككين في أمر الرسالة، وليسوا هم المسلمين أيضاً، بل الكفار والمنافقون هم المقصودون، بدليل صدر الآية و ذيلها: «فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ»^١.

والعجب من الذهبي كيف يزعم أن هذه الآية جاءت رخصة للنبي في مراجعة أهل الكتاب؟! أو هل يشك النبي فيما أنزل إليه؟! أو هل يمتري النبي في صدق رسالته كي يؤمر بالانتهاه منه؟!^٢

لا شك أن المقصود غيره من الذين كانوا يتشككون في صدق رسالته، ولقد كان المرجع الوحيد الذي يمكن أولئك المتشككين اللجوء إليه هم «أهل الكتاب» الذين جاؤروهم، وليس النبي ﷺ بمقصود ألبتة، ولا المسلمون المعتقدون بصحة الرسالة. وهكذا قوله تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ»^٣ خطاب محض موجّه إلى العرب الجاهليين.



أما حديث «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فهو كناية عن التوسّع في تفضيع شأنهم؛ حيث كلّ ما حدّثته عنهم من رذائل و فضائح فهو حق لا مرية فيه؛ حيث توسّعهم في ارتكاب الآثام و ركوبهم جميع القبائح المحتملة بشأنهم، كما جاء في المثل: «حدّث عن البحر ولا حرج» كناية عن التوسّع في الأمر، وأنّه كلّ ما قلت عنه فهو صحيح. ومنه قولهم بشأن معن بن زائدة الشيبانيّ و كان من أجواد العرب: «حدّث عن معن ولا حرج»، كناية عن توسّعه في المكرمات، فكلّ ما حدّثت عنه من فضيلة، فهو صدق واقع^٤. فهذا تعبير كنائيّ عن مطلق التوسّع في أمر إن شئتاً أو زناً، وليس المقصود التحدّث، بمعنى الرواية و النقل عنهم.

١. النحل (١٦): ٤٣.

٢. يونس (١٠): ٩٤.

٣. راجع: مجمع الأصول للمبدئي، ج ١، ص ٢٠٧، رقم ١١٠٣. فترده الأذوب للأب لويس معلوف.

و يتأيد هذا المعنى، بما ورد في لفظ أحمد:

«تحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنّكم لا تحدّثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه»، أي كلّ ما حدّثت عنهم من فضيحة أو رذيلة شائنة، فهو صدق؛ لأنّهم أوسع فضاحةً وأكثر رذالةً ممّا يُحتمل بشأنهم.

وفي لفظه الآخر:

«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدّثوا عني ولا تكذبوا»^١.

ففي هذه المقارنة بين التوسّع في الحديث عن بني إسرائيل، والتقيّد لدى الحديث عن رسول الله ﷺ دلالة واضحة على صدق الحديث عنهم مهما كان الحديث، أما عند التحدّث عن رسول الله ﷺ فيجب تحري الصدق، ولئلا يكون كذباً عليه. فإنّه من كذب عليه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

الرأي الحاسم

لا شك أنّ سير التاريخ ودراسة أحوال الماضين عبرة وعظة لمن اعتبر به وأخذ من متعلّباته متعلّطاً له: فيم ربحوا وفيم رهبوا!

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^٢.

والتاريخ كتاب العبر لمن أمن وتدبّر، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أوليس لكم في آثار الأولين مُرذَلَجَرٌ، وفي آباءكم الماضين تبصرة ومُعْتَبِرٌ؟»^٣.

نعم، كانت دراسة التاريخ ضرورة تربوية للأجيال، وليؤخذ من تجارب الماضين مشاعل وهماجة لإنارة درب الباقيين، فلا تتكرّر التجربة إذا كانت عنيفة، ولا يعيد التاريخ بمرارتها الأولى، ومن جرّب المجرّب حلّت به الندامة..

وهذا القرآن الكريم يوتّخ أهل العمه والترف ممّن سايروا آباءهم من غير دراية... قال

٢. المصدر نفسه، ص ٥٦.

١. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٣.

٤. نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.

٣. برنس (١٠): ١٤.

تعالى - ناكراً عنهم هذا:

﴿قَالَ مُتَرَفُوها إِنَّا وَجَدنا آبائنا على أمةٍ وَإِنَّا على آثارِهِم مُّعْتَدُونَ﴾^١

﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا علىٰه آباءنا أولو كان آباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾^٢

وهكذا ويخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا الإغفال وإعفاء تجارب السلف التي قاسها الآباء، قال موبخاً هذه الشئمة: «وإنما تسيرون في أثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم»^٣.

إذن فلتكن دراسة التاريخ موضع عظة واعتبار، إذا كانت عن تدبر وإمعان، وبعيدة عن كل تعصب مقيت.. الأمر الذي أغفله أحفاد إسرائيل وأذناهم..



و عليه فالقول الحاسم بشأن مراجعة كتابات السلف من يونان ورومان ومصر واليهود وحتى الفرس والهنود، هو الجواز بل اللزوم، بعد كونها ضرورة لازدهار حضارة الأجيال.. غير أن هذه المراجعة لا بد أن تكون عن دراسة واعية وتحقيق وإمعان، وبعيدة عن تعصبات أعمى تقليدية يعقنها العقل الرشيد.

والأمر بشأن مراجعة الكتب الدينية القديمة - وقد أحاط بها هالة من خرافات بائدة - أدعى للحذر والاحتياط، ولا سيما لو أريد العثور على حقائق وحياتية احتضنها تلكم الكتب وفي طيها الشيء الكثير.. فلا بد من التحري والتدقيق دون التسرع والاسترسال..

و نتيجة على ذلك كانت مراجعة كتب السلف - مهما كانت - ضرورة ثقافية وحياتية شاملة.. أما الاستسلام محضاً فلا، وأما التحري والتحقيق فنعم..

هذا هو القول الفصل في مراجعة كتب الأسلاف إذا كانت عن وعي وإمعان.. والله من وراء القصد..

٢. البقرة (٢): ١٧٠.

١. الزخرف (٤٣): ٢٣.

٣. نهج البلاغة الخطبة: ١٨٣.

أقطاب الروايات الإسرائيلية

عندما نتصفح كتب السير و التفاسير و أخبار الملاحم، نجد أن أكثرية ما يُروى من الإسرائيليات تكاد تدور على أقطاب سبعة، كانوا هم الأساس لشياع الأساطير الإسرائيلية بين المسلمين.

و هم: عبد الله بن سلام، و تميم بن أوس الداري، و كعب الأحبار، و عبد الله بن عمرو ابن العاص، و أبو هريرة، و وهب بن منبه، و محمد بن كعب القرظي، و أضافوا ثامناً هو ابن جرير علي ما سنذكر.

و إليك إمامة قصيرة بحياة هؤلاء الأقطاب:

١. عبد الله بن سلام

اسمه الحصين بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، حليف النواقل من الخزرج، و هم بنو عوف، كان حبراً من أحبار اليهود، فأسلم عند مقدم النبي ﷺ المدينة، و قيل: قبل وفاته بستين، فسماه النبي ﷺ عبد الله. قال ابن حجر: و كان من بني قينقاع^١.

قيل: إنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني قد قرأت القرآن و التوراة. فقال: «اقرأ بهذا ليلة، و بهذا ليلة». قال الإمام شمس الدين الذهبي: إسناده ضعيف^٢. لأن الراوي له هو إبراهيم ابن أبي يحيى الأسلمي، و هو متروك الحديث. و بعضهم اتهمه. قال الأستاذ شعيب الأرنؤوط: فالحديث ضعيف جداً، بل يكاد يكون موضوعاً، فإنه مخالف لحديث جابر بن عبد الله الأنصاري: أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال ﷺ: «أمتهون كما تهونت اليهود و النصارى؟ لقد جثتم بها بيضاء نقيّة. و لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي». قال: و هو حديث حسن^٣.

٢. سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٤١٨-٤١٩.

١. الإصابة ج ٢، ص ٣٢٠.

٣. هامش سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ١٤١٩ أخرج الحديث عن «مجمع الزوائد ج ١، ص ١٧٣-١٧٤».

كان عبد الله بن سلام ممن يحوك الأحاديث ليستجلب أنظار العامة ويرفع بمنزته لديهم، من ذلك ما حاكه حول صفة رسول الله ﷺ في التوراة، كان يُعلمها على العامة تزلزلاً إليهم. فكان يذكر من أوصاف الرسول الراهنة، ويقول: وجدتها كذلك في التوراة، وكان يدعي أنه أعلم اليهود وأخبرهم بكتب السالفين^١.
وقد حيكت حوله أحاديث في فضله ونبله، غير أنها ضعيفة الإسناد موهونة. توفي بالمدينة سنة (٤٣ هـ).

٧. تميم بن أوس الداري

هو أبو رقية، تميم بن أوس بن حارثة أو خارجة الداري، اللخمي الفلسطيني. والدار: بطن من لخم، فخدم يعرب بن قحطان. مات سنة (٤٠ هـ).

وقد تميم وأخوه نعيم في وفد كانوا عشرة نفر من بني الدار على رسول الله ﷺ بعد منصرفه من تبوك سنة (٩ هـ) فأسلما وكانا نصرانيين. قال أبو نعيم: كان تميم راهب عصره وعابد فلسطين. يقال: إن النبي ﷺ أخذ عنه قصة «الجساسة» والدجال، فحدث عنه بذلك على المنبر، فكان ذلك منقبة له^٢.

والتمس من النبي ﷺ أن يهب له قريتين من قرى فلسطين، إن فتح الله عليه الشام. قال: كانت لنا جيرة من الروم، ولهم قريتان يقال لإحدهما: جبري والأخرى بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبما لي. قال ﷺ فهما لك. وكتب له كتاباً. فلما قام أبو بكر بالأمر أعطاه ذلك^٣. وقيل: إنّه جاء بالكتاب إلى عمر فقال: أنا شاهد ذلك فأمضاه. وذكر الليث أن النبي ﷺ قال له: «ليس لك أن تبع» فجعلها وقفا عليه. قال ابن جرير:

١. أوردها ابن سعد في الطبقات، ج ١، ص ٨٧، ص ١٤ (ط ليدن).

٢. الإصابة، ج ٢، ص ٣٢١؛ سيرة أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٦.

٣. والجساسة: دابة. فيما زعمه هذا الراهب النصراني. كان رآها في جزيرة من البحر كانت تجس الأخبار لدجال. أوردها مسلم في الفتوح، وشرائطها (ج ٨، ص ٢٠٢) وأحمد في مسنده، ج ٦، ص ٣٧٤-٣٧٤ والطبراني وغيرهم، وسنذكر قصتها.

٤. الإصابة، ج ١، ص ١٨٣-١٨٤؛ طبقات ابن سعد، ج ١، ق ٢، ص ٧٥.

فهي في أيدي أهله إلى اليوم^١. أخرجه أبو عبيد من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه^٢.

وقد بالغ أصحاب التراجم بشأنه وذكروا له كرامات ومناقب، منها قصة مدافعتة النار حتى أطفأها، كما ذكره ابن حجر، قال: له قصة مع عُمَرُ فيها كرامة واضحة لتميم وتعظيم كثير من عُمَرُ له^٣ - فذكرها في ترجمة معاوية بن حرمل^٤ - وهي كما ذكره الذهبي: أن معاوية بن حرمل - صهر مسيلمة الكذاب والذي ارتدّ معه - جاء إلى المدينة تائباً، فلبث في المسجد لا يُؤوي ولا يُطعم شيئاً. قال فأتيت عمر، فقلت: تائب من قبل أن تقدر عليه. قال: من أنت؟ قلت: معاوية بن حرمل. قال: اذهب إلى خير المؤمنين، فأنزل عليه.

قال [معاوية]: وكان تميم الداري إذا صلى ضرب يديه على مَنْ عَمَى يمينه وشماله فذهب برجلين، فصلّيت إلى جنبه. فأخذني، فأوتينا بطعام. فبينما نحن ذات ليلة: إذ خرجت نار بالحرّة، فجاء عمر إلى تميم يستجده، فقال: قم إلى هذه النار. فقال: يا أمير المؤمنين: ومن أنا! وما أنا، وما تخشى أن يبلغ من أمري! يستصغر نفسه.

فلم يزل به عمر حتى قام معه، وتبعتهما. فانطلقا إلى النار. فجعل تميم يحوشها (أي يدفعها إلى الداخل) بيده حتى دخلت الشّعب، ودخل تميم خلفها. فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يرا قالها ثلاثاً. قال: فخرج ولم تضرّه النار^٥.

قال الذهبي: هذه القصة سمعها عفان من حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي العلاء عن ابن حرمل. قال: وابن حرمل لا يُعرف. قلت: قد أهمل معاوية بن حرمل في كتب ترجمة الرجال.



وهذا الكاهن المسيحي - الذي بقيت معه نزعتة المسيحية (الرهبنة) إلى ما بعد

٢. الأثوال لأبي عبيد بن سلام، ص ٣٤٩-٣٥٠.

١. سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

٣. الإيضاح ج ١، ص ١٨٤، في ترجمة تميم الداري.

٤. سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٤٤٦-٤٤٧.

٥. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٩٧.

إسلامه هو أول من سنَّ القصَّ في المسجد، و تكاد تتفق الروايات على أنه أول قاصٍّ في الإسلام^١. و ذلك كان على عهد عمر بن الخطاب، و لعلمه في أواخر ولايته. روى الزهري عن السائب بن يزيد، قال: أول من قصَّ تميم الداري، استأذن عمر، فأذن له فقصَّ قائماً. و روى عن ابن شهاب، أن أول من قصَّ في مسجد رسول الله ﷺ تميم الداري، استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر الناس في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر. و استأذن تميم عثمان بن عفان فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك.

قال أحمد أمين: و قد نما القصص بسرعة؛ لأنه يتفق و ميول العامة، و أكثر القصص من الكذب حتى رووا أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد^٢. و أما قصة «الجساسة»، فقد ذكر مسلم في كتاب الفتن و أشراف الساعة من صحيحه، بإسناده عن الحسين بن ذكوان عن ابن بريدة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس، و كانت من المهاجرات الأول، قالت: سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ فكانت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر و هو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتمكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتمكم لرغبة و لا رهبة، و لكن جمعتمكم لأن تميم الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء و بايع و أسلم، و حدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم و جذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرقأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا في أقرب (جمع قارب و هو الزورق) السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابة أهل بكثيرة الشعر لا يدرون ما قبلة من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: وملك ما أنت؟ فقالت: أنا

٢. سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٤٤٧.

١. كما قال أحمد أمين، فخر الإسلام، ص ١٥٩.

٤. غليظ الشعر.

٣. فخر الإسلام، ص ١٥٩-١٦٠.

الجساسة^١ قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير (الدير هو القصر) فإنه إلى خيركم بالأشواق. قال (أي الداري): لما سمّت لنا رجلاً قَرِيناً (أي فزعنا) منها أن تكون (أي الدابة) شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً حتّى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قطّ خلقاً، وأشدّه وناقاً، مجموعةٌ يدها إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: وملك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. فقصّوا عليه قصّتهم، فقال: أخبروني عن نخل بيسان^٢ قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل تتمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما أنّه يوشك أن لا تتمر. قال: أخبروني عن بُحيرة الطبرية^٣ قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما أنّ ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زَعْر^٤. قالوا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء، و هل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبيّ الأُمّتين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكّة و نزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم، فأخبرناه أنّه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما أنّ ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني أخبركم عني: إني أنا المسيح^٥، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلاّ هبطتها في أربعين ليلة، غير مكّة و طيبة، فهما محرّمتان عليّ كلتاهما، كلّما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلّته^٥ يصدّني عنها، وأنّ على كلّ تقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله ﷺ و طعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة،

١. في الهامش: سببت جساسة لتجسسها الأخبار للدجال. قال صاحب الصفة هي دابة الأرض التي تخرج في آخر الزمان. راجع: شرح التوبة ج ١٨، ص ٧٨.
٢. بيسان، مدينة بالأردن بالقرب الشامخ، وهي بين حوران و فلسطين. يقال عنها: إنها لسان الأرض و بها عين يقال: إنها من الجنة فيها ملحرة بسيرة (مجمع اللغة ج ١، ص ٥٧٧).
٣. على وزن زَعْر: بلدة في الجانب القبلي من الشام.
٤. أي المسيح الدجال الذي زعموا أنّه يخرج في آخر الزمان.
٥. أي مسلّولاً.

يعني المدينة^١.

هذه القصة على غرابتها في سندها ضعف؛ لأنها رويت بطريقتين: مسلم في «الصحیح»، وأحمد في «المسند». وكلاهما ينتهي إلى عامر الشعبي، غير أن الذي يروي عن الشعبي في المسند هو مجالد بن سعيد، وكان يكذب في الحديث. قال عمرو بن علي: سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض أصحابه: أين تذهب؟ قال: إلى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد بن سعيد. قال: تكتب كذباً كثيراً، لو شئت أن يجعلها لي مجالد كلها عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله، فعل. وقال أبو طالب عن أحمد: ليس بشيء. يرفع حديثاً كثيراً لا يرفعه الناس. وقال الدوري عن ابن معين: لا يُحتج بحديثه. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ضعيف واهي الحديث. كان يحيى بن سعيد يقول: لو أردت أن يرفع لي مجالد حديثه كله رفعه، إلى غيرها من شهادات بضعفه في الحديث، ورفع الحديث لمكان ضعفه^٢. وقال محمد بن حبان: كان رذيه الحفظ يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به^٣.

وفي مسند مسلم وقع: ابن بريدة عن الشعبي. وابن بريدة هذا هو عبد الله بن بريدة أخو سليمان. قال البزار: فحيث أبهم علقمة و محارب و محمد و كذا الأعمش عند ابن حجر فالمراد: سليمان بن بريدة. وأما من عدا هؤلاء حيث أبهموا فهو عبد الله بن بريدة^٤ - كما هنا - لأن الذي أبهم في إسناد مسلم هو الحسين بن ذكوان. وعبد الله بن بريدة هذا، قد ضعف حديثه أحمد، وكانوا يرجعون أخاه سليمان عليه. قال إبراھيم: له عن أبيه أحاديث منكورة. و تعجب من العاكم كيف زعم أن سند حديثه من رواية الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أصح الأسانيد لأهل مرو^٥.

١. صحیح مسلم ج ٨، ص ٢٠٣-٢٠٥. و رواه أحمد في المسند ج ٦، ص ٣٧٣، باختلاف يسير.

٢. تهذيب التهذيب ج ١٠، ص ٤٠. ٣. كتاب المجروحين والضعفاء ج ٣، ص ١٠.

٤. راجع: تهذيب التهذيب - الكشي ج ١٢، ص ٢٨٦. ٥. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٥٨.

٣. كعب الأخبار

هو كعب بن ماتع الحميري من آل ذي رُعين أو من آل ذي الكلاع^١. و يكنى أبا إسحاق، من كبار أخبار اليهود، كان أبوه كاهناً، وورث الكهانة من أبيه. ولد قبل الهجرة باثنتين و سبعين سنة، و أسلم بعد وفاة النبي ﷺ في أوائل خلافة عمر. و هلك أيام عثمان سنة (٣٢ هـ). فقد عاش (١٠٤) سنة.

كان من أهل اليمن - من يهودها - فهاجر إلى المدينة عندما أسلم، ثم تحوّل إلى الشام، فاستصفاه معاوية وجعله من مستشاريه، لما زعم فيه من كثرة العلم^٢. و هو الذي أمره أن يقصّ في بلاد الشام؛ و بذلك أصبح أقدم الإخباريين في موضوع الأحاديث اليهودية المتسربة إلى الإسلام. و بواسطة كعب و ابن منبّه و سواهما من اليهود الذين أسلموا تسربت إلى الحديث طائفة من أقاصيص التلمود - الإسرائيلية - و ما لبثت هذه الروايات أن أصبحت جزءاً من الأخبار التفسيرية و التاريخية في حياة المسلمين.

افتخر هذا الكاهن لإسلامه سبباً عجيباً ليتسلّل به إلى عقول المسلمين و قلوبهم. فقد أخرج ابن سعد بإسناد صحيح - حسبما ذكره أبو رية - عن سعيد بن المسيّب قال: قال العباس بن عبد المطلب لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله ﷺ و أبي بكر، حتّى أسلمت الآن على عهد عمر؟

فقال: إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة و دفعه إليّ، و قال: أعمل بهذا. و ختم على سائر

١. و ربما رجّح الثاني، لما رواه الطبراني من طريق يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عرف بن مالك، أنّه دخل المسجد بزرّاً على ذي الكلاع، و كعب يقصّ على الناس، فقال عرف لذي الكلاع: ألا تنهى ابن أخيك هذا عما يفعل؟ قيل: إنّتهاه و ذكره يحدث عن رسول الله ﷺ: «لا يقصّ على الناس إلا أمير أو مأمور أو متكلّف محتاله فأسك كعب عن القصص حتّى أمره معاوية، فصار يقصّ بعد ذلك (الإصابة ج ٣، ص ٣١٥-٣١٦).

٢. قال معاوية في وصف علمه: ألا إنّ كعب الأخبار أحد العلماء، إن كان عنده علم كالتمار و إن كُنّا فيه لمفرطين. و الذي يدلّ على مبلغ علمه الموهوم ما قاله هوفيس بن خرشة القيسي: ما من شبر في الأرض إلا و هو مكتوب في التوراة التي أنزل الله على موسى، ما يكون عليه و ما يخرج منه إلى يوم القيامة، يعني أنّه يعلم بذلك (راجع: ههذيب شهذيب ج ٨، ص ٤٣٩؛ الاستيعاب في ترجمة قيس بن خرشة، هامش الإصابة ج ٣، ص ٢٤٣).

كتبه، وأخذ عليّ بحق الوالد علي ولده أن لا أفضّ الخاتم. فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأساً، قالت لي نفسي: لعلّ أباك غيَّب عنك علماً كنتك، فلو قرأته. ففضضتُ الخاتم، فقرأته، فوجدتُ فيه صفة محمد وأُمَّته. فجئت الآن مسلماً. فوالى العباس^١. قلت: ولا يخفى ما في هذا التبرير من تهاوه إن لم يكن في طيها سفاهة تصحبها خبائة.

وكان عمر يكرهه ويُسِيء الظنّ به، لما كان قد أفسد في الحديث وأشاع الأكاذيب. قال له يوماً وقد أحضره: لتتركنّ الأحاديث أو لأحقنك بأرض القردة^٢، يعني أرض اليهود التي هي أصله. وروى أهل السير أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يذمه، ويقول عنه: إنّ كعب الأخبار لكذّاب. وقد كان منحرفاً عن عليّ عليه السلام، كما ذكره ابن أبي الحديد^٣.



ومن سخافات ما روي عن سعد الجاريّ مولى عمر، قال: إنّ عمر دعا أمّ كلثوم - وكانت تحته - فوجدها تبكي. فقال لها: ما يُبكيك؟ فقالت: هذا اليهودي - تعني كعباً - يقول: إنّك علي باب من أبواب جهنّم! فقال عمر: ما شاء الله، والله إنّني لأرجو أن يكون ربي خلقني سعيداً. ثمّ أرسل إلى كعب فدعاه، فلما جاءه قال: يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، والذي نفسي بيده، لا ينسلخ ذو الحجّة حتّى تدخل الجنّة.

فقال عمر: أيّ شيء هذا، مرّة في الجنّة و مرّة في النار؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، إنّنا لنجدك في كتاب الله - يعني به التوراة - على باب من أبواب جهنّم، تمنع الناس أن يقعوا فيها. فإذا متّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة^٤.

١. طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٢، ص ١١٥٦ راجع: الإصليّة، ج ٣، ص ١٣١٦ أضواء على سنة المحمديّة، ص ١٤٧-١٤٨.
٢. أخرجه أبو زرعة الدمشقيّ في تاريخه، ج ١، ص ٥٤٤. راجع: هامش سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٠. و رواه ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٨، ط السعادة (راجع: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ٩٦).
٣. شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٧.
٤. طبقات ابن سعد، ج ٣، ق ١، ص ٢٤٠، ص ١٢٤.

و يروي الطبري أنه جاء إلى عمر قبل مقتله بثلاثة أيام، وقال له: اعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام. قال: وما يدريك؟ قال: أجد في كتاب الله ﷻ في التوراة! قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم، لا، ولكن أجد صفتك و حليتك، وأنه قد فني أجلك^١.

قال أحمد أمين تعقيماً على هذه القصة: وهذه القصة إن صحّت دلّت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر، ثم وضعها هو في هذه الصبغة الإسرائيلية. كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل^٢.

وهكذا ذكر أبو رية: وممن اشترك في مؤامرة قتل عمر، وكان له أثر كبير في تدبيرها كعب الأخبار. وهذا لا يمتري فيه أحد إلا الجهلاء^٣.

و ذكر ابن سعد أن كعباً كان يقول: كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه. وكان إلى جنبه نبي يوحى إليه. فأوحى الله إلى النبي أن يقول له: اعهد عهدك و اكتب وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام، فأخبره النبي بذلك. فلما كان في اليوم الثالث وقع بين الجدر وبين السرير؛ ثم جاء إلى ربه فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني كنت أعدل في الحكم، وإذا اختلفت الأمور أتبعث هواك وكنت وكنت، فزدني في عمري حتى يكبر طفلي و تربو أمتي. فأوحى الله إلى النبي أنه قد قال كذا وكذا، وقد صدق، وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة، ففي ذلك ما يكبر طفله و تربو أمته.

فلما طعن عمر قال كعب: لئن سألت عمر ربه ليقينه الله. فأخبر بذلك عمر، فقال عمر: اللهم، اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم^٤.

و ذكر أيضاً: لما طعن عمر، جاء كعب فجعل يبكي بالبواب، ويقول: والله لو أن أمير

١. جاء في تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٦٤ (مطبعة الاستقامة) حوادث سنة (٢٣): أن عمر كان لا يحس ألماً ولا وجعاً حتى كان من الفد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب و بقي يومان. ثم جاءه من غد الفد فقال: ذهب يومان و بقي يوم و ليلة، و هي لك إلى صبيحتها. فلما كان الصبح خرج إلى الصلاة فطمسه أبو لؤلؤة.

٢. فجر الإسلام، ص ١٦٦.

٣. انصواء على السنة الحسنة، ص ١٥٥.

٤. طبقات ابن سعد ج ٣، ق ١، ص ٢٥٧، ق ١٢٠٢.

المؤمنين يقسم على الله أن يؤخّره لأخّره. فدخل ابن عباس عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كعب يقول كذا وكذا قال: إذن والله لا أسأله. ثم قال: ويل لي ولأمتي إن لم يغفر الله لي^١. ومن ثمّ كان ما يحكيه كعب عن الكتب القديمة، ليس بحجّة عند أحد من أهل العلم والتحقيق، ولم يثبت أهل الحديث الأوائل. قال شعيب الأرنؤوط: وأخطأ من زعم أنّه خرّج له البخاريّ ومسلم، فإنّهما لم يسندا من طريقه شيئاً من الحديث. وإنّما جرى ذكره في الصحيحين عرضاً. قال: ولم يُؤثّر عن أحد من المتقدّمين توثيق كعب إلا أن بعض الصحابة - يعني معاوية - أتى عليه بالعلم^٢.

وقد سمعت قول معاوية - صديقه الوفيّ - بشأنه، حينما حجّ في خلافته: إن كان من أصدق هؤلاء المحذّثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب^٣.

قال ابن حجر: وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو هريرة ومعاوية^٤، وذكر ابن عباس أيضاً. لكنّا قد فنّدنا ذلك بتفصيل. وفي الطبقات: أن تبيّع ابن امرأة كعب حمل من كعب علماً كثيراً^٥.

قال أحمد أمين: وأما كعب الأخبار فيهوديّ من اليمن، ومن أكبر من تسرّبت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين. وقد أخذ عنه اثنان، هما أكبر من نشر علمه: ابن عباس وأبو هريرة. وما نقل عنه يدلّ على علمه الواسع بالثقافة اليهوديّة وأساطيرها. جاء في الطبقات الكبرى حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن عبد قيس جالس إلى كتب وبينها سفر من أسفار التوراة وكعب يقرأ. وقد لاحظ بعض الباحثين أن بعض النقات كابن قتيبة والنووي لا يروي عنه أبداً. وابن جرير يروي عنه قليلاً^٦.

١. المصدر نفسه، ص ٢٦٢، ص ١٩.

٢. سير أعلام النبلاء - الهامش، ج ٣، ص ٤٩٠. ومعاوية هو الذي أتى عليه بالعلم. راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨٢.

٣. راجع: فتح الباري (الهامش)، ج ١٣، ص ٢٨٢. ٤. الإصحاح، ج ٣، ص ٣١٦.

٥. طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٤، ص ١٦٠، ص ١٠. ٦. فجر الإسلام، ص ١٦٠-١٦١.

قال الذهبي بعد نقل كلام أحمد أمين: و هذا يدلنا على أن كعباً كان لا يزال بعد إسلامه يرجع إلى التوراة و التعاليم الإسرائيلية^١.

قلت: أما رواية ابن عباس عن كعب فشيء موضوع، و لم تثبت روايته عنه، و هو الناقم على مراجعي أهل الكتاب على ما أسلفنا. نعم، كان أبو هريرة لقلّة بضاعته كثيراً ما يراجع أهل الكتاب، و لا سيّما كعباً، كان يُعدّ شيخه و مرشده في هذا الطريق. و كان أبو هريرة أكثر من نشر عن كعب و أفاض بمعلوماته الجمّة عن مثله.

قال الأستاذ أبو رية - و نعم ما قال -: «إنّ كعباً أظهر الإسلام خداعاً، و طوى قلبه على يهوديته، و أنّه سلط قوّة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه و يُبيمه، ليلقنه كلّ ما يريد أن يبثّه في الدين الإسلاميّ من خرافات و أوهام. و أنّه قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتّى جعل يردّد كلامه بالنصّ، و يجعله حديثاً مرفوعاً^٢.

قال: و قد استطاع هذا اليهوديّ أن يدسّ من الخرافات و الأوهام و الأكاذيب في الدين، ما امتلأت به كتب التفسير و الحديث و التاريخ، فسوّهتها و أدخلت الشكّ إليها. و ما زالت تُمدّنا بأضرارها^٣.

٤. عبد الله بن عمرو بن العاص

قيل: كان اسمه العاص فغيّره رسول الله ﷺ و سمّاه عبد الله. أسلم قبل أبيه عمرو، و عمرو أسلم قبل الفتح سنة ثمان. ولد قبل الهجرة بسبع سنين، و مات سنة (٦٥ هـ). فقد عاش (٧٢) سنة.

هو أوّل من أشاع الإسرائيليةّات بعد وفاة النبي ﷺ زعم أنّه أصاب يوم اليرموك^٤

١. تفسير و المفسرون ج ١، ص ١٨٨.

٢. الإسرائيليةّات في التفسير و الحديث للذهبي، ص ٩٥. قال أبو رية: يرجع إلى كتابنا شيخ الطخيرة، ليعلم كيف انصل أبو هريرة بكعب الأخبار، و كيف وقع في فخّه (الضواء على السنة المحمديّة، ص ١٦٤).

٣. الضواء على السنة المحمديّة، ص ١٦٤.

٤. يرموك: واد بناحية الشام كانت به حرب بين المسلمين و الروم في أواخر أيّام أبي بكر. و كان عبد الله بصحبة أبيه في تلك الحرب؛ حيث أصاب زاملتين من كتب اليهود فيما زعم.

زاملتين^١ من كتب اليهود، فكان يحدث منهما. وبيّر ذلك بما رواه عن رسول الله ﷺ من قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج». رواه البخاري بإسناده عنه^٢. هكذا فهم من هذا الحديث، جواز الرواية عنهم، حسبما ذكره ابن تيمية^٣.

وأضاف إليه حديثاً آخر اختلقه بهذا الشأن، قال: رأيت فيما يرى النائم كأن في إحدى إصبعي سناً وفي الأخرى عسلاً فأنا المقهما. فلما أصبحت ذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: تقرأ الكتابين، التوراة والفرقان. ومن ثم كان يقرأهما^٤.

وكانت له صحيفة يسميها الصادقة زعم أنه كتبها من أحاديث الرسول ﷺ عن إجازته له في كتابتها. قال: استأذنت النبي ﷺ في كتاب ما سمعت منه فأذن لي فكتبته. فكان يسمي صحيفته تلك الصادقة.

قال مجاهد: رأيت عنده صحيفة فسألت عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد^٥.

روى البخاري بإسناده إلى همام بن منبه عن أخيه وهب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا يكتب^٦.

ولقد كان ضعيف الرأي وهن السلوك، كان قد صحب أباه في الوقوف مع معاوية في وقعة صفين، في حين أنه كان يعلم أنهم كانوا هم الفئة الباغية على ما وصفهم بها رسول الله ﷺ و قد اعتذر لذلك بأنه كان لوصيّة رسول الله ﷺ إياه أن يتابع أباه عمرو بن

١. الزاملّة: الملقبة، من زمّل الشيء، يوثقه أو في ثوبه لفته. و ربما كانت حمل بغير، وهكذا عبّر عنها ابن حجر (فتح الباري، ج ١، ص ١٨٤)، قال: إن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها و يحدث منها، و من ثمّ نجّس الأخط عنه كثير من أئمة الساجدين. و عبّر عنها أبو شعبة: بحمل بعمرين (الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير، ص ٥٤).

٢. جامع البخاري، ج ٤، ص ٢٠٧.

٣. مقمّة في أصول التفسير، ص ٤٥.

٤. سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٨٦ سنة ألفه، ج ٢، ص ٢٢٢؛ حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١، ص ٢٨٦.

٥. طبقات ابن سعد، ج ٢، ق ٢، ص ١٢٥.

٦. جامع البخاري، ج ١، ص ٣٩، باب كتابة العلم؛ راجع: فتح الباري، ج ١، ص ١٨٤.

العاص. و قد نسي قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنشَأَ عَلَيْنَا آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^١. و كذا قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^٢.

ومع ذلك نراه قد تابع أباه في ضلال كان يعلمه.

أخرج ابن سعد عن الغنوي، قال: بينا نحن عند معاوية؛ إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمارة، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية». فقال معاوية: ألا تقني عتاً مجنونك يا عمرو^٣ فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك حياً و لا تعصه. و أنا معكم و لست أقاتل^٤.

٥. أبو هريرة

أما أبو هريرة فقد اختلف في اسمه^٥، كما لم يُعرف أصله و نسبه و نشأته، و لا شيء من تاريخه قبل إسلامه، غير ما ذكر هو عن نفسه، من أنه كان يلعب بهزة صغيرة، و أنه كان مُعدماً فقيراً خامل الذكر، يخدم الناس على شبع بطنه. قال: كنت أرعى غنم أهلي، و كانت لي هرة صغيرة، فكننت أضعها بالليل في شجرة، و إذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها، فكننوني «أبا هريرة». قال: نشأت يتيماً و هاجرت مسكيناً، و كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني و عقبه رجلي، فكننت أخدم إذا نزلوا، و أخدم إذا ركبوا.

١. البقرة (٢): ١٧٠.

٢. لقمان (٣١): ١٥.

٣. هكذا في النسخ، و لعلته: مجنونك، هو المراح في وقاحة.

٤. و هكذا أخرج ابن سعد عن عبد الله بن الحارث، قال: إني لأسير مع معاوية في منصرفه عن صفين بينه و بين عمرو بن العاص. فقال عبد الله: يا أبة، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعنار: ويحك يا ابن سمية، تقتلك الفئة الباغية. فقال عمرو لمعاوية: ألا نسمع ما يقول هذا! فقال معاوية: ما تزال تأتينا بهتة تدحض بها في بولك. أنحن قتلناه؟! إنما قتله الذين جاؤوا به! (طبقات ابن سعد ج ٣، ق ١، ص ١٨٠-١٨١).

٥. ذكر الحاكم في المستدرک (ج ٣، ص ٥٠٧) أن اسمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر ثم غيره النبي ﷺ إلى عبد الرحمان و قبل عبد الله. مات سنة (٥٧ هـ).

قدم أبو هريرة بعد أن تخطى الثلاثين من عمره، وكان النبي ﷺ حينذاك في غزوة خيبر التي وقعت عام (٧) من الهجرة، قال ابن سعد: قدم الدوستيون فيهم أبو هريرة ورسول الله ﷺ بخيبر فكلّم رسول الله ﷺ أصحابه في أن يشركوا أبا هريرة في الغنيمة، ففعلوا. ولفقره اتّخذ سبيبه إلى الصُّفّة (موضع مظلل في موخّرة مسجد النبيّ من الناحية الشمالية). قال أبو الفداء: وأهل الصُّفّة أناس فقراء لا منازل لهم ولا عشاير، ينامون في المسجد ويظّلون فيه. وكانت صُفّة المسجد مئواهم، فُتسبوا إليها. وكان إذا تعشى رسول الله ﷺ يدعو منهم طائفة يتعشّون معه، ويفرّق منهم طائفة على الصحابة ليمشّوهم.

روى مسلم عنه، قال: كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملاء بطني. وفي رواية: كنت أؤزم رسول الله ﷺ على ملاء بطني. وكان أكولاً، إذا كان يُطعم في بيت أحد الصحابة، كان بعضهم ينفر منه.

وروى البخاريّ عنه، قال: أستقرئ الرجل الآية وهي معي، كي ينقلب بي فيطعمني. وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته. وروى الترمذيّ عنه: وكنت إذا سألت جعفر عن آية لم يجبني حتّى يذهب بي إلى منزله. قال أبو رية: ومن أجل هذا كان جعفر في رأي أبي هريرة أفضل الصحابة جميعاً، فقدّمه على أبي بكر وعمر وعليّ وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة.

فقد أخرج الترمذيّ والحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطيّ التراب، بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب. كان أبو هريرة يلقّب بشيخ المضيرة (طعام يطبخ باللبن المُضِر، أي الحامض) وقد نالت هذه المضيرة من عناية العلماء والكتّاب والشعراء ما لم ينله مثلها من أصناف المأكّل والحلويات. وظلّوا يتندرون بها ويغمزون أبا هريرة قروناً طويلة من أجلها.

قال الثعالبي، وكان أبو هريرة تُعجبه المضيرة جداً، فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف عليّ عليه السلام، فإذا قيل له في ذلك، قال: مضيرة معاوية أدم وأطيب، والصلاة خلف عليّ أفضل وأتمّ. ومن كلامه: ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز الحارّ، وما رأيت فارساً أحسن من زيد على تمرّ.



وقد أخذ العلماء على أبي هريرة كثرة حديثه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع قلّة صحبته وقلّة بضاعته حينذاك، ومن ثمّ رموه بالتدليس والاختلاق. كان يسمع الحديث من أحد الصحابة ثمّ يدلس، فيرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان كثيراً ما يسمع الحديث من أهل الكتاب ولا سيّما كعب الأحبار، فيسندّه إلى النبيّ أو أحد كبار صحابته تدليساً وتمويهاً على العامة.

فقد روى مسلم عن بسر بن سعيد، قال: أتقوا الله و تحفظوا من الحديث. فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحدث عن كعب الأحبار، ثمّ يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفي رواية: يجعل ما قاله كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كعب. فاتقوا الله و تحفظوا في الحديث.

وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس، أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يميّز هذا من هذا. وقال ابن قتيبة: وكان أبو هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا، وإنّما سمعه من الثقة عنده فحكاه. وكانت عائشة أشدهم إنكاراً على أبي هريرة. ومن أنّهم أبا هريرة بالكذب عمر و عثمان وعليّ وغيرهم، فكما قال الأستاذ الراقعي: «كان أولّ راوية أنّهم في الإسلام»^١.

والحديث بشأن تدليس أبي هريرة وإنكار الصحابة عليه ذو شجون، عرضه بتفصيل

١. أخواه على السنة للمحدثّة، ص ١٩٥-١٩٩.

٢. راجع: تاريخ أديب العرب للراقعي، ج ١، ص ٢٧٨.

الأستاذ أبو رية في كتابه: شيخ المضيرة، والأضواء. وكان هذا العرض القصير مستقى منه^١.



أخذ أبو هريرة عن كعب الأحبار الشيء الكثير، غير أن الشيء الذي كان يرتكبه، إسناد ما سمعه من كعب إلى رسول الله ﷺ كما نوهنا عنه.

قال أبو رية: ذكر علماء الحديث في باب «رواية الصحابة عن التابعين، أو رواية الأكاير عن الأصاغر» إنَّ أبا هريرة والعبادلة^٢ و معاوية وأنس وغيرهم، قد رووا عن كعب الأحبار اليهودي الذي أظهر الإسلام خداعاً، وطوى قلبه على يهوديته.

قال: ويبدو أنَّ أبا هريرة كان أكثر الصحابة انخداعاً به، وثقة فيه، ورواية عنه وعن إخوانه، من سائر أهل الكتاب. ويتبين من الاستقراء أنَّ كعب الأحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه، وينمي له ليلقنه كلَّ ما يريد أن يبيته في الدين الإسلامي، من خرافات وأوهام. وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة.

فقد روى الذهبي في طبقات الحفاظ في ترجمة أبي هريرة أنَّ كعباً قال فيه - أي في أبي هريرة -: ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة، أعلم بما فيها من أبي هريرة!!

فانظر مبلغ دهاء هذا الكاهن ومكره بأبي هريرة، الذي يتجلَّى في درس تاريخه أنَّه كان رجلاً فيه غفلة و غرّة؛ إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوراة وهو لا يعرفها، ولو عرفها لما استطاع أن يقرأها.

ومما يدلُّك على أنَّ هذا الحبر الداهية قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتَّى جعله يردّ كلام هذا الكاهن بالنصّ، ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبيّ، ما نورد لك شيئاً منه.

روى البزار عن أبي هريرة: أنَّ النبيّ ﷺ قال: إنَّ الشمس والقمر ثوران في النار يوم

١. راجع: أضواء على السنة المحمدية، من ٢٠٦-٢٠٢.

٢. هم: عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، غير أنَّ الأخير مكذوب عليه، وقد فصلنا الكلام فيه.

القيامة!! فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أهدنك عن رسول الله، وتقول: ما ذنبهما؟! وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه، فقد روى أبو يعلى الموصلي، قال كعب: يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران، فيقتدان في جهنم، يراهما من عبدهما^١.

وروى الحاكم في «المستدرک» والطبراني - ورجاله رجال الصحيح - عن أبي هريرة: أن النبي قال: إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض و عنقه مثبتة تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك! قال: فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً.

وهذا الكلام من قول كعب، ونصه: أن الله ديكاً عنقه تحت العرش و برائه في أسفل الأرض، فإذا صاح صاحت الديكة، فيقول: سبحان القدوس الملك الرحمان لا إله غيره^٢. وروى أبو هريرة: أن رسول الله قال: النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة، وهذا القول نفسه قاله كعب: أربعة أنهار الجنة وضعها الله في الدنيا: فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة^٣.

وقال ابن كثير في تفسيره: إن حديث أبي هريرة في مأجوج ومأجوج، ونصه - كما رواه أحمد - عن أبي هريرة: أن مأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذين عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون... وقد روى أحمد هذا الحديث عن كعب، قال ابن كثير: لعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كثيراً ما كان يجالس كعباً ويحدثه^٤. ويتن في مواضع كثيرة من تفسيره ما أخذه أبو هريرة من كعب. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن الله خلق آدم على صورته. وهذا الكلام قد جاء في الإصحاح الأول من التوراة (العهد القديم) ونصه هناك: «وخلق الله الإنسان على

١. نهاية الإبر، ج ١٠، ص ٢٢٠.

٢. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٠٤-١٠٥.

٣. حياة العجمان للدميري، ج ١، ص ٢٥٧.

٤. أنوار على السنة المحمدية، ص ٢٠٨.

صورتها، على صورة الله خَلَقَهُ»^١.

وروى مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبت فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة. وقد روى هذا الحديث أحمد والنسائي أيضاً عن أبي هريرة.

قال البخاري وابن كثير وغيرهما: إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار؛ لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام^٢.

قال أبو رية: وقد بلغ من دهاء كعب واستغلاله لسذاجة أبي هريرة وغفلته، أن كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الإسلامي من خرافات وتُرّهات، حتى إذا رواها أبو هريرة عاد هو فصدق أبا هريرة، وذلك ليؤكد هذه الإسرائيليّات، وليمكن لها في عقول المسلمين، كأن الخبر جاء عن أبي هريرة، وهو في الحقيقة عن كعب الأحبار.

وإليك مثلاً ما رواه أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، اقرأوا إن شئتم: وظلّ ممدود»^٣.

ولم يكذب أبو هريرة يروي هذا الحديث حتى أسرع كعب، فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرمًا، وهكذا كانا - كعب وأبو هريرة - يتعاونان على نشر مثل هذه الخرافات. ومن العجيب أن يروي مثل هذا الخبر الغريب أيضاً وهب بن منبه في أثر غريب، فيرجع إليه من أراده^٤.

١. قال أبو رية: من روايات هذا الحديث: وطول آدم ستون ذراعاً. وقد انتقد هذا الحديث ابن حجر في فتح الباري، قال: ويشكل على هذا من الآن، الآثار للأمم السالفة كديار هاد و ثمود، فإن مساكنهم تدلّ على أنّ قاماتهم لم تكن مفرطة في الطول، على حسب ما يقضيه الترتيب الذي ذكره أبو هريرة. وأنكر مالك هذا الحديث (فضلاء على السنة للحديثية، ص ٢٠٨-٢٠٩ بالهامش).

٢. المصدر نفسه، ص ٢١٠.

٣. المصدر نفسه، ص ٢١٠-٢٠٧.

٤. راجع: غريب ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٣-٥١٤.

هلك أبو هريرة سنة (٥٩ هـ) عن (٨٠) سنة بقصره بالعقيق، وحُمل إلى المدينة ودفن بالبقيع، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان أميراً على المدينة تكريماً له. ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينمى إليه أبا هريرة، أرسل إليه معاوية: «انظر من ترك، وادفع إلى ورتته عشرة آلاف درهم، وأحسن جوارهم، وافعل إليهم معروفًا».

قال أبو ريرة: وهكذا يترادف رقدهم له حتى بعد وفاته^١.

قال السيد رشيد رضا بشأن أبي هريرة: كان إسلامه في سنة (٥٧ هـ)، فصحب رسول الله ثلاث سنين ونيقاً، فأكثر أحاديثه لم يسمها من النبي. وإنما سمعها من الصحابة والتابعين. فإذا كان جميع الصحابة عدولاً في الرواية - كما يقول جمهور المحدثين - فالتابعون ليسوا كذلك، وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأحمبار، وأكثر أحاديثه عنه، على أنه صرح بالسماع من النبي، في حديث «خلق الله التربة يوم السبت» وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه عن كعب. وكان يُكثر في أحاديثه النقل بالمعنى والإرسال - أي لا يذكر اسم الصحابي الذي سمع منه - ورواية الحديث بالمعنى كانت مثاراً لمشكلات كثيرة. كما أنه انفرد بأحاديث كثيرة، كان بعضها موضع الإنكار أو مظنته لغرابة موضوعها، كأحاديث الفتن والإخبار ببعض المقيّبات، إلى غيرها من علل ذكرها أهل النقد في الحديث^٢.

٦. وهب بن منبه

هو وهب بن منبه بن كامل اليمانيّ الصنعانيّ. وقال أحمد بن حنبل: كان من أبناء فارس. قيل: إن منبهاً من خراسان من أهل هراة، أخرجه كسرى من هراة إلى اليمن، فأسلم في عهد النبيّ وحسن إسلامه فسكن ولده في اليمن، وكان وهب بن منبه يختلف إلى هراة

١. المصدر نفسه، ص ٢١٨.

٢. مجلة المعارف، ج ١٩، ص ٩٧ (المواد على السنة للمحدثين، ص ٢١٨-٢١٩).

و يتفق أمرها. كان يقول: قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء. ولد سنة (٣٤هـ). ومات سنة (١١٠هـ). قيل: ضربه يوسف بن عمر حتى مات^١.
وقد أكثر من سرد الإسرائيليات، ونسب إليه قصص كثيرة، كانت مثاراً للنيل منه والظعن عليه، حتى رُمي بالكذب والتدليس، وإفساد عقول المسلمين.

٧. محمد بن كعب القرظي

هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، كان أبوه من سبى قريظة، من أولاد كهنة اليهود. وُلد سنة (٣٩هـ) ومات سنة (١١٧هـ). كان يقص في المسجد، فسقط عليه السقف، فمات هو وجماعة معه^٢.
فقد كان من القصاصين، يقصون على الناس عن كتب السلف وأساطيرهم، وفيها كان حثفه.

٨. ابن جرير

ابن جرير، عبد الملك بن عبدالعزيز بن جرير، من أصل رومي نصراني (٨٠-١٥٠هـ). هو أول من صنّف الكتاب بالحجاز. واعتمده الأئمة في الحديث والتفسير حسبما تقدّم عند الكلام عن الطرق إلى ابن عباس: الطريق الخامس، وذكرنا ثناء العلماء عليه وأنه أحد الأعلام النقات.

غير أن الأستاذ الذهبي عدّه من أقطاب الإسرائيليات وزعم أن أكثر ما يروى بشأن النصارى في التفسير، مأثور عنه...^٣

لكنّ الإسرائيليّة بما تحمله هذه الكلمة من وهن- لم تُعهد من ابن جرير، كما لم يُعهد منه ما يوهن شأنه في التحديث، مع توثيق الأجلء له، وقد وصفوه بسيد أهل الحجازا فراجع..

٢. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٤٢٠-٤٢٢.

١. كهلبيب التهذيب، ج ١١، ص ١٦٦-١٦٨.

٣. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٩٨.

مبدأ نشر الإسرائيليات

قد عرفت متع النبي ﷺ من مراجعة أهل الكتاب، متعه الباط، حتى الاستساخ من كتبهم فضلاً عن الرجوع إلى أقاويلهم. ومن ثم لم يكن يجرأ أحد من الصحابة أن يراجع أهل الكتاب أو يأخذ عنهم شيئاً من الأخبار، وذلك ما دام النبي على قيد الحياة.

وفي حديث عمر الآنف، لما زجره النبي ﷺ على استساخه عن كتب القوم، قام وقال متندماً على ما فرط منه: «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبك رسولاً».

وهكذا انتهج المسلمون منهجاً سليماً عن شوب أكدار أهل الكتاب، مدة حياته ﷺ، ومدة أيام أبي بكر، وطرفاً من أيام عمر.

ثم لما توسعت رقعة الإسلام وفاضت بلاد المسلمين بكثرة الوافدين، وفيهم الأجانب عن روح الإسلام، ممن لا معرفة له بأصول الشريعة، نرى أن هذا السد المنيع قد أزيل، وجعلت أكاذيب أهل الكتاب تتسرّب بين المسلمين، ولم تزل تتوسّع دائرتها مع توسّع البلاد.

هذا كعب الأخبار، أتى بخزعبلاته في هذا العهد، وأبدى عبد الله بن عمرو بن العاص بمفترياته عن زاملتيه أيضاً في هذا العهد، كما كظ أبو هريرة بمخاريقه في هذا الدور المتأخر عن حياة الرسول. وهكذا نرى عمر بن الخطاب قد أذن لتميم بن أوس الداري أن

١. حدّث عمر عن نفسه، قال: انتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا في يدك يا عمر؟ قلت: كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقال: يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي اختصاراً. ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تهزكوا، ولا يفرّتمكم السهوكون. فمقت وقلت: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك نبياً (طبري ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧).

وروي أحمد ياستاده عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتخبر وجه رسول الله ﷺ. قال عبد الله بن ثابت: فقلت لعمر: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ، فقال عمر: رضينا بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً. قال: فسرى عن النبي ﷺ وقال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم أتبعتموه وتركتموني لضللتكم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين (مسند أحمد ج ٤، ص ٢٦٥-٢٦٦).

يقصّ قصصه قائماً في المسجد النبوي، علانيةً على رؤوس الأَشْهاد في هذا العهد^١، كما أصاح بأذنيه لمخاريق كعب. يقول ابن كثير بعد ما ساق الروايات في أن الذبيح هو إسحاق: وهذه الأقوال كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديماً، فربما استمع له عمر، فترخّص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا ما عنده عنه، غتّها وسميتها، وليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد ممّا عنده^٢.

فقد كان العقد الثاني بعد وفاة الرسول ﷺ عهد رواج القصص الأسطورية والإسرائيليات، حسبما قال الدكتور أبو شهبه: إن بدعة القصص قد حدثت في آخر عهد الفاروق: عمر بن الخطاب^٣.



و هل كان هناك تكبير على هذا الفعل؟

كان عمر بين حين وآخر يشدّد التكبير على هذا الصنيع، ولكن من غير تداوم عليه، فكان هناك -رغم تشديد عمر- أناس يقومون بنسخ أو ترجمة كتب العهد القديم، والتحديث عنها بين المسلمين، أمّا المراجعة إلى أهل الكتاب والقصص على الناس فقد تعارف وشاع ذلك العهد.

أخرج الحافظ أبو يعلى الموصلي عن خالد بن عرفة، قال: كنت جالساً عند عمر، إذ أتني برجل مسكنه السوس^٤. فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم. قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم. فضربه بقنّاقه معه. فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ مَن تَلَّصَّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ التَّلَصُّصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ

١. سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٤٤٧.

٢. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

٣. الإسرائيليات والموضوعات، ص ٨٩.

٤. سوس: مدينة شوش التي بها قبر دانيال، من أرض خوزستان.

وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ»^١، فقرأها عليه ثلاثاً و ضربه ثلاثاً. فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مُرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحُ بالحميم والصفوف الأبيض، ثم لا تقرأه ولا تُقرئه أحداً من الناس، فلتن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنْهكتك عقوبةً.

ثم قال له عمر: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم. فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا في يدك يا عمر؟! قلت: كتاب نسخته لزيداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟، السلاح السلاح. فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم و خواتيمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تهوؤا ولا يفرنكم المتهوؤون». قال عمر: قممت و قلت: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً، ثم نزل رسول الله ﷺ.

و يقرب من ذلك ما أخرجه الحافظ أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي عن جبير بن نصير، حدثهم، قال: إن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر، فأرسل إليهما في من أرسل من أهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود صلاصة^٢، فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين، يقولون: إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة، وإن نهانا عنها رفضناها. فلما قدما عليه قال: إننا بأرض أهل الكتاب، وإننا نسمع منهم كلاماً تقشع منه جلودنا، أفأخذ منه أو نترك؟ فقال: لعلكما كتبتما منه شيئاً فقالا: لا. قال عمر: سأحدنكما:

انطلقت في حياة النبي ﷺ حتى أتيت خبير، فوجدت يهودياً يقول قولاً أعجني، فقلت: هل أنت مكتبي ممّا تقول؟ قال: نعم، فأتيت بأديم فأخذ يملي عليّ حتى كتبت في الأكرع^٣. فلما رجعت، قلت: يا نبي الله - وأخبرت - قال: انتني به. فانطلقت أرغب عن

٢. صلاصة: جمع صلاصة هي الصحيفة.

١. يوسف (١٢): ٣٠١.

٣. الأكرع: جمع الكرع: مقدم عظم الساق، والمقصود: العظام الرقيقة.

الشيء رجاء أن أكون جنت رسول الله ﷺ ببعض ما يُحِبُّ. فلَمَّا أُتيت به قال: اجلس اقرأ عليّ. فقرأت ساعة، ثم نظرت إلى وجه رسول الله ﷺ فإذا هو يستلون. فستحيرت من الفرق، فما استطعت أن أجزيه منه حرفاً. فلَمَّا رأى الذي بي رفعه^٢ ثم جعل يتبعه رسماً رسماً فيمحوه بريقه، وهو يقول: لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا وتهوكوا^٣، حتى معاه عن آخره حرفاً حرفاً.

قال عمر: فلو علمت أنكما كتبما شيئاً جعلتكما نكالا لهذه الأمة. قالوا: والله ما نكتب منه شيئاً أبداً. فخرجا بصلاصفتهما، فحفرا لها، فلم يألوا أن يُعمّقا، ودفناها. فكان آخر العهد منها^٤.



ولكن هل أثر تشديد عمر في الحدّ عن مراجعة أهل الكتاب؟ إنه لم يشدّد على مراجعتهم، وإنّما شدّد على الكتابة من كتبهم كما شدّد على كتابة الحديث. ومن ثمّ نراه قد أجاز للداريّ أن يقصّ على الناس، كما شاع القصّ في مسجد النبي ﷺ فضلاً عن سائر المساجد ذلك العهد.

وهكذا سار على منهجه في إجازة القصّ في المساجد، من جاء بعده من الخلفاء. وأصبح ذلك مرسوماً إسلامياً فيما بعد، كما حتّ عليه معاوية في إجازته لكعب أن يقصّ على الناس حسبما عرفت.



وبعد، فإنّ عصر الصحابة وهي الفترة بين وفاة النبي ﷺ وظهور التابعين في عرصة الغتيا والتفسير كان عصر نشوء الإسرائيليات وتسريها في التفسير والحديث، فضلاً عن التاريخ، ذلك أنّ غالبية الشؤون التاريخية كانت مما يرجع عهدا إلى تاريخ الأمم الماضية والأنبياء الماضين، وكان المرجع الوحيد لدى العرب حينذاك لمعرفة أحوالهم

٢. أي أخذه مني.

١. الفرق: الفرع.

٤. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٦٧-٤٦٨.

٣. الهوك: الحسن.

وتواريخهم هي التوراة وأهل الكتاب، فكانوا يراجعونهم ويأخذون عنهم بهذا الشأن. قال الأستاذ الذهبي: نستطيع أن نقول: إن دخول الإسرائيليات في التفسير، أمر يرجع إلى عهد الصحابة، وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل^١ مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل. ولقد كان الرجوع إلى أهل الكتاب، مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة^٢. فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهل ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص^٣.

ونحن إذ نصادق الذهبي في أن الصحابة - على وجه الإجمال - كانوا يراجعون أهل الكتاب، فيما أهتم عليهم من قصص القرآن، وكان أولئك يلقون إليهم ما كان لديهم من قصص وأساطير.

لكن لا نصادقه في حكمه ذلك على الصحابة على وجه العموم؛ إذ كان علماء الصحابة يابون الرجوع إلى غيرهم من ذوي المعلومات الكاسدة، بل كانوا يستكثرون من يراجعهم في قليل أو كثير؛ حيث وفرة المعلومات الصحيحة لدى علماء الأصحاب الكبار. وقد كان مستقاهم مسألة الرسول ﷺ مهبط الوحي ومعدن علوم الأولين والآخرين، فلم يدعوا صغيرة ولا كبيرة إلا سألوا عنها الرسول الكريم.

هذا ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ينادي برفيع صوته: هلاً من مستفهم أو مستعلم. ويستكر على أولئك الذين يراجعون أهل الكتاب ولديهم الرصيد الأوفر من

١. للأستاذ عبد الوهاب النجار في ملخص الاتهام محاولة في استخراج قصص القرآن من التوراة، ومقارنة بين ما

جاء في القرآن بصورة موجزة، وجاءت في التوراة (المعهد القديم) مبسطة.

٢. لا نصادقه في هذا الرأي، وإنما كان يراجع أهل الكتاب من قُلت بضاعته من الأصحاب.

٣. تفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٦٩.

ذخائر العلوم. فقد كان ابن عباس يُسيء الظن بأهل الكتاب حتى المسلمة منهم.

روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس، كان يقول:

«يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يُسبَّ^١. وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم^٢. وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، سفظ العلم و باب مدينة علم الرسول، وكذا عبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب وأمثالهم من أوعية العلم، لم يُحتمل بشأنهم الرجوع إلى كتابي قطّ. وهذا معلوم بالضرورة من التاريخ.



نعم، إنّما كان يراجع أهل الكتاب من الأصحاب، من لا بضاعة له ولا سابقة علم، أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر بن الخطّاب، وأبي هريرة وأضرابهم، من المفلسين المعوزين.

وقد سمعت مراجعة عبد الله بن عمرو بن العاص إلى أهل الكتاب ولا سيّما زاملتيه اللتين زعم أنّه عثر عليهما في واقعة اليرموك، وكذا أبو هريرة تربية كعب الأحبار. وقد ذكر أصحاب التراجم: أنّ عبد الله بن عمر بن الخطّاب كان ممن نشر علم كعب، وكان راوية له.

هذا عماد الدين ابن كثير عند كلامه عن قصّة هاروت وماروت يحكم بوضع هذه القصّة، وأنّ منشأها روايات إسرائيلية تدور حول ما نقله عبد الله بن عمر بن الخطّاب عن كعب الأحبار، وهي ممّا ألصقتها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام، وأنّ روايات الرفع إلى

١. لم يُسبَّ، أي كان محفوظاً عن الدس فيه، فهو كلام الله الخالص، من غير أن تشوّمه يد التديس.

٢. راجع: جامع البخاري، ج ٩، ص ٢٣٧ (باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة) و ج ٣، ص ١٣٦ (باب لا تسألوا أهل الكتاب).

النبي ﷺ غريبة جداً، قال:

«و أقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي ﷺ كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار. وهكذا روى ابن جرير بإسناده إلى سالم أنه سمع ابن عمر يحدث عن كعب الأحبار»^١.

وهذا أبو هريرة يراجع كعباً وابن سلام بشأن معرفة الساعة في يوم الجمعة، لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه - كما في الحديث عن رسول الله ﷺ -^٢. فيسألها عنهما: أي في جمعة بخصوصها، وأي ساعة من ساعاتها؟ فيجيبه كعب بأنها في جمعة واحدة من السنة. وعندما يعترض عليه أبو هريرة نظراً لإطلاق كلامه ﷺ نرى كعباً يراجع التوراة، فيعود ويقول: الصواب مع أبي هريرة... وهكذا يجيبه ابن سلام بأنها آخر ساعة من يوم الجمعة... فيرد عليه أبو هريرة بأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة فيها، فكيف وهو يدعو في صلاته حينذاك؟! فيقول له ابن سلام: «من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة...»^٣.



وهكذا تداومت مراجعة كتب العهدين وأهل الكتاب على عهد التابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم، على أثر تساهل السلف في ذلك، وصارت مهنة القصص على الناس عادة مألوفة بين المسلمين على طول التاريخ. فقد كانت هناك فئة تقصّ بالمساجد، وتذكر الناس بمواعظها وترغبهم وترهبهم. ولما كان هؤلاء - على أمثال أسلافهم المعوزين - ليسوا أهل علم ودراية، وكان غرضهم

١. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٢٨، راجع: البداية والنهاية، ج ١، ص ١٣٧، تفسير الطبري، ج ١، ص ٣٦٣ (حيث يحدث ابن

عمر عن كعب صريحاً).

٢. جامع البخاري، ج ٢، ص ١٦.

٣. إرشاد الساري للقطائين في شرحه لحديث الساعة، ج ٢، ص ١٩٠، راجع: التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٧٠-١٧١؛ الإبراهيميات والموطوعات، ص ١٠٣-١٠٤. ولابن حجر إشارة إلى ذلك في فتح الباري، ج ١، ص ٣٤٥.

استمالة العوام، فجمعوا يختلقون القصص والأساطير الخرافية، وروجوا الأباطيل. وفي هذا الكثير من الإسرائيليات و الخرافات العامية، ما يتصادم مع العقيدة الإسلامية، وقد تلقفها الناس منهم؛ لأنّ من طبيعة العوام الميل إلى المجانب والفرائب.

يقول ابن قتيبة بشأن القصاصين و شعوذتهم:

إنّهم يميلون وجه العوام إليهم، ويستدرّون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب من الأحاديث. ومن شأن العوامّ التعود عند القاصّ ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب. فإن ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، ويؤي الله وليه قصرأ من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون ألف مقصورة، في كلّ مقصورة سبعون ألف قبة، ولا يزال هكذا في السبعين ألفاً، لا يتحوّل عنها^١.

ومن هؤلاء القصاص، من كان يبتغي الشهرة والجاه بين الناس. ومنهم، من كان يقصد التعيش والارتزاق. ومنهم، من كان سيئ النية خبيث الطوية، يقصد الإفساد في عقائد الناس، وربما حجب جمال القرآن وتشويه سمعة الإسلام، بما يأتي من تفاسير باطلة وخرافات تنافي العقول.

قال أبو شهبة: وقد حدثت بدعة القصّ في آخر عهد عمر، وفيما بعد صارت حرفة، ودخل فيه من لا خلاق له في العلم، وقد ساعدهم على الإختلاق، أنّهم لم يكونوا من أهل الحديث والحفظ، وغالب من يحضرهم جهال. فجالوا وصالوا في هذا الميدان وأتوا بما لا يقضي منه العجب^٢.

و يظهر أنّه اتخذ القصص أداةً سياسية وراء ستار التذكير والترهيب، يستعين بها أرباب السياسات في دعم سياساتهم وتوجيه العامة نحوها، كالتي نشاهدّها. وقد حدثت في عهد معاوية، وهو أوّل من أبدع مزج السياسة بالوعظ الإرشادي، ومن ثمّ ارتفع شأن القصص حتّى أصبح عملاً رسمياً يعهد إلى رجال رسميين يُعطون عليه أجرأ. وفي كتاب

القضاء للكندي أن كثيراً من القضاة كانوا يعيّنون قصاصاً أيضاً. وأول من قصص بمصر سليمان بن عتر التّجيبّي في سنة (٣٨ هـ)، و جمع له القضاء و القصص، ثم عزل عن القضاء و أفرد بالقصص.

و هكذا أمر معاوية - في هذا الوقت - رجالاً يقصّون في المساجد بعد صلاة الصبح و بعد المغرب، يدعون له و لأهل و لآيته كلّ صباح و مساء.

و صورة القصص: أن يجلس القاصّ في المسجد و حوله الناس، فيذكّرهم الله و يقصّ عليهم حكايات و أحاديث و قصصاً عن الأمم السالفة، و أساطير و نحو ذلك، و لا يتحرّون الصدق ما دام الغرض هو الترغيب و الترهيب و التوجيه الخاص، مهما كانت الوسيلة، جرياً مع قاعدة «الغاية تُبرّر الوسيلة».

قال الليث بن سعد: هما قصصان: قصص العامة و قصص الخاصة. فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع إليه النفر من الناس يعظّمهم و يذكّرهم. فذلك مكروه لمن فعله و لمن استمعه. و أما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية، و لى رجالاً على القصص، فإذا سلّم من صلاة الصبح جلس و ذكر الله و حمده و مجّده و صلّى على النبيّ، و دعا للخليفة و لأهل و لآيته و حشمه و جنوده، و دعا على أهل حربته و على المشركين كافة^١.

و قد نما القصص بسرعة؛ لأنّه كان يتفق و سيول العامة، فضلاً عن اتّفاقها مع الاتجاهات السياسيّة الظالمة في الأغلب. و قد أكثر القصص من الأكاذيب و الافتعالات، يصحبها كثير من التّهّم و الافتراءات، فأتوا بالطامات الكبرى و ضلالات.

و قد عدّ الغزاليّ ذلك من منكرات المساجد المحرّمة و المبتدعات الباطلة، قال: فلا يجوز حضور مجلسه، إلّا على قصد إظهار الرّدّ عليه، فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة، قال الله تعالى لنبيّه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^٢.

١. الخطط المرفقة ج ٣، ص ١٩٩. منشورات دار المرفان، مطبعة الساحل الجنوبيّ. شبّاح - لبنان؛ فجر الاسلام، ص ١٦٠.

٢. إجماع علماء أبي حامد الغزاليّ، ج ٢، ص ٣٣١ (ط ١٩٣٩). الأنعام (٦): ٦٨.

و قد عرفت أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد^١.
 و من صفاقاتهم في ذلك، ما روي أنه صلى أحمد بن حنبل، و يحيى بن معين بمسجد
 الرصافة. فقام بين أيديهم قاصّ، فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين، قالوا:
 حدّثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قال: لا إله
 إلا الله خلق الله من كلّ كلمة طيراً منقاره من ذهب و ريشه من مرجان...» و أخذ في قصّة
 نحواً من عشرين ورقة.

فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، و يحيى ينظر إلى أحمد، يسأل أحدهما الآخر: هل أنت
 حدّثته بهذا؟! قال: والله ما سمعت بهذا إلا هذه الساعة.

فلما انتهى الخطيب القاصّ أشار إليه يحيى، فجاء متوهماً نوالاً، فقال له: من حدّثك
 بهذا؟ قال: أحمد بن حنبل و يحيى بن معين. فقال يحيى: أنا يحيى بن معين و هذا أحمد بن
 حنبل، ما سمعنا بهذا قطّ في حديث رسول الله. فإن كان و لا بدّ من الكذب فعلى غيرنا.
 فقال القاصّ: لم أزل أسمع أنّ يحيى بن معين و أحمد بن حنبل أحماق، ما تحقّقته إلا
 السّاعة. فقال له يحيى: و كيف؟ قال: كأنّه ليس في الدنيا أحمد بن حنبل و يحيى بن معين
 غيركما. لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل و يحيى بن معين!! فما كان منهما إلا أن
 رضيا من النقاش بالسلامة^٢.

و من يدري، فلعلّهما لو أطالا معه القول، لنالهما ما نال الشعبي، فقد دخل مسجداً، فإذا
 رجل عظيم اللحية، و حوله أناس يحدثهم، و هو يقول: إنّ الله خلق صورين، في كلّ صور
 نفختان. قال: فخففت صلاتي، ثم قلت له: اتق الله يا شيخ، إنّ الله لم يخلق إلا صوراً
 واحداً. فقال لي: يا فاجر، أنا يحدثني فلان و فلان، و تردّ عليّ! ثم رفع نعله و ضربني،
 فتتابع التوم عليّ ضرباً. فوالله ما أقلموا عني حتّى قلت لهم: إنّ الله خلق ثلاثين صوراً في
 كلّ صور نفختان!!^٣.

٢. راجع: تفسير القرطبي، ج ١، ص ٧٩.

١. ضحى الإسلام، ص ١٥٩، ١٦٠.

٣. الإسرائيليات و الموضوعات، ص ٩٠.

وهكذا كان القصاص مصدر شرّاً وبلاءً على الإسلام والمسلمين.

أقسام الإسرائيليات

قسّم الأستاذ الذهبي، الإسرائيليات تقسيمات ثلاثة:

١. تقسيمها إلى صحيح أو ضعيف أو موضوع.
 ٢. وإلى موافقتها لما في شريعتنا أو مخالفتها أو مسكوت عنها.
 ٣. وإلى ما يتعلق بالعقائد أو بالأحكام أو بالمواعظ والحوادث والعبر.
- وأخيراً حكم عليها بأنها متداخلة، يمكن إرجاع بعضها إلى بعض، كما يمكن أن ندخلها تحت الأقسام الثلاثة التالية: مقبول، ومردود، ومرتدّد فيه بين القبول والردّ.^١
- فالأحسن تقسيمها - حسب تقسيم الدكتور أبي شهبّة - إلى موافق لما في شرعنا، ومخالف، ومسكوت عنه.^٢

و تقسيم آخر أيضاً لعلمه أولى: إمّا منقول بالحكاية شفاهاً - وهو الأكثر المرويّ عن كعب الأحبار وابن سلام وابن منبّه وأمثالهم - أو موجود بالفعل في كتب العهدين الموجودة بأيدينا اليوم، وهذا أكثر ما ينقله أنمة الهدى، ولا سيّما الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام احتجاجاً على أهل الكتاب، وليس اعتقاداً بمضمونه.

ثمّ إنّ المنقول شفاهاً أو الموجود عيناً إمّا موافق لشرعنا أو مخالف أو مسكوت عنه. و لكلّ حكمه الخاصّ، نوجزه فيما يلي:

أما المنقولات الشفاهيّة، حسبما يحكيه أمثال كعب وابن سلام وغيرهما، فجلّها إن لم تقل كلّها، موضوع مختلق، لا أساس له، وإمّا مصدرها شائعات عاميّة أسطوريّة، أو أكاذيب افتعلها مثل كعب وابن سلام، أو عبد الله بن عمرو وأضرابهم؛ إذ لم نجد في الروايات عن هؤلاء ما يمكن الوثوق إليه. فهي بمجموعتها مردودة عندنا، حسبما تقتضيه قواعد النقد والتمحيص.

١. الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ٤٧-٥٤.

٢. الإسرائيليات والموطوعات، ص ١٠٦-١١٤.

إِنَّا نُسِيءُ الظَّنَّ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مَنْ لَمْ يُخْلِصُوا الْوَلَاءَ لِلْإِسْلَامِ وَ لَمْ يَمْحُضُوا النَّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ، كَمَا لَا نُنْقِ بِصِحَّةِ مَعْلُومَاتِهِمْ غَيْرَ الصَّادِرَةِ عَنْ تَحْقِيقِ رَصِينٍ، سِوَى الْإِعْتِمَادِ عَلَى الشَّائِعَاتِ الْعَامِّيَّةِ الْمُبْتَدَلَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُفْتَعَلَةً. إِنَّا نَجِدُ فِي طَيِّبَاتِ كَلَامِهِمْ بَعْضَ الْخَبْثِ وَاللُّؤْمِ الْمَتَّخِذِ تَجَاهَ مَوْضِعِ الْإِسْلَامِ الْقَوِيمِ، وَ رُبَّمَا كَانَ حَقْدًا عَلَى ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَ غَلْبَةِ الْمُسْلِمِينَ. فَحَاوَلُوا التَّشْوِيهَ مِنْ سَمْعَةِ الْإِسْلَامِ وَ التَّزْعِزَ مِنْ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ.

هذا هو الطابع العام الذي يتسم به وجه الإسرائيليات على وجه العموم.

قال الأستاذ أحمد أمين: وأما كعب الأحرار أو كعب بن ماتع اليهودي، كان من اليمن، وكان من أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، وكان كل تعاليمه - على ما وصل إلينا - شفوئية، وما نقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية وأساطيرها. قال: ونرى أن هذا القصاص هو الذي أدخل على المسلمين كثيراً من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية والنصرانية، كما كان باباً دخل منه على الحديث كذب كثير، وأفسد التاريخ بما تسرب منه من حكاية وقائع وحوادث مزيفة، أتعبت الناقد وأضاعت معالم الحق^١.

وهكذا قال ابن خلدون فيما سبق من كلامه: فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، وهؤلاء مثل كعب الأحرار وهب بن منبه وعبدالله بن سلام وأمثالهم، فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم، وهي أخبار موقوفة عليهم. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك^٢.



فعلى ما ذكره العلامة ابن خلدون تكون جلّ المنقولات عن هؤلاء الكتّابيين، لا وثوق بها؛ حيث مصدرها الشيع القوميّ، ولكلّ قوم أساطيرها المسطرة في تاريخ حياتها، يحكونها وينقلونها يداً بيد، وهذا التنقل حصل فيها التحريف والتبديل الكثير، بما ألحقها بالخرافات والأوهام، وهؤلاء أصحاب القوميات المختلفة، دخلوا في الإسلام ومعهم ثقافتهم وتاريخهم، أتوا بها وبثوها بين المسلمين.

قال الأستاذ أحمد أمين: إن كثيراً من الشعوب المختلفة ذوات التواريخ دخلت في الإسلام، فأخذوا يدخلون تاريخ أهمهم وبيئته بين المسلمين، إمّا عصبية لقومهم أو نحو ذلك. فكثير من اليهود أسلموا ومعهم ما يعلمون من تاريخ اليهودية وأخبار الحوادث، حسبما روت التوراة وشروحها، فأخذوا يحدثون المسلمين بها، وهؤلاء ربطوها بتفسير القرآن أحياناً، وبتاريخ الأمم الأخرى أحياناً. إن شئت فاقرأ ما في الجزء الأول من تاريخ الطبري تجد منه الشيء الكثير، مثل ما أسند عن عبد الله بن سلام، أنه تعالى بدأ بالخلق يوم الأحد، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل^١ - حسبما جاء في التوراة - وكثير من هذا النوع روي حول ما ورد في القرآن من قصص الأنبياء.

كذلك كان للفرس تاريخ، وكان لهم أساطير، فلما أسلموا رَووا تاريخهم ورووا أساطيرهم، وكذلك فعل النصارى. فكانت هذه الروايات والأساطير عن الأمم المختلفة مبنوثة بين المسلمين، ومصدراً من مصادر الحركة التاريخية عندهم^٢.

وعليه فنشطب على جميع ما ينقل عن أهل الكتاب فيما يمسّ تفسير القرآن أو تاريخ الأنبياء إذا كان نقلاً بالشفاه وليس مستنداً إلى نصّ كتاب قديم معتمد؛ حيث مصدرها الشيع العام، ولا اعتبار به أصلاً. وسنورد أمثلة لإسرائيليات دخلت على الإسلام، وكان مصدرها الشيع والأسطورية.

١. تاريخ الطبري، ج ١، ص ٣٢، مطبعة استقامة مصر، ١٣٥٨.

٢. فبحر الإسلام، ص ١٥٧.



ولمَّا تكلموا يقول: بعض ما نقل عن أهل الكتاب كان مصدره النقل من الكتاب، إمَّا يكتبونه منه أو ينقلونه عنه، كما في زاملتي عبد الله بن عمرو بن العاص، كان ينقل من كتب زعم العثور عليها في واقعة يرموك. وكما في نسخة عمر بن الخطاب التي جاء بها إلى النبي، اكتبها من كتب اليهود فيما حسب.

لكن لا يذهب عليك أن لا وثوق بنقلهم ولو عن كتاب، مادام الدسّ والتزوير شيمة يهودية جُبلوا عليها من قديم كانوا ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي من عند أنفسهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كذباً وزوراً ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^١.

وهذا هو الذي فهمه ابن عباس منذ أوّل يومه فعذّر الأخذ عنهم بتاتاً، قائلاً: وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشترّوا به ثمنًا قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم^٢.

أمَّا المراجعة إلى كتب السلف و تواريتهم من يونان أو فرس أو الهند أو اليهود أو غيرهم، فإنّ ذلك شيء آخر، يجب العمل فيه وفق سنن النقد والتحصيص، وعلى مناهج السبر والتحقيق، حسب المتعارف المعهود.

أمَّا التوراة، ففيها من الغثّ والسمين الشيء الكثير، وهو الكتاب الوحيد الذي احتوى على تاريخ الأنبياء وأمهم فيما سلف، مصحوباً بالأساطير والخرافات، شأن سائر كتب التاريخ القديمة. و التوراة كتاب تاريخ، قبل أن يكون كتاباً سماويّاً، وإنّما سمّيت بالتوراة، لاحتوائها على تعاليم اليهود، والتي جاء بها موسى من شرائع وقامت موضع الدسّ والتحريف، ومن ثمّ فالمراجعة إليها بحاجة إلى نقد وتحقيق، وليس أخذاً برأسه. وفي العهد القديم جاءت تفاصيل الحوادث ممّا أوجز بها القرآن وطواها في سرد قضايا قصار، أخذاً بمواضع غيرها دون بيان التفصيل، فتجاوز المراجعة إلى تلکم

التفاصيل لرفع بعض المبهمات في القضايا القرآنية، ولكن على حذر تام وفق التفصيل التالي:

فالموجود في كتب السلف - فيما يمسّ المسائل القرآنية - إما موافق مع شرعنا في أصول مبانيه وفي الفروع، أو مخالف أو مسكوت عنه. فالمخالف منبوذ لا محالة، لأن ما خالف شريعة الله فهو كذب باطل، وأما المسكوت عنه فالأخذ به وتركه سواء، شأن سائر أحداث التاريخ. وإليك أمثلة على ذلك:

١. أمثلة على الموافقة

(أ) جاء في المزمير، المزمور (٣٧) عدد (١٠):

«أَمَا الْوُدْعَاءُ فِيرثُونَ الْأَرْضَ وَيَتَلذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلَامَةِ».

وفي عدد (٢٢): «لأنّ المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون».

وفي عدد (٢٩): «الصدّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد».

وجاء تصديق ذلك في القرآن، في قوله تعالى، في سورة الأنبياء: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»^١.

قوله: «مِن بَعْدِ الذِّكْرِ» حيث البشارة في مزامير داود (الزبور) جاءت بعد مواعظ

وتذكير.

(ب) وجاء في سفر التثنية إصحاح (٣٢) ع (٣) وصية جامعة لنبيّ الله موسى عليه السلام جاء

فيها وصف الربّ تعالى بالعدل والحكمة والعظمة، على ما جاء به القرآن الكريم.

يقول فيها: «إِنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ أَنَادِي، أَعْطُوا عِظْمَةَ لِإِلَهِنَا، هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صُنِيْعُهُ^٢، إِنَّ

جميع سبله عدل، إله أمانة لا جور فيه، صديق و عادل هو».

١. الأنبياء (٢١): ١٠٥.

٢. الصخر هنا: كتابة عن الحجر الأساسي، فيه القوة والصلابة.

(ج) وجاء في لاويين إصحاح (١٢) ع (٤) شريعة الغتان، كما هو في الإسلام: «و في اليوم الثامن يُخْتَن لحم عُرْلته». و الفُرْلة: القُلْفَة، وهي جلدة عضو التناسل.
 (د) و في سفر التثنية إصحاح (١٤) ع (٨) جاء تحريم لحم الخنزير، لأنه نجس لا يجتزأ.
 «... و الخنزير، لأنه يشقّ الظلف، لكنّه لا يجتزأ، فهو نجس لكم».

٢. أمثلة على المخالفة

و الأمثلة على مخالفة ما جاء في التوراة الموجودة مع ما في القرآن فهي كثيرة جداً، فضلاً عن مخالفته للفطرة و العقل الرشيد، على ما فصلناه في مباحثنا عن الإعجاز التشريعي للقرآن، و مقارنة بعض ما جاء فيه، مع ما في كتب العهدين.^١
 إنك تجد في كتب العهدين مخالفات كثيرة مع شريعة العقل فضلاً عن شريعة السماء، فمثلاً تجد فيها ما يتناقى و مقام عصمة الأنبياء ما يُذهلك:

ففي سفر التكوين (إصحاح ١٩، ع ٣٦-٣٧): أن ابنتي لوط سقتا أباهما الخمر فاضطجعتا معه.

و في الملوك الأول (إصحاح ١١): أن سليمان عبّد أوثاناً، نزولاً إلى رغبة نساته.
 و في الخروج (إصحاح ٣٢، ع ٢١-٢٤): أن هارون هو الذي صنع المعجل و ليس السامري.

كما تفرض التوراة عقوبة البهائم (الخروج، إصحاح ٢١، ع ٢٨).
 و نجاسة من مسّ ميتاً إلى سبعة أيام (سفر العدد، إصحاح ١٩، ع ١١-١٦).
 و أمثالها كثير.

٣. أمثلة على المسكوت عنه

و الأمثلة على المسكوت عنه في شرعنا على ما جاء في كتب السالفين أيضاً كثيرة في

كثير، كان شأنها شأن سائر الأحداث التاريخية التي جاءت في الكتب القديمة.
ولعل الحديث الوارد: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»^١ ناظر إلى هذا النوع
من المسكوت عنه في شرعنا، لا نعلم صدقه عن كذبه؛ لأنهم خلطوا الحق بالباطل. فلو
صدّقناه فلعلّه الباطل، أو كذبناه فلعلّه الحق. قال عليه السلام: «فيخبروكم بحق فتكذبوا به،
أو يباطل فتصدقوا به»^٢.

وهكذا قال عبد الله بن مسعود:

«لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم - أي لن يخلصوا لكم النصح - وقد أضلّوا
أنفسهم، فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل»^٣.

وعليه فيجب الحذر فيما لم نجد صدقه ولا كذبه في المأثور من شرعنا الإسلامي
ويلزم إجراء قواعد النقد والتمحيص - التثبت - فيما وجدناه في كتب القوم من آثار
وأخبار.

هذه قصة يوسف عليه السلام جاءت مواضع غيرها في القرآن وترك الباقي، وقد تعرّض
لتفاصيلها العهد القديم. وهكذا سائر قصص الأنبياء، وفيها الغث والسمين.

نماذج من إسرائيليّات مبثوثة في التفسير

سبق القول بأنّ في التفسير من الإسرائيليّات طامات وظلمات، أصبحت مثاراً للشكّ
والظنن والتقول على الإسلام ومقدّساته. ويرجع أكثر اللوم على الأوائل الذين زجّوا
بتلكم الأساطير اليهودية وغيرها في التفسير والحديث والتاريخ، وهكذا تساهل أهل
الحديث في جمع وثبت تلكم الإسرائيليّات في كتبهم، أمثال أبي جعفر الطبري، وجلال
الدين السيوطي، وأضرابهما من أرباب كتب التفسير بالمأثور.

وقد أخذ على تفسير ابن جرير، أنّه يذكر الروايات من غير بيان وتمييز بين صحيحها

٢. منه احدث ج ٣، ص ٣٨٧.

١. جامع البخاري، ج ٩، ص ١٣٦.

٣. فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٥٩.

وسقيهما، ولعله كان يحسب أن ذكر السند - ولو لم ينص على درجة الرواية قوة وضعفاً - يخلي المؤلف عن المؤاخذه والتبعات. وتفسيره هذا مشحون بالروايات الواهية والمنكرة والموضوعات والإسرائيليات، وذلك فيما يذكره في الملاحم والفتن وفي قصص الأنبياء، وحتى في مثل قصص نبيتنا عليها السلام كما في قصة زينب بنت جحش، على ما يرويها القصاص والمبطلون، وأمثالها كثير.

كما أخذ على تفسير الدر المنثور، أنه وإن عزى الروايات إلى مخرجها، لكن لم يبين منزلتها من الصحة والضعف أو الوضع، وليس كل قارئ يمكنه معرفة ذلك بمجرد ذكر السند أو المصدر المخرج منه، ولا سيما في عصورنا المتأخرة. ولعله أيضاً من المحدثين الذين يرون أن إبراز السند أو المخرج يخلي من المهدة والتبعة. وفي الكتاب إسرائيليّات وبلايا كثيرة، ولا سيما في قصص الأنبياء؛ وذلك مثل ما ذكره في قصة هاروت وماروت، وفي قصة الذبيح وأنه إسحاق، وفي قصة يوسف، وفي قصة داود، وسليمان، وفي قصة إلياس. وأسرف في ذكر المرويّات في بلاء أيّوب. ومعظمها ممّا لا يصح ولا يثبت، وإمّا هو من الإسرائيليات التي سردها بنو إسرائيل وأكاديبهم على الأنبياء. وهذان التفسيران هما الأساس لبثّ ونشر الإسرائيليات، فيما تأخّر من كتب التفسير. وسنعرض منها نماذج:

١. الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت^١

روى السيوطي في الدر المنثور، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمارُوتَ﴾^٢ روايات كثيرة وقصصاً عجيبة، رويت عن ابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وكعب، والربيع، والسدي. رواها ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن مردويه، والحاكم، وابن المنذر، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، والخطيب في تفاسيرهم

١. تركنا الفلم هنا بيد الدكتور محمد بن محمد أبي شهبة في كتابه «الإسرائيليات والموضوعات» فقد استوفى هذا الجانب استيفاءً كاملاً واستقصى الإسرائيليات بشكل رتيب، ومن ثمّ فقد اقتبسنا ممّا ذكره، مع شيء من التصرف أحياناً. راجع: كتابه، ص ١٥٩-٣٠٥. ٢. البقرة (٢): ١٠٢.

وكتبهم^١.

و خلاصتها: أنه لما وقع الناس من بني آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي رب، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك، وطاعتك، وقد ركبوا الكفر، وقُتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقه، والزنى، وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، ولا يُعذرونهم، فقليل لهم: إنهم في غيب، فلم يعذروهم. وفي بعض الروايات: أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعلمتم مثل أعمالهم، قالوا: سبحانك، ما كان ينبغي لنا. وفي رواية: قالوا: لا، فقليل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمرى، وأنهاهما عن معصيتي. فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وركبت فيهما الشهوة، وأمر أن يعبد الله، ولا يشركا به شيئاً، ونُهي عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقه، والزنى وشرب الخمر. فلبثنا على ذلك في الأرض زماناً، يحكمان بين الناس بالحق، وذلك في زمان إدريس. وفي ذلك الزمان امرأة حُسنها في سائر الناس كحُسن الزهرة في سائر الكواكب وأنها أتت إليهما فخضعا لها بالقول، وأنها راوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأنها سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنماً، فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا، فذهبا فصبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها، فخضعا لها بالقول، وراوداها فأبت إلا أن يكونا على دينها، وأن يعبد الصنم الذي تعبده، فأبيا، فلما رأت أنها قد أبيا أن يعبد الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر. فقالا: كل هذا لا ينبغي، وأهون الثلاثة شرب الخمر، وسقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها. فمرّ بهما إنسان، وهما في ذلك، فخشيا أن يفتسي عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا. وكشف الغطاء فيما بينهما، وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب، وعرفوا أن من كان في غيب فهو

١. اللذلمتور، ج ١، ص ٩٧-٩١٠ تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٣٦٧-٣٦٢ (ط بولاق).

أقلّ خشية؛ فجمعوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض. فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة، قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فينقطع، ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فجُعلا ببابل، فهما بها يُعذبان معلقين بأرجلهما. وفي بعض الروايات، أنهما علّماها الكلمة التي يصعدان بها إلى السماء، فصعدت، فمسخها الله، فهي هذا الكوكب المعروف بالزهرة.

و يذكر السيوطي وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في مسنده، عن عائشة: أنها قدمت عليها امرأة من دومة الجندل، وأنها أخبرتها أنها جيء لها بكليين أسودين فركبت كلباً، وركبت امرأة أخرى الكلب الآخر، ولم يمض غير قليل، حتى وقفتا ببابل. فإذا هما برجلين معلقين بأرجلهما، وهما هاروت وماروت، واسترسلت المرأة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة.

و يذكر أيضاً: أن ابن المنذر أخرج من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رباب، قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده رجل قد تئيت له وسادة، وهو متكئ عليها، فقالوا: هذا قد لقي هاروت وماروت، فقلت هذا، قالوا: نعم، فقلت: حدثنا رحمك الله، فأنشأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة^١.

وكلّ هذا من خرافات بني إسرائيل، وأكاذيبهم التي لا يشهد لها عقل ولا نقل ولا شرع، ولم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة والتابعين، ولكنهم أوغلوا باب الإثم، والتجني الفاضح، فألصقوا هذا الزور إلى النبي ﷺ ورفعوه إليه.

فقد قال السيوطي: أخرج سعيد، وابن جرير، والخطيب في تاريخه، عن نافع، قال: سافرت مع عبد الله بن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع، انظر هل طلعت الحمراء؟ قلت: لا، مرتين أو ثلاثاً، ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحباً بها، ولا أهلاً. قلت: سبحان

الله! نجم مسخّر، سامع، مطيع!! قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إنني ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنّا مكانهم ما عصيناك. قال: فاخترتوا ملكين منكم، فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاخترتوا هاروت وماروت، فنزلا، فألقى الله عليهم الشبق. قلت: وما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت امرأة يقال لها: الزهرة، فوقعت في قلبيهما، فجعل كل واحد منهما يُخفي عن صاحبه ما في نفسه، ثم قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم، فطلبها لأنفسهما، فقالت: لا أمكنكما حتى تعلّمانني الاسم الذي ترجان به إلى السماء، وهبطان، فأبيا، ثم سألاها أيضاً، فأبت، فعلا، فلما استطيرت طمسها الله كوكباً، وقطع أجنحتهما. ثم سألا التوبة من ربّهما، فخيرهما بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فاخترتا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما: أن اتنيا «بابل»^١. فانطلقا إلى بابل، فحسف بهما، فهما منكوسان بين السماء والأرض، معذبان إلى يوم القيامة.

ثم ذكر أيضاً رواية أخرى، مرفوعة إلى النبي ﷺ لا تخرج في معناها عمّا ذكرنا^٢، ولا ينبغي أن يشكّ مسلم عاقل فضلاً عن طالب حديث في أن هذا موضوع على النبي ﷺ مهما بلغت أسانيده من الثبوت، فما بالك إذا كانت أسانيدنا واهية، ساقطة، ولا تخلو من وضاع، أو ضعيف، أو مجهول؟! و نصّ على وضعه أئمة الحديث^٣. وهكذا فنّده الأئمة من آل البيت ﷺ:

قال الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ ﷺ وقد سُئل عن الذي يقوله الناس بشأن الملكين هاروت وماروت، وأنهما عصيا الله، قال: «معاذ الله من ذلك، إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والتبائح بالطواف الله تعالى.

١. بابل: بلد من أوساط العراق قرب الحلة.

٢. الدر المنثور، ج ١، ص ١٩٧ قصير الطبري، ج ١، ص ٣٦٤-٣٦٥.

٣. راجع: الموضوعات، ج ١، ص ١١٨٧ البداية والنهاية، ج ١، ص ٣٧.

فقد قال الله ﷻ فيهم: «لَا يَحْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَقْتُلُونَ مَا يُمْرُونَ»^١.

وقال: «وَرَأَى مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - يعني الملائكة - لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»^٢.

وقال - في الملائكة -: «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْتَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ»^٣.

وهكذا سأل الخليفة المأمون العباسي الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عما يرويه الناس من أمر «الزهرة» وأنها كانت امرأة، فتن بها هاروت وماروت، وما يرويه الناس من أمر «سهيل»، وأنه كان عشيراً باليمن.

فقال الإمام: كذبوا في قولهم: إنهما كوكبان، وإنما كانتا دابتين من دواب البحر. وغلط الناس إنهما كوكبان، وما كان الله تعالى ليمسح أعداءه أنواراً مضيئة، ثم يُقيهما ما بقيت السماء والأرض.^٤

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تفسير الآية:

كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة والموهون، فبعث الله تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة وذكر ما يبطل به سحرهم وبرد كيدهم. فتلقاه النبي عن الملكين وأداه إلى عباد الله بأمر الله، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس. وهذا كما يدل على السُّم ما هو، وعلى ما يدفع به غائلته. ثم يقال لمتعلم ذلك: هذا السُّم فمن رأيتهُ سُم فادفع غائلته بكذا، وإياك أن تقتل بالسُّم أحداً.^٥

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام بشأن الشياطين في الآية:

لما مات سليمان النبي عليه السلام وضع الشيطان السحر وكتبه في كتاب ثم طواه، وكتب على

١. التحريم (٦٦): ٦.

٢. الأنبياء (٢١): ٢٠-١٩.

٣. الأنبياء (٢١): ٢٦-٢٨؛ راجع: تفسير الإمام الحسن العسكري، ص ١٤٧٥. حيون أخبار الرضا للصدوق، ج ١، ص ٣٠٨-٢١١ (ط نجف)؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٩.

٤. حيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢١١ (ط نجف).

٥. تفسير الإمام الحسن العسكري، ص ٤٧٣.

ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا فليعمل كذا، ثم دقنه تحت سرير سليمان، ثم استتاره لهم فقراه، فقال الكافرون: ما كان سليمان يقلبنا إلا بهذا، فقال الله: ﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ - بِأَعْمَالِ السَّحَرِ - وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾^١.



٢. إسرائيلية في المسوخ

و يوغل بعض مسلمة أهل الكتاب، فيضعون على النبي ﷺ خرافات في خلق بعض أنواع الحيوانات التي زعموا أنها مسخت. ولو أن هذه الخرافات نسبت إلى كعب الأخبار وأمثاله أو إلى بعض الصحابة والتابعين، لهان الأمر، ولكن عظم الإثم أن ينسب ذلك إلى المعصوم ﷺ، وهذا اللون من الوضع والدس من أخبث وأقذر أنواع الكيد للإسلام ونبي الإسلام.

فقد قال السيوطي بعد ما ذكر طائمات و بلايا في قصة هاروت و ماروت، من غير أن يعلق عليها بكلمة:

أخرج الزبير بن بكار في الموفقيات، وابن مردويه، والديلمي، عن عليّ: أن النبي ﷺ سئل عن المسوخ^٢، فقال: هم ثلاثة عشر: الفيل، والدب، والخنزير، والقرد، والجرث^٣، والضب، والوطواط، والعقرب، والدعموص، والعنكبوت، والأرنب، وسهيل، والزهرة. فقيل: يا رسول الله، وما سبب مسخهن؟ - وإليك التخريف والكذب الذي بُرئ ساحة رسول الله منهما - فقال:

أما الفيل فكان رجلاً جبّاراً لوطياً، لا يدع رطباً ولا يابساً. وأما الدب فكان مؤثماً يدعو الناس إلى نفسه. وأما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، فلما نزلت

٢. جمع مسخ، أي المسوخ من حالة إلى حالة أخرى.

١. فظهر القضي، ج ١١، ص ٥٥ (ط نجف).

٣. في القاموس «الجرث كسكين: سمك».

كفروا. وأما القردة فيهود اعتدوا في السبت. وأما الجرّيث فكان ديوثاً، يدعو الرجال إلى حليلته. وأما الضبّ فكان أعرابياً يسرق الحاجّ بمحجنه. وأما الوطواط فكان رجلاً يسرق الثمار من رؤوس النخل. وأما العقب فكان رجلاً لا يسلم أحد من لسانه. وأما الدعوص^٢ فكان نعاماً يفرّق بين الأحبة. وأما العنكبوت فامرأة سحرت زوجها. وأما الأرنب فامرأة كانت لا تظهر من حياضها. وأما سهيل فكان عشيراً باليمن. وأما الزهرة فكانت بنتاً لبعض ملوك بني إسرائيل افتتن بها هاروت وماروت!!

ألا قبح الله من وضع هذا الزور والباطل، ونسبه إلى من لا ينطق عن الهوى. ومثلاً لا يقضي منه العجب أن السيوطي ذكر هذا الهراء من غير سند، ولم يعقب عليه بكلمة استتكار. ومثل هذا لا يشكّ طالب علم في بطلانه، فضلاً عن عالم كبير. وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وقد ذكره السيوطي في اللئالي؛ وتعقبه بما لا يجدي، وكان من الأمانة العلمية أن يشير إلى هذا.

وبعد هذا الكذب والتخريف ينقل السيوطي ما رواه الطبراني في الأوسط عن عمر ابن الخطاب، قال: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ في غير حينه، ثم ذكر قصّة طويلة في وصف النار، وأن النبي بكى، وجبرئيل بكى، حتى نوديا: لا تخافا إن الله أمسكما أن تعصياه^٣.



٣. الإسرائيليات في بناء الكعبة: البيت الحرام والحجر الأسود

وكذلك أكثر السيوطي في تفسيره الدرّ المنثور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؛ من النقل عن الأزرق، وأمثاله من المؤرّخين والمفسّرين الذين هم كحاطبي ليل،

١. الديوث: الذي لا يخار على زوجته.

٢. الدعوص - بضمّ الدال: دويبة أو دودة سوداء، تكون في الفدران إذا أخذ ماؤها في الثّسوب.

٣. الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٠٢ و ١٠٣. ٤. البقرة (٢): ١٢٧.

ولا يميزون بين الفتى والسمين، والمقبول والمردود، في بناء البيت، ومن بناه قبل إبراهيم؛ أ هم الملائكة أم آدم؟ والحجر الأسود؛ ومن أين جاء؟ وما ورد في فضلها. وقد استغرق في هذا النقل الذي معظمه من الإسرائيليات التي أخذت عن أهل الكتاب بضع عشرة صحيفة^١، لا يزيد ما صحح منها أو ثبت عن عشر هذا المقدار.

وفي الحق: أن ابن جرير كان مقتصداً في الإكثار من ذكر الإسرائيليات في هذا الموضوع، وإن كان لم يسلم منها، وذكر بعضها؛ وذلك مثل ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ: إِنِّي مَهْبِطٌ مَعَكَ بَيْتاً يَطَافُ حَوْلَهُ كَمَا يَطَافُ حَوْلَ عَرْشِي، وَيُصَلَّى عِنْدَهُ، كَمَا يُصَلَّى عِنْدَ عَرْشِي. فَلَمَّا كَانَ زَمَنَ الطُّوفَانِ، رُفِعَ، فَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ يَحْجُونَ، وَلَا يَظَلُّونَ مَكَانَهُ، حَتَّى بَوَّأَهُ اللهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَعْلَمَهُ مَكَانَهُ، فَبَنَاهُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبَلٍ: مِنْ حِرَاءَ، وَثَبِيرٍ، وَلَبْنَانَ، وَجَبَلِ الطُّورِ، وَجَبَلِ الْحَمْرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وأعجب من ذلك ما رواه بسنده عن عطاء بن أبي رباح، قال: «لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ كَانَ رَجُلَاهُ فِي الْأَرْضِ، وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ! يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَدَعَاءَهُمْ، يَأْنَسُ إِلَيْهِمْ؛ فَهَابَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى شَكَتَ إِلَى اللهِ فِي دَعَائِهَا، وَفِي صَلَاتِهَا فَخَفَّضَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَمَّا قَدَّمَ مَا كَانَ يَسْمَعُ مِنْهُمْ اسْتَوْحَشَ حَتَّى شَكَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ فِي دَعَائِهِ وَفِي صَلَاتِهِ، فَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ مَوْضِعَ قَدَمِهِ قَرِيَةً، وَخَطْوُهُ مَفَازَةً، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَّةَ، وَأَنْزَلَ اللهُ يَاقُوتَهُ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ، فَكَانَتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ الْآنَ، فَلَمْ يَزَلْ يَطُوفُ بِهِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ الطُّوفَانَ، فَرُفِعَتْ تِلْكَ الْيَاقُوتَةُ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ فَبَنَاهُ؛ فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^٢ إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وخرافاتهم.



١. الدر المنثور ج ١، ص ١٢٥، ١٣٧.

٢. ولا أدري كيف يخجونه ولا يظلمون مكانه؟

٣. تفسير ابن جرير، ج ١، ص ٤٢٨ و ٤٢٩. المعج (٢٢): ٢٦.

٤. الإسرائيليات في قصة إخراج آدم ﷺ

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^١

فمن تلك الإسرائيليات ما رواه ابن جرير في تفسيره بسنده عن وهب بن منبه قال: لما أسكن الله آدم وزوجته ونهاهما عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم^٢، وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت للحية أربعة قوائم، كأنها بُخْتِيَّة^٣ من أحسن دابة خلقها الله. فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريعها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم، فقالت له مثل ذلك، حتى أكل منها؛ فبذت لهما سوءاتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هنا يا رب. قال: ألا تخرج؟ قال: أستحيي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها، لعنة يتحول ثمرها شوكة. ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدي، فإنك لا تحملين حملاً إلا حملته كرهاً، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً. وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غرّ عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم، وهم أعداؤك. قال عمرو^٤: قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء^٥.

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة نحو

هذا الكلام^٦.

١. البقرة (٢): ٣٦.

٢. وهي الأنثى من الجمال البخت، والذكر البختي، وهي جمال طوال الأعناق.

٣. هو الراوي عن وهب، وهو عمرو بن عبد الرحمان بن مهرب.

٤. هذا تهرب من الجواب، وعجز عن تصحيح هذا الكذب الظاهر.

٥. تفسير الطبري، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٧.

وكذلك ذكر السيوطي في الدر المنثور ما رواه ابن جرير وغيره في هذا، متأزوي عن ابن عباس وابن مسعود، ولكنه لم يذكر الرواية عن وهب بن منبه، وأغلب كتب التفسير بالرأي ذكرت هذا أيضاً. وكل هذا من قصص بني إسرائيل الذي تزيدوا فيه، وخططوا حقاً بباطل، ثم حمله عنهم الضعفاء من الصحابة والتابعين، وفسروا به القرآن الكريم. ولقد أحسن ابن جرير، فقد أشار بذكره الرواية عن وهب إلى أن ما يرويه عن ابن عباس، وابن مسعود، إنما مرجعه إلى وهب وغيره من مسلمة أهل الكتاب، ويا ليت له لم ينقل شيئاً من هذا، ويا ليت من جاء بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا. وفي رواية ابن جرير الأولى ما يدل على أن الذين رواها عن وهب وغيره كانوا يشكون فيما يروونه لهم، فقد جاء في آخرها: (قال عمرو: قيل لو هب: وما كانت الملائكة تأكل؟! قال: يفعل الله ما يشاء) فهم قد استشكلوا عليه: كيف أن الملائكة تأكل؟! وهو لم يأت بجواب يعتد به.

وسوسة إبليس لآدم ﷺ لا تتوقف على دخوله في بطن الحية: إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب ولا مشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه. والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا، ولم تكن لها قوائم كالبعثتي، ولا شيء من هذا!



٥. الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين

ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها كتب التفسير، ما يذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَسُدُّكُمَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾^٣.

فقد ذكر الجلال السيوطي في الدر المنثور كثيراً من الروايات في صفة هؤلاء القوم،

١. الدر المنثور، ج ١، ص ٥٣.

٢. راجع: سفر التكوين، إصحاح ٣، لتزبد اطمئناناً أنها من الإسرائيليات!

٣. المائدة (٥): ٢٢.

وعظم أجسادهم، مما لا يتفق وسنة الله في خلقه، ويخالف ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وذلك مثل ما أخرجه ابن عبد الحكم عن أبي ضمرة قال: استظل سبعون رجلاً من قوم موسى في خُفّ رجل من العماليق!! ومثل ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن يزيد بن أسلم قال: بلغني أنه رؤيت ضيع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل من العماليق!! ومثل ما رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه، حتى نزل قريباً من المدينة، وهي «أريحاء» فبعث إليهم اثني عشر نقيباً، من كل سبط منهم عين، ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة، فرأوا امرأة عظيماً من هيبتهم، وجسمهم وعظمتهم، فدخلوا حائطاً - أي بستاناً - لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار، فنظر إلى آثارهم فتبعهم، فكلما أصاب واحداً منهم أخذه، فجعله في كُفّه مع الفاكهة وذهب إلى ملكهم، فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوه من أمرهم، فقال: اكنموا عنا، فجعل الرجل يخبر أخاه وصديقه، ويقول: اكنم عني، فأشيع في عسكرهم، ولم يكتم منهم إلا رجلاً: يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا، وهما اللذان أنزل الله فيهما: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكُتُمُ غَالِبُونَ﴾^١.

ويروي ابن جرير بسنده، عن مجاهد، نحواً مما قدّمنا، ثم يذكر أن عنقود عنبهم لا يعمله إلا خمسة أنفس، بيتهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة^٢، إلى غير ذلك من الإسرائيليات الباطلة.

٦. خرافة هوج بن هوق^٣

ومن الإسرائيليات الظاهرة البطلان، التي ولع بذكرها بعض المفسرين والأخباريين،

١. المائدة (٥): ٢٣. ٢. تفسير الطبري، ج ٦، ص ١١٢، وهدى المستور، ج ٢، ص ٢٧٠.

٣. منهم من يقول: ابن هوق، ومنهم من يقول: ابن عنق كما ذكر ابن كثير، وفي القلوس: «و هوج بن هوق رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى، و ذكر من عظم خلقه شاعة».

عند ذكر الجبارين: قصّة عُوْج بن عُوق، وأنّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وأنّه كان يمسك العوت، فيشويه في عين الشمس، وأنّ طوفان نوح لم يصل إلى ركبتيه^١، وأنّه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح، وأنّ موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع، ووثب في الهواء عشرة أذرع، فأصاب كعب عُوْج فقتله، فكان جسراً لأهل النيل سنة، إلى نحو ذلك من الخرافات، والأباطيل التي تصادم العقل والنقل، وتخالف سنن الله في الخليقة. فمن تلك الروايات الباطلة المخترعة ما رواه ابن جرير بسنده عن أسباط، عن السُدِّي، في قصّة ذكرها من أمر موسى وبني إسرائيل، وبعث موسى النقاء الاثني عشر، وفيها: فلقيهم رجل من الجبارين يقال له: عُوْج، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حجزته^٢، وعلى رأسه حملة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنّهم يريدون أن يقاتلونا، فطرحهم بين يديها، فقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: بل خلّ عنهم، حتّى يُخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك. وكذلك ذكر مثل هذا وأشنع منه غير ابن جرير والسيوطي بعضُ المفسرين والقاصيين، وهي كما قال ابن قتيبة: أحاديث خرافة، كانت مشهورة في الجاهليّة، ألصقت بالحديث بقصد الإفساد^٣.

وإليك ما ذكره الإمام الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره، قال: وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخباراً من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنّ منهم عُوْج بن عُتْق بنت آدم عليه السلام، وأنّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً، وثلث ذراع، تحرير الحساب، وهذا شيء يُستحى من ذكره، ثمّ هو مخالف لما ثبت في الصحيحين: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لئن الله خلق آدم، وطوله ستون ذراعاً، ثمّ لم يزل الخلق ينقص حتّى الآن»^٤، ثمّ ذكروا: أنّ هذا الرجل كان كافراً، وأنّه كان

١. لعله كان أشمخ من أعلى الجبال على الأرض!!

٢. الحجزة: موضع التكة من السروال.

٣. تأويل مختلّف الحديث، ص ١٢٨٤ روح المعاني للأكروسي، ج ٦، ص ٩٥.

٤. هذا أيضاً حديث باطل! وقد نبهنا عليه في التفسير.

ولد زنيّة، وأنّه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأنّ الطوفان لم يصل إلى ركبتيه. وهذا كذب وافتراء، فإنّ الله تعالى ذكر: أنّ نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿وَرَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَهَاباً﴾^١. وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَسْرَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾^٢. وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ﴾^٣. وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر، وولد زنيّة؟! هذا لا يسوغ في عقل، ولا شرع، ثمّ في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق، نظر، والله أعلم.^٤ وقال ابن قيّم الجوزيّة، بعد أن ذكر حديث عوج: «وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث، وكذب على الله، وإنّما العجب ممّن يدخل هذا في كتب العلم من التفسير وغيره، فكلّ ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء، والسخرية بالرسول وأتباعهم».

قال أبو شهبّة: وسواء أكان عوج بن عوق شخصيّة وجدت حقيقة، أو شخصيّة خياليّة، فالذي ننكره هو: ما أضفوه عليه من صفات وما حاكوه حوله من أثواب الزور والكذب والتجرؤ، على أن يفتر كتاب الله بهذا الهراء. وليس في نصّ القرآن ما يشير إلى ما حكوه وذكره، ولو من بعد، أو وجه الاحتمال، ثمّ أين زمن نوح من زمن موسى ﷺ وما يدلّ عليه آية: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا﴾^٥ كان في زمن موسى قطعاً، ولا مرية في هذا، فهل طالبت الحياة بعوج حتّى زمن موسى؟! بل قالوا: إنّ موسى هو الذي قتله، ألا لعن الله اليهود، فكم من علم أفسدوا وكس من خرافات وأباطيل وضعوا.^٦

قلت: وسامح الله أولئك الذين نقلوا هذه الأساطير ودبجوها في مدوناتهم!!



١. الشعراء (٢٦): ١١٩-١٢٠.

١. نوح (٧١): ٢٦.

٢. قصص ابن كثير، ج ٢، ص ٣٨.

٣. هود (١١): ٤٣.

٤. الإسرائيليات والموضوعات، ص ١٨٧.

٥. المائدة (٥): ٢٢.

٧. الإسرائيليات في قصة التيه

فمن هذه الأخبار العجيبة التي رويت في قصة التيه، ما رواه ابن جرير بسنده عن الربيع، قال: لما قال لهم القوم ما قالوا، ودعا موسى عليهم، أوحى الله إلى موسى: إنَّها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين، وهم يومئذ ست مائة ألف مقاتل؛ فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا أربعين سنة في فراسخ ستة، أو دون ذلك، يسرون كل يوم جادين، لكي يخرجوا منها، حتَّى يمسوا و ينزلوا، فإذا هم في الدار التي منها ارتحلوا، وأنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم، فأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. وسأل موسى ربَّه أن يسقيهم، فأتى «بحجر الطور»، وهو حجر أبيض، إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط منهم عين، قد علم كل أناس مشربهم. وكذلك روى: أن نياهم ما كانت تَبلى، ولا تتسخ. وكذلك نقل بعض المفسرين كالزمخشري وغيره: بأنهم كانوا ست مائة ألف، و سعة المعسكر اثنا عشر ميلاً.

وكذلك ذكروا أن الحجر كان من الجنة، ولم يكن حجراً أرضياً. ومنهم من قال: كان على هيئة رأس إنسان. ومنهم من قال: كان على هيئة رأس شاة. وقيل: كان طوله عشرة أذرع، وله شعبتان تتقدان في الظلام، إلى غير ذلك من تزيدات بني إسرائيل. وليس في القرآن ما يدل على هذا الذي ذكروه في وصف الحجر، مع أنه لو أريد بالحجر الجنس، وأن يضرب أي حجر ما؛ لكان أدل على القدرة، وأظهر في الإعجاز.

وقد لاحظ ابن خلدون - من قبل - المتعاط التي تدخل في مثل هذه المرويَّات، فقال في مقدِّمته المشهورة:

اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم،

١. المن: شيء كالعسل كان ينزل على الشجر من السماء فيأخذونه و يأكلونه، و السلوى: طير كالتمانين.

وسياستهم، حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين و الدنيا، فهو محتاج إلى مأخذ متعدّدة، ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتنبّت، يُفضيان بصاحبهما إلى الحقّ، وينكبّان به عن المزلّات والمغالط؛ لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ، ولو قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق، وكثيراً ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غتاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلّوا عن الحقّ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولا سيّما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب ومطيّة الهذر، ولا بدّ من ردها إلى الأصول، وعرضها على القواعد. وهذا: كما نقل المسعوديّ وكثير من المؤرّخين في جيوش بني إسرائيل، وأنّ موسى أحصاهم في التيه، بعد أن أجاز من كان يطبق حمل السلاح خاصّة من ابن عشرين، فما فوقها، فكانوا ستّ مائة ألف أو يزيدون، ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام، واتّساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش، لكلّ مملكة حصّة من الحامية تتّسع لها، وتقوم بوظائفها، وتضيق عمّا فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة، والأحوال المألوفة.

ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك: ما كان من غلب بختنصر لهم، والتهامه بلادهم، واستيلائه على أمرهم، وتخريب بيت المقدس قاعدة ملّتهم وسلطانهم، وهو من بعض عمّال مملكة فارس. وكانت ممالكهم بالعراقيين، وخراسان، وما وراء النهر، والأبواب، أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير، ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قطّ مثل هذا العدد ولا قريباً منه. وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين ألفاً، كلّهم متبوع، على ما نقله «سيف». قال: وكانوا في أتباعهم

أكثر من مائتي ألف. و عن عائشة، و الزهري: أن جموع رستم التي حفت بهم سعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفاً كلهم متبوع.

و أيضاً: فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد، لانتسح نطاق ملكهم، و انفسح مدى دولتهم، فإن العِمالات و الممالك في الدول، على نسبة العامية، و القبيل القانمين بها في قلتها و كثرتها حسبما نبين ذلك في فصل الممالك من الكتاب الأول^١، و القوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن، و فلسطين من الشام، و بلاد يثرب، و خيبر من العجاز، على ما هو المعروف.

و أيضاً: فالذي بين موسى و إسرائيل، إن هو إلا أربعة آباء، على ما ذكره المحققون، فإن موسى بن عمران بن يصر بن قاهت - يفتح الهاء - و كسرها - بن لاوى - بكسر الواو و فتحها - بن يعقوب و هو: إسرائيل، هكذا نسبة في التوراة. و المدّة بينهما على ما نقله المسعودي، قال: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط، و أولادهم، حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً، و كان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى ﷺ إلى التيه، مائتين و عشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة. و يبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد! و إن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان و من بعده، فبعد أيضاً، إذ ليس بين سليمان و إسرائيل إلا أحد عشر أباً، و لا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلا المائين و الآلاف، فربما يكون. و أما أن يتجاوز هذا إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد، و اعتبر ذلك في الحاضر المشاهد، و القريب المعروف تجد زعمهم باطلاً، و تقلهم كاذباً.

قال: و الذي ثبت في «الإسرائيليات» أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفاً خاصة، و أن مقرباته كانت ألفاً، و أربع مائة فرس مرتبطة على أبوابه. هذا هو الصحيح من أخبارهم، و لا يلتفت إلى خرافات العامة منهم، و في أيام سليمان ﷺ، و ملكه كان عنفوان

١. يريد بالكتاب الأول، الفصل الأول من «مقدمته المشهورة» و قد قسمها إلى فصول.

دولتهم، واتساع ملكهم^١.

و هذا الفصل من النفاسة بـمكان؛ فلذلك حرصنا على ذكره؛ لأنه يفيدنا في رد الكثير من الإسرائيليات التي وقعت فيها المغالط، والأخبار الباطلة، والخرافات التي كانت سائدة في العصور الأولى.



٨. الإسرائيليات في «سؤال موسى ربه الرؤية»

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَهَكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَهَيَّأَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا فَلَمَّا أفاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ^٢، فقد ذكر الثعلبي، والبغوي، وغيرهما عن وهب بن منبه، وابن إسحاق، قالوا:

«لَمَّا سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الدواب، والصواعق، والظلمة، والرعد، والبرق وأحاط بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ملائكة السماوات أن يعترضوا على موسى، فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر^٣، تنبع أفواههم بالتسييح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه. فهبطوا عليه أمثال الأسود، لهم لجب^٤ بالتسييح والتقديس، ففرع العبد الضعيف (ابن عمران) متراً، وسمع، واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتني، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم^٥: يا موسى اصبر لما

١. مقفمة بين خلدة، ص ١١٩.

٢. الأعراف (٧): ١٤٣.

٣. جمع ثور، وهذا من سوء أدب بني إسرائيل مع الملائكة.

٤. اللجب: تزاحم الأصوات. ويقال لصهيل الفرس أيضاً.

٥. لعله جبريل عليه السلام.

سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه. فهبطوا أمثال النسور، لهم قصف، ورجف، ولجب شديد، وأقواهم تنبج بالتسبيح، والتقديس كجلب الجيش العظيم، ألوانهم كلب النار. ففرع موسى، واشتدّ فزعه، وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى بن عمران. فهبطوا عليه، لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم، ألوانهم كلب النار، و سائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح، لا يقاربه شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم؛ فاصطكت ركبته، وارتعد قلبه، واشتدّ بكأؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى. فهبطوا عليه، لهم سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم، ولم يسمع مثل أصواتهم؛ فامتلاً جوفه خوفاً، واشتدّ حزنه، وكثر بكأؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك، حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه. فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة ناراً أشدّ ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلب النار، إذا سبّحوا و قدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم، يقولون بشدة أصواتهم: سيّوح قدّوس، ربّ الملائكة والروح، ربّ العزة أبدأ لا يموت. وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه. فلما رأهم موسى رفع صوته، يستبح معهم حين سبّحوا، وهو يبكي ويقول: ربّ اذكرني ولا تنس عبدك، لا أدري أنفلت ممّا أنا فيه أم لا؟ إن خرجت احترقت، وإن مكنت ممّت، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتدّ خوفك، وينخلع قلبك، فاصبر للذي سألت.

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة، فلما بدأ نور العرش، انفرج الجبل

من عظمة الربّ جلّ جلاله ورفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعاً، يقولون: سبحان الملك القدوس، ربّ العزة أبداً لا يموت، بشدة أصواتهم. فارتجّ الجبل، واندكّت كلّ شجرة كانت فيه، وخرّ العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه، ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح، فتنشأه، وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى، وجعله كهيئة القبة، لئلا يحترق موسى، فأقام موسى يسبح الله، ويقول: أمنت بك ربّي، وصدقت أنّه لا يراك أحد، فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك وأعظم ملائكتك، أنت ربّ الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، ولا يعدّ لك شيء، ولا يقوم لك شيء، ربّ تبت إليك، الحمد لله لا شريك لك، ما أعظمك، وما أجلك ربّ العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا قَمِيْزُ رِيْهِ لِيَجْزِيَ الْجِبَالَ جَزَآءًا دَكَاةً﴾، وبعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدّى من نور الله، قال: وقع في بعض التفاسير: طارت لعظمته ستة أجيل، وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد، وودقان، ورضوى، ووقعت ثلاثة بمكة: ثور، وثير، وحرّاء^١.

وهذه المرويات وأمثالها ممّا لا نشكّه أنّها من إسرائيليات بني إسرائيل، وكذبهم على الله، وعلى الأنبياء، وعلى الملائكة، فلا تلقى إليه بالأب. وليس تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويات، والآية ظاهرة واضحة.

ومن ذلك أيضاً: ما ذكره الثعلبيّ، والبغويّ، عند قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۗ أَي مَغْشِيًّا عَلَيْهِ﴾، وليس المراد ميتاً كما قال قتادة.

فقد قال البغويّ، في بعض الكتب: إنّ ملائكة السماوات أتوا موسى وهو مغشّي عليه، فجعلوا يركلونه بأرجلهم، ويقولون: يا ابن النساء الحيض، أطمعت في رؤية ربّ العزة؟! وهذا وأمثاله ممّا لا نشكّه أنّه كلام ساقط لا يعول عليه بوجه، فإنّ الملائكة عليهم السلام ممّا يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالرجل، والغضّ في الخطاب.



٩. الإسرائيليات في ألواح التوراة

و من الإسرائيليات ما ذكره الثعلبيّ و البغويّ و القرطبيّ و الأوسيّ و غيرهم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^١.

فقد ذكر في الألواح: ممّ هي؟ و ما عددها؟ أقوالاً كثيرة عن بعض الصحابة و التابعين، و عن كعب و وهب، من أهل الكتاب الذين أسلموا، ممّا يشير إلى منبع هذه الروايات، و أنّها من إسرائيليّات بني إسرائيل، و فيها من المرويّات ما يخالف المعقول و المنقول، و إليك ما ذكره البغويّ في هذا، قال:

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ لَهُ﴾، يعني لموسى ﴿فِي الْأَلْوَابِ﴾، قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة، و في الحديث: «كانت من سدر الجنة، طول اللوح اثنا عشر ذراعاً»، و جاء في الحديث: «خلق الله آدم بيده، و كتب التوراة بيده، و غرس شجرة طوبى بيده»^٢.

و قال الحسن: كانت الألواح من خشب، و قال الكلبيّ: كانت من زبرجدة خضراء. و قال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، و قال الربيع: كانت الألواح من برد^٣. و قال ابن جريج: كانت من زمرد، أمر الله جبريل حتّى جاء بها من عدن، و كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر، و استمدّ من نهر النور^٤.

و قال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء، ليّتها الله له، فقطّعها بيده، ثمّ شقّها بيده، و سمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر، و كان ذلك في أوّل يوم من ذي القعدة، و كانت الألواح عشرة أذرع، على طول موسى^٥.

١. الأعراف (٧): ١٤٥.

٢. لم يخرج البغويّ. كما هي عادته. الحديثين و لم يبرز سندهما، و قد ذكر الأوسيّ أنّ الحديث الأوّل رواه ابن أبي حاتم، و اختار القول به إن صحّ السند إليه، و أمّا الحديث الثاني فقال: إنّه مروى عن عبد الله بن عمر (دوح

هشمتي، ج ٧، ص ٥٧).

٣. الظاهر أنّها بضمّ الباء و سكون الراء: الثوب المختطّ، و ألا فلو كانت من برد - بفتح الباء و الراء - حبات الثلج فكيف يكتب عليها؟

و قال مقاتل و وهب: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْجَاحِ﴾: كنعش الخاتم.

و قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة و هي سبعون و قر بعير، يُقرأ الجزء منه في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى، و يوشع، و عزير، و عيسى.

فكلّ هذه الروايات المتضاربة التي يردها بعضها بعضاً مّا نحيل أن يكون مرجعها المعصوم ﷺ و إنّما هي من إسرائيليات بني إسرائيل، حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين بحسن نيّة، و ليس تفسير الآية متوقفاً على كلّ هذا الذي رووه.

و من ذلك: ما يذكره بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَيْءٍ حَرْبِيَّةٍ وَ تَكْوِيلًا لِّكُلِّ فَيْءٍ﴾، فقد جعلوا التوراة مشتملة على كلّ ما كان و كلّ ما يكون، و هذا مّا لا يعقل، و لا يصدّق، فمن ذلك: ما ذكره الآوسيّ في تفسيره، قال: و ما أخرجه الطبراني، و البيهقي في الدلائل عن محمّد بن يزيد الثقفي، قال: اصطحب قيس بن خرشة، و كعب الأحبار حتّى إذا بلغا صفين، وقف كعب، ثمّ نظر ساعة، ثمّ قال: ليهراقنّ بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله. فقال قيس: ما يدريك؟ فإنّ هذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى به؟! فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى، ما يكون عليه، و ما يخرج منه إلى يوم القيامة!!

و هو من المبالغات التي روي أمثالها عن كعب و لا نصدّق ذلك، و لعلّها من الكذب الذي لاحظته عليه معاوية بن أبي سفيان على ما أسلفنا سابقاً، و لا يعقل قطّ أن يكون في التوراة كلّ أحداث الدنيا إلى يوم القيامة.

و المحققون من المفسرين سلفاً و خلفاً، على أنّ المراد أنّ فيها تفصيلاً لكلّ شيء، مّا يحتاجون إليه في الحلال و الحرام، و المحاسن و القبايح مّا يلائم شريعة موسى و عصره، إلاّ فقد جاء القرآن الكريم بأحكام و آداب، و أخلاق، لا توجد في التوراة قطّ.

و قد ساق الآوسيّ هذا الخبر، للاستدلال به لمن يقول: إنّ كلّ شيء عامّ، و كأنّه استشعر بُعدّه، فقال عقبه: «و لعلّ ذكر ذلك من باب الرمز، كما ندعّيه في

القرآن». قال أبو شهبه: ولا بد أن نقول للأوسى ومن لف لقه: إن هذا مردود وغير مقبول، ونحن لا نسلم بأن في القرآن رموزاً، وإشارات لأحداث، وإن قاله البعض، والحق أحق أن يتبع.^٢



١٠. خرافات في بني إسرائيل

ومن الإسرائيليات والخرافات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^٣.

فقد ذكر ابن جرير في تفسير هذه الآية خبراً عجيباً، فقال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، وكفروا، وكانوا اثني عشر سبطاً، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم، وبينهم، ففتح الله لهم نفقاً في الأرض، فساروا، حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَنَا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْأَلُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ مِنَّا بِكُمْ لَقِيفاً﴾^٤.

و وعد الآخرة: عيسى بن مريم.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا في السرب سنة ونصفاً، وقال ابن عيينة، عن صدقة، عن أبي الهذيل، عن السدي: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: قوم بينكم وبينهم نهر من شهد، وقد وصف ابن كثير ما رواه ابن جرير بأنه خبر عجيب^٥ وقال البغوي في تفسيره: قال الكلبي، والضحاك والربيع: هم قوم خلف الصين، بأقصى

١. المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٦ و ٥٧، ط منير.

٢. الإسرائيليات والموضوعات، ص ٢٠٤.

٣. تفسير الطبري، ج ٩، ص ٦٠.

٤. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٥٦.

٥. إسرائ (١٧): ١٠٤.

الشرق، على نهر مجرى الرمل، يُسَمَّى نهر أردن، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يعطرون بالليل، و يسقون بالنهار، و يزرعون، لا يصل إليهم متاً أحد، و هم على دين الحق، و ذكر: أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أُسري به إليهم، فكلّمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، فقال لهم: هذا محمد النبي الأمي، فأمنوا به، فقالوا: يا رسول الله، إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه مني السلام، فردّ النبي ﷺ على موسى و عليهم، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة، و أمرهم بالصلاة و الزكاة، و أمرهم أن يقيموا مكانهم، و كانوا يسبتون^١، فأمرهم أن يجمعوا، و يتركوا السبت. و قيل: هم الذين أسلموا من اليهود في زمن النبي ﷺ و الأول أصح^٢ و هي من خرافات بني إسرائيل و لا محالة، و العجب من البغوي أن يجعل هذه الأكاذيب أصح من القول الآخر الذي هو أجدر بالقبول و أولى بالصحة، و نحن لا نشك في أن ابن جريج و غيره متّعن رويوا ذلك، إنمّا أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و لا يمكن أبداً أن يكون متلقياً عن المعصوم ﷺ.

التفسير الصحيح للآية

و الذي يترجّح عندنا: أن المراد بهم أناس من قوم موسى ﷺ اهدوا إلى الحق، و دعوا الناس إليه، و بالحقّ يعدلون فيما يُعرض لهم من الأحكام و القضايا، و أنّ هؤلاء الناس وجدوا في عهد موسى، و بعده، بل و في عهد نبيّنا ﷺ و قد بين الله تبارك و تعالى بهذا: أنّ اليهود و إن كانت الكثرة الكاثرة فيهم تجحد الحقّ و تنكره، و تجور في الأحكام، و تعادي الأنبياء، و تقتل بعضهم، و تكذب البعض الآخر، و فيهم من شكاسة الأخلاق و الطباع ما فيهم، فهناك أمة كثيرة منهم: يهدون بالحقّ، و به يعدلون، فهم لا يتأبون عن الحقّ، ففيه شهادة و تزكية لهؤلاء، و تعريض بالكثرة الغالبة منهم، التي ليست كذلك، و التي جمّدت نبوة نبيّنا محمد ﷺ فيمن جحدها من طوائف البشر، و ناصبته العداوة

٢. تفسير البغوي، ج ٢، ص ٢٠٦.

١. أي يعظمون السبت كاليهود.

والبغضاء، وهو ما يُشِيرُ به قوله سبحانه قَبْلُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَاتِلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، وبذلك تظهر المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها مباشرة، والآيات التي قبل ذلك.

أما ما ذكره فليس هناك ما يشهد له من عقل، ولا نقل صحيح، بل هو يخالف الواقع الملموس، والمشاهد المتيقن، وقد أصبحت الصين وما وراءها معلوماً كلَّ شبر فيها، فأين هم؟ ثم ما هذا النهر من الشهد؟ وما هذا النهر من الرمل؟ وأين هما؟ ثم أي فائدة تعود على الإسلام والمسلمين من التمسك بهذه الروايات التي لا خطام لها، ولا زمام؟ وماذا يكون موقف الداعية إلى الإسلام في هذا العصر الذي نعيش فيه، إذا انتصر لمثل هذه المرويات الخرافية الباطلة؟! إنَّ هذه الروايات لو صحَّت أسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول، والمشاهد الملموس ما يجعلنا في حلٍّ من عدم قبولها، فكيف وأسانيدها ضعيفة واهية؟! وقد تبَّهنا غير مرَّة أن كونها صحيحة السند فرضاً لا ينافي كونها من الإسرائيليات.



١١. الإسرائيليات في سفينة نوح

ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير، كتفسير ابن جرير، والدرِّ المتثور، وغيرهما ما روي في سفينة نوح عليه السلام فقد أحاطوا بها بهالة من العجائب والغرائب، من أيَّ خشب صنعت؟ وما طولها؟ وما عرضها؟ وما ارتفاعها؟ وكيف كانت طبقاتها؟ وذكروا خرافات في خلقه بعض الحيوانات من الأخرى، وقد بلغ ببعض الرواة أنهم نسبوا بعض هذا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال صاحب الدرِّ: وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة، وتحت الأجنحة إيوان»،

أقول: قبح الله من نسب مثل هذا إلى النبي ﷺ.

وأخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافت أبو الروم» وذكر: أن طول السفينة كان ثلاث مائة ذراع، و عرضها خمسون ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، و بايها في عرضها، ثم ذكر عن ابن عباس مثل ذلك: في طولها، و ارتفاعها، ثم قال: وأخرج إسحاق بن بشر، و ابن عساكر، عن ابن عباس: «أن نوحاً لما أمر أن يصنع الفلك، قال: يا رب، و أين الخشب؟ قال: اغرس الشجر، ففرس الساج عشرين سنة، إلى أن قال: فجعل السفينة ست مائة ذراع طولها، و ستين ذراعاً في الأرض - يعني عمقها - و عرضها ثلاث مائة و ثلاثة و ثلاثون^١ و أمر أن يطلبها بالقار^٢، و لم يكن في الأرض قار، ففجر الله له عين القار؛ حيث تحت السفينة، تغلي غلياناً، حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب، و أطبقها، و حمل فيها السباع، و الدواب، فألقى الله على الأسد الحُمى، و شغله بنفسه عن الدواب، و جعل الوحش و الطير في الباب الثاني، ثم أطبق عليهما.

وأخرج ابن جرير، و أبو الشيخ عن الحسن، قال: «كان طول سفينة نوح عليه السلام ألف ذراع و مائتي ذراع، و عرضها ست مائة ذراع»

و إليك ما ذكره بعد هذا من العجب العجيب، قال: و أخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال الحواريون لميسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة، فحدثنا عنها. فانطلق بهم، حتى انتهى إلى كتيب من تراب، فأخذ كفاً من ذلك التراب، قال: أ تدرؤن ما هذا؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، فضرب الكتيب بعصاه، قال: قم ياذن الله، فإذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه، قد شاب، قال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت؟! قال: لا، مت و أنا شاب، و لكنتي ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبت، قال: حدثنا عن سفينة

١. لا ندرى بأي رواية تصدق، أ برواية ابن عباس هذه، أم بالسابقة، و هذا الاضطراب إشارة الاختلاف متن وضمها أولاً، و أستودها إلى ابن عباس و غيره.

٢. في القفوس، القير، و القار: شيء أسود يطللى به الإبل، أو هو: الزفت.

نوح، قال: كان طولها ألف ذراع، و مائتي ذراع، و عرضها ستّ مائة ذراع، كانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدوابّ و الوحش، و طبقة فيها الإنس، و طبقة فيها الطير. فلما كثر أرواث الدوابّ أوحى الله إلى نوح: أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه، فوقع منه خنزير وخنزيرة!! فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر جعل يغرب السفينة بقرضه أوحى الله إلى نوح: أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور و سنورة، فأقبلا على الفأر فأكلاه.

و في رواية أخرى: أنّ الأسد عطس، فخرج من منخره سنوران، ذكر و أنثى، فأكلا الفأر، وأنّ الفيل عطس، فخرج من منخره خنزيران، ذكر و أنثى، فأكلا أذي السفينة. و أنّه لما أراد الحمار أن يدخل السفينة أخذ نوح بأذني الحمار، و أخذ إبليس بذنبه، فجعل نوح ﷺ يجذبه، و جعل إبليس يجذبه، فقال نوح: ادخل يا شيطان - و يريد به الحمار - فدخل الحمار، و دخل معه إبليس. فلما سارت السفينة جلس إبليس في أذناها يتغنّى، فقال له نوح ﷺ: ويلك من أذن لك؟! قال: أنت لئلا قال: متى؟! قال: أن قلت للحمار: ادخل يا شيطان، فدخلت بإذنك.

و زعموا أيضاً: أنّ الماعز لما استصعبت على نوح أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبا، فمن ثمّ انكسر، و بدا حياها، و مضت النعجة فدخلت من غير معاكسة، فمسح على ذنبا، فستر الله حياها - يعني فرجها - و زعموا أيضاً: أنّ سفينة نوح ﷺ طافت بالبيت أسبوعاً، بل رووا عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي ﷺ: «لئن سفينة نوح طافت بالبيت سبعمائة، و صلّت عند المقام ركعتين»

و هذا من تفاهات عبد الرحمان هذا، و قد ثبت عنه من طرق أخرى، نقلها صاحب التهذيب (ج ٦، ص ١٧٩) عن الساجي، عن الربيع، عن الشافعي، قال: «قيل لعبد الرحمان ابن زيد بن أسلم: حدّثك أبوك عن جدّك، أن رسول الله ﷺ قال: «لئن سفينة نوح طافت بالبيت، و صلّت خلف المقام ركعتين؟»!! قال: نعم، و قد عرف عبد الرحمان بمثل هذه المعائب المخالفة للعقل، و تندر به العلماء. قال الشافعي فيما نقل في التهذيب أيضاً: «ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبد الرحمان بن زيد يحدثك عن أبيه، عن

نوح»!

وَأَنْ لَّمَّا رَسَتْ السَّفِينَةُ عَلَى الْجُودِيِّ وَكَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ صَامَ نُوحٌ، وَأَمْرٌ جَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْوَحْشِ وَالذُّوَابِ فَصَامُوا شُكْرًا لِلَّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّخْرِيفَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ الَّتِي لَا نَزَالَ نَسْمَعُهَا، وَأَمْثَالَهَا مِنَ الْعَوَامِّ وَالْعَجَائِزِ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَّ إِلَى الْإِسْلَامِ بِصَلَةِ، وَإِنَّا لِلنَّزْهِ الْمَعْصُومِ ﷺ مِنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مَا نَسْبُوهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَحَادِيثُ خِرَافَةِ اخْتَلَقَهَا الْيَهُودُ وَأَضْرَابِهِمْ عَلَى تَوَالِي الْعَصُورِ، وَكَانَتْ شَائِعَةً مَشْهُورَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ نَشَرَهَا أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأُوغِلَ زِنَادَةُ الْيَهُودِ وَأَمْثَالِهِمْ فِي الْكَيْدِ لِلْإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ، فزَوَّرُوا بِمَعْضَاهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَا كُنَّا نَحْبُ لَابْنِ جَرِيرٍ، وَلَا لِلْسِّيُوطِيِّ، وَلَا لِغَيْرِهِمَا أَنْ يَسُودُوا صَحَافَتِهِمْ بِهَذِهِ الْخِرَافَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ. فَاحْذَرْنَا مِنْهَا أَيُّهَا الْقَارِئُ فِي أَيِّ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَجَدْتَهَا، وَأَلْقَ بِهَا دَبْرَ أَذْنِكَ، وَكُنْ عَنِ الْحَقِّ مُنَافِعًا وَلِلْبَاطِلِ مُزِيغًا.



١٢. الإِسْرَائِيلِيَّاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾^٢

وَمِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْمَكْذُوبَةِ الَّتِي لَا تُوَافِقُ عَقْلًا وَلَا تَقْلًا مَا ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَصَاحِبُ الْمَدْرِ الْمَشْتُورِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمَفْسِّرِينَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ فَقَدْ ذَكَرُوا فِي هَمَّ يَوْسُفَ ﷺ مَا يَنَافِي عَصْمَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا يَخْجَلُ الْقَلَمَ مِنْ تَسْطِيرِهِ، لَوْلَا أَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ بَيَانٍ وَتَحْذِيرٍ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسَلِهِ، وَهُوَ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَقَدْ رَوَوْا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ- أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَمَّ يَوْسُفَ ﷺ مَا بَلَغَ؟ قَالَ: حَلَّ الْهَيْمَانَ -يَعْنِي السَّرَاوِيلَ- وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَائِنِ، فَصَبَّحَ بِهِ، يَا يَوْسُفَ لَا تَكُنْ

١. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ٢١-١٢٩، قدر السطور، ج ٣، ص ٣٢٧-٣٣٥.

٢. يوسف (١٢): ٢٤.

كالطير له ريش، فإذا زنى قعد ليس له ريش. ورووا مثل هذا عن عليّ عليه السلام وعن مجاهد، وعن سعيد بن جبير.

وروا أيضاً في البرهان الذي رآه، ولولاه لوقع في الفاحشة بأنه نودي: أنت مكتوب في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء، وقيل: رأى صورة أبيه يعقوب في العائط، وقيل: في سقف الحجر، وأنه رآه عاضاً على إبهامه، وأنه لم يتعظ بالنداء، حتى رأى أباه على هذه الحال. بل أسرف واضعو هذه الإسرائيليات الباطلة، فزعموا أنه لما لم يزعموا من رؤية صورة أبيه عاضاً على أصابعه، ضربه أبوه يعقوب، فخرجت شهوته من أناملها ولأجل أن يؤيد هؤلاء الذين افتروا على الله ونبيه يوسف هذا الافتراء، يزعمون أيضاً: أن كل أبناء يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولداً ما عدا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة التي خرجت من أنامله ولداً، فلم يولد له غير أحد عشر ولداً. بل زعموا أيضاً في تفسير البرهان، فيما روي عن ابن عباس: أنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾^١، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُخَيِّضُونَ فِيهِ﴾^٢، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَنْهَ عَنْ قَاتِمٍ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^٣، وقيل: رأى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^٤، ومن البديهي أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد قبل نبينا محمد ﷺ، وإن كان الذين افتروا هذا لا يعدمون جواباً، بأن يقولوا: رأى ما يدل على معاني هذه الآيات بلقنتهم التي يعرفونها، بل قيل في البرهان: إنه أرى تمثال الملك، وهو العزيز، وقيل: خياله^٥. وكل ذلك مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وأكاذيبهم التي اقتجروها على الله، وعلى رسله، وحمله إلى بعض الصحابة والتابعين: كعب الأحبار، وهب بن منبه، وأمثالهما.

١. الانفطار (٨٢): ١٠ و ١١.

٢. الرعد (١٣): ٣٣.

٣. الإسراء (١٧): ٣٢.

٤. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١٠٨-١١٤، قدر المستور، ج ٤، ص ١٣ و ١١٤، تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٤ و ٤٧٥، تفسير

جنوى، ج ٢، ص ٤١٨-٤٢٠.

وليس أدل على هذا، مما روي عن وهب بن هبة قال: «لما خلا يوسف وامرأة العزيز، خرجت كف بلا جسد بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية: ﴿أَقْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، ثم انصرفت الكف، وقاما مقامهما، ثم رجعت الكف بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية: ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، ثم انصرفت الكف، وقاما مقامهما، فعادت الكف الثالثة مكتوب عليها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وانصرفت الكف، وقاما مقامهما فعادت الكف الرابعة مكتوب عليها بالعبرانية: ﴿وَرَأَتُمَا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فولى يوسف ﷺ هارباً!

وقد كان وهب أو من نقل عنه وهب ذكياً بارعاً، حينما زعم أن ذلك كان مكتوباً بالعبرانية؛ وبذلك أجاب عما استشكلناه، ولكن مع هذا لن يجوز هذا الكذب إلا على الأغرار والسذج من أهل الحديث. ولا ندرى أي معنى يبقى للعصمة بعد أن جلس بين فخذيهما، وخلع سرواله؟! وما امتناعه عن الزنى على مروياتهم المفتراة إلا وهو مقهور مغلوب؟!

ولو أن عرييداً رأى صورة أبيه بعد محامته تحذره من معصية لكف عنها، وانزجر، فأبى فضل ليوسف إذاً، وهو نبي من سلالة أنبياء؟! بل أي فضل له في عدم مقارفته الفاحشة، بعد ما خرجت شهوته من أنامل قدميه؟! وما امتناعه حينئذ إلا قسري جبري!!

ثم ما هذا الاضطراب الفاحش في الروايات؟! أليس الاضطراب الذي لا يمكن التوفيق بينها. وهذا من العلل التي رد المحذون بسببها الكثير من المرويات؟! لآنها أمارة من أمارات الكذب والاختلاق.

ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي الله يوسف ﷺ وقول الحق تبارك وتعالى عقب ذكر

الهم: ﴿كَذَلِكَ نَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^١، فهل يستحق هذا التناء من حلّ التكتة، وخلق السروال، وجلس بين رجلها؟! ولا أدري أن صدق الله تبارك وتعالى أم نصدق كذبة بني إسرائيل ومخرفهم؟!٢

بل كيف يتفق ما روى هو وما حكاه الله ﷻ عن زليخا بطلة المراودة، حيث قالت: ﴿أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^٣ وهو اعتراف صريح من البطلة التي أعيتهما الحيل عن طريق التزيّن حيناً، والتودّد إليه بمعسول القول حيناً آخر، والإرهاب والتخويف حيناً ثالثاً، فلم تفلح: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْقُلْ مَا أُرَاهُ لَيُصِجَّتَنَّ وَ لَيَكُونُنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾^٤.

وانظر ماذا كان جواب السيّد العفيف، الكريم ابن الكريم: ﴿قَالَ رَبُّ السُّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ بِمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٥ وقصده ﷻ بقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ...﴾: تبرؤ من الحول والظلم، وأن الحول والقوة إنما هما من الله، وسؤال منه لربه، واستماعة به على أن يصرف عنه كيدهن، وهكذا شأن الأنبياء.

بل قد شهد الشيطان نفسه ليوسف ﷻ في ضمن قوله، كما حكاه الله سبحانه عنه بقوله: ﴿قَالَ قَبِلْتُمْ لَبْوَاتٍ لِأَعْيُنِنَا وَأَنْحَرَتُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^٦، ويوسف بشهادة الحق السالفة من المخلصين.

وكذلك شهد ليوسف شاهد من أهلها، فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَبِيضُ قُدٌّ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَ هُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَإِنْ كَانَ قَبِيضُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبْتَ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلِمَا رَأَى قَبِيضُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُمْ إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾^٧، وقد أسفر التحقيق عن براءة يوسف وإدانة

١. يوسف (١٢): ٢٤. قرئ في السبع بضم الميم وفتح اللام، أي الذين اصطفاهم واختارهم لنبوته ورسالته، وقرئ بكسر اللام، أي الذين أخلصوا له التوحيد والعبادة، والمعنى الثاني لازم للأول، فمن اصطفاه الله لا بد أن يكون مخلصاً.

٢. يوسف (١٢): ٥١.

٣. يوسف (١٢): ٣٢.

٤. ص (٣٨): ٨٢ و ٨٣.

٥. يوسف (١٢): ٣٣ و ٣٤.

٦. قيل: كان رجلاً عاقلاً حكيماً مجرباً من خاصّة الملك، وكان من أهلها، وفيل: كان صبيّاً في المهد وكان ذلك

٧. إرهاباً بين يدي نبوة يوسف، وإكراماً له. يوسف (١٢): ٢٦-٢٨.

زليخا، امرأة العزيز.

فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصحة الصادقة، وتلك الروايات المزورة؟! وقد ذكر الكثير من هذه الروايات ابن جرير الطبري، والثعلبي، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي، وقد مرّ بها ابن كثير بعد أن نقلها حاكياً من غير أن ينبه إلى زيفها، وهذا غريب!! ومن العجيب حقاً أن ابن جرير يحاول أن يصف في تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان، ويفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة وقواعد الشرع، وما جاء في القرآن والسنة الصحيحة الثابتة، ويعتبر هذه المرويات التي سقنا لك زوراً منها أنفاً: هي قول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ عنهم^١، وكذلك تابعة على مقالته تلك الثعلبي والبغوي في تفسيرهما!!

وهذه المرويات الفتنة المكذوبة التي يأبأها النظم الكريم، ويجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء ﷺ هي التي اعتبرها الطبري ومن تبعه «أقوال السلف»!! بل يسير في خطأ اعتبار هذه المرويات، فيورد على نفسه سؤالاً، فيقول: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي؟! ثم أجاب بما لا طائل تحته، ولا يليق بمقام الأنبياء^٢. قاله الواحدي في تفسيره البسيط.

وأعجب من ذلك ما ذهب إليه الواحدي في البسيط قال: قال المفسرون الموثوق بعلمهم، المرجوع إلى روايتهم، الآخذون للتأويل، عن شاهدوا التنزيل: هم يوسف ﷺ بهذه المرأة هماً صحيحاً، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة منه.

وهي غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لانرضاهما، ولولا أننا نتره لساننا وقلمنا عن الهجر من القول، وأنهم خلطوا في مؤلفاتهم عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقسونا عليهم، وحق لنا هذا، والعصمة لله.

٢. تفسر البغوي، ج ٢، ص ٤٢٢.

١. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١١٠.

٣. تفسر الطبري، ج ١٢، ص ١٠٩ و ١١٠.

و هذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون: إما إسرائيليّات و خرافات،
 وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذي أرادوا بها النيل من الأنبياء و المرسلين، ثم
 حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا، و تلقاها عنهم بعض الصحابة، و التابعين.
 و إما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها عليهم أعداء الأديان، كي تروّج
 تحت هذا الستار؛ و بذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، و تعكير صفو الثقافة
 الإسلاميّة الأصيلّة الصحيحة.



١٣. الفرية على المعصوم عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْقَيْبِ...﴾^١
 ولكي يؤيدوا باطلهم الذي ذكرناه آنفاً، رَووا عن الصحابة و التابعين ما لا يليق بمقام
 الأنبياء، و اختلقوا على النبي صلى الله عليه وآله زوراً، و قولوه ما لم يقله، قال صاحب الدرّة:
 و أخرج القرطبي، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و أبو الشيخ، و البيهقي
 في شعب الإيمان عن ابن عباس -رضوان الله عليه- قال: لَمَّا جَمَعَ الْمَلِكُ النَّسُوءَ قَالَ لَهُنَّ:
 أَنْتُنَّ رَاوِدَتُنَّ يَوْسُفَ عَنِ نَفْسِهِ؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ
 الْآنَ حَصْحَسَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^٢، قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي
 لَمْ أَخُنْهُ بِالْقَيْبِ﴾، فغمزه جبريل عليه السلام فقال: و لا حين همت بها؟ فقال: ﴿وَ مَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِذْ
 التَّمَسَّ لَأَمَارَةَ بِالسُّوءِ﴾^٣.

قال: و أخرج ابن جرير عن مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و ابن زيد، و الشّدّي مثله،
 و أخرج الحاكم في تاريخه، و ابن مردويه و الديلمي عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَرَأَ
 هَذِهِ آيَةَ: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْقَيْبِ﴾ قال: لَمَّا قَالَ يَوْسُفَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عليه السلام:
 و لا يوم همت بما همت به؟ فقال: ﴿وَ مَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِذْ التَّمَسَّ لَأَمَارَةَ بِالسُّوءِ﴾، قال:

٢. يوسف (١٢): ٥١.

١. يوسف (١٢): ٥٢.

٣. يوسف (١٢): ٥٣.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة مثله.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن حكيم بن جابر في قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُءُ بِالْغَيْبِ﴾ قال جبريل: ولا حين حللت سراويل؟ إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة، والإسرائيليات الباطلة، التي خرَّجها بعض المفسرين الذين كان منهمم ذكر المرويات، وجمع أكبر قدر منها، سواء منها ما صحَّ وما لم يصحَّ. والإخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات، وليس أدلَّ على ذلك من أنها لم يخرجها أحد من أهل الكتب الصحيحة، ولا أصحاب الكتب المعتمدة الذين يرجع إليهم في مثل هذا.

القرآن يردُّ هذه الأكاذيب

وقد فات هؤلاء الدسائس الكذابين أن قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُءُ بِالْغَيْبِ...﴾ الآيتين، ليس من مقالة سيدنا يوسف عليه السلام وإنما هو من مقالة امرأة العزيز، وهو ما يتفق وسياق الآية، ذلك: أن العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن، قال له: ارجع إلى ربك، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ فأحضر النسوة، وسألهن، وشهدن ببراءة يوسف، فلم تجد امرأة العزيز بدءاً من الاعتراف، فقالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ إلى قوله: ﴿وَ مَا أَهْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ فكل ذلك من قولها: ولم يكن يوسف حاضراً ثم، بل كان في السجن، فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز؟ وقد انتصر لهذا الرأي الذي يوائم السياق والسباق الإمام الشيخ محمد عبده، في تفسير المنار. وهو آخر ما رقمه في تفسير القرآن.

وهكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُءُ بِالْغَيْبِ﴾:

تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ليعلم زوجي أنني لم أخنهُ بالغييب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر. وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع؛ فلماذا اعترفت ليعلم أنني بريئة، ﴿وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْخَاطِئِينَ وَ مَا أَهْرَى نَفْسِي﴾ تقول المرأة: ولست أهرى نفسي، فإن النفس تتحدث، وتتمنى؛ ولهذا راودته؛ لأنَّ ﴿النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ إلا ما رجم

رَبِّي» أي إِلَّا مَنْ عصمه الله تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي خَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال: وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وجعله أول الوجهين في تفسير الآية. وبعد أن ذكر بعض ما ذكره ابن جرير الذي ذكرناه آنفاً عن ابن عباس، وتلاميذه، وغيره قال: والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك!

التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾

قال أبو شهبة: والصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾^٢ أن الكلام تم عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ﴾ وليس من شك في أن همتها كان يقصد الفاحشة، ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾. الكلام من قبيل التقديم والتأخير، والتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فقوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، جواب «لولا» مقدّم عليها، ومعلوم في العربية أن «لولا» حرف امتناع لوجود، أي امتناع الجواب لوجود الشرط؛ فيكون «الهم» ممتعاً؛ لوجود البرهان الذي ركزه الله في فطرته. والمقدّم إمّا الجواب، أو دليله، على الخلاف في هذا بين النحويين، والمراد بالبرهان: هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنى، وهو شيء مركوز في فطر الأنبياء. ومعرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين، وهو ما نعبر عنه بالعصمة، وهي التي تحول بين الأنبياء والمرسلين، وبين وقوعهم في المعصية.

ويرحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث قال: البرهان: النبوة التي أودعها الله في صدره، حالت بينه وبين ما يُسخط الله تعالى.

وهذا هو القول الجزل الذي يوافق ما دلّ عليه العقل من عصمة الأنبياء، ويدعو إليه

١. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٨١-٤٨٢. وراجع: تفسير الماوردي، ج ٣، ص ١٤٧ المناد، ج ١٢، ص ٣٢٣.

٢. يوسف (١٢): ٢٤.

السابق واللاحق. وأما كون جواب «لولا» لا يجوز أن يتقدم عليها، فهذا أمر ليس ذا خطر، حتى نعدل عن هذا الرأي الصواب، إلى التفسيرات الأخرى الباطلة، لهم يوسف عليه السلام، والقرآن هو أصل اللغة، فورود أي أسلوب في القرآن يكفي في كونه أسلوباً عربياً فصيحاً، وفي تأصيل أي قاعدة من القواعد النحوية، فلا يجوز لأجل الأخذ بقاعدة نحوية، أن تقع في محذور لا يليق بالأنبياء كهذا. والصحيح أن الجواب محذوف بقرينة المذكور، وهو ما تقدم على «لولا»؛ ليكون ذلك قرينة على الجواب المحذوف.

وقيل: إن ما حصل من «هم يوسف» كان خطرة، وحديث نفس بمقتضى الفطرة البشرية، ولم يستقر، ولم يظهر له أثره. قال البغوي في تفسيره: «قال بعض أهل الحقائق: اللهم هَمَّان: هم ثابت، وهو إذا كان معه عزم، وعقد، ورضا، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به؛ وهم عارض، وهو الخطرة، وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به، ما لم يتكلم به أو يعمل»، وقيل: همت به هم شهوة وقصد للفاحشة، وهم هو بضرها. ولا أدري كيف يتفق هذا القول، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

والقول الجزل الفحل هو ما ذكرناه أولاً، وصرحت به الرواية الصحيحة عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. والسر في إظهاره في هذا الأسلوب - والله أعلم -: تصوير المشهد المثير المُغرّي العرم، الذي هيأته امرأة العزيز لئبي الله يوسف، وأنه لولا عصمة الله له، وفطرته النبوية الزكية، لكانت الاستجابة لها، والهم بها أمراً محققاً. وفي هذا تكريم ليوسف، وشهادة له بالعفة البالغة، والطهارة الفاتحة.



١٤. الإسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين في مدة سجن يوسف عليه السلام وفي سبب

لبثه في السجن بضع سنين، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْ هُنَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاءُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بُضْعَ سِنِينَ﴾^١.

فقد ذكر ابن جرير، والتعليقي، والبغوي، وغيرهم أقوالاً كثيرة في هذا، فقد قال وهب ابن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وترك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب بختصر يجول في السباع سبع سنين^٢.

وقال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: اذكرني عند ربك. قيل له: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً، لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، وقال: يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، ولن أعود.

وقال الحسن البصري: دخل جبريل عليه السلام على يوسف في السجن، فلما رآه يوسف عرفه، فقال له: يا أبا المنذرين، إني أراك بين الخاطئين! فقال له جبريل: يا طاهر يا ابن الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك: أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين؟! فوعزتي وجلالي لأبشرك في السجن بضع سنين، فقال يوسف: وهو في ذلك عني راض، قال: نعم، قال: إذاً لا أبالي.

وقال كعب الأحبار: قال جبريل ليوسف: إن الله تعالى يقول: من خلقك؟ قال: الله تعالى. قال: فمن حببك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمن نجاك من كرب البئر؟ قال: الله، قال: فمن علمك تأويل الرؤيا؟ قال: الله، قال: فمن صرف عنك سوء، والفحشاء؟ قال: الله، قال: فكيف استشفعت بآدمي مثلك؟^٣ فلما انقضت سبع سنين - قال الكلبي: وهذه السبع سوى الخمسة التي قبل ذلك - جاء الفرج من الله، فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة، وعجز الملاء عن تفسيرها، تذكّر الساقى يوسف، وصدق تعبيره للرؤى، فذهب إلى

١. يوسف (١٢): ٤٢.

٢. لا تدري ما المناسبة بين نبى الله، وبختصر الذي أذل اليهود وسباهم؟.

٣. تفسير البغوي، ج ٢، ص ٤٢٨.

٤. بعض المفسرين لا يكفي بالسبع بل يهضم إليها خمساً قبل ذلك. ولا أدري ما مستنده في هذا؟ وظاهر القرآن لا يشهد له. ولو كان كذلك لصرح به القرآن، أو لأشار إليه.

يوسف، فعبرها له خير تعبير؛ فكان ذلك سبب نجاته من السجن، وقول امرأة العزيز: «الآن حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ».

و أغلب الظنَّ عندنا أن هذا من الإسرائيليات، فقد صوّرت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها، مع أنه لم يقل هجرأ، ولا منكرأ، فالأخذ في أسباب النجاة العادية، وفي أسباب إظهار البراءة والحق، لا ينافي قطّ التوكّل على الله تعالى. و البلاء للأنبياء ليس عقوبة، وإنما هو لرفع درجاتهم، وليكونوا أسوة و قدوة لغيرهم، في باب الابتلاء. و في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل».

وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً مرفوعاً، فقال: حدّثنا ابن وكيع قال: حدّثنا عمرو بن محمّد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً، قال: قال النبي ﷺ: «لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قالها، ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله».

ولو أنّ هذا الحديث كان صحيحاً أو حسناً؛ لكان للمتمسّكين بمثل هذه الإسرائيليات التي أظهرت سيّدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان وجهة، ولكنّ الحديث شديد الضعف، لا يجوز الاحتجاج به أبداً.

قال الحافظ ابن كثير: «و هذا الحديث ضعيف جداً؛ لأنّ سفيان بن وكيع - الراوي عنه ابن جرير - ضعيف، وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضاً، وقد روى عن الحسن و قتادة مرسلأ عن كلّ منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل^١، ولو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم»^٢. و قد تكلف بعض المفسّرين للإجابة عمّا يدلّ عليه هذا

١. الضميف جداً لا يحتجّ به لا في الأحكام و لا في الفضائل، فما بالك في مثل هذا؟

٢. لأنّ المرسل احتجّ به بعض المحدّثين إذا تضافر أنّا في مثل هذا الذي فيه إدانة بعض الأنبياء، و إلقاء اللوم عليه فلا.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٩.

الحديث. و حاله كما سمعت. بل تكلف بعضهم، فجعل الضمير في «فأنساه» ليوسف، و هو غير صحيح، لأن الضمير يعود إلى الذي نجا منهما؛ بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَذْكُرُ بَعْدَ أُمَّةٍ...﴾ فالذي تذكر هو الذي أنساه الشيطان، و الذي يجب أن نعتقه أن يوسف ﷺ مكث في السجن - كما قال الله تعالى - بضع سنين.

و البضع: من الثلاث إلى التسع، أو إلى العشر، من غير تحديد للمدّة، فجائز أن تكون سبعاً، و جائز أن تكون تسعاً، و جائز أن تكون خمساً، ما دام ليس هناك ثقل صحيح عن المعصوم ﷺ، و كذلك نعتقد أنه لم يكن عقوبة على كلمة، و إنما هو بلاء و رفعة درجة.

١٥. الإسرائيليات في شجرة طوبى

و من الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ﴾^١.

فمن ذلك ما رواه ابن جرير بسنده، عن وهب، قال: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرتها رياض، و ورقها برود، و قضبانها عنبر، و بطحاؤها ياقوت، و ترابها كافور، و وحلها مسك؛ يخرج من أصلها أنهار الخمر، و اللبن، و العسل، و هي مجلس لأهل الجنة، فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم، يقودون نجباً^٢ مزومة بسلاسل من ذهب، و جوهها كالمصاييح حسناً، و وبرها كخز المرعزي من لبنه، عليها رحال^٣ ألواحها من ياقوت، و دفوفها من ذهب، و ثيابها من سندس، و إستبرق، فينخونها، و يقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه، و تسلّموا عليه. قال: فيركبونها في أسرع من الطائر، و أوطأ من الفراش، نجباً من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه، و هو يكلمه، و يناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى، و لا يرك^٤ راحلة يرك الأخرى، حتّى أن الشجرة لتتنحى عن طريقهم، لتلا تفرق بين الرجل و أخيه.

١. أي إبلاً كراماً.

٢. الرعد (١٣): ٢٩.

٣. البرك: الصدر.

٤. الرحال: ما يوضع على البعير ليركب عليه.

قال: فيأتون إلى الرحمان الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم، حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام. قال: فيقول تعالى عند ذلك: أنا السلام، ومني السلام، و عليكم السلام، حقّت رحمتي، ومحبتي، مرحباً بعبادي الذين خشوني بغيب، وأطاعوا أمري. قال: فيقولون: ربنا لم نعبدك حقّ عبادتك، ولم نقدرك حقّ قدرك، فأذن لنا في السجود قدامك. قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نصب، ولا عبادة، ولكنها دار ملك و نعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم، فإن لكلّ رجل منكم أمنيته. فيسألونه، حتى أن أقصرهم أمنية ليقول: ربي تنافس أهل الدنيا في دنياهم، فتضايقوا فيها، ربّ فأنتي كلّ شيء كانوا فيه، من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: لقد قصرت بك أمنيتك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني وسأتحنك بمنزلتي؛ لأنه ليس في عطائي نكد، ولا قصر يد. قال: ثم يقول: أعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانتهم ولم يخطر لهم على بال. قال: فيعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانتهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرّنة، على كلّ أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كلّ سرير منها قبة من ذهب مفرغة، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة، متظاهرة، في كلّ قبة منها جاريتان من الحور العين، على كلّ جارية منهنّ ثوبان من ثياب الجنة. وليس في الجنة لون إلاّ وهو فيهما، ولا ربيع ولا طيب إلاّ قد عبّق بهما، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة، حتى يظنّ من يراها أنّهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض من ياقوتة حمراء، تريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، و يرى هولهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فتحبيّانه و تقبيلانه، و تعانقانه، و تقولان له: والله ما ظننا أنّ الله يخلق مثلك. ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفّاً في الجنة، حتى ينتهي كلّ رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له!

وقد وصف ابن كثير في تفسيره هذا الأثر بأنه غريب عجيب وساقه. وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده، عن وهب أيضاً، وزاد زيادات أخرى^١.



١٦. الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف

و من قصص الماضين التي أكثر فيها المفسرون من ذكر الإسرائيليات قصة أصحاب الكهف، فقد ذكر ابن جرير، وابن مردويه، وغيرهما الكثير من أخبارهم التي لا يدل عليها كتاب الله تعالى، ولا يتوقف فهم القرآن وتدبره عليها.

فمن ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسيره، عن ابن إسحاق، صاحب السيرة في قصتهم، فقد ذكر نحو ثلاث وثلاثين، وذكر عن وهب بن منبه، وابن عباس ومجاهد أخباراً كثيرة أخرى^٢، وكذلك ذكر السيوطي في الدر المنثور^٣، الكثير مما ذكره المفسرون عن أصحاب الكهف، عن هويتهم، ومن كانوا؟ وفي أي زمان ومكان وجدوا؟ وأسمائهم؟ واسم كلبهم؟ وأهو قطعير أم غيره؟ وعن لونه أ هو أصفر أم أحمر؟ بل روى ابن أبي حاتم من طريق سفيان، قال: رجل بالكوفة يقال له: عبيد - وكان لا يثبت بالكذب - قال: رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر، كأنه كساء أنبجاني^٤، ولا أدري كيف كان لا يثبت بالكذب، وما زعم كذب لا شك فيه، فهل بقي كلب أصحاب الكهف حتى عصر الإسلام؟! وكذلك ذكروا أخباراً غرائب في الرقيم، فمن قائل: إنه قرية، وروى ذلك عن كعب الأحبار، ومن قائل: إنه واد بفلسطين، بقرب أيلة، وقيل: اسم جبل أصحاب الكهف إلى غير ذلك. مع أن الظاهر أنه كما قال كثير من السلف: إنه الكتاب أو الحجر الذي دُون فيه قصتهم وأخبارهم، أو غير ذلك، مما الله أعلم به، فهو فعيل بمعنى مفعول، أي مرقوم، وفي الكتاب الكريم: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُنَّ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^٥ و﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنُ كِتَابٍ

١. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ١٥١٣ تفسير للجوهري، ج ٣، ص ١٨.

٢. تفسير الطبري، ج ١٥، ص ١٣٣ وما بعدها.

٣. الدر المنثور، ج ٤، ص ٢١١-٢١٨.

٤. نسبة إلى أنجب بلد تعرف بصنع الأكسية.

٥. المطففين (٨٣): ١٩ و ٢٠.

مَرَقُومٌ»^١.

وفي هذه الأخبار: الحقّ والباطل، والصدق والكذب، وفيها ما هو محتمل للصدق والكذب، ولكن فيما عندنا غنية عنه، ولا فائدة من الاشتغال بمعرفته وتفسير القرآن به، كما أسلفنا، بل الأولى والأحسن أن نضرب عنه صفحاً، وقد أدبنا الله بذلك، حيث قال لنبّيه بعد ذكر اختلاف أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَكْتِبُ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^٢.

وغالب ذلك ما أشرنا إليه وغيره متلقًى عن أهل الكتاب الذين أسلموا. وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين لغرابته والعجب منه، قال ابن كثير في تفسيره: «و في تسميتهم بهذه الأسماء، واسم كليهم، نظر في صحته - والله أعلم -، فإنّ غالب ذلك متلقًى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا﴾ أي سهلاً هيناً ليساً، فإنّ الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿وَلَا تَسْتَكْتِبُ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم، رجماً بالغيب، أي من غير استناد إلى كلام معصوم، وقد جاءك الله يا محمّد بالحقّ الذي لا شكّ فيه ولا مرية فيه، فهو المقدم على كلّ ما تقدّمه من الكتب والأقوال»^٣.



١٧. الإسرائيليات في قصة ذي القرنين

ومن الإسرائيليات التي طفحت بها بعض كتب التفسير ما يذكرونه في تفاسيرهم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَسَّالُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكْنُأُهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ سَبْعًا فَأَتْبَعَ سَبْعًا...﴾^٤.

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده، عن وهب بن منبه اليمانيّ - وكان له علم

١. المطفّنين (٨٣): ٨ و ٩.

٢. الكهف (١٨): ٢٢.

٣. تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لَوْلَا رِيشُهُمْ كَلَّمْتُمُ﴾، ج ٣، ص ٧٨.

٤. الكهف (١٨): ٨٣ وما بعدها.

بالحاديث الأولى - أنه كان يقول: «ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين؛ لأنَّ صَفْحَتِي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبداً صالحاً، قال الله ﷻ له: يا ذا القرنين إني باعتك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة أئنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كلّه، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كلّه، وأم في وسط الأرض منهم الجنّ والإنس، وياجوج ومأجوج. ثم استرسل في ذكر أوصافه، وما وهبه الله من العلم والحكمة، وأوصاف الأقسام الذين لقيهم، وما قال لهم، وما قالوا له، وفي أثناء ذلك يذكر ما لا يشهد له عقل ولا نقل. وقد سوّد بهذه الأخبار نحو أربعة صحائف من كتابه، وكذلك ذكر روايات أخرى في سبب تسميته بذو القرنين، بما لا يخلو عن تخليط وتخبط. وقد ذكر ذلك - عن غير ابن جرير - السيوطي في الدرّة، قال: «وأخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والشيرازي في الألقاب، وأبو الشيخ، عن وهب بن منبه اليماني - وكان له علم بالحاديث الأولى - أنه كان يقول: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين؛ أنَّ صَفْحَتِي رأسه كانتا من نحاس...»^١ وأنا لا أشك في أن ذلك ممّا تلقاه وهب عن كتبهم، وفيها ما فيها من الباطل والكذب، ثم حملها عنه بعض التابعين، وأخذها عنهم ابن إسحاق وغيره من أصحاب كتب التفسير والسير والأخبار. ولقد أجاد الحفاظ ابن كثير، حيث قال في تفسيره: «وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاً، عجبياً في سير ذي القرنين، وبنائه السدّ، وكيفيّة ما جرى له، وفيه طول، وغرابة، ونكارة، في أشكالهم، وصفاتهم وطولهم، وقصر بعضهم، وآذانهم. وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصحّ أسانيدُها، والله أعلم»^٢. وحتى لو صحّ الإسناد فيها، فلا شكّ في أنّها من الإسرائيليات؛ لأنّه لا تنافي بين الأمرين، فهي صحيحة إلى من

٢. الدرّة المستورج، ج ٤، ص ٢٤٢-٢٤٦.

١. تفسير الطبري، ج ١٦، ص ١٤-١٨.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١١٠٤ تفسير البيهقي، ج ٣، ص ١٧٨.

رويت عنه، لكنها في نفسها من قصص بني إسرائيل الباطل، وأخبارهم الكاذبة. ولو أن هذه الإسرائيليات وقف بها عند منابعها، أو من حملها عنهم من الصحابة والتابعين؛ لكان الأمر محتملاً، ولكن الإثم، وكبر الكذب أن تنسب هذه الأخبار إلى النبي ﷺ ولو أنها كما أسلفنا كانت صحيحة في معناها ومبناها لما حُلَّ نسبتها إلى رسول الله أبداً، فما بالك وهي أكاذيب ملفقة، وأخبار باطلة؟!

وقد روى ابن جرير وغيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ...﴾ حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال:

«حدثنا أبو كريب قال: حدثنا زيد بن حباب، عن ابن لهيعة، قال: حدثني عبد الرحمان بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، أنهما انطلقا إلى عقبة بن عامر، فقالا له: جئنا لتحدثنا، فقال: كنت يوماً أخدم رسول الله ﷺ، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه فأخبرته، فقال: ما لي وما لهم، ما لي علم إلا ما علمني الله، ثم قال: اسكب لي ماءً، فتوضأ، ثم صلى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور على وجهه، ثم قال: أدخلهم عليّ، ومن رأيت من أصحابي، فدخلوا، فقاموا بين يديه، فقال: إن شئتم سألتهم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوباً. وإن شئتم أخبرتكم، قالوا: بلى، أخبرنا، قال: جئتم تسألون عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شاباً من الروم، فجاء، فبنى مدينة مصر الإسكندرية، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء، فقال له: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ومدائن، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض، قال: فهذا اليمّ محيط بالدينا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، وثبت العالم، فأتى به السدّ، وهو جبلان ليسان يزلق عنهما كل شيء، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب، يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد

سماهم»^١، ثم عقب ذلك بسرد المرويات في سبب تسميته بذوي القرنين.
 وذكر السيوطي في الدرّ المتثور^٢ مثل ذلك، وقال: إنه أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ
 مصر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في الدلائل.
 وكلّ هذا من الإسرائيليات التي دُست على النبي ﷺ ولو شئت أن أقسم بين الركن
 والمقام أن رسول الله ﷺ ما قال هذا، لأقسمت، وابن لهيعة ضعيف في الحديث.



ولعلك تجد الشرح الوافي بشأن شخصية ذي القرنين وأعمال قام بها، في كتابنا
 شبهات و ردود. ومن المحتمل القريب أنه الملك الفارسي «كورش» الهخامنشي الكبير.



١٨. الإسرائيليات في قصة يأجوج ومأجوج

من الإسرائيليات التي اتّسمت بالغرابة، والخروج عن سنّة الله في الفطرة، وخلق بني
 آدم ما ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم، عند قوله تعالى: «قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج
 ومأجوج مُفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً»^٣.
 فقد ذكروا عن يأجوج ومأجوج الشيء الكثير من العجائب والغرائب، قال السيوطي في
 الدرّ المتثور^٤: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساکر، وابن النجار،
 عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «يأجوج ومأجوج أمة،
 كلّ أمة أربع مائة ألف أمة، لا يموت أحدهم حتّى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كلّ حمل
 السلاح». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز».
 قلت: وما الأرز؟ قال: «شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء. قال
 رسول الله ﷺ: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، ولا حديد. و صنف منهم يفترش إحدى

٢. الدرّ المتثور، ج ٤، ص ٢٤١.

٤. الدرّ المتثور، ج ٥، ص ٢٥٠ و ٢٥١.

١. تفسیر الطبري، ج ١٦، ص ٧ و ٨.

٣. الكهف (١٨): ٩٤.

أذنيه، و يلتحف بالأخرى، لا يمرّون بفيل، ولا وحش، ولا جمل، ولا خنزير إلا أكلوه، و من مات منهم أكلوه، مقدّمهم بالشام و ساقّتهم يشربون أنهار المشرق، و بحيرة طبرية. و قد ذكر ابن جرير في تفسيره هذه الرواية و غيرها من الروايات الموقوفة، و كذلك صنع القرطبيّ في تفسيره. و إذا كان بعض الزنادقة استباحوا لأنفسهم نسبة هذا إلى رسول الله ﷺ فكيف استباح هؤلاء الأئمة ذكر هذه المرويّات المختلفة المكذوبة على رسول الله في كتبهم؟!

و هذا الحديث المرفوع نصّ الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - في موضوعاته و غيره - على أنّه موضوع، و وافقه السيوطي في اللئالي^١ فكيف يذكره في تفسيره و لا يعقّب عليه؟! و حقّ له أن يكون موضوعاً، فالمعصوم ﷺ أجلّ من أن يُروى عنه مثل هذه الخرافات. و في كتب التفسير من هذا الخلط و أحاديث الخرافة شيء كثير، و روي في هذا عن عبد الله بن عمرو، و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن مسعود، و عن كعب الأحبار. و لكي تتأكد أنّ ما رفع إلى رسول الله إنّما هي إسرائيليّات، و قد نسبت إلى النبيّ زوراً و كذباً، نذكر لك ما روي عن كعب، قال: «خلق يأجوج و مأجوج، ثلاثة أصناف: صنف كالأرز، و صنف أربعة أذرع طول، و أربعة أذرع عرض، و صنف يفترشون آذانهم، و يلتحفون بالأخرى، يأكلون مشائم^٢ نساءهم».

و على حين نراهم يذكرون من هول و عظم خلقهم ما سمعت: إذ هم يروون عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إنّ يأجوج و مأجوج شبر، و شبران، و أطولهم ثلاثة أشبار، و هم من وُلد آدم»، بل روي عنده أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثني الله ليلة أُسري بي إلى يأجوج و مأجوج، فدعوتهم إلى دين الله و عبادته فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار، مع من عصى من وُلد آدم و إبليس».

و العجب أنّ السيوطي قال عن هذا الحديث: إنّ سنده واهٍ. و لا أدري لِمَ ذكره مع وهاء

١. اللئالي: المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج ١، ص ١٧٣ فما بعد.

٢. جمع مشيمة، و هي ما ينزل مع الجنين حين يولد، و بها يتغذى في بطن أمه.

سنده؟! قال في تفسيره: وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني والبيهقي في البعث، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وُلْدِ آدَمَ، وَلَوْ أُرْسِلُوا لَأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَانِيَهُمْ، وَلَا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أُمَّةً مُفْسِدَةً، وَإِنَّ مِنْ وِرَائِهِمْ ثَلَاثَ أُمَمٍ: تَأْوِيلُ، وَتَارِيسُ، وَنَسْكَ».

قال: وأخرج أحمد، والترمذي - وحسنه - وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم - وصححه -، وابن مردويه والبيهقي في البعث، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفَرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شِعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسْتَفْتَحُونَهُ غَدًا، وَلَا يَسْتَتِنِي، فَإِذَا أَصْبَحُوا وَجَدُوهُ قَدْ رَجَعَ كَمَا كَانَ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِخُرُوجِهِمْ عَلَى النَّاسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسْتَفْتَحُونَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَتِنِي^١، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكَوهُ، فَيَحْفَرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَسْتَقُونَ الْمِيَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حِصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجَعُ مَخْضُوبَةً بِالدَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا مِنْ فِي الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا مِنْ فِي السَّمَاءِ، قِسْوًا، وَعُلُوًّا، فَيَمِثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَفَقًا^٢ فِي أَعْنَاقِهِمْ فَيَهْلِكُونَ»، قال رسول الله ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَعُنَّ، وَتَبْطُرُنَّ، وَتَشْكُرُ شُكْرًا^٣ مِنْ لِحُومِهِمْ»^٤.

ومهما كان سند مثل هذا فهو من الإسرائيليات عن كعب وأمثاله، وقد يكون رفعها إلى النبي غلطاً وخطأً من بعض الرواة، أو كيداً يكيد به الزنادقة اليهود للإسلام. وإظهار رسوله بمظهر من يروي ما يخالف القرآن، فالقرآن قد نصّ بما لا يحتمل الشك على أنهم لم يستطيعوا أن يعلوا السد، ولا أن يتقبوه، قال تعالى: «فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا»^٥.

١. يعني يقول: وإن شاء الله لأنها في معنى الاستثناء، يعني إلا أن يشاء الله تعالى.

٢. النفث - معزكة: دود يكون في أنوف الإبل والفتم، واحده: نفقة.

٣. أي تسمن سمناً.

٤. الفؤ الشوره ج ٤، ص ٢٥١.

٥. الكهف (١٨): ٩٧. راجع تحقيقنا بهذا الصدد، في كتاب شبهات وردود.

١٩. الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبأ

و من الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسَلْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١﴾.

فقد ذكر ابن جرير، والتعليق، والبغوي، والخازن، وغيرهم «أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجلها كحافر العمار، وهي شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة، فلما رأته حسبتة لجة، وكشفت عن ساقها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس قدماً وساقاً، إلا أنها كانت شعراء الساقين، فكره ذلك، فسأل الإنس، ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى^٢، فقالت بلقيس: لم تمتني حديقة قط، وكره سليمان ذلك، خشية أن تتقطع ساقها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين فقالوا: إننا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة^٣ والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ^٤.

وقد روي هذا عن ابن عباس -رضوان الله عليه- ومجاهد، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي، والسدي، وابن جرير وغيرهم. وروي أيضاً أنها سألت سيدنا سليمان عن أمرين، قالت له: أريد ماءً ليس من أرض ولا من سماء! فسأل سليمان الإنس، ثم الجن، ثم الشياطين، فقالت الشياطين: هذا هين، أجز الخيل، ثم خذ عرقها، ثم املاً منه الآتية، فأمر بالخيل فأجريت، ثم أخذ العرق، فملاً منه الآتية!!

و سألته عن لون الله ﷻ فوثب سليمان عن سريره، وفرغ من السؤال، وقال: لقد سألتني يا رب عن أمر، إنه ليتعظم في قلبي أن أذكره لك، ولكن الله أنساه، وأنساه ما

٢. المراد: الموسى التي تزيل الشعر.

١. النمل (٢٧): ٤٤.

٣. مائة يزال بها الشعر.

٤. كذب طاهر، كأن النورة والحمام لم يكونا إلا لها، وكان سليمان ﷺ لم يكن له هم إلا إزالة شعر ساقها، وهو تبحر صريح على الأنبياء، وإظهارهم بمظهر المتهاك على النساء ومحاسنهن، ففتح الله اليهود وسامح الله المشالمين لهم!

سألته عنه.

وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ خَافُوا لَوْ تَوَجَّهَ سَلِيمَانُ، وَجَاءَتْ بُولَدُ، أَنْ يَقُوا فِي عِبَادَتِهِ، فَصَنَعُوا لَهُ هَذَا الصَّرْحَ الْمَرْدُ، فَظَلَّتْهُ مَاءٌ، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا لِتَعْبُرَهُ، فَإِذَا هِيَ شِعْرَاءُ، فَاسْتَشَارَهُمْ سَلِيمَانُ، مَا يَذْهَبُ؟ فَجَعَلَتْ لَهُ الشَّيَاطِينَ التُّورَةَ^٢.
قال ابن كثير في تفسيره، بعد أن ذكر بعض الرويات: والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم، كرواية كعب، وهب، فيما نقله إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد^٣، والغرائب، والعجائب مما كان، وما لم يكن، ومما حُرِّفَ، وبُدِّلَ، ونُسِخَ. وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه، وأنفع، وأوضح، وأبلغ، والله الحمد والمنة.



وَالْحَقُّ أَنَّ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ بَيْنَانَهُ الصَّرْحَ أَنْ يَرِيهَا عَظْمَةٌ مُلْكُهُ، وَسُلْطَانُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - أَعْطَاهُ مِنَ الْمُلْكِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الْعِمْرَانِ وَالْحَضَارَةِ مَا لَمْ يَعْطَاهَا، فَضْلاً عَنِ النَّبِيِّ الَّتِي هِيَ فَوْقَ الْمُلْكِ، وَالَّتِي دُونَهَا آيَةٌ نِعْمَةٍ، وَحَاشَا لِسَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الَّذِي سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَعْطِيَهُ حِكْماً يُوَافِقُ حُكْمَهُ - أَيَّ اللَّهِ -، فَأَوْتِيَهُ أَنْ يَتَحَايَلَ هَذَا التَّحَايِلَ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهِيَ سَاقَاهَا، وَهُوَ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ وَأَسْمَى.
ولولا أنها رأت من سليمان ما كان عليه من الدين المتين، والخلق الرفيع، لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، ولما ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب والشمس، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.



١. الصرح: هو القصر المشيد المحكم البناء، المرتفع في السماء، والمراد: الناعم الأملس. الدررير: الزجاج الشديد الصفاء.

٢. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٣٦٦ تفسير الجنوي، ج ٣، ص ٤٢١ و ٤٢٢.

٣. جمع أبدة، وهي الأمور المشككة البهيدة المعاني، وأصل الأبدة: النافرة من الوحش التي يستمعى أخذها، ثم شبه بها الكلام المشكل العريض المعاني.

٢٠. الإسرائيليات في هدية ملكة سبا لسيدنا سليمان

و من الإسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين، كابن جرير، والشعبي، والبغوي، وصاحب الدر، في الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سيدنا سليمان عليه السلام، وإليك ما ذكره البغوي في تفسيره، وذلك عند تفسير قوله تعالى: «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ»^١. قال البغوي: فأهدت إليه وُصفاً و وصائف. قال ابن عباس: ألبستهم لباساً واحداً كي لا يُعرف الذكر من الأنثى. وقال مجاهد: ألبس الغلمان لباس الجواري، وألبس الجواري ألبسة الغلمان. و اختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس: مائة وصيف، ومائة وصيفة^٢. وقال مجاهد ومقاتل: مائتا غلام، ومائتا جارية. وقال قتادة وسعيد بن جبيرة وغيرهما: أرسلت إليه بِلَيْتَةٍ من ذهب في حرير، وديباج.

وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمس مائة غلام، وخمس مائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب، وفي آذانهم أقرطاً، وشتوقاً مرصعات بأنواع الجواهر. وألبست الجواري لباس الغلمان: الأقبية والمناطق، وحملت الجواري على خمس مائة رمكة^٣، والغلمان على خمس مائة بردون^٤، على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر، وغواشياً من الديقاج الملون. وبعثت إليه خمس مائة لينة من ذهب وخمس مائة لينة من فضة، وتاجاً مكللاً بالدرّ والياقوت. وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود، وعمدت إلى حقة، فجعلت فيها درّة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة مثقوبة معوجة الثقب. وأرسلت مع الهدية رجالاً من عقلاء قومها، وكتبت معهم كتاباً إلى سليمان بالهدية. وقالت: إن كنت نبياً فميّز لي بين الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحقة قبل أن تفتحها، وانتقب الدرّ ثقباً مستويًا، وأدخل خيطاً في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جنّ. ورووا أيضاً: أن سليمان عليه السلام أمر الجنّ أن يضربوا البنات الذهب ولبنات الفضة، ففعلوا.

٢. أي خادم، وخادمة.

٤. البخل.

١. النمل (٢٧): ٣٥.

٣. أنش البغال.

ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً، بلبنات الذهب والفضة!! وأن يُعدّوا في الميدان أعجب دوابّ البرّ والبحر، فأعدّوها. ثم قعد على سريره، وأمر الشياطين أن يصطقوا صقفاً فراسخ، وأمر الإنس فاصطقوا فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوامّ والطير، فاصطقوا فراسخ عن يمينه وعن يساره، فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدوابّ التي لم تر أعينهم مثلها تروث على كِبِنِ الذهب والفضة، تقاصرت أنفسهم، ورموا بما معهم من الهدايا. ثم كان أن استعان سليمان بجبريل والشياطين، والأرضة في الإجابة عما سأله عنه^١.

ومعظم ذلك ممّا لا نشكّ أنّه من الإسرائيليات المكذوبة^٢، وأيّ ملك في الدنيا يتّسع لفرش تسعة فراسخ بلبنات الذهب والفضة!! وفي رواية وهب ما يدلّ على الأصل الذي جاءت منه هذه المرويّات. وأنّ من روى ذلك من السلف فإنّما أخذه عن مسلمة أهل الكتاب. وما كان أجدر بكتب التفسير أن تُنزّه عن مثل هذا اللغو والخرافات التي تدنّست إلى الرواية الإسلاميّة فأساءت إليها.



٢١. الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق

ومن الإسرائيليات ما يذكره كثير من المفسّرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سِتْرَيْنِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّمْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا آبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ^٣ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَ قَدَيْنَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ

١. تفسير الجوزي، ج ٣، ص ٤١٧ و ٤١٨.

٢. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٣٦٣.

٣. أضجمه على جبينه على الأرض، وللإنسان جبينان والجهة بينهما.

وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ^١.

فقد روى كثير من المفسرين، منهم ابن جرير^٢، والبغوي^٣، وصاحب الدرر في هذا روايات كثيرة، عن بعض الصحابة والتابعين وكعب الأحمار: أَنَّ الذبيح هو إسحاق. ولم يقف الأمر عند الموقوف على الصحابة والتابعين، بل رفعوا ذلك زوراً إلى النبي ﷺ.

روى ابن جرير، عن أبي كريب، عن زيد بن حباب، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ قال: «الذبيح إسحاق».

وهو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به؛ فالحسن بن دينار متروك، وشيخه علي بن زيد بن جدعان منكر الحديث^٤.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ دَاوُدَ سَأَلَ رَبَّهُ مَسْأَلَةً، فَقَالَ: اجْعَلْنِي مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنِّي ابْتَلَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ فَصَبَرَ، وَابْتَلَيْتَ إِسْحَاقَ بِالدَّبْحِ فَصَبَرَ، وَابْتَلَيْتَ يَعْقُوبَ فَصَبَرَ».

وبما أخرجه الدارقطني، والديلمي في مسند الفردوس بسندهما عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «الذبيح إسحاق».

وهي أحاديث لا تصح ولا تثبت، وأحاديث الديلمي في مسند الفردوس شأنها معروف، والدارقطني ربما يخرج في سننه ما هو موضوع^٥.

وأخرج الطبراني في الأوسط، وابن أبي حاتم في تفسيره، من طريق الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: قال

١. الصافات (٣٧): ١١٣-٩٩.

٢. تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٥١.

٣. الدرر المستور، ج ٥، ص ٢٨٤-٢٧٩.

٤. تفسير البغوي، ج ٤، ص ٣٢.

٥. راجع: أهلام المحذوفين للأستاذ أبي شهبه.

٥. تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٧.

رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرُنِي بَيْنَ أَنْ يَغْفِرَ لِنَصْفِ أُمَّتِي أَوْ شَفَاعَتِي، فَاخْتَرْتُ شَفَاعَتِي وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أَعَمَّ لِأُمَّتِي، وَ لَوْلَا الَّذِي سَبَقَنِي إِلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لَعَجَلْتُ دَعْوَتِي، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا فَزَّجَ عَنِ إِسْحَاقَ كَرِبَ الذَّبِيحِ قَبِيلَ لَهُ: يَا إِسْحَاقُ سَلْ تُعْطَهُ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَا تُعَجِّلْنَهَا قَبْلَ نَزْغَاتِ الشَّيْطَانِ، اللَّهُمَّ مَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا قَدْ أَحْسَنَ فَاغْفِرْ لَهُ»^١. وَالْحَقُّ أَنَّ الْمُرُوتَاتِ فِي أَنَّ الذَّبِيحِ إِسْحَاقَ هِيَ مِنْ إِسْرَائِيلِيَّاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ نَقَلَهَا مِنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، كَكُتْمِ الْأَحْبَارِ. وَ حَمَلَهَا عَنْهُمْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِمْ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ. وَ جَاءَ بَعْدَهُمُ الْعُلَمَاءُ فَاعْتَرَوْا بِهَا، وَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الذَّبِيحِ إِسْحَاقُ؟. وَ مَا مِنْ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَ السِّيَرِ، وَ التَّوَارِيخِ إِلَّا وَ يَذْكَرُ فِيهِ الْخِلَافَ بَيْنَ السَّلَفِ فِي هَذَا، إِلَّا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْتَبِرُ بَيَانِ وَجْهِ الْحَقِّ فِي هَذَا؛ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْتَبِرُ اقْتِنَاعًا بِهَا، أَوْ تَسْلِيمًا لَهَا. وَ حَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُرُوتَاتِ أَنَّهَا مِنْ وَضَعِ أَهْلِ الْكِتَابِ، لَعَادَاتِهِمُ الْمَتَّصِلَةَ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ لِلنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ، فَقَدْ أَرَادُوا أَنْ لَا يَكُونَ لِإِسْمَاعِيلِ الْجَدِّ الْأَعْلَى لِلنَّبِيِّ فَضْلٌ أَنَّهُ الذَّبِيحِ حَتَّى لَا يَنْجَرَّ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ.

تحريرهم للتوراة

و لأجل أن يكون هذا الفضل لجدّهم إسحاق عليه السلام لا لأخيه إسماعيل حرّفوا التوراة في هذا، ولكن الله أبى إلا أن يغفلوا عمّا يدلّ على هذه الجريمة النكراء؛ والجاني غالباً يترك من الآثار ما يدلّ على جريمته، والحقّ يبقى له شعاع، ولو خافت، يدلّ عليه، مهما حاول المبطلون إخفاء نوره، و طمس معالمه. فقد حذفوا من التوراة لفظ «إسماعيل»، و وضعوا بدله لفظ «إسحاق»، و لكنّهم غفلوا عن كلمة كشفت عن هذا التزوير، و ذاك الدسّ المشين.

نص التوراة

ففي التوراة (الإصحاح الثاني و العشرون، الفقرة ٢): «فقال الربّ: خذ ابنك وحييدك

الذي تُحِبُّهُ إِسْحَاقُ، وَاذْهَبَ إِلَى أَرْضِ الْمِريَا، وَأَصْعَدَهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ
الَّذِي أَقُولُ لَكَ...»^١.

وَلَيْسَ أَدَلُّ عَلَى كَذِبِ هَذَا، مِنْ كَلِمَةِ «وَحِيدِكَ»، وَإِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ وَحِيداً قَطُّ
لِأَنَّهُ وُلِدَ وَإِسْمَاعِيلُ نَحْوَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً، كَمَا هُوَ صَرِيحُ تَوَارِيهِمْ فِي هَذَا. وَقَدْ بَقِيَ
إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى مَاتَ أَبُوهُ الْخَلِيلُ، وَحَضَرَ وَفَاتَهُ، وَدَفَنَهُ، وَإِلَيْكَ مَا وَرَدَ فِي هَذَا:

فَفِي سَفَرِ التَّكْوِينِ (الإصحاح السادس عشر، الفقرة ١٦) مَا نَصَّهُ:

«وَكَانَ أَبْرَامُ - يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ - ابْنُ سِتِّ وَثَمَانِينَ سَنَةً، لَمَّا وُلِدَتْ هَاجِرُ إِسْمَاعِيلَ
لأَبْرَامَ»، وَفِي سَفَرِ التَّكْوِينِ: (الإصحاح الحادي والعشرون، الفقرة ٥) مَا نَصَّهُ:
«وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ مِائَةِ سَنَةٍ، حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنَهُ».

وَفِي الْفَقْرَةَ ٩ وَمَا بَعْدَهَا مَا نَصَّهُ:

(٩) وَرَأَتْ سَارَةَ ابْنَ هَاجِرِ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وُلِدَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ يَمْرُحَ (١٠) فَقَالَتْ
لِإِبْرَاهِيمَ: اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَّةَ وَابْنَهَا، لِأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَّةِ لَا يَرِثُ مَعِ ابْنِي إِسْحَاقَ (١١)
فَقَبِحَ الْكَلَامُ جَدًّا فِي عَيْنِي إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ (١٢) فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: لَا يَقْبَحُ فِي عَيْنِكَ
مِنْ أَجْلِ الْفَلَامِ، وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَّتِكَ، فِي كُلِّ مَا تَقُولُ سَارَةُ اسْمِعْ لِقَوْلِهَا، لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ
يُدْعَى لَكَ نَسْلَ (١٣) وَابْنِ الْجَارِيَّةِ أَيْضاً سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً، لِأَنَّهُ نَسْلُكَ»^٢ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

فَمَا قَوْلُكُمْ يَا أَيُّهَا الْيَهُودُ الْمُحَرِّفُونَ؟! وَكَيْفَ يَتَأْتَى أَنْ يَكُونَ إِسْحَاقُ وَحِيداً؟! مَعَ هَذِهِ
النُّصُوصِ الَّتِي هِيَ مِنْ تَوَارِيهِمْ الَّتِي تَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهَا، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُحَرَّفَةٌ!! ثُمَّ مَا
رَأَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُفْتَرِّونَ بِرَوَايَاتِ أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْحَاقَ، بَعْدَ مَا تَأَكَّدْتُمْ تَحْرِيفَ التَّوْرَةِ فِي هَذَا؟
وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَدَلَّتِ التَّوْرَةُ، وَرَوَايَةُ الْبِخَارِيِّ وَغَيْرِهِ عَلَى أَنَّ الْخَلِيلَ

١. وَ قَدْ ذَكَرْتُ الْقِصَّةَ فِي التَّوْرَةِ فِي ١٤ فَفَرَفْتُ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهَا مِنْ بِنَاءِ لِنُكُونِ لَنَا الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، مِنْ نَفْسِ كِتَابِهِمُ
الْمُقَدَّسِ.

٢. وَيَصَدِّقُ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الشَّاهِدِ عَلَى الْكُتُبِ السَّامِيَّةِ كُلِّهَا، فَوَلِّهِ سَبْحَانَ حِكَايَةَ لِمَقَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا
الْبَرَكَاتُ بَعْدَ أَنْ بَنِيَ الْبَيْتَ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِبَنِي إِسْمَاعِيلَ لَدُنَّ رَبِّهِمْ أُمَّةً مُسَبِّحَةً لِلَّهِ﴾ وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ وَعَرَامًا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَ
الْقُرْآنِ، لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ سَتَكُونُ أُمَّةً لَهَا شَأْنُهُمْ مِنْ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَمَّا حَسَدُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ.

إبراهيم عليه السلام أسكن هاجر و ابنها عند مكان البيت المحرم؛ حيث بنى فيما بعد، وقامت مكة بجواره. وقد عيرت التوراة بأنهما كانا في برية فاران، و فاران هي مكة، كما يعبر عنها في العهد القديم. و هذا هو الحق في أنّ قصة الذبح كان مسرحها بمكة و منى، و فيها يذبح الحجاج ذبايحهم اليوم. و قد حرّف اليهود النصّ الأوّل و جعلوه «جبل المريا»، و هو الذي تقع عليه مدينة أورشليم القديمة - مدينة القدس اليوم - ليتمّ لهم ما أرادوا، فأبى الحقّ إلّا أن يظهر تحريفهم!!

و قد ذكر ابن كثير: أنّ في بعض نسخ التوراة «بكرك» بدل «وحيديك» و هو أظهر في البطلان، و أدلّ على التحريف؛ إذ لم يكن إسحاق بكراً للخليل بنصّ التوراة، كما ذكرنا آنفاً.

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام

و الحقّ أنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، و هو الذي يدلّ عليه ظواهر الآيات القرآنيّة، و الآثار عن الصحابة و التابعين، و منها ما له حكم الرفع بتقرير النبيّ صلى الله عليه وآله له.

فلا عجب أن ذهب إليه جمهرة الصحابة، و التابعين، و من بعدهم، و أئمة العلم و الحديث، منهم الصحابة النجباء، و السادة العلماء: الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، و سعيد ابن جبير، و مجاهد، و الشعبيّ، و الحسن البصريّ، و محمد بن كعب القرظيّ، و سعيد بن المسيّب، و الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام، و أبو صالح، و الربيع بن أنس، و أبو عمرو ابن العلاء، و أحمد بن حنبل و غيرهم، و هو إحدى الروايتين، و أقواهما عن ابن عباس.

و في زاد المعاد لابن القيم: أنّه الصواب عند علماء الصحابة و التابعين فمن بعدهم. و هذا الرأي هو المشهور عند العرب قبل البعثة، نقلوه بالتواتر جيلاً عن جيل، و ذكره أميّة بن أبي الصلت في شعر له.

قال: و لا خلاف بين النسايب أنّ عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، و إسماعيل هو القول الصواب عند علماء الصحابة و التابعين و من بعدهم. و أمّا القول بأنّه إسحاق فباطل من

عشرين وجهاً. قال ابن تيمية: هذا القول متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: «إن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه بكره»، وفي لفظ «وحيدة» ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غرّه هؤلاء أنه في التوراة التي بأيديهم: «اذبح ابنك إسحاق». قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم؛ لأنها تناقض قوله: «اذبح بكرك ووحيدك»، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويختاروه لأنفسهم دون المسلمين، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.

وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق؟ والله تعالى قد بشر أم إسحاق به، وبابنه يعقوب، قال تعالى: «فَبَشِّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وِراءِ إِسْحاقَ يَعْقوبَ»^١.

فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد، وللولد ولد، ثم يأمر بذبحه. ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، ويدل عليه أيضاً أن الله ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات، ثم قال -بعدها-: «وَبَشِّرْناه بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصّالِحِينَ»^٢. وهذا ظاهر جداً في أن المُبَشَّر به غير الأول، بل هو كائن في نفسه، وغير معقول في أفصح الكلام وأبلغه أن يُبَشَّر بإسحاق بعد قصة يكون فيها هو الذبيح، فتعني أن يكون الذبيح غيره.

وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة؛ ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامته لذكر الله، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه.

ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب؛ لكانت القرابين والنحر بالشام، لا بمكة، وأيضاً فإن الله سبحانه سَمَّى الذبيح حليماً؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبيح طاعة لربه، ولما ذكر إسحاق سَمَّاهُ عليماً: «قالوا لا تخفْ وَ بَشِّرْوه بِغلامٍ عَلِيمٍ»^٣. وهذا إسحاق بلا ريب؛ لأنه من امرأته وهي المبشرة به، وأما إسماعيل فمن السرية^٤، وأيضاً فلأنهما

١. الصافات (٣٧): ١١٢.

٢. هود (١١): ٧١.

٣. أي الجارية.

٤. الذاريات (٥١): ٢٨.

بشراً به على الكبر واليأس من الولد، فكان ابتلاؤهما بذبحه أمراً بعيداً، وأما إسماعيل فإنه وُلِدَ قبل ذلك... إلى آخر ما قال^١.



٢٢. الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام

و من الإسرائيليات التي تخلّ بمقام الأنبياء، و تُسأفي عصمتهم، ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود عليه السلام عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَ هَلْ أَنَا نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَمَنُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَجْعَةً وَ لِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ بِهَا وَ لَنْ نُؤْتِيَكَ بِهَا إِلاّ الذُّهْنُ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْعَتِكَ إِلَى نَجْعِهِ وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ وَ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا وَ أَنَابَ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَكُلْفًا وَ حُسْنَ مَآبٍ ۝ ٢٢ ﴾

فقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبخاري، والسيوطي في الدر المنثور^٥ من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، ولا يوافق عقلاً، ولا نقلاً، عن ابن عباس، ومجاهد، وهب بن منبه، وكعب الأحبار، والسدي، وغيرهم ما مُحصّلها: أن داود عليه السلام حدث نفسه؛ إن ابتلي أن يعصم، فقيل له: إنك ستبتلي وستعلم اليوم الذي تبتلي فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلي فيه، فأخذ الزبور^٦، ودخل المحراب، وأغلق بابه، وأعد خادمه على الباب، وقال: لا تأذن لأحد اليوم. فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوقه على كوة المحراب، فدنا

٢. أكفلنيها: عنتها إلى.

١. زاد السماد لابن قيم، ج ١، ص ١٤٠٣.

٣. عزّني: غلبني في القول لقرّته، وجاهه وضعفي.

٤. الدر المنثور، ج ١٥، ص ٣٠٠٠٠٢.

٤. ص (٣٨): ٢١، ٢٥.

٦. كتاب داود عليه السلام.

منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظلّه نفضت شعرها، فغطّت جسدها به، وكان زوجها غائبا في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: أن اجعله في حملة التابوت^١، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقتل.

وفي بعض هذه الروايات الباطلة: أنه فعل ذلك ثلاث مرّات، حتّى قُتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها، خطبها داود عليه السلام، فتسوّر عليه الملكان، وكان ما كان، ممّا حكاها الله تعالى. ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة والتابعين، و مسلمة أهل الكتاب، بل جاء بعضها مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

قال صاحب الدرّة: وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند ضعيف، عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة، قطع^٢ على بني إسرائيل، وأوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدو فقتل فلاناً بين يدي التابوت»، وكان التابوت في ذلك الزمان يستتصر به من قدم بين يدي التابوت، لم يرجع حتّى يقتل أو ينهزم معه الجيش، فقتل، وتزوّج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجداً، حتّى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه، وهو يقول في سجوده: «ربّ زلّ داود زلّة أبعد ممّا بين المشرق والمغرب، ربّ إن لم ترحم ضعف داود، وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديناً في المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود إنّ الله قد غفر لك، وقد عرفت أنّ الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا ربّ دمي الذي عند داود، قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، ففرح جبريل، وسجد داود عليه السلام، فمكث ما شاء الله، ثمّ نزل، فقال: قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود: إنّ الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب لي دمك الذي

١. صندوق فيه بعض مخلقات أنبياء بني إسرائيل، فكانوا يقدمونه بين يدي الجيش كي ينصروا.

٢. هي هكذا في الدرّة المستور، وفي ظهير الخوى، ج ٤، ص ٦٢: فاهتمّ فقطع. وفي بعض النسخ: فهم أن يجمع.

عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت، وما اشتهيت عوضاً. وقد رواها البغوي أيضاً عن طريق الثعلبي^١، والرواية منكرة مختلفة على الرسول. وفي سند هذه الرواية المختلفة على رسول الله ﷺ ابن لهيعة، وهو مضعف في الحديث، وفي سندها أيضاً يزيد بن أبان الرقاشي، كان ضعيفاً في الحديث.

وقال فيه النسائي، والحاكم أبو أحمد: إنه متروك، وقال فيه ابن حبان: كان من خيار عباد الله، من البكّائين بالليل، غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي ﷺ، فلا تحلّ الرواية عنه إلا على جهة التعجب^٢.

وقال العلامة ابن كثير في تفسيره: «وقد ذكر المفسرون هاهنا قصة: أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب أتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصحّ سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنّه ضعيف الحديث عند الأئمة»^٣.

ومن ثمّ يتبين لنا كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول الله ﷺ، ولا تكاد نصدق ورود هذا عن المعصوم، وإنما هي اختلاقات، وأكاذيب من إسرائيليّات أهل الكتاب، وهل يشكّ مؤمن عاقل يقرّ بعصمة الأنبياء، في استحالة صدور هذا عن داود رضي الله عنه، ثمّ يكون على لسان من؟ على لسان من كان حريصاً على تنزيه إخوانه الأنبياء عمّا لا يليق بعصمتهم، وهو نبيّنا محمد رضي الله عنه، ومثل هذا التدبير السيئ، والاسترسال فيه على ما روي، لو صدر من رجل من سوقة الناس وعامتهم، لاعتبر هذا أمراً مستهجناً مستقبحاً، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس، زكت نفسه، وطهرت سريره، وعصمه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم؟!!

ولو أنّ القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود، ولنفرت منه الناس، وكان لهم العذر في عدم الإيمان به، فلا يحصل المقصد الذي من أجله أرسل الرسل، وكيف يكون

١. تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥٢-٥٩: الدرر المنجود، ج ٥، ص ٣٠٠-٣٠١.

٢. تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٣١.

٣. تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ٣٠٩.

على هذه الحال من قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَإِنْ لَهُ عُنْدَنَا لَزُنْفٌ وَحُسْن مَّآبٍ﴾؟ قال ابن كثير في تفسيرها: «وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله ﷻ بها و حسن مرجع، وهو الدرجات العالية في الجنة لنبوته و عدله التام في ملكه، كما جاء في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان، وكلتا يديه يمين، الذين يقسطون في أهلهم، و ما ولوا»، و قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنِّي مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنْ أَبْغَضَ النَّاسَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ» رواه أحمد، و الترمذي^١.

و لكي يستقيم هذا الباطل قالوا: إن المراد بالنعجة هي المرأة، و أن القصة خرجت مخروج الرمز و الإشارة، و رووا: أن الملكين لما سمعا حكم داود، و قضاءه بظلم صاحب التسع و التسعين نعجة لصاحب النعجة، قالوا له: و ما جزاء من فعل ذلك؟ قال: يقطع هذا، و أشار إلى عنقه. و في رواية: «يضرب من هاهنا، و هاهنا، و هاهنا» و أشار إلى جبهته، و أنفه، و ما تحته، فضحكا، و قالوا، «أنت أحقّ بذلك منه، ثمّ صعدا».

و ذكر البغوي في تفسيره و غيره، عن وهب بن منبه: أن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يرقأ دمه ليلاً و لا نهاراً، و كان أصاب الخطيئة، و هو ابن سبعين سنة، فقسّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيّام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، و يوم لنسائه، و يوم يسيح في الفياقي، و الجبال، و السواحل، و يوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك. فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفياقي، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و يبكي معه الشجر، و الرمال، و الطير، و الوحش، حتّى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثمّ يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكي معه الجبال، و الحجارة، و الدواب، و الطير، حتّى تسيل من بكائهم الأودية، ثمّ يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، و تبكي

معه الحيتان، ودواب البحر و طير الماء و السباع^١. و الحق: أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، و ليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، و هي التي عليها المعول، و ليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته إلى مجازه، و لا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز و الإشارة.

و ما أحسن ما قال الإمام القاضي عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب، الذين بدلوا، و غيروا، و نقله بعض المفسرين، و لم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، و لا ورد في حديث صحيح، و الذي نص عليه في قصة داود: ﴿وَوَهَبْنَا دَاوُدَ أَلْهَمًا فَتَنَّاوُهَا﴾ و ليس في قصة داود، و أوريا خير ثابت^٢.

و المحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي، قال الداودي: ليس في قصة داود و أوريا خبر يثبت، و لا يظن بنبي محبة قتل مسلم، و قد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة و ستين جلدة، و ذلك حد الفرية على الأنبياء^٣، و هو كلام مقبول و مروى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً^٤.

التفسير الصحيح للآيات

و إذا كان ما روي من الإسرائيليات الباطلة التي لا يجوز أن تفسر بها الآيات، فما التفسير الصحيح لها إذا؟

و الجواب: أن داود عليه السلام كان قد وزع مهام أعماله، و مسؤولياته نحو نفسه، و نحو الرعية على الأيام، و خص كل يوم بعمل، فجعل يوماً للعبادة، و يوماً للقضاء و فصل الخصومات، و يوماً للاشتغال بشؤون نفسه و أهله، و يوماً لوعظ بني إسرائيل.

ففي يوم العبادة بينما كان مشغولاً بعبادة ربه في محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسورا

١. تفسير الجوزي، ج ٤، ص ٥٧، ٥٨.

٢. الشافعي، التبريد، ج ٢، ص ١٥٨.

٣. لأن حد الفذف لعير الأنبياء ثمانين، فرأى عليه السلام تضميفه بالنسبة إلى الأنبياء و في الكذب عليهم رمى لهم بما هم براء منه، ففيه معنى الفذف لداود بالتمذي على حرمان الأعراس و التعايل في سبيل ذلك.

٤. راجع: مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٧٢؛ جواهر الآوار، ج ١٤، ص ٢٩، رقم ٦.

عليه من السور، ولم يدخل من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، وفزع فزعاً لا يليق بمثله من المؤمنين، فضلاً عن الأنبياء المتوكّلين على الله غاية التوكّل، الواثقين بحفظه، ورعايته، وظنّ بهما سوءاً، وأنهما جاءا ليقْتلاه، أو يبغيا به شرّاً، ولكن تبين له أنّ الأمر على خلاف ما ظنّ، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه. فلما قضى بينهما، وتبين له أنّهما بريئان مما ظنّه بهما، استغفر ربّه، وخرّ ساجداً لله تعالى تحقيقاً لصدق توبته والإخلاص له، وأناب إلى الله غاية الإجابة.

ومثل الأنبياء في علوّ شأنهم، وقوّة ثقتهم بالله والتوكّل عليه أن لا تُعلّق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء، ومثل هذا الظنّ وإن لم يكن ذنباً في العادة، إلّا أنّه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى والأليق بهم، وقديماً قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين»، فالرجلان خصمان حقيقة، وليسا ملكين كما زعموا، والتعاج على حقيقتها، وليس ثمة رموز ولا إشارات.

وهذا التأويل هو الذي يوافق نظم القرآن ويتفق وعصمة الأنبياء، فالواجب الأخذ به، ونبذ الخرافات والأباطيل، التي هي من صنع بني إسرائيل، وتلقفها القصاص وأمثالهم ممن لا علم عندهم، ولا تمييز بين الغثّ والسمين.



٢٣. الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام

ومن القصص التي تزيد فيها المتزيّدون، واستغلّها القصاصون، وأطلقوا فيها لخيالهم العنان: قصة سيّدنا أيوب عليه السلام، فقد روي فيها ما عصم الله أنبياءه عنه. وصوره بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله.

فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُحْبٍ وَعَذَابِ أَرْكُضٍ بِرَجْلِكَ هَذَا مُمْغَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ لَّهُ وَأَهْلُهُ وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنَّا وَذِكْرِي لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا

وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾. ذكر السيوطي في الدرّ المنثور وغيره، عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرَ عَبْدَنَا أَيُّوبَ...﴾، قال: ذهب الأهل والمال، والضّر الذي أصابه في جسده، قال: ابتلى سبع سنين وأشهرًا، فألقي على كنانة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرّج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن.

قال: وأخرج أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وابن عسّاكر عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: إنّ الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا ربّ سلّطني على أيّوب رضي الله عنه، قال الله: قد سلّطتك على ماله، وولده، ولم أسلّطك على جسده، فنزل، فجمع جنوده، فقال لهم: قد سلّطت على أيّوب رضي الله عنه فأروني سلطانتكم، فصاروا نيرانًا، ثم صاروا ماءً، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه، وقال: إنّه لا يعتصم منكم إلّا بالمعروف، فأتوه بالمصائب، بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع، فقال: يا أيّوب، ألم تر إلى ربّك، أرسل على زرعه عدوًّا، فذهب به. وجاء صاحب الإبل، وقال: ألم تر إلى ربّك، أرسل على إيلك عدوًّا، فذهب بها. ثمّ جاء صاحب البقر، فقال: ألم تر إلى ربّك، أرسل على بقرك عدوًّا، فذهب بها. وتفرد هو بينيه، جمعهم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، ويشربون، إذ هبّت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيّوب بصورة غلام، فقال: يا أيّوب، ألم تر إلى ربّك جمع بنيك في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، ويشربون، إذ هبّت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم. فلورأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم، وشرابهم. فقال له أيّوب: أنت الشيطان، ثمّ قال له: أنا اليوم كيوم ولدتني أمي، فقام، فحلق رأسه، وقام يصلي، فرنّ إبليس رنة سمع بها أهل السماء، وأهل الأرض، ثمّ خرج إلى السماء، فقال: أي ربّ، إنّه قد اعتصم، فسلّطني عليه، فبأني لا أستطيعه إلّا بسلطانتك، قال: قد سلّطتك على جسده، ولم أسلّطك على قلبه، فنزل، فنفتح

تحت قدمه نفخة، قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وألقى على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسمى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف، فأطعمك، فادع الله أن يشفيك، ويريحك، قال: ويحك، كئفاً في النعيم سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء جبريل عليه السلام يوماً فأخذ بيده، ثم قال: قم، فقام، فنحاه عن مكانه، وقال: اركض برجلك، هذا معتسل بارد وشراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضاً، فقال: اركض برجلك فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، وهو قوله: «أرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ»، وألبسه الله حُلَّةً من الجنة. ففتح أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذي كان هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئاب، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب! قد رد الله عليّ جسدي، ورد الله عليه ماله، وولده عياناً ومثلهم معهم^١.

قال: وأخرج أحمد في الزهد، عن عبد الرحمان بن جبيرة رضي الله عنه، قال: ابتلي أيوب بماله، وولده، وجسده، وطُرح في المزبلة، فجاءت امرأته تخرج، فتكتسب عليه ما تُطعمه، فحسده الشيطان بذلك، فكان يأتي أصحاب الخير والفضي، فيقول: اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم، فإنها تُعالج صاحبها، وتلمسه بيدها، فالناس يتقَدِّرون طعامكم من أجلها، ففعلوا لا يدنونها منهم، ويقولون: تباعدي ونحن نُطعمك، ولا تقرينا.

وقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم الكثير من هذه الروايات في تفسيريهما، منها: ما هو موقوف، وبعضها مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك ذكر ابن جرير، والبغوي، وغيرهما، عند تفسير قوله تعالى: «وَإِيَّاءُ الَّذِينَ إِذْ نَادَى رَبَّهُمْ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَرَبَّهُمْ هُمْ كَفَرُوا إِذْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُجْرِمُونَ»^٢، فاستجبتنا له فكفنا ما به من ضرٍّ و آتينا أهله و مثلهم معهم رحمة من عندنا و ذكرى

للعابدين»^١ الكثير من الإسرائيليات.

فقد روي قصة أيوب وبلائه عن وهب بن منبه، في بضع صحائف، وقد التبس فيها الحقّ بالباطل، والصدق بالكذب^٢.

وقال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: «وقد روي عن وهب بن منبه في خبره - يعني أيوب - قصة طويلة، ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة، تركناها لحال الطول.

ومن العجيب أنّ الحافظ ابن كثير وقع فيما وقع فيه غيره في قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات ولم يعقب عليه^٣، مع أن عهدنا به أنه لا يذكر شيئاً من ذلك إلاّ وينبّه على مصدره، ومن أين دخل في الرواية الإسلامية، ولا أظنّ أنه يرى في هذا أنه ممّا يتباح روايته!!

فقد ذكر أنه يقال: إنّه أصيب بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله ﷻ حتى عافه الجليس، و صار منبواً في ناحية من البلد، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته، وتحملت في بلائه ما تحملت، حتى صارت تخدم الناس، بل قد باعت شعرها بسبب ذلك، ثم قال: وقد روي، أنه مكث في البلاء مدة طويلة، ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء، فقال الحسن - يعني البصري - و قتادة: ابتلي أيوب ﷺ سبع سنين وأشهرًا؛ ملقى على كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء. وقال وهب بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين، لا يزيد ولا ينقص. وقال السدي: تساقط لحم أيوب، حتى لم يبق إلاّ العصب والعظام. ثم ذكر قصة طويلة.

ثم ذكر ما رواه ابن أبي حاتم بسنده، عن الزهري، عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «إنّ نبيّ الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانين سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلاّ رجلين

٢. تفسير الخوئي، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٦٤.

١. الأنبياء (٢١): ٨٣ و ٨٤.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٨٨-١٩٠.

من إخوانه، كانا من أخصّ إخوانه له، كانا يقدوان إليه و يروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم - والله - لقد أذنب أيّوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذلك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحم الله، فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيّوب عليه السلام: ما أدري ما تقول، غير أنّ الله تعالى يعلم أنّي كنت أمرّ على الرجلين يتازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي، فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حقّ. قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده، حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيّوب في مكانه: أن اركض برجلك هذا مقتسل بارد و شراب».

وقال ابن كثير: رُفِعَ هذا الحديث غريب جداً، وقال الحافظ ابن حجر: وأصح ما ورد في قصّته ما أخرجه ابن أبي حاتم و ابن جرير، و صحّحه ابن حبان و الحاكم، بسند عن أنس: أنّ أيّوب ... ثمّ ذكر مثل ذلك.

و المحققون من العلماء على أنّ نسبة هذا إلى المعصوم عليه السلام إمّا من عمل بعض الوضّاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلظ بعض الرواة، وأنّ ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل و افتراءاتهم على الأنبياء. على أنّ صحّة السند في مصطلحهم لا تنافي أنّ أصله من الإسرائيليات، و ابن حجر على مكانته في الحديث ربّما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلّة العقلية و النقلية، كما فعل في قصّة الفرانيق، و هاروت و ماروت، و كلّ ما روي موقوفاً أو مرفوعاً لا يخرج عمّا ذكره و هب بن منبه، في قصّة أيّوب، التي أشرنا إليها آنفاً، و ما روي عن ابن إسحاق أيضاً، فهو ممّا أخذ عن و هب، و غيره.

و هذا يدلّ أعظم الدلالة على أنّ معظم ما روي في قصّة أيّوب ممّا أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، و جاء القصّاصون المولعون بالفرائب، فزادوا في قصّة أيّوب، و أذاعوها، حتّى اتّخذ منها الشحاذون، و المتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس،

واستدرار العطف عليهم.

الحق في هذه القصة

وقد دلّ كتاب الله الصادق، على لسان نبيه محمد الصادق، على أن الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب عليه السلام في جسده، وأهله، وماله، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك، وقد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب، قال عزّ شأنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، فالبلاء ممّا لا يجوز أن يشكّ فيه أبداً، والواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله، ولا يتزَيّد في القصة كما تزَيّد زنادقة أهل الكتاب، وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم، وليس هذا بعجيب من بني إسرائيل الذين لم يتجرّأوا على أنبياء الله ورسله فحسب، بل تجرّأوا على الله تبارك وتعالى ونالوا منه، وفحشوا عليه، ونسبوا إليه ما قامت الأدلّة العقلية والنقلية المتواترة على استحالتة عليه سبحانه وتعالى من قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^١، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِئِنَّا قَالُوا﴾^٢، عليهم لعنة الله. والذي يجب أن نعتقده أنه ابتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حدّ هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام^٣، وأنّ جسده أصبح قرحة، وأنه ألقى على كنانة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبت به دوابّ بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري.

وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقرّزهم منه، وأيّ فائدة تحصل من الرسالة، وهو على هذه الحال المزريّة، التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله؟.

والأنبياء إنّما يعثون من أوساط قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه، وتطمعه؟! يدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع ضفيريّتها في سبيل إطعامها!! بل أين كان أتباعه، والمؤمنون منه، فهل تخلّوا عنه في بلائه؟! وكيف والإيمان ينافي

٢. المائدة (٥): ٦٤.

١. آل عمران (٣): ١٨١.

٣. الجذام: مرض من أعثت الأمراض وأقدها. ٤. خيارهم وأكرمهم نسباً وعشيرة.

ذلك؟

الحق أن نسج القصة مهلهل، لا يثبت أمام النقد، ولا يؤيده عقل سليم، ولا نقل صحيح، وأن ما أصيب به أيوب من المرض إنما كان من النوع غير المنقر، والمقرز، وأنه من الأمراض التي لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، وأمراض المفاصل، والعظام ونحوها. ويؤيد ذلك أن الله لما أمره أن يضرب الأرض بقدمه، فضرب فنبعت عين، فاغتسل منها و شرب، فبرأ بإذن الله.

قال العلامة الطبرسي: قال أهل التحقيق: إنه لا يجوز أن يكون بصفة يستقدره الناس عليها، لأن في ذلك تنفيراً. فأما المرض والفقر و ذهاب الأهل، فيجوز أن يمتحنه الله بذلك!



٢٤. الإسرائيليات في قصة «إرم ذات الجوارح»

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين كالطبري، والشعبي، والزمخشري، وغيرهم في تفسير قوله تعالى: «ألم تر كيف فعل ربك بإرم ذات الجوارح التي لم يخلق مثلها في البلاد»^١.

فقد زعموا أن «إرم» مدينة، وذكروا في بنائها و زخارفها ما هو من قبيل الخيال، ورووا في ذلك أنه كان لعاد ابنان: شداد، شديد، فملكا و قهرا، ثم مات شديد و خلص الأمر لشداد فملك الدنيا، فسمع بذكر الجنة، فقال: أبني مثلها، فبنى «إرم» في بعض صحاري عدن، في ثلاث مائة سنة، و كان عمره تسع مائة سنة، و هي مدينة عظيمة، و سورها من الذهب و الفضة، و أساطينها من الزبرجد و الياقوت. و لما تم بناؤها سار إليها بأهب^٢ مملكته، فلما كان منها مسيرة يوم و ليلة بعث الله تعالى صيحة من السماء، فهلكوا.

٢. الفجر (٨٩): ٨٠٦.

١. مجمع البيان ج ٨، ص ٣٦٤.

٣. جمع أهبة، و الأهبة - بضم الهمزة - المذة كما في القاموس.

و روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة: أنه خرج في طلب إيل له، فوقع عليها - يعني مدينة «إرم» -، فحمل منها ما قدر عليه، وبلغ خبره معاوية، فاستحضره، وقص عليه، فبعث إلى كعب الأحبار، فسأله عنها فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانه أحمر، أشقر، قصير، على حاجبه خال، ثم التفت، فأبصر ابن قلابة، فقال: هذا والله ذاك الرجل^١.

وهذه القصة موضوعة، كما تبّه إلى ذلك الحفاظ، و آثار الوضع لانهة عليه، وكذلك ما روي: أن «إرم» مدينة دمشق، وقيل: مدينة الإسكندرية. قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن عكرمة، قال: «إرم» هي دمشق، وأخرج ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن عساكر عن سعيد المقبري مثله، وأخرج ابن عساكر، عن سعيد بن المسيب، مثله، قال: وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: «إرم» هي الإسكندرية^٢.

وكل ذلك من خرافات بني إسرائيل، ومن وضع زنادقتهم، ثم رواها مسلمة أهل الكتاب فيما رواوا، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، وألصقت بتفسير القرآن الكريم.

قال ابن كثير في تفسيره: ومن زعم أن المراد بقوله: «إِرم ذات الجوارح»: مدينة إرم دمشق، أو إسكندرية، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتزم الكلام على هذا «ألم تر كيف قتل ربك إرم إرم ذات الجوارح» أن جعل بدلاً أو عطف بيان؟^٣ فإنه لا يتسق الكلام حينئذ، ثم المراد: إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد: الإخبار عن مدينة أو إقليم، وإنما تبهت على ذلك لتلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية

١. راجع: فكتناه، ج ٤، ص ٧٤٨ (عند تفسير هذه الآية)؛ تفسير الجوهري، ج ٤، ص ٨٢٤، و النسفي، و الخازن عند تفسير هذه الآية.

٢. أي لفظ إرم، بدل من عاد أو عطف بيان.

٣. الدر المنثور، ج ٦، ص ٣٤٧.

بلبن الذهب والفضة، وأن حصباءها لثالي وجواهر، و تراها بنادق المسك... فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك. وقال فيما روي عن ابن قلابة: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أصابه نوع من الهوس، والخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وهذا ما يقطع بعدم صحته. وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة، والطامعين، والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطر الذهب والفضة، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة، والسفهاء، فيأكلونها بالباطل، في صرفها في بخاخير، وعقاقير، ونحو ذلك من الهذيان، ويطنزون بهم.



والصحيح في تفسير الآية: أن المراد «بِإِزْمِ ذَاتِ الْإِهَادِ» قبيلة عاد المشهورة، التي كانت تسكن الأحقاف، شمالي حضرموت، وهي عاد الأولى، التي ذكرها الله سبحانه في سورة النجم، قال سبحانه: «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى»، ويقال لمن بعدهم: عاد الآخرة، وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح. قاله ابن إسحاق وغيره، وهم الذين بعث فيهم رسول الله هوداً عليه السلام فكذبوه، وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم، ومن آمن معه منهم، وأهلكهم «يَرِيحُ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ مُخْلِجٌ خَاوِيَةً قَهْلَ تَرَى لَّهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ»^٢.

وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقله تعالى: «إِزْمِ ذَاتِ الْإِهَادِ»، بدل من «عاد» أو عطف بيان زيادة تعريف بهم، وقوله تعالى: «ذَاتِ الْإِهَادِ»؛ لأنهم كانوا في زمانهم أشد الناس خلقة، وأعظمهم أجساماً، وأقواهم بطشاً. وقيل: ذات الأبنية التي بنوها، والدور، والمصانع التي شادوها. وقيل: لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي تُرفع بالأعمدة الفلاظ الشداد. والاول أصح وأولى، فقد

٢. الحاقفة (٦٩): ٨٠٦.

١. تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٠٧-٥٠٨.

ذكرهم نبيهم هود بهذه النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة الله - تبارك وتعالى - الذي خلقهم ومنحهم هذه القوة، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نوحٍ زَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَمْ لَمْ يَمروا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^٢، وقوله هنا: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ﴾ أي القبيلة المعروفة المشهورة التي لم يخلق مثلها في بلادهم، وفي زمانهم، لقوتهم، وشدتهم، وعظم تركيبهم.

ومهما يكن من تفسير ذات العماد: فالمراد القبيلة، وليس المراد مدينة، فالحديث في السورة إنما هو عمن مضى من الأقسام الذين مكّن الله لهم في الأرض، ولما لم يشكروا نعم الله عليهم، ولم يؤمنوا به وبرسله، بطش بهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ففيه تخويف لكفار مكة، الذين هم دون هؤلاء في كل شيء، وتحذيرهم أن يصيهم مثل ما أصاب هؤلاء.

ما روي في عظم طولهم

وليس معنى قوتهم، وعظم خلقهم، وشدة بطشهم أنهم خارجون عن المألوف في الفطرة، فمن ثم لا تكاد نصدّق ما روي في عظم أجسامهم، وخروج طولهم عن المألوف المعروف، حتّى في هذه الأزمنة، فقد روى ابن جرير في تفسيره، وابن أبي حاتم وغيرهما عن قتادة، قال: كنّا نحدث أنّ «إرم» قبيلة من عاد، كان يقال لهم: ذات العماد، كانوا أهل عمود، ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ﴾، قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر ذراعاً^٣ طولاً في السماء، وهذا من جنس ما روي في العماليق. وأغلب الظنّ عندنا أنّ من ذكر لهم ذلك هم أهل الكتاب الذين أسلموا، وأنه من الإسرائيليات المختلفة.

وأيضاً لا تكاد نصدّق، ما روي عن المعصوم عليه السلام في هذا، فقد روى ابن أبي حاتم،

٢. فضلت (٤١): ١٥.

١. الأعراف (٧): ٦٩.

٣. حوالي ستة أمتار أو تزيد.

قال: حَدَّثَنَا أَبِي، قال: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ كَاتِبَ اللَّيْثِ، قال: حَدَّثَنِي معاوية بن صالح، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عن المقدم بن معديكرب، عن النبي ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ «إِزْمَ ذَاتِ الْعِبَادَةِ» فَقَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْتِي إِلَى الصَّخْرَةِ، فَيَحْمِلُهَا عَلَى كَاهِلِهِ، فَيَلْقِيهَا عَلَى أَيِّ حَيٍّ أَرَادَ فِيهِلِكُهُمْ». ولعلّ البلاء، والاختلاق فيه من المجهول، وروى مثله ابن مردويه^٢.

وأخرى الله من نسب مثل هذا الباطل إلى النبي ﷺ، ولا نشك أنّ هذا من عمل زنادقة أهل الكتاب وغيرهم، الذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام، فسلكوا في محاربتة مسلك الدس، والاختلاق، بنسبة أمثال هذه الخرافات إلى المعصوم ﷺ، وإبنا لتعجب لمسلم يقبل أمثال هذه الرويات التي تُزري بالإسلام، وتنفّر منه، ولا سيما في هذا العصر الذي تقدّمت فيه العلوم، والمعارف، وأصبح ذكر مثل هذا يثير السخرية، والاستكار والاستهزاء.

٢٥. الإسرائيليات و الخرافات فيما يتعلّق بعمر الدنيا و بدء الخلق، و أسرار الوجود، و تعليل بعض الظواهر الكونية

ومن الإسرائيليات والموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير وغيرها كثير مما يتعلّق بعمر الدنيا و بدء الخلق، و أسرار الوجود، و أسباب الكائنات، و تعليل بعض الظواهر الكونية تعليلاً باطلاً غير صحيح، و قد جاء معظمه موقوفاً على الصحابة والتابعين، و جاء بعضه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، و هنا تكون الطامة؛ لأنّ هذه الروايات متهافة باطلة، فنسبتها إلى المعصوم ﷺ من الخطورة بمكان.

وكان هؤلاء الذين وضعوها وأصغوها بالنبي ﷺ زوراً؛ كانوا يدركون بعمد نظرهم أنّه سيأتي اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق العلمية لهذه الأمور الكونية، ومعرفة التعليقات الصحيحة لسنن الله في الكون، فنسبوا إليه هذه الخرافات، كي يُشككوا في عصمة النبي ﷺ، وأنّه ما ينطق عن الهوى، ويقلّوا الثقة بالأنبياء، وهم قوم من الزنادقة الذين

جمعوا بين الزندقة، و العلم، و المعرفة ببعض الظواهر، و العلوم الكونية، و هم أعظم الطوائف كيداً للإسلام، لخبث نياتهم، و إحكام كيدهم.

و لا ندري ماذا يكون موقف الداعي إلى الله في المجتمعات العلمية، و البيئات المتحضرة إذا وُوجه بمثل هذه الروايات الباطلة التي تغضّ من شأن الإسلام، و هو منها براء؟

و لو أنّ هذه الروايات صحّت أسانيداً لربّما كان للمتمسّكين بها، و المنتصرين لها بعض المَعذرة، أمّا و هي ضعيفة أسانيداً، واهية مخارجها، فالواجب ردّها و لا كرامة. نعم، إنّ معظم هذه الروايات في الأمور الكونية تخالف مخالفة ظاهرة، المقرّرات و الحقائق العلميّة التي أصبحت في حكم البديهيات و المسلّمات ككروية الأرض، و دورانها، و سبب حدوث الخسوف و الكسوف و نحوها، و الانتصار لهذه الروايات التي تصادم الحقائق العلميّة الثابتة، ممّا يعود على الإسلام بالضرر و النقص، و ينفر منه المفكّرون و ذوو العلم، و المعرفة، بل هي أضّرّ على الإسلام من طعن أعدائه فيه.

ما يتعلّق بعمر الدنيا

فقد ذكروا في عمر الدنيا أنّه سبعة آلاف سنة، و أنّ النبيّ محمدًا ﷺ، بعث في آخر السادسة، فقد ورد ذلك مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ، و حكم عليه ابن الجوزيّ بالوضع في كتابه الموضوعات، و أحربّ به أن يكون مختلفاً مكذباً على رسول الله ﷺ.

و كذلك جاء بعض هذه الأخبار موقوفاً على ابن عباسٍ رضي الله عنهما ورد ذكر ذلك في كتب التفسير، و بعض كتب الحديث، و كتب التواريخ و نحوها، و قد قال السيوطي: إنّها صحيحة!!

و لا ندري ماذا يقول المنتصرون لمثل هذه الأباطيل، فيما هو ثابت من أنّ عمر الدنيا أضعاف أضعاف ذلك، حتّى أصبح ذلك من البديهيات المسلّمات، و إنّ التمسك بمثل هذه الروايات أضّرّ على الدين من طعن أعدائه.

ولو أن النبي ﷺ بُعث - كما يقولون - في آخر المائة السادسة، لقامت القيامة من زمن مضى، فظهر أن الواقع والمشاهدة يكذبان ذلك أيضاً، ويردانه.

ما يتعلّق بخلق الشمس والقمر

ومن ذلك أيضاً: ما ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والثعلبي، وغيرهم من المفسرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن قَامُوا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَن بَدَأُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْرًا فَضْلًا تَفْصِيلاً﴾^١.

فقد روى عن ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لما أبرم خلقه، فلم يبق من خلقه غير آدم عليه السلام، خلق شمساً من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علم الله أن يدعها شمساً، فإنه خلقها مثل الدنيا، ما بين مشارقتها ومغارها، وأما ما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحوّلها قمرًا، فإنه خلقها مثل الشمس في الضوء، وإنما يرى الناس صغرهما لشدة ارتفاعهما، ولو تركهما الله كما خلقهما في بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار، ولا النهار من الليل، وكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه، وكان الصائم لا يدري إلى متى يصوم، ومتى يفطر، إلى أن قال: فأرسل جبريل، فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرّات، وهو يومئذ شمس فمحا عنه الضوء، وبقي فيه النور، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن قَامُوا﴾ فالسواد الذي ترونه في القمر هو أثر ذلك المحو».

وكذلك روى هذا الباطل ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وسنده واه؛ لأنّ فيه نوح بن أبي مريم، وهو وضاع دجال، وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع والاختلاق^٢، ومنشؤه من الإسرائيليات التي ألصقت بالنبي زوراً، وفيه من الركاكة اللفظية، والمعنوية ما يشهد بوضعه على النبي، وليس عليه شيء من نور النبوة.

١. الإسراء: (١٧): ١٢.

٢. اللئالي المنصرفة في الأحاديث المرفوعة ج ١، ص ٢٤ ر ما بعدها.

و ما كان رسول الله ﷺ يتعرّض للكوثيات بهذا التفصيل، و لما سئل عن الهلال لم يبدو صغيراً ثم يكبر، حتى يصير بدرأ، ثم يصغر؟ أجاب بالفائدة، فقال: ﴿هِيَ مَوَاقِشُ لِلنَّاسِ وَالْحَيَّجِّ﴾ لَأَنَّ بِالْأَهْلَةِ تُعْرَفُ السَّنُونَ، وَ الشُّهُورُ، وَ عَلَيْهَا تَتَوَقَّفُ مَصَالِحُ النَّاسِ الدِّيْنِيَّةِ وَ الدُّنْيَوِيَّةِ، فِيهَا يَعْرِفُونَ حَجَّتَهُمْ، وَ صَوْمَهُمْ، وَ إِخْرَاجَ زَكَاتِهِمْ، وَ حُلُولَ أَجَالِ دِيُونِهِمْ وَ نَحْوَهَا، وَ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ التَّعَرُّضُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْكُوْتِيَّاتِ بِالتَّفْصِيْلِ، فَتَرْكُهَا لِعُقُولِ النَّاسِ، وَ إِدْرَاكَاتِهِمْ أَوْلَى، وَ لَا سِيَّمَا أَنَّهُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأُمَّةِ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ فَائِدَةُ دِيْنِيَّةٍ، وَ الْقُرْآنِ وَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ حِينَمَا يَعْرِضَانِ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْكُوْتِيَّاتِ يَكُونُ غَرَضُهُمَا انْتِزَاعُ الْعِبْرَةِ، وَ الِاسْتِدْلَالُ بِمَا أُوْدِعَ فِيهَا عَلَى وَجُودِ اللَّهِ - جَلَّ وَ عَزَّ - وَ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَ قُدْرَتِهِ، وَ عِلْمِهِ، وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ، وَ لِذَلِكَ لَا تَقْفُ فِيْمَا صَحَّ وَ ثَبِتَ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ التَّفْصِيْلَاتِ الَّتِي نَجَدُهَا فِي الْآثَارِ الضَّعِيْفَةِ، وَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْبَاطِلَةِ.

ما يتعلّق بتعليل بعض الظواهر الكونية

و من ذلك ما يذكره بعض المفسرين، و ما يوجد في بعض كتب الحديث في غروب الشمس، و أنّها إذا غربت ابتلعها حوت، و ما يتعلّق بالسموات، و الأجرام السماوية، و من أيّ الجواهر هي؛ و الأرض و علام استقرّت، و أنّها على ظهر حوت، و ما يذكرونه في تعليل برودة الآبار في الصيف، و سخونتها في الشتاء، و عن منشأ الرعد و البرق، و عن منشأ السحاب، إلى نحو ذلك ممّا لا نصدّق و روده عن المعصوم ﷺ. و ما ورد منه موقوفاً، فمرجهه إلى الإسرائيليات الباطلة، أو إلى الزنادقة الذين أرادوا أن يُظهروا الإسلام بمظهر الدين الخرافيّ الذي ينافي العلم، و السنن الكونية.

فقد روي عن أبي أمامة الباهليّ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «وَكُلُّ بِالشَّمْسِ تَسْمَعُ أَمْلاكَ، يَرْمُونَهَا بِالشَّلْجِ كُلِّ يَوْمٍ، لَوْ لَا ذَلِكَ مَا أَتَتْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقْتَهُ» رواه الطبرانيّ. و من أحد رواته عقير بن معدان، و هو ضعيف جداً، و لو أن الحديث صحيح السند، أو ثابت، لتمحّلنا، و قلنا: إنّه من قبيل التمثيل، أمّا و هو بهذا الضعف فلتلق به دبر آذاننا.

و عن ابن عمر، قال: «سئل النبي ﷺ فقيل: أ رأيت الأرض على ما هي؟ قال: «الأرض على الماء» قيل: الماء على ما هو؟ قال: «على صخرة» فقيل: الصخرة على ما هي؟ قال: «هي على ظهر حوت يلتقي طرفاه بالعرش»!! قيل: الحوت على ما هو؟ قال: «على كاهل ملك، قدماء على الهواء». رواه البزار عن شيخه عبد الله بن أحمد، يعني ابن شبيب، وهو ضعيف. و عن الربيع بن أنس قال: «السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية: صخرة، والثالثة: حديد، والرابعة: نحاس، والخامسة: فضة، والسادسة: ذهب، والسابعة: ياقوت». رواه الطبراني في الأوسط هكذا موقوفاً على الربيع، وفيه أبو جعفر الرازي، وثقه أبو حاتم وغيره، و ضعفه النسائي وغيره^١.

وروى الطبراني في الأوسط بسنده، فقال: حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمان بن عبد الصمد السلمي، قال: حدثنا أبو عمران الحرثي، قال: حدثنا ابن جريج عن عطاء، عن جابر بن عبد الله، أن خزيمه بن ثابت - وهو ليس بالأشعري المشهور - كان في غير لخديجة، وأن النبي ﷺ كان معه في تلك العير، فقال له: يا محمد، أرى فيك خصالاً، وأشهد أنك النبي الذي يخرج من تهامة، وقد آمنت بك، فإذا سمعت بخروجك أتيتك. فأبى عن النبي ﷺ، حتى كان يوم فتح مكة أتاه، فلما رآه قال: «مرحباً بالمهاجر الأول» و....

ثم قال: يا رسول الله، أخبرني عن ضوء النهار، وظلمة الليل، وعن حرّ الماء في الشتاء، وعن برده في الصيف، وعن البلد الأمين، وعن منشأ السحاب، وعن مخرج الجراد، وعن الرعد والبرق، وعن ما للرجل من الولد، وما للمرأة؟

فقال رسول الله ﷺ: أما ظلمة الليل، وضوء النهار، فإن الشمس إذا سقطت تحت الأرض، فأظلم الليل لذلك، وإذا أضاء الصبح، ابتدرها سبعون ألف ملك، وهي تقاعس كراهية أن تعبد من دون الله، حتى تطلع، فتضيء، فيطول الليل بطول مكثها، فيسخن الماء

لذلك. وإذا كان الصيف، قلّ مكثها، فبرد الماء لذلك. وأما الجراد، فإنه نثره حوت في البحر، يقال له: «الأبوات»، وفيه يهلك. وأما منشأ السحاب، فإنه ينشأ من قبل الخافقين، ومن بين الخافقين تلجمه الصبا والجنوب، ويستديره الشمال والديبور. وأما الرعد، فإنه ملك بيده مخراق^١ يُدني القاصية، ويؤخر الدانية، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت. وأما ما للرجل من الولد، وما للمرأة، فإن للرجل العظام، والعروق، والعصب، والمرأة اللحم، والدم، والشعر. وأما البلد الأمين، فمكة^٢.

وقال الهيثمي في ذوائده: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يوسف بن يعقوب أبو عمران، ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته، ولم يذكر تضعيفه عن أحد^٣.
والحق أن الذهبي حكم بطلان هذا الخبر، وقال: إن راويه عن يوسف بن يعقوب مجهول، وهو محمد بن عبد الرحمان السلمي المذكور، وأحرّبه أن يكون باطلاً، ولقد صدق الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبي، الذي أبان لنا قيمة هذه الرويات الباطلة، منذ بضعة قرون.

وإليك ما قاله الذهبي بنصّه، قال يوسف بن يعقوب أبو عمران عن ابن جريج، بخبر باطل طويل، وعنه إنسان مجهول واسمه عبد الرحمان السلمي، قال الطبراني: حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي الخطيب.

ثم ذكر الإسناد الذي ذكرته آنفاً، وبعض المتن إلا أنه قال: «إن خزيمة بن ثابت الأنصاري»، وقال: ذكره أبو موسى في الطوالت، وروى بعضه عبدان الأهوازي، عن السلمي هذا^٤.

فكيف يقول الهيثمي: ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته، ولم ينقل تضعيفه عن أحد؟! إنه - والله - العجب!! وقد وافق الذهبي فيما قاله الإمام الحافظ ابن حجر في لسان الميزان^٥.

١. المخراق: خرق فتفل و يُضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، والمراد هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب.

٢. مجمع الزوائد ج ٨، ص ١٢٢.

٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٤، ص ٤٧٥، رقم ٩٨٩١.

٤. لسان الميزان ج ٦، ص ٣٣٠، ط الهند.

فقد ذكر ما ذكره الذهبي، غير أنه قال، عن جابر بن عبد الله: أن خزيمة بن ثابت - وليس بالأنصاري -، كان في غير لخديجة، و ذكر القصة السابقة.

وما ذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان من أنه ليس بالأنصاري هو الصحيح، فهو خزيمة بن حكيم السلمي، ويقال له: ابن ثابت أيضاً، كان صهر خديجة أم المؤمنين، فهو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري، المشهور بأنه ذو الشهادتين قطعاً.

وَمَا يَرَوِي فِي مِثْلِ هَذَا، مَا رَوَى عَنْ صَبَاحِ بْنِ أَشْرَسَ، قَالَ: «سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْمَدِّ وَالْجِزْرِ، فَقَالَ: إِنَّ مَلَكًا مَوْكَلًا بِنَامُوسِ الْبَحْرِ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فَاضَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا غَاضَتْ»، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ مِنْ لَمْ أَعْرِفْهُ، أَقُولُ: وَالْبَلَاءُ غَالِبًا، إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْمَجَاهِيلِ.

وَعَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَجْرَّةُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ هِيَ عِرْقُ حَيَّةٍ تَحْتِ الْعَرْشِ»، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَقَالَ: لَا يَرَوِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِيهِ: عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي سِحْرَةَ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ تَقَاتَ، أَقُولُ: وَالْبَلَاءُ مِنْ هَذَا الَّذِي لَا يَعْرِفُ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعَاذُ، إِنِّي مَرَسَلْتُكَ إِلَى قَوْمٍ أَهْلُ عِنَادٍ، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَنِ الْمَجْرَّةِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ فَقُلْ: هِيَ لِعَابِ حَيَّةٍ تَحْتِ الْعَرْشِ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَفِيهِ الْفَضْلُ بْنُ الْمُخْتَارِ وَهُوَ ضَعِيفٌ^٢، أَقُولُ: وَأَحْرَبُ بِمِثْلِ هَذَا أَنْ لَا يَرَوِي إِلَّا مِنْ طَرِيقِ ضَعِيفٍ.

وَكُلُّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَأَمْثَالُهُ مِمَّا لَا نَصَدِّقُ وَرُودَهُ عَنِ الْمَعْصُومِ ﷺ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَكَاذِيبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخِرَافَاتِهِمْ، أَوْ مِنْ وَضْعِ الزَّانِقَةِ الْخَبِيثَةِ، وَأُلْصِقَ بِالنَّبِيِّ زُورًا، وَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَتَكَلَّمَ فِي الْكُونِيَّاتِ، وَالْفَلَكيَّاتِ، وَأَسْبَابِ الْكَائِنَاتِ بِهَذَا التَّفْصِيلِ، كَمَا حَقَّقْنَا لَكَ أَنفَاءً. وَفِي هَذِهِ الْمَرْوِيَّاتِ مِنَ السِّدَاجَةِ الْعَلْمِيَّةِ، وَالتَّفَاهَاتِ، مَا لَا يَلِيقُ

بعاقل، فضلاً عن أعقل العقلاء، الذي ما كان ينطق عن الهوى.

وأيضاً فهذه التعليقات لا تتفق هي والمقررات العلمية المستقرّة الثابتة، التي أصبحت في حكم اليقينيّات اليوم. ولا ندرى، كيف يكون حال الداعية إلى الإسلام اليوم في البلاد المتقدّمة في العلم والمعرفة إذا لهج بمثل هذه الأباطيل التي تضرّ بالدين أكثر ممّا ينال منه أعداؤه؟ ولو أنّ هذه الروايات كانت في كتب معتمدة من كتب الحديث والرواية التي تعنى بذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة، لكان للمنتصرين لها بعض العذر. أمّا وهي كما علمت غير معتدّ بها لضعف أسانيدها، ومخالفتها للعقل، والعلم اليقينيّ، فاضرب بها عرض الحائط ولاكرامة.

ما ذكره المفسرون في الرعد والبرق في كتبهم

ومعظم كتب التفسير بالمأثور وغيره ذكرت: أنّ الرعد اسم ملك يسوق السحاب، وأنّ الصوت المسموع صوت زجره السحاب، أو صوت تسبيحه، وأنّ البرق أثر من المِخْرَاق الذي يزجر به السحاب، أو لهب ينبعث منه، على أنّ المِخْرَاق من نار، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْمِعُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ الآية، ويكاد لم يسلم من ذلك أحد منهم، إلّا أنّ منهم من يحاول أن يوفّق بين ظاهر الآية وما قاله الفلاسفة الطبيعيّون في الرعد والبرق، فيؤوّل الآية، ومنهم من يقيي الآية على ظاهرها، وينحي باللائمة على الفلاسفة وأضرابهم؛ الذين قاربوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه العلماء في العصر الحديث. ففي تفسير الخازن^٢ قال أكثر المفسرين: على أنّ الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسبيحه، ثمّ أورد على هذا القول أنّ ما عطف عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ يقتضي أن يكون المعطوف عليه مغايراً للمعطوف، لأنّه الأصل، ثمّ أجاب: بأنّه من قبيل ذكر الخاصّ قبل العامّ تشريفاً!

وقد بسّط الآلوسي في تفسيره - كما هي عادته - الأحوال في الآية، وذكر أنّ للعلماء في

إسناد التسبيح إلى الرعد قولين: أَنْ فِي الْكَلَامِ حَذْفًا، أَي سَامِعُوا الرَّعْدَ، أَوْ أَنَّ الْإِسْنَادَ مُجَازِيٌّ مِنْ قَبِيلِ الْإِسْنَادِ إِلَى السَّبَبِ وَالْحَامِلِ عَلَيْهِ، وَالْبَاءُ فِي «بِحَمْدِهِ» لِلْمَلَابَسَةِ، أَي يَسْبِّحُ السَّامِعُونَ لِذَلِكَ الصَّوْتِ مُتَلَبِّسِينَ بِحَمْدِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: إِنَّ تَسْبِيحَ الرَّعْدِ بِلِسَانِ الْحَالِ لَا بِلِسَانِ الْمَقَالِ، حَيْثُ شُبِّهَ دَلَالَةُ الرَّعْدِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، وَإِحْكَامِ صَنَعَتِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْعَجْزِ، بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّنْزِيهِ، وَالتَّحْمِيدِ اللَّفْظِيِّ، ثُمَّ اسْتَعَارَ لَفْظَ يَسْبِّحُ لِهَذَا الْمَعْنَى. وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الْمَعْنَى أَنْسَبُ.

وَكُلُّ هَذَا مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْحَقِيقَةِ تَخَلُّصٌ مِنْ حَمْلِ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّعْدِ: الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِالسَّحَابِ. ثُمَّ قَالَ الْأَكْبُوسِيُّ: وَالَّذِي اخْتَارَهُ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّ الْإِسْنَادَ حَقِيقِيٌّ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الرَّعْدَ اسْمٌ لِلْمَلِكِ الَّذِي يَسُوقُ السَّحَابَ. فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَآخَرُونَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ-: أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ فَقَالَ ﷺ: «مَلِكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مَوْكَلٌ بِالسَّحَابِ، بِيَدَيْهِ مَخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى»، قَالُوا: فَمَا ذَلِكَ الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُهُ؟ قَالَ: «صَوْتُهُ» قَالُوا: «صَدَقْتَ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ إِنْ صَحَّ يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى التَّمْثِيلِ، وَلكِنْ لَا يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ إِلَيْهِ، وَلَا يَكَادُ يَصَدِّقُ وَرُودَهُ عَنِ الْمُعْصُومِ ﷺ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ إِسْرَائِيلِيَّاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَصْغَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ زُورًا، ثُمَّ كَيْفَ يَتَلَاءَمُ مَا رَوَى مَعْ قَوْلِهِ قَبْلَ: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ»، وَقَوْلِهِ بَعْدَ: «وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيَهْبِطُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ»، فَالْآيَةُ فِي بَيَانِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ فِي إِحْدَاتِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ، عَلَى حَسَبِ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الْكُونِ مِنْ نَوَامِيسٍ، وَأَسْبَابٍ عَادِيَّةٍ وَإِنَّمَا الْمُنَاسِبُ أَنْ نَفْسُرَ تَسْبِيحَ «الرَّعْدِ» بِلسَانِ الْحَالِ، وَعَطْفِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى «الرَّعْدِ» يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ «الرَّعْدُ» غَيْرَهَا لِمَا ذَكَرْنَا،

وكان السِّرُّ في الجمع بينهما بيان أنه تواطأ على تعظيم الله و تنزيهه الجمادات والعقلاء، وأن ما لا يعقل منقاد لله وخاضع كاتقياد العقلاء سواء بسواء، ولا سيما الملائكة الذين هم مفلحون على الطاعة والاتقياد.

ومن الحق أن نذكر: أن بعض المفسرين كانت لهم محاولات جادة؛ بناء على ما كان من العلم بهذه الظواهر الكونية في عصرهم، في تفسير: الرعد والبرق، كابن عطية رحمته الله فقد قال: وقيل: إن «الرعد» ريع تخفق بين السحاب. وروى ذلك عن ابن عباس، واعترض عليه أبو حيان، واعتبر ذلك من نزغات الطبيعيين، مع أن قول ابن عطية أقرب إلى الصواب من تفسير «الرعد» بصوت «الملك» الذي يسوق السحاب، والبرق بضوء مخرقه. وقد حاول الإمام الرازي التوفيق بين ما قاله المحققون من الحكماء، وما ورد في هذه الأحاديث والآثار، وقد أنكر عليه أبو حيان هذا أيضاً.

ثم ذكر الآلوسي آراء الفلاسفة في حدوث الرعد، والبرق، وتكوّن السحاب، وأنه عبارة عن أبخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء، ثم تكثفت بسبب البرد، ولم يقدر الهواء على حملها، فاجتمعت وتقاطرت، ويقال لها: مطر. هذا، وقد أصابوا في تكوّن السحاب ونزول المطر، فأخر ما وصل إليه العلم اليوم هو هذا. وأما في تكوّن الرعد، والبرق، فقد حاولوا، وقاربوا، وإن لم يصلوا إلى الحقيقة العلمية المعروفة اليوم.

وبعد أن ذكر الآلوسي الردود والاعتراضات على ما قاله الفلاسفة، وهي - و الحق يقال - لا تنهض أن تكون أدلة في ردّ كلامهم، قال: وقال بعض المحققين: لا يبعد أن يكون في تكوّن ما ذكر أسباب عادية، كما في الكثير من أفعاله تعالى، وذلك لا ينافي نسبته إلى المُحدث الحكيم - جلّ شأنه - ومن أنصف لم يسهه إنكار الأسباب بالكلية، فإن بعضها كالمعلوم بالضرورة، قال: وبهذا أنا أقول^١. ونحن أيضاً بهذا نقول، وكون الظواهر الكونية

قد جعل الله نواميس خاصة لحدوثها، لا ينافي قطُّ أنه سبحانه الخالق للكون، والمُدبِّر له سبحانه، فهو - تعالى - هو الموجد لهذه النواميس، وهو الموجد لهذه السنن التي يسير عليها الكون، فإنَّ بعض هذه النواميس والسنن أصبحت معلومة فإنكارها باسم الدين، أو التشكيك فيها - ومنها تكوُّن السحب، وحدث الرعد، والبرق، والصواعق - إنما يعود على الدين بالضعف، ويضُرُّه أكثر من طعن أعدائه فيه.



رأى العلم في حدوث الرعد، والبرق، والصواعق وإكمالاً للغائبة: سنذكر ما وصل إليه العلم في حدوث هذه الظواهر الكونية، فنقول، وبالله التوفيق: يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي في كتابه سنن الله الكونية:

الرياح، والكهربائية الجويّة

إنَّ الكهربائيّة التي تتولّد في الهواء يكتسبها السحاب عند تكوُّنه على الأيونات التي تحملها تلك الكهربائيّة في الطبقات العليا الجويّة، ولا يُدري الآن، كيف يفصل الله الأيونات السالبة، من الأيونات الموجبة، قبل تكاثف البخار عليها، إن كان هناك فصل لهما؟ أم كيف يكون السحاب عظيم التكهرب إمّا بنوع من الكهرباء، وإمّا بالنوع الآخر، إذا حدث التكاثر على الأيونات، وهي مختلطة. ومهما يكن من سرِّ ذلك، فإنَّ السحاب مكهرب من غير شك، كما أثبت ذلك فرانكلن لأول مرّة في عام (١٧٥٢ م). وكما أثبت غيره، عظم تكهربه بشتّى الطرق بعده، وأنت تعرف أن نوعي الكهربائيّة يتجاذبان، وأنَّ الموجب والموجب، أو السالب والسالب يتدافعان، أو يتنافران، كما تشاء أن تقول.

هذا التدافع أو التنافر من شأنه تفريق الكهربائيّة، ثمَّ إذا شاء الله ساق السحاب بالريح، حتّى يقرب السحاب الموجب، من السحاب السالب قريباً كافياً، في اتّجاه أفقيّ، أو في اتّجاه رأسيّ أو فيما شاء الله من الاتّجاهات، فإذا اقتربا تجاذبا. ومن شأن اقتربهما هذا أن يزيد في كهربائيّة مجموع السحاب بالتأثير، ولا يزالان يتجاذبان، ويتقاربان، حتّى

لا يكون محيص من اختلاطهما و اتّحاد كهربائيهما أو من اتّحاد كهربائيهما من بعد، وعندئذ تحدث شبه شرارة عظمى كهربائية، هي البرق الذي كثيراً ما يُرى في البلاد الكثيرة الأمطار.

و «المطر» نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتّحاد الكهربائي، سواء حدث في هدوء أو بالإبراق، فإذا حدث بهدوء، حدث بين القطيرات المختلفة في السحابتين، فتجذب كلٌّ منها قرينتها أو قريناتها، حتّى تتحد، و تكون قطرة فيها ثقل، فتترنزل، و تكبر أثناء نزولها بما تكتسب من كهربائية، و ما تجتذب من قطيرات، أثناء اختراقها السحاب المكهرب، الذي يكون بعضه فوق بعض في السحاب الركام، أمّا إذا حدث الاتّحاد الكهربائي في شدّة البرق، و عنفه، فإنّه يحدث لا بين القطيرات، و لكن بين الكتل من السحاب، و يسهل حدوثه تخلخل الهواء، أي قلّة ضغطه في تلك الطبقات.

و «البرق» يمثل قوّة كهربائية هائلة، تستطيع أن تكون فكرة عنها إذا عرفت أنّ شراسته قد تبلغ ثلاثة أميال، في طولها أو تزيد، و أنّ أكبر شرارة كهربائية أحدثها الإنسان لا تزيد عن بضعة أمتار.

فالحرارة الناشئة عن البرق لا شك هائلة، فهي تُمدّد الهواء بشدّة، و تحدث مناطق جوّية عظيمة مخلخلة، الضغط داخلها يعادل الضغط خارجها، ما دام الهواء داخل المنطقة ساخناً، حتّى إذا تشعّت حرارته و بردت تلك المناطق برودة كافية، و ما أسرع ما تبرد، خفّ منها الضغط، و صار أقلّ كثيراً من ضغط الطبقات الهوائية السحابة المحيطة بها، فهجمت عليها فجأة بحكم الفرق العظيم بين الضغطين و تمدّدت فيها، و حدث لذلك صوت شديد، هو صوت الرعد و هزيمه، هذا الصوت قد يكون له صدئ بين كتل السحاب، يتردّد، فنسمّيه قعقة الرعد، أمّا صوت الشرارة الكهربائية البرقية، فهو بدء الرعد، و يكون ضعيفاً بالنسبة لهزيمه و قعقته، لذلك تسمع الرعد ضعيفاً في الأوّل ثمّ يزداد، كأنّما أوّله إيدان بتضخّمه، كما قد تُؤذن الطلقة الفردة بانطلاق بطاريات برمتها، من المدافع الضخمة في الحروب. فالرعد يحدث لا عند اتّحاد الكهربائيتين حين يحدث

البرق فقط، و لكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدد الكتل الهوائية الهاجمة في المنطقة المُفرَّعة، و هي إذا تمددت بردت برودة شديدة، فيتكاثف ما فيها من البخار، و من كتل السحاب، فينزل على الأرض إما مطراً، وإما بَرْدًا، حسب مقدار البرودة العائدة في تلك المناطق، و هذا هو السبب في أن الرعد و البرق يعقبهما في الغالب مطرات شديدة، سواء أكانت المطرة مائية، أم بردية، و قطرات الماء أو حَبَّات البرد تنمو بعد ذلك باختراقها كتل السحاب المتراكم، تحت المنطقة التي حدث فيها التفرغ^١.

الصواعق

و قد يحدث التفرغ الكهربائي بين السحاب و الأرض، بدلاً من بين السحاب و السحاب، و هذا يكون عادة إذا كان السحاب عظيم الكهربائية، قريباً من الأرض، فإذا حدث التفرغ ظهر له كالعادة ضوء و صوت، نسمي مجموعهما بالصاعقة، أي أن الصاعقة: تفرغ كهربائي بين السحاب و الأرض، إذا أصاب حيواناً أو نباتاً أحرقه، و هو يحدث أكثر ما يحدث بين الأجسام المديبة على سطح الأرض من شجر أو نحو، و بين السحاب، و لذا كان من الخطأ الاستئلال بالشجر، أو المظلات في العواصف ذات البرق، على أن الإنسان قد استخدم سهولة حدوث التفرغ بين الأجسام المديبة، و السحاب لوقاية الأبنية من الصواعق، و ذلك بإقامته على سطوحها قضباناً حديدية أو نحاسية، مديبة الأطراف، بحيث يكون طرف القضيب المدبب أعلى قليلاً من أعلى نقطة في البناء، و الطرف الآخر متصلاً بلوح فلزي مدفون في أرض رطبة، و من شأن الأطراف المديبة أن يكون كل منها باباً تخرج منه الكهربائية المتجمعة على السطح تدريجاً إلى السحاب الذي يظله، فيحدث التفرغ، أي الاتحاد بين كهربائية الأرض، و كهربائية السحاب تدريجاً، فيمتنع ذلك التفرغ الفجائي المعروف بالصاعقة، على أنه إذا نزلت الصاعقة بالبناء رغم ذلك فالأرجح جداً أنها تصيب القضيب المدبب أول ما تصيب، و تنصرف الكهربائية إلى الأرض، بدلاً

من أن تدكّ البناء؛ ولذا يسمّى مثل هذا القضيّب المدبّب الواصل إلى الأرض بصارفة الصواعق، وقد وجدوا أنّ السطح الخارجي للقضيّب هو الطريق الذي تمرّ به الكهربائيّة إلى الأرض، لذلك كلّما كان هذا السطح أكبر كان الصرف أعظم، والبناء أحسن؛ ولذا كانت الصفائح أفضل في حفظ الأبنية، من مثل كتلتها من الأسلاك.



جبل «قاف» المزعوم، و حدوث الزلازل

و من ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾: فقد ذكر صاحب الدرّ الثمور وغيره، روايات كثيرة عن ابن عبّاس -رضوان الله تعالى عليه- قال: «خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثمّ خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له: (قاف)، سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثمّ خلق الله -تعالى- من وراء ذلك الجبل أيضاً مثل تلك الأرض سبع مرّات، واستمرّ على هذا حتّى عدّ سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سماوات».

وهذا الأثر لا يصحّ سنده عن ابن عبّاس، وفيه انقطاع، ولعلّ البلاء فيه من المحذوف. وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عنه أيضاً، قال: خلق الله تعالى جبلاً يقال له: قاف، محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزول قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية، فيزولها، ويحركها، ثمّ تحرك القرية دون القرية.

وكلّ ذلك كما قال القرافي لا وجود له، ولا يجوز اعتماد ما لا دليل عليه، وهو من خرافات بني إسرائيل الذين يقع في كلامهم الكذب، والتفسير، والتبديل، دسّت على السدّج من المفسّرين، أو تقبلوها بحسن نيّة. ورووها لفرابتها، لا اعتقاداً بصحتها، ونحمد الله أن وجد في علماء الأئمة من ردّ هذا الباطل، وتنبّه له قبل أن تتقدّم العلوم الكونيّة، كما

هي عليه اليوم. ومن العجيب أن يتعقب كلام القرافي ابن حجر الهيثمي، فقال: ما جاء عن ابن عباس مروياً من طرق خرّجها الحفاظ وجماعة، ممن التزموا تخريج الصحيح، وقول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه، حكمه حكم المرفوع إلى النبي.

ولكن نقول للشيخ الهيثمي: إن تخريج من التزم الصحة ليس بحجة، وكم من ملتزم شيئاً لم يفي به، والشخص قد يسهو ويغفل مع عدالته، وأنظار العلماء تختلف، والحاكم صحح أحاديث، حكم عليها الذهبي وغيره بالوضع، وكذلك ابن جرير أخرج روايات في تفسيره، حكم عليها الحفاظ بالوضع، والكذب. ولو سلمنا إسنادها إلى ابن عباس، فلا ينافي ذلك أن تكون من الإسرائيليات الباطلة، الموضوعه عنه.

ثم إننا نقول للهيثمي ومن يرى رأيه: أي فائدة نجنبها من وراء هذه المرويات التي لا تتقبلها عقول تلاميذ المدارس، فضلاً عن العلماء!! اللهم إنا نفتح - بالانتصار لها - باباً للطعن في عصمة النبي ﷺ، وإذا جاز هذا في عصور الجهل والخرافات فلا يجوز اليوم، وقد أصبح رواد الفضاء يطوفون حول الأرض، ورونها معلقة في الفضاء بلا عمد، ولا جبال، ولا بحار، ولا صخرة استقرت عليها الأرض، فهذه الإسرائيليات مخالفة للحس والمشاهدة قطعاً، فكيف نتعلق بها؟! *



٢٦. الإسرائيليات في تفسير ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾

ومن ذلك ما يذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾^١ من أنه الحوت الذي على ظهره الأرض، ويُسَمَّى «اليهموت»، وقد ذكر ابن جرير، والسيوطي روايات عن ابن عباس، منها: «أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، و خلقت منه السماوات، ثم خلق النون، فبسطت الأرض عليه، فاضطرب النون، فمادت الأرض^٢، فأثبتت بالجبال. وقد روي عن ابن عباس أيضاً: أنه الدواة، ولعل هذا هو

٢. تحزكت ومالت.

١. القلم (٦٨): ١.

الأقرب، والمناسب لذكر القلم. وقد أنكر الزمخشريّ وروود «نون» بمعنى الدواة، في اللغة، وروي عنه أيضاً: أنّه الحرف الذي في آخر كلمة «الرحمن»، وأنّ هذا الاسم الجليل فرق في «الر» و«حم» و«ن».

واضطراب النقل عنه يقلل الثقة بما روي عنه، ولا سيّما الأثر الأوّل عنه، والظاهر أنّه افتراء عليه، أو هو من الإسرائيليات ألصق به.

وإليك ما قاله ابن قيم الجوزيّة، قال في أثناء كلامه على الأحاديث الموضوعية: ومن هذا حديث أنّ قاف: جبل من زمردة خضراء، محيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان، والسماة واضحة أكتافها عليه.

ومن هذا حديث: أنّ الأرض على صخرة، والصخرة على قرن ثور، فإذا حرّك الثور قرنه، تحرّكت الصخرة، فهذا من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسول. وقال الإمام أبو حيان في تفسيره: لا يصحّ من ذلك شيء ما عدا كونه اسماً من أسماء حروف الهجاء!

١. والصحيح عندنا - على ما أسلفنا البحث فيه في المصهد (ج ٥، ص ٣٠٥-٣١٤): أنّ هذه الحروف المقطّعة في أوائل السور، هي إشارات رمزيّة إلى أسرار بين الله ورسوله، ولم يهتد إليها سوى المأمّنين على وجهه. ولو كان يمكن الاطلاع عليها لغيرهم لم تكن حاجة إلى الرمز بها. نعم، لا يبعد احتمالها على حكم وفوائد تزيد في فخامة مواضعها في مفتحات السور، حسبما احتصلته قرائح العلماء، فيما ذكروه من فوائد. والله العالم بحقائق أسرار.

أهم كتب التفسير بالمأثور

أول ما بدئ التفسير بدئاً أثرياً وبنقل المأثور عن السلف الصالح: كانت الآية تُذكر وتُعقَّب بذكر أقوال السلف من الأئمة والصحابة والتابعين، وأحياناً مع شيء من ترجيح بعض الأقوال، أو زيادة استشهاد بآية أو رواية أو إنشاد شعر. وكان ذلك ديدنهم في التفسير لا يتجاوزونه إلا القليل. أما التعرُّض لمعاني الفلسفة أو الكلام أو الأدب، فشيء حصل متأخراً عن العهد الأوَّل، حيث توسع المفسِّرون فيما بعد إلى أنحاء الكلام فيه والنظر والاجتهاد، ولم يزل يتطوَّر التفسير مع تقدُّم الزمان. ومن ثمَّ فجُلَّ تفاسير القدماء هي من النمط التفسير بالمأثور..

والتفسير الأثريّ عندما تشكَّل، تشكَّل على نمطين:

أحدهما - وهو النمط الأفضل -: أن تذكر الآية وتفسَّر بالأثر الوارد مستوعباً وبأسانيد متصلة وفي تنسيق رتيب، ومع شيء من النظر والتمحيص.. وأكثر تفاسير القدماء على هذا النمط، كتفسير مجاهد والسديّ الكبير والكلبيّ وأبي حمزة الثماليّ وابن جرير ومقاتل بن سليمان وعبد الرزاق الصنعانيّ والعياشيّ وابن أبي حاتم والقميّ والتعليبيّ.. وأجمعهم شمولاً، وأجودهم تنسيقاً وتمحيصاً، هو الإمام أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبريّ، حيث جمع فاستقصى ونظر فأوفى..

الثاني: أن تذكر الآيات متناسقة وتُعقَّب كلَّ آية بأثر أو لَمَّة من آثار من غير ما نظم

أو ترتيب ولا نظر أو تمحيص.. والنموذج الأوفى لهذا النمط من التفسير الأثري المنتشر هو المدوّر المتثور لجلال الدين السيوطي، كما يبدو من اسمه!

وهكذا تفسير البرهان للسيّد هاشم البحراني ونور الثقلين للحموي، جمعا في تأليفهما ما عثرا عليه من آثار الأئمة من آل البيت وبعض السلف، بشكل غير رتيب ولا متّسق.. ومن هذا النوع تفسير البرغانّي، غير أنه قد يترك الأثر فيما إذا حسه غير نقي.. وهي طريقة غير جيّدة حسبما نذكر..



والتفسير الأثري مذ نشأ كان موضع عناية العلماء وأهل الحديث إلى أمد ربما غير قصير، ولكن بعد ما توسّع النظر والاجتهاد في شؤون الدين ورجعت كفة أهل التحقيق، أخذ اعتبار الأثر يخفّ وربما إلى حدّ الإعراض بعض الشيء، حيث تواجد المناكير في طيّبه و خلط الفثّ بالسمين.. فقد دعت الحاجة والحال هذه إلى إعادة النظر في تلکم المرويات الضخمة وتخليص السليم عن السقيم.. الأمر الذي دعى بنهائه الأئمة والعلماء أن يعيروا اهتمامهم البالغ بهذا الشأن الخطير، ولينقدوا تلکم الأخبار بميزان النقد النزبه ويميّزوا بين الصحيح والزائف.. فظهرت من ذلك مدوّنات تفسيرية على أساس التحقيق والتمحيص، حيث يتقبّلها العقل الرشيد.

وكان من أفضلها تفسير المنار بقلم السيّد رشيد رضا، جمع فيه آراء شيخه العلامة الأستاذ الشيخ محمّد عبده رحمته ليسير على منهاجه من جاء بعده من أعلام..

وهكذا سيّدنا الأستاذ العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمته في تفسيره القيم الميزان، حيث توزين الآراء على أساس مكين. وانتهج منهجه النخبة من تلامذته وغيرهم من أعظم العلماء.

ونحن بدورنا حاولنا مواكبة هذا الركب وفي مساهمة من نخبة أفاضل الحوزة العلمية بقم المقدّسة، لنقوم بجمع الروايات التفسيرية مستقصي حسب الإمكان ونقدها والنظر فيها أحيانا، فكانت مجموعة باسم التفسير الأثري الجامع. وها نحن على مشارف الإكمال

بحوله تعالى و هو المستعان. و الآن فإليك الأهم من التفاسير المعتمدة على النقل و الأثر:

١. تفسير مجاهد

هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكيّ المخزوميّ (٢١٠-١٠٢ هـ).

و لعلّه أوّل تفسير أثريّ ظهر إلى الوجود. و هو برواية أبي يسار عبد الله بن أبي نجيع الثقفيّ الكوفيّ (ت ١٣١ هـ) و قد اشتهر هذا التفسير باسمه. و كان أوفى منابع التفسير لمن تأخّر عنه. قيل عنه: إنّ تفسير ابن أبي نجيع عن مجاهد من أصحّ التفاسير، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصحّ من تفسيره. إذ معه ما يصدّقه، و هو قول مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كلّ آية و أسأله عنها. قال ابن تيميّة: و أخصّ أصحاب ابن عباس بالتفسير مجاهد، و على تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمّة كالثوريّ و الشافعيّ و أحمد بن حنبل و البخاريّ. قال الثوريّ: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. و الشافعيّ في كتبه أكثر الذي ينقله عن ابن عيّنة عن ابن أبي نجيع عن مجاهد، و كذلك البخاريّ في صحيحه يعتمد على هذا التفسير^١.

و هذا التفسير أوّل ما طبع باهتمام مجمع البحوث الإسلاميّة بباكستان سنة ١٣٦٧ ق. في جزئين، بتحقيق عبد الرحمان طاهر بن محمّد السورتي. و هذا المطبوع أقلّ بكثير من المأثور عنه في كتب التفسير و الحديث. و في الطبريّ وحده أكثر من سبع مائة موضع يروي عن مجاهد^٢.

و قد ذكرنا في ترجمته شيئاً عن تفسيره هذا و مدى اعتباره لدى العلماء^٣.

٢. تفسير السديّ الكبير

هو أبو محمّد إسماعيل بن عبد الرحمان المعروف بالسديّ الكبير (ت ١٢٨ هـ).

١. تفسير سورة الإخلاص لابن تيميّة، ص ٩٤، مطبعة الانتصار، بغداد، ١٣٣٣ هـ ق.

٢. تاريخ الفوائد هرمين لفؤاد سزكين، مج ١، في علوم القرآن و الحديث، ج ١، ص ٧١.

٣. في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

حجازي سكن الكوفة. مفسر كبير و كاتب قدير و لا سيّما في التاريخ و الغزوات. و يعدّ تفسيره من أهمّ المراجع التفسيرية ذوات الشأن.

قال جلال الدين السيوطي: و تفسير إسماعيل السديّ يُورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس. و روى عنه الأئمة، مثل الثوريّ و شعبة.. قال: و أمثل التفاسير تفسير السديّ^١. و قد ذكرنا طرفاً من تفسيره هذا و مدى اعتباره، عند الكلام عن الطريق الرابع إلى ابن عباس. قال فؤاد سزكين: و تفسيره هذا منتشر في أمّهات الكتب التفسيرية كجامع البيان للطبريّ و تفسير الثعلبيّ و غيرهما. قال: و يمكن جمع نصوصه من هذه التفاسير و إعادة تكوينه من جديد^٢. الأمر الذي فعله الدكتور محمّد عطا يوسف، جمع نصوصه من الدرّ المتثور و القرطبيّ و الشوكانيّ و ابن كثير و غيرها، و حقّقه و طبع^٣.

٣. تفسير الكلبيّ

هو أبو النضر محمّد بن السائب الكلبيّ الكوفيّ (ت ١٤٦ هـ). النسابة المفسر الشهير. قال ابن خلكان: صاحب التفسير و علم النسب، كان إماماً في هذين العلمين^٤. و هكذا ذكر ابن سعد: كان عالماً بالتفسير و أنساب العرب و أحاديثهم^٥.

قال ابن النديم: من علماء الكوفة بالتفسير و الأخبار و أيام الناس، و مقدّم الناس بعلم الأنساب. و حكى أنّ سليمان بن عليّ - عمّ السّاقح و المنصور - أقدم محمّد بن السائب من الكوفة إلى البصرة و أجلسه في داره، فجعل يُعلي على الناس القرآن حتّى بلغ إلى آية في سورة براءة ففسرها على خلاف ما يُعرف، فقالوا: لا نكتب هذا التفسير! فقال محمّد: والله لا أمليت حرفاً حتّى يكتب تفسير هذه الآية على ما أنزله الله ارفع ذلك إلى سليمان ابن عليّ فقال: اكتبوا ما يقول و دعوا ما سوى ذلك^٦.

و يبدوا أنّ الآية هي قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدِيَهُمْ يَجْتَمِعُونَ وَ لَمْ

١. الأصفهاني ج ٤، ص ٢٠٨.

٢. تاريخ شوات العربي، ج ١، ص ٧٨.

٣. تاريخ تفسير اللطائف، ص ١٠٩.

٤. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٩، رقم ٦٢٤.

٥. طبقات ابن سعد ج ٦، ص ٢٤٩ (ط ليدن).

٦. فهرست لابن النديم، ص ١٤٥، مطبعة الاستقامة، مصر.

تُرَوَّاهَا^١. حيث العامة يرون عود الضمير - في سكينته عليه - إلى أبي بكر. ولكن جمهور المفسرين على أنه عائد إلى النبي ﷺ الذي أيده بجنود لم تروها، نظراً لوحدة السياق! وقوله تعالى - في آيات سبقتها -: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾^٢. وكذا في سورة الفتح: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣.

هذا الإمام الطبري يرى من تفسير الآية، عود الضمير إلى رسول الله ﷺ و يجعله أول الوجهين وأولاهما. ويفسر الآية قاطعاً به، يقول: يقول تعالى ذكره: فَأَنْزَلَ اللَّهُ طَمَأْنِينَتَهُ وسكونه على رسوله. وقد قيل على أبي بكر، ولم يزد شيئاً^٤. وهكذا الحافظ ابن كثير يجعله أشهر القولين، قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين. وقيل على أبي بكر، قالوا: لَأَنَّ الرسول لم تزل معه سكينته! قال: وهذا لا ينافي بتجدد سكينته خاصة بتلك الحال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَ أَيْدُهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾^٥.

وللشيخ أبي علي الطبرسي هنا كلام ضاف يجعل الكفة مع القول المشهور، في تحقيق لطيف بعيد عن العصبية فراجع^٦.

٤. تفسير أبي حمزة

هو أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي الأزدي الكوفي (ت ١٤٨ هـ). من الخواص النبلاء صحب أربعة من أئمة أهل البيت (السجاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام) وله مع الإمام السجاد مواقف مشهودة.. ويعد تفسيره من أهم المراجع القديمة في التفسير والحديث. روى عنه الثعلبي والطبرسي وابن شهر آشوب وغيرهم. ويمتاز تفسيره باختلافه عن الإسرائيليات، إلى جنب إشباعه بالصحيح من أسباب النزول واهتمامه بشأن أهل البيت

١. التوبة (٩): ٤٠.

٢. التوبة (٩): ٤٠.

٣. الفتح (٤٨): ٢٦.

٤. تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٩٦ (ط بولاق).

٥. مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٢ (ط إسلامية).

٦. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٥٨.

في آيات تخصّهم أو تجعلهم في ذروة النازل بشأنهم.. واعتناؤه كثيراً بإرجاع آية إلى أخرى نظيرتها، تحقيقاً لأولوية تفسير القرآن بالقرآن.. وغير ذلك من مميزات ذكرها المحقّق الأستاذ عبد الرزاق حرز الدين في مقدّمة التفسير، وكان قد جمعه وحقّقه على أحسن وجه. وطبع سنة ١٤٢٠ هـ. ق. بم.

٥. تفسير ابن جرير

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جرير (ت ١٥٠ هـ). قال الإمام أحمد بن حنبل: هو أوّل من صنّف الكتب^١. وقال الخليلي^٢: وروى محمد بن ثور عن ابن جرير نحو ثلاثة أجزاء كبار. وقد صحّحوه. وكذلك روى الحجّاج بن محمد عنه نحو جزء، وذلك صحيح متفق عليه. ورووا عنه تفاسير أطولها ما يرويه بكر بن سهل الدماطي عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد. وفيه نظر^٣.

وكانت لدى السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) نسخة نفيسة من تفسير ابن جرير، ينقل عنه قطّات في كتابه سعد السعود الذي ألفه سنة ٦٥١ هـ. يعبر عنها بنسخة عتيقة جيّدة^٤. وكان تفسير ابن جرير مرجعاً عامّاً لسائر التفاسير التي تأخّرت عنه، كالطبري والتعليبي والقرطبي والسيوطي، ويكثرون النقل منه. لكنّ الأصل فقد، فجمع شتاتة من أمّهات الكتب التفسيرية الأستاذ عليّ حسن عبد الغني، وطبع باستقلاله^٥.

ولابن جرير مكانته العلمية الراقية واشتهر بالدقّة والإتقان حسبما أسلفنا في ترجمته.

٦. تفسير مقاتل بن سليمان

هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزديّ البلخيّ (ت ١٥٠ هـ). من أتباع التابعين. له

١. تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٤-٤٠٣.

٢. هو أبو القاسم أحمد بن محمد البلخيّ (ت ٤٩٢ هـ). من مشايخ الحديث في بلاد ساوراه النهر (الأنساب

للسمعاني، ج ٢، ص ٣٩٤).

٣. راجع: الإلفان، ج ٤، ص ٢٠٨.

٤. سعد السعود، ص ٢٢١ (ط نجف).

٥. تاريخ التفسير، ص ١١٥.

تفسير كبير أخذه من ثلاثين شخصاً، اثنا عشر رجلاً منهم من كبار التابعين. منهم: عطاء بن أبي رباح وعكرمة وعطية والشعبي وقادة، وعمدتهم الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ومن أتباع التابعين: الضحّاك بن مزاحم وشهر بن حوشب والأعمش وحمّاد وابن أبي نجيع وسفيان الثوري وغيرهم.^١ و ترجمه الذهبي بقوله: كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي. وكفى الإشادة بشأنه ما قاله الإمام الشافعي: «من أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان»^٢.

نعم، كان مقاتل هو أوّل من بسط القول في التفسير وأخذ في التقد والتدليل، إلى جنب النقل والتحديث.. و سار على منهجه من جاء بعده من كبار المفسرين. ويُعدّ من أكبر المفسرين المراجع.. وتتبع الدكتور شحّانة نسخ هذا التفسير في مختلف المكتبات وقابل بعضها مع بعض وحقّقها وأخرجها للطباعة والنشر في خمس مجلّدات ضخام.. وكانت الطبعة الأولى بدار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

٧. تفسير أبي الجارود

هو زياد بن المنذر الهمداني الكوفي الخارفي (ت ح ١٥٥ هـ). أخذ من كبار التابعين وأتباع التابعين. منهم: عطية العوفي والأصبع بن نباتة والحسن البصري وعبد الله بن الحسن. ويُعدّ من صحابة الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وله عنه تفسير أدرج ضمن تفسير علي بن إبراهيم القمي من سورة آل عمران حتّى نهاية القرآن، ولم يوجد مستقلاً. وله بعد قيام زيد الشهيد مواقف جرفته عن الاستقامة في الرأي والعمل، ونشأت على يده الفرقة السرحوبية^٣ من الزيدية وقام في مضادة الإمام الصادق عليه السلام فكان موضع سخطة عليه^٤. غير أنّ المأثور من تفسيره مستقيم لا بأس به.

١. راجع: مقدّمة تفسيره، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

٢. راجع: الدكتور شحّانة محقّق التفسير، ج ٥، ص ٣٣ و ٥١.

٣. نسبة إلى سرحوب (بمعنى: طويل العنق خفيف الحركة) لقب أبي الجارود.

٤. معجم رجال الحديث للإمام الخوئي، ج ٧، ص ٣٢١، رقم ٤٨٠٥.

٨. تفسير عبد الرزاق الصنعاني

هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني -نسبة إلى صنعاء اليمن- (١٢٦-٢١١ هـ). تعلم على يدي معمر بن راشد (ت ١٥٣ هـ) و من طريقه أخذ التفسير والحديث من كبار العلماء كابن جريج وسفيان بن عيينة وأبان بن أبي عيَّاش وسفيان الثوري والأعمش وابن أبي نجيب وغيرهم... وقد أخذ عنه واعتمده كبار العلماء والمحدثين منهم أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وابن راهويه وكيع بن الجراح وإبراهيم الرازي وأضرابهم.. له تأليف في فنون العلم، أهمها المصنّف الكبير والجامع والأمالى والمغازي والسنن في الفقه وهذا التفسير. وهو تفسير موجز معتمد على النقل والأثر من غير نظر ولا متواصل الآيات. وقد تعرّض لشأن النزول والناسخ والمنسوخ باختصار، لكنّه عن إتيان. وهذا من ميزاته.. وطبع هذا التفسير كراراً في بيروت وأخيراً بدراسة وتحقيق الدكتور محمود محمّد عبده من كليّة الدعوة بجامعة الأزهر.. ونشرته دار الكتب العلميّة ببيروت (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م).

٩. جامع البيان للطبري

هو الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠) نسبة إلى طبرستان. ولد بآمل من بلاد مازندران -إيران، ورحل في طلب العلم وهو شابّ وطاف البلاد، فسمع بمصر والشام والعراق، ثمّ أتى رحله ببغداد واستقرّ بها ونشر علمه هناك حتّى توقّاه الله. كان الرجل خبيراً بالتاريخ وبأقوال السلف، عالماً فاضلاً محبباً للعلم وناقداً بصيراً. وله بعض الاجتهاد في التفسير والنظر في التعادل والتراجع.. ويعدّ أباً للتفسير كما اعتبر أباً للتاريخ.. وذلك باعتبار جامعيتة تفسيره واستقصائه لآراء السلف وأقوالهم، يذكر الأسانيد العالية، ممّا يستدعي الثقة بنقله، غير أنّه أكثر في النقل فخلطه بعض الفسّ الهزيل ولا سيّما جانب الإسرائيليات وقد أكثر من نقلها.. وقد عيب عليه ذلك ممّا

أوجب التمهيص في مروياته..

و تفسيره اليوم - بما اشتمل على الروايات الضعاف - يُعدّ من خير المراجع التفسيرية الجامعة لآراء السلف، ولولاه لربّما ضاعت أكثر تلكم الآراء وفيها الدرر الغالية.

قال أبو محمّد عبد العزيز بن محمّد الطبري: كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عَرَفَه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة. ولا ظهر من كتب المصنّفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له. وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك. واختلاف الفقهاء مع الرواية كذلك على ما في كتابه البسيط والتهذيب وأحكام القراءات، من غير تعويل على المناولات والإجازات، ولا على ما قيل من الأقوال. بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة. وقد بان فضله في علم اللغة والنحو، وكان له قدّم في علم الجدل.. وكان يحفظ من الشعر للجاهليّة والإسلام..

وقال أبو عمر محمّد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت ثعلباً يقول: قرأ عليّ أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة.

قال عبد العزيز: كان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب.

وكان قد تخصصّ في كلّ فنّ، كان عند القراءة كالفارسي الذي لا يعرف سوى القرآن. وعند التحديث كالمحدث الذي لا يعرف سوى الحديث. وعند الفقه كالفقيه الذي لا يعرف سوى الفقه.. وكان النحوي الذي لا يعرف سوى النحو. والحاسب الذي لا يعرف سوى الحساب. وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم..

قال: وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها. وكتابه المستسى جامع البيان عن تأويل القرآن حاز سبقاً وحمل مشرقاً ومغرباً وقرأه كلّ من كان في وقته من العلماء وكلّ فضله وقدّمه.

قال أبو عمر الزاهد - وكان يعيش دهرأ بمقابلة الكتب -: قابلت هذا الكتاب من أوله

إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً واحداً خطأً في نحو ولا لغة.

قال أبو جعفر: حدّثتني به نفسي وأنا صبيّ.. قال: استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانتني ا
قال أبو بكر محمد بن مجاهد: سمعت أبا جعفر يقول: إنّي أعجب ممّن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذّ بقرائه^١.

إلماعه عن هذا التفسير وعن منابعه

لياقوت الحمويّ وصف جامع عن تفسير الطبريّ ويذكر مراجعه في التفسير نذكره بنصّه: قال: وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة التفسير، تدلّ على ما خصّ الله به القرآن العزيز من البلاغة والإعجاز والفصاحة التي نأفي بها سائر الكلام. وذكر من مقدّمات الكلام في التفسير وفي وجوه التأويل وما يُعلم تأويله، وما ورد في جواز تفسيره وما حُظر من ذلك. والكلام في قول النبيّ ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، وبأيّ الألسنة نزل. والردّ على من قال: إنّ فيه أشياء من غير الكلام العربيّ، وتفسير أسماء القرآن والسور، وغير ذلك ممّا قدّمه. ثمّ تلاه بتأويل القرآن حرفاً حرفاً، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين، وكلام أهل الإعراب من الكوفيّين والبصريّين، وجُملاً من القراءات واختلاف القراءة، فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتنثية، والكلام في ناسخه ومنسوخه، وأحكام القرآن والخلاف فيه والردّ عليهم من كلام أهل النظر فيما تكلم فيه بعض أهل البدع، والردّ عليهم على مذاهب أهل الإثبات ومبتغي السنن.. إلى آخر القرآن.

وذكر فيه من كتب التفاسير المصنّفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جبّير طريقتين، وعن مجاهد بن جبّير ثلاثة طرق، وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك. وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق، وعن الحسن البصريّ ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق،

وعن الضحاك بن مزاحم طريقتين، وعن عبد الله بن مسعود طريقاً، وتفسير عبد الرحمان ابن زيد بن أسلم، وتفسير ابن جرير، وتفسير مقاتل بن حيان، سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم. وفيه من المُسنَد حسب حاجته إليه، ولم يتعرّض لتفسير غير موثوق به، فإنّه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي، لأنهم عنده أظنّاء!

وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب، حكى عن محمد بن السائب الكلبي وعن ابنه هشام، وعن محمد بن عمر الواقدي وغيرهم فيما يقتصر إليه ولا يؤخذ إلا عنهم.

وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي، ومن كتاب يعقوب بن زياد الفراء، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش، ومن كتاب أبي عليّ قُطرب وغيرهم ممّا يقتضيه الكلام عند حاجته إليه. إذ كان هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعندهم يؤخذ معانيه وإعراجه، وربما لم يُستهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم. وهذا كتاب يشتمل على عشرة آلاف ورقة أو دونها حسب سعة الخط أو ضيقه!

منهجه في التفسير ونقد الآراء

إنّه يذكر الآية أولاً، ثمّ يعقبها بتفسير غريب اللغة فيها، أو إعراب مشكلها، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وربما يستشهد بأشعار العرب وأمثالهم. وبعد ذلك يتعرّض لتأويل الآية، أي تفسيرها على الوجه الراجح، فيأتي بحديث أو قول مأثور إن كان هناك رأي واحد. أمّا إذا ازدحمت الآراء، فعند ذلك يذكر كلّ تأويل على حدّه، وربما رجّح لدى تضارب الآراء أحدها وأتى بمرجحاته إن لغة أو اعتباراً، وربما فصل الكلام في اللغة والإعراب، واستشهاده بالشعر والأدب.

١. أي منهمون، جمع ظنين. مثلاً نجد، عند القول في الحروف المسقطّة بأنها من حساب الجمل - وهو برواية مقاتل بن سليمان (ج ١، ص ٨٥). يقول: كرهنا ذكر الذي حكى ذلك عنه إذ كان الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله. الطبري، ج ١، ص ٦٨ (بولاق).
٢. مجمل الأنبا، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٦.

مثلاً نراه عند قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^١ يقول: وتأويل «سواء»: معتدل، مأخوذ من التساوي، كقولك: متساوٍ هذان الأمران عندي، وهما عندي سواء، أي هما متعادلان عندي. ومنه قول الله -جلّ ثناؤه-: ﴿فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾^٢ يعني: أعلمهم وآذنهم بالحرب حتى يستوي علمك و علمهم، بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر. فكذلك قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ معتدل عندهم أيّ الأمرين كان منك إليهم: الإنذار أم ترك الإنذار؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون، وقد ختمت على قلوبهم وسمعهم. ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات:

تعذبني الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
يعني بذلك: معتدل عندها في السير الليل والنهار؛ لأنه لا فتور فيه.
ومن قول الآخر:

وليل يقول المرء من ظلماته سواء صحبحات العيون و عورها
لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصراً ضعيفاً من ظلمته.

وأما قوله: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام، وهو خبر؛ لأنه وقع موقع «أي»، كما تقول: لا نبالي أقممت أم قعدت، وأنت مخبر لا مستفهم، لوقوع ذلك موقع «أي»؛ وذلك أن معناه -إذا قلت ذلك-: ما نبالي أيّ هذين كان منك، فكذلك ذلك في قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لئلا كان معنى الكلام: سواء عليهم أيّ هذين كان منك إليهم، حسن في موضعه مع سواء أفعلت أم لم تفعل. وقد كان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دخل مع «سواء» وليس باستفهام؛ لأنّ المستفهم إذا استفهم غيره فقال: أزيد عندك أم عمرو، مستثبت صاحبه أيهما عنده، فليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر، فلما كان قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ بمعنى التسوية، أشبه ذلك الاستفهام، إذ أشبهه في التسوية، وقد

بيّن الصواب في ذلك.

فتأويل الكلام: إذا معتدل يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة، بعد علمهم بها، وكتبوا بيان أمرك للناس بأنك رسولي إلى خلقي، وقد أخذت عليهم العهد والميثاق أن لا يكتسبوا ذلك وأن يبينوه للناس، ويخبروهم أنهم يجدون صفتك في كتبهم، أنذرتهم أم لم تنذرهم فإنهم لا يؤمنون ولا يرجعون إلى الحق، ولا يصدّقون بك وبما جنتهم به.

كما حدّثنا محمد بن حميد، قال: حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أنهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكر، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ممّا جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذاراً وتحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك^١.

انظر إلى هذا التفصيل في مجال الأدب، الذي يُبَيّن عن سعة اضطلاع بالأدب وبأقوال النحاة.

ونراه يقول في تأويل قوله -جلّ ثناؤه-: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾^٢ وأصل الختم: الطبع، والخاتم: الطابع، يقال: منه ختمت الكتاب، إذا طبعته.

فإن قال لنا قائل: وكيف يختم على القلوب، وإنما الختم طبع على الأوعية والظروف والتلف؟

قيل: فإنّ قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمر، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع التي بها تدرك المسموعات، ومن قبلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنبياء عن المغيبات، نظير معنى الختم على سائر الأوعية

والظروف.

فإن قال: فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها، أهي مثل الختم الذي يعرف لما ظهر للأبصار أم هي بخلاف ذلك؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك، و سنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم.

ثم ذكر قول مجاهد، بإسناده عن الأعمش، قال: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذا، يعني الكفّ. فإذا أذنب العبد ذنباً ضمّ منه، وقال بإصبعه الخنصر هكذا. فإذا أذنب ضمّ، وقال بإصبع أخرى. فإذا أذنب ضمّ، وقال بإصبع أخرى هكذا، حتى ضمّ أصابعه كلها، قال: ثم يطبع بطابع. قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرّين.

و ذكر قولاً آخر لبعضهم: أن «الختم» هنا كناية عن تكبيرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق، كما يقال: إن فلاناً لأصمّ عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبيراً.

قال: و الحقّ في ذلك عندي ما صحّ بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ وهو ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه، فذلك «الران» الذي قال الله -جلّ شأنه-: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١.

فأخبر ﷺ أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها، وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله ﷻ والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص. ثم أخذ في مناقشة القول الثاني، وفصل الكلام فيه على عادته في مناقشة الأقوال^٢.

هذا منهجه في التفسير، وهو من خير المناهج المعروفة في التفسير بالمأثور، ومناقشة الآراء المتضاربة في التفسير. وحقاً أنه طويل الباع في هذا المجال، سواء في النقل أم في النقاش.

موقفه تجاه أهل الرأي في التفسير

أنه يقف في وجه أهل الرأي في التفسير موقفاً عنيفاً، ويرى من إعمال الرأي في تفسير كلام الله مخالفة بيّنة لظاهر دلائل الشرع، ويشدّد في ضرورة الرجوع إلى الصلح المأثور عن الصحابة والتابعين، وأن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح.

فمثلاً عندما تكلم عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَصْعَقُونَ﴾^١ نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف، مع توجيهه للأقوال وتعرّضه للقراءات، بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثم يعرّج بعد ذلك على من يفسّر القرآن برأيه، وبدون اعتماد منه على شيء إلا على مجرد اللغة، فيفتدّ قوله ويحاول إبطال رأيه. فيقول ما نصّه: «وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسّر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجّه معنى قوله: ﴿وَفِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ إلى: وفيه ينجون من الجذب والقحط بالفَيْث، ويزعم أنه من العصر بمعنى المنجاة، كما جاء في قول أبي زيد الطائفي:

صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أي المقهور.

وقول ليبيد:

قبات وأسرى القوم آخِر ليلهم وما كان وقافاً بغير مُعَصَّر

قال: وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه، خلأفه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين.

قال: وأما القول الذي روى الفرج بن فضالة عن عليّ بن أبي طلحة - أن يعصرون بمعنى يحلبون - فقول لا معنى له؛ لأنّه خلاف المعروف من كلام العرب، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس: إنّه عصر الأعناب والثمرات^٢.

٢. تفسير الطبري، ج ١٢، ص ١٣٨.

موقفه تجاه أهل الظاهر

كان أبو جعفر إذا رأى من ظاهر النقل ما ينافي العقل، يعمد إلى التأويل بوجه مقبول.. ويستكر على أولئك الذين يقتنعون بظاهر التعبير من غير تعقل أو تحصيل.. وهكذا إذا وجد ما يخالف -بظاهره- قواعد الأدب الرفيع.

نراه عند تفسير الاستواء من سورة البقرة^١ يواجه آراءً يستنكرها ويؤول الآية بما لا يستدعي التحيز في ذاته تعالى.. الأمر الذي استنكر عليه مشايخ الحنابلة ببغداد، حينما حاولوا اختبار مذهبه عند عودته من بلاده (أمل - طبرستان)^٢.

ذكر ياقوت: لما قدم أبو جعفر إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها، تعصب عليه الجصاص والبياضى، وقصده الحنابلة، فسألوه عن أحمد بن حنبل -في الجامع يوم الجمعة- وعن حديث الجلوس على العرش! فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعدّ خلافه.. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال.

ثم أتشد:

سبحان من ليس له أنيس و لا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم.. فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره، فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتلّ العظيم. وركب نازوك صاحب الشرطة يمنع عنه العائمة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه..^٣

وقال عند تفسيره للآية -من سورة البقرة-: اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: هو بمعنى أقبّل عليها.. وقال بعضهم: عمد إليها^٤. وقال بعضهم: الاستواء هو العلو، والعلو هو

١. الآية ٢٩.

٢. هي بلاد مازندران كانت ولا تزال مهد الشنج والولاء لأن البيت النبوي.

٣. معجم الأبيات ج ١٥ ص ٢٥٢-٢٥٣ (دار الكتب المطبعة، بيروت، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م).

٤. ومنه قول الرمشري: ثم استوى إلى السماء قصد إليها يارادته ومبشئة (المعشاة ج ١، ص ١٢٣).

الارتفاع - يعني به الإشراف لغرض التدبير لا الارتفاع المكاني^١ - كما حدث به عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس، قال: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» يقول: ارتفع إلى السماء..

قال أبو جعفر: الاستواء - في كلام العرب - منصرف إلى وجوه، منها: انتهاء الشباب. ومنها: استقامة ما كان فيه أود. ومنها: الإقبال على الشيء بالفعل، كما يقال: استوى فلان على فلان بما يكرهه و يسوؤه بعد الإحسان إليه. ومنها: الاحتياز والاستيلاء، كقولهم: استوى فلان على المملكة بمعنى: احتوى عليها و حازها^٢. ومنها: العلوّ والارتفاع كقول القائل: استوى فلان على سريره يعني به علوّه عليه.

قال: وأولى المعاني يقول الله - جلّ ثناؤه -: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ».. علا عليهم و ارتفع فدبرهم بقدرته.. و فسّر العلوّ بعلوّ الملك و التدبير.. قال: علا عليها علوّ ملك و سلطان، لا علوّ انتقال و زوال^٣.

و هكذا ذكر الزمخشري، قال: لَمَّا كَانَ الاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ - و هو سرير الملك - مِمَّا يَرْدِفُ الْمَلِكَ، جَعَلُوهُ كِتَابَةً عَنِ الْمَلِكِ، فَقَالُوا: اسْتَوَى فُلَانٌ عَلَى الْعَرْشِ يَرِيدُونَ مَلِكًا، وَإِنْ لَمْ يَجْلِسْ عَلَى السَّرِيرِ أَلْبَتَّةَ^٤.

موضع ولّاه لآل البيت

لم نجد علماً من أعلام الأئمة إلا و هو خاضع لولاء آل بيت الرسول ﷺ حيث الوفاء بأجر الرسالة و إكرام صاحب الرسالة، و إنّما يُحفظ المرء في ولده.. فلا غرو أن نجد من هذا العلم القرم موالياً لآل البيت و متواضعاً لدى أعتابهم العالية..

يقول عنه أبو عبد الله الذهبي: الإمام الجليل المفسر، ثقة صادق، فيه تشييع و موالة

١. حسبما يذكره هو فيما يأتي من كلامه.

٢. من ذلك قول الشاعر:

قد استوى بشر على المراق

من ضبر سيف و دم مهراق

٣. تفسير الطبري ج ١، ص ١٥٠ (ط بولاق).

٤. الكشّاف، ج ٣، ص ٥٢. ذيل الآية (٥) من سورة طه.

لا تضر.. أي تشيع من غير مبالاة، الأمر الذي عليه عامة الموالين لآل البيت الصادقين.. ومن ثم فآثار هذا التشيع والولاء للصادق باقية أثناء تفسيره الجامع وكذا تاريخه الكبير.. لم يفضّ بصره عن الحقّ ولم يحاول - كما حاول الآخرون - طمس آثار فضائلهم المشهودة!

نراه عند تفسير آية التطهير (الأحزاب: ٣٣) يروي ستّة عشر حديثاً مسنداً متّصل الإسناد إلى أمّ سلمة وعائشة وأبي سعيد الخُدريّ وأنس وأبي الحمراء وائلثة بن الأستع وأبي هريرة وابن زمعة وعمرو بن أبي سلمة وعن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام وعن سعد بن أبي وقاص - مؤكداً - أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين خاصة..^٢ وفي النهاية يذكر رواية مقطوعة السند، واهية الاعتبار، عن عكرمة: أنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم^٣

و هذا من لطيف صنعه، يجعل من لثة الروايات الفخيمة ذوات الأسانيد العالية، ومسندة إلى كبار الصحابة وأمهات المؤمنين إلى جانب، والجانب الآخر رواية شاذة موهونة الاعتبار، ساقطة إلى حدّ بعيد..

يرويه ابن حميد عن يحيى بن واضح - ذكره ابن الجوزي في الضمّفاء^٤ - عن الأصبغ ابن نباتة عن علقمة بن قيس عن عكرمة مولى ابن عباس..

١. ميزان الاعتدال ج ٣، ص ٤٩٨-٤٩٩، رقم ٧٣٠٦.

و ذكر أن أحمد بن عليّ السليمانيّ رماه بالوضع للروافض.. قال: وهذا رجم بالظنّ الكاذب، بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المحدثين، وما ندعي عصمته من الخطأ، ولا يحلّ لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى. فإنّ كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يُتَأَنَّى فيه، ولا سيما في مثل إمام كبير!

قال: ولعلّ السليمان أراد غيره، وهو محمّد بن جرير بن رستم، وقد رُمي بالرفض..

٢. حيث الآية في مرماها ناظرة إلى خاصّة آل الرسول، حيث طهرهم من الرجس وعصمهم عن الأذناس إطلاقاً.. وهذا نحو من الإرادة التكوينيّة بنمهيذ أسباب الاعتصام من الشرور. لكنّها في فحواها العامّ تشمل غيرهم بإرادة تشريعيّة شاملة.. فجاء ذكرها أثناء الخطاب مع أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفرض الاستشهاد بها، وأنّ الآية تشملهنّ بهذا الفحوى العامّ، المستفاد من عرض الكلام، حيث لهنّ مساس بهذا البيت الرفيع، فلا بدّ أن يتجنّسن مع سائر الأعضاء، فلا يكنّ أجنبيّات في الأساس!

٣. تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ٧٠٥ (ط بولاق). ٤. راجع: ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ١٦٣، رقم ٩٦٤٤.

و رواية ابن واضح - وهو من الطبقة التاسعة - من ابن نباتة - وهو من الطبقة الثالثة - مقطوعة بإسقاط الوسائط، إذن فهي مجهولة الإسناد!!^١
 وهكذا صنع في حديث الغار، من قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾^٢. فسر الآية بإرجاع الضمائر كلها إلى الرسول - نظراً لوحدة السياق - ولآيات أخرى نظيراتها^٣. قال: يقول تعالى ذكره: فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله.. وعقبه بقوله: وقد قيل: على أبي بكر.. ولم يزد^٤.. نعم لأمر ما جَدَعَ قصير أنفه!!
 وكم له من أمثال هذه البدائع الظريفة المبرهنة على براعته في الصنع والتدبير!



وهكذا نراه بشأن حديث الغدير يصنّف كتاباً ضخماً في مجلدين، جمع فيه أحاديث الغدير وطرق أسانيدها بغزارة.. وله تأليف آخر بشأن حديث «الطير المشوي»، ويُعدّ من أفخم مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر طرق أسانيدها واعتلائها، ممّا ينبؤك عن علم واسع وإيمان وثيق..^٥
 وحديث الطير المشوي رواه الأكاثر بأسانيد عالية: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِفَرخٍ مَشْوِيٍّ.. فَقَالَ: أَلَلَّهَمَّ ائْتِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَا كَلِّ مَعِيَ.. وَلَمْ يَمْدِدْ يَدَهُ إِلَى الطَّعَامِ حَتَّى جَاءَهُ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْطَأَ بِكَ يَا عَلِيُّ! فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ..^٦
 يقول ياقوت الحموي: وكان بعض شيوخ بغداد يقول بكذب غدير خمّ وإنكار أن يكون عليّ عليه السلام حاضراً ذلك اليوم.. فبلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام في فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذكر طرق حديث خمّ فكثرت الناس لاستماع ذلك..^٧

١. راجع: تزيين المذهب لابن حجر، ج ١، ص ٦٠-٦١ و ٨٠ و ٨١، ج ٢، ص ٣٥٩.

٢. التوبة (٩): ٤٠.

٣. راجع: مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٢ وقد تحذّر التحيزات المذهبية بشدة!

٤. تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٩٦ (ط بولاق). راجع: النهاية و البداية، ج ١١، ص ١٤٧.

٥. راجع: فضائل الخمسة للفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٨٩-١٩٥.

٦. مجمع الأنبياء، ج ١٥، ص ٢٦٩.

و ذكر أنه دفن ليلاً خوفاً من العامة، لأنه كان يتهم بالتشيع.. قال الخطيب: ولم يؤذن بموته أحد، ومع ذلك اجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم، وصلي على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، و رثاء خلق كثير من أهل الدين والأدب^١.

الأمر الذي دعا بابن أخواته، هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، وأصله من «آمل» أن يفتخر بتشيع أخواله بني جرير، يقول:

بآمل مولدي، و بنو جرير فأخوالي، و يحكي المرء خاله
فها أنا رافضي عن تراث و غيري رافضي عن كلاله^٢



و أما موضعه من حديث يوم الإندثار^٣ حيث أتهم عنه في التفسير، ولكنه أفسح عنه في التاريخ، فلملّه من اتقاء غوغاء العامة حينذاك حسبما عرفت. و يبدو أن مجاله في التاريخ كان أفسح مما كان عليه في التفسير.. و من ثم نراه في سرد القضايا التاريخية، يستهج أحياناً منهج تعابير الخاصة، فكلما يذكر أحداً من أئمة أهل البيت عليهم السلام يعقبه بالسلام عليه، على خلاف منهج العامة بالاعتصار على الترضى له.. و كثيراً ما يترك التعصب في غيرهم أياً كان.

و نجده يذكر فاطمة الزهراء عليها السلام و يعقب بالسلام عليها و يكتبها بأُم أبيها، كما هو شيمة أهل الولاء لآل البيت عليهم السلام^٤.

١. المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

٢. راجع: ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ١، ص ٥٧. و عينا حاول ياقوت تكذيبه!

٣. لنا نزلت الآية: ﴿وَأَذِّنْ صَوْتَهُ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٦). (٢١٤) جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته و أقرباءه و أندومهم بنيته و بشرهم بأن السابق منهم إلى الإيمان سوف تناله الرصاية و الخلافة.. فكان الذي سبهم هو علي بن أبي طالب عليه السلام في عدة مرّات.. فأخذ برفقته و قال: إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم. و الحديث ذكره ابن جرير في التفسير (ج ١٩، ص ٧٥، ط بولاق) بلفظة: «وإن هذا أخي و كذا وكذا..» لكنه في التاريخ (ج ٢، ص ٦٣، ط الاستقامة، مصر، ١٩٣٩ م.) صرح بقوله: «وإن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم!» و ذلك إن دلّ فإنما يدلّ على تضائق عليه في التفسير دون التاريخ!

٤. راجع: كتابه منتخب ذيل الحديث، ص ٦ فما بعد. طبع التاريخ، ج ٨.

١٠. تفسير العياشي

تأليف أبي النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلميّ السمرقنديّ المتوفى سنة (٢٢٠ هـ) كان من أعلام المحدثين، سمع جماعة من شيوخ الكوفيين والبغداديين والقميين. كانت داره معهد علم ودراسة، وكانت محل زوّاد الحديث بين ناسخ أو مقابل أو قارٍ أو معلق. وقد أنفق جميع تركة أبيه - ثلاث مائة ألف دينار - في طلب العلم وتحصيله وبثه ونشره. قالوا: وكان أكثر أهل المشرق علماً وأدباً وفضلاً وفهماً وتبلاً في زمانه. وكان له مجلسان: مجلس للخواصّ، ومجلس للعوامّ.

قال ابن النديم: إنّه من بني تميم، من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحّد دهره وزمانه في غزارة العلم.

ولكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن. وهو شيخ أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشيّ، صاحب كتاب الرجال. وكتبه ما يوفو على مائتي كتاب ورسالة. كان في حدائة سنّه عامّي المذهب، ثمّ استبصر وخدم الإسلام في مصنّفاته الكثيرة، وعلمه الغزير.

وله كتاب التفسير، جمع فيه المأثور من أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن، ولقد أجاد وأفاد، وذكر الروايات بأسانيدها في دقّة واعتبار.

غير أنّ هذا التفسير لم يصل إلينا إلاّ مبتوراً. فقد بتره أولاً ناسخه؛ حيث أسقط الأسانيد، واقتصر على متون الأحاديث، معتذراً بأنّه لم يجد في دياره من يكون عنده سماع أو إجازة من المؤلف؛ فلذلك حذف الأسانيد واكتفى بالباقي. ومن ثمّ قال المولى المجلسيّ بشأنه: إنّ اعتذاره هذا أشنع من فعلته بحذف الأسانيد.

والجهة الأخرى في بتر الكتاب، فقدان الجزء الثاني من جزئيّ التفسير، فإنّ هذا الموجود ينتهي إلى نهاية سورة الكهف، ولم توجد بقيته.

نعم، هناك بعض المتقدّمين، نقلوا منه أحاديث بأسانيد كاملة، كانت عندهم منه نسخة كاملة، منهم الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله الحاكم الحسكانيّ النيسابوريّ، من أعلام

القرن الخامس، و من شيوخ مشايخ العلامة الطبرسي، صاحب التفسير و ينقل عنه في تفسيره كثيراً. ففي «شواهد التنزيل» للحاكم الحسكاني كثير من روايات العياشي، ينقلها فيه بالأسانيد التامة^١.

منهجه في التفسير

إنه يسترسل في ذكر الآيات، في ضمن أحاديث مأثورة، عن أهل البيت عليهم السلام تفسيراً وتأويلاً للآيات الكريمة. و لا يتعرض لنقدها جرحاً أو تعديلاً، تاركاً ذلك إلى عهدة الأسناد التي حُذفت مع الأسف. و يتعرض لبعض القراءات الشاذة المنسوبة إلى أئمة أهل البيت، متى جاءت في سائر الكتب بأسانيد ضعاف، أو مرسله لا حججة فيها، و القرآن لا يثبت بغير التواتر باتفاق الأمة.

نراه عندما يتعرض لقوله تعالى: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»^٢ يُسند إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قرأها: «حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر» ثم قال: و كذلك كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وآله. و في رواية زيارة عنه عليه السلام: هي أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله و هي وسط صلاتين بالنهار: صلاة الغداة، و صلاة العصر.

و قال عليه السلام في قوله تعالى: «و قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»: في الصلاة الوسطى، قال: نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، فقنت فيها، و تركها على حالها في السفر و الحضر.

و عن زيارة و محمد بن مسلم، أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية، فقال: صلاة الظهر. و فيها فرض الله الجمعة، و فيها الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم، فيسأل خيراً إلا أعطاه الله إياه.

١. راجع: مقدمة تفسير المباشري المطبوع؛ الذريعة للطهراني، ج ٤، ص ٢٩٥، كتنق و الانقلاب للقمي، ج ٢، ص ٤٩٠.

٢. البقرة (٢): ٢٣٨.

و عن الإمام الصادق عليه السلام قال: الصلاة الوسطى الظهر، ﴿وَرَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾: إقبال الرجل على صلاته، ومحافظة على وقتها، حتى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء.
وأخيراً يذكر تأويلاً للآية: أَنَّ الصَّلَوَاتِ الَّتِي يَجِبُ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا هُم: رسول الله، وعلي، وفاطمة، وابناها، ﴿وَرَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾: طائعين للأئمة عليهم السلام.
كما أنه عندما يروي عن الصادق عليه السلام تفسير «السبع المثاني» بسورة الحمد، يرجع إلى نقل روايات تفسر باطن الآية إلى الأئمة. قال: إنَّ ظاهرها: الحمد، وباطنها: ولد الولد. والسابع منها: القائم عليه السلام.^١

ومن ثم فإنه عندما يرد في التأويل، نراه غير مراعى لضوابط التأويل الصحيح، على ما أسلفنا بيانه، من كونه مفهوماً عاماً منتزِعاً من الآية بعد إلغاء الخصوصيات ليكون متناسباً مع ظاهر اللفظ، وإن كانت دلالة عليه غير بيّنة.

١١. تفسير ابن أبي حاتم الرازي

هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي (٢٤٠-٣٢٧ هـ). من أصل أصفهاني معروف بابن أبي حاتم. هاجر إلى الري وتوفي بها ودفن هناك. نشأ ابن أبي حاتم في رعاية والده الذي غرس فيه روح العلم والثقة وحفظ القرآن في صغره. قال ابن أبي حاتم: لم يدعني أبي أشتغل في الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان. ثم كتب الحديث. قال: رحل بي أبي سنة ٢٥٥ هـ. وما احتملت بعد، فلما بلغنا ذا الحليفة احتملت، فسُرَّ أبي حيث أدركت حجة الإسلام. فسمعت في هذه السنة من محمد ابن عبد الرحمن المقرئ.. وفي سنة ٢٦٠ هـ. ذهب إلى مكة المكرمة وفيها سمع من محمد بن حماد الطهراني. وفي عام ٢٦٢ هـ. رحل إلى بلاد السواحل والشام ومصر. وفي عام ٢٦٤ هـ. رحل إلى أصبهان ولقي يونس بن حبيب.

١. تفسير هبنتي، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، رقم ٤١٦-٤٢١.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٠، الحجر (١٥): ٨٧.

قال الخليلي: أخذ أبو محمد علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال حتى في الفقه وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار. وقال الذهبي: كان بحراً لا تكدره الدلاء. وقال ابن كثير: كان من العبادة والزهد والورع والحفظ على جانب كبير^١.

منهجه في التفسير

يبدأ تفسيره بعد الحمد لله بالصلاة على محمد خاتم الأنبياء وعلى آله أجمعين.. ثم يقول: سألتني جماعة من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصح الأسانيد وحذف الطرق والشواهد والحروف والروايات، وتنزيل السور. وأن لا نقصد لإخراج التفسير مجرداً دون غيره، متقنين تفسير الآي حتى لا نترك حرفاً من القرآن يوجد له تفسير إلا أخرج ذلك.. فأجبتهم إلى ملتسمهم وبالله التوفيق..

فتحرّيت إخراج ذلك بأصح الأخبار إسناداً وأشبهاها متناً، فإذا وجدت التفسير عن رسول الله ﷺ لم أذكر معه أحداً من الصحابة ممن أتى بمثل ذلك. وإذا وجدت عن الصحابة فإن كانوا متفقين ذكرته عن أعلامه درجة بأصح الأسانيد، وسمّيت موافقيهم بحذف الإسناد. وإن كانوا مختلفين ذكرت اختلافهم وذكرت لكل واحد منهم إسناداً.. فإن لم أجد عن الصحابة ووجدته عن التابعين عملت ما ذكرته في الصحابة. وذكر أسانيده إلى أبي العالية والسدي والربيع ومقاتل، حيث يحذف الأسانيد إليهم في التفسير^٢.



والمراجع لهذا التفسير يجد فيه غزراً ودرراً قلماً توجد في سائر التفاسير، حتى من تأخر عنه، ولعلمهم لم يعثروا على تفسيره.. هكذا ذكر محقق الكتاب عند مقابلته لروايات السيوطي في الدر المنثور، حيث الإسناد إليه وحده دون من سواه.. وهكذا وجدناه عند

١. راجع: الأسباب للسماعي، ج ٤، ص ١٢٨٧ سير أعلام النبلاء ج ١٣، ص ٢٥٠-٢٦٦، تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ٣، ص ٨٢٩ و ٩٧٦؛ أخبار أئمة الهدى ج ٢، ص ٩٠؛ البداية والنهاية ج ١١، ص ١٩١.

٢. راجع: مقدته في التفسير، ج ١، ص ١٤.

مقابلتنا لمروياته مع سائر المرويات في كتب تقدمته أو تأخرت عنه.. في تفسيرنا الأثري الجامع..

و من الذين أكثروا النقل عنه البغوي وابن تيمية وابن كثير والشوكاني وغيرهم كثيرون. أما جلال الدين السيوطي فيقول: فقد لخصت تفسير ابن أبي حاتم في كتابي، وهو الدرر المنتور.

و هذا التفسير، قد حفظ لنا كثيراً من تفاسير أصبحت مفقودة، مثل تفسير سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وغيرهما^١.

هذا التفسير - مع الأسف - لم يوجد بكامله؛ فقد وجد منه من سورة الفاتحة حتى آخر سورة الرعد. و من سورة المؤمنون حتى آخر سورة العنكبوت. وأكمل الباقي بالمقابلة مع تفاسير نقلت عنه، و طبع بصورة أنيقة.. وكانت طبعته الثانية سنة ١٤١٩ هـ. ق. / ١٩٩٩ م.

نزحته الفكرية

كان ابن أبي حاتم مستقيم الرأي حسن العقيدة، شديد النزعة لآل بيت الرسول ﷺ و يبدو ذلك من ثنايا تفسيره لآيات مرتبطة بهم ﷺ فقد بدأ تفسيره - كما عرفت - بعد التسمية والحمد لله رب العالمين، بالصلاة على محمد خاتم الأنبياء و على آله أجمعين.. كما هي شيمة العاتشين في ربوع فارس آنذاك و حتى اليوم..

هو عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٢. يروي عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت الآية قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^٣.

١. راجع: مقدمة المحقق للتفسير، ج ١، ص ١١٠-١١١. ٢. الأحزاب (٣٣): ٥٦.

٣. تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ٣١٥١، برقم ١١٧٧٦٩، الدرر المنتور، ج ٦، ٦٥٧.

و عند تفسير آية التطهير^١ يروي عن أبي سعيد الخدريّ وعائشة ووائلة بن الأسقع وأمّ سلمة و قتادة أنّها نزلت بشأن أهل البيت خاصّة.. وهو الذي يروي عن أمّ سلمة حديث الكساء والبرمة التي أتت بها فاطمة عليها السلام فيها خزيرة^٢..
 وعند تفسير آية الإنذار^٣ يذكر النصّ: «و يكون خليفتي»^٤
 وفي ذيل الآية: «و تَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»^٥ يذكر شاخصه العقيدة الشيعيّة القائلة بعصمة آباء النبيّ وطهارتهم عن الشرك والأدناس من لدن آدم فإلى أن أخرجه الله من صلب عبد الله^٦ الأمر الذي أغفله الكثير، حتّى مثل الطبريّ المعاصر له.

١٢. تفسير القمّيّ

هو أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّيّ المستوفى سنة (٣٢٩) من مشايخ الحديث، روى عنه الكلينيّ وكان من مشايخه، واسع العلم، كثير التصانيف، وكان معتمداً للأصحاب. قال النجاشي: ثقة ثبت معتمد صحيح المذهب. وأكثر رواياته عن أبيه إبراهيم ابن هاشم، أصله من الكوفة وانتقل إلى قم. يقال: إنّه أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم، وهو أيضاً ثقة على الأرجح، حسن الحال.

وهذا التفسير، المنسوب إلى عليّ بن إبراهيم القمّيّ، هو من صنع تلميذه أبي الفضل العباس بن محمّد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام وهو تليف من إملاءات القمّيّ، وقسط وافر من تفسير أبي الجارود. فكان ما أورده أبو الفضل في هذا التفسير من أحاديث الإمام الباقر، فهو من طريق أبي الجارود، وما أورده من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام فمن طريق عليّ بن إبراهيم، وأضاف إليهما بأسانيد عن غير طريقهما. فهو مؤلف ثلاثي المأخذ، وعلى أيّ حال فهو

٢. تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ٣١٦، ٣١٣.

٤. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، ص ٢٨٧، رقم ١٦٠١٤.

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٣. الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٥. الشعراء (٢٦): ٢١٩.

٦. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، ص ٢٨٨، رقمي ١٦٠٢٨ و ١٦٠٢٩ الدوّ المستوفى، ج ٥، ص ٩٨.

من صنع أبي الفضل، ونسب إلى شيخه؛ لأن أكثر رواياته عنه، ولعله كان الأصل فأضاف إليه أحاديث أبي الجارود وغيره؛ لغرض التكميل.

وأبو الفضل هذا مجهول الحال، لا يعرف إلا أنه علوي، وربما كان من تلاميذ علي بن إبراهيم؛ إذ لم يثبت ذلك يقيناً، من غير روايته في هذا التفسير عن شيخه القمي.

كما أن الإسناد إليه أيضاً مجهول، لم يعرف من الراوي لهذا التفسير عن أبي الفضل هذا. ومن ثم فانتساب هذا التفسير إلى علي بن إبراهيم أمر مشهور لا مستند له. أما الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، فيروي أحاديث التفسير عن شيخه علي بن إبراهيم من غير هذا التفسير، ولم نجد من المشايخ العظام من اعتمد هذا التفسير أو نقل منه.

منهجه في التفسير

يبدأ هذا التفسير بذكر مقدّمة يبيّن فيها صنوف أنواع الآيات الكريمة، من ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وخاصّ وعمّ، ومقدّم ومؤخّر، وما هو لفظه جمع ومعناه مفرد، أو مفرد معناه الجمع، أو ماضٍ معناه مستقبل، أو مستقبل معناه ماضٍ، وما إلى ذلك من أنواع الآيات وليست بحاصرة.

وبعد ذلك يبدأ بالتفسير مرتباً حسب ترتيب السور والآيات آية فآية، فيذكر الآية ويعقبها بما رواه علي بن إبراهيم، ويستمرّ على هذا النمط حتّى نهاية سورة البقرة. ومن بدايات سورة آل عمران نراه يمزجه بما رواه عن أبي الجارود، وكذا عن غيره من سائر الرواة، ويستمرّ حتّى نهاية القرآن.

وهذا التفسير في ذات نفسه تفسير لا بأس به، يعتمد ظواهر القرآن ويجري على ما يبدو من ظاهر اللفظ، في إيجاز واختصار بديع، ويتعرّض لبعض اللغّة والشواهد التاريخية لدى المناسبة، أو اقتضاء الضرورة. لكنّه مع ذلك لا يفقل الأحاديث المأثورة عن أئمّة أهل البيت، مهما بلغ الإسناد من ضعف وهن، أو إضطراب في المتن؛ وبذلك قد يخرج عن أسلوبه الذاتي فتراه يذكر بعض المناكير ممّا ترفضه العقول، ويتعاشاه أئمّة

أهل البيت الأطهار. لكنّه قليل بالنسبة إلى سائر موارد تفسيره. فالتفسير في مجموعه تفسير نفيس لولا وجود هذه القلّة من المناكير. وقد أشرنا إلى طرف من ذلك، عند الكلام عن التفاسير المعزّوة إلى أئمّة أهل البيت.

١٣. تفسير الثعلبيّ (الكشف والبيان)

هو أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ النيسابوريّ (ت ٤٢٧ هـ).

قال ابن خلكان: كان أوحد زمانه في علم التفسير و صنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير^١. وقال ابن كثير: كان كثير الحديث واسع السماع. وذكره الفارسيّ في تاريخ نيشابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل موثوق به^٢. وقال ابن عماد: كان حافظاً واعظاً، رأساً في التفسير والعريّة، متين الديانة^٣. وقال القفطيّ: الثعلبيّ، المقرئ، المفسّر، الواعظ، الأديب، الثقة، الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الإعراب والقراءات. له التفسير الكبير والعرائس في قصص الأنبياء ونحو ذلك. سمع منه الواحديّ التفسير وأخذ عنه^٤.

أثنى الثعلبيّ ضوءاً على تفسيره وأبان عن منهجه وطريقته التي سلكها فيه، فذكر اختلافه لدى العلماء منذ الصغر، واجتهاده في الاقتباس من علومهم ولا سيّما علم التفسير الذي هو أساس الدين ورأس العلوم الشرعية.. وذكر مواصلته ظلام الليل بضوء الصباح بعزم أكيد وجهد جهيد، حتّى رزقه الله ما عرف به الحقّ من الباطل والفاضل من المفضول، والحديث من القديم، والبدعة من السنّة، والحجّة من الشبهة.. وظهر له أنّ المصنّفين في تفسير القرآن فرق وعلى طرائق مختلفة:

فرقة أهل البدع والأهواء..^٥

وفرقة آفوا فأحسنوا، لكنّهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين..

١. روايات الأعيان ج ١، ص ٧٩-٨٠.

٢. الجليلية والتهذيب ج ١٢، ص ٤٣.

٣. قيام الرواة للقفطيّ، ج ١، ص ١٥٤، رقم ٥٩.

٤. شذرات الذهب لابن عماد، ج ٢، ص ٢٣٠.

٥. وسامهم كما سنّى سائر الفرق. وقد تركناهم لمراجع التفسير ذاته.

و فرقة اقتصروا على مجرد النقل والرواية وتركوا النقد والدراية..
 و فرقة حذفت الأسانيد و نقلت من الصحف و الدفاتر و حرّرت على هوى الخواطر
 و ذكرت الغث و السمين و الواهي و المتين..
 و فرقة حازوا قصب السبق في جودة التصنيف و التحذق، غير أنهم طوّلوا و أطنّبوا..
 و فرقة جرّدت التفسير عن التعرّض للأحكام و بيان الحلال و الحرام، و الحلّ عن
 غوامض المشكلات و الردّ على أهل الزيغ و الشبهات..
 ثمّ بيّن أنّه لم يعثر في كتب من تقدّمه على كتاب جامع شامل مهذب معتمد عليه، هذا
 مع شدّة رغبة الناس إلى إخراج كتاب في تفسير القرآن جامع كامل يُعني اللبيب و يُروي
 الأديب و يَشفي الأريب.. قال: ثمّ استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب شامل كامل
 مهذب ملخّص مفهوم منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات سوى
 ما التقطه من التعليقات و الأجزاء المتفرّقات، و تلقّاه عن أقوام من المشايخ الأثبات،
 و هم قريب من ثلاث مائة شيخ.. قال: فنسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز و الترتيب.
 قال: و خرّجت فيه الكلام على أربعة عشر نحواً: البسائط و المقدمات، و العدد
 و الترتيلات، و القصص و الروايات، و الوجوه و القراءات، و العلل و الاحتجاجات،
 و العريّة و اللغات، و الإعراب و الموازنات، و التفسير و التأويلات، و المعاني و الجهات،
 و الغوامض و المشكلات، و الأحكام و الفقهيّات، و الحكم و الإشارات، و الفضائل
 و الكرامات، و الأخبار و المتعلّقات.. أدرجتها ضمن الكتاب، بحذف الأبواب. و سمّيته:
 الكشف و البيان عن تفسير القرآن..



أمّا المصادر التي اعتمدها التعليبيّ فذكرها مع أسانيده إليها حسب التالي:
 التفاسير المأثورة عن ابن عباس و عكرمة و الكلبيّ و مجاهد و الحسن البصريّ
 و أبي العالية و الربيع و القرظيّ و مقاتل بن حيّان و مقاتل بن سليمان و ابن جرير و سفيان
 الثوريّ و وكيع و شبل بن عباد و ورقاء و زيد بن أسلم و روح بن عباد و الفراتيّ محمّد

ابن يوسف و قبيصة بن عتبة و سعيد بن منصور و النهدي: أبو حذيفة موسى بن مسعود و ابن وهب و عبد الحميد بن حميد الكشي و محمد بن أيوب الرازي و عبد الرحمان بن كيسان هو أبو بكر الأصم^١ و تفسير أبي حمزة الثمالي و تفسير المسيب بن شريك..

تلك مصادره من كتب تقدمته. و انضم إليها مصادر ممن عاصره، و هي:

تفسير عبد الله بن حامد، قرأه عليه. تفسير أبي عمرو الفراتي الملقب بالبستاني، أجاز له بجميعة لفظاً و خطأً. تفسير أبي بكر بن فورك، أملى عليه صدرأ. تفسير أبي القاسم بن حبيب، سمعه غير مرة. تفسير جبرئيل^٢، قرأه كله على مصنفه. و تفسير الصيدلاني أبي الحسن محمد بن القاسم الفقيه. سمع بعضه من مصنفه و أجاز له بالباقي، و يعرف بتفسير النبي، حيث جمع فيه الرويات عنه عليه السلام. و تفسير ابن المبارك الدينوري بالإسناد إليه. و تفسير السلمي أبي عبد الرحمان محمد بن الحسن السلمي، المسمي بدعقائق التفسير على لسان أهل الإشاره. قرأه كله على مصنفه فأقر له به. و كتاب عروة. و كتاب مالك^٣.

و من كتب المعاني: معاني القرآن للفراء. و معاني القرآن للكسائي، و لأبي عبيد القاسم ابن سلام و الزجاج و كتاب النظم للجرجاني و كتاب الغرائب لأبي عبيد معمر بن المثنى التيمي، و المغرب للأخفش... كل ذلك بالأسانيد العالية..

و هذا من ميزات هذا الكتاب، قد حفظ لنا ميراثاً علمياً ضخماً، تداركه قبل أن يندثر، فضمن له البقاء في دمة الخلود.. و جعلها كلمة باقية في عقبه..



١. المحتزلي صاحب المقالات في الأصول. كان من أفصح الناس و أروعهم و أفقههم و له تفسير عجيب. ذكره

عبد الجبار الهمداني في طبقاتهم (لسان الميزان لابن حجر، ج ٣، ص ٤٢٧، رقم ١٦٨٥).

٢. مله جيريل بن محمد بن إسماعيل أبو القاسم الهمداني صاحب السنن سمع أبا القاسم عبد الله بن محمد

البنوري مصنف المعجم الكبير للصحة و غيره من أهل زمانه توفي سنة ٣٨٤ هـ. (الوفى بالوفيات للصدفي، ج ١١،

ص ٣٦، رقم ١٢٧٣٠، سير اعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٥٠٣، رقم ٢٧٣).

٣. و له دزه، لولا أنه استقصى هذه الكتب و اجتنى ثمارها البانعة، لضاعف أكثرها مع الأبد و لما عرفنا منها شيئاً..

و هذا من ميزة هذا التفسير الجليل..

والحق أن هذا التفسير يمتاز بأمور قلما تجمعها سائر التفاسير المعتمدة.. وبذلك أصبح من يومه مرجعاً فحماً لمن كتب بعده وحتى اليوم هو من مراجع التفسير المفضلة..

إنه حذف الأسانيد اكتفاءً بذكرها في المقدمة من غير حاجة إلى الإعادة و التكرار. كما تعرّض لشتى المسائل اللغوية والأدبية بتحليل واستشهاد شعري قويم. وهكذا عند التعرّض للمسائل الفقهية، يردها بتوسّع واستقصاء للأقوال و مسائل الخلاف..

خذ لذلك مثلاً تفسيره للآية ١١ من سورة النساء، إنه يفيض في الكلام عن تركة الميت، ويذكر جملة الورثة و السهام المحددة، و يذكر من فرضه الربع، و من فرضه الثمن، و الثلثان، و الثلث، و السدس.. وهكذا يتعرّض لنصيب الجدّ و الجدة و الجدّات. ثم يتكلّم عن نظام الميراث في الجاهليّة، عن علم واسع..

أمّا المسائل الأدبية فحدّث عنها و لا حرج.. مثلاً تجده عند الآية ٩٠ من سورة البقرة يخوض في مسائل النحو و الكلام عن نعم و بئس بتفصيل فائق.. كما نجده يحلّل لفظة «ينعق» (الآية ١٧٣ من البقرة) تحليلاً دقيقاً و يصرفها علي وجوه بأسلوب متين.

كما أنه لا يتوانى عن ذكر فضائل آل البيت عليهم السلام عند كلّ مناسبة، و لا سيّما عند التعرّض لآيات نزلت بشأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بكلّ جهد و إخلاص.. وهكذا يتطرّق الكتاب لنواح علمية أخرى لا يكاد يجدها المراجع في سائر التفاسير. و من ثمّ كان هذا التفسير و لا يزال مرجعاً عامّاً للتفسير، حيث أريد الوقوف على آراء السلف و أقوالهم و نظرات المفسّرين القدامى و أهل التاريخ و الحديث بصورة مستوعبة.

فقد امتاز هذا التفسير بتوسّعه في اللغة و الأدب و وجوه القراءات و الإحاطة بكلام السلف و الإجابة في نقلها و بسطها، حيث كان مفسرنا كثير الشيوخ كثير الحديث صحيح النقل موثقاً به^١ غير أنه لم يتحرّ الصحة فيما ينقله من تفاسير السلف، و من ثمّ وقع فيما وقع فيه كثير من المفسّرين المكثرين من النقل. و قد جرّ على نفسه و على تفسيره بسبب

هذه الكثرة من النقل ما جرّه أكثر المفسرين القدامى المعتمدين على النقل والأثر.
 ومن امتيازات هذا التفسير أيضاً اعتماده على روايات الشيعة أكثر من غيره.. و تبعه
 على ذلك البغويّ والواحديّ ممّن تأخّر عنه وأخذ منه.. فكانوا موضع عتاب الجهلاء..
 هذا، ومع ذلك فنرى ابن تيميّة قد تهافت في ظاهر كلامه عن هذا التفسير..
 هو عند ما يُسأل عن أيّ التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة: الزمخشريّ أم القرطبيّ
 أم البغويّ أم غير هؤلاء؟

يقول: أمّا التفاسير التي في أيدي الناس فأصحّها تفسير الطبري، فإنّه يذكر مقالات
 السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين. أمّا التفاسير الثلاثة
 المسؤول عنها، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة، البغويّ. لكنّه مختصر من تفسير
 الثعلبيّ، وحذف منه الأحاديث الموضوعية والبدع التي فيه..
 وأمّا الواحديّ - في تفاسيره الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز - فإنّه تلميذ الثعلبيّ،
 وهو أخبر منه بالعريّة. لكنّ الثعلبيّ فيه سلامة من البدع^١، وإن ذكرها تقليداً لغيره^٢.
 إذ لم يعرف من هذا الكلام أنّ تفسير الثعلبيّ هل هو خلو من البدع أم تتواجد فيه؟!
 ولعلّه أراد سلامة الثعلبيّ ذاته من الابتداع، وإن لم يسلم تفسيره من البدع التي ذكرها فيه
 عفواً وعن متابعة للآخرين وليس عن اعتقادها..
 وهذا التفسير طبع أخيراً وبعد انتظار طويل، بتحقيق ابن عاشور ومراجعة الأستاذ
 الساعديّ في عشر مجلّدات، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

١٤. تفسير الماورديّ (النكت والعيون)

هو أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب الماورديّ^٣ البصريّ الشافعيّ.
 (٣٦٤-٥٤٥هـ). ولد بالبصرة في أزهى عصور العبّاسيين ونشأ بها وتلقّى علومه الأولى

١. يقصد من البدع - حسب زعمه - تأويلات الممنزلة.

٢. راجع: فتاوى ابن تيميّة، ج ٢، ص ١١٩٣ مفضّلاً في أصول التفسير، ص ٥٦-٥٧.

٣. نسبة إلى ماء ورد. كان أبوه يعمله وبيعه.

على يد أبي القاسم الصيمريّ و هو عالم البصرة آنذاك، ثمّ رحل إلى بغداد و سكن في درب الزعفرانيّ، و فيها سمع الحديث و أخذ الفقه، و انضمّ إلى حلقات أبي حامد الإسفرايينيّ لاستكمال ثقافته. و لما بلغ أشدهّ و استوى تصدّر للتدريس في بغداد و البصرة و تنقّل في البلاد لنشر العلم ثمّ استقرّ به المقام في بغداد و حدّث بها و فسّر القرآن و ألف فيها كتبه في أصول الفقه و فروعه و غير ذلك. و جعل إليه ولاية القضاء ببغداد كثيرة. و لُقّب بقاضي القضاة في سنة ٤٢٩ هـ. و جرى من الفقهاء إنكار لهذه التسمية و كانت بدعة لم يسبقه بها أحد... لكنّه لم يلتفت لأقوالهم و استمرّ له اللقب إلى أن مات، و جرت التسمية به و لُقّب به القضاة فيما بعد..

و يعتبر تفسير الماورديّ من أهمّ كتب التفسير، و قد اهتمّ به كثير ممّن تأخّر عنه كابن القيمّ الجوزيّ في تفسيره زاد المسير، و القرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن و غيرهما.

منهجه في التفسير

هو تفسير كامل للقرآن، اقتصر فيه الماورديّ على تفسير ما خفي من الآيات، أمّا الجليّ الواضح فتركه لفهم القارئ. و قد جمع فيه بين أقاويل السلف و الخلف و أضاف إليه ما ظهر له من معنى محتمل. و ربّبه ترتيباً بديعاً، يحصر الأقوال الكثيرة في عدد، ثمّ يفصلها الأوّل فالثاني فالثالث... مع توجيه لبعض الأقوال و ترجيح أحياناً.. و قد اعتنى بالتفسيرات اللغويّة، فيذكر أصول الكلمات و يوضّحها بضرب الأمثال و الاستشهاد عليها بالشعر و يربطها بالمعنى المراد من الآية في عبارة موجزة واضحة البيان.

و يمتاز هذا التفسير بجمعه للأقوال و تحليلاته اللغويّة و منهجه الدقيق و جمعه بين المأثور و ذكر الوجوه من القراءات و الأحكام الفقهيّة.

و يعتمد في القراءة على كتب القراءات المعروفة ككتاب القراءات لابن خالويه، و كتاب الحجّة للفارسيّ، و المحنّب لابن جنّيّ و كتب القيسيّ و الدانيّ و أمثالهم. و في التفسير على جامع البيان للطبريّ و هو من أهمّ مصادره. كما قد ينقل من تفسير

مقاتل بن حيان وغيره.

و في الأدب يستمدّ من كتب كثيرة و متنوّعة. كما و يعتمد في الفقه على أقوال الشافعيّ و يشير إلى سائر المذاهب أحياناً.

١٥. تفسير ابن عطية (المحرّر الوجيز)

هو أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب، المعروف بابن عطية، نسبة إلى جدّه الأعلى: عطية ابن خالد المحاربيّ، من ولد زيد بن محارب بن حفصة بن قيس غيلان من مضر.. الأندلسيّ المغربيّ الفرناطيّ (٤٨١-٥٤٦ هـ)..

نشأ في بيت علم و فضل، كان أبوه غالب ابن عطية إماماً حافظاً و عالماً جليلاً، رحل في طلب العلم و تفقّه على العلماء.. فكان جديراً أن يُشبهه الفرع بالأصل.. كان أبو محمّد بن عطية غاية في الذكاء و حسن الفهم و جودة القريحة، شغوفاً بمطالعة الكتب، حتّى برع في فنون العلم و الأدب، و أصبح أديباً شاعراً مجيداً.. و قد وصفه صاحب قلائد المعيان بالبراعة في الأدب و النظم و الترو.. و وصفه أبو حيان في مقدّمة تفسيره البحر المحيط بأنّه أجلّ من صنّف في علم التفسير، و أفضل من تعرّض فيه للتشريح و التحرير..

يقول أبو حيان عنه و عن الزمخشريّ: قد اشتهرا كاشتهار الشمس و خلدا في الأحياء، و كلامهما في التفسير يدلّ على تقدّمهما في علوم، من منثور و منظوم، و منقول و مفهوم، و تقلّب في فنون الآداب، و تمكّن من علمي المعاني و الإعراب. و في خطبتي كتابهما و كذا في غضون كتاب الزمخشريّ ما يدلّ على أنّهما فارسا ميدان، و ممارسا فصاحة و بيان..^١

و تفسيره هذا من أعظم التفاسير الأثرية، حيث جمع بين الأثر و النظر، و النقل و النقد، فكانت له قيمته العلميّة بين كتب التفسير. و قد أفضى عليه مؤلّفه من روحه العلميّة

الفياض ما أكسبه دقة ووراجاً وقبولاً.

و كذلك ابن تيمية يعقد مقارنة بين الكتابين - في فتاواه - فيقول: و تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبعثاً، وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح التفاسير^١.

و كذا يقول في مقدمته في أصول التفسير: و تفسير ابن عطية و أمثاله أتبع للسنة و الجماعة، و أسلم من البدعة.. و لو ذكر كلام السلف على وجهه لكان أحسن و أجمل، لكنّه ينقل من تفسير ابن جرير - و هو من أجل التفاسير و أعظمها قدراً - ثم يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، و يذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم أهل الكلام ممن قرروا أصولهم على أصول المعتزلة^٢.

و بهذه المناسبة يقول الأستاذ الذهبي: في أثناء قراءتي في تفسير ابن عطية رأيته عند تفسير الآية ٢٦ من سورة يونس ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَ زِيَادَةٌ﴾ يقول ما نصه: «قالت فرقة هي الجمهور: الحسنی، الجنتة. و الزيادة، النظر إلى الله - عزّ و جلّ - و روي في نحو ذلك حديث عن النبي ﷺ رواه صهيب. و عن أبي بكر و حذيفة و أبي موسى الأشعري.. ثم يقول: و قالت فرقة: الحسنی هي الحسنة. و الزيادة هي تضيف الحسنات إلى سبع مائة فدونها، حسبما روي في نصّ الحديث عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾^٣. قال: و هذا قول يعضده النظر.. قال: و لولا عظم القائلين بالقول الأول، لترجع هذا القول.. ثم أخذ في ذكر الدلائل على ترجيحه^٤.

قال الذهبي: و هذا يدلنا على أنه يميل إلى ما تميل إليه المعتزلة، أو على الأقل يقدر ما ذهبت إليه المعتزلة في مسألة الرؤية، و إن كان يحترم مع ذلك رأي الجمهور.. و لعلّ مثل هذا التصرف من ابن عطية هو الذي جعل ابن تيمية يحكم عليه بحكمه السابق^٥.

١. فتاوى ابن تيمية، ج ٢، ص ١٩٤.

٢. مقفظة في أصول التفسير، ص ٤٠.

٣. البقرة (٢): ٢٦١؛ راجع: المحرر الوجيز للذهبي، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦.

٤. تفسير و المفروض، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

٥. المحرر الوجيز، ج ٣، ص ١١٥.

١٦. تفسير البغويّ (معالم التنزيل)

هو أبو محمد الحسين بن مسعود المعروف بالفراء^١ البغويّ^٢ (٤٣٣-٥١٦ هـ). الفقيه الشافعيّ، المحدث، المفسّر. كان إماماً في الفقه والحديث والتفسير. وتفسيره هذا من أجلّ التفاسير وأجمعها لأقوال السلف وأبعدها عن السرف وأجزها في البيان وأجزها في التبيان. ومن ثمّ تداوله الناس وتدارسه رواد العلم من أساتذة وطلاب.. وهو مختصر من تفسير الثعلبيّ، مقتف منهجه في الاستقصاء والإيفاء.. قال ابن تيمية: وأسلم التفاسير من البدع^٣ والأحاديث الضعيفة، تفسير البغويّ المقتبس من تفسير الثعلبيّ والمستخلص من شوائبه^٤.

وقال علاء الدين عليّ بن محمد البغداديّ (ت ٧٤١ هـ) صاحب تفسير الخازن -والذي بدوره اختصر تفسير البغويّ- في وصف هذا التفسير والسبب في انتخاب غرره ودرره: «ولمّا كان كتاب معالم التنزيل الذي صنّفه الشيخ الجليل والحبر النبيل.. الإمام البغويّ، من أجلّ المصنّفات في علم التفسير وأعلاها وأنبهها وأسناها، جامعاً للصحيح من الآثاويل، عارياً عن التّبّه والتصحيح والتبديل، محلّى بالأحاديث النبويّة، مطرّزاً بالأحكام الشرعيّة، موشى بالقصص الفريية وأخبار الماضين العجيبة، مرصّعاً بأحسن الإشارات، مخرجاً بأوضح العبارات، مفرغاً في قالب الجمال بأفصح مقال^٥.

منهجه في التفسير

يتعرّض لتفسير الآية بلفظ سهل جزل، ويذكر ما جاء عن السلف بلا ذكر السند، اعتماداً على ذكر الأسانيد في المقدّمة^٦. وإذا روى بغير السند الذي ذكره في المقدّمة فإنّه

١. نسبة إلى عمل الفراء وبه.

٢. يقصد من البدع: تأويلات المعزولة كما نتهنا.

٣. راجع: شادي بن تسيّة ج ٢، ص ١٩٣؛ مفضّة في أصول التفسير، ص ٥٦.

٤. تفسير الخازن (المقدّمة)، ج ١، ص ٤٣.

٥. فقد ذكر في المقدّمة أسانيد أسانيد إلى أصحاب الكتب التي نقل عنها، على غرار ما فعله الثعلبيّ عبناً. راجع: معالم

التنزيل (المقدّمة)، ج ١، ص ٥٤.

يذكره عند الرواية. كما أنه -بحكم كونه من الحفاظ المتقين- كان يتحرى الصحة فيما يسنده إلى الرسول ﷺ أو أحد صحابته أو التابعين، ويعرض عن المناكير وما لا تعلق له بالتفسير.

وقد أوضح هذا في المقدمة، قال: «وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم، فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليها مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث. وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير»^١.

كما أنه يتعرض للقراءات ولكن من غير إسراف، ويتحاشا ما ولع به كثير من المفترين من مباحث الإعراب ونكت البلاغة والاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير.

نعم، قد يتعرض للصناعات النحوية وذلك إذا اقتضته ضرورة الكشف عن معاني القرآن، لكنه مقل غير مكثر. وقد يذكر بعض الإسرائيليات من غير تعقيب عليها^٢. وأحياناً يتعرض لإشكالات في ظاهر النظم ويحيب عليها إجابة وافية^٣. كما وقد ينقل الخلاف عن السلف من غير ترجيح أو تضييف لبعض وتصحيح لآخر.. وعلى العموم فالتفسير في جملة من أجمل التفاسير وأسلمها عند نقل المأثور.. الأمر الذي جعله متداولاً بين أهل العلم.

هذا التفسير قد طبع عدة مرات وقد لمسه بعض التحريف، حتى أعيد طبعه باهتمام دار إحياء التراث العربي - بيروت (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م). كَمَلًا و متقابلاً مع أصح النسخ ومع المنقول منه في سائر التفاسير^٤، فأصبح كاملاً منقحاً سليماً عن يد لاس.

١. راجع: المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥-٥٦.

٢. راجع ما ذكره في قصّة هاروت وماروت وقصّة طالوت وجالوت وغيرهما..

٣. راجع ما ذكره عند تفسير الآية ١١٧ من سورة البقرة..

٤. راجع حديث يوم الإنذار، أورده كاملاً عند تفسير الآية ٢١٤ من سورة الشعراء، وقد صحّف في طبقات سابقة، في حين أنّ الخازن نقله عنه بنمائه وكَمَلًا، حيث ورد في هذه الطبعة السليمة.

١٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، الأندلسي القرطبي.. (ت ٦٧١هـ). كان من العلماء العارفين، صاحب تصانيف ممتعة، منها هذا التفسير الذي يُعدّ من أمثل التفاسير وأجودها تصنيفاً وترصيفاً، وجمعاً للأراء والأقوال، مع العناية البالغة باللغة والأدب والفقه والكلام.. وقد عدّه بعضهم -لذلك- في عداد التفاسير الفقهية.. ولعلّه نظراً لعنوان الكتاب.. أما المحتوى فهو على غرار التفاسير الأثرية الجامعة..

وقد بذل المؤلف فيه جهداً كبيراً وعناية فائقة، يدلّان على عمق في البحث ومقدرة على فهم كتاب الله، وإلمامه بعلوم الشريعة أصولها وفروعها، يتجلّى ذلك عند تعرّضه لمباني الأحكام المستنبطة من نصوص الكتاب، حتّى ليكاد يستغني به القارئ عن دراسة كتب الفقه.. ثمّ استشهاده بكثير من النصوص الأدبية من لغة العرب وشرها ونثرها، ممّا يشهد له بطول باع وسعة آفاق.. وإن أخذ عليه بعض هنات ولعلّها سيرة لا تحطّ من قدره ولا تنقص من قيمته، فإنّ الجواد قد يكبو، والحسام قد ينبو!

وكان ذلك الذي فرط منه، على خلاف ما اشترطه على نفسه في المقدمة، يقول فيها: «وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنّفها، فإنّ من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.. فلا يبقى من لا خبرة له حائرًا.. وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرّخين، إلّا ما لا بدّ منه ولا غنى عنه للتبيين..»^١ وقد خالف شرط في كثير من الأحيان.. إذ ليس ممّا لا بدّ منه أو لا غنى عنه، ما ينقله عن كعب الأحبار: «أنّ إبليس تغلغل إلى العوت الذي على ظهره الأرض كلّها، فألقى في قلبه: أو تدري ما على ظهرك يا لوثيا^٢ من الأمم والشجر والدوابّ والناس والجبال! لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك أجمع.. فهم لوثيا يفعل ذلك؛ فبعت الله دابةً فدخلت في منخره،

١. الجامع لأحكام القرآن (المقدمة) للقرطبي، ج ١، ص ٣.

٢. اسم ذلك العوت بالعبرية!

فجع إلى الله فخرجت..^١

وليس ممّا لا بدّ منه: «أَنَّ الْحَيَّةَ كَانَتْ خَادِمَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ فَخَاتَمَهُ، بَأَن مَكَّنَتْ إِبْلِيسَ مِنْ نَفْسِهَا وَأَظْهَرَتْ الْعِدَاوَةَ لَهُ هُنَاكَ، فَلَمَّا أَهْبَطُوا تَأَكَّدَتْ الْعِدَاوَةَ وَجَعَلَ رِزْقُهَا التَّرَابَ»^٢.
وما يرويه عن ابن عباس: «سَأَلْتُ الْيَهُودَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الرَّعْدِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ مَخَارِيقٌ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»^٣.

وما ذكره عن كلب أصحاب الكهف والاختلاف في لونه وفي اسمه^٤.

وما يرويه عن الزُّهري في قوله تعالى: «جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ»: «أَنَّ جَبْرِيْلَ قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَ إِسْرَافِيْلَ، إِنَّ لَهُ لَأَثْنِي عَشْرَ أَلْفِ جَنَاحٍ، مِنْهَا جَنَاحٌ بِالشَّرْقِ وَجَنَاحٌ بِالمَغْرِبِ، وَإِنَّ العَرْشَ لَعَلَى كَافِلِهِ، وَإِنَّهُ فِي الأَحْيَاءِ لِيَتَضَاعَلُ لِعِظْمَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ مِثْلَ الوَضْعِ»^٥.

وما ذكره في قوله تعالى: «وَرَجَعِلُ هَرَشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ»: «أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ثَمَانِيَةَ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَوْعَالِهِمْ وَرُكْبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ. وَفَوْقَ ظُهُورِهِنَّ العَرْشُ»^٦.

إلى غير ذلك من موارد جارى فيها من سبقه من المفسرين الذين ينقلون الإسرائيليات ولا يتحرّون الدقة في محتوياتها، هل هي معقولة أم مرفوضة؟!
قال مصحح الكتاب أحمد البردوني: وللمؤلف في ذلك كثير من العذر، لأنّه ساير مع ثقافة عصره وما يجرى على ألسنة أهل الحديث آنذاك..

لكنّه عذر غير عاذر.. نعم في تفسيره كثير من الغرر والدرر، والعبرة بها لا بالأسقاط وقد قيل - في المثل -: قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط..

١. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

٢. المصدر نفسه، ص ٢١٧.

٣. المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٣٢٠. والوضّح: عصفور صغيراً

٤. جمع زغل وهو الثيس الجبلي.

٥. المصدر نفسه، ج ١٨، ص ٢٦٧.

٦. المصدر نفسه، ص ٣١٣.

١٨. تفسير الشيبانيّ (نهج البيان)

هو الشيخ الجليل محمد بن الحسن الشيبانيّ الإماميّ صاحب تفسير نهج البيان عن كشف معاني القرآن الذي اهداه إلى خزانة المستنصر العبّاسيّ^١ (٥٨٨-٦٤٠) ويبدو أنّه كان في زمن حياته.. ومن ثمّ فيكون صاحبنا الشيبانيّ قد عاش في العهد المستنصريّ الزاهر، مطالع القرن السابع المزدهر بالخير والبركات.

و تفسيره هذا حافل بالغرر والدرر من آثار السلف وأئمة أهل البيت عليهم السلام، منضماً إليها النكت والظرف من اللغة والأدب والنحو والتصريف، وتجنّب الإكثار المؤدّي إلى الإضجار، حسب تعبيره. كما ولم يتسلسل في تفسير الآيات، اقتصاراً على موارد الحاجة إلى التفسير والتبيين، دون الواضح اللاتح.. وهو يوضّح عن منهجه في التفسير، يقول - ما خلاصته -:

« كان يتردّد في خاطري زمان شبابي حيث النشاط والاشتغال، أن أجمع شيئاً من معاني كلام الله وأسباب نزوله وبيان غريبه، لولا مصادمة العوائق، حتّى أتفق الاجتماع بعلماء أفاضل من أصدقاء صلحاء، ذوي التباهة والأدب الرفيع.. فكانت منهم التفاتة إلى ما كان يخامرني قبل ذلك.. فسارعت إلى تلييتهم.. فجمعت الكثير من أقوال السلف الصالح، وتخيرت الأقرب إلى الوفاق والأوجه لمعرفة الصواب، وضممت إليها ما ورد في الصحيح من مذهب أهل البيت عليهم السلام.. ولم أتعرض للبواطن والأسرار إلّا ما ورد عن المعصوم النبي وآله الأطهار وصحابته الأخيار، حيث هم أهل التقرير والبيان. وقد سئل ابن عبّاس عن الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن؟ فقال: هم آل محمّد.. أمّا

١. هو أبو جعفر المنصور بن الظاهر العبّاسيّ، السادس والثلاثون من الخلفاء العبّاسيين. ولد سنة ٥٨٨ واستخلف بحد أبيه سنة ٦٢٣ وتولّى سنة ٦٤٠. عرف بعدله وبسط الأمن في بلاده، كان ساعياً في ترويح الدين والترقية من منزلة العلماء وإحياء البلاد، فبنى الجسور وبلّط الطرق وشيّد المساجد وأسس المدرسة المستنصرية في الجانب الشرقي من دجلة وجعل لها موقوفات وعيّن لها مدرّسين من المذاهب الأربعة. ولا تزال آثار هذه المدرسة قائمة إلى اليوم. كما أنشأ مستشفى كبيراً يضرب به المثل في الكفاءة والخدمات العامة.. وفي عهده بدأ الخطر المغوليّ.

النحو والأدب والقراءات فاقترنت على اليسير مما يرفع الحاجة الملحة، دون الاستقصاء والإسهاب المملّ.. فابتدأت بذكر ما رفع إلى النبيّ و عن الصحابة المعروفين، والتابعين ممن روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد سمته بـ«نهج اليان» عن كشف معاني القرآن، وأهديته للخزانة المعظمة المظفّرة المنصورة العزيزة الإمامية المستنصرية -رفع الله دعوتها وملّكها نواصي العباد وصياصي البلاد، بمحمّد وآله الطاهرين الأمجاد...».

وجعل لتفسيره مقدّمات، ذكر في أولها: ما روى عن السلف بشأن نزول القرآن وعدد سورها وآياتها.. وفي ثانیها: حديث الأحرف السبعة وتفسيرها من وجوه. وفضائل بعض السور. وفي ثالثها: اشتقاق لفظة «القرآن» والسورة والآية.. ومعانيها. وفي رابعها: فيما اشتمل عليه القرآن من أمّهات المقاصد. وفي خامسها: بيان مصطلحات أصولية وتفسيرية لا بدّ من معرفتها لمن أراد التفسير، وبيان الوجوه والنظائر في القرآن، وبسط القول في بيان وجوه معاني القرآن بما أفاد وأجاد.

ثم يبدأ بتفسير الاستعاذة، والبسمة، وبعده بتفسير سورة الحمد وسائر السور. وفي التفسير يبدأ بما روي عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ثم عن سائر الصحابة والتابعين والمعروفين من كبار المفسرين من السلف أمثال قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وزيد ابن أسلم والحسن والكلبيّ ومقاتل بن سليمان وأبي العالية والضحاك وأبي عبيدة والقتيبيّ..

ويتقل عن الطبريّ والمفيد والطوسيّ والجبائيّ والرّمانيّ والزجاج وعبد الغنيّ والحليّ وابن الأثيريّ والقراء وأمثالهم..

وهو في ضمن التفسير قد يتعرّض لمباحث هي من أمّهات المسائل القرآنية، فيخوضها بقوة ويخرج منها بسلام.. أمثال مسألة الناسخ والمنسوخ في القرآن وما شاكل..

وبالجملة، فتفسيره -على صغر حجمه- كبير الفائدة عظيم العائدة، لا غنى عنها لمن حام حول معاني القرآن الكريم وحاول اقتناء مجانيه اليانعة..

فرائد تفرّد بها

هناك فرائد تفرّد بها مفسرنا الجليل، أودعها كتابه، قد لا توجد في سواه. الأمر الذي يدنّا على طول باع و سعة اطلاع، ذلك العهد المزدهر بمتوّج العلوم و المعارف و الثقافات.. و قد قصرت أيدينا عن أن ننال جلّها فضلاً عن كلّها..

من ذلك ما ذكره عن الإمام محمّد بن إدريس الشافعيّ، تفسيراً لآل محمّد ﷺ. قال: سئل الشافعيّ: من «آل محمّد»؟ فقال: «إبن لم يكن عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين، فوالله، لا أعلم من هم»^١.

إنّها فريدة شهد بها إمام فقيه و خبير بصير، فضلاً عن كونه عريباً في الصميم.. و يحمل في طيّه و لاءً صادقاً لآل بيت الرسول ﷺ.. و هو القائل:

يا آل بيت رسول الله، حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لا يصلّي عليكم لا صلاة له^٢

قال ابن النديم: كان الشافعيّ شديداً في التشيع. و ذكر له رجل يوماً مسألة، فأجاب فيها. فقال له الرجل: خالفت في ذلك عليّ بن أبي طالب ﷺ! فاستغرب الشافعيّ ذلك و قال له: بكت لي هذا عن عليّ بن أبي طالب، حتّى أضع خدي على التراب و أقول: قد أخطأتُ و أرجعُ عن قولي إلى قوله..

و حضر ذات يوم مجلساً فيه بعض الطالبين، فقال: لا أتكلّم في مجلس بحضرة أحدهم، هم أحقّ بالكلام، و لهم الرئاسة و الفضل^٣.

إلى غيرها من مآثر تدلّك على شدة و لاء الرجل لهذا البيت الرفيع^٤!



١. نهج البلاغ ج ١، ص ١٣٥، ذيل الآية ٤٩ من سورة البقرة.
 ٢. برواية ابن حجر الهمثميّ، الصواعق المحرقة، ص ٨٨، باب ١١، فصل ١، ذيل الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.
 ٣. الفهرست لابن النديم، ص ٣٠٩ (في أخبار الشافعيّ و أصحابه).
 ٤. راجع: أبياته في مديح آل البيت، الكنتى و الأقطاب، ج ٢، ص ٣٤٧-٣٥٠، الصواعق المحرقة، ص ٧٩ و ٨١.

ومنها: ما رواه عن حبر الأئمة عبد الله بن عباس، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^١.. قال: هم آل محمد عليهم السلام.

وهكذا ذكر عند تفسير الآية من سورة آل عمران.. قال: قال ابن عباس: هم النبي وآله الطاهرون. قال: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.^٢
وتفسير الراسخين في العلم - هنا - بآل محمد - اختصاصاً بهم - مما تفرّد الشيعاني بروايته عن ابن عباس... وأكرم به من مفسرٍ قدير..

والشيعاني في حديثه صدوق، ومن ثمّ رتب عليه قوله: وهذا السيد العالم الحبر، وقوله حجة في التفسير... بإجماع.. لأنّ النبي صلى الله عليه وآله دعا له قال: «اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل»^٤..

قال: وكذا أتى عليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كيف ملئ علماء»^٥.



وهذا الحديث أيضاً مما تفرّد بنقله الشيعاني ولم يُعهد في غير هذا الكتاب. إذ المأثور أنّه قول عمر بشأن ابن مسعود. كما في طبقات ابن سعد (ج ٣، ص ١٥٦) والاستيعاب (ج ٢، ص ٣١٥).

لكن رنة الكلام تحاكي كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ومناسبتة تلوح بملاحع ابن عباس، العلم الحبر الجهمدي.

١٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيعي^٦ البغدادي^٧. (٦٧٨-٧٤١ هـ).

١. آل عمران (٣): ٧.

٢. نوح البيان (المقدمة)، ج ١، ص ١٠.

٣. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤.

٤. نوح البيان ج ١، ص ١١. الكئيف مصعّر الكئيف: وعاء يكون فيه متاع للتاجر أو الراعي.

٥. بالحاء المهملة، نسبة إلى بلدة أسما «شيجة» من أعمال حلب.

٦. كانت ولادته ببغداد وسمع بها.

الشافعي، الصوفي المشتهر بالخازن، لأنه كان خازن كتب خانقاه السميائية بدمشق. ولد ببغداد وسمع بها من ابن الدوايبني وقدم دمشق فسمع من ابن المظفر. قال ابن قاضي شهبة: كان من أهل العلم، جمع و آلف و خلّف كتباً جمّة في فنون مختلفة، و من أهمّها التفسير الذي اختره من تفسير البغوي، و ضمّ إليه ما نقله و لخصه من سائر التفاسير، و ليس له - كما يقول - سوى النقل و الانتخاب، مع حذف الأسانيد و تجنب التطويل و الإسهاب.

يقول هو عن تفسيره: «و لما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنّفه الشيخ الجليل أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي من أجلّ المصنّفات في علم التفسير.. أحببت أن أنتخب من غرر فوائده و درر فرائده و زواهر نصوصه و جواهر فصوصه. مختصراً جامعاً لمعاني التفسير و لباب التأويل، حاوياً لخلاصة منقوله، متضمناً لنكته و أصوله، مع فوائد نقلتها و لخصتها من سائر التفاسير، و لم أجعل لنفسي تصرفاً سوى النقل و الانتخاب.. و حذفنا الأسانيد لأنه أقرب إلى تحصيل المراد..»

غير أنه يتوسّع في الإسرائيليات ينقلها من كتب متفرقة^١ و لا ينقدها كما ينقدها خلفه ابن كثير. كما يسهب في سرد قضايا تاريخية بكلّ مناسبة مهما كانت ضئيلة^٢، و لا حاجة إلى الإسهاب..

و هو باعتبار كونه فقيهاً، يُعنى جداً بالناحية الفقهيّة و يستطرد في ذكر المذاهب و دلائلهم، و يتعرّض لفروع كثيرة ممّا لا يُهتمّ به في مجال التفسير^٣.
أما عنايته بالمواعظ و الأخلاق، فكثيراً ما يتعرّض للمواعظ الرقاق و يسوق أحاديث في الترغيب و التهيب^٤. و لعلّ نزعه الصوفيّة دعته إلى ذلك و استطرد فيه.

نعم، كانت شهرته القصصيّة و سمعته الإسرائيليّة الأسطوريّة، هي التي جرّت عليه

١. راجع: الآيات ٢١-٢٤ من سورة ص، يسرد فصصاً هي أشبه بالخرافات. و الآية ١٠ من سورة الكهف بذكر

القصة في غاية الطول و الغرابة، و لا يحقها.

٢. راجع: الآية ٩ من سورة الأحزاب. و كذا الآية ٢٧ من نفس السورة.

٣. راجع: الآيات ٢٢٦-٢٢٩ من سورة البقرة و كذا آية الطهار في أول سورة المجادلة.

٤. راجع: الآية ١٦ من سورة السجدة..

الويل، وأبعده عن ساحة العلماء إلى ساحة الفوغاء من العوام^١.

٢٠. تفسير ابن كثير

هو أبو الفداء الحافظ عماد الدين، إسماعيل بن عمرو بن كثير، الدمشقيّ الفقيه المؤرّخ الشافعيّ أخذ عن ابن تيميّة، وشغف بحبّه، وامتحن بسببه. قال ابن شعبة في طبقاته: إنّه كانت له خصوصيّة بابن تيميّة، ومناضلة عنه، واتّباع له في كثير من آرائه. وكان يُفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك وأوذى. توفي سنة (٧٧٤ هـ)، ودُفن بمقبرة الصوفيّة عند شيخه ابن تيميّة. وكان قد كُفّ بصره في آخر عمره الذي ناهز السبعين. وهو صاحب التاريخ الذي سماه: البداية والنهاية فكان مؤرّخاً مفسّراً كابن جرير الطبري.

و تفسيره هذا من أشهر ما دُوّن في التفسير المأثور، بل من أجوده؛ حيث اعتنى فيه مؤلّفه بالرواية عن مفسّري السلف، ففسّر كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندةً إلى أصحابها، مع الكلام عمّا يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً، وتقداً وتحليلاً، وقدم له بمقدمة، تعرّض فيها لأموار لها تعلق بالقرآن وتفسيره. ولكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصّه من كلام شيخه ابن تيميّة الذي ذكره في مقدمته في أصول التفسير.

و يمتاز في طريقته في التفسير بأن يذكر الآية، ثمّ يفسّرها بعبارة سهلة جزلة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أو آيات أخرى ذكرها، وقارن بينهما حتّى يتبيّن المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية وكثير الإحاطة بهذا الجانب من تفسير القرآن بالقرآن، ولعلّ هذا الكتاب من أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة، ومقارنة بعضها مع البعض، لكشف المعنى المراد.

وبعد ذلك يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي لها تعلق بالآية، ويبيّن ما يحتجّ به وما لا يحتجّ به منها، ثمّ يردفها بأقوال الصحابة والتابعين، ومن يليهم من علماء السلف.

و نجده أحياناً يرجع بعض الأقوال على بعض، و يضقف بعض الروايات، و يصحح بعضاً آخر منها، و يعدل بعض الرواة، و يجرح بعضاً آخر، و هذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بأصول نقد الحديث، و معرفة أحوال الرجال.

و مما يمتاز به أنه ينته بين حين و آخر إلى ما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات و الموضوعات، و يحذّر منها على وجه الإجمال تارة، و على وجه التعمين و البيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

مثلاً، هو في قصّة هاروت و ماروت، يراها متصادمة مع ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة، فإن كان و لا بدّ فهو تخصيص، كما في شأن إبليس على القول بأنّه من الملائكة، ثمّ يذكر القصّة تقيلاً عن الإمام أحمد في مسنده، يرفعها إلى النبي، لكنّه يشكك في صحّة السند و رفعه. و أخيراً يستغربها. و يذكرها أيضاً بطريقتين آخرين و يستغربهما، و في نهاية الأمر يقول: و أقرب ما يكون في هذا أنّه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحمبار، لا عن النبي، إذن فدار الحديث و رجع إلى نقل كعب الأحمبار، عن كتب بني إسرائيل.

ثمّ يذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة و التابعين. و يذكر عن عليّ عليه السلام أنّه لعن الزهرة، لأنّها فتنت الملّكين. و يعقّب بقوله: و هذا أيضاً لا يصحّ و هو منكر جداً.

و يذكر عن ابن مسعود و ابن عبّاس و عن مجاهد أيضاً، ثمّ يقول: و هذا إسناد جيّد إلى عبد الله بن عمر، و أضاف: و قد تقدّم أنّه من روايته عن كعب الأحمبار.

و أخيراً يقول: و قد روي في قصّة هاروت و ماروت عن جماعة من التابعين و قصّها خلق من المفسّرين من المتقدّمين و المتأخّرين، و حاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح، متّصل الإسناد إلى الصادق المصدّق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

انظر إلى هذا التحقيق الأثيق بشأن خرافة إسرائيلية غفل عنها أكثر المفسّرين.

و كذا في قصّة البقرة، نراه يقصّ علينا قصّة طويلة مسهبّة و غريبة على ما ذكره المفسّرون و يعقبها بقوله: و هذه السياقات عن عبيدة و أبي العالية و السدّيّ و غيرهم، فيها اختلاف، و الظاهر أنّها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، و هي ممّا يجوز نقلها، و لكن لا تصدّق و لا تكذّب، فلهذا لا يُعتمد عليها إلاّ ما وافق الحقّ عندنا^١.

قوله: «و هي ممّا يجوز نقلها» هذا إنّما تبع في ذلك شيخه ابن تيميّة في تجويز الحديث عن بني إسرائيل، و لكن من غير تكذيب و لا تصديق. و قد تكلمنا في ذلك عند الكلام عن الإسرائيليّات، و أنّه يجب نبذها و عدم نقلها، و لا سيّما إذا كانت من الشائعات عندهم، غير مثبتة في كتبهم، و الأكثر هو من هذا القبيل.

و هكذا في تفسير سورة «ق»، يذكر عن بعض السلف أنّه جبل محيط بالأرض، ثمّ يعقبه بقوله: و كأنّ هذا - و الله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم، ممّا لا يصدّق و لا يكذّب، و عندي أنّ هذا و أمثاله و أشباهه من اختلاف بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم. كما افترى في هذه الأُمَّة - مع جلالة قدر علمائها و حفاظها و أئمتّها - أحاديث عن النبيّ و ما بالمهد من قدم، فكيف بأُمَّة بني إسرائيل مع طول المدى و قلة الحفاظ النقاد فيهم، و شريهم للخمور، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، و تبديل كتب الله و آياته. و إنّما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج» فيما قد يجوزُه العقل، فأما فيما تُحيله العقول و يحكم فيه بالبطلان و يغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل^٢.

٢١. تفسير الثعالبيّ (الجواهر الحسان)

هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمّد بن مخلوف الثعالبيّ، توفّي سنة (٨٧٦ هـ). كان من الأئمّة الرّحّالين في طلب العلم. و طار صيته بالفضل و الزهد عن الدنيا. و أصبح آية في علم الحديث، و خلف كتباً كثيراً ألّفها على نمط أهل الحديث المكثّرين.

إنه يترصّد للقراءات أحياناً، ويدخل في الصناعة النحوية تقيلاً عن غيره، ويذكر الروايات المأثور في التفسير، يذكرها بلا إسناد، ويخوض الإسرائيليات خوفاً بلا هوادة، وفيه من آثار التعصب الشيء الكثير. والخلاصة: أنّ تفسيره هذا لا يوازن نظائره من تفاسير أسلافه!

٢٢. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور

لجلال الدين أبي الفضل، عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمّد السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ). انحدر من أسرة كان مقرّها مدينة أسيوط. قيل: كانت الأسرة من أصل فارسي، كانت تعيش في بغداد، ثمّ ارتحلت إلى مصر.

كان جلال الدين من أكبر الحفاظ والرواة، جمّاعاً للأحاديث، مولعاً بمطالعة الكتب والنقل عنها، وبذلك أصبح رأساً في التأليف والتصنيف، وجلّ تآليفه ذات فوائد جمّة شريفة، ممّا يشهد بتبحّره وسعة اطلاعه.

وقد ألف السيوطي تفسيراً مبسطاً جمع فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، ثمّ اختصره بحذف الأسانيد، وهو المعروف اليوم بـ«الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور». يقول هو:

فلمّا آلفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه، وتمّ بحمد الله في مجلّدات. فكان ما أورده فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث، دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر، مصدرأً بالعزو والتخريج إلى كلّ كتاب معتبر، وسمّيته بـ«الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور».

وكان قد شرع في تفسير أبسط وأوسع، جامع بين فنون الكلام وأنواع التفسير، لكنّه لم يُعرف إتمامه. يقول عنه: وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه من

التفاسير المنقولة، والأقوال المقولة والاستباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك؛ بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، وسميته بـ«مجمع البحرين» و«مطلع الهدى» وهو الذي جعلت هذا الكتاب الإفتان مقدّمة له. والله أسأل أن يعين على إكماله بمحمد وآله.

وقد اقتصر المؤلف في الدرّة المستور على مجرد ذكر الروايات ذيل كل آية، بلا أن يتكلّم فيها أو يرجّح أو ينقد أو يمحص. فهذا التفسير فريد في باب، من حيث الاقتصار على نقل الآثار، وتوسّعه في ذلك. ومع ذلك فإنّه لم يتحرّر الصّحة، وإنّما جمع بين الثبوت والسمين، وأورد فيه الكثير من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعية، عن لسان الأئمة السلف. ومن ثمّ فإنّ الأخذ منه يحتاج إلى إمعان نظر ودقّة وتمييز.

٢٣. منهج الصادقين

هو المولى فتح الله بن المولى شكر الله الكاشاني (ت ٩٨٨ هـ). فقيه متكلم مفسّر، جليل عظيم القدر، من أعيان العلماء على عهد السلطان طهماسب الصفويّ. ولد ببلدة كاشان، وانتقل إلى أصفهان وتلقّى العلم لدى المفسّر الكبير عليّ بن الحسن الأصفهانيّ الزواريّ صاحب التفسير المعروف باسمه. وأخذ عنه العلم الأوحديّ الشيخ عليّ بن عبد العالي الكركي. وكانت وفاته بكشمير في رحلته هناك.

له تفسير وجيز كتبه بالعربيّة باسم ذبذبة التفاسير. وهذا التفسير كتبه باللغة الفارسيّة بالتماس كبراه الدولة البهية، وذلك ردّاً لفعل سابق في هذا المجال: كان الواعظ السبزواريّ كمال الدين الحسين بن عليّ المعروف بالكاشفيّ (ت ٩١٠ هـ). العائش على عهد التيموريّة وفي ظلّ ملكهم، كتب تفسيره المواهب العلية^٢ على طريقة الجماعة، من

١. الإفتان، ج ٤، ص ٢١٣-٢١٤.

٢. أوعز الشاه عباس الثاني الصفويّ، إلى المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) أن يتعاهد هذا الأمر ويعدّله وفق مذهب آل البيت، وسمّاه توير المواهب. وتصرّف الكاشفيّ - بنصّه الفارسيّ - طبع في الهند وباكستان وأخيراً في إيران بتحقيق الأستاذ جلال النابيتي وتمّ طبعه في طهران سنة ١٣١٧ هـ.ش.

غير تعرّض لأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

فعمد المولى فتح الله و شيخه الزواربي إلى تعديل هذا الأثر، على مذهب أهل البيت. فشرحا واستدركا ما فاته من أحاديث الأئمة من آل البيت.

فكانت حصيلة تلك الجهود والمحاولات أن ظهر إلى الوجود تفسير كامل و جامع، شامل لمناحي الكلام، و هو تفسير مستقل كبير باللغة الفارسية، حظي بحفاوة و إجلال منذ ذلك العهد و لا يزال.. و هذا التفسير قد تأثر كثيراً بتفاسير أعظم القدماء و أهمها تفسير أبي الفتوح الرازي روض الجنان و روح الجنان.

و هكذا اعتمد على تفسير عرفاني جميل كشف الأسرار للمبيدي. و الكشاف للزمخشري و البيضاوي.. مضافاً إليه أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

يقول المؤلف في المقدمة: «.. بعد أن قرأت التفاسير، فارستها و عربتها، و كتب التاريخ و الحديث، و عالجت الكلام و الأصول و الفقه، عزمت أن أكتب تفسيراً جامعاً شتملاً على حل المعاني، وفق القراءات السبعة المشهورة، لا غيرها، و أن أعرّض للصحيح من أسباب النزول، و أحاديث سيّد البرية و عترته الطيبين، و أردفها بقصص الأنبياء و الأمم السالفة ما صحّ منها...».

منهجه في التفسير

طريقته في التفسير أن يبدأ باسم السورة و معناها و بيان مكّيها و مدنتها و ثواب قراءتها، ثم يترجم الآية و يعقبها بذكر المعنى اللغوي و وجوه الإحراب و البلاغة و تناسب الآي و السور. و يتعرّض للقراءات السبعة و لا يتعدّها إلى الشواذ. و يذكر أسباب النزول و ما ورد من أحاديث الرسول و الأئمة من عترته عليهم السلام و يذكر الآثار المنقولة بشأن الأنبياء و الأمم السالفة، و يتعرّض للمسائل الفقهية المستنبطة من الآية بالمناسبة، و هكذا بيان مناقب العتره لئن أوسع المجال..

قال العلامة الشيرازي في تقديمه للكتاب:

« كان المفسر في الغالب متأثراً بتفسير البيضاوي و ينقل عن الكشاف وعن مجمع البيان فيما يخص القصص والآثار. كما اعتمد على تفاسير أخرى كالتيان للطوسي وروض الجنان لأبي الفتح الرازي و جلاء الأذهان للكاظم وغيرهم^١.

و يتعرض للمسائل الفقهية و يناقش الأقوال فيها، مناقشة موضوعية حرّة، من غير ما تعصب أو تعسف في الرأي... و هكذا موقفه في المسائل القدرية، و يتوسع فيها حسب مقتضى الحال بإيجاز و إيفاء.

كما أنه عند ما يتعرض للإسرائيليات نراه أحياناً ينبّه على موضع سخافتها و منافرتها مع بداهة العقول..

و من ثمّ فهو تفسير جامع و كافل لمناحي البحث و التحقيق في المسائل التفسيرية في أبعادها المترامية. فهو أوسع تفسير ظهر إلى الوجود باللغة الفارسية المرنة، على عهد الصفويّ الزاهر.

و هو تفسير جيّد جميل يحتوي على آراء من سبقه من أعلام الأئمة و وجوه الطائفة، مستقصى مستوفى، يعني المراجع عن مراجعة المتفرقات..

و هذا التفسير طبع عدّة طبعات في تبريز و طهران. و طبع بتحقيق الدكتور الغفاريّ و تقديم و تعليق المرتضويّ عام ١٣٨٥ ق و أيضاً بتحقيق و تقديم العلامة أبي الحسن الشعرانيّ عام ١٣٨٦ ق في عشر مجلّدات.

و للمفسر تفسير آخر باللغة العربية زبدة التفسير في عشر مجلّدات أيضاً، كتبه بعد ما أتمّ تفسيره الفارسيّ. و هو في متناول الطبع أيضاً.

٢٤. تفسير الصافي

للمولى محسن محمّد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشانيّ، المتوفّي (١٠٩١ هـ). هو المحدث الفقيه و الفيلسوف العارف، ولد بكاشان و نشأ بها نشأة علمية راقية،

له تفسير كبير ومتوسط وموجز، وسُميت على الترتيب بـ«الصفاني والأصفي والمصفي».

يعتبر تفسيره هذا مزجاً من الرواية والدراية، تفسيراً شاملاً لجميع آي القرآن، وقد اعتمد المؤلف في نقل عباراته على تفسير البيضاوي، ثم على نصوص الأحاديث الروية عن أئمة أهل البيت.

وقدّم لتفسيره مقدّمة تشتمل على اثني عشر فصلاً، بحث فيها عن مختلف شؤون القرآن وفضله وتلاوته وتفسيره وتأويله.

وتعتبر هذه المقدّمة من أحسن المقدّمات التفسيرية، التي أوضع فيها المؤلف مواضع أهل التفسير في النقل والاعتماد على الرأي، وما يجب توقّره لدى المفسّر عند تفسيره للقرآن، من مؤهلات ضرورية.

وهذه الفصول ستاهنّ مقدّمات: كانت المقدّمة الأولى - بعد الديباجة - في نقل ما جاء في فضل القرآن، والوصية بالتمسك به. والثانية في أنّ علم القرآن كلّهُ عند أهل البيت عليهم السلام، هم يعلمون ظاهر القرآن وباطنه، علماً شاملاً لجميع آي القرآن الكريم. والثالثة في أنّ جُلّ القرآن وارد بشأن أولياء الله ومعاداة أعداء الله. والرابعة في بيان وجوه معاني الآيات من التفسير والتأويل، والظهر والبطن، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك. والخامسة في المنع من التفسير بالرأي وبيان المراد منه. والسادسة في صيانة القرآن من التحريف. والسابعة في أنّ القرآن تبيان لكلّ شيء، فيه أصول معارف الدين، وقواعد الشرع المبين. والثامنة في القراءات واعتبارها. والتاسعة في نزول القرآن الدفعي والتدرجي. والعاشر في شفاعة القرآن وثواب تلاوته وحفظه. والحادية عشرة في التلاوة وآدابها. والثانية عشرة في بيان مصطلحات تفسيرية اعتمدها المؤلف في الكتاب.

وهذا التفسير - على جملة - من نفائس التفاسير الجامعة لجُلّ الرويات عن أئمة أهل البيت إن تفسيراً أو تأويلاً. وإن كان فيه بعض الخلط بين الفتّ والسمن.

منهجه في التفسير

يعتمد اللغة أولاً، ثم الأعراب أحياناً، و بعد ذلك يتعرض للمأثور من روايات أهل البيت عليهم السلام، معتمداً على تفسير القمي والعتاشي، وغيرها من كتب الحديث الضعيفة. لكنه لا يتحرى الصحة في النقل، ويتخلى بنفسه لمجرد ذكر مصدر الحديث، الأمر الذي يؤخذ عليه؛ حيث في بعض الأحيان نراه يذكر الحديث، وكان ظاهره الاعتماد عليه، مما يوجب إغراء الجاهل، فيظنه تفسيراً قطعياً للآية الكريمة، وفيه من الإسرائيليات والروايات الضعاف الشيء الكثير.

وله في بعض الأحيان بيانات عرفانية قد تشبه تأويلات غير متلائمة مع ظاهر النص، بل ومع دليل العقل والقطرة.

مثلاً نراه عندما يذكر قصة هاروت وماروت - حسب الروايات الإسرائيلية - تبعاً لما ذكره البيضاوي في تفسيره: **أنهما شربا الخمر وسجدا للصنم وزنيا، نراه يؤول ذلك تأويلاً غريباً، يقول: لعل المراد بالملكين: الروح والقلب، فإنهما من العالم الروحاني، أهبطا إلى العالم الجسماني، لإقامة الحق، فافتتا بزهرة الحياة الدنيا، وقعا في شبكة الشهوة، فشربا خمر الغفلة، وعبدا صنم الهوى، وقتلا عقلهما الناصح لهما، بمنع تقديته بالعلم والتقوى، ومحو أثر نصحه عن أنفسهما، وتهيباً للزنى يبغى الدنيا الدنيّة التي تلي تربية النشاط والطرب فيها الكوكب المسمى بزهرة، فهربت الدنيا منهما و فاتتهما، لما كان من عاداتها أن تهرب من طالبيها؛ لأنّها متاع الغرور، وبقي إشراق حسنهما في موضع مرتفع؛ بحيث لا تتأله أيدي طلابها، ما دامت الزهرة باقية في السماء. وحملهما حبها في قلبهما إلى أن وضعا طرائق من السحر، وهو ما لطف مأخذه ودقّ، فخيّرا للتخلص منهما، فاختارا بعد التّبّه و عود العقل إليهما أهون العذابين، ثمّ رُفعا إلى البرزخ مُعذّبين، ورأسهما بعدُ إلى أسفل، إلى يوم القيامة.**

و لقد كان الأجدر به - و هو الفقيه النابه المحقق - أن ينبذ تلكم الروايات الإسرائيلية المشوهة، حتى و لو كانت بصورة الرواية عن أهل البيت افتراءً عليهم، كان الأجدر به أن يتركها دون ارتكاب التأويل..



أما تفسير الأوسط الأصفي فهو منتقاة من تفسيره الكبير الصافي و ملخص فيه بإيجاز و إيفاء. و قد احتوى على أمتهات المسائل التفسيرية في أوفى بيان الأمر الذي ينبؤك عن قدرة المؤلف في التأدية و البيان، و الجمع بين الرواية و الدراية و الوصول إلى الهدف الأقصى في أقرب مسير و أقصر خطوات ممكنة.

و على الجملة فهذا التفسير يعدّ من أجمل التفاسير الموجزة و أوفاهها بحقيقة المراد.



و التفسير الوجيز المصنّف هو خلاصة الخلاصات، الموافية بأقصى المرادات في أقصر خطى و أقرب المسافات. و هو تفسير جدّ جميل، يصلح رفيقاً في الحلّ و الترحال و شفيقاً في جميع الأحوال.. فله درّ مؤلفه من علامة خبير و فهامة بصير..

و التفاسير الثلاثة محظية بالطبع و النشر و تداولتها المحققون العلماء في حفاوة و تبجيل في كلّ الأصقاع و البلدان..

٢٥. تفسير البحرانيّ (البرهان)

هو السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسينيّ البحرانيّ الكتكانيّ. و هي قرية من قرى تولى من أعمال البحرين توفي سنة (١١٠٧ هـ). كان من المحدثين الأفاضل متبّعاً للأخبار جماعاً للأحاديث، من غير أن يتكلّم فيها بجرح أو تعديل، أو تأويل ما يخالف العقل أو النقل الصريح، كما هو دأب أكثر الأخباريين المتطرّفين.

و في تفسيره هذا يعتمد كتباً لا اعتبار بها أمثال: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام الذي هو من صنع أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد، و أبي الحسن عليّ

ابن محمّد بن سيّار، الأسترآباديّين و لم يُعلم وجه انتسابه إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام و التفسير المنسوب إلى عليّ بن إبراهيم بن هاشم القميّ و هو من صنع أبي الفضل العباس بن محمّد العلويّ، و نسب إلى القميّ من غير وجه وجيه و كتاب الاحتجاج المنسوب إلى الطبرسيّ و لم يعرف لحدّ الآن و كتاب سليم بن قيس الهلاليّ، المدسوس فيه، و غير ذلك من كتب لا اعتبار فيها، فضلاً عن ضعف الإسناد أو الإرسال في أكثر الأحاديث التي ينقلها من هذه الكتب.

و ممّا يؤخذ على هذا التفسير أنّه يُسند القول في التفسير إلى الإمام المعصوم، إسناداً رأساً، في حين أنّه وجده في كتاب منسوب إليه صرفاً، مثلاً يقول: قال الإمام أبو محمّد العسكريّ في تفسير الآية كذا وكذا، الأمر الذي ترفضه شريعة الاحتياط في الدين^١. و هذا التفسير غير جامع للآيات، وإنّما تعرّض لآيات جاء في ذيلها حديث، و لو في شطر كلمة. و من ثمّ فهو تفسير غير كامل، فضلاً عن ضعف الأسانيد و إرسالها، و هن غالبية الكتب التي اعتمدها، كما هو خال عن أيّ ترجيح أو تأويل، عند مختلف الروايات، و لدى تعارض بعضها مع بعض.

منهجه في التفسير

بدأ المؤلف بمقدّمة يذكر فيها فضل العلم و المتعلّم، و فضل القرآن، و حديث الثقلين، و النهي عن تفسير القرآن بالرأي، و إنّ للقرآن ظاهراً و باطناً، و أنّه مشتمل على أقسام من الكلام، و ما إلى ذلك.

و يبدأ التفسير بعد المقدمات بمطلع جاء في مقدّمة التفسير المنسوب إلى عليّ بن إبراهيم القميّ، من ذكر أنواع الآيات و صنوفها، حسبما جاء في التفسير المنسوب إلى محمّد بن إبراهيم النعمانيّ، و هي رسالة مجهولة النسب لم يُعرف مؤلّفها لحدّ الآن. و بعد ذلك يرد في تفسير الآيات حسب ترتيب السور فيذكر الآية أولاً ثمّ يعقبها بما

١. راجع - مثلاً - الجزء الأول، ص ٧٣، ٧٩، ٨٧ و ٩١ و هو كثير منتشر في الكتاب.

ورد في شأنها من حديث مأثور عن أحد الأئمة المعصومين، من غير ملاحظة ضعف السند أو قوته، أو صحة المتن أو سقمه.

نعم، لا يعني ذلك أن الكتاب ساقط كله، بل فيه من الأحاديث الفرر والكلمات الدرر، الصادرة عن أهل بيت الهدى ومصايح الدجى، ما يُروى الغليل ويشفي العليل. والكتاب بحاجة إلى تمحيص ونقد وتحقيق، ليمتاز سليمة عن السقيم، والصحيح المقبول عن الضعيف الموهون.

فالكتاب بمجموعته موسوعة فريدة، جمعت في طيها الآثار الكريمة التي زخرت بها ينابيع العلم والهدى، يجدها الباحث اللبيب عند البحث والتنقيب، في هذا التأليف الذي جمع بين الفثّ والسمن.

٢٦. تفسير الحويزي (نور الثقلين)

تأليف عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، من محدثي القرن الحادي عشر، المتوفى سنة (١١١٢ هـ). كان على مشرب الأخبارية، كان محدثاً فقيهاً، وشاعراً أديباً جامعاً. سكن شيراز وحدث بها، وتلمذ على يديه جماعة، منهم السيد نعمة الله الجزائري، وغيره.

إنه جمع ما عثر عليه من روايات معزوة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام مما يرتبط نحو ارتباط بأي الذكر الحكيم، تفسيراً أو تأويلاً، أو استشهاداً أو تأييداً. وفي الأغلب لا مساس ذاتياً للحديث مع الآية في صلب مفهومها أو دلالتها، وإنما تعرض لها بالعرض لغرض الاستشهاد، ونحو ذلك، هذا فضلاً عن ضعف الأسانيد أو إرسالها إلا القليل المنقول من المجامع الحديثية المعتمدة.

وهو لا يستوعب جمع أي القرآن، كما أنه لا يذكر النص القرآني، سوى سرده للروايات تبعاً، حسب ترتيب الآيات والسور. ولا يتعرض لنقد الروايات ولا علاج معارضاتها. يقول المؤلف في المقدمة: «وأما ما نقلت مما ظاهره يخالف لإجماع الطائفة فلم أقصد

به بيان اعتقاد ولا عمل، وإنما أوردته ليعلم الناظر المطلع كيف نقل وعنّ نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرج من ذلك، مع أنّي لم أدخل موضعاً من تلك المواضع عن نقل ما يضافه، ويكون عليه المعمول في الكشف والإيداء^١.

وبذلك يتخلّص بنفسه عن مأزق تبعات ما أوردته في كتابه من مناقضات ومخالفات صريحة، مع أسس قواعد المذهب الحنيف، ويوكل النظر والتحقيق في ذلك إلى عاتق القارئ.

ونحن نرى أنه قصّر في ذلك؛ إذ كان من وظيفته الإعلام والبيان لمواضع الإيهام والإجمال، كما فعله المجلسي العظيم في بحار أنواره؛ إذ رُبّ رواية أوهنت من شأن الدين فلا ينبغي السكوت عليها والمرور عليها مرور الكرام، ممّا فيه إغراء الجاهلين أحياناً، أو ضعفة عقيدة بالنسبة إلى مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام فلم يكن ينبغي نقل الرواية وتركها على عواهنها، الأمر الذي أوجب مشاكل في عقائد المسلمين.

من ذلك أنه يذكر في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَنَأَفُوقَهَا﴾^٢ رواية مشوّهة سوهوتة، وينسبها إلى الإمام الصادق عليه السلام: «فالبعوضة: أمير المؤمنين، وما فوقها: رسول الله»^٣.

كما أنه ينقل أخباراً مشتملة على الغلوّ والوهن بشأن الأئمة. ويسترسل في نقل الإسرائيليات والموضوعات كما في قصّة هاروت وماروت، وأنّ الزهرة كانت امرأة فمسخت، وأنّ الملكين زنيا بها. ونحو ذلك من الأساطير الإسرائيليّة والأكاذيب الفاضحة^٤، ملأ بها كتابه، وشحنه شحناً بلا هوادة.

منهجه في التفسير

نعم، إنّه يسرد الروايات سرداً تبعاً من غير هوادة، يذكر الرواية تلو الأخرى أيّاً كان

٢. البقرة (٢): ٢٦.

١. نور الثقلين (المقدّمة)، ج ١، ص ٢.

٤. المصدر نفسه، ص ٩١.

٣. نور الثقلين، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

نمطها، و في أي بُنية كانت صيغتها، إنما يذكرها لأنها رواية تعرّضت لجانب من جوانب الآية بأيّ أشكال التعرّض.

مثلاً - في سورة النساء - يبدأ بذكر ثواب قراءتها، فيذكر رواية مرسلّة عن النبي ﷺ أنّ من قرأها فكأنما تصدّق على كلّ من ورث ميراثاً، و لعلّ المناسبة أنّ السورة تعرّضت لأحكام الموارث، ثم يأتي لتفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^١ فيذكر رواية: أنّهم قرابة الرسول و سيدهم أمير المؤمنين، أمروا بعبودتهم فخالفوا ما أمروا به. لم تعرف وجه المناسبة بين هذا الكلام و الآية الكريمة.

ثم يروي: أنّ حواء إنّما سمّيت حواء؛ لأنها خلقت من حيّ. فلو صحّ، لكان الأولى أن يقال لها: حيّاً. وهكذا يروي أنّ المرأة سمّيت بذلك؛ لأنها مخلوقة من المرء، أي الرجل، لأنها خلقت من ضلع آدم. ثم يناقض ذلك بذكر رواية تنفي أن تكون خلقت من ضلع آدم، بل إنّها خلقت من فاضل طينته.

في حين أنّ الصحيح في فهم الآية: أنّ حواء خلقت من جنس آدم ليسكن إليها، كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾^٢.

ويذكر: أنّ النساء إنّما سمّين نساء؛ لأنّ آدم أنس بحواء، فلو كان كذلك لكان الأولى أن يقال لهنّ: «أنساء».

و يتعرّض بعد ذلك لكيفيّة تزواج و لد آدم، و ينفي أن يكون قد تزوّج الذكر من كلّ بطن مع الأنثى من بطن آخر؛ لأنّ ذلك مستنكر حتّى عند البهائم. و بلغه أنّ بهيمة تنكرت له أخته فنزا عليها، فلمّا كشف عنها أنّها أختها قطع غرموه^٣ بأستانه و خرّ ميتاً.

و هكذا يذكر الروايات تبعاً من غير نظر في الأسناد و المتون، و لا مقارنتها مع أصول المذهب أو دلالة العقول.

و نحن نجلّ مقام الأئمة المعصومين عن الإفادة بمثل هذه التافهات الصبيانيّة، التي

تحطّ من مقامهم الرفيع، فضلاً عن منافاتها مع رفعة شأن القرآن الكريم.

نعم، قد يوجد خلال هذه التافهات بعض الكلام المتين؛ إذ قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسقاط، لكنّه من خلط السليم بالسقيم، الذي يتحاشاه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٢٧. تفسير المشهديّ (كنز الدقائق و بحر الغرائب)

للميرزا^١ محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القميّ المعروف بالمشهديّ؛ لأنّه نشأ بمشهد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام. وتلمذ على يد المولى محسن الفيض الكاشانيّ، و سار على منهجه في التفسير. كان فاضلاً أديباً جامعاً، ومحدثاً فقيهاً علماً القرن الثاني عشر، توفيّ حدود سنة (١١٢٥ هـ).

و تفسيره هذا هو حصيلة ما سبقه من أمّهات تفاسير أصحابنا الإمامية، جمع فيه لباب البيان و عباب التعبير أينما وجد، طيّ الكتب و التآليف السابقة عليه. فقد اختار حسن تعبير أبي سعيد الشيرازيّ البيضاويّ - كما فعله أستاذه و شيخه المقدم المولى الفيض الكاشانيّ من قبل - كما انتخب من أسلوب الطبرسيّ في المجمع ترتيبه و تبويه، مضيفاً إليه ما استحسّنه من كشاف الزمخشريّ و حواشي العلامة الشيخ البهائيّ، فصار تأليفه مجموعة من خير الأقوال و أحسن الآثار كما صرّح هو في مقدّمة تفسيره، و حسبما جاء في تقرّظ العلامة المجلسيّ، و المحقّق الخوانساريّ على الكتاب.

قال السيّد الأمين: وجدنا من كتاب كنز الدقائق مجلداً كبيراً مخطوطاً و على ظهر النسخة تقرّظ بخطّ آقا جمال الدين الخوانساريّ قال فيه: أمّا بعد، فقد أيد الله تعالى بفضله الكامل، جناب المولى العالم العارف الأعمى الفاضل، مجمع فطائل الشيم، جامع جوامع العلوم و الحكم، عالم معالم التنزيل و أنواره، عارف معارف التأويل و أسرار، حلّال كلّ شبهة عارضة، كشّاف كلّ مسألة دقيقة غامضة، الذي أحرق بشواظ طبعه الوقاد شوك الشكوك و الشبهات، و نقد بلحاظ ذهنه الثقاد تقود الأحكام الشرعية

المستفادة من الآيات و الروايات، أعني المكرّم بكرامة الله الأحد الصمد، مولانا ميرزا محمّد، أعانه الله في كلّ باب، و أنابه جزيل الثواب، إذ وقّعه الله لتأليف هذا الكتاب الكريم في تفسير القرآن، و جمعه من التفاسير المعتمدة، و سائر كتب الأخبار المشهورة، فهو كاسمه كثر الدقائق و بحر الغرائب الذي يصادف بغوص النظر فيه أصداف درر الحقائق، فتح الله به الطالبين، و جعله ذخراً لمؤلّفه الفاضل يوم الدين. و أنا العبد المفتقر إلى عفوريّه الباري، جمال الدين محمّد بن حسين الخوانساريّ، أعانها الله تعالى يوم الحساب، و أوتيا فيه يمينهما الكتاب. و قد كتب ذلك في شهر محرّم الحرام من شهر سنة ١١٠٧ هـ.

و كتب المجلسي عليه أيضاً - بعد البسملة ما صورته -: لله درّ المولى الأولى الفاضل الكامل المحقّق المدقّق البدل النحرير، كشّاف دقائق المعاني بفكره الشاقب، و مخرج جواهر الحقائق برأيه الصائب، أعني الخبير الأسعد الأرشد مولانا ميرزا محمّد، مؤلّف هذا التفسير، لا زال مؤيداً بتأييدات الربّ القدير. فلقد أحسن و أتقن، و أفاد و أجاد فسّر الآيات البيّنات بالآثار المرويّة عن الأئمّة الأطياب، فامتاز من القشر اللباب، و جمع بين السنّة و الكتاب، و بذل جهده في استخراج ما تعلقّ بذلك من الأخبار، و ضمّ إليها لطائف المعاني و الأسرار، جزاه الله عن الإيمان و أهله خير جزاء المحسنين، و حشره مع الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. كتب بيمناه الوازرة الدائرة أفقر العباد إلى عفوريّه الفنيّ محمّد باقر بن محمّد تقيّ، أوتيا كتابهما يمينهما، و حوسبا حساباً يسيراً، في يوم عيد الغدير المبارك من سنة ألف و مائة و اثنتين، و الحمد لله أولاً و آخراً، و الصلاة على سيّد المرسلين محمّد و عترته الأكرمين الأطهرين !

و من هذين التقريظين من هذين العلمين تعرف قيمة هذا التفسير و محلّه الأرقى من التحقيق و الجمع و التدقيق. كما يبدو منهما جلالة مؤلّفه و مكانته السامية من العلم

والأدب والفضيلة. والأمر كذلك بعد مراجعة التفسير نفسه فإنه ﷺ وإن جهد في مراجعة أمتهات كتب التفسير والحديث مضافاً إلى الأدب والبيان، لكنه بفضل تضلعه في فنون الأدب واللغة والفقهاء والتفسير والحديث والكلام والحكمة المتعالية نراه قد أخذ ولكن أخذ تحقيق، ونقل ولكن نقل تمحيص، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^١ وهذا هو عين التحقيق وليس تقليداً مقيتاً كما زعم.

وعليه فبحق أقول: إن هذا التفسير جامع كامل وكاف شاف، يعني عناء مراجعة كثير من التفاسير المعتمدة بعد هذا الغناء والكفاية، فله در مؤلفه وجزاه الله عن الإسلام والقرآن خير جزاء.

وإليك ما ذكره العلامة المتبحر الشيخ آغا بزرك الطهراني بشأن هذا التفسير، قال: وهذا التفسير مقصور على ما ورد عن أهل البيت ﷺ نظير تفسير نور الثقلين لكنه أحسن منه بجهات: لذكره الأسانيد وبيان ربط الآيات وذكر الإعراب، وكأنه مقتبس منه لكنه بزيادات فصار أكبر حجماً. وقد يتكلم بما هو مخالف لما في نور الثقلين^٢.

وقال المحقق النوري: هو من أحسن التفاسير وأجمعها وأتمها. وهو أنفع من الصافي ونور الثقلين^٣.

وذلك لأن هذا التفسير قد جمع بين الرواية والدراية، أما الرواية فأتقنها، وأما الدراية فحققها بدقة نظر وحدة بصر، وبذلك قد امتاز على سائر التفاسير الأثرية التي كانت دارجة لذلك العهد.. فجاء أدق التفاسير الأثرية رواية وأعمقها دراية.

وبحق كما لم يسبقه نظير.. لم يلحقه بديل، فيما وصلنا من تفاسير معتمدة على النقل والعقل معاً.. وقد ضم إليهما مباحث أدبية وأخرى كلامية وأحياناً عرفانية، ولكن من النمط الأعلى..

ومن ثم فقد فاق الجميع وحاز القدر المعلن في ذلك المضمار الرهيب.

٢. الذريعة لأغا بزرك الطهراني، ج ١٨، ص ١٥٢.

١. الزمر (٣٩): ١٨.

٣. الفيض القمي: للمحقق النوري، ص ١٠٠.

و الخلاصة: كان لهذا التفسير مكانته في الجمع بين الرواية و الدراية، و إعطاء صورة واضحة للتفسير عند الإمامية، و يشتمل على ما في كتب التفسير من اللغة و الإعراب و البيان، بشكل موجز رائع.

فهو تفسير جامع شامل لجوانب عدّة من الكلام، حول تفسير آي القرآن، الأمر الذي جعله فذّاً في بابهِ، و فرداً في أسلوبه، و ممتازاً على تفاسير جاءت إلى عرصة الوجود، ذلك العهد.



أما موقفه من الإسرائيليات و الموضوعات فهو موضع الرّد و الاجتناب عنها، دون ذكر التفصيل، مثلاً يذكر في قصّة هاروت و ماروت ما يفندّها؛ حيث يقول: و ما روي أنّهما مُثلاً بشرين و ركب فيهما الشهوة... فمحكيّ عن اليهود.

و أما موضعه من مسألة التحريف فموضع مُشرف، و وقف صموداً مدافعاً عن قدسيّة القرآن الكريم، و رفض احتمال كلّ تحريف فيه، سواء بزيادة أم بـنقيصة أم بغير ذلك، رفضاً باتّاً... على خلاف ما سلكه الحشويّة و الأخباريون في هذا المجال... فوقفته الحازمة تبعاً للمحقّقين من علماء الطائفة الأعلام..

قال - ذيل الآية ٩ من سورة الحجر -: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردّاً لإنكارهم و استهزائهم. و لذلك أكّده من وجوه و قرّره بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي من التحريف و الزيادة و النقص، بأن جعلناه معجزاً مبيناً لكلام البشر، بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان، أو نفى تطرّق الخلل إليه، في الدوام بضمان الحفاظ له، كما نفى أن يطعن فيه بأنّه المنزل له..^١

و الكتاب أخرج إلى الطباعة، بعد أن مرّ عليه عهد طويل كان تابِعاً في زاوية الخمول. فكانت طبعاته جيّدة لولا اختلاف النسخ، و يرحمى رفعه بعد حين إن شاء الله تعالى.

٢٨. تفسير شُبر (الكبير والوسيط والوجيز)

هو الشريف السيد عبد الله بن محمد رضا العلوي الحسيني من آل شبر (أسرة علوية يتصل نسبها بالإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام من أعرق الأسر العراقية) أسرة علمية مشتهرة بالعلم والفضيلة^١. ولد في النجف الأشرف سنة (١١٨٨ هـ) وانتقل بصحبة والده إلى بلدة الكاظميين وكان بها حتى وافته المنية سنة (١٢٤٢ هـ). كان من مشاهير العلماء الذين لهم الصيت الذائع في الفنون الإسلامية، فهو إلى جنب فقاوته التي هي الأصل في ثقافته، معروف بالتبحر في التفسير والحديث والكلام وغيرها. وله في كل هذه المناحي مؤلفات شائعة هي في الطليعة من مؤلفات مشاهير العلماء. له كتاب جامع المعارف والأحكام، ما يوازي كتاب بحار الأنوار للمجلسي العظيم. وكتاب مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، جاء فيه من درر الأفكار وغرر الأنظار، ما يكشف النقاب عن وجه كثير من خبيثات الآثار، وهو تصنيف جيد لطيف قلما يوجد نظيره في مصنفات الأصحاب. وغيرهما من آثار علمية^٢ جيدة جميلة إلى حد بعيد..

و من أهمها وأتقها تفاسيره الثلاثة: الكبير والوسيط والوجيز..



أما التفسير الكبير فهو المعروف بصفوة التفاسير، لا يزال مخطوطاً، في مجلدين كبيرين، يوجد المجلد الأول منه في خزانة المخطوطات في مكتبة المرعشي بقم، والمجلد الثاني في مكتبة المجلس بطهران..

هذا التفسير يشتمل على مقدمة في ١٦ فصلاً بحث فيها المؤلف عن مناهي مختلفة من شؤون القرآن الكريم، وهي بنفسها رسالة كبيرة جامعة لشتات علوم القرآن. والتفسير

١. وهكذا فزّظهم السماوي في منظومته:

و جامع النسات بالتصنيف
إلى علومه النفي والورعا

و أسرة لشُبر الشريف
من كل فرد فاضل قد جمعا

٢. تنوف على الستين أنراً في مختلف المعارف والعلوم. (مفندة المصليح)

كتب بصورة مزج - و هكذا في تفسيره الآخرين - ولعله أسهل فهماً إلى معاني الآيات. والذي يمتاز به مؤلفنا في جميع تأليفه، جودة ذوقه وحسن قريحته في كل ما يكتب، فقهاً كان أو تفسيراً أو الكلام أو شرحاً للأحاديث. فهو في كل ذلك جيد التصنيف جميل التأليف، بحيث لا يمل القارئ الأريب ولا يسأمه المطالع الأديب.. ومن ثم احتفل العلماء والأدباء وسائر الأصناف بكتب علامتنا السيد شبر رحمته الله. وهذا التفسير معتمد على الأثر ومشع بالنقد والنظر، جمعاً بين الرواية - في إتقان - والدراية - في إحكام -..



و التفسير الوسيط الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين كتب على نمط التفسير الكبير في حجم أقل، مع مقدمة وجيزة موفية يقول فيها: «إني بعد ما صرفت عمري وأفنيت دهري بفضل الله ومنه وتوفيقه... اشتد شوقي إلى تفسير الكتاب المجيد.. وكان يعنني من ذلك تصور الباع وقلة الاطلاع في هذه الصناعة.. قرأيت بعد أن استخرت الله سبحانه، أن أحرر تفسيراً يشير إلى جملة من النكات اللطيفة والمعاني، و تصحيح القراءة والمباني، ويشتمل على جملة من الأخبار والآثار المروية عن النبي وآله الأطهار..». وقد اعتمد في تفسيره هذا في بيان اللغة والمعاني على البيضاوي نقلاً بالنص، مع توضيح و شرح، مدعماً بنقل أحاديث أهل البيت عليهم السلام مع رعاية الاختصار والاقتصار على حلّ مشكلات الآثار..

و في النقل اعتمد كثيراً على القمي والمجلسي في البحار.. ولم يسرف في النقل إلا على قدر الحاجة واقتضاء الضرورة..

و الخلاصة: إن تفسير الجوهر الثمين يعدّ من التفاسير المعتمدة لدى العلماء، بما حبي من الدقة والإيجاز والإيفاء، مع الإحاطة بجوانب الكلام في رعاية بالغة. وقد طبع طبعة

أنيقة و تداوله أهل التحقيق و التدقيق برحابة.. و طبع في ست مجلّدات في الكويت (مكتبة الألفين) سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م. قدّم له السيّد محمّد بحر العلوم.



و التفسير الوجيز قد حبي بحفاوة منذ عهد قديم.. فقد احتفلت به الجامعات العلميّة في شتّى البلاد، لو جازته و كفاءته في الإيفاء بمعاني كلام الله في أقصر بيان و أحسن تبيان.. قال الأستاذ حامد حنفيّ: و أمّا وجه هذا الحسن الذي نعينه، فإنّه يدور حول منهج المفسّر، حيث جمع في تفسيره بين الدقّة في أداء المعنى، و الإيجاز في إرسال العبارة و تحريرها في غاية الدقّة. و لا زلنا نسمع في مجالس العلم - حتّى اليوم - إطراء العلماء بشأن تفسير المجالين.. و إذا كنّا نؤيّداهم في هذا الحكم فإنّ تفسير العلامة السيّد شُبر، قياساً على المنهج الذي سلكه: يعتبر للمتّهمين و المبتدئين، أمّا عن كونه للمتّهمين، فلاّنه غاية في التركيز و الإيجاز و الحرص على إيراد مصطلحات علم التفسير.

و أمّا عن كونه للمتّهمين، فلاّنه جاء في أسلوب سهل ميّسر، يجمع بين منهج التبسيط و منهج التعليل، و لا يكاد يجد الناشئ و المبتدئ مشقّة في الوقوف على معنى الآيات لما فيه من الوضوح و البيان..

و المؤلّف أشار في المقدّمة إلى كرامة بيت النبوة و أصالة معدنهم في المعارف الأخرويّة و الدنيويّة، و أنّه استقى من نورهم جواهر تفسيره.. و نحن نتصفّح هذا التفسير نلحظ بعين الفاحص المدقّق أنّ المفسّر لا وفّى بما وعد، و أسند جواهر تفسيره و جيّد آرائه إلى معينه الأصليّ من علوم الأئمّة الاثني عشر..^١

٢٩. فتح القدير للشوكانيّ الزيديّ

هو للعلامة محمّد بن عليّ بن عبد الله الشوكانيّ الإمام الزيديّ (١١٧٣-١٢٥٠ هـ). ولد في بلدة هجرة شوكان و نشأ في صنعاء اليمن. تربّى في حجر أبيه برعاية فائقة، و أخذ

في طلب العلم والسماع من العلماء الأعلام، وقد سُفِّفَ بمطالعة كتب التاريخ ومجاميع الأدب، وسار على هذه الطريقة ما بين مطالعة وحفظ، وما بين سماع وتلقُّ، إلى أن صار إماماً يُعَوَّلُ عليه ورأساً يُرْحَلُ إليه. وقد خَلَّفَ آثاراً نافعة أهتمَّها: نيل الأوطار في شرح متنى الأخبار، وهذا الكتاب (فتح القدير) في التفسير، وقد جمع فيه بين الرواية والدراية، وأصبح مرجعاً من مراجع التفسير وأصلاً من أصوله، وطار صيته عند العلماء. فقد توسَّع في باب الرواية، كما أجاد في باب الدراية.. وقد اعتمد في تفسيره على أبي جعفر النحاس وابن عطية دمشقيّ وابن عطية الأندلسيّ والقرطبيّ والزمخشريّ وغيرهم من أعيان المفسرين.

قال في المقدمة: فهذا التفسير وإن كبر حجمه، فقد كثر علمه، واشتمل على ما في كتب التفسير من بدائع فوائد، مع زوائد فرائد وقواعد شوارد.. فكان لبّ اللباب وذخيرة الطلاب..

وهذا التفسير يعتمد على الأثر ويعقبه أحياناً بالنقد والنظر، وهو في ذلك متأرجح بين المذاهب في الأصول والفروع، فتارة يميل مع أهل الظاهر، فيأخذ من ظواهر التعابير حجة قاطعة ويرفض آراء المعتزلة.. كما في مسألة الرؤية والعرش والكرسي والاستواء وما شابه. فهو في ذلك سلفيّ بحت^١.

وأخرى يقف من طريقة الجمهور موقف المعارض، فنراه في مسألة التوسّل بالأنبياء والأولياء يقف موقف المعارضة، ويفيض في الإنكار على من يفعل ذلك، بحجة أن الأنبياء هم أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فكيف التوسّل بهم في بؤس أو ضرر؟!^٢ وهكذا يرفض التقليد بتاتاّ ويؤكد على لزوم مراجعة الكتاب والسنة، ونبذ مذاهب الفقهاء.. يقول في ذلك: فدعوا كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله وأقوال إمامكم محمد بن عبد الله..

١. راجع: فتح القدير، ج ١، ص ٧٢ و ٢٤٤ و ج ٢، ص ١٩٦ و ٢٠١ و ج ٣، ص ٣٨ و ج ٤، ص ٤٥٧.

٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٥ و ج ٢، ص ٤٢٩.

دعوا كلّ قول عند قول محمّد فما آمن في دينه كمخاطر^١

وقد أثار ذلك ضجة في المنطقة فبين معارض ومؤلف، وقد أنكر عليه بعض العلماء. وثالثه يقف موقف المعاهد، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء. كما في مسألة خلق القرآن، فلم يرض موقف أهل السنة ولا موقف المعتزلة، ورضى أن يكون محايداً في هذه المسألة فلم يجزم فيها برأى، وراح ينحى باللائمة على من يقطع بأن القرآن قديم أو مخلوق^٢.

وأما موقفه من آيات الولاية (النازلة بشأن أهل البيت عليهم السلام) فموقف رصين، يذكر عندها الروايات الواردة بشأن نزولها وتأويلها، وإن كان يتركها ودراية القراء وفهمهم عنها^٣.

وبالجملة فهذا التفسير يعطي حرّية مؤلّفه حرّية واسعة، خوّلته له أن يسخر من عقول العامة وأن يهزأ من تعاليم أصحاب المذاهب في الأصول والفروع.. قال الذهبي: وأحسب أنّ الرجل قد دخله شيء من الفرور العلميّ، فراح يوجّه لومه لهؤلاء وهؤلاء، وليته وقف منهم جميعاً موقف الحاكم التزيه والناقد العفّ^٤. وعلى الجملة فالكتاب له قيمته ومكانته في عالم التفسير.. والكمال لله الواحد القهار..

وقد طبع الكتاب في خمس مجلّدات طبعة أنيقة. كانت الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ، القاهرة دار الحديث.

٣٠. تفسير البرغانّي (بحر العرفان)

للمولى صالح بن آغا محمّد البرغانّي القزويني الحائريّ المتوفّي حدود سنة (١٢٧٠ هـ).

له ثلاثة تفاسير: كبير في سبعة عشر مجلّداً، مخطوط، محفوظ في خزانة كتبه، لدى

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٩ و ٢٣٧ و ج ٣، ص ٣٩٨.

٢. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٨٤.

٣. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨ و ٥٠ و ٥٧.

٤. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٢٩٩.

ورثته بقزوين. ووسيط في تسعة مجلدات. و صغير في مجلد واحد.

استقصى فيه الأحاديث المروية عن الأئمة الأطهار في التفسير، ورتبها حسب ترتيب الآيات و السور، ولكنه إنما ذكر الروايات التي زعمها صالحه، و ترك ما زعمه باطلاً، صادراً من جراب التوراة حسب تعبيره.

فتراه عند سرد روايات بدء النسل، يقتصر على رواية التزواج بالحرورية و الجنسية، زاعماً صحتها، و يترك رواية تزواج الذكر من حمل و الأنثى من حمل آخر، لزعم بطلانه. فهو تفسير بالمأثور مع إعمال النظر في الأخذ و الترك فحسب.

النمط الثاني

التفسير الاجتهادي

✦ التفسير الفقهي (آيات الأحكام)

✦ التفاسير الجامعة

✦ التفسير في العصر الحديث

✦ التفاسير الأدبية

✦ التفاسير اللغوية

✦ التفاسير الموجزة

✦ التفاسير العرفانية (التفسير الرمزي و الإشاري)

✦ التفسير في اتجاه عصري

النمط الثاني: التفسير الاجتهادي

والتفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر أكثر مما يعتمد النقل والأثر؛ ليكون المناط في النقد والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد، دون مجرد الاعتماد على المنقول من الآثار والأخبار. نعم، لا ننكر أنّ مزالّ الأقدام في هذا المجال كثيرة، وواقبه وخيمة، ومن ثمّ تجب الحيطة والحذر وإمعان النظر، بعد التوكّل على الله والاستعانة به، الأمر الذي يحصل عند حسن النية والإخلاص في العمل المستمرّ، والله من وراء القصد. والعمل الاجتهادي في التفسير شيء، حصل في وقت مبكر، في عهد التابعين؛ حيث انفتح باب الاجتهاد وإعمال الرأي والنظر في التفسير، وشاع النقد والتمحيص في المنقول من الآثار والأخبار. ولم يزل يتوسّع دائرة ذلك مع تقادم الزمان، ومع تنوع العلوم والمعارف التي ما زالت تتوفّر في الأوساط الإسلامية حينذاك.

وقد أسبقنا أنّ من ميزات تفسير التابعين، فتح باب الاجتهاد والتوسّع فيه، وهكذا دأب من جاء بعدهم على التوسّع في النظر، والتوسّع في أبعاده ومراميه.

نعم، كانت آفة ذلك -لدى الخروج عن دائرة التوقيف، ولوج باب النظر وإعمال الرأي- هو خشية أن ينخرط التفسير في سلك التفسير بالرأي الممقوت عقلاً، والممنوع شرعاً؛ حيث لا يؤمن من عاقبة ذلك أن تزلّ قدم أو تهوي إلى مكان سحيق، وبالفعل قد سقط أناس كثير.

و من ثمّ تجب معرفة حدود «التفسير بالرأي» والوقوف على ثغوره، وجوانبه وأبعاده؛ لغاية الاجتناب عنه.

و نحن قد أوفينا الكلام حول مسألة «التفسير بالرأي»^١ و يتلخّص في أنّ المنوع منه هو ما كان بأحد وجهين:

١. الاستبداد بالرأي في تفسير كلامه تعالى، فيعتمد ما حانت له نظرته الخاصة، غير مبالٍ بما قاله العلماء من قبله، فيعتمد إلى تفسير آية، اعتماداً على ما فهمه من لغة و أدب مجرد، من غير مراجعة لأقوال السلف و نظراتهم و توجيهاتهم، و المسالك التي سلكوها في فهم الآية، و ربّما كانت قرائن و دلائل حاقة، لا ينبغي التغافل عنها. من ذلك معرفة أسباب النزول، و شرح الحوادث المقارنة لنزول الآية، و المناسبة التي استدعت نزولها، و كذا المأثور من كلام النبيّ و الصحابة الأولين، ممّا يعين على فهم كلام الله النازل على رسوله. و إنّما يعرف القرآن من خوطب به، فإغفال ذلك و إعفاء الآثار و الدلائل المكتشفة، حياذ عن طريقة العقلاء في فهم الكلام، فضلاً عن كلامه تعالى، و من استبدّ برأيه هلك، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

و أيضاً فإنّ علم التفسير، علم انحدر من نقطة أولى ثمّ توسّع و تنوع، كسائر العلوم التي ورثتها البشرية من أسلافها العلماء. و لا ينبغي لعالم أن يُعفي ما حققه الأسلاف، و ليس له أن يبدأ بما بدأ به الأولون، و إلّا لم تكن العلوم لتزدهر و تتوسّع مع أطراد الزمان.

و الخلاصة: إنّ مراجعة الدلائل و الشواهد القرآنية، إلى جنب أقوال السلف و آرائهم، شرط أساسي في معرفة كلام الله، فمن استبدّ برأيه من دون مراجعة ذلك، هلك و أهلك.

و هذا معنى الحديث الوارد: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^٢ فلو فرض أنّه ربّما أصاب الواقع صدفة، لكنّه قد أخطأ الطريق التي تؤمّن عليه الإصابة لدى العقلاء.

٢. أن يعمد إلى آية فيحاول تطبيقها على رأيه - مذهب أو عقيدة أو سلوك - ليبرر

١. عند البحث عن صلاحية المفسر في الجزء الأول، ص ٤٩-٧٤، و ما كاد يزلّه لو لم يتحدّر.

٢. مئة العربية للشهيد الثاني، ص ٢١٦-٢١٧.

موضعه من ذلك، أو يجعل ذلك داعية لعقيدته أو سلوكه، وهو - في الأغلب - يعلم أن لا مساس للآية بذلك، وإنما هو تحميل عليها.

والعمدة: أنه لم يَرْمِ فهم معنى الآية و تفسيرها الواقعي، وإنما رام دعم مذهبه وعقيدته بأي وسيلة كانت، ومنها الآية إن وافق التقدير.

فهذا تحميل على الآية، وليس تفسيراً لها، ومن ثم فليتبوأ مقعده من النار.

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: «ما آمن بي من فسر برأيه كلامي»^١.

و روى أبو جعفر الطبري بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^٢.

إذن فمن سلك طريقة العقلاء في فهم الكلام، واعتمد الدلائل والشواهد، وراجع أقوال السلف الصالح، ثم أعمل نظره في فهم كلام الله، لم يكن مفسراً بالرأي، لا مستبدأ برأيه ولا مُحْتَلّاً برأيه على القرآن الكريم، والمعصمة بالله سبحانه.

تنوع التفسير الاجتهادي

ومتما يجدر التنبيه له، أن التفسير الاجتهادي المبني على إعمال الرأي والنظر، يتنوع تنوعاً حسب مواهب المفسرين وقدراتهم العلمية والأدبية، ومعطياتهم في العلوم والمعارف؛ إذ كل صاحب فنّ و علم إنما يجعل من صناعته العلمية وسيلة لفهم القرآن، وينظر إليه من الزاوية التي كانت مقدرته متركزة عليها، ومن ثم تختلف براعة كل مفسر عن غيره، في الجهة التي كانت قدرته العلمية أبرع وأمتن. فصاحب الأدب الرفيع، إنما يفوق غيره في براعته الأدبية في التفسير، وهكذا صاحب الفلسفة والكلام والفقه واللغة، وحتى صاحب العلوم الطبيعية والرياضيات والأفلاك، ونحو ذلك. فكل صاحب مهنة إنما يبرع في عمله، إذا خاض التفسير من جهة صناعته، ومن زاوية اختصاصه، الأمر

الذي جعل من التفسير متنوعاً، حسب معطيات أصحاب التفاسير.

ومن ثم نستطيع أن نتوع ألوان التفسير إلى: أدبيّ و لغويّ، كلاميّ و فلسفيّ و عرفانيّ، اجتماعيّ و علميّ، و جامع بين أمرين أو أمور من ذلك؛ ليكون من النوع الجامع، الذي يغلب أكثر التفاسير. وليس معنى ذلك أنّ الأديب يتمخض تفسيره في الأدب و اللغة محضاً أو الفقيه في الفقه محضاً، وكذا المتكلم و الفيلسوف و العارف و غيرهم، بل إنّما يغلب على تفسير الأديب صياغته الأدبيّة، و على تفسير الفقيه صياغته الفقهيّة، وهكذا... و إن كان لا يخلو سائر أنواع التفسير ممّا كان في بعضها من اختصاص.

أمّا تفاسير أصحاب المذاهب كالمعتزلة و الخوارج و الصوفيّة و أمثالهم، فهي إمّا داخلية في النوع الكلاميّ أو العرفانيّ، و ليس بخارج عن هذين اللونين، و لذلك كان تنوعنا للتفسير يختلف عن تنوع الآخرين بعض الشيء.

و عليه فينقسم التفسير الاجتهاديّ إلى: أدبيّ، و فقهيّ، و كلاميّ، و فلسفيّ، و عرفانيّ رمزيّ، و صوفيّ إشاريّ، و اجتماعيّ، و علميّ، و جامع.

تلك أقسام للتفسير الغالبة عليه، حسب ألوان الاجتهاد فيه. و لتعرض للأهم من كتب التفسير المدوّنة على هذه الألوان.

التفسير الفقهيّ لآيات الأحكام (لمحة عن تطوّر التفسير الفقهيّ)

١. التفسير الفقهيّ في عهده الأوّل

نزل القرآن و في طيه آيات تتضمّن أحكاماً شرعيّة - من تكليف أو وضع^١ تتعلق بمصالح العباد ونظم أمورهم في الحياة و ما يرجع إلى المعاد. و كان المسلمون إذ ذاك - و على عهد الرسالة - يفهمون ما تحمله هذه الآيات من أحكام و تكاليف، بمقتضى سليقتهم الأولى السليمة. و كان إذا أشكل عليهم شيء منه رجعوا إلى النبيّ ﷺ فيحلّ لهم مشكلتهم بسلام.. و هكذا جرت سيرة صحابته الأعلام من بعده، يستحاكمون إلى الآيات و ما تلقّوه من الرسول نصّاً صريحاً سويّاً، فينزّله على ما جدّت من أحداث طول الأيام، فإن وفّت بحاجتهم فيها و نمت، وإلاّ أعملوا رأيهم فيه على طريقة الاستنباط و الاجتهاد في العمل وفق الضوابط العامّة المتلقّاة من الشارع الحكيم.. و الصحابة في نظراتهم لآيات الأحكام كانوا قد يتّفقون على الحكم المستنبط منه،

١. الأحكام التكبليّة هي التي تنضمّن تكاليف إلزاميّة - بإيجاب أو تحريم - و غير إلزاميّة - ندب أو كراهة - يلزم المكلف العمل به أو يشرّح العمل به.
و الأحكام الرضيّة هي التي تنضمّن اعتباراً ما. في مثل الزوجيّة و الملكيّة و الضمان، أو النجاسة و الطهارة و الحدّ و الجنابة.. و ما شاكل ذلك ممّا يقع موضوعاً لأحكام للتكليف كالملكيّة و الزوجيّة. أو ينشأ من تكليف كالضمان و ما شابه.

وأحياناً يختلفون في فهم الآية، فكان تختلف أحكامهم في المسألة، وكان الرأي الغالب هو المحكم حينذاك، ما داموا على الوفاق في الوصول إلى الحقيقة، ومن غير عناد أولجاج..

من ذلك حديث عمار مع عمر بن الخطاب، حيث فهم عمر من آية التيمم اختصاصها بالحدث الأصغر، أمّا المجنب فيدع الصلاة حتى يبلغ الماء.. فعارضه عمار، وذكره ما صنع على عهد رسول الله ﷺ فأمره بالتيمم إذا أجنب ولم يجد الماء^١..
و هكذا تمارى ابن مسعود و عمار في الرجل تصيبه الجنابة و لا يجد الماء، فقال ابن مسعود: لا يصلّي حتى يجد الماء! وقال عمار - و حدّث بقصّته مع رسول الله ﷺ - ولم يقتنع ابن مسعود في بادئ بدء..

و روى البخاري في صحيحه (ج ١، ص ٩٥): أن أبا موسى الأشعري قال لعبد الله بن مسعود: أ رأيت - يا أبا عبد الرحمان - إذا أجنب أحدكم فلم يجد ماءً، كيف يصنع؟ فقال عبد الله: لا يصلّي، حتى يجد الماء! فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار، حين قال له النبي ﷺ: كان يكفيك - أي التيمم^٢! قال ابن مسعود: ألم تر عمر لم يتنع بذلك.. و في حديث آخر: قال: إني لم أر عمر قنع بقول عمار^٣!

١. روى مسلم أن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنب فلم أجد ماءً؟ فقال: لا تصل! فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين - و ذكر قصته مع رسول الله.. فقال عمر: أتق الله يا عمار! قال عمار: إن شئت لم أحدث به! (صحیح مسلم، ج ١، ص ١٩٣).

و في حديث عبد الله بن مسعود مع أبي موسى الأشعري - رواه مسلم -: «أولم تر عمر لم يتنع بقول عمار». نعم، كان عمر قد أصّر على رأيه حتى أصبح مشهوراً به. قال ابن حجر: و هذا مذهب مشهور عن عمر. و وافقه عليه عبد الله بن مسعود. و جرت فيه مناظرة بين أبي موسى و ابن مسعود (فتح البادي، ج ١، ص ٣٧٦). لكنّه ذكر بعد ذلك: أن لم يكن لابن مسعود عذر في التوقف عن قبول حديث عمار، فلهذا جاء عنه: أنه رجع عن الفبا بذلك، كما أخرجه ابن أبي شيبة.. (المصدر نفسه، ص ٣٨٧).

٢. رواه البيهقي في السنن الكبرى، ج ١، ص ٢٢٠.

٣. كما في أحاديث سابقة.. و راجع: صحيح مسلم، ج ١، ص ١٩٣.

٤. روى مسلم بالإسناد إلى الأعمش عن شقيق قال: كنت جالساً مع عبد الله بن مسعود و أبي موسى الأشعري، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمان، أ رأيت لو أن رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً، كيف يصنع بالصلاة؟ فقال

فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية (المائدة: ١٢٦) فما درى عبد الله ما يقول! ثم قال: إننا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه و يتيمم.. قال شعبة -راوي الحديث عن شقيق بن سلمة-: قلت لشقيق: فإتأمره عبد الله لهذا؟ قال: نعم!

قلت: وهذا يعني أنه أخذ بالقياس والاستحسان وترك الأخذ بعموم النصّ بل صريحه في المحدث والمجنب كلاهما يتيممان إذا قفدا الماء!!

ولا أظنّ ابن مسعود بقي على رأيه، بل رجع إلى عموم القرآن كما قال ابن حجر^١. بل وهذا الذي تحاشاه وتحذّره ابن مسعود -إن صحّت الرواية- نرى النبي ﷺ لم يتحدّره، بل أجازاه.. ذكر البخاري أنّ عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمم وتلا: ﴿وَلَا تَتَكَلَّمُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^٢. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يُعْتَفَ^٣. ولعلّ عمر أيضاً رجع عن رأيه بعد أن وضعت له صراحة القرآن في الشمول.. ولا سيّما ولم نجد أحداً شايعه في ذلك لا من الصحابة والتابعين ولا من الفقهاء.. بل إجماع المسلمين على أنّ التيمم يقوم مقام الوضوء والغسل كما قال الجزيري^٤.



→ عبد الله: لا يتيمم، وإن لم يجد الماء، شهراً! فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة (٦): ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُرْهِنُ أَوْ كُنْتُمْ تَكْفُلُونَ لَأُحْسِنُوا كَلِمَاتِكُمْ وَاللَّغْوُ بِكُمْ مَكْرَهُمْ وَلَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَأَسْفَحْتُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُحْسِنُونَ﴾. فقال عبد الله: لو رخص لهم في هذه الآية، لأوشك إذا برّد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد! فقال أبو موسى لعبد الله: ألم تسمع قول عمار -عند ما بعث رسول الله ﷺ في حاجة فأجيب فترجّع في الصعيد، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فعلمه التيمم-! فقال عبد الله: أو لم تر عمر لم يقنع بقول عمار.. أي كما لم يقنع الخليفة بقوله، كذلك لم يقنعني قوله.. لكنّه رجع عن رأيه كما تبيننا (صحیح مسلم، ج ١، ص ١٩٢-١٩٣).
١. قال: جاء عنه أنه رجع عن الغنى بذلك (فتح الباري، ج ١، ص ٣٨٧).

٢. النساء: (٤): ٢٩.

٣. أي لم يلّمه ولم يثدّد عليه. والرواية ذكرها ابن حجر وفيها: أنه لما قضى على النبي ﷺ فضته واستناده إلى الآية، ضحك النبي ﷺ ولم يقل شيئاً (الفتح (١): ٣٨٥).

٤. اتفق على المنهاج الأدعية للجزيري، ج ١، ص ١٥٠. وذكر حديث عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً معتزلاً لم يصل مع الغوم، فقال: ما يمنعك يا فلان أن تصلي في الغوم؟ فقال: يا رسول الله ﷺ أصابني جنابة ولا ماء! فقال: عليك بالصعيد فإنه يكفيك. رواه مسلم والبخاري، ج ١، ص ٩٤ وأحمد، ج ٤، ص ٤٣٤.

و بعد فتلك محاوره رشيقة دارت بين كبار الصحابة في فهم آية تشتمل على حكم شرعي عام، وقد فهمه البعض خاصاً، لكنّه رجع بعد التفاهم والحوار..

قال الذهبي: مثل هذا الخلاف كان يقع مع الصحابة حسبما يفهمه كلّ منهم في النصّ التراتبي، وما يعيظ به من أدلّة خارجيّة. ومع هذا الاختلاف فقد كان كلّ واحد من المختلفين يطلب الحقّ وحده، فإنّ ظهر له أنّه في جانب من خالفه رجع إلى رأيه وأخذ به^١

وهكذا لما رفعت امرأة إلى عمر وكانت قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ عمر أن يرجمها لولا أن تداركها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إنّ لها عذراً في كتاب الله، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^٢. وقال: ﴿وَرَحْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^٣. فإذا كان الفصال - وهي مدّة الرضاع - عامين، فالباقي للحمل ستّة أشهر.. فافتتح عمر بذلك وخلّى سبيلها^٤. ثمّ قال: اللَّهُمَّ لَا تُبْقِنِي لِمَعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ^٥.

ومثل هذا الحادث وقع لعمر مع ابن عباس أيضاً.. قال ابن عباس: فاستراح عمر إلى قولي^٦.

هكذا يؤثّر التفاهم حيث كان نزيهاً.

٢. و بعد أن ظهرت المذاهب الفقهيّة

و على هذا المنوال جرت سيرتهم في مسائل الخلاف، و التي كانت تنتهي إلى الوفاق في نهاية المطاف..

١. الضمير والمضروبه ج ٢، ص ٤٣٣.

٢. البقرة (٢): ٢٣٣. وفي سورة لقمان (٣١): ١٤: ﴿وَرِضَالُهُ فِي مِائَتِينَ﴾.

٣. الأحقاف (٤٦): ١٥.

٤. سنن البيهقي ج ٧، ص ٤٤٢ (باب ما جاء في أقلّ الحمل)؛ المصنّف لعبد الرزاق ج ٧، ص ٢٧٩-٢٨١ (باب (٣٣٥) التي تضع لستّة أشهر).

٥. كما في لفظ سبط ابن الجوزي. وفي لفظ النيسابوري والحافظ الكنجي: فصنّفه عمر وقال: لولا عليّ لهلك

عمر. راجع: الفندي ج ٦، ص ١٣٣. الدر المنثور ج ٧، ص ٤٤٢ المصنّف ج ٧، ص ٢٨١.

أما وبعد ما ظهرت المذاهب الفقهيّة و جدّت مسائل كثيرة للمسلمين لم تكن معهودة من ذي قبل، فقد أخذ كلّ فقيه - باعتباره إمام مذهب - ينظر في هذه المسائل تحت ضوء القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع عندهم، وهم مختلفون في المباني، فكان يحكم فيها كلّ، حسب ما ينقدح في ذهنه، ويبدو له وفق مبناه، و يراه حقاً لا غبار عليه عنده، و من ثمّ كان الاختلاف حتمياً أحياناً حسب اختلاف المباني..

و كان في بادئ ذي بدء يسطو على الجميع روح التفاهم، حيث التآخي و نشدان الحقيقة هو رائدهم.. فكم من مسائل الخلاف توافقوا عليه بعد العوار و المناشدة العرة، ولم يكن عزيزاً على أحدهم أن يرجع إلى رأي مخالفه إن ظهر له الحق في جانبه.

هذا هو الإمام الشافعيّ كان يقول: إذا صحّ عندكم الحديث عن رسول الله فهو رأيي^١. و ذكر ابن النديم: أنّ رجلاً سأله عن مسألة فأجاب فيها، فقال له الرجل: خالفت عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال الشافعيّ: ثبت لي هذا عن عليّ بن أبي طالب، حتّى أضع خدي على التراب و أقول: قد أخطأت و أرجع عن قلبي إلى قوله^٢. و كان يقول لأحمد بن حنبل - وهو تلميذه في الفقه-: «أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منّا، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتّى أذهب إليه^٣.

و قال الربيع: سمعت الشافعيّ يقول: ما من أحد إلّا و تذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وآله و تعزب عنه. فمهما قلت من قول، و أصلت من أصل، فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله خلاف ما

١. قال أبو الغداء: و قد قال غير واحد عنه: إذا صحّ عندكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقولوا به و دعوا قلبي، فإني أقول به، و إن لم تسمعوا منّي.. و في رواية: فلا تقلّدوني. و في أخرى: فلا تلنثروا إلى قلبي.. و في رواية: فاضربوا بقلبي عرض الحائط، فلا قول لي مع رسول الله صلى الله عليه وآله (الهداية و الشاهد ج ١٠، ص ٢٥٣-٢٥٤) (في حوادث سنة ٢٠٤).

٢. و قال ابن حجر: قد اشتهر عنه: وإذا صحّ الحديث فهو مذهبي^٤. قال ابن القيم: هذا صريح في أنّ مذهبه ما دلّ عليه الحديث لا قول له غيره، و لا يجوز أن ينسب إليه ما خالف الحديث (الإمام الصادق و لطالب الأذعة لأسد حيدر، ج ٣، ص ١٥٠). و تاريخ التشريع الإسلاميّ للمخضريّ: ص ٣٥٤-٣٥٥. و الذميريّ، ج ٢، ص ٤٣٤.

٣. فقهوت لابن النديم، ص ٣٠٩.

٤. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، ج ١، ص ٢٨٢؛ آداب الشافعيّ لابن أبي حاتم، ص ٩٥.

قلت، فالقول ما قاله رسول الله، وهو قولي.. وجعل يردّد هذه الكلمات.. وقال - أيضاً -:
أجمع الناس على أنّ من استبانته له سنّة رسول الله ﷺ لم يكن ليدعها لقول أحد.. إلى
أمثالها وهي كثير^١.



وهذا الإمام مالك - شيخ الشافعي - كان يتحدّر الإفتاء ويكثر القول بلا أدري.. وكان
يرى أنّ في الناس من هو أعلم منه.. ومن ثمّ كان لا يجيب على المسائل في كثير من
الأحيان. قصده رجل من العراق بأربعين مسألة فأجاب عن خمس و ثلاثين بلا أدري.
قال ابن المهدي: كتنا عند مالك فجاءه رجل فسأله، فقال: لا أحسن! فقال الرجل: وأي
شيء أقول إذا رجعتُ إلى بلادي؟ قال: تقول لهم: قال مالك بن أنس: لا أحسن..^٢ هذا في
حين أنّ العبّاسيين كانوا يجهدون في ترفيع مالك ليجمع الناس على علمه^٣، أمّا هو فكان
يتحدّر هذا المقام.. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يباهي أو يماري؟!
• • •

أمّا الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنه صاحب السنار: وقد كان هذا الإمام الجليل
متأخراً قليلاً عن الأئمّة الثلاثة، وإن أدرك بعضهم وصحب أحدهم، وكان قد رأى بواد
الترام تقليد الذين تكلموا في الأحكام وكتبوا فيها، وعلم أنّ مالكا قد ندم قبل موته، إذ
نقلت أقواله وفتاويه قبل موته، ولذلك لم يدوّن مذهباً واقتصر على كتابه الحديث،
ولكن أصحابه جمعوا من أقواله وأجوبته وأعماله ما كان مجموع مذهباً، كما قال العلامة
ابن القيم^٤.

كان أحمد متهماً بالميل للعلويين، ومما يحكى عنه في ذلك: أنّ عبد الله قال لأبيه

١. راجع: الإمام الصادق والمذهب الأربعة ج ٣، ص ١٥٠.

٢. المصدر نفسه، ص ١١٤٩ المؤلفات للشاطبي، ج ٤، ص ٢٨٧-٢٨٨.

٣. راجع: الإمام الصادق والمذهب الأربعة، ج ١، ص ١٦٥.

٤. المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٥١ الوحدة الإسلامية للسيد رشيد رضا، ص ١١٧.

(أحمد بن حنبل) ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان.. قلت: فعلي؟ قال: يا بني، علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد^١.

وقال - أيضاً -: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخية، فذكروا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فزادوا وأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء قد أكثرتم القول في علي والخلافة، إن الخلافة لم تزين علياً، بل علي زينها.. قال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام يدل بفحواه ومفهومه على أن غيره ازدان بالخلافة، وتمت تقيصته بها.. وأن علياً لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتمم بالخلافة.. بل الخلافة كانت ذات نقص فتمت تقصها في ولايته إياها..^٢

ولنا سأله إسحاق بن إبراهيم - عن القرآن وأنه ليس بمخلوق -: عمن تحكي أنه ليس بمخلوق؟ فقال: جعفر بن محمد الصادق، قال: ليس بخالق ولا مخلوق، فسكت ابن إسحاق^٣.



وأما أبو حنيفة فكان صاحب رأي ونظر في المسائل الفقهية، وكان شديد العجب بآرائه، وربما كان يفلظ على من خالفه أو يأتي بما يخالفه في الرأي، وربما إلى حد الجفاء.. كان يرى من نفسه ومن سبقه من الرجال على حد سواء، إن لم يكن هو أفضل منهم..

نقل عنه - بشأن التفسير المأثور -: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين.. وما جاءنا عن الصحابة اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم. وما جاءنا عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال^٤.

١. منتخب أحمد لابن الجوزي، ص ١٦٣؛ طبقات المعنلة ج ٢، ص ١٢٠.

٢. شرح نفع الجلالة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٧.

٣. منتخب أحمد، ص ١٣٥٩؛ الإمام الصادق والمنتخب الأرمدة، ج ٤، ص ٥٠٣.

٤. تاريخ بغداد (الهاشم)، ج ١٣، ص ٤٠٢.

و يروى عنه أن رجلاً سأله عن مسألة في الصرف، فأفتاه. فقال له سفيان - وكان بحضرته -: إن أصحاب محمد ﷺ قد اختلفوا في هذه.. فغضب أبو حنيفة وقال للذي استفتاه: اذهب فاعمل بها، فما كان فيها من إثم فهو عليّ!

و يروى عنه الكثير من مخالقات لآراء الصحابة وكذلك ردّه للكثير من أحاديث مأثورة عن رسول الله كانت مستفيضة..

كان يرى من سهم الراجل والفارس من الغنائم سواء.. ف قيل له: فما تقول في قول رسول الله ﷺ: «للارجل سهم ولل فارس سهمان»؟! قال: لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن!

وكان رسول الله ﷺ أشعر هو وأصحابه الجِدَن.. فقال أبو حنيفة: الإشعار مثله!^٢ وكان يرى أن البيع إذا وجب فلا خيار.. ولم يأخذ بقول رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يفترقا».. وكان يقول: لو أدركني رسول الله وأدركته لأخذ بكثير من أقوالي.. قال: وهل الدين إلا الرأي الحسن!

وبذلك قيل عنه: أنه ردّ على رسول الله ﷺ أربع مائة حديث.. قال أبو السائب: سمعت وكيعاً يقول: وجدنا أبا حنيفة خالف مائتي حديث. وقال أحمد بن حنبل: حدّثنا مؤمّل قال: سمعت حمّاد بن سلّمة - وذكر أبا حنيفة - فقال: إنّه استقبل الآثار والسنن فردّها برأيه.^٣

و من ثمّ قال ابن خلدون: إنّ الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الإكثار من هذه الصناعة (صناعة علم الحديث) والإقلال: فأبو حنيفة يقال: بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها..^٤

١. المصدر نفسه، ص ٤٠٦.

٢. وله تمايز أجنفى كقوله - استهزاءً بالحديث الوارد إذا كان الماء قدر قلّتين لم ينجس -: من أصحابي من يبول قلّتين.. وكقوله - عند ما نقل إليه قول عمر في مسألة -: دعه، هذا قول شيطان! (المصدر نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٥).

٣. المصدر نفسه، ص ٤٠٧-٤٠٨.

٤. المصدر نفسه (المقدّمة)، ص ٤٤٤، أخرينات الفصل السادس - في علوم الحديث.

و هذا المنقول عن أبي حنيفة قد يكون مبالغاً فيه، غير أنه إن دلّ فإنما يدلّ على جرأته في تقديم النظر على الأثر و ترك النصّ و الأخذ بالقياس..

الأمر الذي أتبّه الإمام الصادق عليه في مواقف عدّة كان يختلف فيها إلى الإمام عليه السلام ويتساءل معه و أحياناً يتعاجج لديه.. فكان ينصاع لنصحه و يرعوى من غلوائه..^١

فقد كانت مدرسة الإمام الصادق جامعة إسلاميّة يؤمّها الناس من مختلف الطوائف و النحل، فهي مدار الحركة الفكرية، و المحور الذي تدور عليه آمال الموجهين و حملة الدعوة الإسلاميّة. و قد أثرت تعاليمه عليه السلام في كثير من أولئك الرجال فاعتدلوا في آرائهم..

و الإمام أبو حنيفة - المعروف بكثرة القياس - يكشف لنا عن أهميّة هذه المدرسة و عظيم أثرها، إذ يقول: «لولا السّتان لهلك النعمان»^٢. و السّتان هما اللّتان حضر بهما عند الإمام الصادق، و كان الإمام يشتدّ عليه في كثرة القياس و يناظره في ذلك. و بهذا يتّضح أنّ أبا حنيفة، في أخذه بأقوال الإمام الصادق، و اتّباع أوامره، يعدّ نفسه في نجاة من هلكة كانت تهدّده.. و ربّما كان ذلك في التقليل الأخذ بالقياس، و اللجوء إلى الأحاديث أكثر..

نعم، كان أبو حنيفة معجباً بموضع الإمام و يراه أفضّه و أهيب الناس كلّهم، و هو القائل: «ما رأيت أفضّه من جعفر من محمّد الصادق»^٣.

١. قد احتفظ لنا التاريخ بكثير من تلك المواقف، التي كان فيها لأبي حنيفة موقف تسليم، لأنّه أمام أمر واقع لا مجال للجدل و المناقشة، و هو يعرف الإمام الصادق و خطّته في مناظراته التي لا يريد بها إلاّ توجيه المسلمين توجيهاً صحيحاً. و كان بينه يختلط فيه أشنات الناس على اختلاف آرائهم و ميادئهم و نحلهم، و كان ميدان الممترك الفكريّ، و اسماً في جميع الأنحاء، فكان عليه السلام في ذلك العهد مرجعاً لكلّ مشكلة و مهمّة، يقصده طلاب الحقيقة من الأنحاء القاصية، و يختلف إليه أهل الجدّ و النظر، فيكون جوابه هو القول الفصل و الحكم العدل. و هكذا كان إذا ورد الكوفة - معهد العلوم الإسلاميّة آنذاك - اختلف إليه علمائها و أحاط به فهاجها بسألون عمّا بهتهم و يستقون من فيض علمه. و هو محلّ تقديرهم و إكبارهم.

و كان أبو حنيفة متّزناً يختلف إلى الإمام و يسأله عن كثير من المسائل مع أدب و احترام و لا يخاطبه إلاّ بقوله: جعلك فداك يا ابن رسول الله.. و قد روى أبو حنيفة عن الإمام الصادق عليه السلام و حدّث عنه و اتصل به في المدينة مدّة من الزمن.. و رواياته عنه أثبتتها رواية مسانيد و ورد منها في كتاب «الكافي لأبي يوسف.. (الإمام الصادق و المصنّف الأربعة ج ١، ص ٣١٤، ٣١٧).

٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٥.

٣. المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٣.

و هكذا الإمام مالك كان يختلف إليه و تُعجبه روعته و جلال عظمته، قال: «اختلفتُ إليه زماناً، فما كنتُ أراه إلا على ثلاث خصال، إما مصلِّ وإما صائم وإما يقرأ القرآن. و ما رأيته يحدثُ إلا على طهارة!..»

و قال: «و ما رأيتُ عين و لا سمعتُ أذن و لا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق، علماً و عبادةً و ورعاً!..»

٣. دور تحكّم التقليد و التعصّب المذهبي

تلك كانت مشية السلف و التي جرى عليها أئمة المذاهب و الفقهاء العظام من الميل إلى الوثاق و الوفاق ما رافقهم الدليل و اليقين و حيث كان رائدهم نشدان الحقّ لا غير.. الأمر الذي يدلّ على انتشار روح التقدير و الوداد بين أولئك الفقهاء، و هي سنّة أسلافهم من الصحابة و التابعين.

ثمّ خلف من بعد هؤلاء الأئمة خلّف سرت قبيهم روح التقليد الذي يقوم على التعصّب المذهبي، و لا يعرف التسامح، و لا يطلب الحقّ لذاته، و لا ينشده تحت ضوء البحث الحرّ، و النقد البرئ..

قال الأستاذ الذهبي: و لقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء المقلّدة إلى أن نظروا إلى أقوال أئمتهم كما ينظرون إلى نصّ الشارع، فوقفوا جهدهم العلميّ على نصرة مذهب إمامهم و ترويعه، و بذلوا كلّ ما في وسعهم لا يطال مذهب المخالف و تقيده، و كان من أثر ذلك أن نظر هذا البعض إلى آيات الأحكام. فأولّها حسبما يشهد لمذهبه إن أمكنه التأويل، و إلا فلا أقلّ من أن يؤوّلها تأويلاً يجعلها به لا تصلح أن تكون في جانب مخالفه. و أحياناً يلجأ إلى القول بالنسخ أو التخصيص، و ذلك إن سُدّت عليه كلّ مسالك التأويل.

هذا عبد الله الكرخي المتوفى سنة (٣٤٠ هـ) و هو أحد المتعصّبين لمذهب أبي حنيفة

١. المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٣؛ تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

٢. المجلسي السنتج ٥، و قد ذكر ابن تيميّة في كتاب التوسّل و التوسّل ص ٥٢، ط ٢، هذه العبارة في جملة طويلة كانت ضمنها..

يقول: «كلّ آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ»^١. كما لم يجيزوا لأحد من أتباع المذاهب الأربعة أن يجتهد حرّاً إلا في إطار المذهب وعلى أصول و مباني صاحب المذهب لا غير.. في حين أنّ الالتزام بمذهب قديم كان بدعة ابتدعتها السياسة منذ القرن الرابع، على غير أساس ديني ولا مبرّر له^٢. نعم، كان لهؤلاء المتخصّين أثر ظاهر في التفسير الفقهي، حيث ينظرون إلى الآيات من خلال مذهبهم و يفسّرونها حسب مبانيهم التي هم مهودها من قبل.. فيعدمون البحث الحرّ عن فهم القرآن.. فكانت مقبّبة ذلك أن عدّنا إنتاج التفسير الفقهي بعيداً عن التمسّك في التأويل.. الأمر الذي يبدو بوضوح عند ما نتعرّض للكتب المدوّنة في آيات الأحكام، وكانت على يد أصحاب المذاهب التقليدية.. و من ثمّ كانت متنوّعة حسب اختلاف المذاهب..

٤. أوار التعصّب في عهد متأخّر

نعم، كان أئمّة المذاهب و كبار الفقهاء قد أخضعهم الحقّ حيثما توجّهوا.. و عرفت منهم التحاشي عن الإفتاء مهما أفسح لهم المجال. إلا في مواقع ضرورة.. و قد رافقهم الورع و التقوى و الحذر من الفتوى مهما أمكن.. و لا سيّما الإمام أحمد بن حنبل، كان يتورّع عن الإفتاء و يحذّر عن التقليد و يجبّد الرجوع إلى نصوص الشريعة، و هي ناصعة، لائحة، بيضاء.. من غير حاجة إلى معين غير قيادة العلم التزيه^٣.

١. التفسير و المفسرون ج ٢، ص ٤٣٤.

٢. راجع: الإمام الصادق و المذهب الأربعة ج ٣، ص ١٤١ فما بعد.

٣. كان يقول: كثرة التقليد عمى في البصيرة. و كان ينهى عن الكتابة عنه و يقول: لا نكتبوا عنّي و لا نقلدوني و لا نقلدوا فلاناً و فلاناً، و عدلوا من حيث أخذوا. و قال: من قلّة فقه الرجل أن يبلّد دينه الرجال.. و من ثمّ قال صاحب السار: كان هذا الإمام متأخراً عن الأئمّة الثلاثة. و كان قد رأى بولدر التزام التقليد، و علم أنّ مالكاً ندم قبل موته.. و لذلك لم يندون أحمد مذهباً، و أنّ أصحابه هم جمعوا من أقواله و أجوبته ما صار مذهباً له.. (جلاء العينين للأكوسني، ص ١١٠٥ أهلام الموقعين لابن القيم الجوزية، ج ٢، ص ١٨٢، ١٨١ مختصر السؤل لأبي شامة، ص ٣١ الوحدة الإسلامية، ص ١١٧ الإمام الصادق و المذهب الأربعة ج ٣، ص ١٥٠-١٥١).

هذا، ومع ذلك نرى من أصحابه ومقلديه مبالغة ظاهرة، في تشييد مذهبه إلى حدّ التحميل القاسي^١.

وأحمد، لم ينل مذهبه شهرة كغيره من المذاهب، وكانت حُطَى انتشاره قصيرة جداً.. أما في بغداد فلم تكن له شهرة إلا بين طبقة عرفوا بالعُنف والشدة في سيرتهم، وتحاملهم على غيرهم من المذاهب^٢. وكان سبب عدم انتشار مذهبه - هو ابتعاده عن معالم الاجتهاد - حسبما ذكره ابن خلدون، قال: أما أحمد فمقلّده قليل لبعده عن الاجتهاد، وأصالته في معاضدة الرواية وللأخبار بعضها ببعض^٣.

وكانت الغلبة في بغداد للمذهب الشيعي^٤، وقد قامت الحنابلة بدور صراع عنيف مع الشيعة ولكن لم يستطيعوا التغلب عليه.. وفي سنة ٣٢٣ هـ. عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم و صاروا يكبسون دور القواد والعامّة للتفتيش، وقاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حملة شعواء ومن غير هوادة، فأرهبوا بغداد، وأقلقوا بال الحكومة، ومن فعلتهم الدينية أن استظهروا بالعميان الذين يأوون إلى المساجد، فإذا مرّ بهم شافعيّ المذهب أغروا به العميان. فيضربونه بعصيهم حتّى يكاد يموت.

فخرج توقيع الخليفة الراضي بالله، بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم شعنتهم ويوبّخهم على تحميل معتقداتهم في التشبيه وغيره. جاء فيه: «تارة إنكم تزعمون صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال ربّ العالمين، وهياتكم الرذيلة على هيأته، وتذكرون الكفّ والأصابع والرجلين والنعلين المُذْهِبِين والشعر القطط، والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا - تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً - ثمّ طعنكم على خيار الأمة ونسبتكم شيعة آل محمد ﷺ إلى الكفر والضلال، ثمّ استدعواكم المسلمين إلى

١. الأمر الذي نقاسيه حتى اليوم في أتباع السلفيّة الجافية، وفي غلظة نابهاها روح الشريعة السهلة السمجة..

٢. وقد عرفت ما أفجعوا بابن جرير الطبري، ذلك العالم الكبير صاحب الضمير، وأجموه ضرباً وشتماً وتشريداً، حسبما ذكرناه في ترجمته..

٣. مقننة ابن خلدون، ص ٤٤٨.

٤. راجع: أحسن التظميم لشمس الدين الشاري (الإمام الصادق وفتاواه الأديمة، ج ٤، ص ٥٠٩).

الدين بالبدع الظاهرة، و المذاهب الفاجرة، التي لا يشهد بها القرآن. وإنكاركم زيارة قبور الأئمة، و تشنيعكم على زوارها بالابتداع، و أنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام، ليس بذى شرف و لا نسب و لا سبب برسول الله، و تأمرون بزيارة قبره و الخشوع لدى تربته و التضرع عند حفرته، و تدعون له معجزات الأنبياء و كرامات الأولياء. فلعن الله شيطاناً حملكم على هذه المنكرات ما أرداه، و زينها لكم ما أغراه..^١ و أمير المؤمنين (أي الراضي) يُقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به، لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم، و معوج طريقكم، ليوسعنكم ضرباً و تشريداً، و قتلاً و تبديداً، و ليستعملنّ السيف في رقابكم، و النار في منازلكم و محالكم...^٢ تلك كانت محنة الخلف عند افتقارهم وداعة السلف و استسلامهم لقيادة النفس الأتامة بالسوء..

٥. تنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية

و على ضوء هذا التعصب المذهبي القائم يومذاك نرى التأليف في التفسير الفقهي المتأخرة عن ذلك العهد، متأثرة شديداً بالتأثر باللون المذهبي، بما قد يتناسى و موضوعية البحث في ضوء نشدان الحقيقة الذاتية.. اللهم إلا القليل.

قال الأستاذ الذهبي: و إذا نحن تتبعنا التفسير الفقهي، منذ بدايته، وجدناه يسير بعيداً عن الأهواء و الأغراض.. إلى أوان ظهور المذاهب المختلفة، ثم بعد ذلك نجده يسير تبعاً للمذاهب و يتنوع بتنوعها، فلأهل السنة تفسير فقهي بدأً نظيفاً من التعصب، ثم لم يلبث أن تلوث به. و للظاهرية تفسير فقهي يقوم على الوقوف عند ظواهر القرآن، دون أن يحدد

١. لعنه الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٩١-٥٦١ هـ). شيخ الحنابلة، صاحب المفاتيح و الكرامات. كان إمام زمانه و قلب عصره و شيخ الشيوخ بلامداف. و نقلت له كرامات و طار صيته في الآفاق.. و قبره ببغداد مزار معروف (فرهني بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٧، رقم ٧١٥٨).

٢. الكامل لابن الأثير، ج ٨، ص ٣٠٩-٣٠٧، دار صادر، بيروت، و ج ٦، ص ٢٤٨، دار الكتاب العربي، بيروت. و جاء الترتيب كلاً في لجواب الأئم لابن مسكويه، ج ٥، ص ٤١٤-٤١٥، تحقيق الدكتور أبو القاسم الإمامي، دار سرور، طهران، ١٩٩٨ م. و صححنا الترتيب على هذا الأخير..

عنها. وللخوارج تفسير فقهيّ يخصّهم^١. وللشيعة تفسير فقهيّ يخالفون به من عداهم^٢... وكلّ فريق من هؤلاء يجتهد في تأويل النصوص القرآنيّة، حتّى تشهد له، أو لا تعارضه على الأقلّ... ممّا أدّى ببعضهم إلى التصدّف في التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنيّة عن معانيها ومدلولاتها^٣.

٦. الإنتاج التفسيريّ للفقهاء

لم نكد نعتز على إنتاج تفسيريّ للفقهاء قبل عصر التدوين إلّا على مقتطفات ومختصرات متفرقة مأثورة عن فقهاء الصحابة والتابعين، يروها عنهم أصحاب الكتب المختلفة. أمّا وبعد عصر التدوين فنجد الكثير من الفقهاء ألفوا تفاسير فقهيّة ولكن على ضوء مذاهبهم في طريقة الاستنباط..

ذكر الإمام الزركشيّ للشافعيّة ما جمعه البيهقيّ من كلام الإمام الشافعيّ، وبعده الكيا الهراسيّ. ومن الحنفيّة: أبو بكر الرازيّ الجصاص. ومن المالكيّة: القاضي إسماعيل والقشيريّ وابن العربيّ. ومن الحنابلة: أبو يعلى الكبيّر^٤.

ومن الزيديّة الحسين بن أحمد النجديّ من أهل القرن الثامن الهجريّ، له شرح الخمس مائة آية. وشمس الدين بن يوسف (القرن التاسع): الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطمة. ومحمّد بن الحسين بن القاسم (القرن الحادي عشر): منتهى المرام، شرح آيات الأحكام^٥.

١. لم يُعهد للخوارج تفسير خاصّ بآيات الأحكام..

٢. و سوافيك الكلام عن التفسير الفقهيّ الشيعيّ وكانت مخالفته لسائر المذاهب هي في التنسيق، إذ قد رُتب على نسق أبواب الفقه.. وقد تجرّد عن كلّ تعصّب أو تصدّف في التأويل، وهذه كنههم منقّة وفي متناول الجميع، يجرون على مبانيهم في الأصول، و يناقشون الآراء في ضوء البحث الحرّ و بقوة البرهان، و من غير حاجة إلى ارتكاب تصدّف أو تمريض..

٣. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٣٥.

٤. هو القاضي محمّد بن الحسين بن محمّد الفراء أبو يعلى الحنبليّ. إليه انتهت رئاسة الحنابلة في زمانه و توفي سنة ٤٥٨ هـ. (النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٧٨). البرهان للزركشيّ، ج ٢، ص ٣.

٥. التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٣٧.

وهكذا ذكر السيد المرعشي للزبيدي ما ألفه السيد يحيى المؤيد بالله ابن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩هـ. والسيد أحمد المهدي المتوفى سنة ٨٤٠هـ. ومحمد بن يحيى الصعدي المتوفى ٩٥٧هـ. وغيرهم^١.

وللحاجي خليفة قائمة بأسماء من كتب في ذلك، ذكر نحواً من أربعة عشر مؤلفاً^٢. وهكذا ذكر الشيخ آغا بزرگ الطهراني نحواً من ثلاثين كتاباً ورسالة في آيات الأحكام، عثر عليها ضمن تأليف أصحابنا الإمامية، منذ البدء فحتى العصر الحاضر^٣. و ذكر السيد المرعشي فهرساً عن مؤلفي التفاسير الفقهية من مختلف المذاهب ما تجاوز الخمسين رسالة^٤. فضلاً عما كتب متأخراً وفي عصر حاضر ولا يزال..

٧. تعداد آيات الأحكام

اصطلحوا على إطلاق هذه السمة، على كل آية اشتملت على حكم شرعي فرعي عملي، من تكليف أو وضع، بمعنى الممهور في الكتب الفقهية، عبادة كانت أو معاملة. قالوا: إنها تقرب من خمس مائة آية - بما فيها من تكرار - وأول من عبّر بهذا العدد هو مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ). كان له تفسير - غير تفسيره الكبير - اشتهر باسم: تفسير خمس مائة آية، يتناول فيه الأوامر والنواهي الواردة في القرآن الكريم. وكان يُعدّ تفسيراً فقهياً آنذاك^٥. ولم يكن أول تفسير كتب ذلك العهد، فقد سبقه إلى ذلك محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ). غير أن ذكر هذا العدد وقع عن لسان مقاتل وراج عند المفسرين.. هذا ابن المتوج^٦ أيضاً أسمى كتابه في التفسير الفقهي: «النهاية في تفسير الخمس مائة

١. مسالك الأئمة (المقدمة) للفاضل الكاظمي، ج ١، ص ٧-٨.

٢. كشف الظنون للحاجي خليفة، ج ١، ص ٢٠.

٣. للزبيدي، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥.

٤. مسالك الأئمة (المقدمة)، ج ١، ص ١٣٥.

٥. مخطوط. طبقات المفسرين للداودي، ج ٢، ص ٣٣١؛ تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين، ج ١، ص ١٨٥ مجم المفسرين

لعادل نويهض، ج ٢، ص ٦٨٣.

٦. هو فخر الدين أحمد بن عبد الله بن المتوج البحراني توفي بعد سنة ٧٧١هـ.

آية. وكان لسميه^١ أيضاً كتاب بهذا الاسم: «منهاج الهداية في تفسير آيات الأحكام الخمس مائة»^٢.

وهكذا جرى عليه المفسرون لآيات الأحكام.

قال الفاضل المقداد^٣: «اشتهر بين القوم أن الآيات المبحوث عنها - في المجالات الفقهيّة - نحو من خمس مائة آية. وذلك إنمّا هو بالمتكرّر والمتداخل، وإلا فهي لا تبلغ ذلك..»

وعلّل هذا التقليل من آيات الأحكام، بأنّ القرآن في جلّ آياته يهدف إلى الأصول أكثر من الفروع، وقد تكفّلها بيان الرسول.. حيث كانت السنّة الشريفة تكملة للكتاب العزيز^٤.

وقد عدّنا الآيات التي تعرّض لها في الكتاب فوجدناها تقرب من ثمان مائة آية.. وهكذا في سائر الكتب التفسيرية لآيات الأحكام.. ولعلّ الزيادة جاءت من قبل الاستشهاد بالنظائر وما شاكل..



هذا لو فسرنا آية الحكم بما اشتمل على حكم شرعيّ فرعويّ عمليّ، حسب مصطلح الفقهاء.. أمّا إذا ما لاحظنا الأهداف التي تستهدفها رسالة القرآن الكريم، والتي تتلخّص في إسعاد الإنسان في حياته، إن ماديّة أو معنويّة، إن في دنيا عاجلة أو آخرة آجلة.. فهذا المعنى يشمل جلّ آيات القرآن الكريم، بل كلّها وهي تحمل رسالتها إلى الإنسان: كيف يعيش سعيداً.. الأمر الذي يعمّ مسائل الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، في جميع أبعادها المترامية.. فيشمل كلّ تصرّفات في الحياة: إن عبادة أو أخلاق

١. هو جمال الدين ابن المتزج البحرانيّ توفي بعد سنة ٨٣٦ هـ.

٢. راجع: سلاك الأنعام (المقدمة) للكاطمي، بقلم السيّد شهاب الدين المرعشي، ج ١، ص ١٠٩.

٣. هو: جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوريّ المتوفى سنة ٨٢٦ هـ. له تأليف لطيف في آيات الأحكام، أسماء: كتّز عرفان في فقه القرآن و سندكوه.

٤. كتّز عرفان ج ١، ص ٥.

أو معاملة، في معناها العام..

إذن فأي آية في القرآن لا تهدف إلى جانب من هذه الأهداف السامية والتي شملت حياة الإنسان عبر الوجود؟!

الأمر الذي تنبّه له المتأخرون من أصحاب التفسير العصري، فعنوا بجانب التشريع السياسي - الاجتماعي في القرآن أكثر من إمامهم بجانب العبادات الفردية وأنواع المعاملات الخاصة - المبحوث عنها داخل إطار الفقه التقليدي القديم - فخرجوا بالقرآن إلى آفاق أوسع وأبعاد قد لا تنتهي إلى حدّ..

نعم، هذا هو شأن القرآن، ذلك الكتاب الخالد بتشريعاته عبر الوجود..

وعليه فجميع آيات الذكر الحكيم آيات الأحكام؛ وفي كل آية منه دستور عام؛ تلك هي رسالة القرآن الشاملة الباقية مع الأبد..

٨. آيات الأحكام على أقسام

قال الزركشي: قيل: إن آيات الأحكام خمس مائة آية، وهذا ذكره الغزالي وغيره، وتبعهم الرازي (أبو بكر الجصاص)؛ ولعل مرادهم: المصريح به؛ فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستتبط منها كثير من الأحكام.. قال: ومن أراد الوقوف على ذلك فليطالع كتاب الإمام في أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام^١.

قال: ثم هو قسمان: أحدهما ما صُرح به في الأحكام، وهو كثير. وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك.

والثاني ما يؤخذ بطريق الاستنباط. ثم هو على نوعين:

أحدهما ما يستتبط من غير ضمنية إلى آية أخرى - بل بدلالة الفحوى - كاستنباط الشافعي تحريم الاستمراء باليد من قوله تعالى: ﴿فَسِنِ اسْتَفْتَىٰ وَرَأَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.. بعد قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾..^٢

١. وسنذكر شيئاً عنه.

٢. المؤمنون (٢٣): ٦ و ٧.

واستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى: «امرأة فرعون»^١. و «امرأته حمالة الحطاب»^٢. أي بدلالة التقرير..

واستنباطه عتق الأصل والفرع بمجرد الملك، من قوله تعالى: «وَمَا يَنْبَغِي لِلرُّحَمَانِ أَنْ يَتَّخِذُوا وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَانِ عَبْدًا»^٣. فجعل العبودية منافية للولادة، حيث ذكرت في مقابلتها؛ فدلّ على أنهما لا يجتمعان.

واستنباطه حجّية الإجماع من قوله: «وَيُتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ»^٤.

واستنباطه صحة صوم الجنب من قوله تعالى: «فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ لَا يُؤْمِنُونَ»^٥. فدلّ على جواز الوقاع في جميع الليل، ويلزم منه تأخير الفسل إلى النهار، وإلا لوجب أن يحرم الوطئ إلى آخر جزء من الليل بمقدار ما يقع..



ومن ذلك ما استنبطناه من قوله تعالى: «أَوْ مَنْ بَشَأُ فِي الْحَيْضَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ»^٦. أنّ المرأة لا تصلح لتصدّي أمر الولاية ولا سيما القضاء.. حيث كانت الشؤون الإدارية الشائكة بحاجة إلى صلابة وشدة وعزيمة فائقة، الأمر الذي تعوزه المرأة وهي عائشة في نعومة وأحاسيسها رقيقة، فتغلبها العاطفة أكثر من صمود العقل الرشيد.. إنّها تعيش عيشتها في الابتهاج بالزينة وزبرجتها خاترة القوى، لا شأن لها ومعارك الحياة القاسية، وهي لا تملك الدفاع عن نفسها لدى الخصام، فكيف بها وفصل الخصومات في غوغاء المعارك..

والتاني ما يستنبط مع ضميمة آية أخرى، كاستنباط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ أَقْلَ الْعَمَلِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَرَحْمَلُهُ وَفِصَالُهُ فَلَا تَوَنُّونَ»

١. التحريم (٦٦): ١١.

٢. النساء (٤): ١١٥.

٣. الزخرف (٤٣): ١٨.

٤. مريم (١٩): ٩٣، ٩٢.

٥. البقرة (٢): ١٨٧.

فهرأ»^١ مع قوله: «وَرِصَالُهُ فِي عَاتِقَيْنِ»^٢. وعليه جرى الشافعي...^٣

من ذلك ما أثار عن الإمام محمد بن عليّ الجواد عليه السلام بشأن سارق رفع إلى الخليفة (المتصم) فجمع الخليفة لذلك الفقهاء وقد أحضر الإمام أيضاً. فسألهم عن موضع القطع.. فقال ابن أبي داود: من الكرسوع (طرف الزند) واستدلّ بآية التيمم.. وقال آخرون: من المرفق، نظراً إلى آية الوضوء.

فالتفت الخليفة إلى الإمام مستهماً رأيه.. فاستعفاه الإمام، لكنّه أصرّ عليه وأقسم عليه بالله أن يُخبره برأيه.. فقال الإمام: أما إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: يجب القطع من أصول الأصابع (الأشاجع) فيترك الكفّ (الراحة). فسأله الخليفة عن الحجّة في ذلك؟ فقال الإمام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «السجود على سبعة أعضاء... فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، فعلى مَ يسجد؟ وقد قال تعالى: «وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ»؛ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي تسجد عليها. «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»^٤. وما كان لله فلا يقطع..^٥ وروى العياشي - أيضاً: أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا قطع السارق، ترك له الإبهام والراحة.^٦



قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام في كتاب الإمام في أدلّة الأحكام:

معظم أي القرآن لا يخلو من أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة. ثم من الآيات ما صرّح فيه بالأحكام أو يؤخذ بطريق الاستنباط، إمّا بضمّ آية أخرى أو بلا ضمّ، كما تقدّم في كلام الزركشي:

قال: ويستدلّ على الأحكام تارة بالصيغة، وهو ظاهر. وتارة بالإخبار مثل «أجل»

١. الأحقاف (٤٦): ١٥. ٢. لسان (٣١): ١٤.

٣. البرهان للزركشي، ج ٢، ص ٥٣. ٤. الجزء (٧٢): ١٨.

٥. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩-٣٢٠ وسنن الشيمذ ج ٢٨، ص ٢٥٣، باب ٤، حدّ القطع، رقم ٥.

٦. المصدر نفسه، ص ٦. وهكذا ذكر ابن حزم: أن عليّاً عليه السلام كان يقطع الأصابع.. وكان عمر يقطع من المفصل. أمّا الخوارج فيرون القطع من المرفق أو المنكب (المحفّل لابن حزم، ج ١١، ص ٣٥٧، رقم ٢٢٨٤).

لكم^١ و «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ»^٢، «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^٣. و تارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شرّ، أو نفع أو ضرر.. و قد نوع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة، ترغيباً لعباده و ترهيباً و تقريباً إلى أفهامهم. فكلّ فعل عظّمه الشرع أو مدحه أو مدح ناعله لأجله، أو أحبّه أو أحبّ فاعله، أو رضي به أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله.. أو نصبه سبباً لذكره لعبده أو لمحبيته، أو لثواب عاجل أو آجل، أو لشكره له، أو لهديته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه و تكفير سيئاته، أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته، أو وصفه بالطيب أو كونه معروفاً و نحو ذلك من التعابير الكثيرة الواردة في القرآن، تتمّ عن مشروعية عمل أو رجحانه أو العكس.. فكلّ ذلك يستنبط منه حكم شرعيّ لازم أو راجح فعله أو تركه..^٤

و هذا الذي ذكره هو الصحيح، نظراً لما تبهنا عليه من أن كلّ آية في القرآن الكريم، هي تحمل رسالة إلى الناس جميعاً عبر الأبدية، و ما هي إلاّ ذلك الدستور العامّ المستفاد إمّا صريحاً من اللفظ أو تلويحاً و بدلالة فحوى الكلام و مفهومه العامّ المستخرج من بطن الآية بدلالة الالتزام.

و هذه قصص القرآن و أمثاله، لم تذكر تسليّة للقارئ أو المستمع، و أنّما هي تذكّرات و عبر و عظات تستهدفها الآيات في فحوى عامّ.. إذن فكلّ آي القرآن آيات أحكام..

أهمّ كتب آيات الأحكام

و لعلّ أوّل من كتب في آيات الأحكام هو الإمام المفسّر أبو النضر محمّد بن السائب الكلبيّ (ت ١٤٦ هـ)، كتبه رواية عن ابن عباس. ذكره ابن التديم ضمن من كتب في آيات الأحكام من الأوائل^٥.

و بعده بقليل المفسّر الجليل مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ). كتب رسالة باسم تفسير

٢. المائدة (٥): ٣.

١. البقرة (٢): ص ١٨٧.

٤. ذكرناه بتلخيص عن الإفلاق، ج ٤، ص ٣٧-٣٥.

٣. البقرة (٢): ١٨٣.

٥. الفهرست لابن التديم، ص ٦٣.

خمس مائة آية، تناول فيها لما ورد من الأوامر والنواهي في القرآن الكريم وبحث عنها فقهيًا^١.

ثم سار على منهجها من جاء بعدها من فقهاء ومفسرين من مختلف المذاهب، على ما أسلفنا.. غير أن منهج أصحابنا الإمامية يختلف عن غيرهم، بذكر الآيات حسب أبواب الكتب الفقهية، فيحئون عن الآيات المرتبطة بالعبادات وجمعونها في أبوابها الخاصة، وهكذا الآيات المرتبطة بالمعاملات كلاً في بابها الخاص به. وذلك تسهيلاً للمراجع واستقصاء لكل باب ما يخصه من آيات.. أما غيرهم فيأتون بالآيات حسب ترتيبها في المصحف ضمن السور، كلاً في موضعه الخاص من السورة.

وإليك الأهم من التفاسير الفقهية لمختلف المذاهب، نذكرها حسب تسلسل التاريخ:

١. أحكام القرآن للجصاص الحنفي

هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص، توفي سنة (٣٧٠ هـ). كان إمام الحنفية في وقته وإليه انتهت رئاسة الأصحاب. صاحب التأليف الكثيرة، منها: أحكام القرآن، كتبه على مباني مذهب أبي حنيفة، ويُعد من أهم الكتب المدونة في الموضوع، ولعله أبسط الكتب في ذلك، وقد تعرض فيه لجوانب كثيرة من معاني آيات الأحكام بصورة مسهية، ومستوعبة لكل جوانب الكلام^٢، بعيداً عن التعصب المذهبي في غالب ما يكتبه، وإن كان الأستاذ الذهبي قد رماه بالتعصب لمذهب أبي حنيفة، وتعامله على سائر الأئمة. لكننا لم نر تحاملاً منه ولا تعصباً أعمى وإنما هو بيان الحق، حسبما يراه. مثلاً عندما تعرض لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^٣ نجده يحاول أن يجعل الآية دالة على أن من دخل في صوم التطوع لزم إتمامه^٤.

١. مخطوط. طبقات الحنفيين، ج ٢، ص ٣٣١.

٢. خذ لذلك مثلاً ما ذكره ذيل آية النجم من سورة المائدة، حيث استخرج منها أحداً وسبعين فرعاً في المسألة، مما يدل على عمق نظر وفرة استنباط، فلما يوجد في نظائره (أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٣٩٢-٣٩٦).

٣. البقرة (٢): ١٨٧. ٤. أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٢٧٤-٢٨٥.

وقد عدّ الذهبي ذلك منه تعسفاً وتعصباً لرأي أبي حنيفة في ذلك^١.

لكن لا تعسف ولا تعصب، بعد ظهور الآية في ذلك، نظراً لإطلاق لفظها، وهو مذهب المالكية أيضاً. وعند الشافعي وأحمد الإتمام مسنون^٢.

والاختلاف في قضاء صوم التطوع إذا لم يكن عن عذر، ناشئ عن اختلاف الأحاديث في ذلك^٣. والجصاص رجح القضاء استناداً إلى ظاهر إطلاق الآية، فلم يكن هناك تعسف؛ لأنه استند إلى ظاهر الدليل، كما لم يكن تعصباً لمذهب أبي حنيفة بعد ذهاب مالك إليه أيضاً.

وأما عند الشيعة الإمامية فهو بالخيار في صوم التطوع ما بينه وبين الزوال، ويكره بعد الزوال^٤.



وعندما تعرض لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَتَلَفْنَ أَوْ أَجَلَهُنَّ فَلَا تُصَلُّوهُنَّ أَنْ يَكُونَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ﴾^٥ قال الذهبي: نجده يحاول أن يستدل بالآية، من عدة وجوه، على أن للمرأة أن تعقد نفسها بغير الولي وبغير إذنه^٦.

وهذا أيضاً استظهار لطيف من الآية الكريمة، ولعل الآخرين أغفلوها، على أن مسألة الولاية إنما تكون على الأبكار غير المتزوجات؛ وذلك على القول به، والمشهور عدم الولاية إطلاقاً. نعم هو مندوب إليه.

وعندما تعرض لقوله تعالى: ﴿وَ أَوْ أَوْا الِيتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَ لَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَاتِ بِالطَّيِّبِ﴾^٧ وقوله: ﴿وَ ابْتَلُوا الِيتَامَى عَقْبًا إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنِ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^٨ قال الذهبي: نجده يحاول أن يأخذ من مجموع الآيتين دليلاً لمذهب

١. التفسير والمفسرون ج ٢، ص ٤٤٠.

٢. الفقه على المذهب الأربعة ج ١، ص ٥٥٨.

٣. راجع: بداية السجدة لابن رشد الأندلسي، ج ١، ص ٣٢٢.

٤. راجع: الخلاف للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٠٠، ٨٣م.

٥. البقرة (٢): ٢٣٢.

٦. أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٤٠٠.

٧. النساء (٤): ٦.

٨. النساء (٤): ٦.

أبي حنيفة، القائل بوجوب دفع المال لليتيم إذا بلغ خمساً وعشرين سنة، وإن لم يؤنس منه الرشد^١.

نعم، هنا تعسّف في الرأي؛ لأنّه أخذ بإطلاق الآية الأولى وحملها على ما بعد هذا السنّ؛ وذلك لاتّفاق الفقهاء على الاشتراط بإيناس الرشد قبل ذلك، فما لم يبلغ خمساً وعشرين، لا يُدفع إليه ما لم يؤنس منه الرشد، وأما إذا بلغها فيُدفع إليه مطلقاً؛ وذلك عملاً بالآيتين. وهذا تعسّف في الاستدلال؛ لأنّه حمل للظاهر على بعض صورته من غير دليل، على أنّ الإطلاق في الآية الأولى يجب تقييده بالآية الثانية، وحمل المطلق على المقيد ليس إبطالاً للمطلق، كما زعمه الجصاص.



و متّ أخذ عليه الذهبيّ حملته على مخالفته؛ بحيث لا يعفّ لسانه عنهم. قال: ثمّ إنّ الجصاص مع تعصّبه لمذهبه و تعسّفه في التأويل، ليس عفّ اللسان مع الإمام الشافعيّ، ولا مع غيره من الأئمّة.

و كثيراً ما نراه يرمي الشافعيّ وغيره من مخالفي الحنفيّة بعبارات شديدة، لا تليق من مثل الجصاص، فمثلاً عندما تعرّض لآية المحرّمات من النساء نجده يعرض الخلاف الذي بين الحنفيّة و الشافعيّة، في حكم من زنى بامرأة، هل يجوز التزويج بينها أو لا؟

و تمسك الشافعيّ بأنّ الحرام لا يحرمّ الحلال، ثمّ ذكر مناظرة له مع سائل سأله: كيف تُحرّم بنت المنكوحه و لا تحرّم بنت المزنيّ بها؟ فأجابه الشافعيّ بأنّ ذلك حلال و هذا حرام، و لم يزد في الفرق بينهما على ذلك. و هنا يقول الجصاص: فقد بان أنّ ما قاله الشافعيّ و ما سلّمه له السائل كلام فارغ لا معنى تحته في حكم ما سئل عنه. ثمّ يقول: ما ظننت أنّ أحداً متّ يتتدب لمناظرة خصم، يبلغ به الإفلاس من العجاج، إلى أن يلجأ إلى مثل هذا، مع سخافة عقل السائل و غباوته^٢.

وفي هذا الكلام إهانة بموضع الشافعي، وفرضه فيمن لا يُعتدّ بشأنهم.

قلت: لا شك أن استدلال الشافعي هنا ضعيف؛ إذ كثير من المحرمات حرّم من المحلّات، كما في مسألة اللواط يُحرّم أخته وأمه وبنته على اللاطي، وكالعقد على المعتدّة والدخول بها، والزنى بذات البعل.

وحدِيث «العَرام لا يُحرّم الحلال» وارد فيمن أحلّ له فُرج ثمّ زنى بأمتها أو بنتها فهو ناظر إلى السابق، أي الحلال الفعلِي لا الحلال الشائِي. ومن الغريب أن الشافعي هنا أخذ بالقياس مع الفارق.



وهكذا أخذ عليه الذهبي ميله إلى مذهب الاعتزال، وكذا تحامله على معاوية. أمّا ميله إلى الاعتزال فلأنه نفى إمكان رؤيته تعالى، وحمله أخبار الرؤية على العلم لو صحّت^١.

قلت: وهذا من كمال فضله؛ حيث حكّم العقل على النقل، وهو دأب المحصّلين. وأمّا تحامله على معاوية فمن ثبات عقيدته وصلابته في دينه. إن معاوية بقى على إمام زمانه وخرج عليه بالسيف، فعلى كلّ مسلم منابذته والتعامل عليه بالسيف، فضلاً عن اللسان والسكوت في ذلك مراوغة خبيثة.

يقول الذهبي: إننا نلاحظ على الجصاص أنه تبدو منه البغضاء لمعاوية، ويتأثر بذلك في تفسيره، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: «أَذِينَ لِلَّذِينَ يُمَاتُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ - إِلَى قَوْلِهِ - الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَهُوَ عَاجِبَةُ الْأُمُورِ»^٢ يقول: وهذه صفة الخلفاء الراشدين الذين مكّتهم الله في الأرض... وفيه الدلالة الواضحة على صحة إمامتهم؛ لإخبار الله تعالى بأنهم إذا مكّنوا في الأرض أقاموا بفروض الله عليهم، وقد

١. راجع: المروة الوقي، المسألة (٢٨) من أحكام المصاهرة.

٢. الحج (٢٢): ٤١-٣٩.

٣. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٥-٤.

مُكَّنُوا فِي الْأَرْضِ، فوجب أن يكونوا أئمة قائمين بأوامر الله، منتهين عن زواجه ونواهيهِ. ولا يدخل معاوية في هؤلاء؛ لأنَّ الله إنَّما وصف بذلك المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم، وليس معاوية من المهاجرين، بل هو من الطلقاء^١.

وعند قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^٢ يقول: وفيه الدلالة على إمامة الخلفاء الأربعة أيضاً؛ لأنَّ الله استخلفهم في الأرض ومكَّن لهم كما جاء الوعد، ولا يدخل فيهم معاوية؛ لأنَّه لم يكن مؤمناً في ذلك الوقت^٣.

وعند قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْبَغِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^٤ نجده يجعل علياً عليه السلام هو المحق في قتاله، ومع كبراء الصحابة وأهل بدر من قد علَّم مكانهم، وكان معاوية من الفئة الباغية، لحديث عمار، ولم ينكره معاوية، بل حاول تأويله^٥. قال الذهبي: فجعل علياً هو المحق وأما معاوية ومن معه فهم الفئة الباغية، وكذلك كل من خرج على علي عليه السلام.

قال: وما كان أولى بصاحبنا أن يترك هذا التحامل على معاوية الصحابيِّ! ويفوض أمره إلى الله، ولا يلوي مثل هذه الآيات إلى ميوله وهواه^٦.

قلت: ولعلَّ نحوسة الدفاع عن معاوية قد أخذت صاحبنا الذهبيَّ فانجرفت به إلى مهاوي الضلال، وأخيراً إلى شرِّ قتلة، حشره الله مع مواليه^٧.

٢. أحكام القرآن (المنسوب إلى الإمام الشافعي)

جمعه الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيّ النيسابوريّ الشافعيّ،

١. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٢٤٦. ٢. النور (٢٤): ٥٥.

٣. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٣٢٩. ٤. الحجرات (٤٩): ٩.

٥. أحكام القرآن للجصاص، ج ٣، ص ٤١٠. ٦. التفسير والفتاوى، ج ٢، ص ٤٤٣.

٧. إنَّه في أخريات حياته صانع حكومة مصر في مسالمتها مع أعداء الإسلام، ومن ثمَّ اغتاله أيدي مسلمة مصر دفاعاً عن حريم الإسلام. وذلك في شعبان عام ١٣٩٧ هـ الموافق ١٩٧٧ م و ١٣٥٦ ش.

صاحب السنن الكبرى، المتوفى سنة (٤٥٨ هـ).

والكتاب يشتمل على ما جاء في كلام الإمام محمد بن إدريس الشافعي، من استناد واستشهاد بآيات قرآنية، في عامة أبواب الفقه، فعمد البيهقي إلى جمعه و ترتيبه وإيدائه في صورة تأليف مستقل. قال البيهقي: فرأيتُ من دلت الدلالة على صحّة قوله -أبا عبدالله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلبيّ ابن عمّ محمد رسول الله ﷺ- قد أتى على بيان ما يجب علينا معرفته من أحكام القرآن، وكان ذلك مفرقاً في كتبه المصنفة في الأصول والأحكام، فميّزته وجمعتها في هذه الأجزاء على ترتيب المختصر؛ ليكون طلب ذلك منه على من أراد أيسر، واقتصرت في حكاية كلامه على ما يتبين منه المراد دون الإطناب، وتقلت من كلامه في أصول الفقه، واستشهاده بالآيات التي احتاج إليه من الكتاب، على غاية الاختصار، ما يليق بهذا الكتاب.

ومما استند إليه الشافعي في مسائل العقيدة، قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ مَنجُورُونَ﴾^١ قال: فلما حجبهم في السخط، كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا. وهكذا استدل على أن المشيئة لله بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاوَرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٢ قال: فأعلم خلقه أن المشيئة له^٣.

وفي مسائل أصول الفقه، استند في حجية خبر الواحد بآيات بعث الرسل، إلى كل أمة برسول واحد، ثم جعل يسرد الآيات في ذلك: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ...﴾^٤ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾^٥ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾^٦ وغير ذلك من آيات. قال: فأقام -جل ثناؤه- حجته على خلقه في أنبيائه بالأعلام التي باينوا بها خلقه سواهم، وكانت الحجّة على من شاهد أمور الأنبياء دلائلهم التي باينوا بها غيرهم، وعلى من بعدهم -وكان الواحد في ذلك وأكثر منه سواء- تقوم الحجّة بالواحد منهم قيامها بالأكثر... وكذا أقام

١. المطففين (٨٣): ١٥.

٢. الإنسان (٧٦): ٣٠.

٣. الأحكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج ١، ص ٤٠.

٤. نوح (٧١): ١.

٥. الأعراف (٧): ٧٣.

٦. الأحكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج ١، ص ٤٠.

٧. الأعراف (٧): ٧٣.

٨. الأعراف (٧): ٧٣.

٩. الأعراف (٧): ٧٣.

١٠. الأعراف (٧): ٧٣.

الحجة على الأمم بواحد.

قال البيهقي: واحتج الشافعي بالآيات التي وردت في القرآن في فرض طاعة رسول الله ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة واحداً واحداً، في أن على كل واحد طاعته، ولم يكن أحد غاب عن رؤية رسول الله، يعلم أمره إلا بالخبر عنه، وبسط الكلام فيه^١.

ومما استدلل به في مسائل الأحكام وهي الكثرة الكثيرة ما حدث الشافعي بإسناده إلى مجاهد، قال: أقرب ما يكون العبد من الله - أو إلى الله - إذا كان ساجداً، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^٢ يعني: أفضل وأقرب. قال الشافعي: ويشبه ما قال مجاهد، والله أعلم ما قال، أي ما قاله النبي ﷺ^٣.

وفي رواية حرملة عنه في قوله تعالى: ﴿يَخْتَرُونَ لِأَذْقَانِ سُجُوداً﴾^٤ قال الشافعي: واحتمل السجود: أن يعثر، وذقنه - إذا خر - تلى الأرض، ثم يكون سجوده على غير الذقن^٥.

واستدل بآية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٦ بوجوب الصلاة عليه ﷺ في الصلوات الفرائض. قال: فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع، أولى منه في الصلاة^٧.

ومن غريب استدلاله: أنه فهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾^٨ أن المني طاهر؛ حيث كان أصل الإنسان من ماء و تراب، وهما طاهران، فخلق النسل من ماء يدل على طهارته أيضاً. قال: بدأ الله خلق آدم من ماء وطين، وجعلهما معاً طهارة، وبدأ خلق ولده من ماء دافق. فكان في ابتداء خلق آدم من

١. أحكام القرآن للشافعي، ج ١، ص ٣٢. ٢. الملق (٩٦): ١٩.

٣. مما أتته الشافعي قبل حديث مجاهد. وقد أغفله البيهقي هنا - وإن كان أخرجه في حسن الكبرى (ج ٢، ص ١١٠) - وهو قوله ﷺ: «وَأَنَا الرُّكُوعُ فَمَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَنَا السُّجُودُ فَاجْتَهَدُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ، فَفَعِلَ أَنْ يَسْتَجَابَ لَكُمْ» (الأم للشافعي، ج ١، ص ١٣٨، باب الذكر في السجود).

٤. الإسراء (١٧): ١٠٧. ٥. أحكام القرآن للشافعي، ج ١، ص ٧١.

٦. الأحزاب (٣٣): ٥٦. ٧. أحكام القرآن للشافعي، ج ١، ص ٧٢-٧١.

٨. السجدة (٣٢): ٨-٧.

الظاهرين اللذين هما الطهارة دلالة لا ابتداء خلق غيره أنه من ماء طاهر لا نجس. قال: المنى ليس بنجس؛ لأن الله أكرم من أن يتدنى خلق من كرمه من نجس. قال: ولو لم يكن في هذا - أي طهارة المنى - خبر عن النبي؛ لكان ينبغي أن تكون العقول تعلم أن الله لا يتدنى خلق من كرمه وأسكنه جنته من نجس. ثم ذكر الخبر الوارد في أن النبي ﷺ لم يغسل ثوبه من منى أصابه^١.

و الكتاب مطبوع جزأين في مجلد واحد.

٣. أحكام القرآن لأبي يعلى الحنبلي

هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف المعروف بابن الفراء (٣٨٠-٤٥٨ هـ). شيخ الحنابلة في عصره. كان عالماً في الأصول والفروع وأنواع الفنون. ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين، وولاه الخليفة القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران و حلوان.. قال الخطيب: كان أحد الفقهاء الحنابلة وله تصانيف على مذهب أحمد، درس وأفتى سنين كثيرة وولي النظر بحریم دار الخلافة^٢. وكان قد نغمه الحنابلة ضعف مقدرته العلمية في الأصول والفروع..

قال ابن عساكر: سمعت أبا غالب الحنبلي يقول: لما مات أبو يعلى ذهبت مع أبي إلى داره بباب المراتب، فلقينا أبو محمد التميمي الحنبلي، فقال: إلى أين؟ قال أبي: مات القاضي أبو يعلى فقال أبو محمد: لا رحمه الله، فقد بال في الحنابلة البولة الكبيرة التي لا تُغسل إلى يوم القيامة.. يعني مقاله في التشبيه..

وقال شمس الدين الذهبي: لم يكن له خبرة بعلم الحديث ولا برجالها، واحتج بأحاديث كثيرة واهية في الأصول والفروع. وأما في الفقه ومذاهب الناس ونصوص أحمد واختلافها فإمام لا يجارى^٣.

٢. تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٢٥٦، رقم ٧٣٠.

١. أحكام القرآن للشافعي، ج ١، ص ٨١-٨٢.

٣. الرولى بالوليات للصفدي، ج ٣، ص ٨، رقم ٨٦٥.

٤. أحكام القرآن لـكيا الهراسي الشافعي

هو عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالـكيا^١ الهراسي. فقيه شافعي، أصله من خراسان ثم رحل إلى نيسابور، وتفقّه على إمام الحرمين الجويني مدة حتى برع، ثم خرج إلى بيهق ثم إلى العراق، وتولّى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، إلى أن توفّي سنة (٤٥٠ هـ).

يعتبر كتابه هذا من أهم المؤلفات في أحكام القرآن عند الشافعية؛ ذلك لتعصّب المؤلف فيه لمذهب الشافعي، محاولاً بكلّ جهده تفسير الآيات في صالح مذهبه. يقول في مقدّمته: «إنّ مذهب الشافعي أسدّ المذاهب وأقومها وأرشدّها وأحكمها، وإنّ نظر الشافعي في أكثر آرائه ومعظم أبحاثه، يترقى عن حدّ الظنّ والتخمين إلى درجة الحقّ واليقين. والسبب في ذلك أنّ الشافعي بنى مذهبه على كتاب الله^٢ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأنّه أتيج له دَرَكَ^٣ غوامض معانيه، والفوص على تيّار بحره لاستخراج ما فيه. وأنّ الله فتح له من أبوابه، ويسرّ عليه من أسبابه، ورفع له من حجابيه ما لم يُسهّل لمن سواه، ولم يتأتّ لمن عداه».

ونحن لا ننكر فضل الإمام الشافعي وتقدّمه. ولكن تقديم الكتاب بمثل هذا الكلام ناطق بأنّ الرجل متعصّب لمذهبه. كما قال الأستاذ الذهبي. وشاهد عليه بأنّه سوف يسلك في تفسيره مسلك الدفاع عن قواعد الفقه الشافعي وفروع مذهبه، حتّى وإن أدّاه ذلك إلى التعصّف في التأويل^٤.

والهراسي وإن كان عفت لسانه وقلمه مع أئمة سائر المذاهب، وكلّ من يتعرّض للردّ عليه ممّن خالفه في المذهب، فلم يخض فيهم كما خاض الجصاص في الشافعي وغيره. غير أنّه وقف من الجصاص موقفاً شديد المراس، عنيف الجدال، قاسي العبارة، فرماه

١. كيا: كلمة فارسية، معناها: كبير المنزلة، المقدم بين الناس.

٢. شمرّاً بذلك مذهب أبي حنيفة المبتني - حسب ظاهره - على الرأي والقياس!

٣. الضمير والمنفرد؛ ج ٢، ص ٤٤٥-٤٤٦.

٤. لعلّ الصحيح: إدراك..

بعبارات ساخرة وألفاظ مقدعة؛ إنه إذ عرض لأهمّ مواضع الخلاف التي ذكرها الجصاص وعاب فيها مذهب الشافعي، نراه كأنه اقتصص للشافعي، جزاءً من جنس العمل..
 فمثلاً عند تفسير الآية (٢٣) من سورة النساء: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» تجده يردّ على الجصاص ما استدلّ به لمذهبه القائل بأنّ الزنا بامرأة يورث حرمة أصول المرأة وفروعها، ويفتد ما ذكره الجصاص ردّاً على الشافعي.. ويعقّبه بقوله: «إنّهُ لم يفهم معنى كلام الشافعيّ ولم يميّز بين محلّ ومحلّ، وكلّ مقام مقال. ولتفهّم معاني كتاب الله رجال، ليس هو منهم..»

كما يقول: وذكر الشافعيّ مناظرة بينه وبين مسترشد طلب الحقّ في هذه المسألة.. فأوردها الجصاص متعجباً منها، ومنتهاً على ضعف كلام الشافعيّ فيها، قال: ولا شيء أدلّ على جهل الرازيّ (الجصاص) وقلة معرفته بمعاني الكلام من سياقه لهذه المناظرة، واعتراضاته عليها..

ثمّ يقول -بعد قليل-: ولم يعلم هذا الجاهل معنى كلام الشافعيّ فاعترض عليه بما قال. وعجب الناس من ذلك فقال: في هذه المناظرة أعجوبة لمن تأمل. فكان كما قال القائل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً
 و آفته من الفهم السقيم!
 وهذا الكتاب طبع أخيراً في أربعة أجزاء، في مجلدين.

٥. أحكام القرآن لابن العربي المالكيّ

هو أبو بكر محمّد بن عبد الله بن محمّد المعافريّ الأندلسيّ، ختام علماء الأندلس وأخر أئمّتها وحفاظها، توفّي سنة (٥٤٣ هـ). كان من أهل التفنّن في العلوم والتبحّر فيها، متكلماً في أنواعها، نافذاً في جمعها، حريصاً في طلبها.

و يعتبر هذا الكتاب مرجعاً مهماً للتفسير الفقهيّ عند المالكيّة؛ حيث مؤلّفه مالكيّ متأثر بمذهبه، فظهرت عليه في تفسيره روح التعصّب والدفاع عنه، وريماً حمل على

مخالفيه حملة عشواء، بما لا يتناسب ومقام الفقهاء العظام.

و على أي حال، فهو كتاب حافل بالأدب واللغة مضافاً إلى عرض مذاهب السلف في الفتياء، والاستظهار من كتاب الله. تراه قد يطيل البحث بالقييل والقال، ورداً على مخالفي رأي أصحابه، من غير جدوى. نجده عند آية الوضوء^١ يتعرض لأصحاب الشافعي في اعتبارهم النية في الوضوء، يقول: ظنّ ظانّون من أصحاب الشافعي الذين يوجبون النية في الوضوء، أنّه لما أوجب الوضوء عند القيام إلى الصلاة دلّ على أنّه أوجبه لأجله، وأنّه أوجب به النية.

وهذا لا يصحّ، فإنّ إيجاب الله سبحانه الوضوء لأجل الحدث لا يدلّ على أنّه يجب عليه أن ينوي ذلك، بل يجوز أن يجب لأجله، ويحصل دون قصد تعليق الطهارة بالصلاة و بنيتها لأجله... ويسهب في الكلام هنا، وينتهي إلى قوله: فركب على هذا سفاضة المفتين، وأوردوا فيها نصّاً عمّن لا يفرّق بين الظنّ واليقين.

وينتقل بعد ذلك إلى الكلام حول «وَأَيْدِيكُمْ»، فيقول: اليد عبارة عمّا بين المنكب والظفر، وهي ذات أجزاء وأسماء، منها المنكب ومنها الكفّ والأصابع، وهو محلّ البطش والتصرّف العامّ في المنافع، وهو معنى اليد. وغسلهما في الوضوء مرتّين: إحداهما عند أوّل محاولة الوضوء وهو سنة، والثانية في أثناء الوضوء وهو فرض.

قوله: «إِلَى الْمِرْفَاقِ». وذكر أهل التأويل في ذلك ثلاثة أقاويل:
الأوّل: أنّ «إلى» بمعنى «مع»، كما قال تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ»^٢ معناه: مع أموالكم.

الثاني: أنّ «إلى» حدّ، والحدّ إذا كان من جنس المحدود دخل فيه.
الثالث: أنّ المرافق حدّ الساقط لا حدّ المفروض. قاله القاضي عبد الوهّاب، وما رأيت له غيره.

و تحقيقه أن قوله: ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ يقتضي بمطلقه من الظفر إلى المنكب، فلما قال: إلى المرافق أسقط ما بين المنكب و المرافق، و بقيت المرافق مفسولة إلى الظفر. و هذا كلام صحيح يجري على الأصول، لغة و معنى.

و أمّا قولهم: إنَّ «إلى» بمعنى «مع» فلا سبيل إلى وضع حرف موضع حرف، وإنما يكون كلّ حرف بمعناه، و تتصرّف معاني الأفعال، و يكون التأويل فيها لا في الحروف. و معنى قوله: ﴿إِلَى الْمُرَافِقِ﴾ على التأويل الأوّل: فاعسلوا أيديكم مضافة، إلى المرافق. و كذلك قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ معناه: مضافة إلى أموالكم.

و قد روى الدارقطني و غيره، عن جابر بن عبد الله: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا تَوَضَّأَ أَدَارَ الْمَاءِ عَلَى مِرْفَقَيْهِ^١.



و مما يمتاز به هذا الكتاب، كراهته للإسرائيليات، كما أنه شديد النفرة من الخوض فيها، فهو عندما تعرّض لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^٢ نجده يقول: «المسألة الثانية» في الحديث عن بني إسرائيل، كثر استرسال العلماء في الحديث عنهم في كلّ طريق. و قد ثبت عن النبيّ أنّه قال: «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج» و معنى هذا الخبر: الحديث عنهم بما يُخبرون به عن أنفسهم و قصصهم، لا بما يُخبرون به عن غيرهم؛ لأنّ إخبارهم عن غيرهم مفتقرة إلى العدالة و الثبوت إلى منتهى الخبر، و ما يُخبرون به عن أنفسهم فيكون من باب إقرار المرء على نفسه أو قومه، فهو أعلم بذلك. و إذا أخبروا عن شرع لم يلزم قبوله. ففي رواية مالك عن عمر، أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ و أنا أمسك مصحفاً قد تشرّمت حواشيه^٣. فقال: ما هذا؟ قلت: جزء من التوراة! فضرب و قال: والله لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا أتباعي^٤.

١. أحكام القرآن لابن العربي، ج ٢، ص ٥٦٢-٥٦٥. ٢. البقرة (٢): ٦٧.

٣. المصحف: مجموعة صحائف. تشرّم: تشقّق و تمزّق.

٤. أحكام القرآن لابن العربي، ج ١، ص ٢٣.



هذا الكتاب يعتبر مرجعاً مهماً للتفسير الفقهي عند المالكية، حيث مؤلفه مالكي متأثر بمذهبه، وقد ظهرت عليه روح التعصب له والدفاع عنه، بحيث قد يجرفه إلى التعسف في التهجم على مخالفه، فيقذفه بكلمات لاذعة أحياناً، حتى ولو كان إماماً وله قيمته ومركزه في مذهبه! تارة بالتصريح وأخرى بالتلويح..

مثلاً عند التعرض للآية ٨٦ من سورة النساء: ﴿وَإِذَا حُيِّمْتُمْ بِنَجْبَةٍ فَعْيُوا بِأَحْسَنِّ مِمَّا أُرْدُواهَا﴾.. يقول: استدلل علماءنا على أن هذه الآية دليل على وجوب الثواب في الهبة للعين.. لأنها تحية يجب ردّها.. وقال الشافعي: ليس في هبة الأجنبي ثواب.. وهذا فاسد، لأن المرأ إنما يعطي ليعطي، وهذا هو الأصل في الهبة. إذ أنا لا نعمل عملاً لمولانا إلا ليشينا، فكيف عمل بعضنا لبعض!



وهو عند الآية ٢٢٩ من سورة البقرة: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِصَاحُكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾ يقول: هذا يدل على أن الخلع طلاق، خلافاً للشافعي في التقديم إنه فسخ. وفائدة الخلاف أنه إن كان فسخاً لم يعد طلاقاً. قال الشافعي: لأنه تعالى ذكر الطلاق مرتين وذكر الخلع بعده، وذكر الثالث بقوله: ﴿قَبَّانِ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَقِّ تَنْكِحِ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾.. قال ابن العربي: وهذا غير صحيح، لأنه لو كان كلٌّ مذكور في معرض هذه الآيات لا يعد طلاقاً، لوقوع الزيادة على الثلاث، لما كان قوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ طلاقاً، لأنه يزيد به على الثلاث.. قال: ولا يفهم هذا إلا غيباً أو متغاباً!



وعند الآية ٤٣ من سورة النساء: ﴿.. قَلَمٌ يَجِدُوا مَاءً﴾ يقول: قال أبو حنيفة: هذا نفي

في نكرة وهو يعمّ لغةً، فيكون مفيداً جواز الوضوء بالماء المتغيّر وغير المتغيّر، لإطلاق اسم الماء عليه..

قلنا: استتوق الجمل^١ الآن يستدلّ أصحاب أبي حنيفة باللغات، ويقولون على السنة العرب، وهم يبنذونها في أكثر المسائل بالعراء واعلموا أنّ النفي في النكرة يعمّ كما قلتم، ولكن في الجنس؛ فهو عامّ في كلّ مكان من سماء أو بئر أو عين أو نهر أو بحر عذب أو ملح؛ فأما غير الجنس فهو المتغيّر فلا يدخل فيه، كما لم يدخل فيه ماء الباقلاء!

قال: ومن هاهنا وهم الشافعيّ في قوله: إنّه إذا وجد من الماء ما لا يكفيهِ لأعضاء الوضوء كلّها، أنّه يستعمله فيما كفاه، ويتيمّم لبقائه؛ فخالف مقتضى اللغة وأصول الشريعة^٢.



وفي موضع من كتابه يرمي أبا حنيفة بأنّه كثيراً ما يترك الظواهر والنصوص للأقيسة.. ويقول عنه في موضع آخر: إنّه سكن دار الضرب فكثرت عنده المدلّس.. ولو سكن المعدن - كما قبض الله المالك - لما صدر عنه إلاّ إيريز الدين وإكسير الملة، كما صدر عن مالك.



وعند الآية ٦ من سورة المائدة: ﴿.. فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يقول في تعريض ساخر: وظنّ الشافعيّ - وهو عند أصحابه معدّين عدنان في الفصاحة، بله أبي حنيفة وسواه - أنّ الغسل صبّ الماء على المغسول من غير عرك.. وقد بيّنا فساد ذلك في مسائل الخلاف.. وحققنا أنّ الغسل مسّ اليد مع إمرار الماء، أو ما في معنى اليد^٣.



١. مثل يضرب للرجل الواهن الرأي المخلّط في كلامه.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦٠.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٤٦.

و عند الآية ٣ من سورة النساء: ﴿.. ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَقُولُوا﴾.. يقول: اختلفوا في تأويله على ثلاثة أقوال: الأول: أن لا يكثر عيالكم.. قاله الشافعي.. الثاني: أن لا تضلّوا.. قاله مجاهد.. الثالث: أن لا تميلوا.. قاله ابن عباس والناس..

قلنا: أعجب أصحاب الشافعي بكلامه هذا، وقالوا: هو حجة، لمنزلة الشافعي في اللغة، وشهرته في العربية، والاعتراف له بالفصاحة، حتى لقد قال الجويني بشأنه: هو أفصح من نطق بالضاد، مع غوصه على المعاني، ومرفته بالأصول؛ واعتقدوا أن معنى الآية: فانكحوا واحدة إن خفتكم أن يكثر عيالكم، فذلك أقرب إلى أن تنتفي عنكم كثرة العيال. قال ابن العربي: كل ما قال الشافعي أو قيل عنه أو وصف به، فهو كله جزء من مالك ونفية من بحر^١؛ و مالك أوعى سمعاً، وأثقب فهماً، وأفصح لساناً، وأبرع بياناً، وأبدع وصفاً.. ويدلّك على ذلك مقابلة قول بقول في كلّ مسألة وفصل..

ثم تكلم بعد ذلك عن معنى لفظ «عال» في اللغة، ثم قال: والفعل في كثرة العيال رباعي (أعال) لا مدخل له في الآية. فقد ذهبت الفصاحة، ولم تقع الضاد المنطوق بها على الاختصاص^٢.



و عند الآية ٢٥ من سورة النساء: ﴿.. فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.. يقول: قال أبو بكر الرازي (الخصاص) إمام الحنفية، ليس نكاح الأمة ضرورة، لأنّ الضرورة ما يخاف منه تلف نفس أو تلف عضو، وليس في مسائلنا شيء من ذلك. قلنا: هذا كلام جاهل بمنهاج الشرع، أو متهمك لا يبالي بموارد القول^٣.. ونحن لم نقل: إنّه حكم نيظ بالضرورة، إنّما قلنا: إنّه حكم علّق بالرخصة المقرونة بالحاجة، ولكل واحد منهما حكم يختص به، وحالة يعتبر فيها.. ومن لم يفرّق بين الضرورة والحاجة التي تكون معها الرخصة، فلا يُعنى بالكلام معه، فإنّه معاند أو جاهل. و تقرير ذلك إتعاب

١. النية: الجرعة. وهي بفتح النون وضمها..

٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٤-٣١٥.

٣. المتهمك: المستهزء..

للنفس عند من لا ينتفع به^١.

إلى غيرها من أمثلة تجدها ضمن الكتاب، تنبؤك أن الرجل لم يكن عَفَّ اللسان مع الأئمة ولا مع أتباعهم.. وهي ظاهرة من ظواهر التعصّب المذهبي، الذي يقود صاحبه إلى ما لا يليق به، ويدفعه إلى الخروج عن حدّ اللطافة والكياسة^٢.

والكتاب مطبوع في أربع مجلّدات، طبعة أتيقة. كانت طبعته الثانية سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م. بزيادة ضبط و شرح و تعليق.

٦. أحكام القرآن للراوندي (فقه القرآن)

هو الشيخ الإمام المحدث الفقيه الأديب قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله الراوندي^٣ و يعرف اختصاراً بسعيد بن هبة الله الراوندي نسبة إلى جدّه.. توفي سنة (٥٧٣ هـ). كان فاضلاً و عالماً جامعاً لأنواع العلوم^٤. له مصنّفات في مختلف العلوم الإسلاميّة فيما يقرب من ستين مؤلّفاً، له في كلّ منها القدر الأعلى^٥. من أجملها: منهاج البراعة، في شرح نهج البلاغة. و عليه اعتمد ابن أبي الحديد في شرح النهج. و منها هذا الكتاب الذي نحن بصدده، و هو من خير كتب أحكام القرآن و أقدمها و أجملها.. و هو من آثار قدمائنا التي تعتزّ بها المكتبة الإسلاميّة في أصلاتها و المادّة العلميّة الثريّة التي تحويها، إنّه مع اختصاره النسبيّ شامل لأطراف الموضوع، جامع لما يجب أن يقال، غنيّ بما تناوله من الاستدلال.. عرض البحث عن آيات الأحكام على ترتيب الكتب الفقهيّة و ذكر كلّ آية في الباب الذي يخصّها، و من ثمّ فهو أشبه بالتفسير

٢. تفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٥٥.

١. المصدر نفسه، ص ٣٩٤.

٣. راوند، بليدة قرب كاشان. قيل: أصله رهاوند.

٤. قال ابن حجر المصلاحي: كان فاضلاً في جميع العلوم، له مصنّفات كثيرة في كلّ نوع.. (لسان المصنّف، ج ٣، ص ٤٨).

٥. فقد كتب في التفسير و الكلام و الفلسفة و الفقه و الحديث و التاريخ و غيرها، و عرفت كتبه بالأصالة و عمق البحث و الدراسة. و أصبحت تأليفه موضع عناية العلماء و الدارسين منذ عصره و لا تزال.. (مقدّمة الكتاب، ص ١٦).

الموضوعي للآيات ذات الصلة بالأحكام.. كل ذلك مع رعاية المباحث التفسيرية والفقهيّة معاً، فأشبهها بحثاً و تعمّقاً، حيث كانت المسألة بحاجة إلى ذلك.

والراوندي في هذا الكتاب شديد التأثر بأراء شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في كتابيه التبيان في تفسير القرآن والاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار. كما أنه يبدو عليه التأثر الكبير أيضاً بأراء الشريف المرتضى علي بن الحسين البغدادي (ت ٤٣٦ هـ) في كتابه الانتصار في انفرادات الإمامية. وبعض أجروته على المسائل. ففي كثير من المسائل نجده يتتبع ما قاله و خاصة الأوّل منهما، بل ربّما يأتي بعبارتهما عيناً من غير تصرّف.

وهذا لا يعني إطلاقاً أنّ الراوندي ليس له جديد في كتابه هذا، بل له محاولات موفّقة في مسائل جليّة يستعرضها بانطلاق في الاستنباط، مستعيناً بالقدرة العلميّة العظيمة التي يملك نواصيها و يذلل مصاعبها، فيدخل في خضمّها دخول العالم المتمكّن الذي أوتي نصيباً وافراً من المبادئ العلميّة الفخيمة..

و يمتاز هذا الكتاب بأنّه يحاول -مبلغ جهده- في الجمع بين الآراء، و خاصة التفسيرية منها، إذا ظهر عليها الاختلاف، فيوفّق بينها ما وجد إلى ذلك سبيلاً. ولذلك ترى بعض مسائل مطروحة في كتب الفقه و التفسير بشكل يبدو عليها أنّها معترك الآراء بين العلماء. و لكنك عند ما تعود إليها في هذا الكتاب تجد نقطة تنتهي إليها أقوال أولئك، و لا يبقى شيء من الخلاف..

كما أنّه يمتاز أيضاً بما حواه من مسائل الخلاف بين المذاهب، و التي وجدت العناية الكافية في تبسيطها و عرضها و النقاش فيها و الاستدلال عليها، فرّبما كتب المؤلف فصولاً عديدة في مسألة واحدة، يتحدّث عنها في كلّ فصل، و يعود عليها في فصل آخر ليتكلّم فيها من زاوية أخرى غير التي تكلم عنها..

و من ثمّ فهذا الكتاب يعدُّ أثراً علمياً فخيماً من آثار أعلامنا الأقدمين، بذل فيه مؤلّفه القطب الراوندي جهداً كبيراً موفّقاً. و تقدّر أنّه سيبقى مرجعاً ضخماً يرجع إليه المؤلفون

في الفقه و التفسير.. ما دامت الأيام مهللاً بالدراسات و التحقيق^١..
قال مؤلفه -في المقدمة-: الذي حملني على جمع هذا الكتاب، أنني لم أجد من علماء
الإسلام قديماً و حديثاً^٢ من آلف كتاباً مفرداً يشتمل على الفقه الذي ينطق به كتاب الله،
و لم يتعرض أحد منهم لاستيعاب ما نصّه عليه، لفظه أو معناه، ظاهره أو فحواه، في
مجموع كان على الافراد، صائب هدف المراد..

فرايت أن أوّلف كتاباً في «فقه القرآن» يُفني عن غيره بحسن مبانيه، و لا يقصر فهم القارئ
عن [إدراك] معانيه. متجنباً الإطالة و التكثير، و متحرّياً الإيجاز و التيسير، ليكون الناظر
فيه أنيساً يصادقه، و للفقير رداءً يصدّقه، فجمعت منه بعون الله جملة مشروحة أخرجها
الاستقراء، و ذكرت إن نسي الأجل ما يقتضيه الاستقصاء.. و الله الموفق لما يشاء..

منهج الكتاب

يقول في مفتح كتاب الطهارة: أنه تعالى ذكر أحكام الطهارة في القرآن، على سبيل
التفصيل في موضعين. و تبّه عليها جملةً في مواضع شتى، في خصوص أو عموم، بتصريح
أو تلويح.. و أنا -إن شاء الله- أوردُ جميع ذلك أو أكثر ما فيه، على غاية ما يمكن تلخيصه،
و أستوفيه و أومئ إلى تعليله و جهة دليله. و أذكر أقوال العلماء و المفسرين في ذلك،
و الصحيح منها و الأقوى. و أقتصر في جميع ما يُحتاج إليه، على مجرد ما روي عن
السلف -رحمهم الله- من المعاني سوى القليل.. و أقتنع بألفاظهم المنقولة.. و هذا شرطي
إلى آخر الكتاب.

قال: و أكثر الآيات التي تتكلّم عليها في هذا المعنى. فهو كما تبّهنا عليه الأئمة من آل
محمد ﷺ و هم معدن التأويل و محطّ التنزيل^٣..

و للمؤلف طريقة حكيمة عند مواجهة مختلف النظرات و الآراء، لخصتها ملحوظة

١. راجع: مقدّمة التحفيق، ص ١٠-١١.

٢. بقصد التأليف على وجه البسط و التصنيف، و منسفاً على ترصيف كتب الفقه دون التفسير.

٣. أحكام القرآن للراوندي، ج ١، ص ٥-٦.

قدّمها نصيحة لرواد العلم وطلاب الفضيلة..

قال: وكلّ مسألة شرعية لها شعب ووجوه، فإذا سألك عنها سائل، فتبتت في الجواب، فلا تجبه بلا أو بنعم على العجلة، و تصفح حال المستفتي، فإن كان عامياً يطلب الجواب ليعمل به و يعول عليه، فاستفسره عن الذي يقصده و يريد الجواب عنه، فإذا عرفت ما يريد به عينه أجبته عنه و لا تتجاوز إلى غيره من الوجوه. فليس مقصود هذا السائل إلاّ الوجه الذي يريد بيان حكمه ليعمل به.

وإذا كان السائل معانداً يريد الإغنيات، تستفسره أيضاً عن الوجه الذي يريد من المسألة، فإذا ذكره أفتيته عنه بعينه و لا تتجاوز به إلى غيره أيضاً، فليس مقصوده طلب الفائدة، وإنما هو يطلب المعاندة، فضيق عليه سبيل العناد.

وإن كان السائل مستفيداً يطلب بيان وجوه المسألة و الجواب عن كلّ وجه ليعلمه و يستفيده، فأوضح له الوجوه كلّها و اجعل الكلام منقسماً، لتلا يذهب شيء من بابه. وهذا العمري استظهار للعالم في جميع العلوم، إن شاء الله تعالى.^١

و من هذه النصيحة القيمة يبدو لك مبلغ رزانة المؤلف و كياسته لدى مواجهة المشاكل من مسائل الخلاف، فلا يجفو لا يقسو و لا تحمله العصبية على أن يخرج عن حده، كما حملت غيره ممن تقدّم ذكرهم.. وهذا ظاهر لمن تصفح الكتاب..

و هذه هي شيمة من تأدّب بأدب الأئمة من أهل بيت العصمة عليهم السلام.

و الكتاب مطبوع في جزئين بتحقيق الأستاذ السيد أحمد الحسيني - قم المقدّسة.

١٣٩٧ هـ.

٧. أحكام القرآن للسيوري (كنز العرفان في فقه القرآن)

هو أبو عبد الله جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيويني^٢

١. المصدر نفسه، ص ١٤.

٢. نسبة إلى عمل السبور: جمع السبر. و هي أن تقطع الجلود الدقاق و يحاط بها السروج (الأصناف للسمراني، ج ٣، ص ٣٦٦).

الحلبيّ الأسديّ (ت ٨٢٨هـ) من أجلاء العلماء وعظماء المشايخ^١، عالم فاضل، ومتكلم بصير، و فقيه خبير.. له تأليف قيّمة في الفقه والأدب والكلام، كلّها جيّدة، منها: تجريد البراهة في شرح تجريد البلاغة، في علم المعاني والبيان. والمتن للشيخ كمال الدين ميثم ابن عليّ بن ميثم البحرانيّ. ويعرف بأصول البلاغة.. ومنها: التنقيح الرائع، في شرح المختصر النافع للمحقّق صاحب الشرائع.. وهو كتاب جدّ جليل، جامع لأبواب الفقه من الطهارة حتّى الديات. بحثاً مستوفىً أجاد فيه وأفاد.. ولا يزال موضع عناية العلماء.. و منها: النافع يوم الحشر، في شرح الباب الحادي عشر، في مباحث الكلام.. وغير ذلك من كتب نافعة تداولتها الأيدي بعناية فائقة.. والتي منها هذا الكتاب كنز المرغان في فقه القرآن تناول لآيات الأحكام ودرسها دراسة وافية على غرار دراستها في الكتب الفقهية.. كما تبهنا.. وتعمّق النظر فيها وخاض فيها خوض المصطلح الخبير..

كما أنّه أودع فيها فوائد هي فرائد جُمان، ممّا استلقت إليه الأنظار واستجلب دقائق الأفكار.. فكان من جاء بعده عيالاً عليه، يستمدّ من موائده الثريّة، ويستلهم من عوانده الغنيّة..

قال مؤلّفه -في المقدمة-: ولقد كانت الآيات الكريمة التي هي مرجع جلّ المسائل والفتاوى، قد اعتنى الفقهاء بالبحث عنها واستخراج السرّ الدفين فيها، غير أنّي لم أظفر بكتاب منقّح وفي نفس الوقت جامع لما يتفنيه الراغب ويستطرفه الطالب.. عزمت على وضع كتاب يشتمل على فوائد خلا عنها سائر التفاسير وفرائد قلّما يجدها إلّا تحرير.. وأضفتها بوابل من فروع فقهية يستدعيها نصوص الكتاب وظواهر الآيات.. وأردفتها بنكات ودقائق راتقة تلمع لدى الفضلاء أزهارها، وتزهو لدى العلماء أنوارها.. وهو يتعرّض لمختلف الآراء ويناقشها مناقشة حرّة من غير ما يجرفه التعصّب أو يزلّ

١. كان من غرّاض شيخنا الشهيد السيد محمد بن مكيّ العامليّ، ورتّب فوائده الفقهية ونقدّها وسبّبت بنقد هؤلاء. كما أنّه سأل شيخه مسائل، فجمع الأسئلة مع أجوبتها في كتاب وسبّبت بالأسئلة الفقهية وكانت مرصع انتفاع الفقهاء في مجال واسع. وهو الذي شرح قصّة استشهاد عليّ بد أعداء الدين والإسلام.

به التمسّف، فهو إن كان ينصر مذهبه يتكلّم في ضوء برهان واستدلال برئ.. ممّا ينبؤك عن سعة باع وتضلع في الأدب واللغة والبيان.
و طبع هذا الكتاب جزئين في مجلّد واحد طبعة أنيقة..

٨. الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة

للإمام الزيديّ شمس الدين يوسف بن أحمد بن محمّد اليمانيّ الثّلثانيّ (ت ٨٣٢ هـ) فقيه زيديّ عارف بالتفسير والفقه والحديث، من أهل هجرة العين، من ثلّال باليمن^١. صاحب تأليف، منها: برهان التحقيق وصناعة التدقيق، في المساحة والضرب. والجواهر والغرر في كشف أسرار الدور، في القرائض. والرياض الظاهرة والجواهر الناضرة واليوقيت الباهرة، الموضحة لغرائب التذكرة الفاخرة. مختصر الانتصار. وهذا الكتاب: الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة في تفسير آيات الأحكام.. في ثلاث مجلّدات. مخطوط^٢.

و ذكر السيّد شهاب الدين المرعشيّ كتباً أخرى في التفسير الفقهيّ لآيات الأحكام للزيديّة، منها القديمة ومنها المعاصرة، فراجع^٣.

٩. زبدة البيان في أحكام القرآن للمحقّق الأردبيليّ

هو المولى الفقيه المحقّق أحمد بن محمّد الأردبيليّ (ت ٩٩٣ هـ) كان أعلم أهل زمانه في الفقه والكلام، وإليه انتهت رئاسة الفتيا والمرجعيّة العليا في العهد الصفويّ الزاهر. وكانت منزلته الفقهيّة ممّا يشار إليه بالبنان، وكتابه الفقهيّ مجمع الفائدة كان قد حاز سبق الأوفى، ولا يزال مرجعاً للفقهاء ومحطّ أنظارهم في الاستنباط ومقام الإفتاء،

١. بالضمّ مقصوراً. من حصون اليمن. مدينة واقعة في جنوبيّ جزيرة العرب، هي أغنى ثُدُن اليمن بمد صنعاء. فيها أنقاض قلعة تسمّى حصن الغراب.

٢. هدية العارفين لإسماعيل باشا، ج ٢، ص ١٥٥٩ مجمع المفسرين لمادل نويهض، ج ٢، ص ٧٤٢.

٣. سالك الأنعام (المقدمة)، ج ١، ص ٨٧.

وحتى في المسائل المستجدة.. الأمر الذي يدلّك على بعد نظره و عمق فكره في مسائل الأصول والفروع..

و كتابه في التفسير الفقهي لآيات الأحكام.. جاء صفة من ذلك البحر الخضمّ و زبدة من ذلك العلم الأشمّ.. فقد أودعه تدقيقات و تحقيقات لم يحظ بها سائر الكتب ممّا نسج على منواله..

يكفيك مثلاً: أنّ هذا الكتاب و إن كان نسج على منوال كنز المرفان و احتذى أثره في المنهج و الأخذ بجوانب الكلام.. غير أنّه غدّاه بوفرة التحقيق و التعميق ممّا زاد عليه و بلغ به مرتبة الكمال..

خذ لذلك مثلاً مسألة التيمّم - حسبما جاءت في القرآن - جاءت في آيتين:

الأولى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ ١.

و الثانية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوْهُكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَهُرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ ٢.

ففي هاتين الآيتين جاء شرط التيمّم أحد أمور ثلاثة: المرض، السفر، فقدان الماء..

غير أنّ هذا الشرط بأنحائه الثلاثة وقع مورد إشكال و إيهام لدى المفسرين، و عدّه الآوسى من المعضلات. قال: «نعم، الآية من معضلات القرآن و لعلّها تحتاج بعدّ إلى نظر دقيق...» ٣.

وقال الأستاذ الشيخ محمد عبده: «وقد طالمت في تفسيرها خمسة وعشرين تفسيراً فلم أجد فيها غناءً، ولا رأيت قولاً يسلم من التكلف...»^١.

هذا.. ولم نجد ممن كتب في التفسير الفقهي من تنبّه لهذه العويصة غير شيخنا المحقق الأردبيلي^٢ قال: «ثم لا يخفى أن نظم هذه الآية مثل الآية الأخرى، لا يخلو من إشكال -حسب فهمنا- وجعل يعدد مواضع الإيهام في الآية، ثم قال: وكأنه لذلك ذكر صاحب كشف الكشاف^٣ -و نعم ما قال- والآية من معضلات القرآن...

قال المحقق الأردبيلي: ولعل السّر في ذلك الترغيب على الجدّ والاجتهاد، وتحصيل العلوم لنيل السعادات..

وقد ذكر طرفاً من العويصة وأخذ في حلّها وإزاحة النقاب عن وجهها، بشكل فنيّ رائع، ممّا يتناسب ومقدرته العلميّة الفاتحة^٤.

وهذا الكتاب طبع طبعات أنيقة كان أجملها بتحقيق رضا أستاذي وعلي أكبر زماني نزاد..

١٠. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد الجواد المعروف بالفاضل الكاظمي. من أعلام القرن العادي عشر. كتب في آيات الأحكام في حجم كبير، مستوفى ومستقصى للأقوال والآراء على مختلف المذاهب، وفي مناقشة حرّة على صعيد من النقد التزيه. ويعدّ من أوسع التفاسير الفقهيّة وأشملها بحثاً وتحقيقاً على مشرب الإماميّة.

وللسيد شهاب الدين المرعشيّ مقدّمة منيفة على الكتاب وقد وسّع الكلام حول التفاسير الفقهيّة منذ الصدر فإلى العصر الحاضر.. من مختلف المذاهب الإسلاميّة.. فهي مقدّمة نافعة وجامعة.

٢. تعليقة نفيسة على فكشافه

١. لسانه، ج ٥، ص ١١٩.

٣. زبدة البيان للمحقق الأردبيلي، ص ٤٥. وقد ذكر الطبرسيّ أبعاد هذه العويصة وأبان وجه حلّها بإجمال في

مجمع البيان، ج ٣، ص ٥٢.

و طبع طبعة أنيقة بتحقيق الأستاذ شريف زاده، علّق عليه واستخرج أحاديثه. وأخرج في أربعة أجزاء في مجلّدين كبيرين.

١١. قلائد الدرر في بيان الأحكام بالأثر

للشيخ أحمد بن إسماعيل بن عبد النبي الجزائري (توفي ١١٥١ هـ). و كتابه هذا من أجل الكتب المدوّنة في التفسير الفقهيّ وأنفعها وأشملها للوجوه والأقوال، مرداناً بالآثار المروية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، مستوعباً مستقصى، مع تحقيق وتدقيق بالغين. على غرار معاصره الكاظمي، في بعد الصيت وحسن السمات. وقد طبع عدّة طبعات في إيران والعراق في ثلاث مجلّدات. وقد احتفل به العلماء في الحوزتين.



و هناك للعلماء الأفاضل تفاسير فقهية جليّة، امتداداً لهذا المشروع الجليل.. ولزمينا المحقّق الجليل السيّد محمّد علي أيازي تأليف لطيف بحث فيه عن مناحي الفقه القرآنيّ، بشكل فنيّ و على أساس من التحقيق عن مسألة الاستنباط القرآنيّ وأبعادها و شمولها، وأبدع في ذلك.. ولا تزال الكتابة في ذلك مستمرة عبر التحقيق عن المسائل الإسلامية المستجدة. وفق الله الجميع.



التفاسير الجامعة

و هو ثالث أنواع التفسير التي ظهرت إلى الوجود: التفسير النقليّ (التفسير بالمأثور)، ثم التفسير الفقهيّ (آيات الأحكام)، وثالثاً التفاسير الاجتهادية الجامعة، والتي تعرضت لجوانب من الكلام النظريّ حول تفسير القرآن.

و هذه التفاسير الاجتهادية الجامعة من أقدم أنواع التفسير بعد التفسير بالمأثور، وتشمل الكلام في جوانب مختلفة من التفسير، لغةً وأدباً وفقهاً وكلاماً، حسب تنوع العلوم والمعارف التي كانت دارجة ذلك العهد. نعم، كان قد يغلب على بعض هذه التفاسير لون التخصص الذي كان يتخصّص فيه صاحب التفسير، من براعة في أدب أو فقه أو كلام. غير أنّ ذلك لم يكد يخرج بالتفسير عن كونه من التفسير الاجتهاديّ الجامع، وليس في طابع ذي لون واحد.

ونحن ذاكرون الأهمّ من هذه التفاسير التي احتلّت المحلّ الأرفع في الأوساط العلمية، طول عهد الإسلام، ونضعها موضع دراستنا، بحثاً وراء معرفة قيمتها في عالم التفسير:

التيبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ).

هو الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسيّ، نسبة إلى «طوس» من بلاد خراسان، الأهله بالعلم والثقافة والعمران، ولا تزال معهداً للدراسات الإسلامية؛

حيث متوى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، و تعدّ اليوم من أكبر مدن إيران الإسلامية المزدهرة.

و شيخنا العلامة الطوسي، يُعدّ علماً من أعلام الطائفة و شيخها المقدّم وإمامها الأسبق، سبّاق العلوم و المعارف الإسلامية، و القدوة العليا لمن كتب و آلف في شتى شؤون العلوم الإسلامية، من فقه و تفسير و كلام، فضلاً عن الأصول و الرجال و الحديث.

و لُقّب بشيخ الطائفة؛ لآفته زعيمها و قائدها و سائقها و معلّمها الأوّل في مختلف العلوم. ولد بطوس في شهر رمضان سنة (٣٨٥ هـ). و هاجر إلى بغداد سنة (٤٠٨ هـ) أيام زعامة عميد الطائفة محمّد بن محمّد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد. فلازمه ملازمة الظلّ، و عكف على الاستفادة منه، و أدرك ابن الفضائريّ و شارك النجاشي. و بعد وفاة شيخه المفيد سنة (٤١٣ هـ) و انتقال الزعامة إلى علم الهدى السيّد المرتضى، انحاز الشيخ إليه و لازم الحضور تحت منبره، و عني به المرتضى و بالغ في توجيهه و تلقينه. و بقي ملازماً له طيلة (٢٣) سنة، حتّى توفّي السيّد سنة (٤٣٦ هـ). فاستقلّ شيخ الطائفة بأعباء الإمامة، و ظهوره على منصّة الزعامة، و أصبح علماً من أعلام الشيعة و مناراً للشريعة، و كانت داره في الكرخ ماوى الأئمة و مقصد الوُفّاد، يأتونه من كلّ صوب و مكان. و تصدر كرسيّ الكلام في بغداد، بطلب من الخليفة القادر بالله العباسي؛ حيث لم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قرأً أو يُفضّل عليه علماً و معرفة، بمباني الشريعة و أصول الكلام فيها. و لم يزل شيخنا المعظم إمام عصره و عزيز مصره، حتّى ثارت القلاقل و حدثت الفتن في بغداد، و اتّسع ذلك على عهد طغرل بيك أوّل ملوك السلاجقة، فإنّه ورد بغداد و كان أوّل ما فعل أن شنّ الإغارة على الكرخ، و أحرق مكتبة الشيعة هناك، و التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهّي. و كان قد جمع فيها من كتب فارس و العراق، و استجلب من بلاد الهند و الصين و الروم. فكانت مكتبة ضخمة ثريّة، ربّما تنوف كتبها على عشرات الألوف، و أكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلّفين. و من ثمّ اضطرّ شيخنا أبو جعفر إلى الهجرة إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٩ هـ)،

واستفرغ للعكوف على التأليف والتصنيف، وفيها خرجت أمهات كتبه وتأليفه، أمثال: المبوط، والخلاف، والنهاية في الفقه، والنتيان في التفسير، والتهديب، والامتبصار في الحديث، والاقتصاد، والشهد في الكلام، وسائر كتبه الرجالية وغيرها.

فيا له من منبع علم ومدخر فضيلة، ازدهر به العالم الإسلامي، نوراً وعلماً وحياة نابضة، فقد بارك الله فيه وفي عمره (٣٨٥-٤٦٠ هـ) = ٧٥

التعريف بهذا التفسير

هو تفسير حافل جامع، وشامل لمختلف أبعاد الكلام حول القرآن، لغةً وأدباً، قراءةً ونحواً، تفسيراً وتأويلاً، فقهاً وكلاماً ... بحيث لم يترك جانباً من جوانب هذا الكلام الإلهي الخالد، إلا وبحث عنه بحثاً وافياً، في جازة وإيفاء بيان.

يبدو من إرجاعات الشيخ في تفسيره إلى كتبه الفقهية والأصولية والكلامية، أنه كتب التفسير متأخراً عن سائر كتبه في سائر العلوم، ومن ثم فإن هذا الكتاب يُحظى بقوة ومتانة وقدرة علمية فائقة، شأن أي كتاب جاء تأليفه في سنين عالية من حياة المؤلف. وبحق فإن هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحدّ ذلك الوقت، والتي كانت أكثرها مختصرات، تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه، ممّا أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكلّ ما ذكره المفسرون من قبل، وحاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه.

قال الشيخ في مقدّمة تفسيره: فإنّ الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب، أنّي لم أجد أحداً من أصحابنا قديماً وحديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن، ويشتمل على فنون معانيه، وإنّما سلك جماعة منهم في جمع ما رواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المروية في الحديث، ولم يتعرّض أحد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج إليه، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأئمة، بين مطيل في جميع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه - كالطبري وغيره - وبين مقصّر اقتصر على

ذكر غريبه، ومعاني ألفاظه. وسلك الباقون المتوسّطون في ذلك مسلك ما قويت فيه مُتَمَّتْهُمُ، و تركوا ما لا معرفة لهم به قال: وأنا إن شاء الله تعالى أشرح في ذلك على وجه الإيجاز والاختصار لكلّ فنّ من فنونه، ولا أطيل فيملّه الناظر فيه، ولا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

فهو تفسير وسط جامع شامل، حاوياً لمحاسن من تقدّمه، تاركاً فضول الكلام فيه ممّا يملّ قارئه، فجاء في أحسن ترتيب وأجمل تأليف؛ فله ذرّه وعليه أجره.

منهجه في التفسير

أما المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن، فهو المنهج الصحيح الذي مشى عليه أكثر المفسّرين المتّقين، فيبدأ بذكر مقدّمات تمهيدية، تقع نافعة في معرفة أساليب القرآن، ومناهج بيانه وسائر شؤونه، ممّا يرتبط بالتفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، ومعرفة وجوه إعجاز القرآن، وأحكام تلاوته وقراءته، وأنّه نزل بحرف واحد، والكلام عن الحديث المعروف: نزل القرآن على سبعة أحرف. والتعرّض لأسامي القرآن وأسامي سوره وآياته، وما إلى ذلك.

أما صلب التفسير، فيبدأ بذكر الآية، ويتعرّض لغريب لغتها، واختلاف القراءة فيها، ثمّ التعرّض لمختلف الأقوال والآراء وينتهي إلى تفسير الآية تفسيراً معنوياً في غاية الوجازة والإيفاء. وهكذا يذكر أسباب النزول، والمسائل الكلامية المستفادة من ظاهر الآية، حسب إمكان اللغة والأدب الرفيع، كما يتعرّض للمسائل الخلاقية في الفقه والأحكام، ومسائل الاعتقاد ونحوها. كلّ ذلك مع عَفّ اللسان وحسن الأدب في التعبير. وممّا يجدر التنبيه له، أنّ هذا التفسير يتعرّض لمسائل علم الكلام، في صبغة أدبية رفيعة، ولا يترك موضعاً من الآيات الكريمة التي جاءت فيها الإشارة إلى جانب من مسائل العقيدة، إلّا وتعرّض لها، وأكثر في تفصيل وبسط كلام. وهذا من اختصاص هذا

التفسير.

يقول المؤلف في المقدمة: وسمعت جماعة من أصحابنا قديماً و حديثاً يرغبون في كتاب مقتصد، يجتمع على جميع فنون علم القرآن: من القراءة، والمعاني، والإعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم، وذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه، على صحة مذهبهم في أصول الديانات وفروعها. وأنا إن شاء الله تعالى أشرع في ذلك على وجه الإيجاز والاختصار لكل فن من فنونه، ولا أطيل، فيملمه الناظر فيه، ولا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه.

ولنذكر أمثلة على ذلك:

مثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا زَيَّنَّا لَكُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُحِبُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^١ يقول:

واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي بلا فصل. وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي في الآية بمعنى الأولي والأحق، و ثبت أيضاً أن المعنى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أمير المؤمنين. فإذا ثبت هذان الأصلان، دل على إمامته. ثم أخذ في بيان كون المراد من «الولي» في الآية هو الأولي بالأمر؛ لأنه المتبادر من اللفظ. واستشهد بقول العرب، وبآيات وأشعار، وشواهد أخر. وأخذ في بيان دلالة «إنما» على الحصر، كما أثبت من رواية أكثر المفسرين على نزولها في علي عليه السلام^٢.

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^٣ يروي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: أنهم الأئمة المعصومون، وقيل: هم أمراء السرايا والولاة، وقيل: هم أهل العلم والفقهاء الملازمين للنبي عليه السلام. قال الجبائي: هذا لا يجوز؛ لأن «أولى الأمر»، من لهم الأمر على الناس بولاية. قال الشيخ: والأول

٢. البيان ج ٣، ص ٥٥٩.

١. المائدة (٥): ٥٥.

٣. النساء (٤): ٨٣.

أقوى؛ لأنه تعالى بين أنهم متى ردّوه إلى أولي العلم علموه، والردّ إلى من ليس بمعصوم، لا يوجب العلم؛ لجواز الخطأ عليه بلا خلاف، سواء أكانوا أمراء السرايا، أو العلماء^١.

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَتُورُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَآيَّدَهُ بِمُجْرَدٍ لَمْ تَسْرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ مِنَ الطَّلِيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^٢﴾.

قال: فيمن تعود «الهاء» إليه قولان: أحدهما: قال الزجاج: إنها تعود إلى النبي ﷺ. والثاني: قال الجبائي: تعود إلى أبي بكر؛ لأنه كان الخائف واحتاج إلى الأمن. قال الشيخ: والأول أصح؛ لأن جميع الكتابات قبل هذا وبعده راجعة إلى النبي ﷺ فلا يليق أن يتخلل ذلك كلمة كناية عن غيره.

ثم قال: وليس في الآية ما يدل على تفضيل أبي بكر؛ لأنّ قوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ مجرد الإخبار أنّ النبي ﷺ خرج معه غيره. وكذلك قوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ خبر عن كونهما فيه. وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ لا مدح فيه أيضاً؛ لأنّ تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة، ألا ترى أنّ الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ^٣﴾، وقوله: «لا تحزن» إن لم يكن ذمّاً فليس بمدح، بل هو نهي محض عن الخوف. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، قيل: إنّ المراد به النبي ﷺ، ولو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة؛ لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد. إلى أن يقول: فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد. ثم أضاف: ولم نذكر هذا للطعن على أبي بكر، بل بيّنا أنّ الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح^٤.

وفي مسألة «العدل» و تحكيم العقل في معرفة الصفات، نراه يذهب مذهب أهل الاعتدال في النظر، فيؤول الآيات على خلاف ما يراه أهل الظاهر من الصفاتيتين، من الأشاعرة وأهل القول بالجبر والتشبيه.

١. التوبة (٩): ٤٠.

٢. التوبة (٩): ٤٠.

٣. الكهف (١٨): ٣٧.

٤. الكهف (١٨): ٣٧.

مثلاً، في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^١ يقول: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي شهد عليها بأنها لا تقبل الحق. يقول القائل: أراك تختم على كل ما يقول فلان، أي تشهد به وتصدقه، وذلك استعارة. وقيل: «ختم» بمعنى طبع فيها أثراً للذنوب، كالسمة والعلامة، لتعرفها الملائكة فيتبرأوا منهم، ولا يوالوهم، ولا يستغفروا لهم. وقيل: المعنى أنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها في أنها لا يدخلها الإيمان، ولا يخرج عنها الكفر. قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً^٢ و لكن لا حياة لمن تنادي^٣

و عند قوله: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ﴾^٤ يقول: والمعنى أنهم صمّ عن الحق لا يعرفونه؛ لأنهم كانوا يسمعون بأذانهم. وبكم عن الحق لا ينطقون. مع أن ألسنتهم صحيحة، عمي لا يعرفون الحق وأعينهم صحيحة، كما قال: ﴿وَرَأَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^٥. قال: وهذا يدل على أن قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ و ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾^٦ ليس هو على وجه الحيلولة بينهم وبين الإيمان؛ لأنه وصفهم بالصمّ والبكم والعمى مع صحة حواسهم، وإنما أخبر بذلك عن إلهام الكفر واستقلالهم للحق والإيمان، كأنهم ما سمعوه ولا رأوه، فلذلك قال: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾^٦ و ﴿أَصَلَّهُمْ﴾^٧ و ﴿أَصَتْهُمْ وَ أَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾^٨ و ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾^٩ و ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^{١٠}. وكان ذلك إخباراً عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم، وأمره لهم بالطاعة والإيمان؛ لأنه ما فعل بهم ما منعهم من الإيمان.

وقد يقول الرجل: حبّ المال قد أعمى فلاناً وأصمّه، ولا يريد بذلك نفي حاسته، لكنّه

٢. التبيان ج ١، ص ٦٣-٦٤.

٤. الأعراف (٧): ١٩٨.

٦. التوبة (٩): ٩٣؛ النحل (١٦): ١١٠٨؛ محمد (٤٧): ١٦.

٨. محمد (٤٧): ٢٣.

١. البقرة (٢): ٧.

٣. البقرة (٢): ١٨.

٥. النساء (٤): ١٥٥.

٧. طه (٢٠): ٨٥.

٩. الأنعام (٦): ١٢٥؛ الإسراء (١٧): ٤٦؛ الكهف (١٨): ٥٧.

١٠. الصف (٦١): ٥.

إذا شغله عن الحقوق والقيام بما يجب عليه، قيل: أصمّه وأعماه. وكما قيل في المثل:
حبك الشيء يُعمي ويصمّ، ويريدون ما قلناه. وقال مسكين الدارمي:

أعمى إذا ما جارتني خرجت حتى يوارى جارتني الخدر
ويصمّ عمّا كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر

وقال آخر: أصمّ عمّا ساءه سميع، فجمع الوصفين^١.

وعند قوله: «كَذَلِكَ نَطَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ»^٢ يقول: وليس المراد بالطبع - في الآية -

المنع من الإيمان؛ لأنّ مع المنع من الإيمان لا يحسن تكليف الإيمان^٣.

مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي

هو أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ، نسبة إلى «طبرس»

علي وزان جعفر معرّب «تفرش» بكسر الراء مدينة عامرة قرب «ساوة» من بلاد إيران. أمّا
النسبة إلى «طبرستان» فهو طبري، كما هو معروف.

علم شامخ من أعلام الإمامية، علامة فاضل، جامع أديب، ومفسر فقيه، تتلمذ لدى

مشايخ عصره الأجلّاء، منهم: الشيخ أبو عليّ ابن شيخ الطائفة الطوسيّ، والشيخ أبو الوفاء

الرازيّ، والسيد أبو طالب الجرجانيّ، والسيد أبو الحمد مهديّ بن نزار الحسينيّ القائنيّ،

عن الحاكم أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكانيّ، وغيرهم. هو من أعلام القرن

السادس، توفّي سنة (٥٤٨ هـ). وكان قد بلغ سنّه حدود التسعين على ما جاء في روضات

الجنّات^٤.

وهو تفسير حاشد بالأدب واللغة والقراءات وحججها، ويختصّ بالإحاطة بآراء

المفسرين السلف. وكان المؤلف قد جعل تفسير التبيان لشيخ الطائفة أسوة له في هذا

المجال، فجعله أصلاً بنى عليه زيادات المباني والفروع، ذكر المؤلف بهذا الشأن:

٢. يونس (١٠): ٧٤.

١. التبيان، ج ١، ص ٨٨-٩٠.

٣. التبيان، ج ٥، ص ١٢٤.

٤. روضات الجنّات للخرفانساريّ، تحقيق إسماعيليان، ج ٥، ص ٣٥٩.

وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن، واجتهدوا في إبراز مكنونه وإظهار مصونه، و ألفوا فيه كتباً جمّة، غاصوا في كثير منها إلى أعماق لججه، وشقّقوا الشعر في إيضاح حججه، وحقّقوا في تنقيح أبوابه، و تفلّقل شعابه، إلّا أنّ أصحابنا ﷺ لم يدوّنوا في ذلك غير مختصرات، تفلّوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار، ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الأسرار، إلّا ما جمعه الشيخ الأجلّ السعيد أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ﷺ من كتاب الثبيان، فإنّه الكتاب الذي يكتسب منه ضياء الحقّ، و يلوح عليه رواء الصدق، قد تضمّن من المعاني الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغّة الوسيعة، ولم يقع بتدوينها دون تبيينها، ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القدوة استضيء بأنواره، وأطأ مواقع آثاره.

قدّم على تفسيره مقدّمات سبع، بحث فيها عن تعداد آي القرآن، وأسامي القُرّاء المشهورين، وذكر التفسير والتأويل، وأسامي القرآن، وعلومه وفضله وتلاوته، وأثبت فيها صيانة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان، وبيّن إجماع علماء الإماميّة على ذلك، واتفق آرائهم فيه.

منهجه في التفسير

أمّا المنهج الذي سار عليه مفسّرنا فهو منهج رتيب، يبدأ بالقراءات، فيذكر ما جاء عن اختلاف القراءة في الآية، و يعقبها بذكر الحجج التي استندت إليها كلّ قراءة، ثمّ اللغة ثمّ الإعراب، وأخيراً المعنى. وقد يتعرّض لأسباب النزول، و القصص التي لها بعض الصلة بالآيات. و بحقّ قد وضع تفسيره على أحسن ترتيب وأجمل تبويب. يقول هو عن تفسيره: وابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهديب، و حسن النظم والترتيب، يجمع أنواع هذا العلم و فنونه، و يحوي فصوصه و عيونه، من علم قراءته و إعرابه و لغّاته و غوامضه و مشكلاته، و معانيه و جهاته، و نزوله و أخباره، و قصصه و آثاره، و حدوده و أحكامه، و حلاله و حرامه. و الكلام عن مطاعن المبطلين فيه، و ذكر ما ينفرد به

أصحابنا عليه السلام من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه، على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع، والمعقول والمسموع، على وجه الاعتدال والاختصار، فوق الإيجاز ودون الإكثار. فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة، وتضعف عن الإجراء في العلبات الخطيرة؛ إذ لم يبق من العلماء إلا الأسماء، ومن العلوم إلا الذمائم وهو بقية الروح في المذبوح.

قال: وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكثها ومدتها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها، ثم ذكر فضل تلاوتها، ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات، ثم ذكر الإعراب والمشكلات، ثم ذكر الأسباب والنزولات، ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات، والقصص والجهات، ثم ذكر انتظام الآيات.

ثم إنني قد جمعت في عريته كل غرة لائحة، وفي إعرابه كل حجة واضحة، وفي معانيه كل قول متين، وفي مشكلاته كل برهان مبين. وهو بحمد الله للأديب عمدة، وللنحوي عمدة، وللمقرئ بصيرة، وللناسك ذخيرة، وللمتكلم حجة، وللمحدث محجة، وللفقيه دلالة، وللواعظ آلة.

قال الذهبي بشأن هذا التفسير: والحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية - كتاب عظيم في بابه، يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة. والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه، في تناسق تام، وترتيب جميل. وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها. فإذا تكلم عن القراءات وجوهرها أجاد، وإذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد، وإذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، وإذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء، وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض

لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال. وهو ينقل أقوال من تقدمه من المفسرين معزوة لأصحابها، ويرجع ويوجه ما يختار منها.

ثم يقول عنه الذهبي: وإذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشييعه لمذهبه وانتصاره له، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو ومن على شاكلته. وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعية. غير أنه -والحق يقال- ليس مغالياً في تشييعه، ولا متطرفاً في عقيدته، كما هو شأن كثير غيره، من علماء الإمامية^١.

ثم يذكر الذهبي أمثلة لما ظنّه مؤاخذه على مفسرنا الجليل، وحسب أنه تعصب لها انتصاراً لمذهبه في التشيع، في حين أنه أدى الكلام حقّه ولم يقرط في القول، كما أنه لم يقرط كما قرط الآخرون من سائر المفسرين.

مثلاً في قصة الخاتم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ الصَّلَاةَ وَالزُّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^٢ نراه يفصل في الكلام عن شأن نزول الآية، ودلالات الصريحة في إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بما أتمّ الحجّة وبلغ في البيان. أمّا الأستاذ الذهبي فلم يرقه ذلك، وقال ناقماً عليه: ولا شك أن هذه محاولة فاشلة، فإن حديث «تصدّق عليّ بخاتمه في الصلاة» -وهو محور الكلام- حديث موضوع لا أصل له. وقد تكفل العلامة ابن تيمية بالردّ على هذه الدعوى في كتابه منهاج السنة (ج ٤، ص ٣-٩)^٣.

قلت: أتري ابن تيمية لم يتعصب لمذهبه في النصب لعليّ وآل الرسول، في إنكاره لمنقبة هي من أكبر المناقب التي نزل بها القرآن الكريم، وأدعن لها أهل العلم والتحقيق، في الحديث والتفسير.

إنّ لهذا الحديث أسناداً متظافرة -لئن لم تكن متواترة- وأوردها جلّ أهل الحديث، حتّى

٢. المائدة (٥): ٥٥.

١. الضمير والمفترود، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٥.

٣. الضمير والمفترود، ج ٢، ص ١٠٩.

أن الحاكم النيسابوري عدّه من الأحاديث التي رواها أهل مدينة عن أهل مدينة، فقد رواه الرازيون عن الكوفيّين^١، وقد تعدّدت طرقه و كثرت مخارجه.

قال ابن حجر العسقلاني: وإذا كثرت الطرق و تباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً^٢.

كيف، و هذا الحديث قد أخرجها الأئمة الحفاظ بعدة أسانيد، و فيها الصحاح. صرح بذلك الحافظ أبو بكر ابن مردويه الأصبهاني، قال: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، و هكذا ابن أبي حاتم الرازي^٣.

و أورده جلال الدين السيوطي، في أسباب النزول، بعدة طرق، و ذكر له شواهد، ثم قال: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً^٤.

و قد استقصى العلامة الأميني موارد ذكر الحديث، فأنهاه إلى (٦٦) مورداً في أمتهات الكتب الحديثية، و كتب المناقب و التفسير و الكلام^٥.

و هذا الحديث مما سارت به الركبان، و أنشد فيه الشعراء، منهم حسّان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ حيث يقول:

أبا حسن أفديك نفسي و مهجتي	و كلّ بطيء في الهدى و مسارع
أ يذهب مدحي ذا المُحِبُّ ضائعاً	و ما المدح في ذات الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعياً	فدتك نفوس القوم يا خير راع
بخاتمك الميمون يا خير سيّد	و يا خير شارٍ ثمّ يا خير بائع
فأنزل فيك الله خير ولاية	و بيّتها في محكمات الشرائع ^٦

١. حرفاً هوم الحديث للحاكم النيسابوري، ص ١٠٢.

٢. فتح الباري، ج ١، ص ٣٣٣.

٣. باب النزول في أسباب النزول للسيوطي، ص ١٠٧.

٤. التنوير، ج ٣، ص ١٦٢-١٥٦ راجع: تفسير لبي هنتوح، ج ٤، ص ٢٤٤-٢٥٧.

٥. و نسبت هذه الأبيات إلى خزيمه بن ثابت ذي الشهادتين أيضاً، و لعلمه الأرجح، غير أنّ المشهور نسبتها إلى

حسّان. راجع: هاشم ابن عساکر، ترجمة الإمام ﷺ، ج ٢، ص ٤١٠.

كلّ ذلك يدلّ على شيوعه واستفاضته بما لا يكاد يمكن إنكاره، إلاّ من عمى قلبه وأعمته عصبية أمثال الذهبي، ومن قبله ابن تيمية.

هذا وقد أرسله الفقهاء وهم أبصر بمواضع الأحاديث إرسال المسلّات، وأخذوه حجة على أنّ الفعل القليل لا يبطل الصلاة، ومن ثمّ عدّوا هذه الآية من آيات الأحكام، الأمر الذي ينبّ عن اتّفاقهم على صحّة الحديث. هكذا أورد الجصاص هذه الآية دليلاً على جواز العمل اليسير في الصلاة، وروى نزولها في عليّ عليه السلام عن مجاهد والسديّ وأبي جعفر وعتبة بن أبي حكيم^١.

كما استوفى الكلام فيه الحاكم الحسكانيّ وأورده بإسناده إلى جماعة من كبار الصحابة، أمثال: عمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي ذرّ الغفاريّ، فضلاً عن أقوال التابعين في ذلك، فراجع^٢. وراجع أيضاً - فضائل الخمسة للسيد الفيروز آبادي^٣.

وتعرّض الذهبيّ لمسائل في الأصول والفروع ممّا اختصّت الشيعة القول به، مثل: «الرجعة» و«المهديّ» و«التقيّة» و«المسح على الأرجل» ونحوها، ممّا صرّحت به الآيات، أو جاء به النقل المتواتر متوافقاً مع ظاهر القرآن. وقد أشاد به شيخنا الطبرسيّ في تفسيره حسب مسلكه، في تحكيم ظواهر القرآن عند تراحم الآراء في مسائل الخلاف.

وأخيراً يقول عنه: والطبرسيّ معتدل في تشييعه غير مغال فيه، كغيره من مستطرفي الإمامية، ولقد قرأنا في تفسيره فلم نلمس عليه تعصباً كبيراً، ولم نأخذ عليه أنّه كفر أحداً من الصحابة، أو طعن فيهم بما يذهب بعدالتهم ودينهم، كما أنّه لم يغال في شأن عليّ بما يجعله في مرتبة الإله أو مصافّ الأنبياء، وإن كان يقول بالعصمة.

وكلّ ما لاحظناه عليه من تعصبه لمذهب أنّه يدافع بكلّ قوّة عن أصول مذهبه وعتائده أصحابه. كما أنّه إذا روى أقوال المفسّرين في آية من الآيات، وتقلّ أقوال المفسّرين من

٢. شواهد تنزيل للحاكم الحسكانيّ، ج ١، ص ١٦٦-١٨٤.

١. أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٤٤٦.

٣. فضائل الخمسة، ج ٢، ص ١٣-١٩.

أهل مذهبه فيها، نجده يرتضي قول علماء مذهبه ويؤيده، بما يظهر له من الدليل^١. قلت: وقد أساء الظنّ بالشيعة ولعلّه تعمّد مقيت حيث حسب منهم من يجعل عليّاً عليه السلام في مرتبة الإله، إذ لم نجد من ينتمي إلى الشيعة من يزعم ذلك، اللهم إلا الغلاة وهم خارجون عن الملة، وتحكم الشيعة عليهم بالكفر والإلحاد.

أما مصافّ الأنبياء، فهو بلوغ مرتبة توازي مرتبة الأنبياء في الفضيلة دون النبوة، فهو أمر معقول. وقد جعل النبي ﷺ العلماء في مصافّ الأنبياء؛ حيث قال: علماء أمّتي كأنبيا بني إسرائيل^٢. والعلماء ورثة الأنبياء^٣. وقال بشأن عليّ عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي. حديث متواتر مستفيض، وقد رواه أصحاب الصحاح والمسانيد من أهل الحديث^٤.

وأما المسائل التي تعرّض لها الذهبيّ؛ حيث وقعت مورد تأييد مفسّري الشيعة، فأظنّها خارجة عن اختصاص مثل الذهبيّ البعيد عن مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلاميّة، في الأصول وفي الفروع، كلّ يدافع عن رأيه، ويتكلّم حسب فهمه من الكتاب والسنة والعقل الرشيد، ما لم يكن تحميلاً ظاهراً، الأمر الذي يتحاشاه أمثال الطبرسيّ وقبله الشيخ في الثبيان.

وليعلم أنّ في الشيعة جماعة أخباريّة هم أصحاب جمود، نظير إخوانهم الحشويّة من أهل الحديث في السنة والجماعة، ولا تُحسب الطائفة على حساب هذه الفئة. وتفسير علماء الشيعة من لدن شيخ الطائفة أمثال الثبيان وروح الجنان ومجمع البيان، كلّها على نمط واحد، تفاسير وضعت على أساس معقول لا إفراط فيها ولا قصور، ولا فيها شيء من التعصّب المقيت.

١. الضمير والمفترضة ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

٢. هواري الثاني، لابن أبي جمهور الأحاسني، ج ٤، ص ٧٧، رقم ٦٧.

٣. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٨، رقم ٢٩ وج ٢، ص ٢٤١، رقم ١٩ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٩٨.

٤. راجع: فضائل الخمسة ج ١، ص ٢٩٩ فما بعد.

و أما النزعة الاعتزالية التي نسبهم إليها أمثال الذهبي، فهي نسبة خاطئة، إنَّ للشيعة الإمامية مباني في أصول معارفها قد تتفق مع مشرب الاعتزال، كمسألة العدل في الأفعال، وتجريد الذات عن مبادئ الصفات، و تحكيم العقل في معرفة الحسن و القبح في التكليف، و ما إلى ذلك. و هذا لا يعني أنَّ الشيعة أخذت عن المعتزلة و لا العكس، بل هو اتفاق نظر في مسائل من الكلام، كما اتفقت الأمة على مسائل في أصول العقيدة و فروع من مسائل الأحكام.

ففي مثل مسألة «الهداية و الضلال» حيث زعم الذهبي أنَّ مفسرنا الجليل وافق المعتزلة في عقيدتهم و دافع عنها، و هدم ما عداها^١. إنَّما هو توافق محض، و لعلَّ الشيعة هم الأصل في هذا النظر؛ لأنَّهم إنَّما أخذوها عن أهل بيت الرسالة، و منهم نُشر العلم و المعرفة في أرجاء الإسلام.

و كذا مسألة «الرؤية» و إنكار تأثير السحر لولا إذنه تعالى، و هكذا مسألة «الشفاعة» و معرفة حقيقة الايمان، و ما إليها. فإنَّنا نرى الذهبي أخذها دليلاً على محاكاة الشيعة فيها لأصحاب الاعتزال، و لعلَّ الصواب العكس.

رُوحُ الْجِنَانِ وَ رُوحُ الْجِنَانِ لِأَبِي الْفَتْوحِ الرَّازِيِّ

هو جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الخزاعي الرازي، من أحفاد نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي. و نافع و أبوه بديل من أصحاب رسول الله ﷺ، و استشهد نافع و مات بديل في حياة الرسول، و أخوه عبد الله بن بديل استشهد بصفين في ركاب علي عليه السلام. كانت أسرته ممتن هاجر إلى بلاد فارس و سكنت في مدينة نيسابور، و انتقل جدّه إلى الري، فاشتهر بها. و كان جدّه أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي، نزيل الري من تلامذة السيّد المرتضى عليه السلام و تتلمذ على يد السيّد ابن زهرة، و الشيخ أبي جعفر الطوسي أيضاً.

كان مترجمنا عالماً خبيراً بأحوال الرواة والمحدثين، وكان له صيت في أرجاء البلاد، كان يرتحل إليه رواد العلم وطلاب الحديث. ومن أشهر تلاميذه ابن شهر آشوب والشيخ منتجب الدين، وغيرهما من كبار العلماء. وتلمذ على أيدي علماء مشاهير، أمثال الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار المقرئ تلميذ الشيخ الطوسي، والشيخ أبي علي ابن الشيخ، والقاضي عماد الدين الأسترآبادي قاضي الري، وجار الله الزمخشري وغيرهم.

من أشهر مؤلفاته: التفسير الكبير، المعروف بروح الجنان وروح الجنان، الذي وضعه باللغة الفارسية، التي كانت دارجة ذلك العهد، في بلاد إيران؛ وذلك أن أحسن بحاجة الأمة إلى تفسير يقرب من تناول أهل تلك البلاد، فكان في نثر أدبي بليغ وسبك سهل بديع. يقول هو في سبب تأليفه: إن جماعة من أعظم أهل العلم في بلدته التمسوا منه أن يضع لهم تفسيراً يقرب من أفهامهم، ويسهل تناول منه لدى عامة أهل زمانه؛ حيث إغواهم تفسيراً جامعاً وشاملاً وسهلاً على الناس، فأجاب لمطلبهم وأزاح الإشكال من نفوسهم. فوضع تفسيراً جامعاً وشاملاً، وفي نفس الوقت متوسطاً بين الإيجاز والمخل والإطناب الممل. فقدّم على تفسيره مقدّمات، ذكر فيها: أقسام معاني القرآن، وأنواع آيه، وأسماء، ومعنى السورة والآية، ثم ثواب تلاوته، والترغيب في معرفة غريبه، ومعنى التفسير والتأويل.

وهو تفسير جيّد متين، قد فصل في الكلام عن معضلات الآيات، وشرحها شرحاً وافياً في أوجز كلام وأخصر بيان. متعرّضاً لجوانب مختلفة من الكلام حول الآية. إن كلامية أو أدبية أو فقهية ونحو ذلك، وإنما يتكلّم عن علم ومعرفة واسعة، ويؤدّي المسألة حقها بإيجاز وإيفاء.



ولهذا التفسير مكانة رفيعة في كتب التفسير، فكثير من كتب التفسير رست مبانها على قواعده الركينة و بنت مسائلها على مباحثها الحكيمة. هذا الإمام الرازي، شيخ المفسرين، بنى تفسيره الكبير على مباني شيخنا أبي الفتح، فيما فتح الله عليه أمّهات

المباحث الجلييلة. قال العلامة القاضي نور الله التستري المرعشي: إن هذا التفسير من خير التفاسير، وقد سمعت به قريحة شيخنا الرازي الوقادة، ومما لا نظير له في كتب التفسير، في عذوبة ألفاظه وسلاسة عباراته، وظرافة أسلوبه ودقة اختياره، وقد بنى عليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير، فأخذ منه اللباب، وزاد عليه بعض تشكيكاته، ممّا زاد في الحجم، ولكن الأصل اللباب، هو ما ذكره مفسرنا الرازي أبو الفتوح الكبير^١.

وقد تتبعت مواضع من التفسيرين، فوجدت الأمر كما ذكره القاضي، كان الأصل ما ذكره أبو الفتوح الرازي، وجاء تحقيق الفخر فرعاً عليه ومقتبساً منه، ولومع زيادات. مثلاً عند قوله تعالى: «تَسْجُدُوا لِلْإِبْلِيسِ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»^٢ ذهب أبو الفتوح إلى أن إبليس لم يزل كان كافراً، وأن المؤمن سوف لا يكفر؛ لأنّ الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، وكذا الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، والجمع بين الاستحقاقين محال^٣.

وهكذا جاء الاستدلال في التفسير للكبير، قال: الوجه الثاني في تقرير أنّه كان كافراً أولاً، قول أصحاب الموافاة: وذلك لأنّ الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، والكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، والجمع بين الثواب الدائم والعقاب الدائم محال، فإذا صدر الإيمان من المكلف في وقت ثم صدر عنه -والعياذ بالله- بعد ذلك كفر، فإمّا أن يبقى الاستحقاقان معاً وهو محال -على ما بيناه- أو يكون الطارئ مزبلاً للسابق، وهو أيضاً محال؛ لأنّ القول بالإحباط باطل...^٤

ويبحث الرازي عن قوله: «وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» هل كان هناك كفار غير إبليس حتى يكون واحداً منهم؟ فيجيب عن ذلك بجوابات، كلّها واردة في كلام أبي الفتوح الرازي^٥.

١. راجع: مجلسي للمؤمنين للقاضي التستري، ج ١، ص ٤٩٠.

٢. البقرة (٢): ٣٤. راجع: تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٨.

٣. راجع: تفسير الكبير، ج ٢، ص ٢٢٧.

٤. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٢٧-٢٣٨؛ تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ١٣٩.



أما منهجه في التفسير، فجرى على منوال سائر التفاسير، فيبدأ بذكر السورة وأسمائها وفضلها وثواب قراءتها، ثم يذكر جملة من الآيات، مع ترجمتها بالفارسية، ويفسرها بجملة جملة، فيبدأ باللغة والنحو والصرف، ثم القراءة أحياناً ثم ذكر أسباب النزول، والتفسير أخيراً، كل ذلك باللغة الفارسية القديمة، ولكن في أسلوب سهل بديع.



و من براعته في اللغة: إحاطته بمفردات اللغة الفارسية المرادفة تماماً مع مفردات لغة العرب، في مثل: «فسوس» مرادفة لكلمة «الاستهزاء»، و «ديو» لكلمة «الشیطان»: لأنه من الجن، والجن في الفارسية: «ديو»^١ و «بيمان» لكلمة «الميثاق» و «برفروزد» لقوله «استوقد» و «دوزخ» لجهنم، و «كارشكسته» بمعنى «كاركشته» مرادفة لكلمة «ذلول»^٢ و «شكمش بياماسامد» بمعنى «انتفخ بطنه»^٣ و «خداندان علم» بمعنى «أولوا العلم»^٤ و «خاك باز شيراند» بمعنى «تثير الأرض»^٥ و «همتا» و «انباز» بمعنى «الشريك»^٦ و «ستون چوب درکش گرفت» بمعنى «چوب ستون را در بفل گرفت» مرادفة لقولهم: «احتضن الشيء»^٧ و «ما خواستمانی که در آن خیری بودی تا ما نیز به آن خیر برسیدمانی» تعبير فارسي قديم^٨ وهكذا «و ما را بیای، و گوش نما» مرادفة لكلمة «راعنا»^٩ و «با من بازار می کنی» ترجمة لعبارة: «أم إلي تشوقت» من كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)^{١٠}، و ربما قرئ بالسین، و لعل العبارة ترجمة «تسوقت» بالسین لتكون ترجمتها «بازار گرمی می کنی».

و استعمل «مه» - بكسر الميم - بمعنى «الأكبر» في قوله: «هارون در سال امن و عفو

- | | |
|-------------------------------------|--|
| ١. تفسير أبي الفتح، ج ١، ص ٧٩ و ٨٠. | ٢. المصدر نفسه، ص ٢٢٥. |
| ٣. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٤. | ٤. المصدر نفسه، ص ٤٧٧. |
| ٥. المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٥. | ٦. المصدر نفسه، ص ٢٤٠. |
| ٧. المصدر نفسه، ص ٢٤١. | ٨. المصدر نفسه، ص ٢٨٣. |
| ٩. المصدر نفسه، ص ٢٨٠. | ١٠. نهج البلاغة من فصار الكلم، رقم ٧٧. |

زاد وبه يكسال مه موسى بود^١، وهو في مقابلة «كه» - بكسر الكاف - بمعنى «الأصغر». وقد جاء في كلام الشاعر الفارسي الملمه «سعدّي» الشيرازي
 چه از قومی یکی بی دانشی کرد نه که را منزلت ماند نه مه را



كما أنه لم يتقيد بترجمة ظاهر الكلمة، وإنما فسّر معناها تفسيراً يتطابق مع العقل والواقع.

مثلاً: فسّر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ...﴾^٢: بإذا خلوا إلى رؤسائهم وأكابرهم؛ لأنه فسّر «الشیطان» بكلّ متمرد عاتٍ، سواء أكان من الجنّ أم الإنس، وحتى الحيوان الخبيث يقال له: شیطان عند العرب، كالأفعى في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^٣ أي رؤوس الأفاعي والحيات^٤.



والمطالع في هذا التفسير يجد براعته الفارقة في مختلف العلوم الإسلامية، ولا سيما الفقه وعلم الكلام.

من ذلك نجده عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَهْرَةَ...﴾^٥ يبحث هل كان بنو إسرائيل مكلفين بالخصوصيات من بدء الأمر؟ أو ليس في ذلك تأخير للبيان عن وقت الخطاب؟ فيقول: هذا عند المعتزلة وأصحاب الحديث وأكثر أهل الكلام غير جائز، لكنّ السيّد المرتضى علم الهدى أجاز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، ويأخذ الآية دليلاً على صحّة مذهب المرتضى^٦.

وهكذا يذهب إلى أنّ المؤمن لا يرتدّ ولا يكفر بعد الإيمان، ويؤوّل ما ظاهره الخلاف، مستدلّاً بأنّ الإيمان عمل يستحقّ صاحبه المثوبة الدائمة، ولا مثوبة مع موافاة

٢. البقرة (٢): ١٤.

١. تفسير في الفتح، ج ١، ص ١٧٩.

٤. تفسير لمي الفتح، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

٣. الصافات (٣٧): ٦٥.

٦. تفسير لمي الفتح، ج ١، ص ٢٢٠.

٥. البقرة (٢): ٦٧.

الكفر، وكانت عقوبته دائمة أيضاً؛ إذ لا يجتمع تداوم الأمرين.

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^١ القائل بأن ذلك كفر من إبليس، جعلوا «كان» بمعنى «صار» أي وصار من الكافرين، لكنه خطأ من وجهين: أولاً؛ ذلك عدول عن ظاهر اللفظ بلا ضرورة تدعو إليه، ثانياً؛ جعل العمل الجوارحي كفراً، أي موجباً للكفر، في حين أنه يوجب الفسق، حتى ولو كانت كبيرة، على خلاف مذهب أهل الاعتزال؛ حيث جعلوا فعل الكبيرة موجباً للكفر، وهذا خلاف البرهان.

ثم أخذ في الاستدلال على أن الإيمان لا يتعقبه كفر أو نفاق، وإنما هو كاشف عن عدمه من قبل، ولم يكن سوى إيمان ظاهري لا واقعي. قال - ما لفظه بالفارسية:-

«و مذهب ما أن است که مؤمن حقیقی، که خدای تعالی از او ایمان داند، کافر نشود، برای منع دلیلی، و آن دلیل آن است که اجماع امت است که مؤمن مستحقّ ثواب ابد بود، و کافر مستحقّ عقاب ابد بود، و جمع بین استحقاقین بر سبیل تأیید محال بود، چه استحقاق در صحّت و استحالت، تبع وصول باشد. و احباط بنزدیک ما باطل است، چنانکه بیانش کرده شود، پس دلیل مانع از ارتداد مؤمن این است که گفتیم. و ابلیس همیشه کافر بود و منافق ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^٢».

يقول: انعقد إجماع الأمة على أن المؤمن يستحقّ ثوبة دائمة، وكذلك الكافر يستحقّ عقوبة دائمة، والجمع بين تداوم الاستحقاقين محال؛ ذلك لأن الاستحقاق يستدعي بلوغ الثواب و وصوله إليه. فإذا كان الإيمان متأخراً كفر ما قبله «الإسلام يجب ما قبله»^٣ و أما الكفر المتأخّر فلا يوجب حبس الإيمان؛ لأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره.



١. البقرة (٢): ٣٤.

٢. تفسير لبيد للفتوح، ج ١، ص ١٣٨-١٣٩، أيضاً راجع: ج ٤، ص ٢٣٣.

٣. المستدرك للنووي، ج ٧، ص ٤٤٨، رقم ١٨٦٢٥ بحاشية الأثر، ج ٢١، ص ١١٤.

و نجده يفصل الكلام حول الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر، كلما حنَّ الكلام في تفسيره بالمناسبة.

مثلاً: يقول في تفسير «الغيب» من قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^١ جاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام: أن المراد به هو المهدي عليه السلام و هو الغائب الموعود في الكتاب و السنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾^٢.

و أما الأحاديث، فكثيرة، منها قوله عليه السلام: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي و كنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً و قسطاً كما ملئت جوراً و ظلماً».

و هذه الأوصاف لم تجتمع إلا في شخص المهدي المنتظر - عجل الله فرجه الشريف - ثم يقول: كلما مررنا بآية تعرّضت لهذا المعنى، استقصينا الأخبار بشأنه^٣.



وله في مباحث الهداية و الضلال بحوث مذيّلة، و في نفس الوقت ممتعة، استفاض فيها الكلام من جميع جوانبه^٤.

ثم إنه لا يترك موضعاً من التفسير يناسب ذكر مسائل الخلاف إلا يبيّنه بتفصيل، و ذكر مواقف الشيعة الإمامية في ذلك.

مثلاً، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾^٥ يتعرّض لأنحاء السجود، منها: السجود في الصلاة، و هو ركن من أركانها - و يفسر معنى الركن - و سجدة السهو، و سجدة الشكر، و سجدة القرآن، و هذه الأخيرة إما واجبة في أربعة

٢. النور (٢٤): ٥٥.

١. البقرة (٢): ٣.

٣. تفسير في الفتح، ج ١١، ص ٦٤.

٤. راجع: المصدر نفسه، ص ١١٤-١١٥ (مباحث عن «الضلال و الإضلال» ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿يَجْمَلُ بِهِ كَتَمًا﴾ و تجمي به كثيراً و ما يجمل به إلا العاليتين)، البقرة (٢): ٢٦.

٥. البقرة (٢): ٣٤.

مواضع: ألم تنزّل، حم السجدة، النجم، اقرأ. أو سنّة، ففي أحد عشر موضعاً، فالمجموع: خمسة عشر موضعاً عندنا. وعند الشافعي: أربعة عشر موضعاً، كلّها سنّة. ثمّ يفصل في أحكام سور العزائم، ممّا يخصّ مذهب الإماميّة، ويذكر مواضع سجود السهو للصلاة، ومذهب سائر المذاهب في ذلك. ويذكر علائم المؤمن الخمس: الصلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين - في اليوم العشرين من شهر صفر بربلاء - والتختّم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. ويذكر سبب استحباب زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين بربلاء، وهو يوم ورود جابر بربلاء، بعد مقتل الحسين بأربعين يوماً^١.



و ممّا يمتاز به هذا التفسير، إحاطة صاحبه بالتاريخ والسير الكريمة، وكذلك بالأحاديث الشريفة في مختلف شؤون الدين، ومن ثمّ تراه في شتّى المناسبات يخوض المعركة، ويأتي بلباب القول باستيفاء وشمول. وقد يأتي على حوادث قلّ ما يوجد في سائر الكتب.

من ذلك حادثة يوم الصريح، جاء بها ذيل الآية رقم (٥٤) من سورة المائدة؛ حيث قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

فذكر أولاً غزوة خيبر وفتحها على يد الإمام أمير المؤمنين، وشعر حستان بن ثابت فيه:

وكان عليّ مرّمد العين يبتغي	دواءً فلما لم يُحسّ مداوياً
رماه رسول الله منه بتقلّة	فبورك مرقياً وبورك راقياً
وقال سأعطي الراية اليوم صارماً	كمتياً محبباً للرسول موالياً ^٢
يحبّ الإله والإله يحبه	به يفتح الله الحصون الأوابياً ^٣

٢. الكمي: البطل الكفّ.

١. تفسير في الفتح، ج ١، ص ١٣٥-١٣٦.

٣. الأوابي: جمع آبية، أي حصينة ممتنعة.

فأصفي بها دون البرية كلها علياً وسماء الوزير المؤاخيا
و بعد ذلك يذكر غزوة الصريخ، وفيها: خرج «أسد عويلم» مبارزاً، مترساً بترس
حديدي، يبلغ وزنه مئات الأمتان، وكان يعادل أربعين فارساً، وهو يرتجز ويقول:

و جرد شعالي و زغفي مُذال^١ و سمر عوالي بأيدي رجال^١
كآساد ديس و أشبال خيس غداة الخميس بييض صقال^٢
تُجيد الضراب و حَزُّ الرقاب أمام العقاب غداة النزال
يكيد الكذوب و يُجري الهبوب و يروي الكموب دماً غير آل^٣

فبرز إليه عليؑ فقدّه نصفين، ثم أتى النبي ﷺ وهو يقول:

ضربته بالسيف وسط الهامة بشفرة صارمة هدامة^٤
فبتكت من جسمه عظامه و بيئت من أنفه إرغامه^٥
أنا عليّ صاحب الصمصامة و صاحب الحوض لدى القيامة^٦
أخو نبيّ الله ذو العلامة قد قال إذ عمّني العمامة

«أنت الذي بعدي له الإمامة»^٧

و هذه الغزوة بهذا الإسم غير معروفة، و لا أثبتتها أصحاب السير بهذا الشكل، و إنما
ذلك من اختصاصات هذا الكتاب، و كم له من نظير.

و «أسد عويلم» غير معروف، سوى ما ذكره المحقق الشعراني في هامش الكتاب^٨
و لم نجده فيما أرجعه من مصدر.



١. الجرد: الفرس الفصار الشعر و هو من صفات حسنه. و هن أجرى في السباق. و الشعال: ما كان في أعالي
ذئبها أو ناصيتها بياض. و الزغف: السرد. و المذال: الواحة. و السمر: جمع أسمر: الغداة. و العوالي: جمع عالية.
٢. آساد: جمع أسد. و الديس: الشجيمان. و الأشبال: جمع شبل ولد الأسد. و الخيس: الغاية. و الخميس: الجند
عند ما تنهتاً و ترتب للقتال.
٣. العقاب: راية النزال. و غير آل: غير مقصر.

٤. الهامة: عظم فوق الرأس. و الشفرة: حدّ السيف.

٥. بتكت: فزحت. و إرغام الأنف: تغيّره بالتراب.

٦. الصمصامة: السيف الصام.
٧. راجع: تفسير أبي الفتح، ج ٤، ص ٢٣٧-٢٤٦.

٨. المصدر نفسه، ص ٢٤٠، رقم ١.

ومما امتاز به هذا التفسير أنه لم يترك موضعاً جاءت مناسبة الوعظ والإرشاد إلا وقد استغلَّ الفرصة، وأخذ في الوعظ والزجر والترغيب والترهيب.

من ذلك عند ذكره لقصة آدم وتوبته، وأنه إنما تقبل الله منه التوبة بأمر ثلاثة تمثلت في آدم، فليكن ذلك من كلِّ نائب، وهي: الحياء، والدعاء، والبكاء... ثم أخذ في الوعظ والإرشاد، متمثلاً بقول محمود الوراق:

يا ناظراً يرونو بعيني راقداً	و مشاهداً للأمر غير مشاهد
مَتَّئِكَ نَفْسُكَ ضَلَّةً فأباحتها	سبل الرجاء وهنَّ غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي	درك الجنان بها وفوز العائد
ونسيت أن الله أخرج آدمأ	منها إلى الدنيا بذنب واحد

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)

للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، المعروف بابن الخطيب، من أصل طبرستان، نزل والده الري واشتهر بها. في ظاهره أشعري شافعي المذهب، صاحب تصانيف ممتعة في فنون المعارف الإسلامية، مضطجعاً بالأدب والكلام والفلسفة والعرفان. قال ابن خلكان: إن كتبه ممتعة، وقد انتشرت تصانيفه في البلاد، ورُزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، توفي سنة (٦٠٦ هـ).

و تفسيره هذا من جلائل كتب التفسير، وقد استوفى الكلام فيه، بما وسعه من الاضطلاع بأنحاء المعارف وفنون العلوم، ولم يدع براعته متجولة في مختلف مسائل الأصول والفلسفة والكلام، وسائر المسائل الاجتهادية النظرية والعقلية، وأسهب الكلام فيها، بما ربما أخرجه عن حدِّ الاعتدال. وكثيراً ما يترك وراءه لمة من تشكيكات وإيهامات بما يعرقل سبيل الباحثين في التفسير، ولكنه مع ذلك فإنه فتاح لكثير من مغالق المسائل في أبحاث إسلامية عريقة.

أما منهجه في التفسير، فإنه يذكر الآية أولاً، ويعقبها بموجز الكلام عنها بصورة إجمالية، ويذكر أن فيها مسائل، يبحث في كل مسألة عن طرف من شؤون الآية: قراءة، وأدباً، وفقهاً، وكلاماً، وما أشبه من المباحث المتعلقة بتفسير الآية، ويستوفي الكلام في ذلك في نهاية المطاف. وهو من أحسن الأساليب التفسيرية، تتجزأ المسائل وتتركز الأبحاث، مفصلة كلاً في محلها، من غير أن يختلط البحث أو تتشابه المطالب، ومن ثم لا يترك القارئ حائراً في أمره من البحث الذي ورد فيه.

ومن طريف الأمر أنه لم يجعل لتفسيره مقدّمة ليشرح فيها موضعه من التفسير، والغاية التي أقدم لأجلها على كتابة مثل هذا التفسير الضخم، والسفر الجلل العظيم، وكان لا بد أن يشرح ذلك. كما لم يذكر منابعه في التفسير، ولا الكتب التي اعتمدها في مثل هذا التصنيف، في حين أننا نعلم أنه اعتمد خير المؤلفات لذاك العهد، وأحسن المصنّفات في ذلك الزمان، في مثل تفسير أبي مسلم الأصفهانيّ والجبائيّ والطبريّ وأبي الفتح الرازيّ، وأمثالهم من مشايخ عظام و علماء أجلة معروفين حينذاك.

وتفسيره هذا، يغلب عليه اللون الكلاميّ الفلسفيّ، لا ضلّاعه بهذين العلمين، ومن ثمّ نجدّه يكثر الكلام في ذلك كلّما أتاحت له الفرصة، فيفتنهما، ويسهب الكلام في مسائل فلسفيّة بعيدة الأغوار، بما ربّما أخرجته عن حدّ تفسير القرآن، إلى مباحث جدليّة كلاميّة، وربّما كانت فارغة.



و هل أكمل تفسيره أم تركه ناقصاً ليكمّله غيره من تلاميذ وأحفاد، كما قيل؟ قال ابن خلّكان: له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، منها تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كلّ غريب وغريبة، وهو كبير جداً، لكنّه لم يكمله^١.
قال ابن حجر: الذي أكمل تفسير فخر الدين الرازيّ، هو أحمد بن محمّد بن أبي حزم

نجم الدين المخزومي القمولي، المتوفى سنة (٧٢٧ هـ)، و هو مصري^١.

و قال حاجي خليفة: صنّف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القموليّ تكملة له، وقاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن خليل الخوئيّ الدمشقيّ كتّل ما نقص منه أيضاً. توفي سنة (٦٣٩ هـ).^٢

و قال ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة (٦٦٨ هـ) في ترجمة أحمد بن خليل الخوئيّ: ولشمس الدين الخوئيّ من الكتب، تتمة تفسير القرآن لابن الخطيب^٣.
و أمّا إلى أيّ موضع بلغ الإمام الرازيّ من تفسيره لترك البقيّة لغيره، فهذا مختلف فيه اختلافاً غريباً:

يقول الأستاذ محمد حسين الذهبيّ: وجدنا على هامش كشف الظنون ما نصّه: «الذي رأيته بخط السيّد مرتضى نقلاً عن شرح الشفاء للشهاب، أنّه وصل فيه إلى سورة الأنبياء»^٤. واحتمل بعضهم أنّ الرازيّ أمّم تفسيره ما عدى سورة الواقعة؛ حيث فيها بعض التعليق من غيره، مثلاً جاء ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ بِمَا كُنْتُمْ لَكُمْ يَحْتَمِلُونَ﴾^٥ وفيه مسائل، المسألة الأولى أصولية، ذكرها الإمام فخر الدين رحمه الله في مواضع كثيرة، ونحن نذكر بعضها^٦.
قال الأستاذ الذهبيّ تعقيماً على هذا الكلام: وهذه العبارة تدلّ على أنّ الإمام الرازيّ لم يصل في تفسيره إلى هذه السورة^٧.

ثمّ أبدى رأيه في حلّ الاختلاف قائلاً: «و الذي أستطيع أن أقوله كحلّ لهذا الاضطراب هو أنّ الإمام الرازيّ كتب تفسيره إلى سورة الأنبياء، فأتى بعده شهاب الدين الخوئيّ فشرع في تكملة هذا التفسير، ولكنّه لم يتمّه، فأتى بعده نجم الدين القموليّ فأكمل ما بقي منه. كما يجوز أن يكون الخوئيّ أكمله إلى النهاية، و القموليّ كتب تكملة أخرى غير التي

١. الدرر الكاشفة في إيمان السلفاء لآبن حجر المصنّف، ج ١، ص ٣٠٤.

٢. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٥٦.

٣. جيون الأنبياء، لابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ١٧١ (الرازيّ مفسراً لمحسن عبد الحميد، ص ٥٢).

٤. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

٥. الواواعة (٥٦): ٢٤.

٦. راجع: التفسير الكبير، ج ٢٩، ص ١٥٦.

٧. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٩٢.

كتبها الخوئي. وهذا هو الظاهر من عبارة كشف الظنون^١.

قلت: وعلى ذلك، فإن الإمام الرازي لم يبلغ من تفسيره سوى حوالي النصف، الأمر الذي لا يمكن تصديقه، بل الظاهر أنه فسّر القرآن كلّهُ حتّى آخر سورة منه، نظراً لوحدة الأسلوب والمنهج والقلم والبيان، فضلاً عن الشواهد الموفورة، على أن الإمام الرازي قد أكمل تفسيره حتّى النهاية، اللهم إلا بعض التعليق ممّا أضيف إليه بعد ذلك، فالحق بالمتن في الاستساعات المتأخّرة.

ونذكر شاهداً على ذلك أنّه عند تفسير الآية رقم (٢٢) من سورة الزمر (رقمها ٣٩ ورقم سورة الأنبياء (٢١) في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^٢ يقول: واعلم أنا بالفنا في تفسير سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ بِشْرَحِ صَدْرِهِ لِلْإِسْلَامِ﴾^٣ في تفسير شرح الصدر، وفي تفسير الهداية^٤. وأمثال هذه العبارة كثيرة في القسم المتأخّر من التفسير.

عنايته بأهل البيت

له عناية خاصّة بأل بيت الرسول ﷺ يذكرهم بإجلال وإكبار، ويفخّم من شأنهم؛ ممّا ينبؤك عن ولاء متين بالنسبة إلى العترة الطاهرة، الذين هم عدل القرآن العظيم. تجده يقول عند الكلام عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم: وأما أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية، فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: «اللهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار». ثمّ يقول عند ترجيحه للقول بوجوب الجهر: إن راوي قولنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأخيراً يقول: وعمل عليّ بن أبي طالب عليه السلام معنا، ومن اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه^٥.

١. الزمر (٣٩): ٢٢.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

٣. راجع: تفسیر الكبير، ج ٢٦، ص ٢٦٥-٢٦٦.

٤. الأنعام (٦): ١٢٥.

٥. راجع: تفسیر الكبير، ج ١، ص ٢٠٤-٢٠٧ (تفسير سورة الفاتحة).

و من دأبه تعقيب أسماء أئمة أهل البيت بـ«السلام عليهم» كتعقبه لاسم النبي ﷺ. وقد عرفت تعقيب اسم عليّ بـ«السلام عليه»، وهكذا في تعقيب أسماء سائر الأئمة. هو عندما يروي عن الإمام جعفر بن محمد، يصفه أولاً بـ«لقبه الفخيم «الصادق» ثم يعقبه بـ«السلام عليه». قال في تفسير النعيم: قال جعفر بن محمد الصادق السلام عليه: النعيم: المعرفة والمشاهدة، والجحيم: ظلمات الشهوات^١.

وفي كثير من عباراته: محمد السلام عليه، عليّ السلام عليه على سواء، راجع تفسيره لسورة النصر^٢. وهكذا نجده يذكر أئمة أهل البيت بإكبار وإجلال، هو عند ما يتعرض لوفرة ذرية الرسول في تفسير سورة الكوثر، يقول: انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء، كالباقر والصادق والكاظم والرضا السلام عليهم، والنفس الزكية وأمثالهم^٣ والذي يجلب النظر أنه عقب أسماء الأئمة الأربعة فقط بـ«السلام عليهم»، الأمر الذي يدلّ بوضوح على مبلغ تشيّمه لآل البيت ﷺ.

هو عند ما يتعرض لآية المتعة من سورة النساء (٢٤) يقول: إنها نسخت في حياة الرسول ﷺ، و يقول: إنا لا ننكر أنّ المتعة كانت مباحة، إنّما الذي نقوله: إنها صارت منسوخة. و يقول بصدد نهي عمر عنها: إنه لو كان مراده أنّ المتعة كانت مباحة في شرع محمد ﷺ وأنا أنهى عنها، لزم تكفيره و تكفير كلّ من لم يحاربه و ينازعه، ويُفصي ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين؛ حيث لم يحاربه و لم يردّ ذلك القول عليه^٤.

المقصود من «أمير المؤمنين» هو الإمام عليّ بن أبي طالب ؑ يصفه بهذا اللقب الفخم أيام عهد عمر، و يعتقد في شخصيته الكريمة حراسة لدين الله و حفظاً لحدوده، الأمر الذي جرى عليه أهل الولاء لهذا البيت الرفيع، وهكذا تعتقد الشيعة الإمامية في أئمتها الأطهار. و هكذا تمثله بأبيات شعرية تُتوّه من شأن أهل البيت ﷺ في كثير من مواضع تفسيره، منها: استشهاده بشعر حسّان بن ثابت، لغرض بيان أنّ السجدة ليوسف إنّما كان من جهة

١. المصدر نفسه، ج ٣١، ص ٨٥.

٢. المصدر نفسه، ج ٣٢، ص ١٥٣.

٣. المصدر نفسه، ج ١١٠، ص ٥٣-٥٤.

٤. المصدر نفسه، ص ١٢٤.

أنهم جعلوه قبلة في سجودهم، واستشهد لذلك بقوله:

ما كنت أعرف أن الأمر متصرف عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
أليس أوّل من صلّى لقبلكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن^١

ولا يخفى لطف الاستشهاد بهذين البيتين في محتواهما الرفيع

وأما ما تجده أحياناً من تعامله على الشيعة وربما عنهم بعنوان «الروافض»^٢ فلعله من عمل النُّسَاح؛ إذ لا يليق بقلم كاتب أديب، وعلامة أريب أن يهدر في سفه الهذر، من يُعَنِّ بالحمد لا ينطق بما سفه، ولم يحد عن سبيل العلم والأدب.

ذكر عند تفسير آية المودة تقيلاً عن صاحب الكشاف الحديث المعروف: «من مات على حبِّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبِّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبِّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حبِّ آل محمد مات مؤمناً، مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله.»

قال بعد نقل ذلك: وأنا أقول: آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

وأيضاً اختلف الناس في «الآل» فقيل: هم الأتارب، وقيل: هم أمته. فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل. وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه! وروى صاحب الكشاف: أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله ﷺ من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: «عليّ وفاطمة وابناهما»، فثبت أن هؤلاء

٢. راجع: المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢١ و ٢٩.

١. المصدر نفسه، ج ١٨، ص ٢١٢.

الأربعة أقارب النبي ﷺ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم. و يدلّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق:

الثاني: لا شك أن النبي ﷺ كان يُحبّ فاطمة رضي الله عنها قال ﷺ: «فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها». و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمة مثله، لقوله: ﴿وَأَتَّبِعُوا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^١ ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^٢. ولقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^٣. ولقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^٤.

الثالث: إن الدعاء «للال» منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمد وأل محمد»، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل. فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمد واجب. وقال الشافعي رحمه الله:

يا راكباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى فيضاً كملتطم الفرات الفاض
[أعلمهم أن التشيع مذهبي إنني أقول به ولست بناقض]
إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي^٥

وقال ابن حجر المصنف عن ابن خليل السكوني في كتابه «الرد على الكشاف» أنه أسند عن ابن الطباخ: أن الفخر كان شيعياً، يقدم محبة أهل البيت، كمحبة الشيعة، حتى قال في بعض تصانيفه: «وكان عليّ رضي الله عنه شجاعاً بخلاف غيره»^٦.

١. الأعراف (٧): ١٥٨.

٢. النور (٢٤): ٦٣.

٣. آل عمران (٣): ٣١.

٤. الأحزاب (٣٣): ٢٦.

٥. الظهير الكبير، ج ٢٧، ص ١٦٥-١٦٦. صحّنا الآيات وأكملناها على المأثور من شعره.

٦. لسان المبرزين، ج ٤، ص ٤٢٩.

وقال الطوفي: إنّه يورد شبه المخالفين في المذهب، على غاية ما يكون من القوّة والتحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنّة والحقّ على غاية من الوهاء (أو الدهاء). قال: وبعض الناس يتّهمه في هذا، وينسب ذلك إلى أنّه كان ينصر بهذا الطريق، ما يعتقد، ولا يجسر على التصريح به^١.

وقال الشيخ محمّد بهاء الدين العامليّ في حوادث شهر شوّال، يوم عيد الفطر: «وفيه سنة ستّ وستّ مائة، توفيّ فخر الدين الرازيّ، الملقّب بالإمام، وأصله من مازندران، وولد بالريّ، وكان يميل إلى التشييع، كما لا يخفى على من تصفّح تفسيره الكبير. وقبره بمدينة هرات»^٢.

إمام المشكّكين

ومّا اختصّ به الإمام الرازيّ خوضه في أنحاء المسائل، من أدب وكلام وفلسفة وأصول، ولكنّه لا يخرج منها في الأكثر إلّا ويترك وراءه لمة من تشكيكات وإيهامات في وجه المسألة، إنّه ربّما أثار إشكالات أو إشكالات، لكنّه لا يجيب عليها إلّا إجابات ضعيفة وموهونه، يترك القارئ في حيرة، هل إنّ مثل الإمام الرازيّ عاجز عن الإجابة لمثل تلك المسائل، أم هناك تعمد لغرض تقرير الإشكال حسب نظره؟!

المعروف عن الرازيّ أنّه أشعريّ المذهب في أصول العقيدة، جبريّ ظاهريّ، لكنّه عند عرضه لمسائل الكلام، يقرّر من مذاهب الخلاف بما يضعف به المذهب الأشعريّ أحياناً، وربّما إلى حدّ الوهن والافتضاح.

قال نجم الدين الطوفيّ البغداديّ - من أعلام القرن السابع -: وأجمع ما رأيته من التفاسير لغالب علم التفسير كتاب القرطبيّ، وكتاب مفاتيح الغيب للإمام الرازيّ، ولعريّ كم فيه من زلّة وعيب. وحكى لي الشيخ شرف الدين النصيبيّ المالكيّ: أنّ شيخه الإمام

١. الأكبر في علم التفسير للطوفيّ، ص ٢٦؛ لسان الميزان، ج ٤، ص ٤٢٨.

٢. راجع: رسالته الوجيزة ففوض المقامه، ص ٢٥، المطبوعة ضمن رسائل باسم «المجموعة الثانية»، ص ٥٨٢، من مطبوعات مكتبة المرعشيّ بقم.

الفاضل سراج الدين المغربي صَنَّف كتاب المآخذ على مفاتيح الغيب وبيَّن فيه من البهرج والزيف في نحو مجلدين، وكان ينقم عليه كثيراً، خصوصاً إيرادهُ شُبُه المخالفين في المذهب والدين، على غاية ما يكون من القوة، وإيراد جواب أهل الحقِّ منها على غاية ما يكون من الدهاء. قال الطوفي: ولعمري إنَّ هذا لدأبه في غالب كتبه الكلامية والحكيمة، كالأزمين، والمحصِّل، والنهاية، والمعالم، والمباحث المشرقية، ونحوها. وبعض الناس يتهمه في هذا وينسبه إلى أنه ينصر بهذا الطريق ما يعتقد، ولا يجسر على التصريح به.

وقال في سبب ذلك: إنَّه كان شديد الاشتياق إلى الوقوف على الحقِّ - كما صرَّح به في وصيته التي أملاها عند موته - فلهذا كان يستفرغ وسعه، ويكذِّ قريحته في تقرير شبه الخصوم، حتَّى لا يبقى لهم بعد ذلك مقال، فتضعف قريحته عن جوابها على الوجه، لاستفراغه قوتها في تقرير الشبه. ونحن نعلم بالنفسية الوجدانية، أن أحدنا إذا استفرغ قوَّة بدنه في شغل ما من الأشغال، ضعف عن شغل آخر، وقوى النفس على وزن قوَّى البدن غالباً. وقد ذكر في مقدِّمة كتاب نهاية المقول ما يدلُّ على صحَّة ما أقول؛ لأنَّه التزم فيه أن يقرِّر مذهب كلِّ خصم، لو أراد ذلك الخصم تقريره، لما أمكنه الزيادة عليه أو أوفى بذلك. ولهذا السبب قرَّر في كتاب الأزمين أدلَّة القائلين بالجهة، ثمَّ أراد الجواب عنها، فما تمكَّن منه على الوجه، فغالط فيه في موضعين قبيحين، ذكرهما في مواضع كثيرة^١.

ومما بحث على أصول مذهبه الأشعري في ظاهر الأمر ما ذكر عند تفسير الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٢. قال: احتجَّ أهل السنَّة - يعني بهم الأشاعرة - بهذه الآية وكلِّ ما أشبهها من قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣، وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا - إِلَىٰ قَوْلِهِ -

١. الإكسر في علم التنزيل، ص ٢٦-٢٧، تحقيق عبد الفادر حسين.

٢. يس (٣٦): ٧.

٣. البقرة (٢): ٦.

بِأَرْهَفُهُ صَعُوداً»^١، وقوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ»^٢ احتجوا بأمثال هذه الآيات على جواز تكليف ما لا يطاق.

ثم أخذ في تقرير هذا الاحتجاج من وجوه خمسة:

أولاً: أنه تعالى أخبر عن أشخاص معينين أنهم لا يؤمنون قط، فلو صدر منهم الإيمان، لزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذباً.

و ثانياً: أنه تعالى لما علم منهم الكفر، فكان صدور الإيمان منهم مستلزماً لانقلاب علمه تعالى جهلاً.

و ثالثاً: أن وجود الإيمان يستحيل أن يوجد مع العلم بعدم الإيمان؛ لأنه إنما يكون علماً لو كان مطابقاً للمعلوم، والعلم بعدم الإيمان إنما يكون مطابقاً لو حصل عدم الإيمان، فلو وجد الإيمان مع العلم بعدم الإيمان، لزم أن يجتمع في الإيمان كونه موجوداً و معدوماً معاً، وهو محال، فالأمر بالإيمان مع وجود علم الله تعالى بعدم الإيمان، أمر بالجمع بين الضدين، بل بالجمع بين العدم والوجود، وكل ذلك محال.

ورابعاً: أنه تعالى كلف هؤلاء -الذين أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون- بالإيمان ألبتة، والإيمان يعتبر فيه تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه، ومما أخبر عنه أنهم لا يؤمنون قط، فقد صاروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون قط، وهذا تكليف بالجمع بين النفي والإثبات.

و خامساً: أنه تعالى عاب الكفار على أنهم حاولوا فعل شيء على خلاف ما أخبر الله عنه في قوله «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ فُلْ لَنْ نُجِيبَهُنَّ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ كَذَّبْتُمْ فَلَمْ تَتَّبِعُوا كَلَامَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ»^٣

فنبت أن القصد إلى تكوين ما أخبر الله تعالى عن عدم تكوينه، قصد لتبديل كلام الله، وذلك منهية عنه. و هاهنا أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون ألبتة، فمحاولة الإيمان منهم تكون قصداً إلى تبديل كلام الله، وذلك منهية عنه. وترك محاولة الإيمان يكون أيضاً

٢. المسد (١١١): ١.

١. المذثر (٧٤): ١٧، ١١.

٣. الفتح (٤٨): ١٥.

مخالفة لأمر الله تعالى، فيكون الذمّ حاصلًا على الترك والفعل.

قال: فهذه هي الوجوه المذكورة في هذا الموضوع. وهذا هو الكلام الهادم لأصول الاعتزال. ولقد كان السلف والخلف من المحققين معولين عليه في دفع أصول المعتزلة وهدم قواعدهم. ولقد قاموا -أي المعتزلة- وقعدوا واحتالوا على دفعه فما أتوا بشيء مقنع.



هذه هي الوجوه الخمسة التي زعم منها دلائل ثابتة تدعم نظرية أصحابه في جواز التكليف بغير المستطاع، وحسب أنّ خصومهم أصحاب الاعتزال عجزوا عن ردّها مهما أتوا من حول وقوة.

في حين أنّ آثار الوهن بادية عليها، لأنّ أساسها العلم الأزليّ الإلهيّ المتعلّق بعدم إيمان الكافر الجاحد. والحال أنّ العلم مهما يكن فإنّه ليس سبباً لوقوع المعلوم، بل إنّ وقوع المعلوم في وقته سبب لحصول هذا العلم، فالعلم تبع للمعلوم. فلو فرض أنّهم كانوا يؤمنون؛ لكان العلم حاصلًا بإيمانهم. فليس العلم القديم أصلاً، بل هو فرع تحقّق المعلوم في حينه المتأخّر، كما قال أبو الحسين البصريّ: إنّ العلم تبع للمعلوم، فإذا فرض الواقع من العبد الإيمان، عرف أنّ الحاصل في الأزلّ لله تعالى هو العلم بالإيمان، والعمدة أنّ العبد مختار في الكفر والإيمان، فأبى منهما تحقّق منه، علمه الله في الأزلّ، وليس علمه تعالى سبباً قهرياً يسلب عن العبد اختياره في العمل.

وهذا واضح لمن تدبّر، ولا أظنّ خفاءه على مثل الإمام الرازيّ صاحب الذهنية الوقادة، ولكن تظاهراً بالدفاع عن مذهبه الرسميّ المفروض عليه من قبل السلطات، دعاه إلى ذكر مثل هذه الوجوه البادي عليها الضعف والوهن. وتماشياً مع الجوّ الحاكم أجبر على الانسجام مع الوضع الراهن.

ومن ثمّ نراه -عند ما يذكر دلائل أصحاب الاعتزال- نراه يذكرها بقوة ودقّة وإحاطة وتفصيل، بما لا يدع مجالاً في إمكان قبول تلكم الوجوه الأشعرية.

ذكر دلائل أهل الاعتزال في ثلاث مقامات، **أولاً**: عدم المانع من الإيمان والكفر، وثانياً: أن العلم لا يوجب منعاً في العمل، الثالث: نقض تلکم الوجوه الخمسة. ذكرهن بإسهاب و تفصيل، تقتطف منها ما يلي:

قال: وأنا أذكر أقصى ما ذكره أصحاب الاعتزال بعونه تعالى و توفيقه. و ذكر وجوهاً خمسة، في المقام الأول؛ و خلاصتها: أن القرآن مملوء من الآيات الدالة على أنه لا مانع لأحد من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾^١، و ﴿مَاذَا عَلِيمٌ لَوْ أَنشَاءُ﴾^٢، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣.

قال صاحب ابن عباد: كيف يأمر العبد بالإيمان و قد منعه عنه؟! و ينهيه عن الكفر و قد حمّله عليه!؟

و أيضاً فإن الله تعالى قال: ﴿رُسُلًا مُّبْتَلِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^٤، و قال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا إِنَّمَا كُنَّا لَوْمَاتِنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِهِ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَحْزَىٰ﴾^٥.

فلما بين تعالى أنه ما أبقى لهم عذراً إلا و قد أزاله عنهم، فلو كان علمه بكفرهم و خبره عن كفرهم مانعاً لهم عن الإيمان، لكان ذلك من أعظم الأعدار، كما أن الذم على الكفر و الجحود، هو خير دليل على اختياريته، و عدم وجود مانع قاهر عن الإيمان.

و ذكر في المقام الثاني وجوهاً عشرة على أن المعلوم لا ينقلب عمّا هو عليه بسبب العلم؛ لأن العلم إنما يتعلّق بالمعلوم على ما هو عليه، فإن كان ممكناً عَلِمَهُ ممكناً، و إن كان واجباً علمه واجباً، و لا شك أن الإيمان و الكفر كلّ واحد بالنظر إلى ذاته ممكن الوجود، فلو صار واجباً بسبب العلم، كان العلم مؤثراً في المعلوم، و هو باطل بالضرورة. و أيضاً فإن الله تعالى قال: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رُسْعَهَا﴾^٦ و قال: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي

١. النساء (٤): ٣٩.

١. الإسراء (١٧): ٩٤.

٢. النساء (٤): ١٦٥.

٣. الأنشاق (٨٤): ٢٠.

٤. البقرة (٢): ٢٨٦.

٥. طه (٢٠): ١٣٤.

الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ^١ و قال: «و يَصْعُقُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَهْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ»^٢ فكيف يكلف الله العبيد ما لا يطيقون؟!

و في المقام الثالث، نقل عن القاضي عبد الجبار جواب المعتزلة عن الأشاعرة، و تخطئة انقلاب العلم جهلاً و الصدق كذباً. قال الكعبي و أبو الحسين البصري: إن العلم تبع المعلوم، فإذا قرضت الواقع من العبد الإيما ن عرفت أن الحاصل في الأزل لله تعالى هو العلم بالإيما ن، و متى قرضت الواقع منه هو الكفر بدلاً عن الإيما ن عرفت أن الحاصل في الأزل هو العلم بالكفر بدلاً عن الإيما ن. فهذا فرض علم بدلاً عن علم آخر، لا أنه تغيّر العلم. قال الإمام الرازي: فهذا الجواب هو الذي اعتمده جمهور المعتزلة.

قلت: و قد عرفت قوّة استدلالهم، و ضعف دلائل خصومهم، غير أن الإمام الرازي ترك و هن تلك الوجوه و قوّة هذه الدلائل بمعرض القارئ و مسمعه، ليحكم هو حسب ذهنيته النظرية الحاكمة بأن العبد مختار في فعله. و الله تعالى لا يكلف بما لا يُستطاع، الأمر الذي يجعل من دلائل أهل الاعتزال هي الكفة الراجحة، و هذا شيء فعله الإمام الرازي، عن حسن نية و عن عمد فعله - حسب الظاهر - إذ الظاهر أنه ليس الظن بمذاهب أصحابه الأشعريين.

و مما يدلّك على ذلك، أنه لم يطعن في دلائل أهل الاعتزال، و ذكرها تامّة وافية، كما هي عادته في كل أمر يعتقد صحيحاً.



ثمّ إنّه بعد إيراد دلائل الطرفين، أورد شبهاته في المسألة و ذكر مقالات تشكيكية، و أسندها إلى أهل التشكيك، ممّن فرضهم أهل العناد في مسائل الكلام. قال: و اعلم أن هذا البحث صار منشأً لضلالات عظيمة، فمنها: أن منكري التكليف و النبوات قالوا: قد سمعنا كلام أهل الجبر - يعني بهم الأشاعرة - فوجدناه قوياً قاطعاً.

وهذان الجوابان اللذان ذكرهما المعتزلة يجريان مجرى الخرافة، ولا يلتفت العاقل إليهما وسمعنا كلام المعتزلة في أنّ مع الجبر يقبح التكليف، والجواب الذي ذكره أهل الجبر ضعيف جداً، فصار مجموع الكلامين كلاماً قوياً في نفي التكليف، ومتى بطل ذلك بطل القول بالنبوات.

هكذا يُلقى التشكيك، عند عرض الآراء، سواء المخالف أم المؤلف.

ثمّ يذكر مطاعن أخر وجهها الطاعنون في القرآن وفي الإسلام، على أثر هذه المناظرة بين أهل الجبر والقدر، ويستنتج: أنّ الرجوع إلى العقليات يورث الكفر والضلال، ولهذا قيل: من تعمّق في الكلام تزندق.

ثمّ يذهب في تشكيكاته حيث يشاء، ويذكر في أثنائها حكاية طريفة يرويها عن ابن عمر، أنّ رجلاً قام إليه فقال: يا أبا عبد الرحمان إنّ أقواماً يعملون الكيثر ويقولون: كان ذلك في علم الله فلم نجد بُدّاً منه. ففضب و قال: سبحان الله، قد كان في علمه أنّهم يفعلونها، فلم يحملهم علم الله على فعلها. حدّثني أبي أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلمتكم، والأرض التي أقلتكم. فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض، فكذلك لا تستطيعون الخروج عن علم الله تعالى، وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب، فكذلك لا يحملكم علم الله تعالى عليها.

والمقصود: أنّ علمه تعالى الأزلي محيط بأفعال العباد، ولكن من غير أن يكون علمه تعالى سبباً وعلّة في إيجادها؛ لأنّ علمه تعالى السابق، تبع لعمل العبد اللاحق، فكيفما يعمل يعلمه تعالى من غير أن يكون هذا العلم مؤثراً في إرادة العبد.

وهذا المعنى الواضح، لم يدركه مثل الإمام الرازي؟ ولعلّه تظاهر بعدم الفهم اقال تعقيباً على هذه الحكاية: إنّ في الأخبار التي يرويها الجبرية والقدرية كثرة، والغرض من رواية هذا الحديث بيان أنّه لا يليق بالرسول ﷺ أن يقول مثل ذلك؛ لأنّه متناقض وفساد، أمّا المتناقض فلأنّ الصدر يدلّ على الجبر، والذيل صريح في القدر. وأمّا أنّه فاسد فلأنّ العلم بعدم الإيمان وجود الإيمان متافيان، فالتكليف بالإيمان مع وجود

العلم بعدمه تكليف بالجمع بين النفي والإثبات^١.
قلت: ولعل إمامنا الرازي طاعن في ضلاله القديم أو متظاهر بذلك.



ومن ذلك أيضاً، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: «قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُخَوِّنُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ»^٢.

قال: احتج أصحابنا بهذه الآية في بيان أنه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه، وتقريره: أن إبليس استمهل الزمان الطويل فأمهله الله تعالى، ثم بين أنه إنما استمهله لإغواء الخلق وإضلالهم وإلقاء الوسواس في قلوبهم، وكان تعالى عالماً بأن أكثر الخلق يطيعونه ويقبلون وسوسته، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيحًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^٣ فثبت بهذا أن إظهار إبليس وإمهاله هذه المدة الطويلة يقتضي حصول المفاسد العظيمة والكفر الكبير، فلو كان تعالى مراعيًا لمصالح العباد لامتنع أن يمهلهم وأن يمكّنهم من هذه المفاسد، فحيث أنظره وأمهله، علمنا أنه لا يجب عليه شيء من رعاية المصالح أصلاً.

ومما يقوي ذلك أنه تعالى بعث الأنبياء دعاء إلى الخلق، وعلم من حال إبليس أنه لا يدعو إلا إلى الكفر والضلال، ثم إنه تعالى أمات الأنبياء الذين هم الدعاء للخلق، وأبقى إبليس وسائر الشياطين الذين هم الدعاء للخلق إلى الكفر والباطل، ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك.

قالت المعتزلة: اختلف شيوخنا في هذه المسألة، فقال الجبائي: إنه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه، ولا يضلّ بقوله أحد إلا من لو فرضنا عدم إبليس لكان يضلّ أيضاً. والدليل عليه قوله تعالى: «مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ»^٤؛ ولأنه لو ضلّ به أحد لكان بقاؤه مفسدة. وقال أبو هاشم: يجوز أن يضلّ به قوم، ويكون خلقه جبارياً

١. راجع: التفسير الكبير، ج ٢، ص ٤٢-٤٧.

٢. الأعراف (٧): ١٤-١٦.

٣. الصافات (٣٧): ١٦٢-١٦٣.

٤. سبأ (٣٤): ٢٠.

مجري خلق زيادة الشهوة، فإنَّ هذه الزيادة من الشهوة لا توجب فعل التبيح إلاَّ أنَّ الامتناع منها يصير أشقَّ، ولأجل تلك الزيادة من المشقَّة تحصل الزيادة في الثواب، فكذا هنا بسبب إبقاء إبليس يصير الامتناع من القبائح أشدَّ وأشقَّ، ولكنَّه لا ينتهي إلى حدِّ الإلجاء والإكراه.

و أجاب الرازي: أنَّ الشيطان لا بدَّ أن يزيِّن القبائح، ومعلوم أنَّ حال الإنسان مع هذا التزيين لا يكون مساوياً مع عدمه. فحصول هذا التزيين يوجب الإقدام على القبائح، وهو إلقاء في المفسدة. ومسألة الزيادة في الشهوة حجةٌ أخرى لنا في أنَّ الله لا يراعي مصلحة العباد بسبب خلق تلك الزيادة في شهوة الإنسان، وحصول الزيادة في الثواب لا حاجة إليه؛ حيث دفع العقاب المؤبد من أعظم الحاجات، فلو كان إله العالم مراعيًا لمصالح العباد لاستحال أن يهمل الأكمل الأعظم؛ لطلب الزيادة التي لا حاجة إليها ولا ضرورة!

انظر كيف فضح أصحابه بهذا النمط من البحث، والغرض في مسألة تمسُّ جانب حكمته تعالى، فينفي كونه تعالى حكيمًا لا يفعل إلاَّ عن مصلحة، والمصلحة التي يراعيها الخالق تعالى إنما تعود إلى العباد أنفسهم؛ حيث في ذاته تعالى الغناء المطلق. كما أنَّه يتنافى وقاعدة اللطف الناشئة عن مقام حكمته تعالى، بفعل ما يقرب العباد إلى الطاعة، ويعتد بهم عن المعصية. وهو أساس التشريع وبعث الأنبياء وإنزال الكتب، الأمر الذي يعترف به الإمام الرازي.

نعم، لا شكَّ أنَّه تعالى حكيم لا يفعل إلاَّ عن مصلحة تعود إلى العباد أنفسهم؛ حيث إنَّه تعالى غنيٌّ بالذات.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ﴾^١.
فقد كان الله تعالى عزيزاً لا يُغالب على أمره، لكنَّه لا يفعل إلاَّ ما تقتضيه حكمته،

مراعياً فيها مصلحة العباد. فقد كان في مصلحتهم بعث الرسل والأنبياء وإنزال الشرائع، وكان في طبيعتهم اقتضاء ذلك. فقد أجاب طلبهم إتماماً للحجة عليهم، فلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وقد جاء في القرآن حوالي ثمانين موضعاً، جاء التصريح فيها بأنه تعالى حكيم عليم، وحكيم خبير، وعزيز حكيم؛ مما ينبؤك عن علم وحكمة لا يفعل شيئاً إلا عن إحاطة وقدرة وحكمة شاملة.

وأما مسألة خلق إبليس وإمهاله وتسليطه على إغواء الناس، فهذا أمر يعود إلى مصلحة النظام القائم في الخلق، لا شيء إلا وهو واقع بين قطبين: سلب وإيجاب، جذب ودفع؛ وبذلك استوى الوجود. فلولا دوافع الشرور، لم يكن في الانتدفاع نحو المطلوب الخير كثير فضل، بل لم يكن هنا اندفاع نحو الخير؛ حيث لا دفاع إلى الشر.

فالإنسان واقع بين دوافع الخير ودوافع الشر على سواء، وهو مختار في الانجذاب إلى أيهما شاء، ويملك قدرته في الاختيار وعقله وإرادته التامة في اختيار الخير أو الشر. فإذا اختار الخير فعن إرادته وتحكيم عقله فكانت فضيلة، وإذا اختار الشر فعن إرادته والاستسلام لهوى نفسه فكانت رذيلة. ولا فضيلة ولا رذيلة إلا إذا كانت هنا دوافع للخير وللشر معاً، وكان الإنسان يملك إرادته في الاختيار.

أما الشيطان فلا سلطة له على الإنسان سوى دعوته وبعثه إلى فعل الشرور ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^١، نعم كان كيد الشيطان ضعيفاً^٢. وأن الله لهو القوي العزيز^٣ ﴿كَتَبَ اللَّهُ تَأْخِذًا لَكُمْ وَأَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^٤، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٥.

١. إبراهيم (١٤): ٢٢.

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، النساء (٤): ٧٦.

٣. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ هُوَ أَعَزُّ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ﴾، هود (١١): ٦٦.

٤. المجادلة (٥٨): ٢٦. ٥. غافر (٤٠): ٥١.

و عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^١.

نراه يبحث عن مسائل الإمامة على مذهب الشيعة الإمامية، واشتراطهم العصمة في إمام المسلمين، ويذكر حججهم القاطعة في المسألة، ثم يجيب عليها لا بتلك القوة والتمتانة.

قال عند الكلام عن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: احتج الروافض بهذه الآية على القدح في إمامة الشيخين؛ حيث كانا كافرين وكانا حال كفرهما ظالمين؛ لأنّ الشرك ظلم عظيم. فوجب أن يصدق عليهما في تلك الحالة: أنّهما لا ينالان عهد الإمامة ألبتة، وأيضاً فإنّهما لعدم عصمتهما حال الإمامة، كانا غير صالحين لها.

ثم حاول الإجابة على ذلك من وجهين: أحدهما: أنّ الاستدلال مُبْتَنِيٌّ عَلَى كَوْنِ الْمَشْتَقِّ حَقِيقَةً فَيَمُنُ انْقِضَى عَنْهُ الْمَبْدَأُ، كَمَا هُوَ حَقِيقَةٌ فَيَمُنُ تَلَبَّسَ. وليس الأمر كذلك؛ لأنّ المشتقَّ حَقِيقَةٌ فَيَمُنُ تَلَبَّسَ بِاتِّفَاقِ الْأَصُولِيِّينَ؛ وَ لَا يَصْدُقُ عَلَى مَنْ انْقَضَى عَنْهُ الْمَبْدَأُ. وَ الثَّانِي: أَنَّ الْعِرَادَ بِالْإِمَامَةِ هُنَا هِيَ النَّبُوَّةُ، فَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ طَرَفَةً عَيْنٍ فَإِنَّهُ لَا يَصْلِحُ لِلنَّبُوَّةِ^٢.

لكنّ استدلال الإمامية لا يتوقف على كون المشتقَّ حَقِيقَةً فِي الْأَعْمَ مَعَّنَ تَلَبَّسَ أَوْ انْقَضَى عَنْهُ الْمَبْدَأُ، بَلْ كَمَا صَرَّحَ هُوَ أَيْضاً: إِنَّهُ فِي حَالِ التَّلَبَّسِ يَتَوَجَّهُ الْخُطَابُ بِعَدَمِ اللَّيَاقَةِ. وَ النَّفْيُ تَأْيِيدٌ شَمَلَ الظَّالِمَ وَ وَصَمَهُ بِوَصْمَةِ الْعَارِ: أَنَّهُ غَيْرُ صَالِحٍ لِلْإِمَامَةِ أَبَدًا. وَ مِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْكَافِرَ لَا يَصْلِحُ لِلنَّبُوَّةِ حَتَّى وَ لَوْ تَابَ وَ آمَنَ، وَ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ سِوَى شَمُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، حَسْبَمَا صَرَّحَ بِهِ الرَّازِي نَفْسَهُ. إِذَنْ فَالْآيَةُ صَالِحَةٌ لِسَلْبِ الصَّلَاحِيَّةِ أَبَدًا مَعَّنَ كَفَرَ وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ طَرَفَةً عَيْنٍ.

فمن كفر بالله و أشرك فقد ظلم ربّه و ظلم نفسه، و الظالم مسلوب الصلاحية أبداً، حتّى

بعد توبته وإيمانه أيضاً؛ إذ يتوجّه إليه حينذاك - أي حين ظلمه - لا ينالك عهدي أيها الظالم الخائن لربه. وهو نفي تأييد مترتب على ظلم، صادر من المكلف. وهذا من خاصية الظلم؛ حيث يترتب عليه حكم عام، نظير السرقة يترتب عليها حكم القطع، فيجب إجراؤه سواء حال سرقة أم بعدها. نعم إذا تاب السارق قبل إمكان القبض عليه، فإنّه يسقط حكم القطع، ولكنه بدليل خاص، وإلا كان الحكم ثابتاً على عمومه.

و مسألتنا الحاضرة من هذا القبيل، أي من قبيل السرقة والزنى وشرب الخمر، ثبت أحكامها بمجرد الصدور وصدق الموضوع خارجاً، ويدوم حتى الإجراء.

فقوله تعالى: الظالم لا يناله عهدي، نظير قوله: السارق يُقطع يده، والزاني يُجلد، والشارب يُحدّ، يجري الحكم بعد انقضاء المبدأ، ولا يختص بحال التلبس.

و الإمامة - هنا - شيء وراء النبوة، وهو القدوة للناس، التي ليست سوى إمامة الأمة مطلقة؛ لأنّ هذه الإمامة إنّما جاءت إبراهيم، حال كونه نبياً، فهي رتبة الإمامة جاءته بعد النبوة، ومن ثمّ فإنّها تشمل الخلافة التي هي إمامة عامّة.

وإذا كانت الإمامة بهذا المعنى لا تنال من كفر بالله طرفه عين، فلا يصلح للإمامة إلا من كان معصوماً من الخطأ والزلل.

و دليل آخر تمسك به الإمامية، أغفله الرازي، وهو: أنّ هذه الآية نفت صلاحية من كان يظلم نفسه، ولو بار تكاب الكبائر، غير الكفر والشرك. فمن يحتمل في شأنه ارتكاب المعصية - أي لم يكن معصوماً - لم يطمئنّ خروجه عن شمول الآية بنفي لياقة الإمامة. ومن ثمّ فإنّه يشترط في الإمام سواء النبي أم خليفته أن يكون معصوماً.

مباحث تافهة

و هناك تجد في هذا التفسير الضخم الفخم بعض أبحاث تافهة، لا تمسّ مسائل الإنسان في الحياة، ولا تفيده علماً ولا عملاً، تعرّض لها الإمام الرازي، وأظنه قد تفكّه بها، ولم يردها عن جدّ عقلائي، هذا فضلاً عن تلكم المجادلات الضعيفة التي أضع بها

كثيراً من صفحات تفسيره، ولقد كان الكفّ عنها أجدر.

من ذلك تفصيله الكلام حول مسألة تافهة للغاية، وهي: المسألة السادسة، في أنّ السماء أفضل أم الأرض؟! و يأتي لتفضيل كلّ منهما بوجوه^١.

وهكذا عند تفسير قوله: «السماء بناء» يأتي في المسألة الثانية بفضائل السماء من وجوه خمسة. ثمّ يأتي في المسألة الثالثة بفضائل السماء، و بيان فضائل ما فيها من الشمس والقمر والنجوم، و يذكر لكلّ منها وجوهاً من فضائل^٢.

و يهكذا أمور لا طائل تحتها يسوّد كثيراً من صفحات تفسيره، الأمر الذي يدلّ على فراغ و جدّة كان يتمتّع بهما مفسّرنا الخبير.

وربّما يردّ المسائل، هي بالهزل أشبه منه إلى الجدّة ممّا لا يتناسب و مقام علميّة الرفيعة.

مثلاً: عند تفسير قوله تعالى: «فَهَرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»^٣ يحاول توجيه نزول القرآن في شهر رمضان -ليلة القدر- نزوله الدفعيّ جملة إلى سماء الدنيا، ثمّ نزوله التدريجيّ إلى الأرض نجومياً. يقول: إنّما جرت الحال على ذلك لما علمه الله من المصلحة، فإنّه لا يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكّان سماء الدنيا مصلحة، أو كان فيه مصلحة للرسول ﷺ في توقّع الوحي من أقرب الجهات، أو كان فيه مصلحة لجبرئيل؛ حيث كان هو الأمور بإنزاله و تأديته^٤.

تفسير البيضاويّ (أنوار التنزيل و أسرار التأويل)

المؤلّف هو القاضي ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمّد بن عليّ، البيضاويّ الشافعيّ، نسبة إلى بيضاء، مدينة كانت مشهورة بفارس، بينها و بين شيراز ثمانية فراسخ، وليّ قضاء شيراز، و كان إماماً بارزاً نظاراً خبيراً كما قال السبكيّ توفيّ سنة

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦، حول الآية رقم (٢٠) من سورة البقرة.

٢. المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٩.

٣. البقرة (٢): ١٨٥.

٤. التفسر الكبير، ج ٥، ص ٩٣.

(٦٨٥ هـ). له مصنّفات جيّدة أهمّها هذا التفسير الذي اعتمد فيه على تفسير الكشاف للزمخشري.

وهو تفسير جيّد لطيف، جمع فيه بين حسن العبارة وقوّة البيان، ومن ثمّ اعتمده كثير من المفسّرين، كالمولى الفيض الكاشاني في تفسيره المصافي، وله نظرات وآراء دقيقة في حلّ معضلات الآيات، هو عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ من سورة الحمد، يتوّع الهداية إلى مراحل أربعة، مترتبة بعضها إثر بعض، فإنّما يسأل العباد النيل إلى مراتب أعلى من هداية الله للعباد. وهذا تفسير طريف يوجّه سؤال الهداية في أمثال هذه الآية، ربّما لم يسبقه إليه أحد من المفسّرين.

يقال: إنّه أشعريّ المسلك، ومن ثمّ إنّه أخذ من تفسير الكشاف كثيراً، لكنّه ترك ما فيه من اعتزال، وهذا غير صحيح؛ لأنّه يذهب في تفسيره مذهب أهل العدل والتنزيه، ومن ثمّ نراه يؤوّل كثيراً من ظواهر آيات تنافي دليل العقل.

مثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتَوَدَّعُونَ إِلَّا كَمَا تَوَدَّعُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^١ وجدناه يقول: «إلا قياماً كقيام المصروع، وهو وارد على ما يزعمون أنّ الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. ثمّ يفسّر «المسّ» بالجنون، ويقول: وهذا أيضاً من زعماتهم أنّ الجنّي يمسّ الرجل فيختلط عقله»^٢.

وهذا الذي مشى عليه موافق مع مذهب الاعتزال الذي مشى عليه الزمخشريّ من أنّ الجنّ لا تسلّط لها على الإنسان، فيما عدا الوسوسة والإغواء؛ حيث قوله تعالى حكاية عن إبليس في مشهد القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^٣ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^٤.



وهذا التفسير كما ذكرنا مختصر من تفسير الكشاف للزمخشريّ وقد استمدّ أيضاً من

١. البقرة (٢): ٢٧٥.

٢. تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٢٦٧.

٣. سبأ (٣٤): ٢١.

٤. إبراهيم (١٤): ٢٢.

التفسير الكبير للإمام الرازي، و من تفسير الراجح الأصفهاني، و ضمّ إلى ذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة و التابعين، لكنّه أعمل فيه عقله، فضمّنه نكتاً بارعة، و لطائف رائعة، و استنباطات دقيقة، كلّ هذا في أسلوب رائع موجز، و عبارة تدقّ أحياناً و تخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة، و فطنة نيرة. و هو يهتمّ أحياناً بذكر القراءات، و ربّما ذكر الشواذ أيضاً، كما أنّه يعرض للصناعة النحويّة، و لكن بدون توسّع و استفادة، كما أنّه يتعرّض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهيّة بدون توسّع منه في ذلك.

و ممّا يمتاز به البيضاوي في تفسيره أنّه مُقلِّدٌ جدّاً من ذكر الروايات الإسرائيليّة، و هو يصدّر الرواية بقوله: روي أو قيل، إشعاراً منه بضعفها.

ثمّ إنّه إذا عرض للآيات الكوفيّة، فإنّه لا يتركها بدون أن يغوض في مباحث الكون الطبيعيّة، و لعلّ هذه الظاهرة سرت إليه عن طريق التفسير الكبير للإمام الرازي.

و إليك من نصّ عبارته الشارحة لمنهجه في التفسير، و المبيّنة للمصادر التي اعتمدها أو اختصرها في تفسيره، قال في مقدّمة تفسيره:

«و لطالما أحدت نفسي بأن أصنّف في هذا الفنّ - أي التفسير - كتاباً يحتوي على صفة ما بلغني من عظماء الصحابة، و علماء التابعين، و من دونهم من السلف الصالحين. و ينطوي على نكات بارعة و لطائف رائعة، استنبطتها أنا و من قبلي من أفاضل المتأخّرين، و أمثال المحقّقين، و يعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزيّة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، و الشواذ المروية عن القراء المعتمدين».

و يقول في خاتمة الكتاب ما نصّه: «و قد اتّفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوي الألباب، المشتغل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، و صفة آراء أعلام الأئمة، في تفسير القرآن و تحقيق معانيه، و الكشف عن عويصات ألفاظه و معجزات مبانيه، مع الإيجاز الغالي عن الإخلال، و التلخيص العاري عن الإخلال...».

يقول عنه صاحب كشف الظنون: «و تفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غنيّ عن البيان، لخصّ فيه من الكشاف ما يتعلّق بالإعراب و المعاني و البيان، و من التفسير الكبير ما

يتعلّق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلّق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات. وضمّ إليه ما وري زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشكّ عن الصريّة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة...^١.

غير أنّنا نجد البيضاويّ قد وقع فيما وقع فيه الكشاف وغيره من المفسّرين، من ذكرهم في نهاية كلّ سورة حديثاً أو أحاديث في فضلها وفضل قارئها، وقد عرفنا قيمة هذه الأحاديث، وإنّها موضوعة باتّفاق أهل الحديث. ولسنا نعرف كيف اغترّب بها أمثال البيضاويّ فرواها، وتابع الزمخشريّ وأمثاله في ذكرها، مع ما لهم من مكانة علميّة وحصانة عقل ودراية.

وقد اعتدّر عنه صاحب كشف الظنون بقوله: «وأمّا أكثر الأحاديث التي أوردها في أواخر السور، فإنّه لكونه ممّن صفت مرآة قلبه، وتعرض لنفحات ربّه، تسامح فيه، وأعرض عن أسباب التجريح والتعديل، ونحا نحو الترغيب والتأويل، عالماً بأنّها ممّا فاه صاحبه يزور ودلّي بغرور...»^٢. لكنّه اعتذار غير عاذر.

ثمّ إنّ هذا الكتاب رزق بحسن القبول عند الجمهور، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علّق تعليقة على سورة منه، ومنهم من حشّى تحشية تامّة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه.

تفسير النَّسْفِيّ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

تأليف أبي البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفيّ، نسبة إلى «نسف» معرّب «نخشب» من بلاد ماوراء النهر^٣. كان إمام زمانه، رأساً في الفقه على المذهب الحنفيّ، بارعاً في الحديث والتفسير، وله تصانيف في الفقه والأصول، ومنها هذا التفسير الذي اختصره من تفسير البيضاويّ ومن الكشاف للزمخشريّ، جمع فيه من وجوه الإعراب

٢. المصدر نفسه، ص ١٨٨.

١. كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

٣. نسف معرّب «نخشب» بلاد السند، بين جيحون وسمرقند.

والقراءات، وضمّنه ما اشتمل عليه الكشف من النكت البلاغية والمحسّنات البديعية، وأورد فيه ما أورده الزمخشريّ من الأسئلة والأجوبة، لكن لا صريحاً بل مدرجاً ضمن شرحه للآية. توفّي سنة (٧٠١ هـ)، ودفن بأيدنج -وزان أحمد معرّب «أيدّه»- بلدة بين أهواز وأصفهان، من محافظة خوزستان.



وهناك تفسير آخر بهذا الاسم فارسيّ يشبه الترجمة، لأبي حفص نجم الدين عمر بن محمّد النسفيّ الحنفيّ كان يلقّب بمفتي الثقلين، توفّي سنة (٥٣٨ هـ). وقد طبع هذا التفسير في مجلّدين بطهران عدّة طبعات أنيقة أولها سنة (١٣٥٣ ش) بتصحيح الدكتور عزيز الله الجويني. وقد تقدّم الكلام عنه عند البحث عن تراجم القرآن.

تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

لأبي السعود محمّد بن محمّد بن المصطفى العماديّ، توفّي سنة (٩٨٢ هـ). كان من العلماء الترك ولازم السلطان سليمان القانوني، وتقلّد القضاء، وأنيط إليه الإفتاء سنة (٩٥٢ هـ). كان حاضر الذهن، سريع البديهة، يكتب باللغات العربية والفارسيّة والتركيّة، وقد مكّنته معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من المؤلفات.

كان منهوماً بتدريس «الكشاف» و«البيضاوي» معجباً بهما، ومن ثمّ وضع تفسيره على منوالهما، فجاء صورة أخرى عنهما مع تغييرات يسيرة. ومع ذلك فهو من أجود التفاسير المشتملة على النكات الأدبية والدقائق البلاغية، فكان غاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، ومن ثمّ ذاعت شهرته بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنّه من خير التفاسير.

والمطالع في تفسيره هذا يجده لا بالطويل المملّ، ولا بالقصير المخلّ، وسطاً مشتملاً على لطائف ونكات، وفوائد وإشارات.

ومن مميّزات هذا التفسير إقلاله من القصص الإسرائيليّة، وإن ذكر منها شيئاً فبأنّه

يذكره مضعفاً له أو منكرأ، ومبيهاً منشأ بطلانه وذلك كما صنع في قصة هاروت وماروت؛ حيث فنّد ما جاء حولها من أساطير إسرائيلية. ولهذا نراه قد صنّف فيها رسالة خاصة وبين فيها جهات ضعفها. ومع ذلك نجده لم يخل من قصص إسرائيلية، كما نجده في قصة داوود وأوريا، والنرافات التي حيكت حولها. وقد زعم المؤلف: أنّ ذلك كان جانزاً في شريعة داوود^١. هكذا يبرّر من غير تبرير. وهو أشعري في مسلكه. ويفسّر الآيات في ضوء ذلك المذهب البائد.

تفسير الأكوسي (روح المعاني)

للسيد محمود أفندي الأكوسي البغدادي المتوفى سنة (١٢٧٠ هـ). كان شيخ علماء الأحناف ببغداد، جمع بين المعقول والمنقول، حسبما أوتي من حظّ وافر في التوسّع والتتبع. كان عالماً بمبادئ الأصول والفروع، محدثاً ومفسراً. وكان ذا حافظه غريبة، كان لا يحفظ شيئاً إلا وقد حضره. كان يقول: ما استودعت ذهني شيئاً فخانني. تقلّد إفتاء الحنفية سنة (١٢٤٢ هـ)، وتولّى أوقاف مدرسة المرجانية ببغداد. وفي سنة (١٢٦٣ هـ) انفصل عن منصب الإفتاء وبقي مشتغلاً بتفسير القرآن، حتّى أتمّه، وسافر به إلى القسطنطينية، ليعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد خان، لينال إعجابه ورضاه. وتفسيره هذا جامع لأراء السلف وأقوال الخلف، مشتملاً على مقتطفات كثيرة من تفاسير من تقدّمه، كتفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وأبي السعود، وابن كثير، والبيضاوي، والأكثر من الفخر الرازي. وكلّما تقد المنقول من هذا التفسير. وهو في تفسيره يتعصّب للمذهب السلفي أصولاً وفروعاً، بادٍ عليه تعصّبه، ولذلك نراه لم يراع أدب الكتابة في كثير من الأحيان.

مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ وَيُؤَدِّكُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْتَهُونَ»^٢. يقول

١. راجع: القصة في تفسير أبي السعود ج ٧، ص ٢٢٢.

٢. البقرة (٢): ١٥.

بعد كلام طويل ولجاج عنيف: وإضافته -أي الطغيان- إليهم؛ لأنه فعلهم الصادر منهم، بقدرهم المؤثرة بإذن الله تعالى، فالاختصاص المشعرة به الإضافة، إنما هو بهذا الاعتبار، لا باعتبار المحليّة والاتصاف، فإنه معلوم لا حاجة فيه إلى الإضافة، ولا باعتبار الإيجاد استقلالاً من غير توقّف على إذن الفعّال لما يريد، فإنه اعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبار. فلا تهولئك جمعجة الزمخشريّ وقعقعتة^١.



وهو تفسير فيه تفصيل وتطويل، وأحياناً بلا طائل. إنّه يستطرد إلى الكلام في الصناعة النحوية، ويتوسّع في ذلك ربّما إلى حدّ يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسّراً. قال الذهبي: ولا أحيلك على نقطة بعينها، فإنه لا يكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك^٢. وهكذا يستطرد في المسائل الفقهيّة مستوعباً آراء الفقهاء ومناقشاتهم بما يخرجهم عن كونه كتاب تفسير إلى كتاب فقه. أمّا المسائل الكلاميّة فحديثه عنها مسهب مملّ لا يكاد يخرج من التعصّب في الغالب.

كما لم يفته أن يتكلّم عن التفسير الإشاريّ، بعد الفراغ عن الكلام في تفسير الظاهر من الآيات، وهو في ذلك يعتمد التفسير النيسابوريّ والقشيريّ وابن العربيّ وأضرابهم، وربّما يتيه في وادي الخيال.

وجملة القول فهذا التفسير موسوعة تفسيرية مطوّلة تطويلاً يكاد يخرجهم عن مهمّته التفسيرية في كثير من الأحيان. فتفسير الآوسيّ هذا هو أوسع تفسير ظهر بعد الرازيّ على الطريقة القديمة، بل هو نسخة ثانية من تفسير الرازيّ مع بعض التغيير -ليس بالمهم- إذ كلّ من قرأ تفسير الآوسيّ يجده معتمداً تفسير الرازيّ كلّ الاعتماد، وكان مصدره الأوّل من مصادره في التفسير، كما قال الأستاذ عبد الحميد^٣.



٢. التفسير والمفسرون ج ١، ص ٣٥٨.

١. دوح المحلّي ج ١، ص ١٤٨.

٣. الرازيّ مفسراً لعبد الحميد، ص ١٧٠.

و مما يلفت النظر في هذا التفسير، تلك افتراءاته على الأبرياء من غير تورّع..
مثلاً نراه يختلق على الشيعة الإمامية - وهم في جواره ببغداد- كأنه لم يرههم فيرميهم
رمي عشواء، وكأنما عن لسان ابن تيمية سلفه في قذف الأبرياء..

هو عند تفسير الآية الكريمة (البقرة: ١٨٧): ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَسْبَيْنَ لَكُمْ الْحَبِطُ
الْأَيْضُ مِنَ الْحَبِطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾.. يقول: اختلفوا في النهار الشرعي، فذهبت الأئمة
الأربعة إلى أنه من طلوع الفجر. فلا يجوز فعل شيء من المحظورات بعده.. قال: وخالف
في ذلك سليمان بن مهران الأعمش، ولا يتبعه إلا الأعمى، فزعم أنه من طلوع الشمس،
وجوز فعل المحظورات بعد طلوع الفجر.. قال: وكذا الإمامية؟!^١

ونراه هنا تهادى إلى وادي الضلال في سقطات ثلاث:

أولاً: فريته على الأعمش بما لم يقله، وإثما ذهب إلى أن الفجر الذي يجب الإمساك
عنده هو فلق الصبح الصادق الذي يملأ الأفق. لا البياض الصاعد إلى كبد السماء الزائل
بعد دقائق، المعروف بالفجر الكاذب..^٢

ثانياً: شنته الشائنة ولسانه البذيء المتجاسر على كبار السلف من الأئمة الثقات.^٣

ثالثاً: أكذوبته الفاضحة له، على أمة كبيرة هم أتباع مذهب أهل البيت من آل
الرسول ﷺ إذ لم يمهّد من أحد منهم تجويز فعل المحظورات، بعد الفجر وقبل طلوع
الشمس.. إن هذا إلا افتراء.. ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعِي الْكٰذِبَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ﴾^٤. و صدق الله العظيم..



والأفضع اختلاقه سورة موهونة سآها سورة الولاية - وفيها من السقاسف والمخاريق-

نسب القول بها إلى أحد كبار الشيعة (ابن شهر آشوب المازندراني) في كتابه المثالب..^٥

١. روح المعاني، ج ٢، ص ٥٨.

٢. راجع: تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠١ (ط بولاق).

٣. حسبما جاء في تعبير الذهبي، قال بشأنه: هو من الأئمة الثقات. وكذا غيره من أصحاب التراجم (ميزان

الاحتفال، ج ٢، ص ١٢٤، رقم ٣٥١٧).

٤. نحل (١٦): ١٠٥.

٥. روح المعاني، ج ١، ص ٢٣ (الفائدة السادسة من المقدمة).

و هذا الكتاب كان مفقوداً منذ أزمان، حتى عثر عليه أخيراً في المخطوطات ببلاد الهند، فشاهدت منه نسختين، و طالعتهما بدقة، و إذ ليس فيهما أثر من هذا المختلق، بل نجد المؤلف قد جهد في كتابه هذا، ردّ مزعومة التحريف و تنفيد القول به، في ضوء دلالة البرهان..^١

أفهل كان من الإنصاف أن يقابل مروءة الرجل بمثل هذا الجفاء؟!

نعم، كان ما ذكره صاحبنا المقترى مقتبساً من شذرات زميله الدرويش المتسكّم، في كتاب جمعه من الطرقات و المقاهي، عند ما كان يدور في الأسواق و الشوارع، ليملاً جعبته من مهازل و أضحوكات.. و قد اغترّ بسفاسفه بعض المغفلين و دبّجها في كتابه فصل الخطاب دليلاً على تحريف الكتاب.. و هكذا توارث أهل المهازل سفاسفهم يدأ بيداً!

تفسير البلاغي (آلاء الرحمن)

للإمام المجاهد و العلّامة الناقد الشيخ محمّد جواد البلاغيّ النجفيّ. ولد سنة (١٢٨٢ هـ) و توفّي سنة (١٣٥٢ هـ). كان قد قضى حياته الكريمة في التضال و الدفاع عن حامية الإسلام، قلماً و قدماً. و له في كلا المجالين مواقف مشهودة. و مصنّفات في الدفاع عن حرّيم الإسلام معروفة. منها: الرحلة المدرسية، في ثلاثة أجزاء، حاول فيها الردّ على شُبّه المسيحيّين ضدّ الإسلام. و منها: الهدى إلى دين المصطفى، دافع فيه عن كرامة القرآن العتيّدة في جزئين كبيرين. و غيرهما من كتب و رسائل عنيت بأهمّ المسائل الإسلاميّة العريقة.

و هذا التفسير من أفضلها؛ حيث كان من آخر تأليفه، فكان أدقّها و أمتنها. سوى أنّه من المؤسف جدّاً إذ لم يُمهله الأجل، ففقدنا نخبه عند بلوغه لتفسير قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْجِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا

١. راجع ما حققناه بهذا الصدد في كتاب ميلة القرآن من التحريف عند البحث عن مفتريات العامة

٢. شارك في حركة العراق الاستقلالية ضدّ الإنجليز، في ثورة (١٩٢٠ م) الدامية.

أزواج مُطَهَّرَةٌ وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا^١. فأكمل تفسير الآية و لحق بجوار ربّه الكريم ليوفيه أجره حسبما وعد في الآية، والكريم إذا وعد وفى.

و كان شيخنا العلامة البلاغي عارفاً باللغات العبرية و الإنجليزية و الفارسية الى لغته العربية. مُجيداً فيها، ممّا ساعده على مراجعة أهم المصادر للتحقيق عن مبادئ الأديان القديمة، و الوقوف على مبانيها. فكانت تأليفه في هكذا مجالات ذوات إسناد متين و أساس ركين.

و تفسيره هذا هادف إلى بيان حقائق كلامه تعالى و إيداء رسالة القرآن، في أسلوب سهل متين، يجمع بين الإيجاز و الإيفاء، و الإحاطة بأطراف الكلام، بما لا يدع لشبه المعاندين مجالاً، و لا لتشكيك المخالفين مسرباً. هذا إلى جنب أدبه البارِع و معرفته بمباني الفقه و الفلسفة و الكلام و التاريخ، و لا سيّما تاريخ الأديان و أعراف الأمم الماضية، و التي حلّ بها كثيراً من مشاكل أهل التفسير. و من ثمّ كان منهجه في التفسير ذا طابع أدبيّ كلاميّ بارِع، فرحمة الله عليه من مجاهد مناضل في سبيل الإسلام.



١. النساء (٤): ٥٧.

لكن هنا للأستاذ الذهبيّ إساءة تعبير بشأن هذا المفسر الجليل، يُنبؤك من حيث طريفة. يقول في صفايته: «و ينتهى تفسير الجلالين عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا﴾ (التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٤).

و لعلّ القضاء سبب عليه البلاء (عام ١٩٧٧ م) حيث هلاكه في شرّ قنلة مغبّة تجاسره على أمثال هذا العبد الصالح الذي قضى حياته في الدفاع عن حريم الإسلام. لكنّ شيخنا البلاغيّ عمل عمله لله، فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّسْهُمْ مَأْثُورًا وَ أَحْرَضَ عَنْ الْمُفْرِكِينَ فَمَا كَفَّاهُ اللَّهُ لِسْتِهْلَاجِهِمْ﴾ (الحجر (١٥): ٩٤-٩٥).

تفاسير أدبيّة

هناك تفاسير غلب عليها الطابع الأدبيّ، النحو والبلاغة وسائر علوم اللغة، وامتازت بالتمرّض لهذه الجوانب من تفسير القرآن، نذكر الأهمّ منها:

الكشّاف

للعلمة جار الله الزمخشريّ. هو أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزميّ. ولد سنة (٤٦٧هـ) وتوفيّ سنة (٥٣٨هـ). كان معتزليّ الاعتقاد، متجاهراً بعقيدته، وبنى تفسيره هذا على مذهب الاعتزال، طاعناً في تفاسير حادت عن جادة العقل بظواهر هي متنافية مع نصّ الشرع. وهو تفسير قيّم لم يسبق له نظير في الكشف عن جمال القرآن وبلاغته وسحريّاته، فقد امتاز المؤلف بإلمامه بلغة العرب والمعرفة بأشعارهم والإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب. ولقد أضفى هذا النبوغ العلميّ الأدبيّ على تفسير الكشّاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء، وعلق به قلوب المفسّرين، ومن ثمّ أتى عليه كثير من أولي البصائر في الأدب والتفسير والكلام. غير أنّ أصحاب الرأي الأشعريّ تقموا عليه صراحته بمذهب الاعتزال، وتأويله لكثير من ظواهر الآيات العنافية مع دليل العقل.

إنّ نظرة الزمخشريّ في دلالة الآيات الكريمة نظرة أدبيّة فاحصة، وكان فهمه لمعاني الآيات فهماً عميقاً غير متأثر بمذهب كلاميّ خاصّ، فهو لا ينظر في الآيات من زاوية

مذهب الاعتزال، كما رموه بذلك، بل من زاوية فهم إنسان حراً عاقلٍ أريبٍ، و يحلّل الآيات تحليلاً أدبياً في ذوق عربي أصيل، الأمر الذي يتحاشاه أتباع مذهب الأشعري. مثلاً عند ما تعرّض لتفسير قوله تعالى: «وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ»^١ يقول: والوجه عبارة عن الجملة. والناصرة: من نضرة النعيم. إلى ربها ناظرة: تنظر إلى ربها خاصّة لا تنظر إلى غيره. وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ»^٢، «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ»^٣، «إِلَىٰ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ»^٤، «وَرَىٰ إِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ»^٥، «وَالِإِلَهِ تُرْجَعُونَ»^٦، «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ»^٧. كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد، في محشر يجتمع فيه الخلاق كلهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فاختصاصه بنظرهم إليه، لو كان منظوراً إليه، محال؛ فوجب حمله على معنى يصحّ معه الاختصاص. والذي يصحّ معه، أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقّع والرجاء. ومنه قوله القائل:

وإذا نظرتُ إليك من مَلَكٍ
والبحر دونك زدّتي نعماً

وسمعت سرورية مستجدية بمكّة وقت الظهر، حين يغلّق الناس أبوابهم، ويأوون إلى مقاتلهم، تقول: «عُيِّنَتِي نُؤَيِّظُكَ إِلَىٰ اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ». والمعنى: أنهم لا يتوقّعون النعمة والكرامة إلّا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلّا إياه^٨.

أنظر إلى هذا التحقيق الأنيق الذي سمحت به قريحة مثل الزمخشري العلامة الأديب الأريب، ولكن أصحاب الرأي المعوج لم يرقهم هذا البیان الكافي الشافي، فجعلوا يهرولون حوله في ضجيج وعويل، زاعمين أنه خالف رأي أهل السنة، وأول القرآن وفق

١. القيامة (٧٥): ٢٣-٢٢.

٢. القيامة (٧٥): ٣٠.

٣. الشورى (٤٢): ٥٣.

٤. آل عمران (٣): ٢٨؛ النور (٢٤): ٤٢؛ فاطر (٣٥): ١٨.

٥. البقرة (٢): ٢٤٥.

٦. الشورى (٤٢): ١٠.

٨. العنكبوت ج ٤، ص ٦٦٢.

مذهب الاعتزال.

هذا ابن المنير الإسكندريّ تراه يهاجم الزمخشريّ في لحن عتيف، قائلاً: ما أقصر لسانه عند هذه الآية، فكم له يُدندن و يطبل في جحد الرؤية، و يشقّق القباء و يُكثر ويتعمّق، فلما ففرت هذه الآية فاها، صنع في مصادمتها بالاستدلال... و ما يعلم أن المتمتّع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه، و لا يؤثر عليه غيره، كما لا يصرف العاشق إذا ظفر برؤية محبوبه النظر عنه، فكيف بالمحبّ لله ﷻ إذا أحطاه النظر إلى وجهه الكريم. نسأل الله أن يعيذنا من مزالق البدعة و مزلات الشبهة^١.

و يقول الشيخ محمّد عليان - في الهامش أيضاً -: عدم كونه تعالى منظوراً إليه، مبنيّ على مذهب المعتزلة، و هو عدم جواز رؤيته تعالى. و مذهب أهل السنّة جوازها.

و قال الشيخ أحمد مصطفى المراغيّ «إلى ربّها ناظرة»: أي تنظر إلى ربّها عياناً بلا حجاب. قال جمهور أهل العلم: المراد بذلك ما تواترت به الأحاديث الصحيحة، من أنّ العباد ينظرون إلى ربّهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر. قال ابن كثير: و هذا بحمد الله مجمع عليه من الصحابة و التابعين و سلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام و هداة الأنام. و روى البخاريّ: «أنكم سترون ربّكم عياناً». و روى الشيخان: «أنّ ناساً قالوا: يا رسول الله ﷺ هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس و القمر ليس دونهما سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنّكم ترون ربّكم كذلك»^٢. و قد أكثر أهل الحديث من روايات بهذا الشأن، أخذ بظاهرها السلف، و من تبعهم من أهل الظاهر^٣.

و استدلّ شيخ أهل السنّة أبو الحسن الأشعريّ بهذه الآية على جواز رؤية الله في الآخرة، و استشهد بموضع «إلى» من هذه الآية، قال: «ووجوه يومئذٍ ناظرة إلى ربّها ناظرة» أي رائية؛ إذ ليس يخلو النظر من وجوه ثلاثة: إمّا نظر الاعتبار، كما في قوله تعالى:

١. المصدر نفسه (الهامش)، ج ٤، ص ٦٦٢. ٢. تفسير الطبراني، ج ١٠، ص ١٥٢، ١٥٣.

٣. راجع: تفسير الطبراني، ص ٧٣-١٧٥ تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ١٤١؛ تفسير القشيري، ج ٣، ص ٩١.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^١، أو نظر الانتظار، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^٢، أو نظر الرؤية. أما الأوّل فلا يجوز؛ لأنّ الآخرة ليست بدار اعتبار. وكذا الثاني؛ لأنّ النظر إذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه؛ ولأنّ نظر الانتظار لا يقرن بـ«إلى»، كما في قوله تعالى: ﴿فَنَاطِرَةً يَوْمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^٣. قال: فإن قال قائل: لِمَ لا يجوز أن يراد «إلى ثواب ربّها ناظرة»؟ قيل له: ثواب الله غيره، وقد قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، ولم يقل: إلى غيره ناظرة. والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلاّ لحجّة^٤.



أما أهل العدل والتنزيه فكانت نظرتهم في توحيد الله نظرة في غاية السموّ والرفعة. فطَبَقُوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^٥ أبداع تطبيق، وفصلوه خير تفصيل، وحاربوا الأنتظار الوضعية التي تثبت أنّ الله تعالى جسماً، وأنّ له وجهاً ويديّن وعينين، وله جهة فوقية، وعرش يستوي عليه جالساً، وأنّه يرى بالأبصار، إلى آخر ما قالته الأشاعرة وأذناهم من المشبهة والمجسّمة. فأتى أهل العدل وسما على هذه الأنتظار، وفهموا من روح القرآن: تجريد الله عن المادية، فساروا في تفسيرها تفسيراً دقيقاً واسعاً، وأولوا ما يخالف هذا المبدأ، وسلسلوا عقائدهم تسلسلاً منطقيّاً.

وقد فصلّ الكلام - في نفي رؤيته تعالى - القاضي عبد الجبار في كتابه شرح الأصول الخمسة^٦ وأوفى البحث حقّه. وهكذا الخواجا نصير الدين الطوسي في مختصر العقائد التجريد^٧.

٢. يس (٣٦): ٤٩.

١. الفاشية (٨٨): ١٧.

٣. النمل (٢٧): ٣٥.

٤. راجع: كتاب الإبته لأبي الحسن الأشعري، ص ١٠-١٩. وطلع له أيضاً ص ٦١-٦٨.

٥. الشورى (٤٢): ١١.

٦. شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، باب نفي الرؤية، ص ٢٣٢-٢٧٧.

٧. شرح تجريد العقائد للعلامة الحسن بن المطهر الحلبي، ص ١٦٣-١٦٥ (ط بباي).

و ملخص الكلام في نفي الرؤية: أن النظر بالعين عبارة عن إشعاع نوري يحيط بالجسم المرئي، الأمر الذي يستدعي مقابلة ومواجهة، وهو يلزم الجسمية. والآية الكريمة تصف موقف المؤمنين في ذلك اليوم، أنهم على رغم أهواله الجسام مبتهجون مسرورون، ليس بشيء إلا لأنهم منصرفون بكليتهم عن غيره تعالى، ومتوجهون بكل وجودهم إلى الله. والنظر بهذا المعنى يتعدى بـ«إلى» كما جاء في قول السروية، وقول الشاعر:

إني إليك لما وعدت لناظر
نظر الفقير إلى الغني الموسر



و كانت عائشة تنكر أشد الإنكار إمكان رؤيته تعالى بالأبصار. ففي حديث مسروق عنها المتفق عليه قال: قلت لعائشة: يا أمّنا، هل رأى محمد ربه ليلة المعراج؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، وقد أعظم على الله القرية، ثم قرأت «لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأبصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ...»^١، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت «وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً»^٢، ومن حدثك أنه ﷺ كتم شيئاً من الدين، فقد كذب ثم قرأت «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...»^٣.

هذا حديث متفق عليه رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب الصحاح^٤. وهكذا كان مجاهد يقول في آية القيامة «إلى ربها ناظرة»: تنتظر ثواب ربها. في حديث رواه عبد بن حميد عنه، قال الحافظ ابن حجر: سنده إلى مجاهد صحيح^٥.

ومن ثم فإنّ الناهيين من الأمة، ولا سيما في عصر متأخر، هيوا ينكرون إمكان رؤيته تعالى على الإطلاق؛ إذا كان المقصود من الرؤية الإحاطة بذاته المقدسة بتحديق العين إليه، فإنّه محال أبته، فإنّه ملازم للتقابل والجسمية المحالين عليه سبحانه.

١. الأنعام (٦): ١٠٣.

٢. لقمان (٣١): ٣٤.

٣. المائدة (٥): ٦٧.

٤. السائر، ج ٩، ص ١٥٣.

٥. المصدر نفسه، ص ١٣٤.

قال صاحب المنار في وجل من أصحابه في الخروج من مذهب أسلافه: وأما رؤية الرب تعالى فربما قيل بادئ الرأي: إن آيات النفي فيها أصرح من آيات الإثبات، كقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فهما أصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى: ﴿وَجْهٌ يُوقِنُ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِقَةٌ﴾ على الإثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار، كثير في القرآن و كلام العرب، كقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^١، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾^٢، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾^٣. و ثبت أنه استعمل بهذا المعنى متعدياً بـ«إلى»، ولذلك جعل بعضهم وجه الدلالة فيه على المعنى الآخر - وهو توجيه الباصرة، إلى ما تراد رؤيته - أنه أسند إلى الوجوه، وليس فيها ما يصحح إسناد النظر إليها إلا العيون الباصرة، وهو في الدقة كما ترى (أي ليس ذلك ظاهر الآية ظهوراً عرفياً)^٤. ولصاحب المنار هنا في توجيهه وتأويل كلام أهل السنة كلام طويل، لا يستغني الباحث عن مراجعتها.

ولنا أيضاً بحث مستوف بمسألة الرؤية عرضناه في بحث المتشابهات^٥.

اعتماده على التأويل والتمثيل

وهكذا نجد الزمخشري يعتمد في تفسيره على ضروب من التأويل والمجاز والتمثيل، فيحمل ما ظاهره التنافي مع العقل أو الأصول المتلقاة من الشرع، على ضرب من التمثيل والاستعارة والمجاز، الأمر الذي أثار نمرات خصومه أهل السنة والجماعة، ناقمين عليه تصريفه لظواهر آيات القرآن الحكيم.

مثلاً نجده عند تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب، يقول:

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهو يريد بالأمانة الطاعة، فعظم أمرها وفتح شأنها، وفيه

وجهان:

١. الأعراف (٧): ٥٣.

٢. المنار، ج ٩، ص ١٣٤.

٣. البقرة (٢): ٢١٠.

٤. راجع: التمهيد ج ٣، ص ١١١-٩٠.

أحدهما: أن هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض والجبال، قد انقادت لأمر الله عزّ و علا، انقياد مثلها، وهو ما يتأتى من الجمادات، وأطاعت له الطاعة التي تصحّ منها وتليق بها؛ حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجاباً وتكويناً وتسويةً على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة، كما قال: «قَالُوا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^١. وأما الإنسان فلم تكن حاله - فيما يصحّ منه من الطاعات، ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف - مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها ويليق بها من الانقياد، وعدم الامتناع.

والمراد بالأمانة، الطاعة؛ لأنها لازمة الوجود، كما أن الأمانة لازمة الأداء.

وعرضها على الجمادات، وإياؤها وإشفاقها: مجاز.

وأما حمل الأمانة، فمن قولك: فلان حامل للأمانة ومحمّل لها، تريد أنه لا يؤدّيها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمّته ويخرج عن عهدها؛ لأنّ الأمانة كأنّها راكبة للمؤمن عليها وهو حاملها. ألا تراهم يقولون: ركبته الديون. ولي عليه حقّ، فإذا أدّاها لم تبق راقبة له ولا هو حامل لها. ونحوه قولهم: لا يملك مولى لمولى نصراً، يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها، ولا يمسكها كما يمسك الخاذل. ومنه قول القائل:

أخوك الذي لا تملك الحسّ نفسهُ و تُرْفَضُ عند المحفظات الكتائف^٢

أي لا يملك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده، بل يبذل ذلك ويسمح به. ومنه قولهم: أبغض حقّ أخيك؛ لأنّه إذا أحبّه لم يُخرجه إلى أخيه ولم يؤدّه، وإذا أبغضه أخرجته وأدّاه.

فمعنى «فَأَبِينْ أَنْ يَحْمِلْتَهَا وَ أَشَقِّنْ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ»^٣: فأبين إلا أن يؤدّيها، وأبى

١. فضلت (٤١): ١١.

٢. هو للقطامي، وقيل: لذي الرمة. وحسّ له حساً: رقّ له وعطف. والحسّ أيضاً: العفل والتدبير والنظر في العواقب. والارفضاض: الترشش والتناثر. وأحفظه إحفاظاً: أغضبه. والكتائف جمع كيفة، وهي الضغينة والحقد. يقول: أخوك هو الذي لا تملك نفسه الرحمة، بل يبذلها لك ويسرع إليك بغته ونذهب ضغائنه.

٣. الأحزاب (٣٣): ٧٢.

الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤذيها، ثم وُصف بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل، لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه، وهو أداؤها.

والثاني: أن ما كلّفه الإنسان بلغ من عظمه وتقل محمله، أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشدّه، أن يتحمّله ويستقلّ به، فأبى حملة والاستقلال به وأشفق منه. وحملة الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته. إنه كان ظلوماً جهولاً؛ حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها، وضمنها ثم خاس بضمانه فيها.

قال: ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب، وما جاء القرآن إلا على طرقتهم وأساليبهم. ومن ذلك قولهم: لو قيل للشحم أين تذهب، لقال: أسوي العوج. وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات. وتصور مقالة الشحم محال، ولكن الغرض أن السمن في الحيوان ممّا يحسن قبيحه، كما أن العجف ممّا يقبح حسنه. فصور أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس السامع، وهي به آنس، وله أقبل، وعلى حقيقته أوقف.

وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وتقل محملها والوفاء بها.

وهنا تقوم أمام الزمخشري صعوبات ومشاكل، يصورها لنا في سؤاله:

فإن قلت: قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد: أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى؛ لأنه مُثِّل حاله في تمثله وترجّحه بين الرأيين، وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردّد في ذهابه، فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه. وكلّ واحد من الممثل والممثل به، شيء مستقيم، داخل تحت الصّحة والمعرفة. وليس كذلك ما في هذه الآية، فإنّ عرض الأمانة على الجماد وإياه وإشفاقه محال في نفسه، غير مستقيم، فكيف صحّ بناء التمثيل على المحال. وما مثال هذا إلا أن تُشبه شيئاً، والمشبّه به غير معقول.

ولكنّ الزمخشري لا توقفه هذه الصعوبات، بل نراه يتخلّص منها بكلّ دقّة وبراعة؛

حيث يقول:

قلت: الممثل به في الآية وفي قولهم: «لو قيل للشحم أين تذهب...» وفي نظائره، مفروض، و المفروضات تتخيّل في الذهن كما المحققات: مُثَلَّتْ حَالُ التَكْلِيفِ فِي صَعُوبَتِهِ، وَ تَقَلَّ مَحْمَلُهُ بِعَالِهِ الْمَفْرُوضَةُ لَوْ عَرَضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ لِأَيِّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا^١.

قال الذهبي: وهذه الطريقة التي يعتمد عليها الزمخشري في تفسيره أعني طريقة الفروض المجازيّة، وحمل الكلام الذي يبدو غريباً في ظاهره، على أنه من قبيل التعبيرات التمثيلية أو التخيلية قد أثارَت حفيظة خصمه السيّ ابن المنير الإسكندري عليه، فأنهم بأشنع التهم في كثير من المواضع التي تحمل هذا الطابع، ونسبه إلى قلّة الأدب وعدم الذوق^٢.

فمثلاً عند ما يعرض الزمخشري لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٣ نراه يقول: هذا تمثيل وتخيل، كما مرّ في آية عرض الأمانة، وقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ...﴾ والفرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلّة تخشعه عند تلاوة القرآن، وتدبر قوارعه وزواجه^٤.

ولكن هذا قد أغضب ابن المنير، فقال معقّباً عليه: وهذا ممّا تقدّم إنكاره عليه فيه، أفلا كان يتأدّب بأدب الآية، حيث سمى الله هذا مثلاً، ولم يقل: وتلك الخيالات نضربها للناس. ألهمنا الله حسن الأدب معه، والله الموقّق.

غير أن الزمخشري ولع بهذه الطريقة، فمضى عليها من أوّل تفسيره إلى آخره، ولم يقبل المعاني الظاهرة التي أخذ بها أهل السنّة وحسبها أقرب إلى الصواب، كما لا ينفك عن التنديد بأهل السنّة الذين يقبلون هذه المعاني الظاهرة ويقولون بها، وكثيراً ما ينسبهم من

٢. الضير والمفروضه ج ١، ص ٤٤٩.

١. الكشافه ج ٣، ص ٥٦٤ - ٥٦٥.

٤. الكشافه ج ٤، ص ٥٠٩.

٣. الحشر (٥٩): ٢١.

أجل ذلك إلى أنهم من أهل الأوهام والخرافات، كما عرفت من هجوه لهم في الشعر المتقدم. وقد ستمهم أهل الحشو، عند تفسيره لآية (٣٦) من سورة آل عمران ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. قال: وما يُروى من الحديث: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان إياه إلا مريم وابنها» فانه أعلم بصحته. فإن صحّ فمعناه: أن كلّ مولود يطمع الشيطان في اغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين. وكذلك كلّ من كان في صفتها، كقوله تعالى: ﴿لَأَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^١. واستهلاله صارخاً من مسّه، تخييل و تصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه و يضرب بيده عليه، و يقول: هذا ممن أغويته، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المسّ والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلاً. ولو سلّط إبليس على الناس بنخسهم، لامتلت الدنيا صراخاً و عياطاً ممّا يبلوناه من نخسه!



وإليك أمثلة أخرى لتقف على مقدار تمسّكه بهذه الطريقة:

ففي سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَوَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^٢ يذكر الزمخشري في معنى «الكرسي» أربعة أوجه، و يقول في الوجه الأول منها: إن كرسية لم يضح عن السماوات والأرض لبسطته وسعته، و ما هو إلا تصوير لعظمته و تخييل فقط، و لا كرسى نعمة، و لا قعود، و لا قاعد، كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^٣ من غير تصوّر قبضة و طبيّ و يمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه، و تمثيل حسّي، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^٤

٢. الكشاف، ج ١، ص ٣٥٦، ٣٥٧.

٤. الزمر (٣٩): ٦٧.

١. الحجر (١٥): ٣٩-٤٠.

٣. البقرة (٢): ٢٥٥.

٥. الكشاف، ج ١، ص ٣٠١.

الأمر الذي لم يرتض ابن المنير، و من ثمَّ عقبه بقوله: قوله: «إِنَّ ذَلِكَ تَخْيِيلٌ لِلْعَظْمَةِ» سوء أدب في الإطلاق، و بعدد في الإصرار، فإنَّ التخييل إنما يستعمل في الأباطيل و ما ليست له حقيقة صدق، فإن يكن معنى ما قاله صحيحاً فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة، لا مدخل لها في الأدب الشرعيّ. و سيأتي له أمثالها ممّا يوجب الأدب أن يجتنب.



و في سورة الأعراف عند تفسير آية الميثاق يقول: و قوله: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ قَهْدًا»^١ من باب التمثيل. و معنى ذلك: أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته و وحدانيته، و شهدت بها عقولهم و بصائرهم التي ركبها فيهم، و جعلها مميّزة بين الضلالة و الهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم و قرّهم، و قال لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، و كأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا و أقرنا بوحدانيتك. و باب التمثيل واسع في كلام الله تعالى و رسوله ﷺ و في كلام العرب. و نظيره قوله تعالى: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^٢، «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيهَا فَطَوَّعًا أَوْ كَرِهًا قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَفْكَا مَمْرًا قَبْرًا»^٣.

و قوله:

إِذْ قَالَتِ الْأُنثَىٰ لِلْبَطْنِ الْحَقِ قَدُومًا فَآضَتْ كَالْفَنِيْقِ الْمَحْنَقِ^٤

و قوله:

قَالَتْ لَهُ رِيحَ الصَّبَا قَرَقَارٍ وَ اخْتَلَطَ الْمَعْرُوفُ بِالْأَنْكَارِ^٥

قال الذهبيّ: و لكنَّ ابن المنير السّنيّ لم يرض هذا من الزمخشريّ بطبيعة الحال، و لذا تعقّبه بقوله: إطلاق التمثيل أحسن. و قد ورد الشرع به. أمّا إطلاق التخييل على كلام الله

١. الأعراف (٧): ١٧٢.

٢. النحل (١٦): ٤٠.

٣. فصلت (٤١): ١١.

٤. هو لأبي النجم المجلبيّ. و النسخ - بالكسر -: حزام مريض يشدّ به وسط الدابة و ستر الهودج. و الحقي: فعل أمر، أي التصق يا ظهر بالبطن و انضمر. و قدوماً مصدر منصوب بمحلولف أو بما قبله على أنه مفعول له. و آضت يبيض: صار يصير. و الفنيق: الفحل المنعم المكرم. و المحنق: المغيظ من الحنق، و هو الغيظ.

٥. أيضاً لأبي النجم. و قرقار: اسم فعل بمعنى قرقر، أمر السحاب لتنزله منزلة المائل، أي صوتت بالرعد. و المقصود من الأنكار: المواضع غير المعروفة، أي سوّ بين الأماكن الممهودة بالإمطار و غير الممهودة.

تعالى فردود، ولم يرد به سمع، وقد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة. ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فلذلك أقره الأكثرون على ظاهره و حقيقته، ولم يجعلوه مثلاً. أما كيفية الإخراج و المخاطبة فإله أعلم بذلك^١. و مسألة «التمثيل» و «التخييل» يستعملها الزمخشري بحرية أوسع فيما ورد من الأحاديث التي يبدو ظاهرها مستغرباً، و قد مرّ كلامه في حديث مسّ الشيطان و نخسه للمواليد، الأمر الذي أثار ثائرة خصمه السني الذي لم يرتض هذا الصنيع من خصمه المعتزلي، فتراه يتورّك عليه بقوله: أما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته، فلا محيص له إذن عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله، جنوحاً إلى اعتزال متزع، في فلسفة منتزعة، في إلحاد، ظلمات بعضها فوق بعض^٢.

امتهانه بشأن القراء

و هكذا نجد الزمخشري قد أعاظ خصومه أهل الظاهر و المقلّدة من أهل السنة و الجماعة؛ حيث رفض حجّية القراءات حجّية تعبدية، حتّى و لو كانت على خلاف النصّحى من اللغة؛ إذ لم تثبت حجّيتها بهذه السعة و الإطلاق، فإذا ما تعارضت قراءة مع المقرّر من لغة العرب النصّحى، نجد العلماء المحقّقين أمثال الزمخشري يرفضون تلك القراءة، حفاظاً على سلامة القرآن، من خلل في فصاحته العليا، الأمر الذي لم يرتضه المقلّدة من أهل الظاهر، فهبوا يهاجمونه بأشنع القذائف.

هذا ابن عامر قارئ دمشق، و هو أحد القراء السبعة قرأ: ﴿وَرَكَّذِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾^٣ يرفع «قتل» و نصب «أولادهم» و جرّ «شركائهم» باضافة «قتل» إلى «شركائهم» مع الفصل بالمفعول به، و قراءة «زين» مبتدأ للمفعول. فأنكر عليه الزمخشري و عدّ قراءته هذه سمجة مردودة، قال: و أما قراءة ابن عامر...

٢. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٢٢.

١. الكشاف، ج ٢، ص ١٧٦-١٧٧.

٣. الأنعام (٦): ١٣٧.

فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، كما سمع ورد:

فرزجتها بمزجة^١ رَجَّ القلوص أبي مزادة^٢

فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته.

قال: والذي حمله على ذلك، أن رأى في بعض المصاحف «شركاتهم» مكتوباً بالياء. ولو قرأ بجزر الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب^٣.

وفي ذلك امتهان بشأن ابن عامر^٤ واستهانة بشأن قراءة غير المستندة إلى حجة معتبرة^٥، الأمر الذي أثار نمرات القوم ضده وجعلوه يقذفونه بأقبح الشتائم. هذا ابن المنير الإسكندري الهاتم في تيه ضلاله، يعلو بنشيجه في ذلك، يقول في حدة و غضب: لقد ركب المصنّف في هذا الفصل متن عمياء، و تاه في تيهاء، وأنا أبرأ إلى الله، وأبرئ حملة كتابه و حفظة كلامه ممّا رماه به، فإنّه تخيّل أنّ القراء - أئمة الوجوه السبعة - اختار كلّ منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا تقلاً و سماعاً، فلذلك غلط ابن عامر في قراءة ته هذه. ولم يعلم الزمخشري أن ابن عامر قرأ بها، يعلم ضرورة أنّ النبي ﷺ قرأها على جبرائيل كما أنزلها عليه كذلك، و تواترت عن النبي ﷺ. و لولا عذر أنّ المنكر ليس من أهل الشائين: علم القراءة و علم الأصول، لخيف عليه الخروج من ربة الدين، وأنّه على هذا العذر لفي عهدة

١. الزج: الطمن. و المزجة: الرمح القصير لأنه آلة للزج. و القلوص: الناقة الشابة، و هو مفعول فاصل بين المضاف و المضاف إليه.

٢. الكشاف ج ٢، ص ٧٠.

٣. هو عبد الله بن عامر البعصي قارئ الشام، توفى سنة (١١٨ هـ). كان خامل النسب خامل الذكر، لم يعرف نسبه كما لم يعرف له شيخ، تعلم القراءة عفواً، و قد كرهه الناس و كرهوا قراءته، كان يؤم الناس بالمسجد الأموي، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث إلى مهاجر و قال: قف خلف ابن عامر فإذا تقدّم فخذ بشيابه و اجذبه، فلن يتقدّم منا دعوى، و صلّ أنت يا مهاجر، ففعل. راجع: الشهيد ج ٢، ص ١١٨٦ طبقات القراء ط ٣، رقم ٨.

٤. و قد تكلمنا عن القراءات السبع و أنّها غير متواترة، و إنّما هي اجتهادات للقراء، لا حجّية فيها ذاتية في سوى قراءة عاصم برواية حفص، فإنّها لوحدتها القراءة المتواترة التي توارثها المسلمون من رسول الله ﷺ و لا حجّية في غيرها إطلاقاً. راجع: الشهيد ج ٢، ص ٦٠-٨٤ (مبحث القراء و القراءات).

خطرة وزلة منكرة^١.

وقال أبو حيان الأندلسي: «وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة، موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيئت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم. ولا التفات لقول أبي علي الفارسي: هذا قبيح قليل في الاستعمال. وقال قبل ذلك: ولا التفات إلى قول ابن عطية: وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب»^٢.

وقال الكواشي - هو أحمد بن يوسف أبو العباس الموصلي صاحب تفسير، توفي سنة (٦٨٠ هـ) -: «كلام الزمخشري يشعر بأن ابن عامر ارتكب محظوراً، وأنه غير ثقة؛ لأنه يأخذ القراءة من المصحف لا من المشايخ، ومع ذلك أسندها إلى النبي ﷺ. وليس الطعن في ابن عامر طعناً فيه، وإنما هو طعن في علماء الأمصار؛ حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية، وفي الفقهاء حيث لم ينكروا عليه، وأنهم يقرأونها في محاربيهم، والله أكرم من أن يجمعهم على الخطأ».

وقال التفتازاني: هذا أشد الجرم؛ حيث طعن في أسناد القراء السبعة ورواياتهم، وزعم أنهم إنما يقرأون من عند أنفسهم. وهذه عادته، يطعن في تواتر القراءات السبع، وينسب الخطأ تارة إليهم، كما في هذا الموضوع، وتارة إلى الروايات عنهم. وكلاهما خطأ»^٣.

وتقلد الآوسي عبارة ابن المنير: «وقد ركب في هذا الكلام عمياء وتاه في تيهاء، فقد تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاداً لا نقلاً وسماعاً، كما ذهب إليه بعض الجهلة، فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه وأخذ يبين منشأ غلطه، وهذا غلط صريح يخشى منه الكفر والعياذ بالله تعالى فإن القراءات السبع متواترة جملة

٢. البحر المحيط لأبي حيان، ج ٤، ص ٢٢٩-٢٣٠.

١. هامش الكتاب، ج ٢، ص ٦٩.

٣. بنقل الشيخ يوسف البحراني في الكشكول، ج ٣، ص ٣٣٩.

و تفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد ذو الضاد فتغليط شيء منها في معنى تغليط رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تغليط الله تعالى نعوذ بالله سبحانه من ذلك»^١.

تهاجمه على أهل الحديث

كما ولم يقصر الزمخشري في تهاجمه على خصومه من أهل الحديث، فلم يدع فرصة أثناء تفسيره إلا وقذفهم بقذائف لازعة وقرعهم بمقامع دامغة. قال الذهبي: وإن المستعجب لما في الكشاف من الجدل المذهبي، ليجد أن الزمخشري قد مزجه في الغالب بشيء من المبالغة في السخرية والاستهزاء بأهل الحديث، فهو لا يكاد يدع فرصة تمرّ بدون أن يحقرهم و يرميهم بالأوصاف المقذعة، فتارة يستيهم المجبرة، وأخرى يستيهم الحشوية، وثالثة يستيهم المشبهة، وأحياناً يستيهم القدرية، تلك التسمية التي أطلقها أهل الحديث على منكري القدر، فرماهم بها الزمخشري، لأنهم يؤمنون بالقدر. كما جعل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حكم فيه على القدرية أنهم مجوس هذه الأئمة، منصباً عليهم؛ وذلك حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَ أَمَّا قَوْمٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الصَّمْنَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^٢: «و لو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأئمة، بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم - و كفى به شاهداً - إلا هذه الآية لكفى بها حجة»^٣.

كما سقاهم بهذا الاسم ورماهم بأنهم يحيون لياليهم في تحمّل الفاحشة، ينسبونها إلى الله تعالى؛ حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^٤: «و أمّا قول من زعم أن الضمير في «زكّى» و «دسّى» لله تعالى، و أن تأنيث الضمير الراجع إلى «من» لأنّه في معنى النفس، فمن تعكيس القدرية الذين يورثون^٥ على الله قدرأ هو بريء منه و متعال عنه. و يحيون لياليهم في تحمّل فاحشة ينسبونها إليه»^٦.

٢. فضلت (٤١): ١٧.

١. روح المعاني، ج ٨، ص ٣٣.

٤. الشمس (٩١): ١٠٠٩.

٣. الكشاف، ج ٤، ص ١٩٤.

٥. ورك فلان ذنبه على غيره، إذا قرفه به، أي اتهمه به ظلماً.

٦. الكشاف، ج ٤، ص ١٧٠.

و الظاهرة العجيبة في خصومة الزمخشري، أنه يحرص كلَّ الحرص على أن يحوّل الآيات القرآنية التي وردت في حقّ الكفار، إلى ناحية مخالفيه في العقيدة من أهل الحديث، ففي سورة آل عمران حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^١، نجد الزمخشري بعد ما يعترف بأن الآية واردة في حقّ اليهود والنصارى يجوز أن تكون واردة في حقّ مبتدعي هذه الأمة، و ينصّ على أنّهم «المشبهة» و «المجبرة» و «الحشوية» و أشباههم^٢.

و في سورة يونس، حيث يقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا لِجِلْبَابِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^٣، يقول: بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن و فاجأوه في بديه السماع قبل أن يفقهوه و يعلموا كنه أمره، و قبل أن يتدبّروه و يقفوا على تأويله و معانيه؛ و ذلك لفرط نفورهم عمّا يخالف دينهم، و شرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشئ على التقليد من «الحشوية» إذا أحسّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه و ألفه و إن كانت أضوا من الشمس في ظهور الصحة و بيان الاستقامة أنكرها في أوّل وهلة، و اشمازّ منها قبل أن يحسّ إدراكها بحاسة سمعه، من غير فكر في صحّة أو فساد؛ لأنّه لم يشعر قلبه إلا صحّة مذهبه و فساد ما عداه من المذاهب^٤.

و لقد أظهر الزمخشري تعصباً قوياً لمذهبه، إلى حدّ جعله يُخرج خصومه السُنّين من دين الله، و هو الإسلام؛ و ذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ﴾^٥، فإن قلت: ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم، حيث جمعهم معه و مع الملائكة في الشهادة على وحدانيته و عدله؟

قلت: هم الذين يشتون وحدانيته و عدله بالحجج الساطعة و البراهين القاطعة، و هم علماء العدل و التوحيد - يريد أهل مذهبه..

٢. فكتانه ج ١، ص ٣٩٩.

٤. فكتانه ج ٢، ص ٣٤٧-٣٤٨.

١. آل عمران (٣): ١٠٥.

٣. يونس (١٠): ٣٩.

٥. آل عمران (٣): ١٨.

فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد يعني في قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾؟ قلت: فائدته أن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هو توحيد، وقوله: ﴿قَالِمًا بِالْقِسْطِ﴾ تعديل، فإذا أردفه بقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين. وفيه: أن من ذهب إلى تشبيهه، أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بين جلي كما ترى^١.



وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾^٢، قال: «ثم تعجب من المتسمين بالإسلام، المتسمين بأهل السنة والجماعة، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً، ولا يفرنك تسترهم بالبلكفة^٣ فإنه من منصوبات أشياخهم؛ والقول ما قال بعض العدلية فيهم:

لجماعة سَمَوْا هَوَاهِمَ سُنَّةٍ وجماعة حُمُرُ لَعْمَرِي مَوْكِفَةٍ^٤
قد شَبَّهوهُ بِخَلْقِهِ وَتَخَوَّفُوا شَنَعَ الْوَرَى فَتَسْتَرُوا بِالْبَلِكْفَةِ

وحمل الآية على أنها ترجمة عن مقترح قومه وحكاية لقولهم وتفسير آخر، وهو: أن يريد بقوله: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ عرّفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً، كأنها إراءة في جلائها بآية، مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك، أنظر إليك: أعرفك معرفة اضطرار، كأنني أنظر إليك، كما جاء في الحديث: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» بمعنى: ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم للقمر إذا

١. الكشاف ج ١، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ راجع: التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٤٦٧-٤٦٨.

٢. الأعراف (٧): ١٤٣.

٣. لأنهم قالوا: إنه يرى بلا كيف، أي لا تسأل عن كيفية رؤيته تعالى. والبلكفة مخففة ذلك. وعذ الزمخشري ذلك ذريعة للتخلص من مأزق القول بالحسية والقول بالجهة، فهو من منصوبات أشياخهم، أي شبكات بتصديرون بها الضعفاء.

٤. أي موضوع عليها الإكاف وهي البرذعة. وهي بمنزلة السرج للفرس.

امتلاً واستوى^١.

وقد أثار ذلك ثورة أحمد الإسكندري، فجعل يقابل هجاءه لأهل السنة بهجاء أهل العدل، قال: «و لولا الاستناد بعثمان بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وشاعره، و المنافع عنه و روح القدس معه، لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية و بالناجين سلاماً، و لكن كما نافع حسان عن رسول الله ﷺ أعداءه، فنحن ننافع عن أصحاب سنة رسول الله ﷺ أعداءهم فنقول:

و جماعة كفروا برؤية ربهم	حقاً و وعد الله ما لن يخلفه
و تعلقوا عدلية قلنا: أجل	عدلوا بربهم فحسبهموا سفه
و تعلقوا الناجين، كلاً إنهم	إن لم يكونوا في لظى فعلى شفء ^٢ .

البحر المحيط

لأثير الدين معتمد بن يوسف بن عليّ الحياتي الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، النحويّ اللغويّ (٦٥٤-٧٤٥ هـ)، كان من أقطاب سلسلة العلم و الأدب، و أعيان المبرزين بدقائق ما يكون من لغة العرب. حكى أنه سمع الحديث بالأندلس و إفريقية و الإسكندرية و مصر و الحجاز، من نحو أربع مائة و خمسين شيخاً، و كان شيخ النحاة بالديار المصرية، و أخذ عنه أكابر عصره. فعن الصفيّ أنه قال: لم أره قطّ إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب. و كان ثبتاً صدوقاً حجة، سالم العقيدة من البدع و القول بالتجسيم، و مال إلى مذهب أهل الظاهر و إلى محبة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. كثير الخشوع و البكاء عند قراءة القرآن. توفيّ بالقاهرة سنة (٧٤٥ هـ). و من شعره:

هم بحثوا عن زلتني فاجتبتتها و هم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

٢. لكشاف (الهامش)، ج ٢، ص ١٥٦.

١. تفسير لكشاف، ج ٢، ص ١٥٢-١٥٦.

يروى عنه شيخنا الشهيد الثاني بواسطة تلميذه جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل البغدادي^١.

و تفسيره هذا من أجمع التفسير على النكات الأدبية الرائعة التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وأوفرهم بحثاً وراء كشف المعاني الدقيقة التي حواها كلام الله العزيز الحميد. وقد امتاز بالاهتمام البالغ بجهات اللغة والنحو والأدب البارع، و يعدّ تفسيره ديواناً حافلاً بشواهد تفسير الكلمات واللغات والتعابير العربية والوجوه الإعرابية، كما اهتم بالقراءات واللهجات؛ إذ كان عارفاً بها، و نقل أقوال الأئمة وآراء الفقهاء، فكان تفسيراً جامعاً وشاملاً يروي الغليل ويشفي العليل.

وقد أبان عن منهجه في المقدمة، قائلاً:

«و ترتبني في هذا الكتاب أنّي ابتدأت أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان لكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أوّل موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كلّ موضع تقع فيه فيحمل عليه. ثمّ أشرع في تفسير الآية، ذاكرًا سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات، شاذّها ومستعملها، ذاكرًا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلاً أقوال السلف والخلف في فهم معانيها، متكلماً على جليتها وخفيها؛ بحيث إنّي لم أغادر منها كلمة وإن اشتهرت، حتّى أتكلّم عليها، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الأدب، من بديع وبيان، مجتهداً. ثمّ أختتم الكلام في جملة من الآيات التي أفسرها أفراداً وتركيباً، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً»^٢.

معاني القرآن

لأبي زكريّا يحيى بن زياد الفراء المستوفى سنة (٢٠٧ هـ). كان تلميذ الكسائي

٢. بحر المحيط (المقدمة)، ج ١، ص ٤٠٤.

١. الكثر والأقناب، ج ١، ص ٥٩-٦٠.

وصاحبه، وأبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. قال ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها. وكانت له حظوة عند المأمون، كان يقدمه، وعهد إليه تعليم ابنه، واقترح عليه أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية، وأمر أن تُفرد له حجرة في الدار وكل بها جواري وخداماً للقيام بما يحتاج إليه، وصير إليه الوراقين يكتبون ما يمليه، وقد عظم قدر الفراء في الدولة العباسية.

كان الفراء قوي الحافظة، لا يكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغناءً بحفظه. وبقيت له قوة الحفظ طوال حياته، وكان يُملي كتبه من غير نسخة. قيل عنه: إنه أمير المؤمنين في النحو. يقول ثمامة بن الأشرس المعتزلي عنه - وهو يتردد على باب المأمون -: فرأيت أبهة أديب، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بجرأً، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم، وبالنحو ماهراً، وبالطب خبيراً، وبآيام العرب وأشعارها حاذقاً.

وكان سبب تأليفه لكتاب معاني القرآن على ما حكاه أبو العباس ثعلب أن عمر بن بكير كان من أصحابه وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: أن الأمير الحسن بن سهل ربما سألتني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت. فأجابه الفراء، وقال لأصحابه: اجتمعوا حتى أمِلّ عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفراء، فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب، ففسرها، ثم توفى الكتاب كله، يقرأ الرجل ويفسر الفراء. قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبله، ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه. وعن أبي بديل الرضائي: فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء الكتاب فلم يضبط، قال: فعدنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً.

وعن محمد بن الجهم: كان الفراء يخرج إلينا - وقد لبس ثيابه - في المسجد الذي في خندق عبويه، وعلى رأسه قلنسوة كبيرة، فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عشراً من

القرآن، ثم يقول: أمسك، فيُملي من حفظه المجلس. ثم يجيء سلمة بن عاصم من جلة تلامذته بعد أن تنصرف نحن، فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه ويغير ويزيد وينقص.

يقول محمد بن الجهم السمرى راوي الكتاب في المقدمة: هذا كتاب فيه معاني القرآن، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - يرحمه الله - عن حفظه من غير نسخة، في مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاوات والجمع، في شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين، وفي شهور سنة ثلاث، وشهور من سنة أربع ومائتين^١.

فقد تم إملاء الكتاب خلال ثلاث سنوات، كل يوم الثلاثاء والجمعة من الأسبوع في كل شهر، ابتداءً من شهر رمضان المبارك، في سنين اثنتين وثلاث وأربع بعد المائتين. وهو أجمع كتاب أتى على نكات القرآن الأدبية: اللغة والنحو والبلاغة، لا يستغني الباحث عن معاني القرآن من مراجعته والوقوف على لطائفه ودقائقه. وقد اعتنى المفسرون بهذا الكتاب وجعلوه موضع اهتمامهم، سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا. فإنه أحد مباني التفسير، وكان معروفاً بذلك.



و الكتب في «معاني القرآن» كثيرة، أولها: معاني القرآن لأبان بن تغلب بن رباح البكري التابعي، من خواص الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام المتوفى سنة (١٤١ هـ)، وهو أول من صنّف في هذا الباب. صرّح به النجاشي وابن النديم.

والثاني: معاني القرآن لإمام الكوفيين في النحو والأدب واللغة، وأولهم بالتصنيف فيه، أستاذ الكسائي والفراء، هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، أبو سارة الرواسي الكوفي، الراوي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وقد نسبته إليه الزبيدي. وعدّ النجاشي من كتبه إهراب القرآن ولعلهما واحد، ذكره ابن النديم.

والثالث: معاني القرآن لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الشمالي

الأزديّ البصريّ المتوفى سنة (٢٨٥ هـ) إمام العربية، الملقّب من أستاذه المازنيّ بالمبرد، أي المثبت للحق^١.

وقد كتب في معاني القرآن كثير من الفحول، يقول الخطيب بصدّد الحديث عن معاني القرآن لأبي عبيد وأنه احتذى فيه من سبقه: «و كذلك كتابه في معاني القرآن، وذلك أن أول من صنّف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير، ثم الأخفش. و صنّف من الكوفيين الكسائيّ ثم الفراء. فجمع أبو عبيد (القاسم بن سلام الإمام) من كتبهم، وجاء فيه بالآثار وأسانيدها، و تفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء، توفي سنة (٢٢٤ هـ) بمكة المكرمة^٢.

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن

لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ المتوفى سنة (٦٦٦ هـ).

هو أخصر وأشمل كتاب حوى على بيان إعراب الأهم من ألفاظ القرآن وأنحاء قراءاته. ولقد أوجز المؤلف في ذلك، وأوفى الكلام حول إعراب القرآن في أشكال مواضعه، فيما يحتاج إليه المفسر أو الناظر في معاني القرآن الكريم. يقول المؤلف في مقدّمة الكتاب: إن أولى ما عني باغي العلم بمراعاته، وأحق ما صرف العناية إلى معاناته ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها، و حاكماً عليها، وذلك هو القرآن المجيد، وهو المعجز الباقي على الأبد، والمودع أسرار المعاني التي لا تنفد. فأول مبدوء به من ذلك تلقّف ألفاظه من حقّاقه، ثم تلقّي معانيه ممّن يعاينه. وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه، ويتوصّل به إلى تبين أغراضه ومغزاه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأئمة.

و الكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جداً، فمنها المختصر حجماً و علماً، ومنها

١. جاء ذكره في الثلاثين في الدرر اللطيفة للطهراني، ج ٢١، ص ٢٠٥-٢٠٦، رقم ٤٦٢٢، ٣٣ و ٣٤.

٢. تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٠٥.

المطول بكثرة إعراب الظواهر، و خلط الإعراب بالمعاني، و قلماً تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلماً وجدتها على ما وصفت، أحببت أن أُملي كتاباً يصغر حجمه و يكثر علمه، اقتصر فيه على ذكر الإعراب و وجوه القراءات، فأُتيت به على ذلك.

و الكتاب مرّتب حسب ترتيب السور، متعرّضاً لإعراب القرآن آية آية و كلمة فكلمة، حتّى يأتي إلى آخره.



و الكتب في إعراب القرآن كثيرة، أفضلها ما كتبه المتقدّمون، و قد استرسل فيها المتأخرون، فأتوا بما لا طائل تحته في كثير من تصانيفهم بهذا الشأن.

و من أحسن كتب السلف في إعراب القرآن، كتاب البيان في غريب إعراب القرآن، تأليف كمال الدين، عبد الرحمن بن محمّد بن عبّيد الله، أبي البركات، المعروف بابن الأنباري، المتوفّى سنة (٥٧٧ هـ). و قد انتهت إليه زعامة العلم في العراق، و كان قبلة الأنظار بين أساتذة المدرسة النظامية في بغداد، يرحل إليه العلماء من جميع الأقطار، و قد تحاطف الطلاب و الأدباء تصانيفه، و طولب بالتأليف في مختلف علوم اللغة.

و قد وضع كتابه هذا على أحسن أسلوب و أجمل ترتيب، في بيان أعراب القرآن، منتهجاً ترتيب معاني القرآن للقراء، و أسلوبه في شرح مواضع الكلمات، و بيان تفاصيل وجوهها. و هو مرّتب حتّى نهاية القرآن الكريم.

و من الكتب المؤلفة في هذا الباب، و يعدّ من أجملها: كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج المتوفّى سنة (٣١٦ هـ). لكنّ من المحتمل القريب أنّه من تأليف أبي محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي المغربي، صاحب التأليف الكثيرة في القرآن، و في الأدب و اللغة، توفّى سنة (٤٣٧ هـ).^١

هذا الكتاب وضع على تسعين باباً، جاء الكلام فيها في مختلف شؤون النكات الأدبية

و النحويّة و اللغويّة، كلّ باب بنوع خاصّ من المسائل الأدبيّة. و قد استوفى الكلام حول مسائل اللغة في القرآن و بعض مسائل البلاغة و البديع كالباب التاسع عشر، فيما جاء في التنزيل من ازدواج الكلام و المطابقة و المشاكلة و غير ذلك. و الباب الخامس و الثلاثين، فيما جاء في التنزيل من التجريد. و الباب الثالث و الثمانين، فيما جاء في التنزيل من تفتّن الخطاب و الانتقال من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة و من الغيبة إلى التكلّم. كما تعرّض لبعض القراءات، كالباب السابع و الثمانين فيما جاء في التنزيل من القراءة التي رواها سيبويه في كتابه. و الباب الثامن و الثمانين في نوع آخر من القراءات. و سائر الأبواب متمحّضة في النحو و الاشتقاق.

و على أيّ حال، فهو كتاب ممتع، و مفيد للباحثين، عن نكات القرآن الأدبيّة و الدقائق اللغويّة البارعة.



و لمكّي بن أبي طالب، كتاب آخر في مشكل إعراب القرآن طبع في جزئين. و هو تأليف لطيف وضعه على ترتيب السور، تعرّض للمشكل من أعراب ألفاظ القرآن الكريم، هادفاً وراء ذلك إيضاح المعاني؛ حيث وضّح الإعراب هو خير معين في فهم المعنى. قال في المقدّمة: «إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني و ينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد و يفهم الخطاب و تصحّ معرفة حقيقة المراد. و قد رأيت أكثر من ألف في الإعراب، طوّله بذكره لحروف الخفض و حروف الجزم، و بما هو ظاهر من ذكر الفاعل و المفعول، و اسم إنّ و خبرها، في أشباه لذلك يستوي في معرفتها العالم و المبتدئ، و أغفل كثيراً ممّا يحتاج إلى معرفته من المشكلات، فقصدت في هذا الكتاب إلى تفسير مشكل الإعراب، و ذكر علله و صعبه و نادره»^١.



تفاسير لغوية

هناك كتب تعرّضت لغريب اللغة في القرآن، وفسّرت معاني الكلمات التي جاءت غريبة في كتاب الله. وقد فسّرنا فيما مضى معنى «الغريب» الواقع في القرآن، وأنها اللفظة المستعملة والمعروفة في لغة قبيلة دون أخرى، فجاء استعمالها في القرآن غريباً على سائر اللغات، وذلك في مثل «الْوَدْق» بمعنى المطر، لغة جرهم. و«الْمِنْسَاء» بمعنى العصا، لغة حضرموت. و«آسِن» بمعنى مُنْتَن، لغة تميم. و«سُر» بمعنى جنون، لغة عمان. و«بَسَّت» بمعنى تفتتت، لغة كندة، و«هَلَمَّ جَرّاً» وعليه فالذي جاء منه في القرآن الشيء الكثير، هو الغريب العذب والوحش السائغ، الذي أصبح بفضل استعماله أوفاً، و صار بعد اصطياده خلوباً، دون البعيد الركيك، والمتوعّر النفور. وقد بحثنا عن ذلك مستوفى عند الكلام عن إعجاز القرآن البياني^١.

والمؤلفون في تفسير غريب القرآن كثير

١. أولهم أبان بن تغلب أبو سعيد البكري الجريدي من أصحاب الإمام محمد بن علي الباقر^{عليه السلام} فقد صنّف في غريب القرآن كتاباً عنى فيه بذكر الشواهد من الشعر الجاهلي على معنى الكلمة التي يذكرها. وهو من خير الكتب المؤلفة في هذا الباب. توفي سنة

١٤١ هـ.

٢. ثم محمد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام توفي سنة ١٤٦ هـ. قال ابن خلكان: هو صاحب التفسير و علم النسب وكان إماماً في هذين العلمين^١.

٣. وأبو فيد مؤرّج بن عمرو النحويّ السدوسيّ البصريّ توفي سنة ١٧٤ هـ. له كتاب في غريب القرآن. وكان من أصحاب الغليل الأقدمين. قال الأخفش: سألتني القاضي يحيى بن أكرم عن الثقة المأمون المقدم من أصحاب الغليل بن أحمد من هو؟ ومن الذي كان يوثق بعلمه؟ فقلت: النضر بن شميل وسيبويه ومؤرّج السدوسيّ. ذكره ابن خلكان^٢.

٤. وعليّ بن حمزة الكسائيّ المتوفى سنة ١٨٢ هـ.

٥. والنضر بن شميل، المتوفى سنة ٢٠٣ هـ.

٦. وقطرب، محمد بن المستير، المتوفى سنة ٢٠٦ هـ.

٧. والفراء، يحيى بن زياد، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.

٨. وأبو عبيدة، معمر بن المثنى، المتوفى سنة ٢١٠ هـ.

٩. والأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة ٢١٦ هـ.

١٠. وأبو عبيد، القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٣ هـ.

واستمرّ الحال و تسلسل تأليف كتب و رسائل في غريب القرآن طول القرون، على أيدي علماء أدباء و لغويين نباء، أوضحوا الكثير من غريب ألفاظ القرآن الكريم و عنوا بذلك عناية بالغة، جزاهم الله عن الإسلام و القرآن خير جزاء.

و ممّا هو جدير بالذكر أنّ اسم كتاب الأخفش و الكسائيّ و الفراء هو: معاني القرآن، و اسم كتاب أبي عبيدة و قطرب هو: مجاز القرآن. و هذه الأسماء الثلاثة: «غريب القرآن» و «معاني القرآن» و «مجاز القرآن» مترادفة أو كالمترادفة في عرف المتقدمين. و قد وهم

٢. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٠٤، رقم ٧٤٥.

١. وفيات الأعيان ج ٤، ص ٣٠٩، رقم ٦٣٤.

كثير من الباحثين المتأخرين فقالوا: إن مجاز القرآن من كتب البلاغة لا من كتب التفسير، وهو خطأ شائع^١.

وأقدم كتاب وصل إلينا في تفسير غريب القرآن، ما هو المنسوب إلى الإمام الشهيد (سنة ١٢٢) زيد بن علي بن الحسين عليه السلام - وهو برواية الشيخ أبي جعفر محمد بن منصور ابن يزيد المقرئ - وهو شيخ الزيدية بالكوفة، عن علي بن أحمد بن الحسين المعروف بالأكوع، عن عطاء بن السائب الثقفي الكوفي أحد الأئمة و الرجل الثقة، عن أبي خالد، عمرو بن خالد الواسطي عن الإمام زيد بن علي عليه السلام. ويتكرر هذا السند طول التفسير. ويبدو من خلال التفسير أنه جمع لكلمات زيد وتفسيراته لأي القرآن، وإن عمرو بن خالد هو الذي تولى جمع وتنسيق مقالات زيد. هذا، ولعل الجامع لهذا التفسير شخص آخر متأخر عن عمرو بن خالد^٢.

وهو تفسير موجز لطيف و تبيين شاف لمواضع الإيهام من الذكر الحكيم، تجده وافياً بإيفاد المعاني في تسلسل رتيب حسب ترتيب السور والآيات، مما ينبؤك عن علم غزير وذوق ظريف ودقة فائقة^٣.



وخير كتاب وجدته تعرّض للمشكل من معاني القرآن، متصدّياً لتأويله و تبيّنه، هو كتاب تأويل مشكل القرآن تأليف العلامة الناقد البصير أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) الدينوري المروزي المتوفى سنة (٢٧٦ هـ). وقد استوفى المؤلف الكلام حول أنواع المتشابه في القرآن، وشرحها شرحاً وافياً. تكلم عن الطاعنين في القرآن، و ما ادّعى فيه من التناقض و الاختلاف، و التكرار و الزيادة و مخالفة الظاهر، و ما ادّعى فيه من فساد النظم و الإعراب. كما تعرّض للأشباه

١. راجع: أحمد صفر في مقدّمة كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

٢. راجع: الحسيني الجلابي - محقق الكتاب - أوّل صفحة من تفسير فاتحة الكتاب بالهامش، رقم ٢.

٣. وأخيراً قام بتحقيقه و تنميته زميلنا الفاضل السيّد محمد جواد الجلابي، و طبع طبعة أنيقة.

والنظائر في معاني ألفاظ القرآن (و لعله كان المرجع لحبيش التفلسي في تأليفه الآتي) و تكلم في حروف المعاني وما شاكلها من أفعال، واستعمال بعض الحروف مكان البعض، و أخيراً الكلام عن مشكل القرآن و ما شابه ذلك.

فهو كتاب فريد في بابه، لم يسبق له نظير في مثله، كما لم يخلفه بديل.



و قد أعقبه بكتاب آخر في «تفسير غريب القرآن» هو في الحقيقة تكميل لكتاب تأويل مشكل القرآن. لأنّ اللفظ الغريب، من غامض المشكل الذي دعى ابن قتيبة إلى توضيحه و تبين دقيقه. و إنما أفرد الغريب بكتاب لئلا يطول كتاب المشكل.

و قد أنبأنا ابن قتيبة في صدر كتابه هذا أنّ غرضه الذي امتثله فيه: أن يختصر و يكمل. و يوضح و يجعل. قال: و كتابنا هذا مستتب من كتب المفسرين و كتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم و لا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة و أشبهها بقصّة الآية. و نبذنا منكر التأويل و منحول التفسير، الذي لا ندري: أوقع الغلط فيه من جهة المفسرين أم جهة الثقلّة؟

ثمّ عقد باباً عنوانه «اشتقاق أسماء الله و صفاته و إظهار معانيها» فسّر فيه ستّة و عشرين حرفاً من الحروف المعبّرة عن ذلك. ثمّ أعقبه بباب تأويل حروف كثرت في الكتاب، و قد فسّر منها أربعين حرفاً. ثمّ قرأه بتفسير غريب القرآن على ترتيب المصحف، على نحو تفسير غريب القرآن المنسوب إلى الإمام زيد بن عليّ عليه السلام. و هذا اللون من ألوان ترتيب كتب الغريب لعله أقرب تناولاً من الكتب المؤلّفة على حسب حروف المعجم، لأنّ الطالب لمعرفة غريب آية أو آيات أو سورة يجد طلبته مجموعة أمامه و لا يتبدّد ذهنه في الكشف عن معاني الكلمات في مواردها المختلفة.

و بالجملة فهو من أحسن كتب تفسير غريب القرآن و من أجمله نظماً و ترتيباً على اختصاره و إجماله. و كان مصدراً ثرياً لكثير من جاوروا بعده كالطبري و القرطبي و الرازي. و إن كان هو اعتمد على كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة و معاني القرآن للفرّاء

أكبر اعتماد، وانتفع بهما انتفاعاً عظيماً، حتى إنه في بعض الأحيان كان ينقل لفظهما بنفسه وفضّه. لكنّه أخذ عالم بصير وناقد خبير يعرف ما يأخذ وما يذر.



وأحسن كتاب في هذا الباب، هو كتاب المفردات لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المتوفى سنة (٥٠٢ هـ)، فإنه أول كتاب فتح باب الاجتهاد في اللغة وأعمل الرأي والاستنباط في فهم معاني اللغات. ولقد أجاد في ذلك وأفاد، واستقصى لغات القرآن كلها واستوعب الكلام في الجمع والتفريق، والبسط والتفصيل، في المعاني ومفاهيم الكلمات.



ولأبي الفضل حبّيش بن إبراهيم التفلسي من أعلام القرن السادس كتاب لطيف، كتبه في وجوه معاني القرآن، تعرّض فيه للمعاني المحتملة من تعابير جاءت في القرآن الكريم، وضعه بالفارسية، وهو موجز مختصر طريف في بابه. حقّقه الأستاذ الدكتور مهدي محقق، وطبع ونشر أخيراً في عدّة طبعات بطهران.



وأجمع كتاب ظهر أخيراً جامعاً لمعاني القرآن وشاملاً ومستوعباً لفرائب ألفاظه الكريمة، هو كتاب تفسير غريب القرآن الكريم للفقير للمفسر اللغوي الأديب الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي المتوفى سنة (١٠٨٥ هـ)، وهو كتاب شاف وواف بالموضوع، طبع طبعة أنيقة، بتحقيق الأستاذ محمد كاظم الطريحي، بالنجف الأشرف - العراق.

تفسير المتشابهات

ويلحق بهذا الباب تفاسير خصّت الكلام حول متشابهات القرآن وردّ المطاعن عنه، وهي كثيرة ومتنوعة، كان من أهمّها:

١. متشابه القرآن، للقاضي عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني

المعتزلي المتوفى سنة (٤١٥ هـ). ولد في ضواحي مدينة همدان، في قرية أسد آباد، وخرج إلى البصرة في طلب العلم، واختلف إلى مجالس العلماء، حتى برع في الفقه والحديث والأدب والتفسير، وتكلم على مذهب الاعتزال، وتولى القضاء في الري، على عهد الصحاح بن عبّاد في دولة بني بويه؛ حيث كان الصحاح لا يرى تولية القضاء في دولته الشيعية إلا لمن كان معروفاً من أهل القول بالعدل.

كان عبد الجبار إمام المعتزلة في عصره، واتصل بالصحاح، ووقع تحت عنايته، ومن ثم كتب له عهداً بتولية رئاسة القضاء في الري وقزوین وغيرهما، من الأعمال التي كانت لفخر الدولة، ثم أضاف إليه بعد ذلك في عهد آخر إقليميّ جرجان وطبرستان. وله تصانيف قيمة وجيدة، ولا سيما في الأصول والكلام، مثل المصنفي، وشرح الأصول الخمسة، وكتاب الحكمة والحكيم، وغير ذلك.

ومن جيّد تصانيفه: كتابه في متشابهات القرآن، يستعرض فيه سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، ويقف في كلّ منها عند نوعين من الآيات: الآيات المتشابهة التي يزعم الخصم أنّ فيها دلالة على مذهبه الباطل، والآيات المحكّمة الدالة على مذهب الحق، وذلك ما ألزم به نفسه في مقدّمة الكتاب، واستمرّ عليه حتى نهاية الكتاب. ولقد أجاد فيما أفاد، واستوعب الكلام فيما أراد.

٢. تنزيه القرآن عن المطاعن، أيضاً للقاضي عبد الجبار. كتبه في دفع الشكوك عن القرآن الكريم، ورتبه حسب ترتيب السور، وتكلم في إيراد الإشكالات الأدبية والمعنوية الواردة، أو المحتملة على القرآن، ثم الإجابة عليها إجابة شافية وكافية، حسبما أوتي من حول وقوة. ولقد استوفى الكلام في ذلك حتى نهاية القرآن.

٣. متشابهات القرآن ومختلفه، للشيخ الجليل رشيد الدين أبي جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السرويّ المازندرانيّ المتوفى سنة (٥٨٨ هـ). كان علماً من أعلام عصره، وضاًء كثير التصنيف والتأليف، في مختلف العلوم الإسلامية، وكان خبيراً ناقداً وبصيراً بشؤون الدين والشريعة.

قال المحقق القمي بشأنه: فخر الشيعة و مروّج الشريعة، محيي آثار المناقب والفضائل، و البحر المتلاطم الزخّار الذي لا يساجل، شيخ مشايخ الإمامية. و عن الصندي: حفظ أكثر القرآن و لم يبلغ الثامنة من عمره، كان يُرحل إليه من البلاد، له تقدّم في علم القرآن و الغريب و النحو. و وعظ على المنبر أيام المقتني العباسي ببغداد، فأعجبه و خلغ عليه. و كان بهي المنظر، حسن الوجه و الشيبة، صدوق للهجة، مليح المحاورّة، واسع العلم، كثير الخشوع و العبادة و التهجد، لم يكن إلا على وضوء. عاش عيشته الحميدة مائة عام، و توفي بحلب. و قبره مزار بمشهد السقط على جبل جوشن خارج حلب^١.

أما كتابه هذا فهو من خير ما كتب في متشابهات القرآن، و أجمعها و أشملها، و أتقنها إحصائياً و بياناً و تفصيلاً، وضعه على أسلوب طريف، يبدأ بمسائل التوحيد و صفات الذات و الفعل، و عالم الذرّ و القلب و الروح و العقل، و القضاء و القدر، و السعادة و الشقاء، و النبوة و العصمة، و تاريخ الأنبياء، و الكلام على إعجاز القرآن، و المحكم و المتشابه، و الوحي و الخلافة و التكليف، و الجنّ و الملك و الشياطين، و مسائل الإمامة و الولاية، ثمّ بأصول الفقه و الأحكام و الشرائع، و النسخ، و الاستثناء و الشرط، و الحقيقة و المجاز، و الكناية و الاستعارة و التشبيه، و سائر المسائل الأدبية و اللغوية، و ما إلى ذلك، ترتيباً طبيعياً منسجماً، سهل التناول قريب المنال، في عبارات سهلة جزلة، فله درّه و عليه أجره.

٤. أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها تأليف زين الدين محمّد بن أبي بكر الرازي المتوفى سنة (٦٦٦ هـ)، يشتمل على ألف و مأتي سؤال و جواب حول متشابهات القرآن، أوردتها بصورة موجزة و موفية بالمقصود، و كانت معروفة بمسائل الرازي.

كان المؤلف - وهو من مواليد الري، و من ثمّ نسب إليه - على غاية من الذكاء و سعة

الإطلاع، وله تأليف جيدة، مثل الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز، وروضة الفصاحة في البديع والبيان، ومختار الصحاح، وشرح مقامات الحريري ونحفة الملوك في العبادات، مما ينبؤك عن أدب جمّ وخبرة واسعة.

وضع كتابه على ترتيب السور، يتعرّض للشبهة بصورة سؤال، ثمّ يجيب عليها إجابة وافية، حسبما أوتى من علم وبصيرة، وهو تأليف لطيف في بابه، حسن الأسلوب، بديع في مثله.



وللشيخ خليل ياسين، من أبرز علماء لبنان في العصر الأخير، كتاب حافل وشامل، حوى ألفاً وستّ مائة سؤال وجواب حول شبهات القرآن، عرضها حسب ترتيب السور والآيات، عرضاً علمياً أدبياً، وكانت الأجوبة موفية حسب إمكان المؤلف العلمي، بصورة موجزة ووافية. وجاء اسم الكتاب أضواء على متشابهات القرآن اسماً متطابقاً مع المسمّى. طبع في بيروت - لبنان - سنة (١٣٨٨ هـ). وهو كتاب جليل جميل.

تفاسير موجزة

هناك تفاسير اتخذت طريقة الإيجاز في تفسير القرآن و تبيين معانيه، ابتعدت عن طريقة التفصيل التي مشى عليها أكثر المفسرين الكبار، محاولين بذلك إلى تقريب معاني القرآن إلى الأذهان في خطوات سريعة و متقاربة، و الأكثر أن يكون ذلك خدمة للناشئة من طلبة العلوم الدينية، و من قاربهم من ذوي الثقافات العامة.

١. و من حاز قصب السبق في هذا المضمار، هو (السيد عبد الله شبر) في تفسيره الوجيز الذي قدّمه للملا من المسلمين خدمة موفقة إلى حد بعيد، فهو على وجاهته يحتوي على نكات و دقائق تفسيرية رائعة، مما قد يفوت بعض التفاسير الضخام. فإنه لا يفوته أن يكشف لنا عن كثير من النكات اللفظية و البيانية و المعنوية، مع الخوض أحياناً في المعاني اللغوية و المسائل النحوية، كل هذا - كما قال الأستاذ الذهبي - في أسلوب ممتع لا يملّ قارئه من تعقيد و لا يسأم من طول!

و قد حرص المؤلف على أن يكون جلّ اعتماده على ما ورد من التفسير عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و إن كان لا يعزو كلّ قول إلى قائله في الغالب، كما حرص على أن ينصر المذهب و يدافع عنه سواء في ذلك ما يتعلّق بأصول المذهب أم بفروعه. و هو بعد ذلك

يشرح الآيات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحاً يتفق مع مذهب أهل العدل، أو الظاهر المتفق عليه لدى أهل الحديث، ثم لا يفوت المؤلف في تفسيره هذا أن يشير إلى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم، و يجب عنها إجابة سليمة عن تكلف أهل البدع. ولا غرو فإنّه الأديب البارِع والفقهاء المحدّث الجامع. ولقد وصف المؤلف تفسيره هذا، وبيّن مسلكه فيه، جاء في مقدّمته:

«هذه كلمات شريفة، و تحقيقات منيفة، و بيانات شافية، و إشارات وافية، تتعلّق ببعض مشكلات الآيات القرآنية، و غرائب الفقرات القرآنية، و تتحرّى غالباً ما ورد عن خزّان أسرار الوحي و التنزيل، و معادن جواهر العلم و التأويل، الذين نزل في بيوتهم جبرائيل، بأوجز إشارة و أطف عبارة، و فيما يتعلّق بالألفاظ و الأغراض و النكات البيانية، تفسير و جيز. فإنّه أطف التفاسير بياناً، و أحسنها تبياناً، مع و جازة اللفظ و كثرة المعنى»^١.

ولقد وفي المؤلف بما وعد، فقد أسند جواهر تفسيره و جيّد آرائه إلى معينه الأصل من علوم أئمّة أهل البيت عليهم السلام. كما أوجز و أوفى في البيان و إيداء النكت و الظرائف في عبارات سهلة قريبة وافية.

قال الأستاذ حامد حفيّ (أستاذ كرسيّ الأدب في كليّة الألسن العليا بالقاهرة) في مقدّمة التفسير المطبوع بالقاهرة: «و العالم بهذا الفنّ يدرك لأوّل وهلة دقّة المفسّر و إمساكه بخطام هذه الصناعة، و جمعه لأدوات المفسّر. ولعلّك و أنت تقرّأ تفسير الفاتحة في تفسيره هنا و توازن ذلك بما جاء في تفسير الجلالين تفق بنفسك على قدرات المفسّر، و لا سيّما في الأصول اللغوية، حين يردّ لفظ الجلالة «الله» إلى أصله اللغويّ، و حين يفرّق في حصافة منقطعة النظر بين معنى اسمه تعالى «الرحمان» و اسمه تعالى «الرحيم». و حين لا يكتفي بالفروق اللغوية، فيزيدك إيضاحاً بما حفظه من نصوص و أدعية مرفوعة

إلى أئمة أهل البيت النبوي عليهم السلام. وهو في ذلك كله سهل الجانب، معتدل العبارة، يسوقها في حماس العالم، وليس في ثورة المتعصب. كما لا ينسى وهو يفسر أن يشرح الآية بآيات أخرى، وأن يذكر سبب النزول كلما دعا الأمر إلى ذلك، وكان عوناً له على توضيح المعنى المطلوب من الآية، وهكذا نلاحظ هذا الصنيع في سائر عبارات هذا التفسير الجليل^١.

هذا، وقد أتم المؤلف تفسيره هذا - كما قال في خاتمته - في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين ومائتين بعد الألف من الهجرة (١٢٣٩ هـ). وقد طبع عدة طبعات، ولا يزال.. وقد تقدّم بعض الكلام عنه عند عرض تفاسير شبر الثلاثة..



٢. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبّي الفرناطي توفي سنة (٧٤١ هـ). كان من مشاهير العلماء بفرناطة عاكفاً على العلم والاشتغال بالنظر والتحقيق والتدوين، وقد ألف في فنون من علوم القرآن والفقه والحديث والتفسير. كان المؤلف ممن يرغب في الجهاد، فقتل شهيداً في معركة «طريف» بالقرب من «جبل طارق».

و تفسيره هذا موجز شامل لتفسير القرآن كله، مع إيضاح المشكلات وبيان المجملات وشرح الأقوال والآراء بصورة موجزة وافية. قال في المقدمة:

«و صنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، و سائر ما يتعلق به من العلوم، و سلكت مسلكاً نافعاً؛ إذ جعلته و جيزاً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربعة فوائد: ١- جمع كثير من العلم في كتاب صغير العجم. ٢- ذكر نكت عجيبة و فوائد غريبة. ٣- إيضاح المشكلات، و بيان المجملات. ٤- تحقيق أقوال المفسرين، و تمييز الراجع من المرجوح»^٢.

١. تفسير شبر، مقدمة الدكتور حامد حنفي داود. ٢. التسهيل لعلوم التنزيل (المقدمة)، ج ١، ص ٣.

و جعل المؤلف لتفسيره مقدّمة وجيزة ذكر فيها ما يتعلّق بشؤون القرآن و علومه الشيء الوفير، و حتقّق فيها مسائل كثيرة نافعة، جعلها في اثني عشر باباً، و هي أشبه بمقدّمة المحرّر الوجيز لابن عطية، و لعلّها مأخوذة منها. فإنّ المؤلف اعتمد في تفسيره هذا أنوجيز على تفسير ابن عطية، و الكشاف للزمخشري، و غيرهما من تفاسير أدبية و لغوية كانت معروفة آنذاك، و على أيّ تقدير فهو تفسير لطيف و جامع كامل في بابه. و قد طبع عدّة طبعات.

٣. تفسير الجلالين، اشترك في تأليف هذا التفسير، جلال الدين المحلي، و جلال الدين السيوطي. فقد ابتداء جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي - المتوفّي سنة (٨٦٤هـ). و كان علامة عصره - في تفسير القرآن من أوّل سورة الكهف إلى آخر القرآن، ثمّ شرع في تفسير الفاتحة، و بعد أن أتتها اخترمته المنية فلم يفسّر ما بعدها. فجاء جلال الدين السيوطي المتوفّي (٩١١هـ). فأكمل التفسير، فابتداء بتفسير البقرة و انتهى عند آخر سورة الإسراء، و وضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي لتكون ملحقة به. و قد نهج السيوطي في التفسير منهج المحلي، من إيجاز المطالب، و ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، و الاعتماد على أرجح الأقوال، و إعراب ما يحتاج إليه، و التنبه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف، و تعبير وجيز، بحيث لا يكاد قارئ تفسير الجلالين يلمس فرقا بين طريقة الشيخين فيما فسّراه، اللهمّ في مواضع قليلة لا تبلغ العشرة. و التفسير قيم في بابه، و حظى بكثر الانتشار و رواجه بين روّاد العلم، و قد طبع مراراً و طار صيته.

٤. صفوة التفسير، تأليف الأستاذ محمد عليّ الصابوني، من أساتذة كليّة الشريعة بمكّة المكرمة. كان له نشاط في علوم القرآن و التفسير، و من ثمّ قام بتأليف عدّة كتب في التفسير و علوم القرآن، أكثرها مختصرات، كمختصر تفسير ابن كثير، و مختصر تفسير الطبري، و التبيان في علوم القرآن، و روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، و قيس من نور القرآن، و صفوة التفسير؛ و هو الكتاب الذي نحن بصدده.

و هو تفسير موجز، شامل جامع بين المأثور و المعقول، مستمدّ من أوثق التفاسير المعروفة كالطبري و الكشاف و ابن كثير و البحر المحيط و روح المعاني، في أسلوب ميسر سهل التناول، مع العناية بالوجوه البيانية و اللغوية. قال في المقدّمة: «و قد أسّمت كتابي صفوة التفاسير؛ و ذلك لأنّه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصّلة، مع الاختصار و الترتيب، و الوضوح و البيان».

فهو تفسير توسّط فيه المؤلّف في مسلكه العلميّ، ليسهل فهمه على طلبة العلم بأسلوب سهل و عبارات ميسّرة، و إيضاحات جيّدة في بيان تحليليّ ترويّي قريب التناول. طبع الكتاب في ثلاث مجلّدات، و كان تاريخ التّأليف سنة (١٤٠٠ هـ).

٥. الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تأليف الأستاذ محمّد عليّ دخيل، من ذوي النشاطات الدينيّة العريضة على الإسلام و الدفاع عنه، إلى جنب تربية النشأ الجديد تربية إسلاميّة عريقة، و من ثمّ كانت تأليفه تدور حول هذا المحور، مثل: ثواب الأعمال و عقابها، عليّ في القرآن، دراسات في القرآن الكريم، قصص القرآن الكريم، المصحف المفتر، الوجيز - الذي هو مورد دراستنا... فقد تمّ تأليفه سنة (١٤٠٥ هـ)، و طبع سنة (١٤٠٦ هـ)، في مجلّد واحد كبير، في (٨٢٩) صفحة.

و هو تفسير موجز شامل، يغلب عليه اللون الترويّي التحليليّ، متناسباً مع مستوى الجيل الحاضر. التزم فيه بنصّ الطبرسيّ في مجمع البيان مع مراعاة الاختصار. بيّن فيه مجمل المعنى من دون أن يتوسّع فيه أو يتعرّض للأدب و البلاغة، و إنّما يذكر اللفظة و التفسير الموجز، مع ذكر الأحاديث الواردة، عن النبيّ أو أحد الأئمّة عليهم السلام بحذف الأسناد، أحياناً، كما يتعرّض لمواضع الاستدلال في المذهب الإماميّ في ظرافة و إيفاء. و قد ألحق بآخره بحثاً حول العقائد و الأخلاق و القصص، كدراسات موضوعيّة في التفسير، كما تعرّض في الختام لجانب من التفسير العلميّ لآيات متناسبة في ذلك. و من ثمّ فهو تفسير جامع في وضعه، و شاف كاف لأبناء الجيل الحاضر، لمن أراد الإيجاز و الاختصار.

٦. تقريب القرآن إلى الأذهان، تفسير مزجيّ لطيف، شرّح معاني الآيات على طريقة

المزج بين الأصل والشرح، مع بيان اللغة وأسباب النزول لدى الحاجة، وتعرض لمسائل الفقه والكلام عند المناسبة بصورة موجزة. يقع في ثلاثين جزءاً حسب تجزئة القرآن، وكان تأليفه سنة (١٣٨٣ هـ) وتم طبعه سنة (١٤٠٠ هـ).

تأليف الفقيه العلامة السيد محمد الشيرازي، من أعلام النهضة الإسلامية المعاصرة، صاحب بحوث ودراسات إسلامية موسّعة، وفي متنوع جوانبها. وله حول القرآن كتابات غير هذا، منها: تسهيل القرآن في عشرة أجزاء، و توضيح القرآن في ثلاثة أجزاء، و تبين القرآن، و البعثة و النار في القرآن، لم تخرج إلى عالم الطباعة.

٧. النهر الماد من البحر المحيط، تفسير أدبي، و نحوي لغوي، تأليف أبي حيان محمد ابن يوسف الأندلسي الفرناطي، المتوفى سنة (٧٤٥ هـ). اختصره من تفسيره الكبير البحر المحيط و طبع على هامشه، و هو تفسير لطيف حوى النكات الأدبية الرائعة التي كان أودعها في تفسيره الكبير، و حذف منه الأبحاث الجدلية المسهية، و لخصها في هذا التفسير. قال في المقدمة: لما صنفت كتابي الكبير المسمى بـ«البحر المحيط» عجز عن قطعه لظوله السابع. فأجريت منه نهراً تجري عيونته، و تلتقي بأبكاره فيه عيونته، لينشط الكسلان في اجتلاء جماله، و يرتوي الظمان بار تشاف زلاله. و ربما نشأ في هذا النهر مما لم يكن في البحر، و ذلك لتجدد نظر المستخرج للتاليه، المبتهج بالفكرة في معانيه و معاليه. و ما أحليته من أكثر ما تضمنته البحر من تقوده، بل اقتصرت على يواقيت عقوده، و نكبت فيه عن ذكر ما في البحر من أقوال اضطربت بها لوجهه، و إعراب متكلف تقاصرت عنه حججه^١.

و هناك مختصر آخر للبحر المحيط لتاج الدين العنفي النحوي تلميذ أبي حيان، سماه الدر اللقيط من البحر المحيط مطبوع بالهامش أيضاً.



التفسير العرفاني الصوفي (التفسير الرمزي الإشاري)

من هو العارف و من هو الصوفي؟

كلاهما تعبيران عن شخصيّة واحدة تجمع بين صفاء الباطن و زهد في ظاهر الحال. وإنما يقال له «الصوفي» باعتبار تقشّفه في الحياة و الاقتصاد على أقلّ المعيشة و في جُشوبة في المأكّل و الملبس، و كان من مظاهرها ملابس الصوف الخشنّة تجاه ملابس الحرير الناعمة. فكان هذا النعت كناية عن تنسّكه و تزهدّه في مزاولة الحياة..

أمّا الوصف بالعرفان فلعرفانه الباطنيّ و خلوصه في السير و السلوك إلى الله و مثابرتة في سبيل معرفة الذات المقدّسة و قربه منه تعالى.. فذلك وصف لظاهر الحال، و هذا نعت لصفاء الباطن و عرفانه لمقام الذات.

كان التصوّف في أوّل عهده يدور حول نقطتين: أوّلاهما: أنّ المكوف على العبادة -وهي رياضة نفسانيّة- تورث للنفس فوائد هي حقائق روحانيّة ملكوتيّة أعلا.. و ثانيتهما: أنّ ترويض القلوب يفيض على النفس معرفة تنطوي على استعداد الإرادة لتلقّي هذه الفوائد..

و يقول المتصوّفة: إنّ في علم القلوب قوّة محرّكة، و هو يبيّن السفر إلى الله و ما فيه من مقامات و أحوال عدّتها اثنا عشر. كما يقولون: إنّ بعض الفضائل يكتسب و بعض الفوائد

يتلقى.. وقد وجهوا همهم بنوع خاص إلى تحديد الغاية القصوى التي هي تحقق النفس بمعرفة الحق تعالى عند ما يقطع العبد كل علاقته بالبدن.. ومن هنا جاء وصفهم بالصوفيّة، كما قال صاحب اللمع: «فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة.. وكان يكثر في الزهاد والمتقّنين اعتياد لبس الصوف.. فكان ذلك اسماً مجملاً مخبراً عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة.. ألا ترى أنّ الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى ﷺ فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال ﷺ: «وَإِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ» وكانوا قوماً يلبسون البياض، فنسبهم الله تعالى إلى ذلك، ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها متوسمين. فكذلك الصوفيّة نسبتوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها متوسمون. لأنّ لبس الصوف كان دأب الأنبياء ﷺ والصديقين وشعار الساكنين المتسكين...»^١.

كما وقد افترضوا «الطريقة» إلى جنب «الشريعة».. لتكون الشريعة عبارة عن الأعمال الظاهرة التي تجري على الجوارح والأعضاء الجسميّة، وهي العبادات بأنواعها، والمعاملات بأقسامها.. وقد سبى علم الشريعة بعلم الفقه اختصاصاً بالفقهاء وأهل الفتيا ومن تبعهم من الأتباع والمقلّدين.. كما هو معلوم من مذاهب معروفة..

أما علم الطريقة فهو علم يدعو إلى الأعمال الباطنة وارتياضات نفسانيّة، سمّيت بأعمال القلوب والجوانح. وسمّي هذا العلم علم التصوف وسمّي المتصوّفون أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن وسوّوا من عداهم أهل الظواهر ورسوم..

ويقترق أهل العرفان عن أهل الكلام، باستنادهم في معارفهم (علم الحقائق) إلى مشاهدات نفسيّة هي واردات قلبية أو خواطر ملكوتية فيما حسبوا، اقتناعاً بهذه الخواطر والسوانح، بدلاً من الاستدلال وإقامة البرهان، والتي اقتحمها علماء الكلام..

قال الغزالي في الإحياء: إنّ للإيمان والمعرفة ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى، إيمان العوام، وهو إيمان التقليد المحض.

و الثانية، إيمان المتكلمين، وهو ممزوج بنوع استدلال، و درجته قريبة من درجة إيمان العوام.

و الثالثة، إيمان العارفين، وهو المشاهد بنور اليقين..^١

و قد كانت الصوفية خصوم الفقهاء في الدور الأول، وأصبحوا خصوم المتكلمين وأهل النظر في دور متأخر.. فقد نابذوا هؤلاء و هؤلاء جميعاً..

و كان من جرّاء هذه المنايذة و تلك أن أخذت الصوفية في أدوار متأخرة في الهبوط إلى مرحلة الابتدال و الأخذ في الشطحات - على حدّ تعبيرهم - أخذاً بلا هوادة، و إن شئت قلت: تعابير هي أشبه بالخيال من مشاهدة الحال..

نسب إلى أبي يزيد البسطامي (توفى سنة ٢٦٦) أنه قال: «رَفَعَنِي مَرَّةً فَأَقَامَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ قَالَ لِي: يَا أَبَا يَزِيدَ، إِنَّ خَلْقِي يَحْبُونَ أَنْ يَرَوْكَ فَقُلْتَ: زَيْتِي بُوْحَدَانِيَّتِكَ، وَ أَلْبَسَنِي أَنْتَانِيَّتِكَ، وَ ارْفَعَنِي إِلَى أَحَدِيَّتِكَ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ خَلْقَكَ قَالُوا: رَأَيْتَكَ، فَتَكُونُ أَنْتَ ذَلِكَ وَ لَا أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ..».

و حكي عنه أيضاً أنه قال: «أَوَّلُ مَا صرْتُ إِلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فَصرْتُ طَيِّراً جَسْمُهُ مِنْ الْأَحْدِيَّةِ وَ جَنَاحَاهُ مِنَ الدِّيمُومِيَّةِ، فَلَمْ أَزَلْ أَطِيرُ فِي هَوَاءِ الْكَيْفِيَّةِ عَشْرَ سِنِينَ حَتَّى صرْتُ إِلَى هَوَاءِ مِثْلِ ذَلِكَ مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَطِيرُ إِلَى أَنْ صرْتُ فِي مِيدَانِ الْأَزَلِيَّةِ، فَرَأَيْتُ فِيهَا شَجَرَةَ الْأَحْدِيَّةِ - ثُمَّ وَصَفَ أَرْضَهَا وَ فِرْعَهَا وَ أَغْصَانَهَا وَ ثَمَارَهَا - ثُمَّ قَالَ: فَنظَرْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ خُدْعَةٌ..^٢

و لابن عربي:

عقد الخلاق في الإله عقائداً و أنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه
فالتصوّف كان وحده من بين معتزك المذاهب تسامحاً صرفاً و سلاماً في كل ما مرّ من

١. إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٥.

٢. راجع: فلكرة الألباء للنشابوري، ج ١، ص ١٦٠-١٦٤ (حديث معراج).

الأدوار. والصوفي - كما قال أبو تراب النخشي - لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء..
أضف إلى ذلك مسألة الولاية و صلتها بالتصوّف وكرامات الأولياء.. قالوا: إذا كان
العبد قريباً من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وكثرة إخلاصه، وكان الربّ قريباً برحمته
وعنايته، فهناك حصلت الولاية.. وربما بلغ الولي إلى مرتبة رفع الحجاب بينه وبين
الحقائق فيراها بعين الشهود.. والواصل إلى درجة العرفان تنكشف له الحجب ويشهد من
علم الله ما لا يشهده سواه، ومن ثمّ فتظهر على يديه الكرامة التي هي خرق للعادة..^١

منبع عرفان الأصفياء

سبق كلام الفزالي: إنّ هذا التجلّي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب. المرتبة الأولى: إيمان
العوامّ، وهو إيمان التقليد المحض.. والثانية: إيمان المتكلمين، وهو مسزوج بنوع
استدلال. ودرجته قريبة من درجة إيمان العوامّ. والثالثة: إيمان العارفين، وهو المشاهد
بنور اليقين..

قال: إنّ القلب بفطرته صالح لمعرفة الحقائق، لأنّه أمر ربّانيّ شريف فاروق سائر جواهر
العالم بهذه الخاصيّة والشرف. وإليه جاءت الإشارة في آية «عرض الأمانة». ولذلك
قال ﷺ: «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى ملكوت السماء»..
وهو إشارة إلى بعض هذه الأسباب^٢ التي هي حجاب بين القلب وبين الملكوت. وفي
الغدير: «قال الله تعالى: لم يسعني أرضي ولا سمانّي وسعني قلب عبدي المؤمن اللّين
الوادع»^٣.

ثمّ قال: القلب بغيريته مستعدّ لقبول حقائق الأمور، ولكنّ العلوم التي تحلّ فيه تنقسم
إلى عقلية وشرعية، والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة، والمكتسبة إلى دنيوية

١. راجع: فضائل الأئمة لعبد الرحمان الجامي، ص ٥-٢٨.

٢. وهي خمسة ذكرها: أولها: نقصان في الذات. الثاني: كدورة المعاصي. الثالث: انحراف القلب. الرابع: حجاب
الشهوات. الخامس: الجهل.. المصدر نفسه، ص ١٢-١٣.

٣. المصدر نفسه، ص ١٤.

وأخروية.

أما العقلية فنعني بها غريزة العقل، ولا توجد بالتقليد والسماع، وهي تنقسم إلى ضرورية لا يُدرى من أين حصلت وكيف حصلت.. وإلى علوم مكتسبة، وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال، وكلا القسامين قد يسمّى عقلاً، قال عليّ عليه السلام رأيت العقل عقليين فمطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع، كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع.

والأول هو المراد بقوله عليه السلام لعليّ عليه السلام: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل». والثاني^١ هو المراد بقوله عليه السلام لعليّ عليه السلام: «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر، فتقرب أنت بمقلك». إذ لا يمكن التقرب بالفريزة النظرية ولا بالعلوم الضرورية، بل بالمكتسبة. ولكن مثل عليّ عليه السلام هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل، في اقتناص العلوم التي بها يُنال القرب من رب العالمين^٢.

ثم أخذ في بيان الفرق بين الإلهام والتعلم، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحقائق، وطريق أهل النظر والاستدلال.. قال: إن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال، تختلف الحال في حصولها؛ فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل، يُسمّى إلهاماً. والذي يحصل بالاستدلال يسمّى اعتباراً واستبصاراً.

ثم الذي يقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد، ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل، وإلى ما يطلع معه على السبب الذي استفاد ذلك العلم، وهو: مشاهدة الملك الملقى في القلب.. والأول يسمّى إلهاماً ونفثاً في الروح. والثاني يسمّى حياً ويختص به الأنبياء. والأول يختص به الأولياء والأصفياء. والذي

قبله - وهو المكتسب بطريق الاستدلال - يختص به العلماء.

قال: وحقيقة القول في ذلك: أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها^١ فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة، وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاها انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها، والحجاب بين المرأتين تارة يزال باليد وأخرى بهبوب الرياح تحرّكه، وكذلك قد تهبّ رياح الألفاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب، فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة عند المنام، فيعلم به ما يكون في المستقبل، وتمام ارتفاع الحجاب بالموت، فيه ينكشف الغطاء، وينكشف أيضاً في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم، تارة كالبرق الخاطف، وأخرى على التوالي إلى حد ما، ودوامه في غاية التدور..

فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه، ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب، فإن ذلك ليس باختيار العبد..

ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم؛ فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسولاً فَيُؤَيِّدُ بِهِ مَا يَشَاءُ﴾^٢ فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، لذلك لم يحرسوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنّفه المصنّفون والبحث عن الآقاويل والأدلة المذكورة، بل قالوا: الطريق، تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنهه الهمة على الله تعالى.

١. ذكرها الغزالي بتفصيل في إجماع العلوم، ج ٣، ص ١٢-١٣.

٢. شوري (٤٢): ٥١.

و مهما حصل ذلك كان الله هو المتوَكِّل لقلبه عبده و المتكفل له بتويره بأنوار العلم، وإذا توَكَّى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة و أشرق النور في القلب و انشرح الصدر و انكشف له سرّ الملكوت و انقشع عن وجه حجاب الغيرة، بلطف الرحمة، و تلالأت فيه حقائق الأمور الإلهية. فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة و إحضار الهمة مع الإرادة الصادقة و التعطش التامّ و التردد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة. فالأنبياء و الأولياء انكشف لهم الأمر، و فاض على صدورهم النور، لا بالتعلم و الدراسة و الكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا و التبري من علاقتها و تفرغ القلب من شواغلها و الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له.^١

و في الحديث عنه عليه السلام قال: «من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه»^٢ و قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم»^٣. و قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَشَاءُوا اللَّهَ بِحَبْلٍ لَّكُمْ فُرْقَانًا»^٤. و قال: «وَاتَّقُوا اللَّهَ رِيْعًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^٥.

التأويل عند أرباب القلوب!

للتأويل عند أرباب القلوب الواعية حديث طريف يختلف عن تأويلات الباطنية غير المبتنية على أساس معقول.

إن أهل التحقيق من أصحاب العرفان الصوفيّ يقرّون تفسير أهل الشريعة، في الأخذ بظاهر القرآن و يرونه الأصل في تنزيهه، سوى أن لهم في كلام الله مذاقات عرفانية رقيقة لا يمكنهم إغفالها، لأنّها بمثابة واردات أو هواتف هي سانحات ملكوتية قدسية، تقاض على القلوب الواعية.

هذا تفسير كشف الأسرار للمولى أبي الفضل رشيد الدين الميبدي تفصيلاً و تبيناً

٢. بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ١٦٦، رقم ٧٦، بيروت.

٤. الأنفال (٨): ٢٩.

١. إحياء العلوم، ج ٣، ص ١٥-١٨.

٣. الواجب، مقدمته في الضمير، ص ٩٢-٩٧.

٥. البقرة (٢): ٢٨٢.

لتفسير العارف السالك الخوارج عبد الله الأنصاري، تراه جمع بين الظاهر و الباطن كلاً على حده. يفتر القرآن أولاً على نهج أهل الظاهر تفسيراً قوياً، ثم يعرج على تفسيره وفق مذاقات أهل الباطن، في ظرافة و لباقة كلاً في أحسن بيان، مقرأ بأن تفسير الظاهر هو الأصل، و لولاه لما أمكن استخراج الباطن الذي هو الفرع.

نعم، يرون من تفسير الباطن اللباب الخائئ تحت ذلك الثباب.

قال سهل بن عبد الله التستري - في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ شُرَكَوْنَ﴾^١ - يعني: شرك النفس الأتارة بالسوء.

[١/٣٥] كما قال النبي ﷺ: «الشرك في أمتي من ديبب النمل على الصفا»^٢. قال: هذا باطن الآية. وأما ظاهرها فمشركو العرب يؤمنون بالله، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾^٣. و هم مع ذلك مشركون يؤمنون ببعض و لا يؤمنون ببعض^٤. إذن لم يخلط بين ظهر القرآن و بطنه و ذكر كلاً على حده بأمانة. على أن الأخذ بالباطن كان مستنداً إلى النبي الشريف، مضافاً إلى كونه الأخذ بمفهوم الآية العام - حسبما تبيننا - مراعيّاً جانب المناسبة القريبة. فقد استجمع شرائط التأويل الصحيح.

نعم، إن إخضاع القرآن للغة التي مقياسها الوضع المحدود، عقاب له عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، و إغلاق لباب الفهم الذي مقياسه العقل الرشيد مدعماً بإدراكات كان مجالها ما فوق العقل ألا و هو القلب الذي لا تحده الحدود، لأنه عرش استواء تجليات الرب تعالى على مملكة الجسم.

[١/٣٦] كما جاء في الحديث القدسي: «لم يسعني سمائي و لا أرضي و لكن وسعني قلب عبدي المؤمن»^٥ و هو القلب الذي اختصه الله بالأسرار و يجب أن يستفتيه الإنسان إذا حار.

٢. المستدرک للحاکم، ج ٢، ص ١٢٩١ الكامل، ج ٧، ص ٢٤٠.

٤. راجع: قصص شتوي، ص ٨٣.

١. يوسف (١٢): ١٠٦.

٣. الزخرف (٤٣): ٨٧.

٥. بحار الأنوار، ج ٥٥، ص ٣٩.

[١/٣٧] سأل وابصة بن معبد رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم؟ فقال: «يا وابصة! استفت قلبك: البرُّ ما اطمانت إليه النفس واطماناً إليه القلب. والإثم: ما حاك في قلبك وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس»^١.

فذلك القلب له لغته كما أن للوضع لغته وللمقل لغته. فإذا كانت لغة الوضع تدرك بالألفاظ ويعبر عنها بالكلمات، فلغة القلب تدرك بالذوق والإشراق، الأمر الذي لا يحيط بالتعبير عنه الألفاظ والعبارات، بل بالرموز والإشارات.

على أن تلك الإشارات المعبرة عن الواردات القلبية لها واقع مشروع أقره الحديث المأثور: «لكل آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع»^٢.

إذن فأربابها متبعون لا مبتدعون، وقد اختصهم الله بأسراره وأودعهم ملكوت أنواره، ليكونوا مصابيح الهدى في غسق الدجى.

قال سعدالدين التفتازاني: «وأما ما ذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص مصروفة على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان»^٣.

فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجليات ومشاهدات، وتلويح لما يفرض به الله على صفوته من خلقه من أسرار وغوامض في كلامه وكلام رسوله.

قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندري^٤ - في كتابه لطائف المنن -: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره؛ ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان. وتمّ أفهام باطنية تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر

١. مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٢٨.

٢. راجع: الحواشيات للشاطبي، ج ٣، ص ٣٨٢.

٣. شرح العقيدة المشيخة للتفتازاني، ص ١٢٠ (ط كابل).

٤. هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، أحد العلماء الجامعين لعلوم الدين من التفسير والحديث والأصول والتصوف. استوطن القاهرة للوعظ، ثم رحل إلى الإسكندرية ومات بها سنة ٧٠٩ هـ. وكتابه لطائف المنن في مناقب شيخه أبي العباس المرسي، طبع بتونس سنة ١٣٠٤.

وبطن»، فلا يصدّك عن تلقّي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل و معارضة: هذا إحالة لكلام الله و كلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، و إنّما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، و هم لم يقولوا ذلك، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، و يفهمون عن الله ما أفهمهم !



نعم، هناك ما يبرّر موقف الصوفيّة من هذه التأويلات، بأنّها من تفسير الباطن للقرآن و وراء تفسيره الظاهريّ، مع العلم أنّ للقرآن ظهراً و بطناً، و لا يعني التفسير الباطنيّ نفي التفسير الظاهريّ، بل هما معاً ثابتان جميعاً، و معه لا موضع للإنكار عليهم.

قال الأستاذ حسن عباس زكيّ^٢ بصدد الدفاع عن مواضع الصوفيّة في تأويل القرآن: فالمفسّرون من علماء الشريعة يقفون عند ظاهر اللفظ و ما دلّ عليه الكلام من الأمر و النهي و القصص و الأخبار و التوحيد، و غير ذلك، و أهل التحقيق أو الصوفيّة يقرّون تفسيرهم هذا، و يرونه الأصل الذي نزل فيه القرآن. و لكنّ لهم في كلام الله مع الأخذ بهذا التفسير الظاهريّ مذاقات لا يمكنهم إغفالها؛ لأنّها بمثابة واردات أو هواتف من الحقّ لهم. فلا ينبغي أن نقف القرآن على تفسير معيّن على أنّه المراد، فلا نقول كما يقول البعض: إنّ التفسير الظاهريّ وحده هو المقصود، كما لا يرى أهل التحقيق أنّ تفسيرهم وحده هو المراد؛ لأنّ القول بالتفسير الظاهريّ و حسب، تحديد لكلام الله غير المحدود، و إخضاع القرآن ل لغة التي مقياسها العقل المحدود، و الوقوف في تفسير كلام الله عند العقل المحدود، عقاب عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، و إغلاق الباب لمذاقات ليس العقل مجالها؛ لأنّها لا تخضع لمقاييسه و إنّما تخضع لشيء آخر فوقه، و تدرك بلطفة أخرى سواء، إذن فهناك ما فوق العقل ألا و هو القلب؛ فإنّ للقلب لغته كما أنّ للعقل لغته. و إذا كانت لغة العقل تدرك بالألفاظ، و يعبر عنها بالكلمات، ف لغة القلب تدرك بالذوق؛ لأنّه

١. نفلًا عن الإمامان ج ٤، ص ١٩٧.

٢. وزير الاقتصاد و التجارة الخارجيّة بمصر، له تعريف بضمير الفسريّ أنبته في مقدّمة الكتاب.

لا يحيط بالتعبير عنها اللفظ.

و لنقرب إلى الفهم، فلغة القلب مثل التفاحة، فلن يستطيع من أكلها وأحس حلاوتها أن يترجم باللفظ أو يعبر بالوصف - لمن لم يأكلها قبل - عن طعمها ومذاقها، وهكذا لا تدرك لغة القلب بوصف أو بلفظ، وإنما يدركها ذو قلب مستذوق؛ ولذلك لا تحيط بالتعبير عن لغة القلب العبارة، وإنما يعبر عنها بالإشارة.

فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجليات ومشاهدات، وتلويح لما يفيض به الله على صفوته وأحبابه من أسرار في كلام الله وكلام رسوله.

ومن هنا كانت مذاقات الصوفية وأهل التحقيق في القرآن الكريم، وهم لا يرون أن تلك المذاقات وحدها هي المرادة، وإنما يأخذونها إشارات من الله لهم بعد إقرار ما قاله أهل الظاهر من تفسير، باعتباره أصل التشريع.

و جلي بعد ذلك أنه لا مجال لمتعرض متن ينكر عليهم مذاقاتهم، و يراها ميلاً بكلام الله عن مجراها، ما داموا لا يأخذون بمذاقاتهم وحدها، وإنما يأخذون بهما مع إقرارهم لتفسير أهل الشرع. فلا يعنينا من ذي جدل أن يقول عن هذه الإشارات: إنها إحالة لكلام الله و تفسير لسياقه و مجراه؛ لأن ذلك يصدق لو قالوا: إنه لا معنى للآية إلا هذا، وهم لا يقولون ذلك، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم.

و ذلك مصداق الحديث الشريف: «لكلّ آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع» فالباطن لا يعارض الظاهر، و الظاهر لا يعارض الباطن.

و ذلك النهج بعيد كل البعد عما نادى به «الباطنية» من الأخذ بباطن القرآن لا ظاهره، و قصرهم معاني القرآن على ما ادّعوه من تفسيراتهم دون غيره؛ لأنهم بذلك لا يقرّون الشريعة و يبطلون العمل بها، و هم لا يخضعون دعواهم للنص القرآني، بل يخضعون النصّ القرآني لدعواهم.

و هنا يزول ما التبس على البعض من أن مذاقات الصوفية في القرآن الكريم، نزعة باطنية، فبينهم وبينها آما د و أبعاد، بل أنهم لبريثون منها، و لينكرونها كل الإنكار، و واضح

ذلك من أنهم يأخذون بالباطن بعد الأخذ بالظاهر، و يقرّون الحقيقة بعد الأخذ بالشرية، و يرون أنّ الحقيقة نفسها أساسها الشريعة، فالفرق ثمة كبير، و البون شاسع و عظيم.

و لا مجال بعد هذا الإيضاح لإبتكار من ينكر على الصوفيّة مذهبهم في الإشارات و ما يختصّهم الله به في كلامه و كلام رسوله ﷺ من الأسرار و الفيوضات.

على أنّ تلك الإشارات أمر مشروع أقرّه الحديث المذكور آنفاً: «لكلّ آية ظاهر و باطن و حدّ و مطلع» فأربابها متبعون لا مبتدعون، اختصّهم الله بأسراره في آياته، ليكونوا مصابيح الهدى في غسق الدجى، كما أقرّه عمدة الدين و ذو العلم من المؤلفين:

و قد تقدّم كلام سعد الدين التفتازاني بشأن ما ذهب إليه أهل التحقيق من صرف النصوص على ظواهرها، و مع ذلك فيها إشارات خفية إلى حقائق تنكشف على أبواب السلوك، ممّا يمكن تطبيقها مع الظواهر، فهو من كمال الإيمان و محض العرفان^١.

و قال الشيخ زروق: «نظر الصوفيّ أخصّ من نظر المفسّر و صاحب فقه الحديث؛ لأنّ كلّاً منهما يعتبر الحكم و المعنى ليس إلّا، و هو يزيد بطلب الإشارة بعد إثبات ما أثبتاه». فإذا دار المفسّر في حدود اللفظ القرآنيّ، و استتبط منه الفقهاء ما استتبطوا من أحكام، فلأوليّ الأبواب و ذوي البصائر فيه بعد ذلك من الأسرار و الحقائق ما لا ينكشف لسواهم و لا يدركه غيرهم، و ذلك لتجدّد واردات الحقّ عليهم، و دوام تنزّل الفيوضات على قلوبهم؛ لأنّهم أهل و محبّوه^٢.



ظاهرة تداعي المعاني!

نعم، كانت السوانح الفكرية التي تُدعى واردات القلوب، يمكن تفسيرها بظاهرة تداعي المعاني (الشيء يُذكر بالشيء) فقد ينسب إلى أذهان أصحاب المعاني لطائف أفكار و ظرائف أنظار، و لا منشأ لها سوى تلاوة آيات قرعت أسماعهم، و إذا بدقائق هي

٢. تفسر التفسير (المقدمة)، ج ١، ص ٤٠٤.

١. شرح المفهات السنية، ص ١٢٠ (ط كابل).

رقائق الفكر سنحت لهم بالمناسبة، و من غير أن تكون مدلولة ذاتية للكلام ما عدى الفحوى العام.

فكم من طرائف فكر و طرائف عبر تسنح أذهان ذوي الاعتبار، بمجرّد أن واجهوا حادثة أو شاهدوا واقعة أو قفتمهم عند حدّها و ألزمتهم حجّتها فأخذوا منها درساً و عبراً. و هكذا عند استماع تلاوة أو قراءة آية ذكّرتهم مكارم أخلاق و مبادي آداب، كان كلّ ذلك من قبيل تداعي المعاني، الخارج من دلالة اللفظ ذاته، بل الشيء قد يُذكر بالشيء، حتّى ولو كان ضده، فضلاً عما لو كان نظيره.

مثلاً: عند ما يستمع العارف السالك إلى قوله تعالى -خطاباً مع موسى و هارون-: ﴿إِذْ هَبْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَىٰ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَكَ لَّهُمْ شَيْءٌ إِلَّا نَحْنُ وَنَحْنُ بِأَعْيُنِنَا﴾، ينسب إلى ذهنه بادرة ضرورة تهذيب النفس و ارعائها عن الطغيان و العصيان قبل كلّ شيء.

فيخاطب نفسه: ما بالك أنت، منشغلاً عن فرعنة نفسك الطاغية، فاذهب إليها و اجمع جموعك في تهذيبها و ترويضها، و لاطف معها بلين، لعلّها تتنظ و ترعوي و ترضخ لإرشادات العقل الحكيم.

فهذا لم يفسّر القرآن و لا جعل فرعون مراداً به النفس الأتمة بالسوء، و لا موسى و هارون كلّ إنسان لبيب حكيم. بل خطر إلى ذهنه هذا المعنى، متحفظاً و متذكراً من فحوى الآية بالمناسبة.

يقول الإمام الحافظ تقي الدين ابن الصلاح -في فتاواه- وقد سئل عن كلام الصوفية في القرآن-: «الظنّ بمن يوثق به منهم أنّه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك، أنّه لم يذكره تفسيراً و لا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم؛ فإنّه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، و إنّما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإنّ النظير يذكر بالنظير. و من ذلك قتال النفس في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ

مِنَ الْكُفَّارِ^١. فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس و من يلينا من الكفار، و مع ذلك فيا ليستهم لم يتساهلوا في مثل ذلك، لما فيه من الإيهام و الإلباس^٢.

يعني: أن ما يذكرونه بهذا الشأن لا يعنون به التفسير و لا تأويل الآية بذلك، وإنما الشيء يُذكر بالشيء من باب «تداعي المعاني» فيخطر ببالهم خواطر هي نفعات قدسية ملكوتية عند تلاوة الآي أو استماعها عن وعي و حضور قلب.

فهم عند ما يستمعون إلى نداء الآية العام يراجعون أنفسهم، و في طيهم كافر عاتٍ هو أقرب إليهم و أخطر من الكفار البعداء، فيجب مقاتلته قبل مقاتلة سائر الكفار، أخذاً بقياس الأولوية في منطق العقل الرشيد.

و هذا معنى قول سهل: «النفس كافرة فقاتلها بالمخالفة لهواها، و احملها على طاعة الله و المجاهدة في سبيله و أكل الحلال و قول الصدق و ما قد أمرت به من مخالفة الطبيعة»^٣. لهذا المعنى العرفاني الرقيق مستفاد من فحوى الآية و مستنبط من بطنها بالمناسبة من غير أن يكون ذا صبغة تفسيرية أو بياناً للمراد من الآية بالذات.

و قد صرح بذلك الإمام القشيري في تفسيره للبسمة، قال: «و قوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء برّه بأوليائه، و من السين سرّه بأصفيائه، و من الميم منته على أهل ولايته. فيعملون أنهم يبرّه عرفوا سرّه، و بمنته عليهم حفظوا أمره، و به سبحانه و تعالى عرفوا قدره»، إلى آخر ما ذكره بهذا الصدد^٤ تراه لم يجعله تفسيراً للآية، وإنما هو تذكرة قلبي عند استماعها أو استماع حروفها من قبيل الخواطر القلبية محضاً، من غير أن يكون تحميلاً على القرآن أو تفسيراً بالرأي.

هذا بشأن أهل الاعتدال منهم، و أمّا أرباب الشطط منهم فلنا معهم مقال آخر في مجال يأتي.

١. التوبة (٩): ١٢٣.

٢. فتاوى ابن الصلاح، ص ٢٩ (تفسير و المفسرون ج ٢، ص ٣٦٨).

٣. راجع: تفسير السلم، ج ١، ص ٢٩٢. ٤. تفسير القشيري، ج ١، ص ٥٦.

تأويل أو أخذ بفحوى الآية العام

و بتعبير أدق: كانت تأويلات أهل التحقيق أخذاً بفحوى الآية العام، المستحصل من بطن الآية، حيث استخلاص مفهوم عام، بعد إعفاء الخصوصيات المكتنفة غير الدخيلة في أصل المقصود. فكان أخذاً بدلالة الالتزام - وقد كانت خفية - بعد تبيين، و من ثم كانت جارية مجرى ظاهر السياق و على أساليب مفاهيم الكلام عند أهل اللسان و لا سيما إذا كانت مدعمة بشواهد من الكتاب أو السنة أو دلالة العقل الرشيد.

و قد عرفت في كلام سهل أنه استند في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^١ إلى قول النبي ﷺ: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»^٢. قال سهل: هذا باطن الآية^٣.

فهم يجرون في دلالة بطون القرآن مع ظهورها وفقاً مع الشروط المعبرة، فلا تحميل و لا تفسير بالرأي. هذا إذا لم يتساهلوا كما تساهل بعضهم من أهل الاسترسال.

ما يؤخذ على تفاسير الصوفية

أهم ما يؤخذ على تفاسير الصوفية و أهل العرفان، هو ابتناؤها على الذوق و السليقة و الأذواق و السلائق، بما أنها أحاسيس شخصية، فإنها تختلف حسب المذاقات و معطيات الأشخاص، و لا تتفق على معيار عام شامل...

وإن شئت قلت: إنهم يرون مذاقاتهم في فهم النصّ إلهامات و إشارات لمعت بها خواطهم أو سوانح و ردت عليهم حسب استعداداتهم في تلقّي الفيوضات من الملاء الأعلى..

و الإلهام أو الإلماع، إدراك شخصي بحت.

وإن شئت قلت: هي تجربة روحية و شخصية لا مستند لاعتبارها سوى عند صاحب

٢. مستشرق للحاكم، ج ٢، ص ٢٩١.

١. يوسف (١٢): ١٠٦.

٣. ظهير الحسني، ص ٨٣.

التجربة فيما حسب، ولا دليل على اعتبارها لمن لم يجربها بالذات
ومن ثم ترى تفاسير أهل الذوق العرفاني قلما تتفق - ولو في تفسير آية واحدة - على
نهج سويّ وعلى تأويل متوازن لا تعريج فيه.. ولا مبرّر له سوى ما تبهنا عليه أنها ليست
من التفسير ولا من التأويل، وإنما هي واردات قلبية وسوانح خطرت لهم بالمناسبة ومع
سماع الآية تتلى عليهم، من باب تداعي المعاني، لا غير..

ومن أغرب ما يشهد لهذا التنوع في التذوق ما نجده من القشيريّ في تفسير البسمة
من كلّ سورة، فسرها في كلّ سورة غير تفسيرها في سائر السور.. بناءً منه على أنها آية
من كلّ سورة، وكلّ آية هي تجلّ لنعمة من نعمته تعالى، ولا تكرار في التجليّ، فيجب أن
تكون في كلّ سورة بمعنى غير معناها في سائر السور..

إننا نجده يلجأ إلى تفسير كلّ بسمة على نحو مُلفت للنظر، إذ هي تختلف وتتنوع
ولا تكاد تتشابه، ويزداد إعجابنا بالقشيريّ كلّما وجدنا تفسير البسمة يتمشى مع
السياق العامّ للسورة كلّها، فالله والرحمان والرحيم لها دلالات خاصة في سورة القارعة،
ولها دلالات أخرى في سورة النساء، ولها دلالات خاصة في الأنفال وهكذا..

ونستنتج من ذلك عدّة نتائج:

أولاً: إنه يعتبر البسمة قرآناً وجزءاً من كلّ سورة بالذات، وليست - كما يقول
البعض - شيئاً يُستفتح به للتبرّك..

ثانياً: إنه ما دام يعتبر البسمة قرآناً، وما دام يجد لها مقاصد متجدّدة، فكأنه لا يؤمن
بفكرة التكرار في القرآن، وفي ذلك يقول: «فلتأ أعاد الله - سبحانه وتعالى - هذه الآية
- أعني بسم الله الرحمن الرحيم - في كلّ سورة، وثبت أنها منها أردنا أن نذكر في كلّ
سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكرّرة وإشارات غير معادة»^١.

ثالثاً: إن لدى القشيريّ قدرة غير عادية ونفساً طويلاً عند استبطان الظاهر، لأننا نجده

أمام أربع كلمات تتكرر بلفظها و مفهومها من بداية القرآن إلى نهايته. وإذا هو وصول ويجول في كل مرة وكأنه في بداية الحملة و على كامل نشاطه في استبطان الظاهر و استبطاط ما خبي في مطاوي اللفظ و استخراج لثاليه..

هو عند تفسير البسملة من سورة الحمد يقول:

الباء في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ حرف التضمين، أي بالله ظهرت الحادثات، وبه وجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، و حاصل منسوق، من عين و أثر و غير، و غير من حجر و مدر، و نجم و شجر، و رسم و طلل، و حكم و علل، إلا بالحق وجوده، و الحق ملكه و من الحق بدؤه، و إلى الحق عوده، فبه وجدَّ من وحدَّ، و به جحد من أهد، و به عرف من اعترف، و به تخلف من اقترف^١.

لم نعرف حرف التضمين، و لم نعرف كيف فسّر البسملة من هذه السورة بهذه المعاني، و لكنّه في سائر السور يفسرها بمعانٍ أخرى، و لعلّه يدعي أنّ هكذا أهم و أشرق عليه، انظر إلى تفسيره لبسملة سورة البقرة:

الاسم مشتقّ من السموّ و السمّة، فسيل من يذكر هذا الاسم أن يتسم بظاهرة بأنواع المجاهدات، و يسمو بهتته إلى محالّ المشاهدات، فمن عدم سمة المعاملات على ظاهره، و فقد سمّو الهمة للمواصلات بسرّائه، لم يجد لطائف الذكر عند قائلته، و لا كرائم القرب في صفاء حالته^٢.

و في بسملة سورة آل عمران:

اختلف أهل التحقيق - يعني بهم الصوفيّة و أهل التأويل - في اسم «الله» هل هو مشتقّ من معنى أم لا؟ فكثير منهم قالوا: إنّّه ليس بمشتقّ من معنى، و هو له سبحانه على جهة الاختصاص، يجري في وضعه مجرى أسماء الأعلام في صفة غيره، فإذا قرع بهذا اللفظ أسماء أهل المعرفة لم تذهب فهوهم و لا علومهم إلى معنى غير وجوده سبحانه و حقّه.

وحقّ هذه القالة أن تكون مقرونة بشهود القلب، فإذا قال بلسانه: «الله» أو سمع بأذانه شهد بقلبه «الله».

وكما لا تدلّ هذه الكلمة على معنى سوى «الله» لا يكون مشهود قائمها إلا «الله»، فيقول بلسانه «الله»، و يعلم بفؤاده «الله»، و يعرف بقلبه «الله»، و يُحِبُّ بروحه «الله»، و يشهد بسرّه «الله»، و يتملّق بظاهره بين يدي «الله»، و يتحقّق بسرّه «الله»، و يخلو بأحواله «الله» و «في الله»، فلا يكون فيه نصيب لغير «الله». وإذا أشرف على أن يصير محوًّا في الله، لله، بالله، تداركه الحقّ سبحانه برحمته، فيكاشفه بقوله: «الرحمان الرحيم» استبقاءً لمهجتهم أن تتلف، وإرادة في قلوبهم أن تنقى، فالتلطّف سنّة منه سبحانه؛ لتلاّ يفنى أو لياؤه بالكليّة^١.

و في بسملة سورة النساء:

اختلفوا في «الاسم» عمّا إذا اشتقّ، فمنهم من قال: إنّه مشتقّ من السموّ و هو العلوّ، ومنهم من قال: إنّه مشتقّ من السمّة، و هي الكيّة. و كلاهما في الإشارة؛ فمن قال: إنّه مشتقّ من «السموّ» فهو اسم من ذكره سمّت رتبته، و من عرفه سمّت حالته، و من صحبه سمّت همّته، فسموّ الرتبة يوجب وفور المثوبات و المبارّ، و سموّ الحالة يوجب ظهور الأنوار في الأسرار، و سموّ الهمة يوجب التحرّز عن رقّ الأغيار.

و من قال: أصله من «السمّة»، فهو اسم من قصده وُسم بسمّة العبادة، و من صحبه وُسم بسمّة الإرادة، و من أحبّه وُسم بسمّة الخواصّ، و من عرفه وُسم بسمّة الاختصاص. فسمّة العبادة توجب هيبة النار أن ترمى صاحبها بشرها، و سمّة الإرادة توجب حشمة الجنان أن تطلع في استرقاق صاحبها، مع شرف خطرها، و سمّة الخواصّ توجب سقوط العجب من استحقاق القرية للماء و الطينة على الجملة، و سمّة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند استيلاء سلطان الحقيقة.

و يقال: اسم مَنْ واصله سما عنده عن الأوهام قدره سبحانه. و من فاصله وُسم بكَيّ
الفرقة قلبه، و على هذه الجملة يدلّ اسمه^١.

و في بسملة سورة المائدة:

سماع اسم «الله» يوجب الهيبة، و الهيبة تتضمّن الفناء و الغيبة، و سماع «الرحمان
الرحيم» يوجب الحضور و الأوبة، و الحضور يتضمّن البقاء و القرية. فمن أسمعه «بسم
الله» أدهشه في كشف جلاله، و من أسمعه «الرحمان الرحيم» عيّشه بلطف إفضاله^٢.
و هكذا عند كلّ بسملة يأتي بجمل و عبارات ذوات تسجيع متكلف فيه، حتّى نهاية
القرآن..

يقول في بسملة سورة قريش:

«بسم»، الباء في «بسم» تشير إلى براءة سرّ الموحّدين عن حسبان الحدّثان، و عن كلّ
شيء ممّا لم يكن فكان، و تشير إلى الانقطاع إلى الله في السراء و الضراء و الشدّة
و الرخاء. و السين تشير إلى سكوتهم في جميع أحوالهم تحت جريان ما يبدو من الغيب،
بشرط مراعاة الأدب. و الميم تشير إلى منّة الله عليهم بالتوفيق لما تحقّقوا به من معرفته،
و تخلّقوا من طاعته^٣.



وله عند تفسير البسملة من سورة الحجر تعاليل تنبؤك عن مباني هذه الطائفة
العقائدية، و أنّهم لا يرون الحكمة منشأً للفيض القدسيّ و أنّه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم
ما يريد، لا يُسأل عتاً يفعل و هم يُسألون^٤.. و بذلك يبدو -بوضوح- الوجه في شطحات
هذا القوم، و أنّها لا تستقرّ على منهج مستقيم..

يقول: سقطت ألف الوصل من كتابة بسم الله، و ليس لإسقاطها علّة، و زيد في شكل

٢. المصدر نفسه، ص ٩١.

١. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠-٥.

٣. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٣٩.

٤. بناءً على أنّ أفعاله تعالى لا تُعمل، كما ذهب إليه الأشعريّ..

الباء من بسم الله، وليس لزيادتها علة، ليعلم أن الإثبات والإسقاط بلا علة: فلا يقبل من قبل لاستحقاق علة، ولا رد من رد لاستيجاب علة!

فإن قيل: العلة في إسقاط الألف من بسم الله كثرة الاستعمال في كتابتها، أشكل بأن الباء في بسم الله زيد في كتابتها، وكثرة الاستعمال موجودة.

فإن قيل: العلة في زيادة شكل الباء بركة أفضالها بسم الله، أشكل بحذف ألف الوصل، لأن الاتصال فيها موجود..

فلم يبق إلا أن الإثبات والنفي ليس لهما علة؛ يرفع من يشاء ويمنع من يشاء. ويتضح من ذلك أن استنباط الإشارة ليس - كما قلنا - مسألة عشوائية، إنما هو خاضع لقواعد وأصول، هم مهذبوها من قبل.

وبذلك نراه لا ينتهي عن منهجه - في افتراض القول بلا موجب - حتى في سورة براءة، التي لم تفتح بالبسملة، وحسبها من غير سبب معقول لنا.. يقول: «الحق - سبحانه - جرد هذه السورة عن ذكر البسملة، ليعلم أنه يخص من يشاء وما يشاء بما يشاء، ويفرد من يشاء بما يشاء، لا لصنعه سبب، ولا في أفعاله غرض ولا أرب.

ومن قال: إنه لم يذكرها، لأن السورة مفتحة بالبراءة من الكفار، فهو - وإن كان وجهاً في الإشارة - إلا أنه ضعيف، وفي التحقيق بعيد، لأنه افتتح سوراً من القرآن بذكر الكفار، مثل قوله: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا» في سورة البينة. ومثل قوله: «وَلَيْلٌ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُزْزَةٌ» في سورة الهمزة، وقوله: «تَكَيْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» في سورة المسد وقوله: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» في سورة الكافرون.. فهذه كلها مفاتيح السور، والبسملة مثبتة في أوائلها، وهي متضمنة ذكر الكفار..^٢

وبعد أن ينتهي التفسير من بسط مذهبه في كل بسملة على هذا النحو الطريف الممتع يبدأ في تفسير السورة آية آية تفسيراً على نمط أهل الذوق والعرفان..^٣

١. لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٢٦٢. وبحق إنه كلام شغل لا محصل له ظاهراً

٢. المصدر نفسه، ص ٥٠٣٨.

٣. راجع: المصدر نفسه (المقدمة)، ج ١، ص ٤٠٣٨.



و يجدر بنا أن نتبه على أن تفاسير الصوفية ليست على نمط واحد من الاعتبار أو السقوط، بل بين رفيع و ضيق، و أسلم تفاسيرهم، هو تفسير القشيري نسبياً؛ حيث خلّوه عن أكثر شطحات الصوفية المعروفة عنهم. و أسلم منه تفسير الميدي الموسوم بكشف الأسرار و هذة الأبرار على ما سنذكره.

التنوع في التفسير الباطني

قد يتنوع التفسير الصوفي إلى نوعين: نظري و فيضي، حسب تنوع المتصوفة إلى تصوف نظري و عملي، ليكون التصوف النظري مبتتياً على البحث و الدراسة، أما التصوف العملي فهو الذي يقوم على التقشف و التزهّد و التفاني في العبادة (الأذكار و الأوراد).

و عليه فالتفسير الصوفي النظري، تفسير أولئك المتصوفة الذين بنوا تصوفهم على مباحث نظرية فلسفية، ورثوها من يونان القديمة، و من الصعب جداً أن يجد هؤلاء في القرآن ما يتفق و تعاليمهم، و هي بعيدة عن روح القرآن و تعاليم الإسلام، اللهم إلا إذا حملوا نظرياتهم على القرآن و أقحموا عليه إقحاماً.

قال الأستاذ الذهبي: و نستطيع أن نعتبر الأستاذ الأكبر محيي الدين بن عربي، شيخ هذه الطريقة في التفسير؛ إذ إنه أظهر من حَبِّ فيها و وضع، و أكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوف النظري^١.

و أما التفسير الفيضي، فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات رمزية، تظهر لأرباب السلوك و الرياضة النفسية، من غير ما دعم بحجة أو برهان.

قال الذهبي: و الفرق بينه و بين التفسير الصوفي النظري من وجهين.

أولاً: أن النظري يبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولاً ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك. أما التفسير الفيضي الإشاري فيركز على رياضة روحية يأخذ بها

الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهّل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ثانياً: أنّ التفسير الصوفي النظري، يرى صاحبه أنه كلّ ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه. أمّا التفسير الفيضي الإشاري فلا يرى الصوفي أنه كلّ ما يراد من الآية، بل يرى أنّ هناك معنى آخر تحتمله الآية، ويراد منها أولاً وقبل كلّ شيء، وذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره^١.



لكنّا لا نرى تفاوتاً في تفاسير الصوفية، سوى الشدة والضعف في تأويلاتهم التي يتكلّفونها حسب أذواقهم وسلاتقهم، بلا استناد ولا أساس، وكلّها معدود من التفسير بالرأي المقيت.

إذ لم نر من استند منهم على مقدّمة علمية ولا برهان واضح، سوى سوانح وخواطر عارضة، يحسبونها إشارات جاءتهم من مكان عليّ، وليس سوى ادّعاءات فارغة غير مستندة إلى ركن وثيق..

و كلّ يدعي وصلاً بليلى و ليلي لا تُقرّ لهم جواباً

نعم هناك منهم من يحاول الجمع بين الظاهر والباطن، تأليفاً بين الشريعة والطريقة، كالتشيريّ في تفسيره، ومنهم من يقتصر على الباطن معرضاً عن الظاهر، إمّا منكرأ له كالباطنية المحضة، أصحاب الحسن السباح، وهم الملاحدة، وعلى نظيرهم الخوارج والقرامطة. وكذا بعض تفاسير الصوفية من اقتصروا على محض الباطن، كمحيي الدين ابن عربيّ في تفسيره الباطنيّ المنسوب إليه. لكنّه مع ذلك لم ينكر الظواهر، وقد فسّر القرآن أثناء كتبه تفسيراً آخر حسب الظاهر المعروف^٢.

ومثله تفسير أبي محمّد الشيرازيّ عرائس البيان جرى في تفسيره على نمط واحد هو

١. المصدر نفسه.

٢. جمعه محمود الفزّاب من علماء دمشق المعاصرين حسبما نذكر.

التفسير الإشاري، و لم يتعرض للتفسير الظاهر بحال، وإن كان يعتقد أنه لا بد منه أولاً، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، و سنذكره.

أهم تفاسير الصوفيّة و أهل العرفان

لأهل العرفان الباطنيّ تفاسير متنوّعة في البناء على تأويل الآيات، حسب مشاربهم في التصوّف و العرفان، فمنهم من جمع بين تفسير الظاهر و الباطن فاصلاً بينهما كلّاً على حدّه، و منهم من مزج بين الأمرين من غير فصل بينهما، و ربّما حصل خلط من ذلك بحيث لا يعرف القارئ أنّه تفسير أو تأويل، و منهم من اقتصر على مجرد التأويل محضاً، حسبما نذكر من تفاسيرهم.

١. تفسير التستريّ

و لقد بدأ التفسير الباطنيّ اعتماداً على تأويل الآيات منذ القرن الثالث على يد أبي محمّد سهل بن عبد الله التستريّ من مواليد سنة (٢٠٠ هـ) و المتوفّي سنة (٢٨٣ هـ). فإنّ له تفسيراً على طريقة الصوفيّة جمعه أبو بكر محمّد بن أحمد البلديّ، و قد طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة (١٩٠٨ م) فيما لا يزيد على مائتي صفحة.

كان التستريّ من كبار العارفين، و قد ذُكرت له كرامات، و لقي الشيخ ذا النون المصريّ بمكّة، و كان صاحب رياضة و اجتهاد وافر. أقام بالبصرة زمناً طويلاً، و توفي بها.

و تفسيره هذا مطبوع في حجم صغير، لم يتعرض فيه المؤلف لتفسير جميع القرآن، بل تكلم عن آيات محدودة و متفرقة من كلّ سورة. و يبدو أنّ التفسير مجموعة من أقوال سهل في التفسير، جمعها البلديّ المذكور في أوّل الكتاب، و الذي يقول كثيراً: قال أبو بكر: سئل سهل عن معنى آية كذا، فقال: كذا. و للكتاب مقدّمة جاء فيها توضيح معنى الظاهر و الباطن و معنى الحدّ و المطلق، فيقول: ما من آية في القرآن إلّا و لها ظاهر و باطن و حدّ و مطلق. فالظاهر: التلاوة، و الباطن: الفهم. و الحدّ: حلالها و حرامها، و المطلق: إشراق القلب على المراد بها، فقهاً من الله ﷻ فالعلم الظاهر علم عامّ، و الفهم لباطنه، و المراد به

خاص. ويقول في موضع آخر: قال سهل: إن الله تعالى ما استولى ولياً من أمة محمد ﷺ إلا علمه القرآن، إما ظاهراً وإما باطنياً. قيل له: إن الظاهر نعرفه، فالباطن ما هو؟ قال: فهمه، وإن فهمه هو المراد^١.

ونجده أحياناً لا يقتصر على التفسير الإشاري وحده، بل ربما ذكر المعاني الظاهرة ثم يعقبها بالمعاني الإشارية. وحينما يعرض للمعاني الإشارية لا يكون واضحاً في كل ما يقوله، بل تارة يأتي بالمعاني الغريبة التي يُستبعد أن تكون مرادة لله تعالى، كالمعاني التي يذكرها في تفسير البسملة:

الباء: بهاء الله. والسين: سناء الله. والميم: مجد الله. والله: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكثي، غيب من غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر، وحققة من حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان. والرحمان: اسم فيه خاصية من الحرف المكثي بين الألف واللام. والرحيم: هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع، والابتداء في الأصل، رحمة لسابق علمه القديم^٢.

وبهذا النسق فسر «الم»، وتبعه على ذلك أبو عبد الرحمان السلمي، ومن بعدهما من مفسري الصوفية وأهل العرفان^٣.

وربما فسر الآية بما لا يحتمله اللفظ، وليس سوى الذوق الصوفي حمله على الآية حملاً، من ذلك ما ذكره في تفسير الآية ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره، أي لا تهتم بشيء هو غيري. قال: فآدم ﷺ لم يعصم من الهمة والفعل في الجنة، فلحقه ما لحقه من أجل ذلك. قال: وكذلك كل من ادعى ما ليس له وساكنه قلبه ناظراً إلى هوى نفسه، لحقه الترك من الله ﷻ مع ما جبلت عليه نفسه، إلا أن يرحمه الله، فيعصمه من تدييره وينصره على عدوه

١. تفسير هشري، ص ٣. استولى أي اختار ولياً.

٢. المصدر نفسه، ص ٩-١٢.

٣. البقرة (٢): ٣٥.

٤. تفسير السلمي، ص ٩.

وعليها. قال: و آدم لم يعصم عن مساكنة قلبه إلى تدبير نفسه للخلود لما أدخل الجنة، ألا ترى أن البلاء دخل عليه من أجل سكون القلب إلى ما وسوست به نفسه، فغلب الهوى والشهوة العلم والعقل والبيان ونور القلب، لسابق القدر من الله تعالى، كما قال **عليه السلام**:
الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل^١.

وفي أغلب الأحيان يجري في تفسيره مع ظاهر الآية أولاً، ثم يعقبه بما سنح له من خواطر صوفية يجعلها تأويلاً وتفسيراً لباطن الآية. من ذلك تفسيره للآية ﴿وَ الْجَارِ فِي التُّرْبِ وَالْجَارِ الْجَنَّبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَالابْنِ السَّبِيلِ﴾^٢ حيث يقول بعد ذكره للتفسير الظاهر: وأما باطنها، فالجار ذي القرى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله^٣.

وعند تفسيره للآية ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^٤ يقول: مثل الله الجوارح بالبرِّ، ومثل القلب بالبحر، وهما أهمّ نفعاً وأكثر خطراً. هذا هو باطن الآية، ألا ترى أن القلب إنما سمي قلباً لتقلبه، ويُعد غوره^٥.

٢. حقائق التفسير للسُّلَمِيِّ

و ثاني تفاسير الصوفية التي ظهرت إلى الوجود، تفسير أبي عبد الرحمان السُّلَمِيِّ، المسمّى بـ«حقائق التفسير». هو أبو عبد الرحمان محمّد بن الحسين بن موسى الأزدي السُّلَمِيُّ، المولود سنة (٣٣٠ هـ) والمتوفى سنة (٤١٢ هـ). كان شيخ الصوفية ورائدهم بخراسان، وله اليد الطولى في التصوف، وكان موقفاً في علوم الحقائق حسبما اصطلح عليه القوم وكان على جانب كبير من العلم بالحديث، أخذ منه الحاكم النيسابوري والقشيري صاحب التفسير.

وهذا التفسير من أهمّ تفاسير الصوفية، ويعدّ من أمّهات المراجع للتفسير الباطني لمن

٢. النساء (٤): ٣٦.

٤. الروم (٣٠): ٤١.

١. تفسير هشري، ص ١٦٦-١٧٠.

٣. تفسير هشري، ص ٤٥.

٥. تفسير هشري، ص ١٧٩.

تأخر عنه، كالتشيريّ والشيرازيّ وأضرابهما من أقطاب الصوفيّة.
 وهو امتداد للتفسير الصوفيّ الذي ابتدعه التستريّ من ذي قبل و تفصيل فيه،
 و تحرير واسع للذوق الصوفيّ في فهمه لمعاني كلمات الله في القرآن العظيم. يقول في
 مقدّمته:

«لَمَّا رَأَيْتَ الْمُتَوَسِّمِينَ بِالْعُلُومِ الظَّاهِرِ، صَنَّفُوا فِي أَنْوَاعِ الْقُرْآنِ، مِنْ فَوَائِدٍ وَ مَشْكَلَاتٍ
 وَ أَحْكَامٍ وَ إِعْرَابٍ وَ لُغَةٍ وَ مَجْمَلٍ وَ مَفْسَّرٍ وَ نَاسِخٍ وَ مَنْسُوخٍ مَا يَشْغَلُ مِنْهُمْ لِجَمِيعِ فَهْمِ
 خَطَابِهِ عَلَى حَسَابِ الْحَقِيقَةِ، إِلَّا [تفسير] آيَاتٍ مُتَفَرِّقَةً نَسَبْتُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ.
 وَ [تفسير] آيَاتٍ ذُكِرَ أَنَّهَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبٍ، وَ كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ مِنْهُمْ
 فِي ذَلِكَ جِزَاءً اسْتَحْسَنْتُهُ، أَحْبَبْتُ أَنْ أُضَمَّ ذَلِكَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ، وَأُضْمَّ أَقْوَالُ الْمَشَائِخِ مِنْ أَهْلِ
 الْحَقِيقَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَ أَرْتَبُهُ عَلَى السُّورِ حَسَبِ وَسْعِي وَ طَاقَتِي، فَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي جَمِيعِ
 ذَلِكَ وَ اسْتَعْنَتُ بِهِ وَ هُوَ حَسْبِي وَ نِعْمَ الْمَعِينُ»^١.

غير أن الاقتصار على المعاني الإشاريّة، والإعراض عن المعاني الظاهرة في هذا
 التفسير، ترك للعلماء مجالاً للطعن عليه، ولقي معارضا شديدة من معاصريه و متّ
 أتوا بعده، فأنهم بالابتداع و التحريف و القرمطة، و وضع الأحاديث على الصوفيّة.



يقول ابن الصلاح^٢ في فتاواه و قد سئل عن كلام الصوفيّة في القرآن: وجدت عن
 الإمام أبي الحسن الواحديّ المفسّر أنّه قال: صنّف أبو عبد الرحمان السّلميّ حقائق التفسير
 فإن كان قد اعتقد أنّ ذلك تفسير، فقد كفر.

قال: الظنّ بمن يوثق به منهم أنّه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنّه لم يذكره تفسيراً،

١. ضمير السّلميّ، ج ١، ص ٢٠١٩.

٢. هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام في قطره و عصره، تفرّج الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين
 عبد الرحمان الكرديّ الشهرزوريّ الموصليّ. ولد سنة (٥٧٧ هـ) و توفي سنة (٦٤٣ هـ) بدمشق، و دفن بمطربة
 الصوفيّة، و كان قبره ظاهراً يزار (سير أعلام النبلاء، ج ٣٣، ص ١٤٠، رقم ١٠٠).

ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك، كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإنَّ النظير يُذكر بالنظير، ومن ذلك قتال النفس في الآية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم مِنَ الكُفَّارِ»^١ فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليستهم لم يتساهلوا في مثل ذلك، لما فيه من الإيهام والإلباس.^٢

قال أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣ هـ) - وهو قريب عهد به -: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان السلمي غير ثقة. قال الخطيب: وكان يضع للصوفية الأحاديث.^٣

وهكذا وصفه أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة (٧٢٨ هـ) بالوضع والاختلاق. قال: وما ينقل في حقائق السلمي من التفسير عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كذبه علي جعفر، كما قد كذب عليه غير ذلك.^٤

قال الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) في تذكرة الحفاظ: «ألف السلمي حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية، نسأل الله العافية»^٥.

وقال في ترجمته في سير أعلام النبلاء: «و للسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ والرواة سؤال عارف. وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة. وفي حقائق التفسير أشياء لا تسوغ أصلاً، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوي»^٦.

ومن ثمَّ عدَّ السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) تفسير السلمي في كتابه طبقات

١. التوبة (٩): ١٢٣.

٢. فتاوى ابن الصلاح، ص ٢٩ (التفسير و المفردات ج ٢، ص ٣٦٨).

٣. تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٤٨.

٤. منهاج السنة لابن تيمية، ج ٤، ص ١٥٥.

٥. سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٥٢.

٦. تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ١٠٤٦.

المفسرين ضمن التفاسير المبتدعة. قال: وإنما أوردته في هذا القسم لأنه غير محمود.^١
وهكذا ذكر الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الداودي المتوفى سنة
(٩٤٥ هـ) في طبقات المفسرين، قال: وكتاب حقائق التفسير للسلمى قد كثر الكلام فيه، من
يقبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومعامل للصوفية، ينبو عنها ظاهر اللفظ.^٢



وإليك الآن نماذج من تأويلات السلمى، مما ينبو عنها لفظ القرآن الكريم:
قال في الآية ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِن دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا
قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾^٣: قال محمد بن الفضل: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم،
أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل منهم في العدد، كثير في المعاني،
وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة.^٤

وفي سورة الرعد عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّا﴾^٥
يقول: قال بعضهم: هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أو تاداً من أوليائه وسادة من عبيده،
فالإيهم الملجأ وبهم النجاة، فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان بغيته
لغيرهم خاب وخسر. سمعت علي بن سعيد يقول: سمعت أبا محمد الحريري يقول: كان
في جوار الجنيد إنسان مصاب في خربة، فلما مات الجنيد وحملنا جنازته، حضر
الجنازة، فلما رجعنا تقدّم خطوات و علا موضعاً من الأرض عالياً، فاستقبلني بوجهه،
وقال: يا أبا محمد، إني لراجع إلى تلك الخربة، وقد فقدت ذلك السيد، ثم أنشد شعراً:

و ما أسفي من فراق قوم	هم المصاييح و الحصون
و المدن و المزن و الرواسي	و الخير و الأمن و السكون
لم تستغير لنا الليالي	حتى توفقتهم المنون

١. طبقات المفسرين للسيوطي، ص ٣١ (ط ليدن).

٢. طبقات المفسرين للداودي، ج ٢، ص ١٣٩.

٣. تفسير السلمى، ص ٤٩.

٤. النساء، (٤): ٦٦.

٥. الرعد (١٣): ٣.

فكَلَّ جمر لنا قلوب و كلَّ ماء لنا عيون^١

وفي سورة الحجّ عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُخِّبَ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً؟﴾^٢، يقول: قال بعضهم: أنزل مياه الرحمة من سحائب القربة، وفتح إلى قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة، فأنبئت فاخضرت بزينة المعرفة، وأثمرت الإيمان، وأيسنت التوحيد، أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيدها، واشتقت إلى ربها فطارت بهمتها، وأناخت بين يديه، وعكفت فأقبلت عليه، وانقطعت عن الأكوان أجمع. ذاك آواها الحقّ إليه، وفتح لها خزائن أنواره، وأطلق لها الخيِّرة في بساتين الأنس، ورياض الشوق والقدس^٣. وفي سورة الرحمان عند قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَايْهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^٤ يقول: قال جعفر: جعل الحقّ تعالى في قلوب أوليائه رياض أنسه، فغرس فيها أشجار المعرفة، أصولها ثابتة في أسرارهم، وفروعها قائمة بالحضرة في المشهد، فهم يجنون ثمار الأنس في كلّ أوان، وهو قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَايْهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أي ذات الأتوان، كلّ يجتني منه لونا على قدر سعته، وما كوشف له من بوادي المعرفة و آثار الولاية^٥.

وفي سورة الانفطار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^٦ يقول: قال جعفر: النعيم: المعرفة والمشاهدة، والجحيم: النفوس، فإنّ لها نيراناً تنقد^٧.

وفي سورة النصر ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^٨ يقول: قال ابن عطاء الله: إذا شغلك به عتاً دونه فقد جاءك الفتح من الله تعالى، والفتح: هو النجاة من السجن البشري بلقاء الله تعالى^٩.

٣. لطائف الإشارات للتشيري

هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن التشيري النيسابوري. ولد في قرية من ضواحي

١. الحجّ (٢٢): ٦٣.

٢. الرحمن (٥٥): ١١.

٣. الانفطار (٨٢): ١٤-١٣.

٤. النصر (١١٠): ١.

١. تفسير التلمبي، ص ١٣٨.

٢. تفسير التلمبي، ص ٢١٧.

٣. تفسير التلمبي، ص ٣٤٤.

٤. تفسير التلمبي، ص ٣٨٥.

٥. تفسير التلمبي، ص ٤٠٢.

نيسابور سنة (٣٧٦ هـ). ومات أبوه وهو صغير، فأتجهت به أسرته نحو طلب العلم، فبرع فيه حسبما دارت رحى العلم في ذلك العهد، في الفقه والحديث والأدب والأصول والتفسير. وسار في درب الصوفية على يد أبي علي الحسن بن علي الدقاق المتوفى سنة (٤٠٥ هـ) من كبار مشايخ الصوفية ذلك العهد، وقد أشار عليه أن يحضر حلقات درس أبي بكر الطوسي، وابن فورك، والإسفراييني. وفي أثناء ذلك كان يحضر مجلس أبي علي الدقاق وكان قد زوجه ابنته على كثرة أقاربها، ولما توفي تردد إلى دروس عبد الرحمان السلمي المتوفى سنة (٤١٢ هـ) وعاشه^٢ حتى أصبح شيخ خراسان في الفقه والكلام، مع تصدير في الحديث والوعظ والإرشاد. وتوفي سنة (٤٦٥ هـ) بمدينة نيسابور.^٣

وتفسيره هذا امتداد للتفسير الصوفي الباطني، معتمداً في أكثر الأحيان على تأويلات قد ينبو عنها ظاهر لفظ الآية الكريمة. لكنه مع ذلك حاول أن يوفق بين علوم الحقيقة - حسب مصطلحهم - وعلوم الشريعة، قاصداً أن لا تعارض بينهما، وأن أي كلام يناقض ذلك فهو خروج على كليهما؛ إذ كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير محصول، فالشريعة أن تعبد، والحقيقة أن تشهد. كما جاء في الرسالة القشيرية^٤.

حاول في هذا التفسير أن يبرهن على أن كل صغيرة وكبيرة في علوم الصوفية، فإن لها أصلاً من القرآن. ويتجلى ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفي صريحاً في النص القرآني، كالذكر والتوكل والرضا، والولي والولاية والحق، والظاهر والباطن، والقبض والبسط. فإنك عند خلال قراءة التفسير لا تكاد تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله الكريم، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة، كما يحلو لكثير من الباحثين، حين يرون التصوف الإسلامي متأثراً

١. نفعات الأثر للجامعي، ص ٢٩١.

٢. مهر أهلام لنبلاء، ج ١٨، ص ٢٢٩.

٣. وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٠٦.

٤. الرسالة القشيرية، ص ٤٦؛ راجع: تفسير القشيري (المقدمة)، ج ١، ص ١٨.

بالتأيرات الأجنبية، اليونان والفرس والهند.

كذلك تلحظ عبقرية التفسيرية إزاء اللفظة أو الآية، حينما لا يكون فيها اصطلاح صوفي، فإنه يستخرج لك من آيات الطلاق إشارات في الصحبة والصاحب، ومن علاقة النبي ﷺ بأصحابه إشارات عن الشيخ ومريديه، ومن مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والمطر والجبال إشارات تتصل اتصالاً وثيقاً بالرياضات والمجاهدات، أو بالمواصلات والكشوفات.

ومن ثم فإنه من أوفق التفاسير الصوفية في الجمع بين الشريعة والطريقة، وأسلمها عن الخوض في التأويلات البعيدة التي يأبأها اللفظ وينفرها، كما في سائر تفاسيرهم. ولذلك فإن فيه بعض الشطحات أو التأويلات البعيدة، مما يعدّ تفسيراً بالرأي الممنوع منه شرعاً، مثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^١ يقول: الأمر في الظاهر بتطهير البيت، والإشارة من الآية إلى تطهير القلوب. و تطهير البيت بصوّنه عن الأدناس والأوضار، و تطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الأجناس والأغيار.

و طواف الحجّاج حول البيت معلوم بلسان الشرع، و طواف المعاني معلوم لأهل الحق، فقلوب العارفين المعاني فيها طائفة، و قلوب الموحدّين الحقائق فيها عاكفة، فهؤلاء أصحاب التلوين، وهؤلاء أرباب التمكين^٢.

و قلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود أبداً واقفة.

و قلوب الموحدّين على بساط الوصل أبداً راکعة.

و قلوب الواجدین على بساط القرب أبداً ساجدة.

١. البقرة (٢): ١٢٥.

٢. التلوين و التمكين لفظان اصطلاحيان: التلوين صفة أرباب الأحوال، و التمكين صفة أهل الحقائق. فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقي من حال إلى حال، و ينتقل من وصف إلى وصف، و هو أبداً في الزيادة. أمّا صاحب التمكين فوصل ثم اتصل، و أمانة أنه اتصل أنه بالكلية عن كلبته بطل، و التغيير بما يرد على العبد إمّا لقوة الوارد أو لضعف صاحبه، و السكون إمّا لقوته أو لضعف الوارد عليه (الرسالة الشهرية ص ٤٤).

و يقال: صواعد نوازع الطالبين بياب الكرم أبدأ واقفة، و سوامي قصود المريرين بمشهد الجود أبدأ طائفة، و وفود همم العارفين بحضرة العز أبدأ عاكفة^١.



و قال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ اللَّهُ بِيْئِهِ مِنَ الصِّدِّ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ - إلى قوله - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكْتُلُوا الصِّدَّ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ^٢؛ و الإشارة فيه أن من قصد بيتنا فينبغي أن يكون الصيد منه في الأمان، لا يتأذى منه حيوان بحال؛ لذا قالوا: البر من لا يؤذي الذر و لا يضر الشر.

و يقال: الإشارة في هذا أن من قصدنا فعليه نبد الأطماع جملة، و لا ينبغي أن تكون له مطالبة بحال من الأحوال. و كما أن الصيد على المحرم حرام إلى أن يتحلل، فكذلك الطلب و الطمع و الاختيار على الواجد حرام ما دام محرماً بقلبه. و يقال: العارف صيد الحق، و لا يكون للصيد صيد.

و إذا قتل المحرم الصيد فعليه الكفارة، و إذا لاحظ العارف الأغيار، أو طمع أو رغب في شيء أو اختار لزمته الكفارة، و لكن لا يكفي منه بجزء المثل و لا بأضعاف أمثال ما تصرف فيه أو طمع، و لكن كفارته تجزده على الحقيقة عن كل غير، قليل أو كثير، صغير أو كبير.

قوله ﷺ: ﴿أَجِلْ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِلسِّيَارَةِ وَ حُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾^٣ قال: حكم البحر خلاف حكم البر، و إذا غرق العبد في بحار الحقائق سقط حكمه، فصيد البحر مباح له؛ لأنه إذا غرق صار محوياً، فما إليه ليس به و لا منه إذ هو محو، و الله غالب على أمره^٤.



١. لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٣٦. ٢. المائدة (٥): ٩٤-٩٥. ٣. المائدة (٥): ٩٦-٩٧. ٤. لطائف الإشارات، ج ٢، ص ١٤٣-١٤٤.

وقد تقدّم تفسيره للبسملة في كلّ سورة بمعنى يغيّر معناها في سورة أخرى، وهل هذا مستند إلى دليل، أو مجرد ذوق عرفاني خاص؟!

٤. كشف الأسرار وهدية الأبرار (تفسير المبيدي)

المعروف بتفسير الخوارج عبد الله الأنصاري

أصل هذا التفسير للخوارج عبد الله الأنصاري، ثمّ بسطه ووضّح مبانيه المولى أبو الفضل رشيد الدين المبيدي، كما يقول في المقدمة:

«أما بعد فإنّي طالعت كتاب شيخ الإسلام، فريد عصره ووحيد دهره، أبي إسماعيل عبد الله بن محمّد بن عليّ الأنصاري - قدّس الله روحه - في تفسير القرآن، وكشف معانيه، ورأيت قد بلغ به حدّ الإعجاز لفظاً ومعنىً وتحقيقاً وترصيحاً، غير أنّه أوجز غاية الإيجاز، وسلك فيه سبيل الاختصار، فلا يكاد يحصل غرض المتعلّم المسترشد، أو يشفي غليل صدر المتأمّل المستبصر، فأردت أن أنشر فيه جناح الكلام، وأرسل في بسطه عنان اللسان، جمعاً بين حقائق التفسير ولطائف التذكير، وتسهيلاً للأمر على من اشتغل بهذا الفنّ، فصمّمت العزم على تحقيق ما نويت، وشرعت بعون الله في تحرير ما هممت، في أوائل سنة عشرين وخمس مائة، وترجمت الكتاب بكشف الأسرار وهدية الأبرار»^١.

أما الخوارج، فهو الإمام القدوة العاقل الكبير، أبو إسماعيل عبد الله بن محمّد بن عليّ ابن محمّد الأنصاري الهروي، من ذريّة صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري. مولده بهرات سنة (٣٩٦ هـ) وتوفي بها سنة (٤٨١ هـ) وقبره مزار مشهود هناك. كان على حظّ وافر من العريّة والفقّه والحديث والتواريخ والأنساب، إماماً كاملاً في التفسير، حسن السيرة في التصوّف، غير مشتغل بكسب، مكتفياً بما يبسط به المريدين والأتباع من أهل مجلسه في العام مرّة أو مرّتين على رأس الملأ، فيحصل على أوفٍ من الدنانير

وأعداد من الثياب والحلي، فيأخذها ويفرقها على اللحام والخباز، وينفق منها، ولا يأخذ من السلطان ولا من أركان الدولة شيئاً. وقل ما يراعيهم، ولا يدخل عليهم، ولا يبالي بهم، فبقي عزيزاً مقبولاً مقبولاً آتم من الملك، مطاع الأمر نحواً من ستين سنة، من غير مزاحمة. وقد كان سيفاً مسلولاً على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظّمونه ويتغالون فيه، ويذلون أرواحهم فيما يأمر به. كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طوراً راسياً في السنة لا يتزلزل ولا يلين. وقد امتحن عدّة مرات وأوذى في الله. وله مقامات وحكايات ذكرها أرباب التراجم^١.

وأما الميبدوي فهو الإمام السعيد رشيد الدين أبو الفضل ابن أبي سعيد أحمد بن محمد ابن محمود الميبدوي^٢، وكان أبوه جمال الإسلام أبو سعيد قد توفي قبل الخوaja بسنة - سنة ٤٨٠ هـ - ومن ثم فإن المترجم كان قد أدرك الخوaja، ومن ثم وصفه أصحاب التراجم بالتلمذة لديه^٣. قد تصدّى تحرير تفسير شيخه عام (٥٢٠ هـ) أي بعد وفاة شيخه بأربعين سنة. وميبد بلدة من ضواحي يزد - إيران.

ويظهر من تأليفه هذا الفخيم أنه كان على مستوى رفيع من الفضيلة والأدب السامي، ولا سيما في الأدب الفارسي البديع؛ حيث تستجيحه المتين وترصيفه الرصين، في جزالة وسلاسة وسهولة في التعبير، ولا سيما في النوبة الثالثة؛ حيث ظرافة الذوق العرفاني العميق والأدب الرفيع، تجدهما قد امتزجا في كلامه، فجاء شيئاً طريفاً يستدعي التحسين والإعجاب.



أما التفسير ذاته فيعدّ من أكبر وأضخم تفسير كتب على الطريقة العرفانية الصوفية.

١. راجع: تذكرة الحنطة للذهبي، ج ٣، ص ١١٨٢، رقم ١١٠٢٨، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٥٠٣، رقم ٢٦٠.

٢. راجع: مقدّمة التفسير بقلم الدكتور علي أصغر حكمت.

٣. راجع: نشأته ممخفاً سرف الرءاء، نغلاً عن تاريخ أمبي ليروان لإدوارد براون، ذيل ص ٣٧٥؛ هكذا تاريخ أمبيات ليروان للدكتور صفا، ج ٢، ص ٢٥٧، ٨٨٢، ٩٣٠، ٩٣٢.

في عشر مجلّدات ضخام، وضع على أحسن سبك وأجمل عبارات أدبيّة رصينة، فهو من التفاسير الأدبيّة الممتازة باللغة الفارسيّة، وقد كثر تداوله بين الأدباء وأفاضل العرفاء.

وكان منهجه السير في ثلاث نوبات:

النوبة الأولى في التفسير الظاهريّ على حدّ الترجمة الظاهريّة.

و النوبة الثانية في بيان وجوه المعاني والقراءات وأسباب النزول، و بيان الأحكام و ذكر الأخبار، والآثار الواردة بالمناسبة.

و النوبة الثالثة في بيان الرموز والإشارات العرفانيّة، و لطائف الدقائق و النكات الظرفية المستفادة من سجع العبارات، و هو بيت التصيد من التفسير.

كلّ ذلك بعبارات رائعة ذات تسجيع و ترصيف لطيف، كما هو دأب أكثر أصحاب التفسير العرفانيّ.



و ممّا حظي به هذا السفر الجليل، كثرة استشهاده بالوجوه و النظائر من الآيات الكريمة، يوردها تبعاً في كلّ مناسبة، ممّا يدلّ على إحاطة المؤلف بمعاني القرآن، و مختلف أنواع آيه الكريمة. هذا عند كلّ مناسبة، نذكر منها ما يلي:

مثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾^١ يقول: و نظير ذلك في القرآن كثير، و يذكر الآيات التالية، و يترجم كلّ آية ترجمة رائعة، نذكرها مع الترجمة:

﴿أدعوني أستجب لكم﴾^٢ ﴿فأذكروني أذكركم﴾^٣.

(بنده من درى برگشای تا درى برگشایم). (عبدی، افتح باباً حتّى أفتح باباً).

﴿.. وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾^٤.

(در انابت برگشای تا در بشارت برگشایم). (افتح باب الإجابة حتّى أفتح باب

١. خافر (٤٠): ٦٠.

٢. الزمر (٣٩): ١٧.

٣. البقرة (٢): ٤٠.

٤. البقرة (٢): ١٥٢.

البشارة).

﴿وَمَا أَنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهَوَّ يُلْقِيَهُ﴾^١

(در اتفاق برگشای تا در خَلْفِ برگشایم). (افتح باب الاتفاق حتى أفتح باب

العرض).

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٢

(در مجاهدت برگشای تا در هدایت برگشایم). (افتح باب المجاهدة حتى أفتح باب

الهداية).

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^٣

(در استغفار برگشای تا در مغفرت برگشایم). (افتح باب الاستغفار حتى أفتح باب

المغفرة).

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^٤

(در شکر برگشای تا در زیادت نعمت برگشایم). (افتح باب الشكر حتى أفتح باب

الزيادة في النعمة).

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾^٥

(بنده من به عهد من واز آی تا به عهد تو واز آیم). (عبدی أوف بهدی حتى أوفي

بعهدك).



هكذا يُعطى هذا السفر الجليل بجودة سبكه و جمال أسلوبه الأدبي، الذي دأب المؤلف عليه في عامة تعابيره في التفسير، و لا سيما في النوبة الثالثة؛ حيث ظرافة الذوق العرفاني اللطيف، و طراوة الأدب الفارسي الرفيع، تجدهما قد امتزجا معاً، فأصبح آية في

٢. المنكوت (٢٩): ٦٩.

٤. إبراهيم (١٤): ٧.

٦. كشف الأضواء، ج ١، ص ١٧٦.

١. سبأ (٣٤): ٣٩.

٣. النساء (٤): ١١٠.

٥. البقرة (٢): ٤٠.

الجمال و البهاء. و يبدو براعة المؤلف و سعة تطلّعه الأدبيّ الفائق، إذا ما وجدنا تلك
الطلاوة الرائعة قد أفرغت في قالب الأدب الفارسيّ الجزل السلس السهل التعبير.

وإليك نموذجاً من التوبة الثالثة العرفانيّة:

هو عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا
بِعَهْدِي أَوْفٍ بِمَعَاهِدِكُمْ وَاتَّقُوا فَرَاهُونَ﴾^١ يقول:

«بیر طریقت گفت: الهی! کار آن دارد که با توکاری دارد، یار آن دارد که چون تو
یاری دارد، او که در دو جهان تو را دارد هرگز کی تو را بگذارد! عجب آن است که او که
تو را دارد از همه زارتر می‌گذارد. او که نیافت به سبب نیافت می‌زارد، او که یافت باری
چرا می‌گذارد.

در بر آن را که چون تو یاری باشد گر ناله کند سیاه کاری باشد»^٢

﴿وَرِئَاسِي فَرَاهُونَ﴾ همان است که گفت: ﴿وَرِئَاسِي فَاثُونَ﴾.

رهبت و تقوی، دو مقام است از مقامات ترسندگان، و در جمله ترسندگان راه دین بر
شش قسم‌اند:

تابانند و عابدان و زاهدان و عالمان و عارفان و صدیقان.

تابان را خوف است، چنان‌که گفت: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَكَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

و عابدان را و جَل: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

و زاهدان را رهبت: ﴿يَدْعُونَنَا رَهَبًا وَرَهْبًا﴾.

و عالمان را خشیت: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

١. البقرة (٢): ٤٠.

٢. قال شيخ الطريقة: الهی، لا شغل إلا لمن كان شغله مملك. و لا ناصر إلا من كان ناصره مملك. و من كان له مملك
في الدارين فلن يدعك. و العجب أن من كان له مملك كان أكثرهم أبنياً و يثن من لم يجدك بسبب عدم
الكتف، أما الذي وجدك فليم يثن و يندب!؟

و شکا فقد ظلم و جفا

من کان مملک مملک

(کشف الأخرق، ج ١، ص ١٧٥).

و عارفان را اشفاق: «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ»^۱.
و صدیقان را هیبت: «و يُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ»^۱.

اما خوف، ترس تابان و مبتدیان است، حصار ایمان و تریاق و سلاح مؤمن، هر که را این ترس نیست او را ایمان نیست، که ایمنی را روی نیست، و هر که راهست به قدر آن ترس ایمان است.

و وَجَل، ترس زنده دلان است که ایشان را از غفلت رهایی دهد، و راه اخلاص بر ایشان گشاده گرداند، و أمل کوتاه کند، و چنانک و جل از خوف به است، رهبت از وَجَل به^۲، این رهبت عیش مرد بیترد، و او را از خلق بیترد، و در جهان از جهان جدا کند. این چنین ترسند همه نفس خود غرامت بیند، همه سخن خود شکایت بیند، همه کرد خود جنایت بیند. گهی چون غرق شدگان فریاد خواهد، گهی چون نوحه گران دست بر سر زند، گهی چون بیماران آه کند. و از این رهبت اشفاق پدید آید که ترس عارفان است، ترسی که نه پیش دعا حجاب گذارد، نه پیش فراست بند، نه پیش امید دیوار. ترسی گدازنده کشنده، که تا ندای «أَلَا تَحْقُقُوا وَلَا تَحْمِزُوا وَ أَبْشِرُوا»^۳ نشنود نیارامد. این ترسند را گهی سوزند و گاه نوازند، گهی خوانند و گاه کشند، نه از سوختن آه کند و نه از کشتن بنالد.

۱. الذي قال: «و إِيَّاهِمْ لَمَرْهُونَ» (البقرة: ۲)؛ «و الذي قال «و إِيَّاهِمْ لَمَرْهُونَ» (البقرة: ۲)؛ «و إِيَّاهِمْ لَمَرْهُونَ» (البقرة: ۲)؛ «و إِيَّاهِمْ لَمَرْهُونَ» (البقرة: ۲).
۲. الرهبة و التوقى منزلتان من منازل الخائفين. و الخائفون في طريق الدين على ست طوائف: التائبون، المابدون، الزاهدون، العالمون، المارفون، الصديقون.
۳. أما التائبون فعلى خوف، كما قال تعالى: «يَتَّقُونَ يَوْمًا تَكَلَّبَ فِيهِ التَّوْبَةُ وَ الْأَسْجَارُ» (النور: ۲۴)؛ (۳۷).
- و المابدون على وجل: «الَّذِينَ إِذَا دُخِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ لُحُوبُهُمْ» (الحج: ۲۲)؛ (۳۵).
- و الزاهدون على رهبة: «يَدْعُونَنا رَهْبًا وَ رَهْبًا» (الأنبياء: ۲۱)؛ (۹۰).
- و العالمون على خشية: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ التَّوَّابِينَ» (فاطر: ۳۵)؛ (۲۸).
- و المارفون على إشفاق: «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» (المؤمنون: ۳۳)؛ (۵۷).
- و الصديقون على حذر: «و يُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» (آل عمران: ۳)؛ (۲۸).
۲. «يه» - بكسر الميم - بمعنى الكبير و يقابله «يه» بمعنى الصغير.
۳. فضلت (۴۱)؛ (۳۰).

كم تقتلوننا وكم نحبتكم يا عجباً كم نحبت من قتلاً^١

از پس اشفاق هیبت است - بيم صدیقان - بیمی که از عیان خیزد، و دیگر بیمها از خبر چیزی در دل تابد چون برق، نه کالبد آن را تابد، نه جان طاقت آن دارد که با وی بماند، و بیشتر این در وقت وجد و سماع افتد، چنانکه (کلیم) را افتاد به (طور) «وَوَحَّرَ مُوسَى صَيْطًا»^٢ و تا نگویی که این هیبت از تهدید افتد که این از اطلاع جبّار افتد.

یک ذره اگر کشف شود عین عیان نه دل برهد نه جان نه کفر و ایمان^٣

هذا هو المشار إليه بقوله ﷺ: «حجابہ النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره»^٤.



١. أما الخوف الذي يمثل خوف التائبين والمبتدئين، فهو طوق الإيمان، ويلم المؤمن وسلاحه. ومن لا خوف له لا إيمان له، إذ لا أمان هناك. ومن كان له خوف فإيمانه بمقدار خوفه. وأما الرجل، فهو خوف أولي البصائر، ينقلهم من الغفلة، ويفتح لهم باب الإخلاص، ويفضّر الأمل؛ والرهبنة أكبر من الرجل كما أنّ الرجل أكبر من الخوف. إنّ الرهبنة تذهب بعيش المرء وتجمله وحيداً، تفصله عن الدنيا وهر في الدنيا. هذا الخائف يجد نفسه كلّها هُرمًا، وكلامه برسته شكوي، وعقله جميعه جُرمًا. فهو نارّة كالفریق يستصرخ، وأخرى كالنادب يضرب على رأسه. وثالثة كالليل يتأوّه.

و الإشفاق وليد هذه الرهبنة، التي هي خوف العارفين، ذلك الخوف لا يضع حجاباً يحول دون الدعاء، ولا يبدأ يحول دون فِراسة النفس، ولا حاجزاً يحول دون الرجاء. إنّ خوف مضمّن فائق، ولولا قوله تعالى: «أَلَا تَهْتَفُوا وَلَا تَهْزَبُوا وَبِهِدُوا» لَمَا قَرَأَ قرآن. و قد يحرّق هذا الخائف حيناً، و قد يشفق عليه حيناً آخر و قد يقتل و قد يُعدي فلا من الحرق يتأوّه و لا من القتل يتوجّع.

كم تقتلوننا وكم نحبتكم يا عجباً كم نحبت من قتلاً

٢. الأعراف (٧): ١٤٣.

٣. تأتي الهيبة بعد الإشفاق - و هي خوف الصّديقين - ذلك الخوف المنبث عن معانبة، و غيره منبث عن خبر يتألق في القلب، لا الجسم يتعمّل ذلك الخوف و لا الروح تطيقه كي تبغي معه. و الأكثر أنّه يتفق حين الوجد و السماع، كما اتفق للكلیم ﷺ في جبل طور «وَوَحَّرَ مُوسَى صَيْطًا». فلا نقل: إنّها هيبة عن تهديد، و إنّما هي عن معرفة الجبّار جلّ عزه.

لو كشف ذرة عمن عین عیان لا القلب ينجو، لا الروح، لا الكفر و لا الإيمان

٤. كشف الأعراف، ج ١١، ص ١٧٧-١٧٨.

و نموذج آخر أروع، عند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يقول:

«کار کار مخلصان است، و دولت دولت صادقان، و سیرت سیرت پاکان، و تقد آن تقد که در دستارچه ایشان. امروز بر بساط خدمت با نور معرفت، فردا بر بساط صحبت با سرور وصلت. ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾^۲ می گوید: پاکشان گردانیم و از کوره امتحان خالص بیرون آریم، تا حضرت را بشایند، که حضرت پاک جز پاکان را بخود راه ندهد، «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ» به حضرت پاک جز عمل پاک، و گفت پاک بکار نیاید، آنکه از آن عمل پاک، چنان پاک باید شد، که نه در دنیا بازجویی آن را و نه در عقبی، تا به خداوند پاک رسی. ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾^۳.

سرّ این سخن آن است که «بویگر زقاق»^۴ گفت: «تقصان کلّ مخلصٍ فی إخلاصه رؤیة إخلاصه، فإذا أراد الله أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤیة لإخلاصه فيكون مخلصاً لا مخلصاً».

می گوید: اخلاص تو آنکه خالص باشد که از دیدن تو پاک باشد، و بدانی که آن اخلاص نه در دست تو است و نه بقوت و داشت تو است، بلکه سرّی است ربّانی و نهادی است سبحانی، کس را بر آن اطلاع نه، و غیری را بر آن راه نه.

احدیّت می گوید: «سرّ من سرّی استودعته قلب من أحببت من عبادی» گفت: بنده را برگزینم و به دوستی خود بیسندم، آنکه در سویداء دلش آن ودیعت خود بنهم، نه شیطان

۲. ص (۳۸): ۴۶.

۱. البقرة (۲): ۱۱۲.

۳. ص (۳۸): ۲۵. العمل عمل المخلصين، و الدولة دولة الصادقين، و السيرة سيرة المطهرين. و التقدي هو ما كان في أيديهم. و هم اليوم على أريكة الخدمة يعلوهم نور المعرفة، و غداً على أريكة الصلحة منتمين بسرور الوصل ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ أي: طهرناهم و أخرجنا لهم من يرقعه الاختيار الخالص؟ كي يتأهلوا للمشول أمام الله تعالى «وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب»، إذ لا يلبس بساحة الطهارة إلا من كان طاهراً في قوله و عمله. و يظهر بذلك العمل الطاهر الطيب فلا تجده في هذه الدنيا و لا في دار العقبى، حتّى يصل إلى ساحة قدس طهارته جلّ جلاله ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾.

۴. هو من الطبقة الثالثة، و اسمه أحمد بن نصر، هو من مشايخ الصوفية بمصر، و كان في طبقة الجنيد البغدادي و من أصحابه، و يلقب بالكبير. أما الزقاق الصغير فهو بغدادي تلميذ الزقاق الكبير. راجع: فحاشات الأئمة، ص ۱۷۶-۱۷۷. و لما توفي الزقاق الكبير قال الكتاني بشأنه: «انقلعت حجة الفقراء في ذهابهم إلى مصر».

بدان راه برد تا تباه کند، نه هوای نفس آن را ببیند تا بگرداند، نه فرشته بدان رسد تا بنویسد.

جنید^۱ از اینجا گفت: «الإخلاص سرّ بين الله و بين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.»

ذواتون مصری^۲ گفت: «کسی که این ودیعت به نزدیک وی نهادند نشان وی آن است که مدح کسان و ذمّ ایشان، بیش وی به یک نرخ باشد، آفرین و نفرین ایشان یک رنگ ببیند، نه از آن شاد شود، نه از این فراهم آید. چنانکه مصطفی ﷺ شب قرب و کرامت، همه آفرینش منشور سلطنت او می خواندند، و او به گوشه چشم به هیچ نگرست و می گفت: شما که مقرّبان حضرتید می گوید: «السلام على النبي الصالح الذي هو خير من في السماء والأرض» و ما منتظریم تا ما را به آستانه جفاه بوجهل باز فرستند تا گوید: ای ساحر، ای کذاب، تا چنانک درّ «خير من في السماء والأرض» خود را بر سنگ تقد زدیم، درّ ساحر و کذاب نیز برزنیم، اگر هر دو ما را به یک نرخ نباشد، پس این کلاه دعوی از سر فرو نهمیم.

رو که در بند صفاتی عاشق خویشی هنوز

گر بر تو عزّ منبر خوش تر است از ذلّ دار

این چنین کس را مخلص خوانند نه مخلص، چنانک بوبکر زقّاق گفت: «فيكون مخلصاً لا مخلصاً» مخلص در دریای خطر در غرقاب است، نهنگان جان ربای در چپ و راست وی درآمده، دریا می بزد و می ترسد، تا خود به ساحل امن چون رسد و کسی رسد. از اینجا است که بزرگان سلف گفتند: «و المخلصون في خطر عظيم» و مخلص آن

۱. هو أبو القاسم سعيد بن محمد بن الجنيد القواريري البغدادي، ملقب بسلطان الطائفة الصوفية، كان شيخ وقته و فريد عصره في الزهد و التصوّف، مات ببغداد سنة (٢٩٧ هـ).

۲. اسمه توبان بن إبراهيم، كان أبوه نوبياً من موالي قریش. هو من الطبقة الأولى من مشايخ الصوفية بمصر، توفي سنة (٢٤٥ هـ).

است که به ساحل امن رسید.^۱

ربّ العالمین، موسی را به هر دو حالت نشان کرد، گفت: «إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا»^۲ هم مخلصاً - به کسر لام - و هم مخلصاً - به فتح لام - خوانده اند.^۳

اگر به کسر خوانی بدایت کار اوست، و اگر به فتح خوانی نهایت کار اوست. مخلص آنگاه بود که کار نبوت وی در پیوست، و نواخت احدیت به وی روی نهاد، و مخلص آنگاه شد که کار نبوت بالا گرفت. و به حضرت عزت پستخ^۴ شد. این خود حال کسی است که از اول او را روش بود و زان پس به کشش حق رسد، و شتآن بینه و بین نبیّا محمد ﷺ چند که فرق است میان موسی و میان مصطفی ﷺ که پیش از دور گیل آدم به کمند کشش حق معتصم گشت، چنانک گفت: «كنت نبياً و آدم مجبول في طينته».

شبلی^۵ از اینجا گفت: در قیامت هر کسی را خصمی خواهد بود، و خصم آدم منم که

۱. «علاقة من أودعته هذه الوديعة (السّر الإلهي) أن يتساوى عنده مدح الآخرين و ذمهم. ويرى الدعاء له و عليه سبب لا يسره ذلك و لا يحزنه هذا. كما كان النبي المصطفى ﷺ ليلة القرب و الكرامة، إذ تخنى عالم الخليفة كله بميثاق مكنته، و هو ﷺ ينظر بطرف خفي، و يقول: أنتم أيها المقربون، تقولون: «السلام على النبي الصالح الذي هو خير من في السماء و الأرض». و أنا أنتظر الإشخاص إلي بزابة جفاء أبي جهل، كي يقول لي: أيها الساحر، أيها الكذاب. حتى إذا اخترنا دز «خير من في السماء و الأرض» بمسبار النقد، نُؤجنا بدزة «الساحر الكذاب». فإذا لم يتكافأ عندنا الأمران معاً، رفعنا قبة الدعوى هذه من رؤوسنا. اذهب فإنك في قيد النور ما قبتش لمشق نفسك. و إن كان عز المنبر أحلى لك من ذل الأعواد و من كان كذلك فهو «مخلص» لا «مخلص»، كما قال أبو بكر الرزاق «فيكون مخلصاً لا مخلصاً».

و المخلص غريق في بحر الأخطار، و قد حافت به العيتان الشرعية من كل جانب، و هو يشق حباب البحر خائفاً حتى يصل إلى ساحل الأمن، و كيف يصل؟ و متى يصل؟ من هنا قال أكابر السلف: و المخلصون في خطر عظيم. أنا «المخلص» فهو الرواصل إلى مرقا الأمن.

۲. مريم (۱۹): ۵۱.

۳. قرأ أهل الكوفة بفتح اللام، و الباقون بالكسر. و الأولى هي المشهورة المعهودة لدى المسلمين، و الاستدلال في المتن بكلتا الفراءتين، مبني على حجية الفراءات أجمع، حتى مع التعارض، قياساً على مختلف الروايات. لكننا لا نقول بذلك حتى في متعارض الروايات فضلاً عن الفراءات، و أنّ الحجة واحدة، و هي قراءة حفص و من تبعه من الكوفيّين. راجع: شهيد ج ۲، ص ۱۶۶-۱۶۷ (مباحث الفراءات).

۴. «بستانخ» علی وزان بُستان، بمعنى الجريء أي المارف المقدم. و هو بالفارسية بمعنى «گستاخ».

۵. هو أبو بكر دلف بن جعدر الخراساني البغدادي. تولد في سامراء و نشأ في بغداد. صاحب جنيد و الصحاح و خير النساخ. كان من كبار مشايخ الصوفية، توفي ببغداد سنة (۲۳۴ هـ). و دفن بمقبرة الخيزران.

بر راه من عقبه کرد تا در گِلزار وی بماندم.

شیخ الاسلام انصاری رحمته الله از اینجا گفت: دانی که محقق کی به حق رسد؟ چون سبیل ربوبیت در رسد، و گرد بشریت برخیزد حقیقت بیفزاید، بهانه بکاهد، نه کالبد ماند نه دل، نه جان ماند صافی رسته از آب و گِل، نه نور در خاک آمیخته نه خاک در نور.

خاک با خاک شود، نور با نور. زبان در سر ذکر شود و ذکر در سر مذکور. دل در سر مهر شود و مهر در سر نور. جان در سر عیان شود و عیان از بیان دور. اگر تو را این روز آرزو است از خود بیرون آی، چنانک مار از پوست، به ترک خود بگویی که نسبت با خود نه نیکو است، همان است که آن جوان مرد گفت:

نیست عشق لایزالی را در آن دل هیچ کار

کو هنوز اندر صفات خویش ماندست استوار

هیچکس را نامده است از دوستان در راه عشق

بی زوال ملک صورت ملک معنی در کنار^۱

۱. إله تعالی قد وسم نبيه موسى عليه السلام بكلمات السمتين: ﴿قَدْ كَانَتْ مَخْلُصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾. قرئت الآية بكسر اللام و بفتحها. إن قرأتها بالكسر، فهو مستهمل أمره. و إن قرأتها بالفتح فهو ختام أمره. لقد كان مخلصاً حين حظي بمقام النبوة و شملته العناية الربانية كان مخلصاً حين بلغت نبوته ذروتها و تشرف و بساحة العزة مفداً. و هذه هي حالة من انتهج منهج الحق لئال مرتبة الوصل بالحق في نهاية المطاف و شأن ما بين موسى و نبينا المصطفى محمد عليه السلام الذي نال مرتبة الوصل و اعتصم بحبل الحق قبل أن يخلق آدم عليه السلام كما قال عليه السلام: «كنت نبياً و آدم مجبول في طينته». من هنا قال «الشبلبي»: لكل امرئ في القيامة خصيم، و خصيمي فيها آدم عليه السلام إذ عرفل طريقي، لأصل راسياً في وخليه.

قال شيخ الإسلام الأنصاري رحمته الله: أو تدري متى يبلغ المحقق الحق؟ ذاك حينما ينحدر سبيل الربوبية، و يرتفع غبار البشرية، و تزود الحفيفة، و تقل الأعذار، فلا الجسم يبقى و لا القلب، و لا الروح الصافية الخالصة من الماء و الطين، و لا النور الممتزج بالتراب، و لا التراب الممتزج بالنور.

فالتراب يصير مع التراب، و النور مع النور، و اللسان يصبح ذكراً في الرأس، و الذكر مذكوراً في الرأس. القلب ينطبع في الرأس، و الانطباع ينقلب في الرأس نوراً. الروح تتجلى في الرأس، و التجلي بعيد عن البيان. فلو كنت ترجو ذلك اليوم فانخلع من نفسك، كما تنخلع الحية من جلدها، و دع ذاك إذ الانساب إليها شين، كما قال الشاعر الشهم:

لا عشقَ له في قلب ما انفك حبيس صفاته

لم ينسر الحظ من ملك المعاني لأحد من العاق بدون زوال ملك الصور

(كشف الاسرار، ج ۱، ص ۳۲۷-۳۲۹).

اللغات الغريبة التي جاءت في هذا التفسير

ومن امتيازات هذا التفسير الجليل، استصالة اللغات الفارسية العتيقة، ولكنها جاءت غريبة في هذا العهد، ممّا ينبؤك عن أدب رفيع وإحاطة واسعة كان يحظى بها المؤلف الكبير. وإليك نماذج منها:

جاء بشأن نبيّ الله موسى ﷺ ذيل قوله تعالى: «بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ۗ أَنَّهُ كَانَ مِخْلَصًا وَمِخْلَصًا، قَالَ: مِخْلَصٌ أَنْكَاهُ يُوَدُّكَ كَارِ نُبُوتِ وَي دَرِيُوسْت، وَنَوَاحِثَ أَحَدِيَّتِ بِهِ وَي رُوي نَهَاد، وَمِخْلَصٌ أَنْكَاهُ شُدُّ كَارِ نُبُوتِ بِالَا كَرَفْت، وَبِهِ حَضْرَتِ عَزْتِ بُسْتَاخِ شُدُّ. ٢ استعمل ثلاث كلمات هي من صنعة الأديب العتيدي: ١- «دريوست» أي استقام أمر نبوته. ٢- «نواخت احديت» أي نداء الربوبية. ٣- «بُستاخ شد» أي كملت معرفته.

وقد فسر «بستاخ» بمعنى «گستاخ» أي الجريء، في حين أنّ هذا المعنى لا يناسب المقام؛ لأنّ فيه شائبة الوقاحة، غير اللاتقة بمقام النبوة. وإنما المراد هو نفس كمال المعرفة (أشناي كامل). المعرفة بالأوضاع والأحوال.

وفي تفسير سورة الفاتحة: بنده من مرا به بزرگواری و پاکی بستود، بنده من پشت وامن داد و کار وامن گذاشت، دانست که به سر برنده کار وی مائيم. ٣

«پشت وامن داد» «وا» بمعنى «با» (مع). أي اعتمد ظهره عليّ، وفعل معتمداً عليّ.

«به سر برنده»: پایان رساننده کار وی مائيم. بمعنى: «البالغ أمره».

وفي ص ٥: استعمل «شكافته» بمعنى «المشتق».

وص ١١: «پيوسیدن» بمعنى «اميد داشتن»: «به هرچه پيوسند رسند». بمعنى «الرجاء»

وص ١٧: «فرا» بمعنى «به»: «در خبير است که مصطفي فراين عباس گفت». بمعنى «قال

١. البقرة (٣): ١١٢.

٢. إنّما المخلص من استقام أمر نبوته، و بلّغته نداء الربوبية، و المخلص من ارتقت درجة نبوته و كملت معرفته (كشف الأضداد، ج ١، ص ٣٢٩).

٣. عبيد مجذني و نزه مقامي. عبيد اعتمد عليّ و وكل أمره إليّ، و علم أنّي بالغ به أمره.

و ص ٩٦: «غاز» به معنى «البناء». قال في ترجمة «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً»^١: «و آسمان گازی برداشته». و قال في ترجمة «رَفَعَ سَمَكَهَا»^٢ ص ١٠١-: «غاز آن بالا داد». و ص ١٢٣: «واز اوشید» في ترجمة «إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^٣. و ص ٢٢٠: «کیان»: بوزینگان: قِرْدَة، في ترجمة «كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ»^٤. و ص ٢٩٦: «گوشوانان»: نگهبانان: حَرَسَة. و في ص ٥٧٥: «خُنُور»: الوعاء. و اللغات من هذا القبيل كثيرة في هذا التفسير.



و الأبدع: أنه ركب كلمات تركيبات أدبية، مما جعلها تفيد معاني جديدة ابتدعها مفسرنا العظيم. من ذلك ما جاء في (ج ١، ص ١١): «بس آورد»: عاقبة الأمر. و في ص ٢٦: «باز بریدن»: الاعتزال. و في ص ٩٦: «ارپس» في ترجمة «فَان». و في ص ١٠٦: «هامسانی»: همانندی: مثل. و في ص ٣٢١: «برآمد نگاه آفتاب»: المشرق. «فروشد نگاه آفتاب»: المغرب. و في ص ٣٥٥: «فرانیاوم» في ترجمة: «نَمَّ أَضْطَرُّهُ»^١. و في ص ٥٨٩: «بازكاود»: فريضة گزارد: صلی الصلاة الفريضة.

٥. تفسير الخواجا عبد الله الأنصاري

قد اسبقنا أن تفسير الميبدی كشف الأسرار و عذة الأبرار وضع على أساس تفسير الخواجا عبد الله الأنصاري الذي كان مختصراً ففصله و زاد عليه.

٢. النازعات (٧٩): ٢٨.

١. البقرة (٢): ٢٢.

٤. البقرة (٢): ١٢٦.

٣. البقرة (٢): ٦٥.

ثم جاء الأستاذ حبيب الله (آموزگار) ليلخص بدوره هذا التفسير الكبير ويستخلص فيما حسب التفسير الأصل الذي صنعه الخواجا، وذلك في سنة (١٣٨٥ هـ.ق. = ١٣٤٤ هـ.ش.) وتم له ذلك خلال ثلاث سنوات، وأسماء تفسير أبيه وعرفاني خواجه عبد الله أنصاري وطبع في جزئين، في مجلّد واحد ضخّم، الطبعة الأولى سنة (١٣٤٧ هـ.ش.)، والطبعة الثانية سنة (١٣٥٣ هـ.ش.) في طهران.

٦. تفسير ابن عربي

هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي - بدون أداة التعريف - فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي صاحب كتاب أحكام القرآن. وهذا الفرق من اصطلاح المشاركة، أمّا أهل المغرب فيأتون باللام في كلا الموردين.

ولد بمرسيّة سنة (٥٦٠ هـ) ثم انتقل إلى إشبيلية سنة (٥٦٨ هـ) وبقي بها نحواً من (٣٠) سنة تلقى فيها العلم على كثير من الشيوخ حتى بزغ نجمه وعلا ذكره. وفي سنة (٥٩٨ هـ) نرح إلى المشرق وطوّف في كثير من البلاد، فدخل الشام ومصر والموصل وآسيا الصغرى ومكّة، وأخيراً ألقى عصاه واستقره النووي في دمشق، توفي بها سنة (٦٣٨ هـ).

كان ابن عربي شيخ المتصوّفة في وقته، وكان له أتباع ومريدون مُعجّبين به إلى حدّ كبير، حتى لقبوه بالشيخ الأكبر والعارف بالله، كما كان له أعداء ينقمون عليه ويرفضون طريقتة ويرمونهُ بالكفر والزندقة، لما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة، التي تحمل في ظاهرها معاني الكفر والإلحاد.

وكان إلى جنب تصوّفه بارعاً في كثير من العلوم، فكان عارفاً بالآثار والسنن، وكان شاعراً أديباً؛ ولذلك كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك الغرب.

وتلك مؤلفاته الكثيرة تدلّ على سعة باعه وفرة أطلاعه وتبحّره في العلوم الظاهرة والباطنة، وكانت له حدّة في النظر ودقّة في الاستباط، ولكن في الأكثر على مشربه

الصوفي الباطني، ومن ثم كانت له شطحات ملأها كتبه ومصنفاته.

هل لابن عربي من تفسير؟

كانت له في التفسير والحديث نظرات، وله فيها مقالات ضمن كتبه ولا سيما الفتوحات المكيّة والفصوص وغيرهما من أمّهات كتبه. ولكن هل كان قد ألف كتاباً في التفسير يخصّه؟

يبدو من مواضع من كتبه ولا سيما الفتوحات، أنّ له تأليفاً في التفسير، ففي الجزء الأول من الفتوحات (ص ٥٩) عند الكلام على حروف المعجم في أوائل سور القرآن، يقول: «ذكرناه في كتاب الجمع والتفصيل في معرفة معاني التنزيل».

وفي (ص ٦٣) يقول: «وقد أشبعنا القول في هذا الفصل عند ما تكلمنا على قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ تَعْلِيكَ﴾^١ في كتاب الجمع والتفصيل».

وفي (ص ٧٧) عند كلامه على حروف المعجم، يقول: «من أراد التشقي منها فليطالع تفسير القرآن الذي سميّه الجمع والتفصيل».

ويقول عن كتاب آخر في التفسير أسماه إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن في الجزء الثالث من الفتوحات (ص ٦٤) عند الكلام عن «علم الإصرار»: «قد بيّناه في كتاب إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن في قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلٰى مَا فَعَلُوا﴾^٢ فانظره هناك».

وهذا التفسير قد وجد منه جزء يسير من أوّله إلى الآية ٢٥٣ من سورة البقرة، وعليه في الخاتمة توشيح المؤلف هكذا:

«انتهى الجزء الثامن من إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن ويتلوه في التاسع قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^٣. وهذا الأصل بخط يدي من غير مسودة».

١. آل عمران (٣): ١٣٥.

٢. طه (٢٠): ١٢.

٣. البقرة (٢): ٢٥٣.

وكتب محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عربي الحاتمي الطائي، المترجم يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة، سنة إحدى وعشرين وست مائة، والحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى آله أجمعين آمين»^١.

وقد طبع على هامش رحمة من الرحمان من كلام ابن عربي (الجزء الأول من ص ٧ إلى ص ٣٧٨).

وله أيضاً إشارة، إلى تفسيرين، أحدهما بعنوان التفسير الكبير حيث يقول في الجزء الرابع من الفتوحات (ص ١٩٤):

«اعلم أن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه، فإنه يدل ما ينتجه على حال الذاكِر، كما شرطناه في التفسير الكبير لنا».

والثاني بعنوان التفسير أو تفسير القرآن كما جاء في الجزء الأول من الفتوحات (ص ٨٦) و (ص ١١٤) والجزء الثالث (ص ٦٤).

وهل هما نفس التفسيرين الآنف ذكرهما، أم غيرهما، غير واضح. غير أن الذي يستفاد من مجموع كلماته، أن له في التفسير تأليفاً باستقلاله، وقد ضاع مع الأسف سوى النزر اليسير حسبما ذكرنا.

تفاسير منسوبة إلى ابن عربي

نعم، هناك تفاسير تحمل اسم ابن عربي:

١. إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن، وهو في كمال الإيجاز والاختصار، وقد طبع جزء يسير منه على هامش رحمة من الرحمان على ما أسلفنا.

٢. رحمة من الرحمان في تفسير وإشارات القرآن، من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي. جمع وتأليف محمود محمود الغراب، من علماء دمشق المعاصرين.

وهو تفسير غير شامل، التقطه المؤلف من كلام ابن عربي ضمن تأليفاته، ولا سيما

١. راجع: رحمة من الرحمان في تفسير وإشارات القرآن لمحمود محمود الغراب، ج ١، ص ٣٧٨.

الفتوحات حيثما تكلم عن تفسير آية أو إشارة إلى معنى من معاني القرآن، ومن ثم لم يستوعب جميع آي القرآن.

وقد قام المؤلف بهذا الجمع خلال خمسة وعشرين عاماً، قال: ولمحاولة الوقوف على فهم الشيخ الأكبر للقرآن الكريم، قمت بالعمل أكثر من خمس وعشرين سنة، في جمع وتصنيف وترتيب ما كتبه الشيخ الأكبر، في كتبه التي بين أيدينا، مما يصلح أن يكون تفسيراً لبعض آيات القرآن، سواء من الناحية الظاهرة على نسق التفسير الأخرى من الأحكام الشرعية والمعاني العربية، أو ما يصلح أن يكون تفسيراً صوفياً لبعض آيات القرآن، وهو ما يسمّى بالاعتبار والإشارة في التوحيد والسلوك، وسميته رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، تمشياً مع عقيدة الشيخ الأكبر في شمول الرحمة وعدم سرمدة العذاب^١.

وطبع هذا الأثر في أربع مجلّدات، في دمشق سنة (١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م).

٢. تفسير القرآن الكريم في مجلدين اشتهرت نسبه إلى ابن عربي، وقد راج ذلك منذ زمن سحيق، وهو موضوع على مذاق الصوفيّة في التفسير الباطنيّ المحض. وفيه بعض الشطحات ممّا أثار الريب في نسبه إلى الشيخ، وزعموا أنّه من صنع الشيخ كمال الدين أبي الفنائم المولى عبد الرزاق الكاشي السمرقندي المتوفى سنة (٧٣٠ هـ).

قال الشيخ محمد عبده: من التفسير الإشاري ما ينسبونه للشيخ الأكبر معيى الدين ابن عربي، وإنّما هو للقاشانيّ الباطنيّ الشهير، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز^٢.

وأما الحاجي خليفة -صاحب كشف الظنون- فقد نسبه رأساً إلى القاشانيّ من غير ترديد، قال: كتاب تأويلات القرآن المعروف بتأويلات القاشانيّ، هو تفسير بالتأويل على اصطلاح أهل التصوّف، للشيخ كمال الدين أبي الفنائم عبد الرزاق بن جمال الدين

١. راجع: رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن (المقدمة)، ص ٥.

٢. الفتاوى، ج ١، ص ١٨.

الكاشي السمرقندي، أوله: «الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفاته»^١. وهذه العبارة هي المبدوء بها في التفسير المذكور.

و النسخة التي كانت عند حاجي خليفة، كانت إلى سورة «ص». و توجد نسخ كاملة في سائر المكتبات، منها نسخة كاملة بالمكتبة السلطانية بتركيا تحت رقم (١٧-١٨) وتحمل خاتم عبد الرزاق الكاشاني^٢.

ويتأيد نسبة الكتاب إلى القاشاني بما جاء في تفسير سورة «القصص» عند الآية رقم ٣٢: «وَاضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ»، قوله: «و قد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد في شهود الوحدة و مقام الفناء عن أبيه، أنه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي^٣.

و نور الدين هذا هو: نور الدين عبد الصمد بن علي النطنزي الأصفهاني، والمتوفى في أواخر القرن السابع، و كان شيخاً لعبد الرزاق القاشاني، المتوفى سنة (٧٣٠ هـ). و غير معقول أن يكون نور الدين هذا شيخاً لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ)^٤.

التعريف بهذا التفسير

قد أتى المؤلف فيه بالتفسير الرمزي الإشاري على طريقة الصوفية العرفانية و غالبه يقوم على أساس وحدة الوجود، ذلك المذهب الذي كان له أثره السيئ في تفسير كلام الله، والذي دعا بالقائلين أنه من صنع ابن عربي؛ حيث مذهبه في وحدة الوجود مشهور. و هو تفسير مقلد العبارة، لا يفهم معناها، كما لا يوجد لها من سياق الآية أو فحواها ما يدل عليها، و لو أن المؤلف كان واضحاً في كلامه، أو كان جمع بين التفسير الظاهر و التفسير الباطن كما فعله المبيدي لهان الأمر، و لكنّه لم يفعل شيئاً من ذلك، ممّا جعل الكتاب مقلداً، كأكثر مواضع كتب ابن عربي و لا سيما كتابه الفتوحات و من ثمّ كان دليلاً

٢. وحسن من الرحمان (المقدمة)، ج ١، ص ٤.

١. كشف الظنون، ج ١، ص ١٨٧.

٣. التفسير المنسوب إلى ابن عربي، ج ٢، ص ٢٢٨.

٤. راجع: التفسير و المفسرون، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٨ (ط بيروت).

آخر على احتمال صحته نسبه إليه. فهو في سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^١، يقول: ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلاً أي شيئاً غيرك، فإن
غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك، سبحانه، ننزهك أن يوجد
غيرك، أي يقارن شيء فردانيتك، أو يشي وحدانيتك. فقنا عذاب نار الاحتجاب، بالأكوان
عن أفعالك، وبالأفعال عن صفاتك، وبالصفات عن ذاتك، وقاية مطلقة تامة كافية^٢.

وفي سورة الواقعة ﴿فَعَنُ خَلْقَانُكُمْ فُلُولَا تُصَدُّوْنَ﴾^٣ يقول: نحن خلقناكم بإظهاركم
بوجودنا وظهورنا في صوركم^٤.

وفي سورة الحديد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ﴾^٥ يقول: وهو معكم أينما كنتم لوجودكم به،
وظهوره في مظاهرهم^٦.

وفي سورة المجادلة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾^٧ يقول: لا بالعدد
والمقارنة، بل بامتيازهم عنه بتمسياتهم، واحتجابهم عنه بما هيئاتهم وإنياتهم، وافتراقهم
منه بالإمكان اللازم لماهياتهم وهوياتهم، وتحقيقهم بوجوده اللازم لذاته، واتصاله بهم
بهويته السندرجة في هوياتهم، وظهوره في مظاهرهم، وتستره بما هيئاتهم، ووجوداتهم
المشخصة، وإقامتها بين وجوده، وإيجابهم بوجوده. فهذه الاعتبارات هو رابع معهم،
ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم؛ ولهذا قيل: «لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة»، وقال
أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم نقطة كثرها الجاهلون»^٨.

وفي سورة المزمل ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتَلًا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^٩ يقول: واذكر اسم ربك الذي هو أنت، أي اعرف نفسك، واذكرها،
ولا تنسها، فينساك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.

١. تفسير ابن عربي، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

٢. تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٣.

٣. تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٥٩٩.

٤. تفسير ابن عربي، ج ٢، ص ٦١٢.

١. آل عمران (٣): ١٩١.

٢. الواقعة (٥٦): ٥٧.

٣. الحديد (٥٧): ٤.

٤. المجادلة (٥٨): ٧.

٥. المزمل (٧٣): ٨ و ٩.

ربّ المشرق و المغرب، أي الذي ظهر عليك نوره، فطلع من أفق وجودك بإيجادك، والمغرب الذي اختفى بوجودك، و غرب نوره فيك، واحتجب بك^١.

تلك نماذج تكشف لك عن واقع هذا التفسير، وأنه يقوم على مذهب صاحبه في القول بوحدة الوجود، الأمر الذي يلتزم وإمكان نسبته إلى ابن عربيّ القائل بذلك، فليس غريباً منه أن يقوم بتأليف تفسير يعتمد على مذهبه الخاص. فلا موضع لما استغربه أمثال الشيخ محمّد عبده، وأن النزعات أو الشطحات التي تشاهد في هذا التفسير، ليست شيئاً غريباً عن روح ابن عربيّ ومذهبه في وحدة الوجود.



و يقوم مذهب ابن عربيّ في التفسير - في سائر مؤلفاته - غالباً على نظرية «وحدة الوجود» التي يدّين بها، و على الفيوضات والوجدانيات التي تنهلّ عليه من سحائب الغيب الإلهي، و تنقذ في قلبه من ناحية الإشراق الربانيّ، فنراه في كثير من الأحيان يتعسف في التأويل، ليجعل الآية تتمشى مع هذه النظرية، فهو يبذل فيما أراد الله من آياته و يفسرها على أن تتضمّن مذهب و تكون أسانيد له، الأمر الذي ليس من شأن المفسّر المنصف المخلص لله صمّله؛ إذ يجب على المفسّر المخلص أن يبحث في القرآن بحثاً مجرداً عن الهوى و العقيدة، ممّا قلّ ما يوجد في أهل التصوّف و العرفان.

هذا و قد بالغ ابن عربيّ في دعواه الإشراقات الربانيّة المنهلة على قلبه، و يدّعي أن كلّ ما يجري على لسان أهل الحقيقة - و يعني بهم الصوفيّة بالذات - من المعاني الإشاريّة في القرآن هو في الحقيقة تفسير و شرح لمراد الله، و أن أهل الله - و يعني بهم الصوفيّة - أحقّ الناس بشرح كتابه؛ لأنهم يتلقون علومهم عن الله مباشرة، فهم يقولون في القرآن على بصيرة، أمّا أهل الظاهر فيقولون بالظنّ و التخمين، و فضلاً عن ذلك إنّه يرى أن تفاسير أهل الحقيقة لا يعترها شك، و أنّها صدق و حقّ على غرار القرآن الكريم، فإذا كان القرآن

الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؛ لأنه من عند الله، فكذلك أقوال أهل الحقيقة في التفسير، لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها؛ لأنها منزلة من عند الله. يقرّر ابن عربي كلّ هذه المبادئ و يصرّح بها في فتوحاته.

يقول: «و ما خلق الله أشقّ و لا أشدّ من علماء الرسوم على أهل الله المختصّين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهي، الذين منحهم أسرارهم في خلقه، و فهمهم معاني كتابه و إشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل ﷺ، و لما كان الأمر في الوجود الواقع على ما سبق به العلم القديم - كما ذكرنا - عدل أصحابنا إلى الإشارات كما عدلت مريم ﷺ من أجل أهل الإفك و الإلحاد إلى الإشارة. فكلامهم ﷺ في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، إشارات، و إن كان ذلك حقيقة و تفسيراً لمعانيه النافعة، ورد ذلك كلّهُ إلى أنفسهم مع تقريرهم إياه في الصوم و فيما نزل فيه. كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم، فهم به سبحانه عندهم الوجهين، كما قال تعالى: ﴿سُتْرُجِمَ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^١، يعني الآيات المنزلة في الآفاق و في أنفسهم، فكُلّ آية منزلة لها وجهان: وجه يروونه في نفوسهم، و وجه آخر يروونه فيما خرج عنهم، فيستمّون ما يروونه في نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك، و لا يقولون في ذلك إنّه تفسير، و قاية لشُرّه و تشنيعهم في ذلك بالكفر عليه؛ و ذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحقّ، و اقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإنّ الله كان قادراً على تنصيب ما تأوّل أهل الله في كتابه، و مع ذلك فما فعل، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامّة، علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم^٢.

و تفاسيره بهذا النمط كثيرة و منبئة في كتبه لا سيّما في «الفتوحات». خذ لذلك مثلاً ما ذكره بشأن قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ﴾^٣ بما لا يرجع إلى محصل.

٢. راجع: الفتوحات المكتوّج ١، ص ٢٧٩.

١. فضلت (٤١): ٥٣.

٣. القلم (٦٨): ١.

قال في الباب الستين الذي وضعه لمعرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلي:

«اعلم أن الله تعالى لما تسمى بالملك رتب العالم ترتيب المملكة، فجعل له خواصاً من عباده، وهم الملائكة المهيمنة جلساء الحق تعالى بالذكر لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبّحون الليل والنهار لا يفترون. ثم اتخذ حاجباً من الكرويين واحداً أعطاه علمه في خلقه، وهو علم مفصل في إجمال، فيعلمه سبحانه كان فيه مجلى له، وسمى ذلك الملك «نوناً» فلا يزال ممتكفاً في حضرة علمه ﷻ وهو رأس الديوان الإلهي، والحق من كونه عليمًا لا يحتجب عنه. ثم عيّن من ملائكته ملكاً آخر دونه في المرتبة سماء «القلم» وجعل منزلته دون منزلة «النون» واتخذها كاتباً، فيعلمه الله سبحانه من علمه ما شاءه في خلقه بوساطة «النون»، ولكن من العلم الإجمالي، ومما يعوي عليه العلم الإجمالي علم التفصيل، وهو من بعض علوم الإجمال؛ لأن العلوم لها مراتب، من جعلتها علم التفصيل. فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملة إلا علم التفصيل مطلقاً، وبعض العلوم المفصلة لا غير، واتخذ هذا الملك كاتب ديوانه وتجلّى له من اسمه القادر، فأمدّه من هذا التجلي الإلهي، وجعل نظره إلى جهة عالم التدوين والتسطير، فخلق له لوحاً وأمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصة، وأنزله منزلة التلميذ من الأستاذ، فتوجهت عليه هنا الإرادة الإلهية، فخصّصت له هذا القدر من العلوم المفصلة، وله تجليات من الحق بلا واسطة. وليس للنون سوى تجلٍ واحد في مقام أشرف، فإنه لا يدلّ تعدّد التجليات ولا كثرتها على الأشرقية، وإنما الأشرف من له المقام الأعمّ. فأمر الله النون أن يمدّ القلم بثلاث مائة وستين علماً من علوم الإجمال، تحت كلّ علم تفاصيل، ولكن معينة منحصرة لم يعطه غيرها، يتضمّن كلّ علم إجمالي من تلك العلوم ثلاث مائة وستين علماً من علوم التفصيل، فإذا ضريت ثلاث مائة وستين في مثلها، فما خرج لك فهو مقدار علم الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصة، ليس عند اللوح من العلم الذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من

هذا، لا يزيد ولا ينقص، ولهذه الحقيقة الإلهية جعل الله الفلك الأقصى ثلاث مائة وستين درجة، وكلّ درجة مجملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق والثواني والثالث إلى ما شاء الله سبحانه، ممّا يظهره في خلقه إلى يوم القيامة، وسُمّي هذا القلم الكاتب.

ثم إنّ الله سبحانه وتعالى أمر أن يُولّى على عالم الخلق اثنا عشر والياً، يكون مقرّهم في الفلك الأقصى ممّا في بروج، فقسم الفلك الأقصى اثني عشر قسماً، جعل كلّ قسم برجاً لسكنى هؤلاء الولاة، مثل أبراج سور المدينة، فأنزلهم الله إليها فنزلوا فيها، كلّ والٍ على تخت في برجه، ورفع الله الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ، فرأوا فيه مسطراً أسماؤهم ومراتبهم وما شاء الحقّ أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة، فارتقم ذلك كلّه في نفوسهم وعلومه علماً محفوظاً لا يتبدّل ولا يتغيّر^١.

وقال في الباب الثاني الذي وضعه لمعرفة مراتب الحروف - الفصل الأوّل -:

«ثمّ إنّ في نفس النون الرقيّة (ن) التي هي شطر الفلك من العجائب ما لا يقدر على سماعها إلّا من شدّ عليه منزر التسليم، وتحقّق بروح الموت الذي لا يتصوّر معن قام به اعتراض ولا تطّلع، وكذلك في نفس نقطة النون أوّل دلالة النون الروحانيّة المعقولة فوق شكل النون السفليّة، التي هي النصف من الدائرة، والنقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعيّة، أوّل الشكل، التي هي مركز الألف المعقولة، التي بها يتميّز قطر الدائرة، والنقطة الأخيرة التي ينقطع بها شكل النون، وينتهي بها هي رأس هذا الألف المعقولة المتوهّمة، فتقدر قيامها من رقدتها فترتكز لك على النون، فيظهر من ذلك حرف اللام، والنون نصفها زاء مع وجود الألف المذكورة، فتكون النون بهذا الاعتبار تعطيك الأزل الإنسانيّ، كما أعطاك الألف والزاء واللام في الحقّ. غير أنّه في الحقّ ظاهر، لأنّه بذاته أزلّي لا أوّل له، ولا مفتتح لوجوده في ذاته، بلا ريب ولا شكّ.

ولبعض المحقّقين كلام في الانسان الأزلّي، فنسب الانسان إلى الأزل، فالإنسان خفي

فيه الأزل فجُهِل؛ لأن الأزل ليس ظاهراً في ذاته، وإنما صحَّ فيه الأزل لوجه ما من وجوه وجوده، منها أن الموجود يُطلق عليه الوجود في أربع مراتب: وجود في الذهن، ووجود في العين، ووجود في اللفظ، ووجود في الرقم. فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه، في العلم القديم الأزلي المتعلق به في حال نبوته، فهو موجود أزلاً أيضاً، كأنه بعناية العلم المتعلق به، كالتحيز للعرض بسبب قيامه بالجوهر، فصار متحيزاً بالتبعية، فلهذا خفي فيه الأزل، ولحقاقته أيضاً الأزلية المجردة عن الصورة المعينة المعقولة التي تقبل القدم والحدوث^١.

وقال في الباب (٣٥١) في معرفة اشتراك النفوس والأرواح:

«القلم واللوح أول عالم التدوين والتسطير، وحققتهما ساريتان في جميع الموجودات علواً وسفلاً ومعنى وحساً، وبهما حفظ الله العلم على العالم، ولهذا ورد في الخبر عنه عليه السلام: «قيدوا العلم بالكتابة». ومن هنا كتب الله التوراة بيده، ومن هذه الحضرة اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وجميع الرسل عليهم السلام كتاب الوحي، وقال: «كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَقُولُونَ...»^٢، وقال: «مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا»^٣، وقال: «وَكُلُّ فِيهِ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ»^٤.

وقال: «فِي كِتَابٍ مَكُونٍ»^٥، وقال: «فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ تَرْفَعُهُ مَطْهَرَةٌ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ»^٦، وقال: «وَرَكَّبْنَا مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ...»^٧ والكاتب: الضم، ومنه سميت الكتيبة كتيبة، لانضمام الأجناد بعضهم إلى بعض. وبانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني والأجسام، فظهرت النتائج في الأعيان، فمن حفظ عليها هذا الضم الخاص أفادته علوماً لم تكن عنده، ومن لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد علم لم يحصل على طائل، وكان

١. المصدر نفسه، ص ٥٣-٥٤.

٢. الانفطار (٨٢): ١٢-١١.

٣. الكهف (١٨): ٤٩.

٤. عبس (٨٠): ١٣-١٥.

٥. الواقعة (٥٦): ٧٨.

٦. عبس (٨٠): ١٣-١٥.

٧. عبس (٨٠): ١٣-١٥.

كلامه غير مفيد»^١.

وقال في ديوانه أبياتاً بشأن النون والقلم نذكر منها:

إذا جاء بالإجمال نونُ فإنّه يفصله الملام بالقلم الأعلى
 فيلقيه في اللوح الحفيظ مفصلاً حروفاً وأشكالاً وآياته تُتلى
 وما فصل الإجمال منه بعلمه وما كان إلا كاتباً حينما يُتلى
 عليه الذي ألقاه فيه مسطرٌ تُبلى به أكوانه وهو لا يُبلى
 هو العقل حقاً حين يعقل ذاته له الكشف والتحقيق بالمشهد الأعلى^٢
 وأُشنع تفسير رأيته في كلامه ما ذكره بشأن إخفائه تعالى أولياءه في صفة أعدائه، فكانوا أولياءه في صورة أعداء، وعباداً مخلصين في زيّ عتاة متمردين. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٣: إيجاز البيان فيه، يا محمداً! إنّ الذين كفروا ستروا محبتهم فيّ، دعهم فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك، فإنهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك وقد خستت على قلوبهم فلم أجمل فيها متسعاً لغيري، وعلى سمعهم، فلا يسمعون كلاماً في العالم إلا منّي. وعلى أبصارهم غشاوة، من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي، ولهم عذاب عظيم عندي أردّهم بعد هذا المشهد السنّي إلى إنذارك، وأحجبه عني، كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قريباً، أنزلتك إلى من يكذبك ويردّ ما جئت به إليه منّي في وجهك، و تسمع فيّ ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك فهكذا أمثالي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم، فلا أسخط عليهم أبداً^٤.

١. الفتوحات السنيّة ج ٣، ص ٢٢١.

٢. رسالة من لإحسانه ج ٤، ص ٣٦٤ نقلاً عن ديوان ابن عربي، ص ١٦٤.

٣. البقرة (٢): ٧٦.

٤. الفتوحات السنيّة ج ١، ص ١١٥.



وإليك من تفاسير ابن عربي معتمدة على نظرية وحدة الوجود، جاءت في سائر كتبه:
قال في تفسير قوله تعالى: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»: ^١ لَأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ إِلَّا عَنِ اللَّهِ،
بَلْ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِاللَّهِ، بَلْ لَا يَنْطِقُ إِلَّا اللَّهُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ صَوْرَتُهُ ^٢.

وفي تفسير قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي» ^٣. يقول: وادخلي جنتي التي هي ستري، وليست جنتي
سواك، فأنت تسترني بذاتك الإنسانية، فلا أعرف إلا بك، كما أنك لا تكون إلا بي، فمن
عرفك عرفني، وأنا لا أعرف فأنت لا تُعرف، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف
نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها، فتكون
صاحب معرفتين، معرفة به من حيث أنت، ومعرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت،
فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه أنت عبد، وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد ^٤.
وفي تفسير قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» ^٥ يقول: إن النفس
لا تزكو إلا بريها، فيه تُشرف وتُعظم في ذاتها؛ لأن الزكاة ربو، فمن كان الحق سمعه وبصره
وجميع قواه، والصورة في الشاهد صورة خلق، فقد زكت نفس من هذا نعته وربت
وأثبتت من كل زوج يهيج، كالأسماء الإلهية لله، والخلق كله بهذا النعت في نفس الأمر،
ولولا أنه هكذا في نفس الأمر ما صح لصورة الخلق ظهور ولا وجود؛ ولذلك خاب من
دسَّاهَا؛ لأنه جهل ذلك فتخيَّل أنه دسَّاهَا في هذا النعت، وما علم أن هذا النعت لنفسه نعت
ذاتي لا ينفك عنه يستحيل زواله، لذلك وصفه بالخيبة؛ حيث لم يعلم هذا؛ ولذلك قال: قد
أفْلَحَ، ففرض له البقاء. والبقاء ليس إلا لله أو لما كان عند الله، وما تمَّ إلا الله أو ما هو عنده،

٢. الفتوحات المكية، ج ٤، ص ١٢٢.

١. النساء (٤): ٨٠.

٣. الفجر (٨٩): ٢٧-٣٠.

٤. نصوص الحكم، ج ١، ص ١٩١-١٩٣ (التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٤٢).

٥. الشمس (٩١): ١٠-٩.

فخزائنه غير نافذة، فليس إلا صور تعقب صوراً، والعلم بها يسترسل عليها استرسالاً.



و بعد فإذا كانت النزعات أو الشطحات التي كان الشيخ الأستاذ محمّد عبده يستوحشها و يستغرب أن تكون صادرة من مثل ابن عربي، و من ثمّ استكر انتساب التفسير إليه، فما هي مثلها أو أشدّ غرابةً، مبنوثة في كتبه و لا سيّما الفتوحات، فأين موضع الاستغراب. و من ثمّ فالأرجح صحّة النسبة و لا سيّما مع شهرتها و عدم وجود ما ينافي هذه النسبة، نظراً لشدة المشابهة بين محتويات هذا التفسير و سائر مؤلّفات ابن عربي.

و أمّا ما ذكره الأستاذ الذهبي - لوجه المنافاة - من السماع من نور الدين عبد الصمد النطنزي الأصفهاني المتوفى في أواخر القرن السابع، حيث يصلح أن يكون شيخاً للمولى عبد الرزاق الكاشي المتوفى سنة (٧٣٠ هـ) لا لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ).

فيمكن توجيهه، بأنّ الناسخ و هو المولى عبد الرزاق الكاشي زاد هذا الكلام هنا أو جعله على الهامش، ثمّ أدخل في المتن على يد النساخ المتأخّرين، فلا منافاة.

٧. هرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمّد الشيرازي

هو أبو محمّد روزبهان بن أبي نصر البجليّ الشيرازي المتوفى سنة (٦٦٦ هـ).

هو تفسير إشاري رمزيّ على الطريقة الصوفيّة العرفانيّة، جمع فيه من آراء من تقدّمه من أقطاب الصوفيّة و أهل العرفان، فكان تفسيراً عرفانيّاً موجزاً، و في نفس الوقت جامعاً و كاملاً في حدّ ذاته. قال في المقدّمة: «ولمّا وجدت أنّ كلامه الأزليّ لا نهاية له في الظاهر و الباطن، و لم يبلغ أحد إلى كماله و غاية معانيه؛ لأنّ تحت كلّ حرف من حروفه بحرٌ من بحار الأسرار، و نهراً من أنهار الأنوار، فتعرّضت أن أعرف من هذه البحور الأزليّة غرفات من حكم الأزليّات، و الإشارات و الأبديات، ثمّ أردفت بعد قولي أقوال مشايخي سماً عباراتها ألطف، و إشاراتها أظرف ببركاتهم، و سمّيته: هرائس البيان في حقائق القرآن».

و هو يجري في تفسيره مع الذوق العرفاني المجرد، حتى نهاية القرآن، و طبع في جزئين يضمهما مجلد واحد كبير.

٨. التأويلات النجمية لنجم الدين داية، و علاء الدولة السمناني

ألف هذا التفسير نجم الدين داية، و مات قبل أن يتمه، فأكمله من بعده علاء الدولة السمناني.

أما نجم الدين فهو أبو بكر عبد الله الرازي المعروف بداية. توفي سنة (٦٥٤ هـ). كان من كبار الصوفية، و كان مقيماً أول أمره بخوارزم، ثم خرج منها أيام هجوم چنكيزخان، إلى بلاد الروم، و يقال: إنه قتل أثناء تلك الحروب.

و أما علاء الدولة فهو أحمد بن محمد السمناني، توفي سنة (٧٣٦ هـ). كان أحد الأئمة المعروفين، و كان ينتقص من ابن عربي كثيراً، و كان مليحاً ظريفاً حسن المجلس حسن المناظرة، عزيز الفتوة، كثير البر، و له مصنفات كثيرة ربما تبلغ الثلاث مائة. كان قد دخل بلاد التتار، ثم رجع و سكن تبريز ثم بغداد.

يقع هذا التفسير في خمس مجلدات كبار، و هو تفسير لطيف، و وضع على أسلوب التفسير الإشاري، و لكن في ظرافة بالغة و في عبارات شائقة.



و هناك تفاسير ذوات اعتبار، جعلت قسماً من منهجها للبيان العرفاني الإشاري للقرآن، و ساروا على منهج الاعتدال في هذا المجال، أمثال النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن، و المولى محسن الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي، و السيد محمود الآلوسي البغدادي في روح المعاني. على ما أسلفنا الكلام عليها، فلا نعيد ذكرها.



التفسير في اتجاهٍ عصريّ

لم يترك الأقدمون لمن تأخّر عنهم كبير جهد في تفسير كتاب الله، والكشف عن معانيه والبلوغ إلى مرامييه، فقد تناولوه من أوّل أمرهم بدراسته التفسيرية التحليلية دراسة توسّعت واطّردت مع الزمن على تدرّج ملحوظ، و تلوّن بألوان مختلفة حسبما عرفت. ولا شكّ أنّ كلّ ما يتعلّق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وقّاه هؤلاء المفسّرون القدّامى حقّه من البحث والتحقيق، فالتواحي اللغويّة والبلاغيّة والأدبيّة والنحويّة، وحتىّ الفقهيّة والكلاميّة والكونيّة الفلسفيّة، كلّ هذه النواحي وغيرها تناولوها بتوسّع ظاهر ملموس، لم يتركوا لمن جاء بعدهم إلى ما قبل عصرنا بقليل من عمل جديد أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي دوّنوها، سوى أعمال جانبيّة لا يعدو أن يكون جمعاً لأقوال المتقدّمين، أو شرحاً لغامض آرائهم، أو نقداً أو تفنيداً لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحاً لرأي على رأي؛ ممّا جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد والابتكار.

ولقد ظلّ الأمر على هذا، وبقي التفسير واقفاً عند هذه المرحلة -مرحلة الركود والجمود- لا يتعدّاها، ولا يُحاول التخلّص منها. حتّى جاء عصر النهضة العلميّة الحديثة، فاتّجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرّروا من قيد هذا الركود، ويتخلّصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة فاحصة من جديد

وإن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل في التفسير أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً ملموساً، ولكنها غيرت من اتجاهاته القديمة، وأبسته نوياً جديداً لا ينكر؛ إذ عملت في التخلص من كل الاستطرادات التي حُشرت في التفسير حشراً ومُرِجَت به على غير ضرورة لازمة، وثابت على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلية التي كادت تذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية على رسول الله ﷺ أو على أصحابه والأنمة من بعده رضي الله عنهم وإلباس التفسير نوياً أدبياً اجتماعياً، في صياغة جديدة أظهرت روعة القرآن وجمال بهائه، كما كشفت عن كثير من مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، في تعرفه الإنسان والحياة والسياسة والاجتماع، وهكذا حاولت التوفيق بعددٍ بالغ وجهد بين، بين ظواهر القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموقنين في الغلو والاعتدال. كل ذلك من أجل أن يعرف المسلمون ومن ورائهم الناس جميعاً أنّ القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشي مع الزمان في جميع أطواره ومراحل. ولقد أجادوا وأفادوا في هذا المجال، ولكنهم توسعوا في ذلك، وربما بلغ بعضهم حد الإفراط والغلو، بما أخرجهم عن حد الاعتدال.

ألوان التفسير في العصر الحديث

كان الجري مع الزمن في التفسير استدعى تنوعه مع تنوع متطلبات العصر ومتقلباته، بما نستطيع أن نجمل القول في ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الأربعة التالية، وهي أهمها:

أولاً: اللون العلمي: وهو أول الألوان التي ظهرت إلى الوجود، متأثراً بمكتشفات العصر الحديث.

ثانياً: اللون الأدبي الاجتماعي: وهو ثاني الألوان، المتأثر بالأدب المعاصر، والمظاهر الاجتماعية الحاضرة.

ثالثاً: اللون السياسي: وقد ظهر هذا اللون على أثر التشعبات الحزبية السياسية

الحديث في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: اللون العقلي: فقد رافقت الألوان المتقدمة هذا اللون من التفسير العقلي، الذي كان فيه بعض المحاولات لتأويل آيات، كانت بظاهرها متافية مع مظاهر العلم أو العقيدة الإلحادية، التي أورتها النهضة الصناعية العلمية، منذ القرن التاسع عشر للميلاد. وإليك بعض الكلام عن اللونين العلمي والأدبي الاجتماعي، فقد ازدهر العصر الحديث بهما، نتيجة الوعي الديني الذي ساد أكثر أبناء هذا العصر. أما اللون الآخران: السياسي والعقلي، فهما حصيلة أفكار سياسية متطرفة وأخرى إلحادية كافرة، سيطرت على نفوس ضعيفة، أو تشكلات حزبية منحرفة، ولم تكن لهم تفاسير شاملة، سوى بضع آيات التقطوها، كانت من المتشابهات، ومن ثم أتبعوها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها. فهي تفاسير مقطوعة الدابر منبوذة لا يعتد بها، فلم نعتدها ولا كان لها شأن.

١. اللون العلمي

إنّ هذا اللون من التفسير الذي يرمي إلى جعل القرآن مشتملاً على إشارات عابرة إلى كثير من أسرار الطبيعية، التي كشف عنها العلم الحديث، ولا تزال على مسرح الاكتشاف قد استشرى أمره في العصر الأخير، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية وشغف بالعلوم، إلى جنب عنايتهم بالقرآن الكريم. وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية الخاصة، التي تسلطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيراً من الكتب والرسائل التي يحاول أصحابها فيها أن يحتملوا القرآن كثيراً من علوم الأرض والسماء، وأن يجعلوه دالاً عليها بطريق التصريح أو التلميح، اعتقاداً منهم أنّ هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه، وإعجازه، وصلاحيته للبقاء.

أهم الكتب التي حُثبت بهذا اللون

من أهم هذه الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية، كتاب كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية، والأرضية، والحيوانات، والنباتات،

والجواهر المعدنية تأليف الطبيب الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني، أحد رجال القرن الثالث عشر الهجري، برع في الطب الروحاني والجسماني، وكانت له علاقة شديدة في دفع شبهات الأجانب التي كانت تثار ضد الدين، وكان له إلمام بالعلوم الحديثة التي كانت معروفة على عهده، من طب وصناعة، والعلوم الطبيعية والكيمياء، وطبقات الأرض والحيوان والنبات. ومن ثم حاول إثبات أن لا منافاة بين الدين والعلم، بل أن أحدهما ليكمل الآخر ويؤيده. توفي سنة (١٣٠٦ هـ).

وكتابه هذا من أوليات الكتب التي ظهرت في هذا الشأن، وهو كتاب كبير الحجم، يقع في ثلاث مجلدات، لكن من غير أن يستوعب جميع آي القرآن، سوى ما يتعلق بموضوع دراسته الخاصة. بحث في الجزء الأول عن الحياة وخلق الأحياء في الأرض، وفي الجزء الثاني، عن الأجرام السماوية وعن مظاهر الكون في الأرض والسماء، وفي الجزء الثالث، عن أسرار النباتات والمعادن، وما إلى ذلك.

وقد ذكر الإسكندراني في هذا الكتاب أن القرآن يحتوي على علوم جمّة، على ما جدّ من نظرات علمية تؤيد إعجاز القرآن، ويثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بيّنه القرآن في صورة حقائق الكون، وخلق الحيوان، وأسرار النباتات والمعادن. وأبان في المقدمة غرضه من هذا التأليف، قائلاً:

«و كنت منذ زالت عني تمانم الطفولية، و نيطت بي عمانم الرجولية، ممن شغف بتعلم الطب ليالي و أياماً، أنهمك في دراسته على قدر الطاقة سنين و أعواماً، ثم أقمت بدمشق الشام محتثياً بمداواة أهلها الأمائل الأعلام، إلى أن اجتمعت في محفل سنة (١٢٩٠ هـ) كان حافلاً ببعض الأطباء المسيحيين، فشرعوا يتحدثون في كيفية تكوّن الأحجار الفحمية، و في أنها هل أشير إليها في التوراة و الإنجيل أم لا؟ فلم يحصلوا على شيء، لا صريحاً و لا إشارة، ثم وجهوا إليّ السؤال عن القرآن الكريم هل فيه إشارة إلى ذلك؟ فتصدّرت للجواب و تلطّفت في التفهيم و الخطاب، قدر طاقتي و وسعي، و تتبعت كلام كثير من العلماء، و تفردت في طلبه من كتب التفسير و الطب، مع زيادة الاجتهاد».

و هو كتاب لطيف في بابه، طريف في أسلوبه، اعتمد فيه آراء القدماء و المحدثين، و جدّ في ذلك حسب إمكانه، و أفاد، جزاه الله خيراً.

و هناك مختصرات في هذا الشأن كثيرة جرت على نفس المنوال، فهناك الأطباء و المهندسون و علماء اختصاصيون كانت لهم عناية بالدين و بالقرآن الكريم، حاول كل حسب وسعه و حسب طاقته العلميّة، في الإيابة عن وجه إعجاز القرآن، من ناحية اختصاصه. و الكتب و الرسائل من هذا القبيل كثيرة و منبّئة، ربّما تفوق الحصر، و لا تزال تزداد حسب أطراد الزمان^١.

و في العلماء الدينيين أيضاً كثير ممن قام بهذا الأمر، و كتب في جوانب علميّة من القرآن الكريم، أمثال العلامة السيّد هبة الدين الشهرستاني المتوفّي سنة (١٣٨٦ هـ). قام بتأليف رسالة يقارن فيها بعض مسائل الهيئة و الفلكيات حسب إشارات جاءت في الشريعة و في نصوص القرآن الكريم. طبعت طبعتها الأولى في بغداد سنة (١٣٢٨ هـ) و ترجمت عدّة ترجمات منها بالفارسيّة، ممّا يدلّ على إعجاب العلماء بهذا الكتاب. و رسالة الأستاذ عبد الله باشافكريّ في مقارنة بعض مباحث الهيئة. طبعت بالقاهرة سنة (١٣١٥ هـ).

و رسالة السيّد عبد الرحمان الكواكبيّ، و هي عبارة عن مجموعة مقالات له، نشرها في بعض الصحف عند ما زار مصر سنة (١٣١٨ هـ). ثمّ جمعت ضمن كتاب باسم طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد.

و رسالة إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعيّ، عقد فيه بحثاً عن القرآن و العلوم.

و رسالة الأستاذ رشيد رشديّ العابريّ، مدرّس الجغرافيّة في ثانويّة التقيّض ببغداد،

١. لديّ رسالتان قيمتان فيما يخصّ مسائل الطبّ و القرآن الكريم، إحداهما: القرآن و الطبّ لأحدث تأليف صدقنا الفاضل الدكتور صادق عبد الرضا عليّ، طبعت في بيروت. و الأخرى: مع الطبّ في القرآن الكريم تأليف الدكتورين عبد الحميد دهاب و أحمد قرفوز، طبعت في دمشق. رسالة أعدت لنيل إجازة دكتورا في الطبّ.

قام بنشرها سنة (١٩٥١ م).

و رسائل من هذا القبيل مبثوثة فوق حدّ الإحصاء^١.

هذا، وأكثر علماء العصر الحديث نزعة إلى التفسير العلمي، وأكبرهم إنتاجاً هو الشيخ طنطاويّ جوهرّي، فإنّه أكثر مَنْ جَمَعَ في هذا المجال وأطال في تفسيره الجواهر وربّما أسهب بما يخبره عن طور التفسير أحياناً. يقع في خمسة وعشرين جزءاً، وألحقه بجزء آخر هو المتمّم للجزء السادس والعشرين. وإليك بعض الكلام عن هذا التفسير العجيب.

الجواهر في تفسير القرآن للطنطاويّ

هو الشيخ طنطاويّ بن جوهرّي المصريّ، توفي سنة (١٣٥٨ هـ). و تفسيره هذا يعتبر أطول وأول من فسّر القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث، و من قبله محمّد أحمد الإسكندرانيّ، ولكنّه بصورة غير شاملة، وكذلك جاء بعده مفسراً للقرآن بطريقة علميّة حديثة محمّد عبد المنعم الجمال في صورة أوجز، حسبما يأتي.

و يرى الشيخ الجوهرّي أنّ معجزات القرآن العلميّة لا زالت تنكشف يوماً بعد يوم، كلّما تقدّمت العلوم والاكتشافات، وأنّ كثيراً من كنوز القرآن العلميّة ما زالت مذكورة، يكشف عنها العلم شيئاً فشيئاً على مرّ العصور.

و الشيخ الجوهرّي كان منذ صباه مولماً بهكذا كشائف علميّة دينيّة، مُقرّماً بالعجائب الكونيّة، ومُعجّباً بالدائع الطبيعيّة، مشوّقاً إلى ما في السماء والأرض من جمال وكمال وبهاء كما يقول هو عن نفسه قال في مقدّمة تفسيره:

«لَمَّا تَأَمَّلْتُ الأُمَّةَ الإسلاميّة، و تعاليمها الدينيّة، ألفت أكثر العقلاء و بعض أجلّة العلماء، عن تلك المعاني معرضين، و عن التفرّج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكّر في خلق العوالم و ما أودع فيها من الفرائب. فأخذت أوّلّف كتباً لذلك شتى، كنظام

١. و قد خصّصنا الجزء السادس من التمهيد بالكلام عن هذا الجانب من التفسير العلميّ للقرآن و ذكرناه الأهمّ سناً قيل أو قد يقال في هذا المجال فراجع..

العالم والأمم، و جواهر العلوم، و التاج المرصع، و جمال العالم... و مزجت فيها الآيات القرآنية بالمعانيب الكونية، و جعلت آيات الوحي مطابقةً لمعانيب الصنع...^١

لكنه وجد أن هذه الكتب رغم كثرتها و انتشارها و ترجمتها إلى اللغات الأخرى كالأوردية و القازانية الروسية لم تشف غليله، فتوجه إلى الله أن يوفقه إلى تفسير القرآن تفسيراً ينطوي على كل ما وصل إليه البشر من علوم، فوقه الله لتحرير هذا التفسير الجليل.

و مفسرنا هذا يقرّر في تفسيره أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبع مائة و خمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة و خمسين آية.^٢ و نجده كثيراً ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، و يحثهم على العمل بما فيها، و يندّد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها، و ينمى على من أغفلها من السابقين الأولين.

منهج المؤلف في التفسير

إنه يذكر الآيات فيفسرها أولاً لفظياً مختصراً، لا يكاد يخرج بذلك عما في كتب التفسير المألوفة، لكنه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذي يسميه تفسيراً لفظياً و يدخل في أبحاث علمية مستفيضة، يسميها لطائف أو جواهر. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة آراء علماء الشرق و الغرب في العصر الحديث، ليبيّن للمسلمين و غيرهم أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث، و تبه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء. و نجده يضع لنا في تفسيره كثيراً من صور النباتات، و الحيوانات، و مناظر الطبيعة، و تجارب العلوم، بقصد أن يوضّح للقارئ ما يقول، توضيحاً، يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس. و لقد أفرط في ذلك، و جاز حدّ المجاز.

و ممّا يؤخذ عليه: أنه قد يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في

جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، وهو حين يستقلها يُبدي رضاها عنها وتصديقه بها، في حين أنها تخالف في ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون الأشاعرة^١.

وهكذا نراه قد يستخرج كثيراً من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل، الذي لا نكاد نصدق بأنه يوصل إلى حقيقة ثابتة. قال الذهبي: وإنما هي عدوى تسربت من اليهود إلى المسلمين، فتسلطت على عقول الكثير منهم.

هذا، وإنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيراً يقوم على نظريات علمية حديثة، غير مستقرة في ذاتها، ولم تمض فترة التثبت منها، وهذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف، إن لم يكن يذهب بفرض القرآن أحياناً، فلا أقل من أن يذهب برواياته وبهائه.

و تكفيك مراجعة عبري إلى هذا التفسير لكي تعرف مغزى هذا النقد الخطير، وقد أتى الذهبي بنماذج من هذا النمط العليل، واستنتج أخيراً: أن الكتاب في ذاته موسوعة علمية، ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الإمام الرازي، إذ قيل عنه: «فيه كل شيء إلا التفسير» بل هو أحق من تفسير الرازي بهذا الوصف وأولى به. وإن دل الكتاب على شيء، فهو أن المؤلف إنما يخلق في أجواء خياله، ويسبح حسب زعمه في ملكوت السماوات والأرض، ويطوف في نواح شتى من العلم بفكره وعقله، ليجلي للناس آيات الله في الآفاق والأنفس، وليظهر لهم أن القرآن قد جاء بكل ما جاء به الإنسان من علوم ونظريات، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^٢. ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده، وانحراف به عن هدفه، ولعله إطاحة بشأته في كثير من الأحيان، ويبدو من خلال التفسير أنه لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه هذا الذي سلكه في تفسيره، ولم تلق هذه النزعة التفسيرية قبولاً

١. الأمر الذي جعل الحكومة السعودية أن أصدرت الأمر بمصادرة الكتاب، وهدم السماح بدخوله إلى الحجاز.
يجد الفارئ ذلك في نص الكتاب المرسل من المؤلف إلى الملك عبد العزيز آل سعود في الجزء ٢٥، ص ٢٤٤.
نقلاً من: الظهير والحضرة، ج ٢، ص ٥٠٨.
٢. الأنعام (٦): ٣٨.

لدى كثير من المثقفين.

التفسير الفريد

ويتلو تفسير الجواهر، تفسير علمي آخر أوجز منه، هو التفسير الفريد تأليف العالم الفقيه محمد عبد المنعم الجمال. تفسير تحليلي موجز، شامل لجميع آيات القرآن، اهتم مؤلفه بالتوفيق بين الدين والعلم، وأن يفسر القرآن على ضوء العلم الحديث، مسترشداً في ذلك بأبحاث من العلماء والمفسرين، من دون بسط واستطراد. يقول في المقدمة: «في سنة (١٩٤٩ م.) اجتمعت في مدينة لندرة ببعض الإنجليز، الذين أسلموا حديثاً، وكانوا يلحون عليّ في أن أوافيهم ببعض التفاسير القرآنية، فاضطرت إلى اقتناء بعض الكتب التي اهتمت بترجمة وتفسير الآيات القرآنية. وقد لاحظت على كثير منها. أنها لا تستجلي معاني القرآن، أو لا تستوعب النواحي العلمية. فسألت الله أن يوقني إلى تفسير كتابه على ضوء العلم الحديث».

ثم يبيّن معيار التوفيق بين الدين والعلم، وحدوده قائلاً:

«و لا مشاحة في أن العلوم مهما تقدّمت فهي عرضة للزلل، فينبغي أن لا يطبق على آياته الكريمة إلا ما يكون قد ثبت منها قطعياً، وكلّ نظرية علمية تختلف مع آية من آي الذكر الحكيم، لا بدّ أنّها لم تصل بعد إلى سبر غور الحقيقة، فلا زالت معجزات القرآن الكريم يكشفها العلم، و لا زالت العلوم كلّما تقدّمت تجلو الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الفافلين».

هذا وقد سلك المؤلف في تفسيره المسلك العلمي الاجتماعي، الملائم للثقافة العربية في وقته، بما يتيسر للناشئة من الشباب المثقف التعرف إلى دين الإسلام، والوقوف على أسرار القرآن وعظمته. وهو تفسير جيّد في ذاته، سهل التناول لذوي الثقافات المختلفة، خال عن الإطالة والاستطرادات المملة، جرى الله المؤلف خيراً.

والتفسير يقع في أربع مجلّدات، وطبع في القاهرة سنة (١٩٧٠ م.)، (١٣٩٠ هـ).

ملحوظة

لم يقف العلماء في العصر موقف الإجماع على قبول هذا اللون من التفسير. بل نراهم مختلفين بين الردّ والقبول، ولكلا الفريقين حجج و تعاليل قد يمكن التوافق بينها إذا ما رجعنا إلى مصبّ القولين، الأخذ أحدهما طريق الإفراط والآخر التفریط، فكان الوسط هو طريق الاعتدال... راجع ما كتبناه بهذا الصدد في باب الأعجاز العلمي للقرآن الكريم. وهو الجزء السادس من التمهيد..

٢. اللون الأدبي الاجتماعي.

يمتاز التفسير في هذا العصر، بتلوّنه باللون الأدبي الاجتماعي، ونعني بذلك أن التفسير لم يُعدّ يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع التقليديّ الجافّ، من معالجة مسائل شكلية، كادت تصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وانشغالهم بمباحث فارغة لا تمسّ روح القرآن و حقيقته. وإمّا ظهر عليه طابع آخر و تلوّن بلون يكاد يكون جديداً و طارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً و قبل كلّ شيء، على إظهار مواضع الدقّة في التعبير القرآنيّ، ثم بعد ذلك تصاغ تلك المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبّق النصّ القرآنيّ على ما في الكون والحياة من سنن الاجتماع و نظم العمران.

هذه النهضة الأدبية الاجتماعية قامت بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، قرّبت القرآن إلى أفهام الناس، في مستوى عامّ كان أقرب إلى الواقعية من الأُمس الدابر. وإليك من امتيازات هذه المدرسة التفسيرية الحديثة: إنّها نظرت إلى القرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسرين القدامى من التأثر بالمذهب، إلى درجة كانت تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤوّل القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً و بعيداً.

كما أنّها وقتت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوّه التفسير بما

شوه به في كثير من كتب المتقدمين، من الروايات الخرافية المكذوبة، التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه وجرأت الطاعنين عليه.

كذلك لم تفتقر هذه المدرسة بما اغترّ به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية، التي كان لها أثر سيئ في التفسير.

ولقد كان من أثر عدم اغترار هذه المدرسة بالروايات الإسرائيلية، والأحاديث الموضوعية أنها لم تخض في تعيين ما أيهمه القرآن، من مثل الحروف المتقطعة، وبعض الألفاظ المبهمة الواردة في القرآن، مما أيهمه القرآن إبهاماً، ولم تكن غاية في إظهاره حينذاك، كما لم تجرأ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية، التي لا تعرف إلا من جهة النصوص الصحيحة الصريحة، بل قرّرت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات، في مثل الحياة البرزخية والجنة والنار والحدود والقصور والقلمان وما شابه ذلك، وهذا مبدأ سليم، يقف حاجزاً منيعاً دون تسرب شيء من خرافات الغيب المظنون، إلى المقطوع والمعقول من العقائد.

كذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأثر بأصطلاحات العلوم والفنون والفلسفة والكلام، التي رُجّح بها في التفسير، بدون أن يكون في حاجة إليها، ولم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة فقط. هذه كلها من الناحية السلبية التي سلكتها هذه المدرسة.

وأما من الناحية الإيجابية، فإن هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه في البيان، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم، والتي جمعت بين خيرَي الدنيا والآخرة.

كما وفّقت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة وثابتة، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني والبشري، إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها.

كما دفعت ما ورد من شبه على القرآن، وفندت ما أثير حوله من شكوك وأوهام، بحجج قوية، قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق.

كل ذلك بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ، ويستولي على قلبه، ويعبب إليه النظر في كتاب الله، ويرغبه في الوقوف على معانيه وأسراره.

وأيضاً فإن هذه المدرسة فتحت في وجه التفسير باباً كان مغلقاً عليه، منذ زمن سحيق، إنها أعطت لعقلها حرية واسعة النطاق، وأتاحت للعقل والفكر البشري مجاله الواسع الذي منحه الله له، ورغبه في ذلك. «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^١

ومن ثم حكمت العقل الرشيد على كل مظاهر الدين، فتأولت ما ظاهره المناقاة مع الحقائق الشرعية الثابتة، والتي دعمها العقل، و عدلت بها عن إرادة الحقيقة إلى المجاز والتمثيل، وبذلك وبهذه الحرية العقلية الواسعة، جارت أهل العدل في تعاليمها وعقائدها، والتي كان عليها السلف النابون، وقذفت بتعاليم الأشاعرة المتجمدة وراء الظهور، وبذلك لم تترك مجالاً لأحاديث أهل العشوان تتدخل في التفسير، ولا في عقائد المسلمين في شيء من الأصول والفروع. فقد طغنت في بعض الأحاديث بالضعف تارة وبالوضع أخرى، رغم ورودها في المجاميع الحديثية الكبرى، أمثال البخاري ومسلم وغيرهما؛ إذ أن خبر الواحد لا تثبت به عقيدة إجماعاً، ولا هو حجة في هذا الباب عند أرباب الأصول.

أهم رواد هذه المدرسة

رائد هذه المدرسة الأول وزعيمها وعميدها، هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الذي بنى أساس هذا البنيان الرفيع، وفتح باب الاجتهاد في التفسير بعد ما كان مغلقاً طيلة

قرون، فقد نبذ طريقة التقليد السلفي، وأعطى للعقل حرّيته في النقد والتمحيص. و سار على منهجه الأجلّاء من تلامذته، أمثال السيّد محمّد رشيد رضا، والشيخ محمّد محمّد القاسمي، والشيخ أحمد مصطفى المراغي، و من جاء بعدهم جاريّاً على نفس التعاليم، أمثال السيّد قطب، والشيخ محمّد جواد مغنية، والشيخ محمّد الصادقي، والسيّد محمّد حسين فضل الله، والسيّد محمّد الشيرازي، والشيخ سعيد حوى، والأستاذ محمّد الطاهر ابن عاشور، والسيّد محمّد تقي المدرسي، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي. والذي فاق الجميع في هذا المجال، هو العلامة الفيلسوف السيّد محمّد حسين الطباطبائي، الذي حاز قصب السبق في هذا المضمار.

وإليك بعض الكلام عن أهمّ ما كتب من جلائل التفسير المدوّن في هذا العصر:

المنار (تفسير القرآن العظيم)

تفسير حافل جامع ولكنه غير كامل، يشتمل على اثني عشر مجلداً وينتهي عند الآية (٥٣) من سورة يوسف. كان من أوّل القرآن إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء بإنشاء الشيخ محمّد عبده (المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ) وإملاء السيّد رشيد رضا (المتوفى سنة ١٣٥٤) ومن بعده سار السيّد في التفسير متّبعاً منهج الشيخ في تفسيره للآيات حتّى سورة يوسف.

كان الشيخ يلقي دروسه في التفسير بالجامع الأزهر على الطلاب لمدة ست سنوات، وكان السيّد رشيد رضا يكتب ما سمعه ويزيد عليه بما ذاكره مع الشيخ، وقام بنشر ما كتب في مجلّته «المنار» وذلك بعد مراجعة الأستاذ ليقوم بتفحيحه وتهذيبه، أو إضافة ما يكمله.

قال الذهبي: كان الأستاذ الإمام، هو الذي قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد، والتحرّر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحرّ في كتاباته وبحوثه، ولم يعجز على ما جمده عليه غيره من أفكار المتقدّمين وأقوال السابقين، فكان له من وراء ذلك

آراء وأفكار خالف بها من سبقه. وهذه الحرّية العقلية، وهذه الثورة على القديم، كان لهما أثر بالغ في المنهج الذي نهجه الشيخ لنفسه، و سار عليه في تفسيره^١.

قد رسم محمّد عبده في تفسيره منهجاً تربوياً للأمة الإسلامية، يبعث مقوماتها، و يثير أمجادها، و ينادي بأداب القرآن من الشجاعة و الكرامة و الحفاظ، قد حارب جمود الفقهاء و تقليدهم، و تقديم المذاهب على القرآن و السنّة مكانهما الأوّل من التشريع، و دعا المسلمين إلى استخدام عقولهم و تفكيرهم^٢.

و من خصائص هذا التفسير العناية بمشاكل المسلمين الحاضرة، و التوجّه إلى معالجة أسباب تأخّر المجتمع الإسلامي، و إلى إمكان بناء مجتمع قويّ، و عودة الأمة إلى ثورة حقيقة قرآنية على أوضاعها المتخلّفة، و مواجهة الحياة سواجبهة علمية صحيحة، و العناية التامة إلى الأخذ بأسباب الحضارة الإسلامية من جديد، و مواجهة أعدائها، و ردّ الغزوات الفكرية الاستعمارية التي سُنت على الإسلام عقيدةً و تاريخاً و حضارة و رجالات، و مناقشتها بالأدلة العلمية و الوقائع التاريخية، و تنفيذها و إثبات بطلانها من ذاتها.

و يتلخّص منهج تفسير المنار في البنود التالية:

١. الإسلام هو دين العقل و الشريعة، و هو مصدر الخير و الصلاح الاجتماعيّ.
٢. القرآن لا يتبع العقيدة، و إنّما تؤخذ العقيدة من القرآن.
٣. عدم وجود تعارض بين القرآن و الحقائق العلمية الراهنة.
٤. اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة.
٥. التحفّظ في الأخذ بما سُمي بالتفسير المأثور، و التحذير من الأفاصيص الإسرائيلية و المكذوبة.
٦. عدم إغفال الوقائع التاريخية، و التي لها دخل في فهم معاني القرآن الكريم.

٢. منهج الإمام محمّد عبده. لشحانة. المفرونة، ص ٦٦٨.

١. المنهج و المفرونة، ج ٢، ص ٥٥٤-٥٥٥.

٧. استعمال الذوق الأدبيّ التزيه في فهم مرامي الآيات الكريمة.
٨. معالجته للمسائل الاجتماعية في الأخلاق والسلوك.
٩. تفسيره للقرآن على ضوء العلم الحديث التقطعيّ الثابت.
١٠. حذره عن الخوض في الأمور المغيّبة عن الحسّ والإدراك.
١١. موضعه التزيه تجاه سحر السحرة، ولاسيّما بالنسبة إلى التأثير في شخصيّة الرسول.
١٢. موقفه الصحيح من روايات أهل الحشو، حتّى ولو كانت في الكتب الصحاح.

موقفه من حقيقة الملائكة والشياطين

ولقد كان من أثر إعطاء الشيخ عبده لنفسه الحرّية الواسعة في فهم القرآن الكريم، أنّا نجده يخالف رأي جمهور أهل السنّة، ويذهب على خلاف مذهب الأشعريّ في الأخذ بالظواهر والجمود عليها، وترك الخوض في فهم حقيقتها أو تأويلها، نراه يخالف هذا المسلك السلفيّ، ويذهب إلى ما ذهب إليه أهل الرأي والنظر والتمحيص وأصحاب التأويل، وقد عبّر عنهم الذهبيّ بالمعتزلة وليسوا هم وحدهم بل وأهل القول بالعدل وتحكيم العقل مطلقاً فيرى من الملائكة والشياطين، القوى الفعالة المودعة في عالم الطبيعّة، في صالح الحياة أو فسادها، أمّا إنّها موجودات مستقلّة ذات شمائل وأعضاء كشمائل الإنسان وأعضائه، حسب ما فهمه الظاهريّون من تعابير الشرع التي هي أمثال واستعارات فلا، نظراً لأنّها موجودات لا تسانخ وجود الإنسان بذاته، ولا هي على شاكلته.

قال في قصّة سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس (البقرة: ٣٤):

«وذهب بعض المفسّرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة، وهو: أنّ مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلق حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك، فيه إيحاء إلى الخاصّة بما هو أدقّ من ظاهر العبارة، وهو أنّ هذا التموّني

النبات لم يكن إلا بروح خاص، نفخه الله في البذرة، فكانت به الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي، سمي في لسان الشرع ملكاً، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسم هذه المعاني «القوى الطبيعية»، إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة، أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة. والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه، هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها، وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً، وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع، فالحقيقة واحدة والعاقل لا تحجبه الأسماء عن المسئيات، وإن كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجوداً لا يدرك كنهه، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح، ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها، ولا يعلم إلا الله، على ما يختلف الناس، وكل يقرب بوجود شيء غير ما يرى ويحس، ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم، ولا يصل بعقله إلى إدراك كنهه؟ وماذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب - وقد اعترف بما غيب عنه - لو قال: أصدّق بغيب أعرف أثره، وإن كنت لا أقدر قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي، ويحظى بما يحظى به المؤمنون؟

يشعر كل من فكر في نفسه، ووازن بين خواطره، عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو للشر، بأن في نفسه تنازاعاً، كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شوري، فهذا يورد وذاك يدفع، وأحد يقول: افعل، وآخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، ويترجح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسّميه: قوة وفكر، وهي في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله ملكاً، أو يسمي أسبابه ملائكة، أو ما شاء من الأسماء، فإن التسمية لا حرج فيها على الناس، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة، والسلطان النافذ والعلم الواسع!

فإذا صحَّ الجبري على هذا التفسير، فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحية التي بها قوامها ونظامها، وجعل كلَّ صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات، لا يتعداه ولا يتعدى ما حدّد له من الأثر الذي خصّ به، خلق بعد ذلك الإنسان، وأعطاه قوّة يكون بها مستعداً للتصرّف بجميع هذه القوى، وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود، الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حدّ له، والتصرّف الذي لم يُعط لغيره، خليفة الله في أرضه؛ لأنّه أكمل الموجودات في الأرض، واستثنى من هذه القوى قوّة واحدة، عبّر عنها بإبليس، وهي القوّة التي لزاها الله بهذا العالم لزا، وهي التي تميل بالمستعدّ للكمال، أو بالكامل إلى النقص، وتعارض مدّ الوجود لتردّه إلى العدم، أو تقطع سبيل البقاء، وتعود بالموجود إلى الفناء، أو التي تعارض في اتّباع الحقّ، وتصدّ عن عمل الخير، وتنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع والمصالح التي تتمّ بها خلافته، فيصل إلى مراتب الكمال الوجوديّ التي خلق مستعداً للوصول إليها، تلك القوّة التي ضلّت آثارها قوماً فزعموا أنّ في العالم إلهاً يسمّى إله الشرّ، وما هي بإله، ولكتّها محنة إله لا يعلم أسرار حكمته إلا هو.

ولو أنّ نفساً مالت إلى قبول هذا التأويل، لم تجد في الدين ما يعنها من ذلك، والعمدة على اطمينان القلب وركون النفس إلى ما أبصرت من الحقّ».

ثمّ يعود في موضع آخر إلى تقرير التمثيل في القصة، فيقول: «و تقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا: إنّ إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه، لوجود نوع من المخلوقات يتصرّف فيها، فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض. وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض؛ لأنّه يعمل باختياره، ويُعطى استعداداً في العلم والعمل

لاحدّ لهما، هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك، و تمهيد لبيان أنّه لا ينافي خلافته في الأرض. و تعليم آدم الأسماء كلّها، بيان لاستعداد الإنسان لعلم كلّ شيء في هذه الأرض، و انتفاعه به في استعمالها. و عرض الأسماء على الملائكة و سؤالهم عنها و تنصّلهم في الجواب، تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كلّ روح من الأرواح المدبّرة للعوالم محدوداً لا يتعدّى وظيفته. و سجد الملائكة لآدم، عبارة عن تسخير هذه الأرواح و القوى له، ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك. و إياه إبليس و استكباره عن السجود، تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشرّ و إبطال داعية خواطر سوء التي هي مثار التنازع و التخاصم، و التعديّ و الإفساد في الأرض. و لولا ذلك لجا على الإنسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكة بل أعظم، أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري^١.

إنكاره على أهل الحديث في روايتهم للطائعات

ثم إنَّ الشيخ عبده كان ممن يرى تساهل أهل الحديث في رواياتهم الفتن و السمين، غير مباليين في متونها أ هي مخالفة لأصول العقيدة أم متنافية مع مباني الإسلام الركنية، الأمر الذي يؤخذ على أهل الحشو في الحديث في ذلك.

قال بشأن قصّة زكريّا و بشارة الملائكة له بيحيى، و طلبه من الله أن يجعل له آية:

«و من سخافات بعض المفسرين زعمهم أنّ زكريّا ﷺ اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم، بوحى الشياطين؛ و لذلك سأل سؤال التعجب، ثمّ طلب آيةً لتتبيّن. و روى ابن جرير عن السديّ و عكرمة: أنّ الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة، و قال له: إنّهُ من الشيطان، قال: «و لولا الجنون بالروايات مهما هزلت و سمجت، لما كان لؤمن أن يكتب مثل هذا الهزء و السخف، الذي ينبذه العقل، و ليس في الكتاب ما يشير إليه، و لو لم يكن لمن يروي مثل هذا إلا هذا الكفى في جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه.

فَعَفَى اللَّهُ عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ إِذْ جَعَلَ هَذِهِ الرَّوَايَةَ مِمَّا يَنْشُرُ^١.

وَقَالَ فِيمَا جَاءَ مِنَ الرَّوَايَاتِ فِي سِحْرِ الرَّسُولِ ﷺ:

«وَقَدْ رَوَوْهَا هُنَا أَحَادِيثٌ فِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَحَرَهُ لِيَدَّيْنِ أَعْصَمَ، وَأَثَرُ سَحَرِهِ فِيهِ، حَتَّى كَانَ يَخْتَلُّ لَهُ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَهُوَ لَا يَفْعَلُهُ، أَوْ يَأْتِي شَيْئًا وَهُوَ لَا يَأْتِيهِ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنْبَأَهُ بِذَلِكَ وَأَخْرَجَتْ مَوَادَّ السِّحْرِ مِنْ بَثْرِ، وَعُوفِي ﷺ مِمَّا كَانَ نَزَلَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ (سُورَةُ الْفُلُقِ)^٢».

قَالَ: «وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَأْتِيرَ السِّحْرِ فِي نَفْسِهِ ﷺ حَتَّى يَصِلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ يَفْعَلُ شَيْئًا وَهُوَ لَا يَفْعَلُهُ، لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ تَأْتِيرِ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ، وَلَا مِنْ قَبِيلِ عَرُوضِ السُّهُوِ وَالنِّسْيَانِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ الْعَادِيَةِ، بَلْ هُوَ مَأْسُ بِالْعَقْلِ، أَخْذٌ بِالرُّوحِ، وَهُوَ مِمَّا يَصْدَقُ قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ فِيهِ: «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا»^٣. وَلَيْسَ الْمَسْحُورُ عِنْدَهُمْ إِلَّا مَنْ خَوَّلَطَ فِي عَقْلِهِ، وَخَيَّلَ لَهُ أَنَّ شَيْئًا يَقَعُ وَهُوَ لَا يَقَعُ، فَيَخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يُوْحَى إِلَيْهِ، وَلَا يُوْحَى إِلَيْهِ. وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَقَلِّدِينَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ مَا هِيَ النَّبُوءَةُ وَلَا مَا يَجِبُ لَهَا: أَنَّ الْخَبَرَ بِتَأْتِيرِ السِّحْرِ فِي النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ قَدْ صَحَّ، فَيَلْزِمُ الْإِعْتِقَادَ بِهِ، وَعَدَمَ التَّصَدِيقَ بِهِ مِنْ بَدْعِ الْمُبْتَدِعِينَ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبَ مِنْ إِنْكَارِ السِّحْرِ، وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ بِصَحَّةِ السِّحْرِ. أَنْظَرَ كَيْفَ يَنْقَلِبُ الَّذِينَ الصَّحِيحُ، وَالْحَقُّ الصَّرِيحُ، فِي نَظَرِ الْمُتَقَلِّدِ بَدْعَةَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ، يَحْتَجُّ بِالْقُرْآنِ عَلَى ثُبُوتِ السِّحْرِ، وَيَعْرُضُ عَنِ الْقُرْآنِ فِي نَفْيِهِ السِّحْرَ عَنْهُ ﷺ وَعَدَّهُ مِنْ افْتِرَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ، وَيُؤَوِّلُ فِي هَذِهِ وَلَا يُؤَوِّلُ فِي تِلْكَ، مَعَ أَنَّ الَّذِي قَصَدَهُ الْمُشْرِكُونَ ظَاهِرًا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَلْبِسُهُ ﷺ وَمَلَابِسَةُ الشَّيْطَانِ تَعْرِفُ بِالسِّحْرِ عِنْدَهُمْ، وَضَرْبٌ مِنْ ضَرْبِهِ وَهُوَ بَعِينُهُ أَثَرُ السِّحْرِ الَّذِي نَسَبَ إِلَى لَبِيدٍ، فَإِنَّهُ خَوَّلَطَ فِي عَقْلِهِ وَإِدْرَاكِهِ، فَبِي زَعْمِهِمْ. وَالَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ، أَنَّ الْقُرْآنَ مُقَطَّوعٌ بِهِ، وَأَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ بِالتَّوَاتُرِ عَنِ

١. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩.

٢. راجع: الفلز المتورد، ج ٦، ص ٤١٧ ورواه البخاري ومسلم وابن ماجه (روح المعاني، ج ٣٠، ص ٢٨٢-٢٨٣).

٣. الفرقان (٢٥): ٨.

المعصوم عليه السلام فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبتته، و عدم الاعتقاد بما ينفيه، و قد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، و وبخهم على زعمهم هذا، فإذا هو ليس بمسحور قطعاً. و أما الحديث فملى فرض صحته هو آحاد، و الآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، و عصمة النبي صلى الله عليه وآله من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، و لا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن و المظنون، على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صحَّ عنده. أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة.

و على أي حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث، و لا نحكمه في عقيدتنا، و نأخذ بنص الكتاب و بدليل العقل، فإنه إذا خولط النبي في عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً و هو لم يبلغه، أو أن شيئاً نزل عليه و هو لم ينزل عليه، و الأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان^١.

قال الذهبي ناقماً على هذه الطريقة التي هي طريقة أهل الاعتزال:

«و هذا الحديث الذي يردّه الأستاذ الإمام، رواه البخاري و غيره^٢ من أصحاب الكتب الصحيحة، و ليس من وراء صحته ما يخلّ بمقام النبوة.» (و علّل عدم الإخلال بأنه من قبيل المرض، و قد عرفت ردّ الإمام عليه بأحسن رد) و أضاف قائلاً:

«ثم إن الحديث رواية البخاري و غيره من كتب الصحيح، و لكن الأستاذ الإمام، و من على طريقته، لا يفرّقون بين رواية البخاري و غيره، فلا مانع عندهم من عدم صحّة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صحّ في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد، لا يثبت به إلا الظن، و هذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنّة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبيّن من المبيّن، و قد قالوا: إن البيان يلتحق بالمبيّن، قال: «و ليس هذا الحديث وحده الذي يضغفه الشيخ، أو يتخلّص منه بأنه رواية آحاد، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها

١. ذكر ذلك في تفسيره لجزء عمّ ص ١٨٥-١٨٦. و تعرّض له في الصاخر ج ٣، ص ٢٩١.

٢. جامع البخاري، ج ٧، ص ١١٧٨ صحح مسلم، ج ٧، ص ١١٤ فتح الباري، ج ١٠، ص ١٩٣.

هذا الحكم القاسي، فمن ذلك أيضاً حديث الشيخين «كلّ بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمّه إلّا مريم وابنها» فإنّه قال فيه: «إذا صحّ الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة»^١.

«فهو لا يثق بصحّة الحديث رغم رواية الشيخين له، ثمّ يتخلّص من إرادة الحقيقة على فرض الصحّة، بجعل الحديث من باب التمثيل، وهو ركوز إلى مذهب المعتزلة، الذين يرون أنّ الشيطان لا تسلّط له على الإنسان إلّا بالسوسة والإغواء فقط»^٢. قلت: الحقّ أحرّق أن يتّبع، حتّى ولو كان القائل به أصحاب الاعتزال؛ إذ الحقّ ضالّة المؤمن، أخذها حيث وجدها. فإن كان مذهب أهل الجمود يقتضي بالأخذ بالظواهر الظنيّة، حتّى في باب العقائد، التي تستدعي اليقين فيها، فإنّ مذهب أهل النظر والاجتهاد، يرى وجوب التدبّر في آياته تعالى والتعمّق فيها؛ ذلك أنّه دستور القرآن الكريم، والذي هدى إليه العقل الرشيد.

نعم، لا تقاس عقلية مثل شيخنا الإمام الكبير، مع ذهنيّة أمثال الذهبيّ الهزيلة التي اقتنعت بتقاليد أشعرية سلفيّة، رغم منافاتها لأصول الشرع ومحكمات القرآن الكريم. أولاً: لا سلطان لإبليس على أحد، سوى وسوسته وإغوائه، قال تعالى فيما يحكيه عن إبليس لما قضى الأمر: ﴿وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَا تَلُمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^٣.

ثانياً: ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين: «إِنَّ عِبَادِي لِمَنْ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ»^٤ فلم يكن لإبليس على عباد الله المخلصين حتّى سلطان الوسوسة والإغواء، فكيف بالاستحواذ على عقليّتهم الكريمة^٥.

٢. قصصهم و المفسرون ج ٢، ص ٥٧٥.

١. راجع: فتاوى ج ٢، ص ٢٩٠.

٣. راجع: فتاوى ج ٧، ص ٥١٢-٥١٣، إبراهيم (١٤): ٢٢.

٤. الحجر (١٥): ٤٢.

٥. وقد أنكر الشيخ الإمام إمكان استحواذ الشيطان على عباد الله المخلصين. راجع: فتاوى ج ٣، ص ٢٩١.

قالوا: أتى للبيد أن يستحوذ على عقلية مثل الرسول الكريم ﷺ وهو مثال العقل الأول في عالم الإمكان.

إذن فلا يصح ما ورد في ذلك من تأثير السحر على عقله ﷺ ولم يثبت شيء من ذلك من طرق أهل البيت عليهم السلام. أما الوارد في جامع البخاري (ج ٧، ص ١٧٨) وفتح الباري (ج ١٠، ص ١٩٣) وصحيح مسلم (ج ٧، ص ١٤) فمرود على قائله، وهو من المفتلات^١.

رأي صاحب المنار في الجن

يرى السيد رشيد رضا ما يراه شيخه وأستاذه في الجن، وأنه لا يُرى، وكل من ادعى رؤية الجن فهو مخطئ في إدراكه، ولم يصح في ذلك حديث. ويرجع أن من ادعى رؤية الجن فذلك وهم منه وتخيل، ولا حقيقة له في الخارج، أو لعله رأى حيواناً غريباً كبعض القردة، فظنّه أحد أفراد الجن، يقول هذا ثم يعرض في الهامش لذكر حديث أبي هريرة فيمن كان يسرق تمر الصدقة، وإخبار النبي ﷺ له بأنه شيطان - وهو في البخاري - ولغيره من الأحاديث التي تدلّ على أن الإنسان يرى الجنّي ويصره، ثم يقول بعد أن يفرغ من سرده للروايات: والصواب أنه ليس في هذه الروايات كلّها حديث صحيح^٢.

بل ونجده يزيد على ذلك فيجوز أن تكون ميكروبات الأمراض نوعاً من الجن، وذلك حيث يقول عند ما تعرض لتفسير قوله تعالى في الآية (٢٧٥) من سورة البقرة: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتَوَمَّنُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»؛ «والمستكلمون يقولون: إن الجن أجسام حية خفية لا تُرى. وقد قلنا في المنار غير مرّة: إنه يصح أن يقال: إن الأجسام الحية الخفية التي عُرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالمكروبات، يصح أن تكون نوعاً من الجن، وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض^٣.

١. تكلمنا عن ذلك في شهيد (ج ١، ص ١٦٣-١٦٩) عند الكلام عن سورتي المزمزتين.

٢. المنار، ج ٧، ص ٥١٦ (التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٨٤).

٣. المنار، ج ٣، ص ٩٦.

تفسير القاسمي (محاسن التأويل)

لجمال الدين أبي الفرج محمد بن محمد المعروف بالقاسمي. توفي سنة (١٣٣٢ هـ). ولد في دمشق، وكان معروفاً في الفقه والتفسير والحديث، وكان من زعماء النهضة السياسية ضد الاستعمار في بلاد الشام. كان قد تلمذ على يد الأستاذ الشيخ محمد عبده، فأخذ عنه العلم والسياسة وعلم الاجتماع، وأفرغه في تفسيره هذا الممتع. التزم فيه المؤلف بمتابعة آراء السلف والاهتمام بنظراتهم في الفقه والتفسير، مراعيًا ما توصل إليه العلم، في شيء من الحذر، ومن ثم فهو من خير التفاسير المعاصرة، الجامعة بين آراء السلف ونظرات الخلف، مراعيًا جوانب الاحتياط؛ وبذلك قد جمع بين المأثور والمعقول، في سبك رائع وجزالة في الألفاظ ودقة في الآراء. وقد تكلم بلغة أهل عصره في براعة فائقة، ومن ثم طار صيته وأصبح من التفاسير المشار إليها بالبنان.

ومن ميزات هذا التفسير، اهتمامه البالغ بجانب الإشارات العلمية التي جاءت في القرآن، إنه يعتقد اشتغال القرآن على أسرار من علوم الكون، ومن ثم افتتح فصلاً في مقدمة تفسيره اختصاصاً بالكلام عن المسائل الفلكية الواردة في القرآن، ويتعرض للقضايا الكونية في الخلق والتدبير، وفي النهاية يقول: «من عجيب أمر هذا القرآن أن يذكر أمثال هذه الدقائق العلمية العالية، التي كانت جميع الأمم تجهلها، بطريقة لا تقف عثرة في سبيل إيمان أحد به، في أي زمن كان، مهما كانت معلوماته، فالتناس قديماً فهما أمثال هذه الآيات بما يوافق علومهم، حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء، علمنا أنهم كانوا واهمين، وفهمنا معناها الصحيح. فكأن هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين، تظهر لهم كلما تقدمت علومهم... وهو معجزات للمتأخرين يشاهدونها، وتتجلى لهم كلما تقدموا في العلم الصحيح»^١. فرغ من تأليف التفسير سنة (١٣٢٩ هـ).

تفسير المراغي

هو الشيخ أحمد مصطفى المراغي، شقيق الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر في وقته، وتلميذ الإمام الشيخ محمد عبده صاحب تفسير المنار، والذي وضع تفسيره هذا مشاكلاً له، ومستفاداً من بحوث شيخه الأستاذ. توفي سنة (١٣٧١ هـ).

و تفسيره هذا من أشمل التفاسير لحاجة العصر في أسلوبه وفي طريق سرد المطالب ونضد المقاصد، متجنباً القصص الإسرائيلية المدسوسة والخرافات الدخيلة. ولا يفتل في أي مناسبة اللجوء إلى علوم الطبيعة فيما يمس فهم كتاب الله العزيز، ومن ثم فهو تفسير جيد مفيد في ذاته.

قال الذهبي: «لم نعرف من رجال هذه المدرسة - مدرسة الشيخ محمد عبده - رجلاً تأثر بروح الأستاذ الإمام، ونهج على طريقته من التجديد وإطراح التقليد، والعمل على تنقية الإسلام من الشوائب التي ألصقت به، وتبنيه الغافلين عن هديه وإرشاده، مثل الأستاذ المراغي. تربى هذا الرجل في مدرسة الأستاذ الإمام، وتخرج منها وهو يحمل بين جنبيه قلباً مليئاً بالرغبة في الإصلاح، والثورة على كل ما يقف في سبيل الإسلام والمسلمين»^١.

وقد نهج في تفسيره منهج شيخه، نراه لا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل، ولا يدخل في جزئيات سكت عنها القرآن وأعرض عنها الرسول ﷺ فلا روايات الموضوعية أو الضعيفة بكافية عنده حتى يزج بها في تفسيره، ولا الأخبار الإسرائيلية بمقبولة لديه، حتى يجعل منها شروحات لما أجمله القرآن وسكت عن تفصيله.

ومما يمتاز به هذا التفسير، عنايته بإظهار أسرار التشريع، فنراه يهتم اهتماماً كبيراً بإظهار سر التشريع الإسلامي، وحكمة التكليف الإلهي، ليظهر محاسن الإسلام، ويكشف عن هدايته للناس.

كما نجده يعرض لمشاكل المجتمع وأسباب الانحطاط في دول الإسلام، فيعالج كل ذلك بما يفيضه الله عليه من بيان هداية القرآن وإرشاده. فقد كان بصيراً بمواطن الداء وأسباب الشفاء، فكان يهدف في دروسه إلى علاجها واستئصالها، وكان كثيراً ما يوجه الخطاب إلى أرباب الحلّ والعقد في الدولة.

وهكذا وفق في التوفيق بين القرآن والعلم الحديث، رغم اعتقاده أنّ القرآن قد أتى بأصول عامّة لكلّ ما يهمّ الإنسان معرفته والعلم به، وكراهته أن يسلك المفسّر للقرآن مسلك من يجزّ الآيّة القرآنيّة إلى العلوم، أو العلوم إلى الآيّة، كي يفسرها تفسيراً علمياً يتفق مع نظريّات العلم الحديث، ولكن مع ذلك كان يرى أن يكون المفسّر على شيء من العلم ببعض نظريّات العلم الحديث، ليستطيع أن يأخذ منها دليلاً على قدرة الله، ويستلهم منها مكان العبرة والعظة.

في ظلال القرآن

لسيد بن قطب بن إبراهيم الشاذليّ، المستشهد سنة (١٣٨٦ هـ) على يد طغاة مصر الحاكمة حينذاك. نشأ المؤلّف في بيئة إسلاميّة عريقة، وكان والده من المؤمنين المتعمّدين، ولد سنة (١٣٢٦ هـ) في قرية موشا من محافظة أسيوط، ثمّ ارتحل إلى القاهرة وكانت دراساته العليا هناك. كان كاتباً إسلامياً مجيداً، له في الإسلاميات كتب ورسائل مفيدة، تهدف إلى الحركة الإسلاميّة المتناسبة مع النهضة العلميّة الحديثة، فكان تفسيره هذا من خير التفاسير الأدبيّة الاجتماعيّة الهادفة إلى إحياء الحركة الإسلاميّة العتيّدة. فمن أهدافه إزاحة الفجوة العميقة بين مسلمي العصر الحاضر والقرآن الكريم، وتعريف المسلمين إلى المهمّة العلميّة السياسيّة التي قام بها القرآن، وبيان الحميّة الجهاديّة التي يهدفها القرآن الكريم. إلى جنب تربية الجيل المسلم تربية قرآنيّة إسلاميّة كاملة، وبيان معالم هذا الطريق الذي يجب على المسلمين سلوكه.

وكان منهجه في التفسير: أولاً، عرض آيات مترابطة بعضها مع البعض، في مجموعة

منسجمة، و بيان الهدف الكلّي للسورة، ثمّ للآيات المعروضة. و تقسيم السور إلى دراسات، تقسيماً موضوعياً، لتعتبر كلّ مجموعة من الآيات ذات وحدة موضوعية، و ذات هدف معيّن خاصّ.

ثمّ يحاول تفسير الآيات - في ذوق أدبيّ خالص - ببيان الأهداف الكلّية التي ترمي إليها الآيات، من غير تعرّض للجزئيات، كما يجتنب من ذكر الإسرائيليات، و الروايات الموضوعية أو الضعيفة، كما يجتنب الخوض في مسائل الخلاف، و هكذا يتجنّب التعرّض للعلوم القديمة و الحديثة التي لا علاقة لها بفهم معاني الآيات الكريمة، و يعتبر التعرّض لها جفافة بالقرآن؛ لأنّه في غنى عنها، يقول هو في ذلك:

«و أنّي لأعجب لسذاجة المتحمّسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، و أن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، و أن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطبّ و الكيمياء و الفلك و ما إليها، كأنّما يعظّموه بهذا و يكبروه. إنّ القرآن كتاب كامل في موضوعه، و موضوعه أضخم من تلك العلوم كلّها؛ لأنّه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات و ينتفع بها، و البحث و التجريب و التطبيق من خواصّ العقل في الإنسان، و القرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته و ضميره و عقله و تفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنسانيّ الذي يسمح لهذا الإنسان بأنّه يُحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه»^١.

التحرير و التنوير

للشيخ محمّد الطاهر بن عاشور رئيس مجلس الإفتاء على المذهب المالكيّ بديار تونس (١٢٩٦-١٣٩٣ هـ) تولّى القضاء أكثر من عشر سنين ثمّ تولّى الإفتاء كما تولّى شيخه جامع الزيتونة. كان فقيهاً أديباً لغويّاً و مفسراً مضطلعاً. كان من دعاة الإصلاح الدينيّ و له محاضرات و دراسات و مقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلّات بتونس

ومصر.

و تفسيره هذا من أفخم التفاسير التي كتبت على المنهج العصريّ الحديث تعرّضاً لمباحث اجتماعيّة - إصلاحية مائة بحاجات العصر، فهماً و عرضاً على كتاب الله، في تدبّر عميق و دراسة شاملة. و قد كان التفسير معروفاً بتحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد. و قد استخدم العقل و الذوق في فهم كتاب الله، إلى جنب النقل و رواية الحديث. اهتمّ المفسر ببيان وجوه الإعجاز و نكت البلاغة و أساليب الكلام، و تعرّض لبيان التناسب بين الآي اثباعاً لمنهج البقاعيّ في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، و في ذلك الكثير من التعسف و لا سيّما في جانب تناسب السور بعضها مع البعض و قد تورّط فيه كثير من المفسرين بلا موجب. كما عني مفسرنا بجانب أهداف السور و بيان أغراضها في تكلف ظاهر.. و له في الإسرائيليات مواقف زهية، لولا أنّه ينحى منحى الأشاعرة في المسائل الكلامية، جموداً على ظاهر التعبير و يتحاشا التأويل زاعماً أنّه منهج اعتزاليّ.. غير أنّه يأخذ بتأويل كلام أصحابه بعض الشيء.. ففي مسألة الرؤية يقول: «و الخلاف في رؤية الله في الآخرة شائع بين طوائف المتكلمين، فأثبتته جمهور أهل السنة لظواهر الأدلّة من الكتاب و السنة، لكنّها رؤية تخالف الرؤية المتعارفة.. و تعرّض للكلام المعتزلة في الامتناع.. ثمّ قال: و قد تكلم أصحابنا بأدلّة الجواز و بأدلّة الوقوع، و هذا ممّا يجب الإيمان به مجملاً على التحقيق»^١.

الميزان في تفسير القرآن

تأليف العلامة الحكيم السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ، من رجالات الفكر الإسلاميّ القلائل الذين انتجتهم الحياة العلميّة الإسلاميّة في العصر الأخير. ولد بتهريز سنة (١٣٢١ هـ) و توفيّ بقم سنة (١٤٠٢ هـ).

و هو تفسير جامع حافل بمباحث نظريّة تحليليّة ذات صبغة فلسفيّة في الأغلب، جمع

١. تصحيح و تنوير، ج ١٧، ص ٤١٥، ذيل الآية ١٠٣ من سررة الأنعام ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

فيه المؤلف إلى جانب الأتماط التفسيرية السائدة، أمراً مما أثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدّى لما يشهده أعداء الإسلام من شبهات، وما يضلّون به من تشويه للمفاهيم الإسلامية، بروح اجتماعية واعية، على أساس من القرآن الكريم، وفهم عميق لنصوصه الحكيمية.

ولهذا التفسير القيم مزايا جمّة نشير إلى أهمّها:

١. جمع بين نمطي التفسير: الموضوعي والترتيبي، فقد فسّر القرآن آية فآية وسورة فسورة. لكنّه إلى جنب ذلك، نراه يجمع الآيات المتناسبة بعضها مع البعض، لبحث عن الموضوع الجامع بينها، كلّما مرّ بآية ذات هدف موضوعي، وكانت لها نظائر منبئة في سائر القرآن.

٢. عنايته التامة بجانب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن، كلّ سورة هي ذات هدف أو أهداف معيَّنة، هي تشكّل بنيان السورة بالذات، فلا تتمّ السورة إلّا عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته السورة، وبذلك نجد السور تتفاوت في عدد آياتها. يقول هو في ذلك: «إنّ لكلّ طائفة من هذه الطوائف من كلامه تعالى التي فصلها قطعاً قطعاً وسمّى كلّ قطعة سورة نوعاً من وحدة التأليف والالتزام، لا يوجد بين أبعاض من سورة، ولا بين سورة وسورة، ومن هنا تعلم أنّ الأغراض والمقاصد المحصّلة من السور مختلفة، وأنّ كلّ واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاصّ وفرض محصل، لا تتمّ السورة إلّا بتمامه»^١.

٣. نظرية «الوحدة الكلّية» الحاكمة على القرآن كلّّه، باشماله على روح كليّة سارية في جميع آياته وسوره، وتلك الروح هي التي تشكّل حقيقة القرآن الأصلية السائدة على أبعاضه وأجزائه. يرى المؤلف: أنّ وراء هذا الظاهر من ألفاظ وكلمات وحروف روحاً كليّة، كانت هي جوهر القرآن الأصيل، وكانت بمثابة الروح في الجسد من الإنسان. قال في ذلك: «فالمحصّل من الآيات الشريفة أنّ وراء ما نقرأه ونعقله من القرآن، أمراً

هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد، والمتكلم من المثال، وهو الذي يستيه تعالى بالكتاب الحكيم، وهو الذي تعتمد عليه معارف القرآن، وليس من سنخ الألفاظ ولا المعاني^١.

وبذلك وبالذي قبله، تتشكّل وحدة السياق في القرآن، كما لا يخفى.

٤. الاستعانة بمنهج «تفسير القرآن بالقرآن». فقد حقق المؤلف هذا الأمر وأوجده ببيان؛ إذ تراه يعتمد في تفسيره على القرآن ذاته، فيرى أن غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن، بعد أن كان هو تبياناً لكل شيء، فيما تُرى كيف يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه؟! و

لكنّ التزام تفسير القرآن بنفسه، يتطلب جهداً بالغاً وإحاطة تامة، وقد لمسناه في مفسرنا العلامة، ووجدناه على قدرة فائقة في ذلك.

يقول هو في ذلك: «الطريقة المرضية في التفسير هي أن نفسر القرآن بالقرآن، ونشخص المصاديق وتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَرَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^٢ و حاشا القرآن أن يكون تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه^٣.

الفرقان في تفسير القرآن

تأليف الشيخ محمد الصادق الطهراني، وقد تمّ تأليفه خلال السنوات (١٣٩٧-١٤٠٧ هـ)، وكان بصورة محاضرات يلقيها على طلبة العلوم الدينية في الحوزتين النجف وقم. وهو تفسير جامع شامل، اتخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن حسب الإمكان، وهو تحليلي تربوي اجتماعي، مع الاستناد إلى أحاديث يراها صحيحة وأخرى ملائمة مع ظواهر القرآن، ولذا احترز عن الإسرائيليات بشكل قاطع، وكذا عن

الأحاديث الموضوعية والضعيفة. وبما أن المؤلف يُعدّ من الفقهاء، فإنّ في تفسيره الشيء الكثير من التعرّض لمسائل الفقه والأحكام بصورة مبسّطة، وهكذا تجده يفضّل في المسائل الكلامية الاعتقادية في نزاهة، كما ويجتنب تحميل القرآن بنظرات العلم الحديث، ويرى أنّ القرآن في غنى عن ذلك، اللهمّ إلاّ إذا رُفِعَ بذلك إبهام في إشارات عابرة جاءت في القرآن، على شرط أن تكون النظرية ثابتة؛ ولذلك نراه يحمل على الشيخ طنطاوي في ولعه بحمل النظريات العلمية على القرآن. وفي ذلك يقول: «ومن ذلك كثير عند المتفرنجين من المفسّرين الذين غرقوا في العلوم والنظريات الجديدة، ونسوا أنّ القرآن هو علم الله، فلن يتبدّل، والعلم دوماً في تبدّلٍ وتحوّلٍ من خطأ إلى صوابٍ ومن صوابٍ إلى أصوب»^١.

من هدى القرآن

تفسير ترويحي تحليلي شامل، يبحث فيه المؤلف هو السيّد محمد تقّي المدرسي عن الربط الموضوعي بين الواقع المعاش، وبين الحقائق الراهنة والدلائل البيّنة التي أبانها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً، كمنهج ترويحي وأخلاقي، يستهدف وضع الحلول الناجعة لكلّ مشكلات العصور المختلفة حتّى قيام الساعة. قال المؤلف: «واعتمدت فيه على منهج التدبّر المباشر، انطلاقاً ممّا بيّنته في التمهيد، أي منهج الاستلهام مباشرة من الآيات، والعودة إلى القرآن ذاته، كلّما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذي علّمنا إيّاه الرسول الكريم وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) حيث أمرونا بتفسير القرآن بعبه»^٢ فكان تفسيراً تحليلياً ترويحياً، لم توجد فيه المغمعات الجدلية، ولا الخرافات الإسرائيلية، معتمداً شرح الآيات وذكر مقاصدها العالية وأهدافها السامية، ومعالجة أدواء المجتمع معالجة ناجعة موفّقة.

تمّ تأليف الكتاب سنة (١٤٠٥ هـ)، في (١٨) مجلداً، وطبع سنة (١٤٠٦) بطهران.

٢. من هدى القرآن، ج ١، ص ٥.

١. القرآن في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣١.

من وحي القرآن

تفسير تربويٍّ اجتماعيٍّ شامل، و يعدّ من أروع التفاسير الجامعة، النابعة من روح حركية نابضة بالحياة الإسلامية العريقة. انطلق فيه المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله، من ألمع علماء الإسلام في القطر اللبناني يعمل في إحياء الجوِّ القرآنيِّ في كلِّ مجالات الحياة المادية والمعنوية، نظير ما صنعه سيّد قطب في تفسيره في ظلال، مضيفاً عليه تعاليم صادرة عن أهل البيت في تربية الجيل المسلم، و متناسباً مع كلِّ دور من أدوار الزمان.

وقد بدأ المؤلف بمقدّمة في بيان هدفه من التفسير و الخطوات الأساسية التي مشى عليها، قال: «هل هذا كتاب تفسير، و هل نحن بحاجة إلى تفسير جديد أمام هذا الحشد من التفاسير، التي لم تترك جانباً من جوانب المعرفة القرآنية، إلا و أفاضت في تحليله و توسيعه و تعميقه، من الجوانب اللغوية، إلى الجوانب البلاغية و الفلسفية، و النفسية و الاجتماعية... و ما تزال المحاولات مستمرة في استحداث آفاق جديدة لتفاسير جديدة؟ و الجواب: إنّنا لم نكتب هذه الأبحاث في البداية كمحاولة تفسيرية جديدة، بل كانت دروساً قرآنية تُلقى على مجموعة من الطلاب المؤمنين المثقفين، من أجل خلق وعي قرآنيٍّ يركّز الوعي الإسلاميّ على قواعد ثابتة. انطلقت هذه الدروس في خطِّ عمليٍّ متحرّك يركّز على استيحاء أجواء القرآن، من أجل أن نعيش تلك الأجواء في حياتنا الإسلامية الصاعدة؛ لأنّ القرآن ليس كلمات لغوية تتجمّد في معناها اللغوي، بل هي كلمات تتحرّك في أجواء روحية و عملية...»^١.

و من ثمّ يغلب على التفسير الطابع التربويّ بما لكلمة التربية من معنى اصطلاحيّ، يتجسّد في الارتقاء بالإنسان في كلِّ مجالاته المختلفة، و يسعى إلى إحداث عملية التكيف و التفاعل بين الكائن الآدمي و بيئته الطبيعية و الاجتماعية، لتحقيق خلافة الله

في الأرض^١.

وهكذا يمتاز هذا التفسير بأسلوبه الأدبي الرائع، مع المزج بينه وبين الأسلوب العلمي المتأدب النزيه، مما يجعل الكتاب رائعاً يجذب القارئ إليه جذباً، و يجعله يتفاعل معه مفرماً به.

وقد تمّ تأليف هذا التفسير القيم عام (١٣٩٩ هـ)، وطبع عدّة طبعات، ولا تزال تعاد طبعاته، حسب رغبة الجيل المثقف من الأمة في اقتنائه والاستضافة بأنواره، لا زال المؤلف مؤيداً مسدداً.

تفسير نمونه (الأمثل)

هو أوّل تفسير نموذجيّ ظهر إلى الوجود، وكان قد تعاون عليه جمع من فضلاء الحوزة العلمية بقم المقدّسة؛ وذلك خلال مدّة (١٤) سنة (١٣٩٦-١٤١٠ هـ). ولهذا كان التفسير عملاً جماعياً، قد بذلت في تدوينه جهود، ولكن تحت إشراف العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، أحد أعلام العصر، ومن المجاهدين في سبيل الدعوة الإسلاميّة، صاحب تأليف إسلاميّة عريقة، وصاحب نظر ورأي واجتهاد.

وهذا التفسير إنّما دوّن وكتب ليكون غذاءً نافعاً للجيل المعاصر؛ ولذلك جاء بالأهمّ من المواضيع الإسلاميّة، التربويّة والأخلاقيّة، ومتناسباً مع المستوى العامّ، فكانت خدمة جلييلة أسداها الشيخ مكارم وأعوانه، وقدموها للجيل المتعطّش إلى فهم معاني القرآن بشكل واسع، والاستقاء من مناهله العذبة. جاء في المقدمة: «لكلّ عصر خصائصه وضروراته ومتطلّباته، وهي تنطلق من الأوضاع الاجتماعيّة والفكريّة السائدة في ذلك العصر، ولكلّ عصر مشاكله وملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات والثقافات، وهو تغيير لا ينفكّ عن مسيرة المجتمع التاريخيّة، والمفكرّ الفاعل في الحياة الاجتماعيّة، هو ذلك الذي فهم الضرورات والمتطلّبات، وأدرك المشاكل والملابسات. وقد واجهنا دوماً

أسئلة وردت إلينا من مختلف الفئات، وخاصة الشباب المتمطش إلى نبع القرآن عن التفسير الأفضل، كانت هذه الأسئلة تنطوي ضمناً على بحث عن تفسير يبيّن عظمة القرآن عن تحقيق لا عن تقليد، ويجيب على ما في الساحة من احتياجات وتطلّعات وآلام وآمال. تفسير يُجدي كلّ الفئات، ويخلو عن المصطلحات العلميّة المعقّدة، ونحن نفتقر إلى تفسير مثل هذا. فالسلف والمعاصرون كتبوا في ذلك كثيراً، ولكنّها بأساليب خاصّة بالعلماء والأدباء، وعلى مستويات رفيعة^١. فمن هنا لم يجدوا بدءاً من الإقدام على مثل هذا التفسير بهذا الشكل الصالح للفهم العامّ، الأمر الذي يجعل من هذا التفسير على أهميّة كبرى في سبيل التثقيف العامّ، خدمة جليّة مشكورة.

وهذا التفسير قد كتب بالفارسيّة في (٢٧) مجلّداً، وترجم إلى العربيّة باسم الأمل في (٢٠) مجلّداً. وطبع عدّة مرات.

كما أنّه لُخّص في ثلاث مجلّدات باسم برگزیده تفسیر نمونه إعداداً للتدرّيس في الحوزة بتحقيق وتنظيم أحمد عليّ بابايي. فكان موضع حفاوة الطلبة والمدّرّسين.

الكاشف

للكاتب العلامة الشيخ محمّد جواد مغنّية، من كبار علماء لبنان (١٣٢٢-١٤٠٠ هـ). المتخرّجين من حوزة النجف الأشرف. عُيّن قاضياً شرعياً في بيروت، ثمّ مستشاراً للمحكمة العليا، فريساً لها بالوكالة. وعُرّضت عليه الرئاسة، لكنّه رفض وانعزل، وانصرف إلى التأليف، فأخرج العديد من المؤلفات ذوات الاعتبار، منها هذا التفسير القيم، أخرجته في سبع مجلّدات، وطبع عدّة طبعات.

وكان الشيخ مغنّية من الدعاة إلى التقريب بين المذاهب، وكتب رسالات ومقالات في مجلّة رسالة الإسلام بهذا الشأن، وأحسن وأفاد.

ويعدّ تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلائم وحاجة المسلمين في هذا العصر.

ولقد أجاد في هذا المضمار، وأوجز الكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلبات الزمن، في عبارات شائعة رصينة، ودلائل متينة معقولة، من غير أن يتغافل عما حققه المفسرون السلف وزاد عليه الخلف. فكان تفسيراً جامعاً وشاملاً ومجيباً على أسئلة الجيل الحديث، فجزاه الله خير الجزاء.

التفسير المبين

هناك لخص الأستاذ مغنية تفسيره الكاشف في مجلد واحد، في عبارة سهلة مرنة وفي إيجاز وإفاء. وقد احتفل به الطلبة ورواد العلم في مختلف البلاد. وطبع على هامش المصحف الشريف تقريباً للتناول. وقد كان عملاً جميلاً كأصله الجميل..



و هناك تفسير آخر بنفس الاسم كاشف تفسير فارسي، تعاون على تأليفه، كل من الأستاذ السيد محمد باقر حجتي، والأستاذ عبد الكريم الشيرازي، من أساتذة جامعة طهران. يقع في ١٢ مجلداً، وطبع منذ عام (١٤٠٤ هـ). عدة طبعات. ويُعدّ تفسيراً جديداً في بيان الشكل الموزون لسور القرآن ونظمها، ومناسبات الآيات والسور وتبينها وتفسيرها، مع الاهتمام بالبيان اللغوي، وترجمة تفسيرية موجزة، وذكر الصور والأشكال والجداول الإحصائية والرسوم الجغرافية لتوضيح المعنى، مما تتطلبه حاجة الطلبة الجامعيين اليوم وقد حاولا جهدهما في عرض معلومات قرآنية هي بحاجة للجيل الجديد، مما لا يتاح غالباً للثور عليها في سائر التفاسير أو هي بعيدة عن تناول الشباب المثقف في العصر الحاضر. فقد كانا موقنين في هذا الهدف السامي، جزاهما الله خيراً.

مخزن العرفان

تفسير حافل جامع، هو من خير التفاسير التي أنتجها الجيل الجديد، في أسلوب رائع بديع، في خمسة عشر مجلداً، باللغة الفارسية السهلة السلسة، وضعتها مفخرة النساء

الإيرانيات، السيِّدة نصرت بنت السيِّد محمَّد عليّ أمين، من كبار علماء أصفهان. وقد تفرّدت أصفهان من بين البلاد الإسلاميَّة، بهذه السيِّدة الجليلة، التي انصرفت بمجهودها نحو العلوم الإسلاميَّة، حتَّى نالت درجة عالية من الاجتهاد في الفقهة وفي سائر العلوم الأدبيَّة والفلسفيَّة والعرفان، في أرقى درجات.

وهذه السيِّدة المعروفة بـ«بانو أمين» قد بذلت جُهداً البالغ في تربية النساء الفاضلات في شتّى مناحي إيران الإسلاميَّة. وقد ازدهر البلاد بكثرة من هذه النساء العالمات، ولا تزال تزدهر البلاد بالتوسُّع في سبيل تثقيف المرأة المسلمة ثقافة إسلاميَّة عريقة ورائقة؛ كلُّ ذلك بفضل جهود هذه السيِّدة الفاضلة الواعيَّة.

وتوفيت سنة (١٤٠٣ هـ) عن عُشرٍ ناهزٍ التسعين، فلقد عاشت سعيدة وماتت حميدة. فرحمة الله عليها وبارك في علمها باقياتٍ صالحاتٍ.

ولها في شتّى العلوم والمعارف الإسلاميَّة كتب ورسائل قيِّمة، لا تزال موضع انتفاع طُلاب العلم ورواد المعرفة.

والتفسير وضع على أسلوب تربويٍّ، يعمد إلى تزكية النفس، ثم إلى تهذيب الأخلاق، في شكل جيِّد بديع. ويُعدُّ من خير الآثار، فجزاها الله خير الجزاء الصالحات.



وهناك تفاسير أخر باللغتين الفارسيَّة والعربيَّة، دوَّنت أخيراً على أثر النهضة الدينيَّة والحركة الثقافيَّة، في ربوع إيران الإسلاميَّة. نطوي الكلام عن ذكرها، ونحيل الطالب إلى ما جمعه زميلنا الفاضل العلَّامة السيِّد محمَّد عليّ أيازي في موسوعته القيِّمة المفسِّرون حياتهم ومنهجهم. وهو كتاب حافل لأنواع التفاسير التي زخرت بها البلاد الإسلاميَّة ولا سيَّما في العصر الحاضر، جزاه الله خيراً.



التفسير الموضوعي

مصطلح حديث ظهر في العصر الأخير عند ما قرّرت هذه المادّة ضمن قسم التفسير بمعاهد الدراسات الإسلامية العليا.. غير أنّ لَبَنَات هذا اللون من التفسير وعناصره الأُولِيَّة كانت موجودة منذ عهد السلف وهكذا طول تاريخ التفسير. فقد كانت الالتفاتة إلى مواضيع جاءت في القرآن أو معروضة على القرآن، معهودة منذ الصدر الأوّل، بغية معرفة الدراسات القرآنيّة في مواضيعها المحوريّة، أو مسائل معروضة على القرآن لفضول الاستفتاء منه، في مشاكل عارضت حياة المسلمين.. عامّة أو خاصّة.. لِيُسْتَبَانَ وجه حلّها منه، لأنّ فيه دواء دائهم وشفاء أسقامهم.. الأمر الذي لمسه المسلمون منذ أوّل يومهم..

قال تعالى: ﴿وَرَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^١.

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^٢.

وقال: ﴿لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^٣.

والعمدة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبُشْرَىٰ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٤.

١. النحل (١٦): ٨٩.

٢. الكهف (١٨): ٥٤.

٣. الروم (٣٠): ٥٨.

٤. يونس (١٠): ٥٧.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَالْحَبْلُ الْمَتِينُ وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى؛ مِنْ اسْتِضَاءِ بِهِ نُورِهِ اللَّهُ، وَمِنْ عَقْدِ بِهِ أُمُورِهِ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَمِنْ تَمَسُّكِ بِهِ أُنْقَذَهُ اللَّهُ، وَمِنْ لَمْ يَفَارِقْ أَحْكَامَهُ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمِنْ اسْتَشْفَى بِهِ شَفَاءَ اللَّهِ...»^١.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بكتاب الله؛ فإنه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والريّ النافع، والعصمة للمستمسك، والنجاة للمتعلق... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم... فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاءً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به...»^٢.

وقال الإمام أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ وَشَفَاءُ الصُّدُورِ...»^٣.



ومذ لمس المسلمون شفاء أدوائهم من القرآن فزعوا إليه بين آونة وأخرى يستشفون به ويستمدون منه في علاج مشاكلهم في الحياة، فحيث عرضت عارضة كادت تمرقل عليهم المسير أو تكدر عليهم صفو المعين، عمدوا إلى القرآن واستجلوا منه وضع الطريق والمنهج القويم، فكان من ذا وذاك لمة من مسائل ودلائل قرآنية كانت مباحث ذوات محورية، كل مبحث يدور حول موضوع خاص، بحثاً وراء فهم أبعاده ومراميه من نص القرآن الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء.. الأمر الذي اصططح عليه المتأخرون بالتفسير الموضوعي، أي المقتصر على البحث والفحص عن النظرة القرآنية حول موضوع أو مواضيع خاصة.. في قبال التفسير العامّ الباحث عن مختلف أبعاد هذا النصّ، اللغوية والأدبية والفقه والكلام و سائر الأبعاد ممّا يتعلّق بنصّ القرآن الكريم تبعاً وفي شكل

١. جلاء الآفاد، ج ١٩، ص ٣١، عن تفسير الإمام، ص ٤٥٠.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٣ عن نهج البلاغة الخطبة رقم ١٧٦.

٣. المصدر نفسه، ص ٣٢، رقم ٣٥.

رتيب حسب ترتيب الآيات و السور.



و في ضوء هذا البيان نستطيع تحديد التفسير الموضوعي بأنه البحث وراء الحصول على نظريات قرآنية ذات محورية خاصة بمواضيع تمس جوانب الحياة الفكرية الثقافية والاجتماعية.. بحثاً من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بشأن تلك المواضيع.. فهي مسائل و دلائل ذات صبغة قرآنية بحتة.. و استنتاجات مستحصلة من ذات القرآن و من داخله بالذات..

و عليه فالبحث عن شؤون القرآن، هي مسائل و دلائل تدور حول القرآن، خارج من هذا التحديد.. كالبحث عن القراءات و عن أعراب القرآن، و البحث عن بلاغته و إعجاز بيانه، و عن الناسخ و المنسوخ في القرآن، و البحث عن متشابهات القرآن و عن الحروف المقطّعة و ما شاكل. ممّا اصطالحوا عليه باسم «علوم القرآن» أي العلوم الباحثة عن شؤون القرآن، و ليس بحثاً وراء الحصول على نظرة القرآن.. بل بحثاً وراء نظرات حول القرآن و عن شؤونه لا عن محتوياته و نظراته..

ألوان التفسير الموضوعي

و إذ كان هذا النوع من التفسير بحثاً وراء وحدات موضوعية هي ذوات محورية خاصة، كان البحث عنها جميعاً أو أشتاتاً، بحثاً حسب الحاجة إليها.. و من ثمّ اختلفت و تنوّعت ألوان هذا التفسير.. فمنها المقتصر على مسائل فقهية مستنبطة من القرآن، و منها المقتصر على مسائل الكلام أو الأخلاق أو السياسة و الاجتماع، و منها المستوعب لجلّ المسائل ذوات التعلّق بالحياة الحاضرة.. و نحو ذلك..

غير أنّ المنهج الذي يسلكه المفسّر هنا يختلف أساساً في لونين: قد يعمد إلى مواضيع طرّحت بذاتها في القرآن، فيحاول المفسّر استخراجها و استجلاء أبعادها و حدودها من القرآن.. و أخرى يعمد إلى مواضيع هي ضرورات الحياة الحاضرة فيعرضها على القرآن،

لفرض استجلاء نظرة القرآن بشأنها ومعرفة أبعادها وحدودها منه بالذات..

وقد رجّح الشهيد الصدر هذا اللون الثاني، الذي هو محاولة لفهم وصفة القرآن بشأن معالجة أدواء هي حاضرة الحياة.. كما يترجّح على النهج التفسيري العامّ الباحث عن مفاهيم القرآن حسب ترتيب السور والآيات..

قال: لأنّ المفسّر الموضوعي لا يبدأ عمله من النصّ، بل من واقع الحياة، يركّز نظره على موضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنسانيّ حول ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنسانيّ من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخيّ من أسئلة و من نقاط فراغ، ثمّ يأخذ النصّ القرآنيّ، لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النصّ دور المستمع والمسجّل فحسب، بل لي طرح بين يدي النصّ موضوعاً جاهزاً مشرباً بعدد كبير من الأفكار والمواقف البشرية، ويبدأ مع النصّ القرآنيّ حواراً (سؤال وجواب): المفسّر يسأل والقرآن يجيب..

المفسّر على ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها من خلال التجارب البشرية الناقصة، من خلال أعمال الخطأ والصواب التي مارسها المفكّرون على الأرض، لا بدّ أن يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع، ثمّ ينفصل عن هذه الحصيلة ليأتي ويجلس بين يدي القرآن الكريم، لا يجلس ساكناً ليستمع فقط، بل يجلس محاوراً، يجلس سائلاً ومستفهماً ومتدبّراً، فيبدأ مع النصّ القرآنيّ حواراً حول هذا الموضوع، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النصّ من خلال مقارنة هذا النصّ بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات.

ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعيّ نتائج مرتبطة: دائماً بتيّار التجربة البشرية، لأنّها تمثّل المعالم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة.

ومن هنا أيضاً كانت عملية التفسير الموضوعيّ عملية حوار مع القرآن الكريم

واستنتاج له، وليس مجرد استجابة انفعالية، بل استجابة فعالة و توظيفاً هادفاً للنصّ القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن القرآن الكريم:

«ذلك القرآن فاستنطقه و لن ينطق، و لكن أخبركم عنه؛ ألا إن فيه علم ما يأتي و الحديث عن الماضي، و دواء دائكم و نظم ما بينكم»^١.

التعبير بالاستنتاج الذي جاء في كلام ابن القرآن، أروع تعبير عن عملية التفسير الموضوعي بوصفها حواراً مع القرآن الكريم و طرحاً للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها^٢.

إذن كانت وظيفة التفسير الموضوعي دائماً في كلّ مرحلة و في كلّ عصر أن يحمل المقولات التي تعلّمها خلال تجربته البشرية ليضعها بين يدي القرآن ليحكم عليها بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمه أن يستشقه أن يتبيّه من خلال مجموعة آياته الشريفة..

إذن فهنا يلتحم مع القرآن، كما يلتحم مع الحياة، لأنّ التفسير يبدأ من الواقع و ينتهي إلى القرآن، بوصفه القيم و المرجع الذي يحدّد الاتجاهات الرئائية بالنسبة إلى ذلك الواقع.. و من هنا تبقى للقرآن حينئذ قدرته على القيمة دائماً، قدرته على العطاء المستجدّ دائماً، قدرته على الإبداع كلّ آن.. لأنّ القرآن عطاء لا ينفد و منحة لا تنضب.. بل يجري كما تجري الشمس و القمر..

هذا بينما طاقات التفسير اللغوي - مثلاً - طاقات متناهية و محدودة، و ليس هناك تجدد في مدلول لغوي، و لو وجد فلا معنى لتحكيمة على القرآن..

إذن هذا العطاء الدائم المستجدّ في كلّ عصر و في كلّ دور، هي هذه المعاني التي لا تنتهي للقرآن، و التي تكمن في هذا المنهج، منهج التفسير الموضوعي للقرآن، لأنّنا نستنطق القرآن و القرآن يجيب، و إنّ في القرآن علم ما كان و علم ما يكون، و فيه دواء

دائنا ونظم ما بيننا، وفيه ما يمكن أن نستشف منه مواقف السماء تجاه تجارب الأرض مع الأبد...

فمن هنا كان التفسير الموضوعي قادراً على أن يتطور، على أن ينمو، على أن يثري.. لأن التجربة البشرية تثريه، والدرس القرآني والتأمل القرآني على ضوء التجربة البشرية يجعل هذا التراث محمولاً إلى فهم إسلامي قرآني صحيح، على مدى الأيام^١.

التفسير الموضوعي ضرورة

وإذ كان المنهج الموضوعي في التفسير إجابة على متطلبات الحياة مع الزمان باعتباره أوسع أفقاً وأرحب باعاً وأكثر عطاءً حسب مقتضيات.. وباعتباره أقدر على التجدد باستمرار وعلى التطور والابداع.. وباعتبار أن التجربة البشرية تقني هذا التفسير بما تقدمه من مواد، وتلاحم معه تلاحم الطالب والمطلوب..

باعتبار ذلك كله نرى موضع التفسير الموضوعي في كل دور و كور موضع ضرورة تقتضيها حاجة الحياة باستمرار.. والحقيقة أن هناك اليوم و بعد اليوم - كما كان قبل اليوم - ضرورة أساسية لتعدد نظريات الإسلام - و من خلال معطيات القرآن - بشأن المواد المطروحة لدى ساحة القرآن لاستعلام رأيه فيها، والمؤثر في تكيف الحياة الدينية العائشة في ظلّ عناية الإسلام و القرآن..

نعم، لا ينبغي أن يكون المقصود من هذا البيان هو الاستغناء عن سائر المناهج التفسيرية و لا سيما التفسير الشامل وفق الترتيب.. وإنما هي إضافة اتجاه إلى إتجاه.. فقد كان التفسير الموضوعي خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى المنهج الترتيبي إذن ليست المسألة مسألة استبدال، وإنما هي مسألة ضمّ الاتجاه الموضوعي في التفسير إلى الاتجاه الترتيبي، يعني افتراض خطوتين، خطوة هي التفسير الترتيبي و خطوة أخرى هي التفسير الموضوعي^٢.

أنحاء من التفسير الموضوعي

١. منه المندرج ضمن التفسير الترتيبيّ الشامل، في شكل حقول مودعة أثناء التفسير وفي مجالات مؤاتية والأكثر مع تفسير أول آية تعرّضت للموضوع..

وهذه الحقول بما أنّها متناثرة خلال التفسير العام، فلا بدّ من فهرسة لها موضوعيّة للدلالة على مواطنها.. وقد تعارف عليه التفاسير المعاصرة الباحثة في ثناياها عن أتمّات المسائل الإسلاميّة العريقة، خذ لذلك مثلاً تفسير المنار و تفسير الميزان، وفيهما الكثير من أبحاث موضوعيّة ذات صلة بواقع الحياة، معروضة على القرآن بشكل دقيق..

٢. ومنه المصدر في كلّ بحث إسلامي، ومكلاً كلّ حقل من حقوله بلمّة من آيات مترابطة و مرتبطة بصميم البحث، ممّا تعارفت عليه الكتب الباحثة عن المعارف والأخلاق والآداب والسنن وحسب الكتب الفقهيّة يتجلّل مطالع أبوابها وفروع مسائلها بآية أو آيات ذات صلة بالبحث، والتي تمونّ البحث في مادّته الأولى الأصيلّة.. وأفضل نموذج لذلك - مثلاً - هو كتاب بحار الأنوار للمجلسي العظيم، فقد صدر كلّ باب منه بآيات مرتبطة قبل عرض الروايات.

٣. ومنه المستقلّ بالبحث والتنقيب، بحثاً وراه العثور على آيات تجمعها وحدات موضوعيّة، إمّا بصورة مستوعبة أو على قدر الحاجة ومدى إلحاح الضرورة.



وهذا النوع الثالث - وهو موضع دراستنا في هذا المجال - يتواجد على نمطين: إذ قد يكون بحثاً وراه مواضيع مطروحة في القرآن، وأخرى عن مسائل معروضة على القرآن. وكلا النمطين هما يمسّان واقع الحياة وفي شمول عام؛ إذ البحث عن مواضيع مطروحة في القرآن، بحث عن أصول وقواعد عامّة قدّمها القرآن لتكون مشاعل وهأجة تنير درب الحياة مدى الأيّام وتجيّب عن مسائل الإنسان في كلّ عصر وفي كلّ مكان.. فالوقوف على هذه الأصول والقواعد العامّة ضرورة تمسّ واقع الحياة بصورة شاملة..

وهكذا البحث عن مسائل تطرح بين يدي القرآن لغرض استلهاهم حلولها في ضوء

براهينه الساطعة ودلائله اللاتحة المودعة فيه منذ البدء..

و على أيّ تقدير فإنّ المهمّ هي المقدرة العلميّة الوافية بتبيين مواضع إمكان الاستعلام من القرآن، و الذي يتطلّب حنكة و اضطلاعاً بالمسائل القرآنيّة العريقة.. و هذا يستدعي تبصّر الشرائط التالية:

أولاً- إحاطة بمواضع الآيات حسب تنوع محاورها و اتجاهاتها و الأهداف.

و ثانياً- تنظيم الآيات المتناسبة بعضها مع بعض حول محوريتها الجامعة.

و ثالثاً- استنتاج ما أفادته مجموعة تلكم الآيات منضّمة بعضها إلى بعض و بصورة

جماعية و التي قد تختلف عمّا لو فصل بعضها عن بعض و بصورة إفرادية..



و عليه فلو حاولنا تنوع التفسير الموضوعي لوجدناه على ثلاثة أنماط:

١. أبحاث موضوعية جاءت خلال التفسير العامّ. كما ذكرنا بشأن تفسير المنار و تفسير

الميزان..

٢. أبحاث موضوعية مستخرجة من ذات القرآن جاءت مستقلة بالبحث و التنقيب.

كما هو الشأن في تفسير العلامة سبحانيّ باللغتين العربية باسم مفاهيم القرآن. و الفارسية

باسم منشور جاويد بحث فيهما بحثاً ضافياً عن مواضع قرآنية عريقة بتفصيل و إحكام.

و هكذا العلامة مكارم الشيرازي في كتاب پیام قرآن استخرجه من تفسيره نمونه في

عشر مجلّدات.

٣. أبحاث موضوعية مستنبطة حكمها من القرآن بعد العرض عليه. كما نجده في

تفسير العلامة مصباح اليزديّ باسم معارف قرآن بحوث جلييلة في ضوء تعاليم القرآن

الراقية. و هكذا العلامة جواديّ الأمليّ كتب على هذا النمط في ثلاثة عشر مجلّداً و عرض

فيها مسائل إسلامية ذات أهميّة في الحياة الحاضرة، بحث عنها مستلهماً أحكامها من

القرآن الكريم بشكل رافع..

و على غرارهما جاء تفسير الأستاذ محمّد عليّ الصابوني في ستة عشر مجلّداً، بحث

فيه عن أمهات مسائل الحياة و المشاكل التي عارضت الجامعة الإسلامية في الوقت الحاضر بالذات.

وكذا الشيخ محمد متولي الشعراوي له تفسير كبير في ٢٩ مجلداً كتبه على نهج التفسير الموضوعي و لكن على غرار تفسير المنار و الميزان ضمن التفسير العام. و أمثال ذلك كثير و لا يزال يزداد حسب حاجة الزمان.

و من ذلك الكتب الباحثة عن متشابهات القرآن أو ردّ المطاعن عن القرآن و ما شابهه، حيث البحث فيها وقع عن مفاده و معطياته، و ليس بحثاً عن مجرد شؤونه محضاً كما في مباحث علوم القرآن.

الفهارس

- ✦ فهرس الآيات القرآنية
- ✦ فهرس الأحاديث والآثار
- ✦ فهرس الأعلام
- ✦ فهرس المواضيع

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية
(١) الفاتحة	
٩٥٥	١ بسم الله الرحمن الرحيم
٣١٥	٤ مالك يوم الدين
٨٩٢، ٥٤٢	٦ اهدنا الصراط المستقيم
(٢) البقرة	
٨٦٩	٣ يؤمنون بالتيب
٩٩٥، ٨٨٠، ٧٤٣، ٧٤٢	٦ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
٩٩٤، ٨٥٥، ٧٤٣، ٩١	٧ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
٨٦٧	١٤ وإذا خلوا إلى شياطينهم
٨٩٦	١٥ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون
٨٥٥	١٨ صم بكم عمي فهم لا يرجعون
٩٨٣، ٨٩١، ٤٠	٢٢ والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات
٨٦٩، ٧٨٧	٢٦ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة
٩٨٣، ٥٠٨، ٥٠٧، ٢٠٧	٢٨ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم... إليه ترجعون
٧٤٧	٢٩ ثم استوى إلى السماء
٥٤١، ٢٣٠	٣٠ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها
٨٦٩، ٨٦٨، ٨٦٥، ١٤٦	٣٤ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى

رقم الآية	الصفحة
٣٥	ولا تقربا هذه الشجرة ٩٦٢
٣٦	فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ٦٥٣
٤٠	يا بني إسرائيل اذكروا... وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ٩٧٦، ٩٧٥، ٩٧٤، ٩٧٣
٤١	وإتاي فاتقون ٩٧٦، ٩٧٥
٤٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ١٦٤، ١٥٨، ٥٨، ٥٤
٥٥	وإذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى ٥٠١
٥٦	ثم بعثناكم من بعد موتكم ٥٠١
٦٤	فلولا فضل الله عليكم ورحمته ٩٥
٦٥	فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ٩٨٣، ٣٦٩، ٢٨٩، ٢٨٨
٦٧	إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ٨٦٧، ٨٣٦
٧٩	يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ٦٤١
٨٨	وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله ٩١
٩٦	يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة ٢١٧
١٠٢	وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت... وما هم بضارين به من أحد ٦٤٥، ٩٠
١١٢	بلى من أسلم وجهه لله ٩٨٢، ٩٧٨
١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ٨٨٩
١٢٥	وههدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين ٩٦٩
١٢٦	ثم أضطره ٩٨٣
١٢٧	وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ٦٥١
١٢٨	ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا ٦٩٧
١٤٣	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء ٢٥٧، ١٣٣
١٥٢	فأذكروني أذكركم ٩٧٣
١٥٥	ولنبلوكنم بشيء من الخوف والجوع ١٨٦
١٥٨	إن الصفا والمروة من شعائر الله ٤٦٠، ٢١٩
١٥٩	إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى ١٣٣
١٧٠	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ٦٢٠، ٦٠٧
١٨٣	كتب عليكم الصيام ٨٢٤
١٨٥	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ٨٩١، ٥٤٠، ٣٩، ٣٨
١٨٧	فألان باسروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا ٨٩٨، ٨٢٥، ٨٢٣، ٨٢٢، ١٨٢

رقم الآية	الصفحة
١٨٩	هي مواقيت للناس والحجّ وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ٢٠، ٧١٨
١٩٥	وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ٢٥
٢٠٠	فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله ٢١٨
٢٠٤	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ٥٦٧
٢٠٥	وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ٥٦٧
٢٠٧	ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ٣٠٧، ٥٦٧
٢١٠	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ٢٢٣، ٢٢٦، ٩٠٦
٢١١	سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية ٦٠٣
٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ٤٦٦
٢٢٠	ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير ١٧٣
٢٢٣	نساؤكم حرث لكم ٢٦١، ٢٦٢
٢٢٨	والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ١٦٥
٢٢٩	الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٨٣٧
٢٣٠	فإن طلقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ٤٧٠، ٤٧٣، ٨٣٧
٢٣١	ولا تتخذوا آيات الله هزواً ٤٧٣
٢٣٢	وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ ٨٢٦
٢٣٣	والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين ٨٠٨
٢٣٨	حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ٧٥٢، ٧٥٣
٢٤٠	والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً ١٦٨
٢٤٣	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ٣٧٧، ٥٠٦، ٥٠١، ٥١٠
٢٤٥	وإليه ترجعون ٩٠٢
٢٥٣	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ٩٨٥
٢٥٥	وسع كرسيه السماوات والأرض ٩١٠
٢٥٧	الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ٧١، ٥٤٢
٢٥٩	أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ٥٠١، ٥٠٦
٢٦٠	قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ٣٧٤، ٣٧٥
٢٦١	وإنه يضاعف لمن يشاء ٧٦٥
٢٦٩	يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة ١٨١
٢٧٥	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا... وأحلّ الله البيع وحرم الربا ... ١٦٥، ٨٩٢، ١٠٢٠

رقم الآية	الصفحة
٢٨١	وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
٢٨٢	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ
٢٨٦	لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

(٣) آل عمران

٧	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
١٨	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
١٩	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
٢٦	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
٢٨	وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
٣١	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
٣٦	وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ ذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
٤٠	أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَامٌ
٤١	قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً
٧٧	وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٩٣	قُلْ فَاتَوَّأُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا
٩٧	وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ
١٠٤	وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
١٠٥	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
١١٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ
١٣٥	وَلَمْ يَصْرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا
١٣٨	هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا
١٧٣	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
١٨١	إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
١٨٧	لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ
١٩٠	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٩١	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا

(٤) النساء

- ١ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ٢٥٦، ٤٤٨، ٧٨٨
- ٢ و آتوا اليتامى أموالهم و لا تتبدلوا الخبيث بالطيب ١٧٣، ١٢٦، ٨٣٦
- ٣ ذلك أدنى ألا تعولوا ٨٣٩
- ٤ فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً ١٧٣، ٣٣٠
- ٦ و ابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح... و لا تأكلوها إسرافاً و بداراً ١٧٣، ٨٢٦
- ١٢ من بعد و صية توصون بها أو دين ١٦٦
- ١٧ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء ٢٨٤
- ٢٣ حرمت عليكم أمهاتكم ٨٣٤
- ٢٤ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٩، ٤٩٥
- ٢٥ فمن ما ملكت أيمانكم... فأنكحوهن بإذن أهلهن ٤٧٩، ٨٣٩
- ٢٨ و خلق الإنسان ضعيفاً ٢٩٧
- ٢٩ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم... و لا تقتلوا أنفسكم ... ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٨٠٧
- ٣٦ و الجار ذي القربى و الجار الجنب و الصاحب الجنب ٩٦٣
- ٣٩ ماذا عليهم لو آمنوا ٨٨٢
- ٤١ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ٤٣٣
- ٤٣ يا أيها الذين آمنوا لا تقرىوا الصلاة و أنتم سكارى ٨٠٧، ٨٣٧، ٨٤٦
- ٥٦ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصلبهم ناراً ٩٠٠
- ٥٧ و الذين آمنوا و عملوا الصالحات سندخلهم جنات ٨٩٩
- ٥٩ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول ٢٣
- ٦٦ و لو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم ٩٦٦
- ٧٦ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ٨٨٨
- ٨٠ من يطع الرسول فقد أطاع الله ٩٩٦
- ٨٣ و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم ٢٣، ٨٥٣
- ٨٦ و إذا حيينم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ٨٣٧
- ٩٣ و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ١٦٥، ٣٣٨، ٤٦٨، ٤٦٩
- ١٠١ و إذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١
- ١٠٢ و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ٤٥٩
- ١٠٣ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ١٥٨، ١٦٥

رقم الآية	الصفحة
١١٠	ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ١٧٤
١١٥	ويَتَّبِعْ غير سبيل المؤمنين ٨٢٢
١٢٣	من يعمل سوءً يجز به ١٧٤
١٤٢	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يخادعون الله وهو خادعهم ١٧٤
١٥٥	طبع الله عليها ٨٥٥
١٥٩	وإن من أهل الكتاب إِلَّا ليؤمننَّ به قبل موته ٤٣٧، ٣٨٧
١٦٣	إِنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ٨٨٧
١٦٤	وكَلَّمَ الله موسى تكليماً ١٠٣
١٦٥	رسلاً مبشرين و منذرين ٨٨٧، ٨٨٣
١٧٤	يا أَيُّهَا النَّاسُ قد جاءكم برهان من ربكم ١٨

(٥) المائدة

٣	حرِّمَتْ عليكم الميتة... غير متجانف لإثم ٨٢٤، ٢٦٥
٦	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى . ٧٧، ٧٨، ٤٥٢، ٤٥٤، ٨٠٧، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٨، ٨٤٦
١٣	يخْرَفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه ١٣٦
٢٢	قالوا يا موسى إِنَّ فِيهَا قوماً جبارين ٦٥٧، ٦٥٤
٢٣	قال رجلان من الذين... فإذا دخلتموه فأنتكم غالبون ٦٥٥
٢٣	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ٥٤١
٢٥	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله ٢٨٥
٢٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ٧٢
٤٩	واحدهم أن يفتنوك ٤٥٩
٥٤	فسوف يأتي الله بقوم... لا يخافون لومة لائم ٨٧٠
٥٥	إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ٨٥٩، ٨٥٣
٦٠	من لعنه الله و غضب عليه ٢٨٩
٦٤	يد الله مغلولة غلَّت أيديهم ٧١٠
٦٧	يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بلِّغْ ما أنزل إليك من ربك ٩٠٥، ١٩٣
٦٨	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء ١١٤
٨٢	لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود ٥٩٥، ٩٢
٨٣	وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ٩٣

رقم الآية	الصفحة
٨٤	وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ٩٣
٨٥	فأتاهم الله بما قالوا جنات ٩٣
٨٦	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ٩٣
٨٧	يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ٤٨١
٨٩	فكفارتهم إ طعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ١٧٠
٩٤	يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ٩٧٠
٩٥	يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ٩٧٠
٩٦	أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ٩٧٠
١٠٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ٢٠
١١٠	وإذ تخرج الموتى بإذني ٥٠٢
١١٢	إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم ٩٤٠
١١٤	ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ٣٧٠
١١٧	وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ١٤٥

(٦) الأنعام

٢	هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً ٥١٤، ٥١٣
٧	ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه ٤٠
١٩	وأوحى إليّ هذا القرآن لأتذركم ١٣٤، ١٢٩
٢٢	ويوم نحشرهم جميعاً ٥٠٠
٢٥	جعلنا على قلوبهم أكنة ٨٥٥
٣٧	وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ٤٠
٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء ١٠٠٦
٦٨	فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ٦٣٦
٨٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ١٦٦، ٢٠
٨٣	نرفع درجات من نشاء ٩٢
٩٠	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ٥٠
٩١	الكتاب الذي جاء به موسى نوراً ٤٣٨، ١١٤
٩٩	إذا أتمر وينعه ٢١٤
١٠٣	لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ١٠٢٥، ٩٠٦، ٩٠٥، ٦٧

الصفحة	رقم الآية
٩١، ٧٢	١١٠ وتقلب أفئدتهم وأبصارهم
٤٠، ١٨	١١٤ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب
٨٧٥، ١٧١	١٢٥ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
٥٠٠	١٢٨ ويوم نحشهم جميعاً
٩١٢	١٣٧ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم
٨٣	١٥١ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق
١٠٣	١٥٣ وأن هذا صراطي مستقيماً

(٧) الأعراف

٨٨٦	١٤ قال أظنني إلى يوم يبعثون
٨٨٦	١٥ قال إنك من المنظرين
٨٨٦	١٦ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم
٤٦٦	٣٣ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
٩٥	٤٣ الحمد لله الذي هدانا لهذا
٩٠٦، ٣٣، ٢٣	٥٣ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله
٩٠	٥٨ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه
٨٣٠	٦٥ وإلى عاد أخاهم هوداً
٧١٤	٦٩ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
٨٣٠	٧٣ وإلى ثمود أخاهم صالحاً
٢١٥	٨٩ افتح بيننا وبين قومنا بالحق
٥٨٦	١٣٩ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون
٩٧٧، ٩١٧، ٦٦٣، ٦٦١	١٤٣ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
٦٦٥، ٦٦٤	١٤٥ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة
٥٢	١٤٦ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
١٤٤	١٥٦ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
٨٨٤	١٥٧ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم
٨٧٨، ٦٦٨	١٥٨ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم
٦٦٦	١٥٩ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق
٦٠٣	١٦٣ سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة

رقم الآية	الصفحة
١٧٢	ألست بربكم قالوا بلى شهدنا
١٧٦	ولو شئنا لرفناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض
١٨٧	لا يجعلها لوقتها
١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
١٩٠	فلما آتاهاما صالحاً جعل لهما شركاء
١٩٨	وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون
٢٠١	إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا

(٨) الأنفال

١٧	وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى
٢٤	يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول
٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
٢٩	يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا الله يجعل لكم فرقاناً
٣٣	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
٤١	واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة
٥٨	فانبذ إليهم على سواء

(٩) التوبة

٢٦	ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
٣٧	إنما النسيء زيادة في الكفر
٤٠	فأنزل الله سكينته عليه
٩٣	طبع الله على قلوبهم
٩٧	الأعراب أشد كفرةً ونفاقاً
١٠٠	رضي الله عنهم ورضوا عنه
١٠١	ومتن حولكم من الأعراب منافقون
١١٢	التائبون العابدون الحامدون السائحون
١١٩	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
١٢٣	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

(١٠) يونس

٤٣٨	٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم
٦٠٦	١٤	ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون
٧٦٥	٢٦	للذين آمنوا الحسنی وزيادة
٥٠٠	٢٨	ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم
١٨	٣٧	وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين
٩١٦	٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
٤٤٢	٥٥	ألا إن وعد الله حق
١٠٣٥	٥٧	يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم
٦٧٢	٦١	وما تكون في شأن وما تتلوا منه
١٧١	٦٤	لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة
٨٥٦	٧٤	كذلك نطبع على قلوب المعتدين
٤٥٩	٨٣	على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم
٦٠٥، ٦٠٢، ٥٩٦	٩٤	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل

(١١) هود

٣٧	١	كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
٦٥٧	٤٣	لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
١٠٣	٥٦	إن ربي على صراط مستقيم
٣٠	٦١	هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها
٨٨٨	٦٦	إن ربك هو القوي العزيز
٦٩٩	٧١	فبشرناها بإسحاق نبياً من الصالحين

(١٢) يوسف

٦٢٩	١	بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
٦٢٩، ١٣٠	٢	إننا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون
٦٢٩	٣	نحن نقص عليك أحسن القصص
٦٧٨، ٦٧٤، ٦٧١	٢٤	ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف
٦٧٤	٢٦	إن كان قميصه قد من قبل فصدقت

رقم الآية	الصفحة
٢٧	وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت ٦٧٤
٢٨	فلمّا رأى قميصه قد من دبر ٦٧٤
٣٢	لئن لم يفعل ما أمره لیسجنن ٦٧٤
٣٣	قال رب السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه ٦٧٤
٣٤	فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهنّ إنه هو السميع العليم ٦٧٤
٣٧	لا يأتيكما طعام ترزقانه إلّا نبأتكما بتأويله ٢٣
٤٢	وقال للذي ظنّ أنه ناج منهما اذكرني عند ربك ٦٨٠
٤٥	واذكر بعد أمة ٦٨٢
٤٩	ثمّ يأتي من بعد ذلك عام فيه يقات الناس ٧٤٥
٥١	أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ٦٧٧، ٦٧٦، ٦٧٤
٥٢	ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب ٦٨١، ٦٧٧، ٦٧٦
٥٣	وما أبرئ نفسي إنّ النفس لأثّارة بالسوء ٦٧٧، ٦٧٦
٧٦	ترفع درجات من نشاء ١٨١
١٠٠	هكذا تأويل رؤياي من قبل ٢٣
١٠٦	وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون ٩٥٣، ٩٤٦

(١٣) الرعد

٣	وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها... ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين . ١١٦، ٩٦٦
١٢	هو الذي يرزقكم البرق خوفاً وطمعاً ٢٢٨، ٧٢٣
١٣	ويستبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ٧٢٢، ٧٢٣
١٧	أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ١٨١، ٢٥٩
٢٨	الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ٧٠
٢٩	الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ٥٠، ٦٨٢
٣١	ولو أنّ قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ٢٠٩
٣٣	أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت ٦٧٢، ٦٧٣
٣٩	يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب ٤١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٥١٣، ٥١٤
٤١	أولم يروا أنّا أنات الأرض ننقصها من أطرافها ١٨٦، ٥٤٠

(١٤) إبراهيم

٤	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه	١٢٨، ١٤٠
٧	لئن شكرتم لأزيدنكم	٩٧٤
٢٢	وما كان لي عليكم من سلطان	٨٨٨، ٨٩٢، ١٠١٩
٣٧	فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم	٣٥٣
٤٣	وأفئدتهم هواء	١٤٦

(١٥) الحجر

٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	١١٤، ١٤٤، ٤٣٥، ٧٩٢
٣٩	لأغويهم أجمعين	٩١٠
٤٠	إلا عبادك منهم المخلصين	٩١٠
٤٢	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	١٠١٩
٤٧	ونزعنا ما في صدورهم من غل	٥٨٩
٨٧	سبعاً من المثاني	٧٥٣
٩١	كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين	١٧٠
٩٤	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	٩٠٠
٩٥	إنا كفييناك المستهزئين	٩٠٠

(١٦) النحل

٣٢	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم	١٧١
٣٨	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت	٥٠٣
٣٩	ليبين لهم الذي يختلفون فيه	٥٠٣
٤٠	إنا قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون	٩١١
٤٣	وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا ٢٦٠، ٤٣٨، ٤٣٩، ٥٩٦، ٦٠٢، ٦٠٥	٦٠٥، ٦٠٢، ٥٩٦، ٤٣٩، ٤٣٨، ٢٦٠
٤٤	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ١١، ١٨، ٤٠، ٥٠، ٦٩، ٧٦، ١٣٣، ١٥٧، ١٥٩، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٠، ٣٧٢، ٥٣٨، ٥٤٣، ١٠١٠	١١، ١٨، ٤٠، ٥٠، ٦٩، ٧٦، ١٣٣، ١٥٧، ١٥٩، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٠، ٣٧٢، ٥٣٨، ٥٤٣، ١٠١٠
٤٧	أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم	١٨٥، ٢١٥
٧٢	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً	٤٤٨
٨٩	ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء	١١، ١٨، ٦٧، ١٥٧، ٢٥٧، ٢٧، ١٠٣٥، ١٠٣٥

رقم الآية	الصفحة
٩٠	إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
١٠٣	وهذا لسان عربي مبين
١٠٥	إنَّما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
١٠٨	طبع الله على قلوبهم

(١٧) الإسراء

٦	ثمَّ رددنا لكم الكثرة عليهم وأمددناكم
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
٢٥	ريكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
٣٢	ولا تقربوا الزنى إنَّه كان فاحشة
٣٥	وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً
٤٦	جعلنا على قلوبهم أكنة
٥٨	في الكتاب مسطوراً
٥٩	وآتيناهم الناقة مبصرة فظلموا بها
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك
٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس
٩٤	وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
٩٥	لنزلنا عليهم من السماء ملكاً
٩٧	ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
١٠١	ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات فاسأل بني إسرائيل
١٠٤	وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض
١٠٧	يخرون للأذقان سجداً
١١٠	ولا تجهروا أصواتكم ولا تخافتوا بها

(١٨) الكهف

١١	فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً
١٢	ثمَّ بعثناهم لنعلم أيَّ الحزبين أحصى
١٨	وتقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال

رقم الآية	الصفحة
١٩	وكذلك بحثناهم ليتساءلوا بينهم ٥٠٢
٢٢	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم... قل ربِّي أعلم بعدّتهم ٦٨٥
٢٥	لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ٥٠٢
٣٧	قال له صاحبه وهو يحاوره ٨٥٤
٤٧	وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ٥٠٧، ٥٠٦، ٥٠٤، ٥٠٠، ٢٥٠
٤٩	ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ٩٩٤
٥٤	ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كلِّ مثل ١٠٣٥
٥٧	جعلنا على قلوبهم أكنةً ٨٥٥
٦٥	فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا ٤٣٦
٧٨	سأنبؤك بتأويل ما لم تسطع عليه صبراً ٢٢
٨٢	ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ٢٢
٨٣	ويسألونك عن ذي القرنين ٦٨٥
٨٤	إننا مكنا له في الأرض وآتيناه ٦٨٥
٨٥	فأتبع سبباً ٦٨٥
٩٤	قالوا يا ذا القرنين إنَّ يأجوج ومأجوج مفسدون ٦٨٨
٩٧	فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ٦٩٠

(١٩) مريم

٢٧	فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جنت شيئاً فريئاً ١٤٥
٥١	إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ٩٨١، ٩٨٠
٥٧	جعلنا على قلوبهم أكنةً ٨٥٥
٩٢	وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولداً ٨٢٢
٩٣	إن كلَّ من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمان عبداً ٨٢٢

(٢٠) طه

١٢	فاخلع نعليك ٩٨٥
٢٤	اذهب إلى فرعون إنه طغى ٦٠
٤٣	اذهبإلى فرعون إنه طغى ٩٥١
٤٤	فقل لا له قولاً لئلا نعلمه يتذكر أو يخشى ٩٥١

رقم الآية	الصفحة
٨٥	أضلهم ٨٥٥
١٠٤	أمتلهم طريقة ٢٨٠
١١١	وعنت الوجوه للحَيِّ القَيِّوم ١٤٤
١٣٤	ولو آتانا أهلكتناهم بعباب ٨٨٣

(٢١) الأنبياء

٧	وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر ٥٩٦، ٤٣٨، ٦٠٢
٨	وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ٤٣٩
١٩	وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ٦٤٩
٢٠	يسبحون الليل والنهار لا يفترون ٢٢٧، ٢٢٨، ٦٤٩
٢٦	بل عباد مكرمون ٦٤٩
٢٧	لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٦٤٩
٢٨	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ٦٤٩
٣٠	وجعلنا من الماء كل شيء حي ١٧٥
٤٤	أفلا يرون أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ١٨٦
٨٣	وأيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ٧٠٧
٨٤	فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرٍّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا ... ٧٠٧
٩٠	يدعوننا رغباً ورهباً ٩٧٥، ٩٧٦
١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ٤٤٢، ٦٤٢

(٢٢) الحج

٢٤	وهدوا إلى الطيب من القول ٥١
٢٦	وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ٦٥٢
٣٥	الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ٩٧٦، ٩٧٥
٣٩	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ٨٢٨
٤٠	الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله ٨٢٨
٤١	الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ٨٢٨
٦٣	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرةً ٩٦٧
٧٨	وما جعل عليكم في الدين من حرج ٢١٢، ٢١٥، ٨٨٣

(٢٣) المؤمنون

٥	و الذين هم لفروجهم حافظون	٤٧٩، ٤٩١، ٤٩٥
٦	إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم	٤٧٩، ٤٩١، ٤٩٥، ٨٢١
٧	فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون	٤٩١، ٤٩٥، ٨٢١
٥٠	و آريناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين	٥٦٩
٥٧	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون	١٨٣، ٩٧٦
٦٠	و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلت	١٨٣
٦١	أولئك يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون	١٨٤
٧٣	و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم	١٠٣
٧٦	فما استكانوا لربهم و ما يتضرعون	١٧٢
١٠٤	تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون	١٧٦

(٢٤) النور

١١	و الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم	٥٧٢
٣٠	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم	١٧٢
٣٥	الله نور السماوات و الأرض	٩٦
٣٧	يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار	١٧٥، ٩٧٦
٤٢	و إلى الله المصير	٩٠٢
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات	٤٤٢، ٨٢٩، ٨٦٩
٦٣	فليحذر الذين يخالفون عن أمره	٨٧٨

(٢٥) الفرقان

١	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده	١٣٣
٦	أنزله الذي يعلم السر في السماوات و الأرض	٣٨٠
٧	و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام	٢٠٩
٨	إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً	١٠١٧
١١	بل كذبوا بالساعة	٤٥١
٢٠	و ما أرسلنا قبلك من المرسلين	٢٠٩
٢٢	يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين	٢٣

رقم الآية	الصفحة
٣٢	لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ٤٠
٣٣	ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحقّ ١٨، ١٧
٣٤	الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنّم ١٧١

(٢٦) الشعراء

١١٩	فأنجيناه و من معه في الفلك المشحون ٢١٤، ٢٥٧
١٢٠	ثم أغرقنا بعدّ الباقيين ٢٥٧
١٩٦	وإنّه لفي زبر الأولين ١٢٩، ١٣١، ١٣٢
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربيين ٧٥٠
٢١٩	و تقلّبك في الساجدين ٧٥٦

(٢٧) النمل

١٧	وحشر لسليمان جنوده من الجنّ و الإنس ٥١٢
٣٥	وإني مرسله إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون ٢٩١، ٢٩٣، ٩٠٤
٤٤	قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة ٦٩١
٥٢	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ٢٣١
٨٢	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض ٢٥٠
٨٣	ويوم نحشر من كلّ أمة فوجاً ٢٥٠، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١١
٨٧	ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ٢٥٠

(٢٨) القصص

٥	ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ٤٤١، ٥٠٤
١٤	ولما بلغ أشده و استوى آتيناها حكماً ٢٩
١٧	قال ربّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ٢٩
٢٤	ربّ إنيّ لما أنزلت إليّ من خير فقير ٢٧٩
٣٢	واضمم إليك جناحك من الرهب ٩٨٨
٨٦	وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب ٩٥

(٢٩) المنكيات

١٧٢	و تاتون في ناديكم المنكر	٢٩
١٧٤، ٦٧	و الذين جاهدوا فينا لتهديتهم سبلنا	٦٩

(٣٠) الروم

٧٨٨، ٤٤٨	و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها	٢١
٩٦٣	ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي الناس	٤١
١٠٣٥	لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل	٥٨

(٣١) لقمان

٢٠	إنّ الشرك لظلم عظيم	١٣
٨٢٣، ٨٠٨	و فصّاله في عامين	١٤
٦٢٠	و إن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطمهما	١٥
٥٤١	ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السماوات	٢٠
٢٠٩	و لو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام	٢٧
٩٠٥	و ما تدري نفس ما ذا تكسب غداً	٣٤

(٣٢) السجدة

٨٣١	و بدأ خلق الإنسان من طين	٧
٨٣١	ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين	٨
٣٤	فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين	١٧

(٣٣) الأحزاب

٨٧٨	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	٢١
٢٥٧	رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	٢٣
٣٠٥، ٣٠٣	إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت	٣٣
٨٣١، ٧٥٥	إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبيّ	٥٦
٩٠٧، ٩٠٦، ٥٤١	إنّا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض	٧٢

(٣٤) سبأ

١٧٥	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية	١٥
٣٥٣	وقدّرنا فيها السير سيرا فيها ليالي و أياماً آمنين	١٨
٨٨٦	ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه	٢٠
٨٩٢	وما كان له عليهم من سلطان	٢١
١٣٣	وما أرسلناك إلا كافة للناس	٢٨
٩٧٤	وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه	٣٩
٥٠٠	ويوم يحشرهم جميعاً	٤٠

(٣٥) فاطر

٧٦٩، ٢١٦	فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع	١
١١٨، ١١٦	والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً	٩
٩٠٢	وإلى الله المصير	١٨
٩٧٦، ٩٧٥	إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨
٤٢٧، ١٧٦	تمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا	٣٢

(٣٦) يس

٨٨٠	لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون	٧
٩٩٤	ونكتب ما قدّموا و... في إمام مبين	١٢
٥٩٦	وما لي لا أعبد الذي فطرني	٢٢
٩٠٦، ٩٠٤	ما ينظرون إلا صيحة واحدة	٤٩
١٣٥	قال من يحيي العظام وهي رميم	٧٨
١٣٥	قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة	٧٩

(٣٧) الصافات

٤٢٩	وقفّوهم إنهم مسؤولون	٢٤
٨٦٧	كأنه رؤوس الشياطين	٦٥
٦٩٤	وقال إنّي ذاهب إلى ربّي سيّهدين	٩٩
٦٩٤	ربّ هب لي من الصالحين	١٠٠

رقم الآية	الصفحة
١٠١	فبشّرناه بغلام حلِيم ٦٩٤
١٠٢	فلَمَّا بلغ معه السعي قال يا بني إِنِّي أرى في المنام أَنِّي أَذبحك ٦٩٤
١٠٣	فلَمَّا أسلما وتلّه للجبين ٦٩٤
١٠٤	وناديناه أَن يا ابراهيم ٦٩٤
١٠٥	قد صدقت الرؤيا إِنَّا كذلك نجزي المحسنين ٦٩٤
١٠٦	إِنَّ هذا لهو البلاء المبين ٦٩٤
١٠٧	وفديناه بذبح عظيم ٦٩٤
١٠٨	وتركنا عليه في الآخرين ٦٩٤
١٠٩	سلام على ابراهيم ٦٩٤
١١٠	كذلك نجزي المحسنين ٦٩٤
١١١	إِنَّه من عبادنا المؤمنين ٦٩٤
١١٢	وبشّرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ٦٩٤، ٦٩٩
١١٣	و باركنا عليه و على إسحاق و من ذرّيتهما محسن و ظالم لنفسه مبین ٦٩٥
١٢٥	أتدعون بعلاً ٢١٦
١٥٩	سبحان الله عما يصفون ٦٧
١٦٢	ما أنتم عليه بفاتنين ٨٨٦
١٦٣	إِلَّا من هو صال الجحيم ٨٨٦

(٣٨) ص

٣	ولات حين مناص ٢٣
٢١	و هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ٧٠٠
٢٢	إذ دخلوا على داود ففزع منهم ٧٠٠
٢٣	إِنَّ هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ٧٠٠
٢٤	قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ٧٠٠، ٧٠٤
٢٥	وإنّ له عندنا لزلفى و حسن مآب ٧٠٠، ٧٠٣، ٧٧٨
٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته و ليتذكّر أولوا الألباب ٤٩، ٥٠، ٦٩، ٧٥، ٥٢٧ ٥٢٧
٣٣	ظفّق مسحاً بالسوق و الأعناق ٤٥٣
٤١	و اذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه ٧٠٥
٤٢	اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب ٧٠٥، ٧٠٧

رقم الآية	الصفحة
٤٣	و وهبنا له أهله و مثلهم معهم رحمة
٤٤	و خذ بيدك ضعفاً فاضرب به و لا تحنث إننا وجدناه صابراً
٤٦	إننا أخلصناهم بخالصة
٨٢	قال فبِعزَّتِكَ لأغويهم أجمعين
٨٣	إلا عبادك منهم المخلصين

(٣٩) الرمر

٥	يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ
١٧	و أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ
١٨	الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
٢٢	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ
٢٨	قَرَأْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ
٦٠	و يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
٦٧	و مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
٦٨	و نَفَخَ فِي الصُّورِ

(٤٠) هافر

١١	قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ و أَحَبَّيْتَنَا اثْنَتَيْنِ
٤٠	و مِنْ عَمَلٍ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى
٥١	إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا و الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
٦٠	أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

(٤١) فصلت

١١	فَقَالَ لَهَا و لِلْأَرْضِ انْتَبيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً
١٥	فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
١٧	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى
١٩	و يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ
٣٠	أَلَّا تَخَافُوا و لَا تَحْزَنُوا و أَبْشِرُوا
٣٨	يَسْتَجِبُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ و النَّهَارِ و هُمْ لَا يُسْأَمُونَ

رقم الآية	الصلحة
٤٤	أولئك ينادون من مكان بعيد
٥٣	سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم

(٤٢) الشورى

١٠	عليه توكلت وإليه أنيب
١١	ليس كمثله شيء
٢٣	إلا المودة في القربى
٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً
٥٢	وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم
٥٣	إلى الله تصير الأمور

(٤٣) الزخرف

١	حم
٢	والكتاب المبين
٣	إننا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون
٤	وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم
١٨	أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
٢٣	قال مترفوها إننا وجدنا آباءنا على أمة
٤٥	واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
٦٧	الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ
٨٧	ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله

(٤٤) الدخان

١	حم
٢	والكتاب المبين
٣	إننا أنزلناه في ليلة مباركة إننا كنا منذرين
٤	فيها يفرق كلُّ أمر حكيم
٥	أمرأ من عندنا
٥٨	فإنما يسرَّننا بلسانك لهم يتذكرون

(٤٥) الجاثية

٥٤١ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض	١٢
١٨ هذا بصائر للناس وهدى	٢٠

(٤٦) الأحقاف

٨٢٢، ٨٠٨ وحمله وفضاله ثلاثون شهراً	١٥
٢٣ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار	٢٥

(٤٧) محمد ﷺ

٨٥٥ طبع الله على قلوبهم	١٦
٥١ والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم	١٧
٣١٢ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة	١٨
٥٤ فاعلم أنه لا إله إلا الله	١٩
٤٠ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة	٢٠
٨٥٥ أصمهم وأعمى أبصارهم	٢٣
٥٣٨، ٣٧٢، ٧٥، ٦٩ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤
١٧٥، ١٣٤ وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم	٢٨

(٤٨) الفتح

٩٣ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا	١١
٢١٦ وكنتم قوماً بوراً	١٢
٨٨١ يريدون أن يبذلوا كلام الله	١٥
٧٣٥ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين	٢٦

(٤٩) الحجرات

٥٠٦ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات	٤
٥٠٦ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم	٥
٥٥٢ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	٦
٩٤ ولكن الله حبب إليكم الإيمان	٧

رقم الآية	الصفحة
٨	فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم ٩٥
٩	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ٨٢٩
١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم ٩٥

(٥٠) ق

١	ق و القرآن المجيد ٧٢٨
١٠	و النخل باسقات لها طلع نضيد ١٧٣
٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ٩١

(٥١) اللذريات

٢٨	قالوا لا تخف وبشروه بفلام عليم ٦٩٩
----	--

(٥٣) النجم

٣٢	ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ٢٨٤
٥٠	وآته أهلك عاداً الأولى ٧١٣
٦١	وأنتم سامدون ٢١٦

(٥٤) القمر

١٣	و حملناه على ذات ألواح ودر ٥٩٠
١٧	ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ١١٨، ٧٥
٤٨	يوم يسحبون في النار على وجوههم ١٧١

(٥٥) الرحمن

٩	واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ٢٦
١١	فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ٩٦٧
٢٢	المرجان ٢٢٢، ٢٢٦
٣١	سنفرغ لكم أيها الثقلان ٤٥١
٥٢	فيهما من كل فاكهة زوجان ١١٩

رقم الآية	الصفحة
(٥٦) الواتمة	
٢٤	جزاء بما كانوا يعملون ٨٧٤
٢٨	في سدر مخضود ١٥٩
٥٧	نحن خلقناكم فلولا تصدقون ٩٨٩
٦٣	أفأنتم ما تحرثون ٩٦
٦٤	أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ٩٦
٧٧	إنه لقرآن كريم ٥٢، ٤٢
٧٨	في كتاب مكنون ٩٩٤، ٥٢، ٤٢
٨٠	لا يمسه إلا المطهرون ٥٢، ٤٢

(٥٧) الحديد

٤	و هو معكم أينما كنتم ٩٨٩
---	--------------------------------

(٥٨) المجادلة

٧	ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ٩٨٩
٢١	كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ٨٨٨

(٥٩) الحشر

٢	هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ٤٧١
١٩	ولا تكونوا كالذين نسوا الله ٥٤٠، ٩١، ٧٢
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً ٩٠٩، ٤٠

(٦١) الصف

٢	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ٢٣٢
٣	كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ٢٣٢
٥	فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ٨٥٥

(٦٢) الجمعة

٢	هو الذي بعث في الأميين رسولاً ٢٥٧، ١٩
---	---

٥ كمثل الحمار يحمل أسفارا ٢٨٨، ٣٦٩

(٦٤) التباين

٩ ومن يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ٥٠

(٦٥) الطلاق

١ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤

٣ و من يتوكل على الله فهو حسبه ٧٠

(٦٦) التحريم

٤ إن تتوبا إلى الله فقد صنت قلوبكما ٨، ٢٠

٦ لا يعصون الله ما أمرهم ٦٤٩

١١ امرأة فرعون ٨٢٢

(٦٧) الملك

٤ ثم ارجع البصر كرتين ٤٧٤

٣٠ قل أرأيتم إن أصبح ماءكم غورا ٢٧، ٤٤٠

(٦٨) القلم

١ ن والقلم وما يسطرون ٧٢٩، ٩٩١

١٣ عتق بعد ذلك زينم ٢١٤

١٥ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ٢٠، ٨

(٦٩) العاقبة

٦ بريح صرصر عاتية ٧١٣

٧ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ٧١٣

٨ فهل ترى لهم من باقية ٧١٣

١٧ و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ٧٦٩

(٧٠) المعارج

٢١٤ عن اليمين و عن الشمال عزيز ٢٧

(٧١) نوح

٨٣٠ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ١

٦٥٧ رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ٢٦

(٧٢) الجن

٢١٥ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ٣

٤٤٠، ٢٥٧ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٦

٨٢٣، ٥٤٢، ٤٦٤، ٧٣ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨

(٧٣) المزمّل

٢١٦ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا ٦

٩٨٩ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيْلًا ٨

٩٨٩ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٩

(٧٤) المدثر

٨٨٠ ذُرِّيٍّ وَمَنْ خَلَقْتْ وَحِيدًا ١١

٨٨١ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ١٧

٢٦١ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ٢٩

٢١٧ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرِهِ ٥١

(٧٥) القيامة

٢١٦ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١

٩٠٢ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٢

٩٠٦، ٩٠٣، ٩٠٢، ٣٧٠، ٢٩٠ وَجْهٍ يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا ٢٢

٩٠٦، ٩٠٥، ٩٠٤، ٩٠٣، ٩٠٢، ٣٧٠، ٢٩٠ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ٢٣

٩٠٢ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ ٣٠

(٧٦) الإنسان

٣٠ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ٨٣٠، ٥٩٠، ٩٠

(٧٨) النبا

٦ ألم نجعل الأرض مهاداً ١١٦

٧ والجبال أوتاداً ١١٧

(٧٩) النازعات

٢٨ رفع سمكها ٩٨٣

٣٠ والأرض بعد ذلك دحاهما ١١٧

(٨٠) عبس

١٣ في صحف مكرّمة ٩٩٤

١٤ مرفوعة مطهرة ٩٩٤

١٥ بأيدي سفرة ٩٩٤

٢٤ فلينظر الإنسان إلى طعامه ٢٨، ١٨٤، ١٩٧، ٤٤٣

٢٥ أنا صببنا الماء صباً ١٨٤، ٤٤٣

٢٦ ثم شققنا الأرض شققاً ١٨٤، ٤٤٣

٢٧ فأنبثنا فيها حياءً ٤٥، ١٨٤، ٤٤٣

٢٨ وعبأ وقضباً ٤٥، ١٨٤، ٤٤٣

٢٩ وزيتوناً ونخلأ ١٨٤، ٤٤٣

٣٠ وحدائق غلباً ١٨٤، ٤٤٣

٣١ وفاكهة وأبأ ٤٥، ١٨٤، ١٨٦، ٤٤٣

٣٢ متاعاً لكم ولأنعامكم ٤٥، ١٨٤، ٤٤٣

(٨١) التكوير

١٥ الخنس ٣٤٤

١٦ الجوّاري الكنس ٣٤٤

٢٩ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ٩٠

رقم الآية	المصفاة
(٨٢) الانفاطار	
١٠	وإنّ عليكم لحافظين
٦٧٢ ، ٦٧٢
١١	كراماً كاتبين
٩٩٤ ، ٦٧٢ ، ٦٧٢
١٢	يعلمون ما تفعلون
٩٩٤
١٣	إنّ الأبرار لفي نعيم
٩٦٧
١٤	وإنّ الفجار لفي جحيم
٩٦٧
(٨٣) المطففين	
٨	وما أدراك ما سجّين
٦٨٤
٩	كتاب مرقوم
٦٨٤
١٤	كلّاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
٧٤٤
١٥	كلّاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
٨٢٠
١٩	وما أدراك ما علّيون
٦٨٤
٢٠	كتاب مرقوم
٦٨٤
٢١	يشهده المقرّبون
٦٨٤
(٨٤) الانشاقاق	
٧	فأمّا من أوتي كتابه بيمينه
٢٠
٨	فسوف يحاسب حساباً يسيراً
٢٠
١٤	إنّه ظنّ أنّ لن يحور
٢١٦
٢٠	فما لهم لا يؤمنون
٨٨٢
(٨٥) البروج	
٢١	بل هو قرآن مجيد
٤١
٢٢	في لوح محفوظ
٤١
(٨٧) الأعلى	
١٨	إنّ هذا لفي الصحف الأولى
١٣١ ، ١٢٩
١٩	صحف إبراهيم و موسى
١٢٩

(٨٨) الغاشية

١٧ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ٩٠٤

(٨٩) الفجر

- ٦ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ٧١٣، ٧١٢، ٧١١
- ٧ إرم ذات العماد ٧١٥، ٧١٣، ٧١٢، ٧١١
- ٨ التي لم يخلق مثلها في البلاد ٧١٤، ٧١١
- ١٠ وفرعون ذي الأوتاد ١١٦
- ٢٤ يا ليتني قدمت لحياتي ٤٧١
- ٢٥ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ١٤٥
- ٢٦ ولا يوثق وثاقه أحد ١٤٥
- ٢٧ يا أيتها النفس المطمئنة ٩٩٦
- ٢٨ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ٩٩٦
- ٢٩ فادخلي في عبادي ٩٩٦
- ٣٠ فادخلي جنتي ٩٩٦

(٩١) الشمس

- ٩ قد أفلح من رزأها ٩٩٦، ٩١٥
- ١٠ وقد خاب من دساها ٩٩٦، ٩١٥

(٩٥) التين

- ١ و التين و الزيتون ٥٨٨
- ٢ و طور سينين ٥٨٨
- ٣ و هذا البلد الأمين ٥٨٨
- ٤ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ٥٨٨
- ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٥٨٨
- ٦ إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات ٥٨٩
- ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٥٨٩
- ٨ أليس الله بأحكم الحاكمين ٥٨٩

رقم الآية	الموضوع	الصفحة
	(٩٦) الملق	
١٩	واسجد واقترب	٨٣١
	(٩٧) القدر	
١	إنا أنزلناه في ليلة القدر	٥٤٠، ٣٩
	(٩٨) البيئ	
١	لم يكن الذين كفروا	٩٥٨
	(٩٩) الزلزلة	
٤	يومئذ تحدث أخبارها	١٧٦
	(١٠٣) العصر	
١	والعصر	٥٨٩
٢	إن الإنسان لفي خسر	٥٨٩
٣	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٥٨٩
	(١٠٤) الهمزة	
١	ويل لكل همزة لمزة	٩٥٨
	(١٠٨) الكوثر	
٢	فصل لربك وانحر	١٧٢
	(١٠٩) الكافرون	
١	قل يا أيها الكافرون	٩٥٨
	(١١٠) النصر	
١	إذا جاء نصر الله والفتح	٩٦٧، ٥٩٠

(١١١) المسد

٩٥٨ ، ٨٨١ ، ٢٩٥	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ	١
٨٢٢	امرأته حمالة الحطب	٤

(١١٢) الإخلاص

٢٨٥ ، ٢٤٤ ، ٨٢	قل هو الله أحد	١
٢٤٤	الله الصمد	٢
٢٤٤	لم يلد ولم يولد	٣
٢٤٤	ولم يكن له كفواً أحد	٤



فهرس الأحاديث والآثار

- ٤٧ ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق
- ٣٩٢ أبو حمزة الثمالي في زمانه كلقمان
- ١٧٦ أتدرون ما أخبارها؟
- ٣٢٤ أترضى يا حسن نفسك للموت
- ١٦٨ أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام وأجاب بالنفي!
- ٥٨ اتقوا الحديث عَلَيَّ إِلَّا ما علمتم
- ١٨٤ أتى عمّار بن ياسر رسول الله فقال: يا رسول الله أجنبت الليلة
- ٣١٤ اجلس في مسجد المدينة وأفت للناس
- ٢١٧ الأحقاف، المذكور في الكتاب العزيز: واد بين عمان وأرض مهرة
- ٣٣١ أدخل: أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن وائلة الكنائي
- ٥٩٠ أدخلت الجنة فرأيت فيها ذنباً
- ٢٩٥ إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار
- ٢١٢ إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر
- ٩٤٣ إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر
- ١٨٨ إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ، لم نعدل عنه إلى غيره
- ٢٢٣ إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم
- ٢١٢ إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر
- ٤٧٣ إذا طلق الرجل امرأته على غير طهر
- ٤٤٠، ٢٨ إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون

- ٨١٢ إذا كان الماء قدر قَلْتَيْنِ لم ينجس
- ٥٨٩ إذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت أحمر
- ٣١٣ إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا في أحكامهم
- ٧٧ إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله
- ٥٦٩ أربع مدائن من مدائن الجنة: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق
- ٧١٩ الأرض على الماء
- ٤٢٩ ارقبوا محمداً في أهل بيته
- ٣٢١ أَرَقَّتْ ماءً كثيراً يا حسن
- ٣٢١ أسبغ طهورك يا لفتي
- ٦٨١ أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
- ١٩٦ أصحاب عبد الله سرج هذه القرية
- ٤٩٨ افعلوا ما أمركم به
- ٢١٨ اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام
- ٦٠٨ اقرأ بهذا ليلة، وبهذا ليلة
- ٥٧ أكثر ما أخاف على أمتي من بعدي، رجل يناول القرآن
- ٥٦٠ أكرموا قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً
- ١٦٣، ١٦١ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه
- ٧٦ ألا لا خير في قراءة لا تدبر فيها
- ٦٩٣ أنبتهم لباساً واحداً كي لا يعرف الذكر من الأنثى
- ٤٨٣ ألحقت حرمة بحرمة وما أردت إلا الخير
- ٢٣٩ القى عبد الملك بن جريح فلسه عنها
- ٤٤٤، ٤٤٣، ١٩٧ إلى العلم الذي يأخذه عمن يأخذه
- ٤٦٣ أمّا أبو بكر فلم تكن في ولايته أخماس
- ٤٦٤، ٧٢ أمّا إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول: إنهم أخطأوا فيه السنة
- ٨٢٣ أمّا إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: يجب التقطع من أصول الأصابع
- ٥٨٨ أمّا «التين» فبلاد الشام، و«الزيتون» فبلاد فلسطين
- ٤٢٨ أمّا بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر
- ١٧٤ أمّا تبتلون في أموالكم وأنفسكم وذراريكم
- ٧١٩ أمّا ظلمة الليل، وضوء النهار
- ٨٦٦ أم إليّ تشوقت

- ٣١٥ أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان
- ٦٠٤، ٥٩٧ أمتهوكون فيها يا ابن الخطأب؟!
- ٦٠٨ أمتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى
- ٤٩٩ أمأرم أنت؟ قال: نعم. فقال عمر: ما هياتك بهياة مأرم
- ٦٥٥ أمر موسى أن يدخل مدينة الجأارين، فسار بمن معه
- ٥٨٧ الأمانء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، ... وعاوية
- ٥٦٦ إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء
- ٣٥١ أنا ابن ذي الحوضين عبد المأطب
- ٤٨٣ أنا أنهى عنهما لما ثبت عندي أن النبي نسخها
- ٤٣٣ إننا أهل بيت لم يزل الله
- ٢٣١ أنا أوجدكه في القرآن، قال الله عز وجل: «فتلك بيوتهم حاوية بما ظلموا»
- ١٨٢ إن ابن أم مكتوم يؤذن بالليل، فإذا سمعت أذانه فكلوا واشربوا
- ٧٠٣ إن أحب الناس إلي يوم القيامة إمام عادل
- ٥٨١ أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، إلا أن يشاء الله
- ٣٠٦ إن أدركته علمته كلاماً لم تطعمه النار
- ٢٤٥ أنا سيد النبيين ووصي سيد الوصيين وأوصياؤه سادة الأوصياء
- ٤٦٧ إن الضمر رأس كل إثم
- ١٧١ إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم
- ١٢١ إن الرجل الأعجمي من أمتي ليقرا القرآن بعجميته
- ٢٠١ إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين
- ٦٢٣ إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة!!
- ٧٠٦ إن الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام
- ٧٥٣ أن الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم: رسول الله، وعلي، وفاطمة، وابناهما
- ٢١٨ إن العرب كانوا عند الفراغ من حجتههم بعد أيام التشريق
- ٤٣٣ إن العلم الذي نزل مع آدم
- ١٨٩ إن القرآن أنزل على سبعة أحرف
- ٥٨٧ أن الله أتمن على وجه جبريل وأنا وعاوية
- ٦٢٤ إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض
- ١٩١ إن الله أمرني أن أذنيك ولا أقصيك
- ١٦٣ إن الله أنزل على رسوله الصلاة

- ٤٣٢ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى طَهَّرَنَا وَعَصَمَنَا وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ
- ٦٩٦ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرَنِي بَيْنَ أَنْ يَغْفِرَ لِنَفْسِ أُمَّتِي أَوْ شَفَاعَتِي
- ٦٥٦ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعاً
- ٤٦٠ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
- ٨٣، ٥٣ إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ كَلَامَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ
- ٤٨٥ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُجَلِّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ
- ٧١٧ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أBRَمَ خَلْقَهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٧٤٤ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَ نَكْثَةً سُودَاءَ فِي قَلْبِهِ
- ٦٤٨ إِنَّ الْمَلَانِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ كَيْفَ صَبِرَكَ عَلَى بَنِي آدَمَ فِي الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ
- ٤٧٥ إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَجْلَوْا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ
- ٥٩٣ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْخَطِي بِعَرْجُونٍ فَأَصَابَ بِهِ سِوَادٌ مِنْ غَزِيَّةِ
- ٥٦٥ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطِيرُ الْحَمَامَ
- ٨٣٦ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَوَضَّأَ آدَارَ الْمَاءِ عَلَى مِرْقِيهِ
- ١٩٠ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا
- ٦٢٩ أَنْتَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْعَبْدِيُّ؟
- ٩٨٠ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُقَرَّبُونَ، تَقُولُونَ: «السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الصَّالِحِ...»
- ٨٦٢ أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي
- ٥٦٤ إِنَّ جِبْرَائِيلَ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ أَسْوَدٌ وَمَنْطِقَةٌ
- ٧٠١ إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ
- ٦٩٥ إِنَّ دَاوُدَ سَأَلَ رَبَّهُ مَسْأَلَةً، فَقَالَ: اجْعَلْنِي مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ
- ١٩٩ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْبَأَنِي أَنِّي سَأَهْجُرُ هَجْرَتَيْنِ: فَهَجْرَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- ١٨ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
- ٤٨٥ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الرَّسُولِ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هَذَا الْقُرْآنَ
- ٢٠٥ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ
- ٧٤٠ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ
- ٦٧٠ إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعاً وَصَلَّتْ
- ٦٧٠ إِنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ، وَصَلَّتْ خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ؟
- ٢١١ أَنْشَدْنَا، فَأَنْشَدَهُ: أَمِنْ آلِ نَعْمَ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكَّرٌ
- ٦٣٠ انْطَلَقْتُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَيْتُ خَيْبَرَ
- ٢٩٩ انْطَلَقْتُ فَأَتَيْتُ النَّاسَ وَأَنَا لَكَ عَوْنٌ

- ٢٩٩ انطلق فَأَفْتَتِ للناس، فمن سألك عما يعنيه فَأَفْتِهِ
- ٧٥٣ إِنَّ ظَاهِرَهَا: الحمد، وباطنها: ولد الولد. والسابع منها: القائم عجل الله فرجه
- ٣١٤ أَنْظِرْ ما علمت من قولهم فأخبرهم بذلك
- ٤٢٩ انظروا كيف تخلفوني فيهما
- ٣٠٦، ٣٠٥ أَنْظِرُونِي حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ
- ٥٠١ أَنْ عَزِيرٍ خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ وَامْرَأَتِهِ حَامِلًا
- ٥٣ إِنَّ عِلْمَ الْقُرْآنِ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ
- ٤٣٤ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَهُ مِنْهُ عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ
- ٧٧ إِنَّ عَلِيَّ كُلَّ حَقٍّ حَقِّقَةٌ، وَ عَلِيٌّ كُلُّ صَوَابٍ نَوْرًا
- ٤٣٧ إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ يَنْزِلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَى الدُّنْيَا
- ٦٢٥ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا
- ٢٩٥ إِنَّ فِي جَهَنَّمَ حَيَاتٍ كَالْقَلَالِ وَ عِقَارِبٍ
- ٤٥٨ أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَسْحَ، وَيَأْتِي النَّاسَ إِلَّا الْفَسْلَ
- ٢٤ إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يِقَاتِلُ عَلَيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ
- ٢٥٨ إِنْ كَانَ الْحَدِيثُ لِيُبَلِّغُنِي عَنِ الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم
- ٣٢٣ إِنْ كَانَ الْوِزْرُ فِي الْأَصْلِ مَحْتَمًا
- ٥٦٩ إِنَّكَ سَتَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي
- ٦١٥ إِنْ كَعَبَ الْأَحْبَارُ لِكُذَّابٍ
- ٦١٦ إِنَّكَ لَتَجِدَ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي التَّوْرَةِ؟
- ٤٨٧ إِنَّكَ لَجُلْفٌ جَافٍ فَلَمْعَرِي لَقَدْ كَانَتْ الْمَتْعَةُ تُفْعَلُ عَلَى عَهْدِ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ
- ٩٠٣ أَنْتُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ عِيَانًا
- ٣٣٥ إِنَّكَ مِنْ وُلْدِي وَمِنْ أَحِبِّهِمْ إِلَيَّ
- ١٧٣ إِنْ كُنْتَ تَلِيظُ حَوْضَهَا، وَ تَرْدُ نَادِيهَا
- ٨٣٩ أَنْ لَا تَمِيلُوا
- ٢٨٦ أَنْ لَا يَرِينَ الرِّجَالَ وَلَا يَرُونَهُنَّ
- ١٧٢ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةً، وَزِينَةَ الصَّلَاةِ رَفْعُ الْأَيْدِي
- ٥٦٧ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا، وَ إِنَّ حَرَمِي بِالْمَدِينَةِ
- ٥١٣ إِنَّ اللَّهَ عَالِمِينَ عِلْمَ مَكُونٍ
- ٨٠٨ إِنَّ لَهَا عَذْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، يَقُولُ تَعَالَى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ»
- ٧٦ إِنَّمَا الْقُرْآنُ أَمْثَالُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ

- ٢٨٦ إِنَّمَا فَاطِمَةٌ بَضْعَةٌ مِنِّي
- ٤٣٢ إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكْبِهَا نَجَا
- ٦٤ إِنَّمَا هَلِكُ النَّاسِ فِي الْمِثَابَةِ
- ٧٢١ إِنَّ مَلَكًا مَوْكَلًا بِنَامُوسَ الْبَحْرِ، فَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فَاضَتْ
- ٧٨٨ أَنْ مِنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مَنْ وَرَثَ مِيرَاثًا
- ٧٠٨ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بِلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً
- ٦٦٩ أَنْ نُوحًا لَمَّا أَمَرَ أَنْ يُصْنَعَ الْفُلُكُ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَأَيْنَ الْخَشَبُ؟
- ٥٩٠ إِنَّ نُوحًا لَمَّا عَمِلَ السَّفِينَةَ جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ بِأَرْبَعَةِ مَسَامِيرَ
- ٤٧٨ إِنَّهَا كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَنْهَى عَنْهَا وَأَعاقِبُ عَلَيْهَا
- ٣٠٩ إِنَّهَا لَا تَتَمُّ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
- ٧٣٠ أَنَّهُ الْحَرْفُ الَّذِي فِي آخِرِ كَلِمَةِ «الرَّحْمَنُ»
- ٧٥٠ إِنَّ هَذَا أَخِي وَكَذَا وَكَذَا
- ٧٥٠ إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ
- ١٠٣٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ وَشِفَاءُ الصُّدُورِ
- ٧٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَنَارُ الْهُدَى
- ١٠٣٦ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَالْحَبْلُ الْمَتِينُ
- ٦٧٢ أَنَّهُ رَأَى ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ»
- ٤٩٣ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتَعُوا فَاسْتَمْتَعُوا
- ٢١٩ إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمَا أَصْنَامٌ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا أَمْسَكُوا عَنِ الطَّوَافِ بَيْنَهُمَا
- ٨٥٣ إِنَّهُمْ الْأَنْثَمَةُ الْمَعْصُومُونَ
- ٣٣٥ إِنَّهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ
- ٧٤٣ أَنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ ذِكْرِ
- ٧٨٨ أَنَّهُمْ قَرَابَةُ الرَّسُولِ وَسَيِّدُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَمْرُوا بِمَعُودَتِهِمْ
- ١٨٣ إِنَّ وَسَادَكَ إِذْنَ لِعَرِيضٍ
- ٦٨٩ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ شَبِيرَ، وَشَبْرَانَ، وَأَطْوَلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْبَارٍ
- ٦٩٠ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ
- ٦٩٠ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفَرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ
- ٤٣١، ٤٢٨، ٤٢٧ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ... إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ
- ٤٢٨ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ
- ٤٢٨ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي

- ٤٢٨ إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر
- ٨٠٦ إني لم أر عمر قنع بقول عمار
- ٧٢٩ أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كان
- ١٧٦ أول ما خلق الله الماء
- ٨٠٦ أو لم ترَ عُمَرَ لم يقنع بقول عمار
- ٦٠٦ أو ليس لكم في آثار الأولين مُزْدَجَر
- ٤٤ أي أرض تظلني وأي سماء تظلني
- ٥٦ إياك أن تفسر القرآن برأيك
- ١٨٥، ٤٥ أي سماء تظلني، وأي أرض تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم
- ٢٠١ أيكم سبَّ إله الخلق جلَّ وعلا؟
- ٤٧٣ أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم
- ٤٩٣ أيما رجل وامرأة توافقا فيعشرة ما بينهما ثلاث ليال
- ٢٩٣ الإيمان يمان
- ٢٤٠ أيها الناس، إن الله أحلَّ لكم الفروج على ثلاثة معان
- ٤٨٤ أيها الناس ثلاث كنَّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهنَّ
- ٧٧ أيها الناس ما جاءكم عنِّي يوافق كتاب الله فأنا قلته
- ٢١٧ البحرين من أعمال العراق، وحده من عُمان ناحية جَرَّ فار
- ٦٧٨ البرهان: النبوة التي أودعها الله في صدره
- ١٧١ البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن
- ٦٨٩ بعثني الله ليلة أسري بي إلى يأجوج ومأجوج
- ٢١٧ بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ
- ٢٢٤، ٢١٠ بلسان سؤول وقلب عقول
- ٦٠١، ٢٢٠ بلغوا عتي ولو آية
- ٤٦٦ بل هي محرمة في كتاب الله يا أمير المؤمنين
- ٢١٦ البور، في لغة أزد عمان: الفاسد
- ٥٧٠ بيت المقدس وأكناف بيت المقدس
- ٨١٢ البيعان بالخيار ما لم يفترقا
- ٣١٠ تجتمعون إليَّ يا أهل مكة وعندكم عطاء
- ٦٠٦ تحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
- ٤٧٩ تحريمها ونسخها في القرآن

- ٣٤٢ تركتموه كالثوب النقي من الدنس
- ١٧٦ تشويها النار فتقلص شفاها العليا
- ١٢١، ١١٠ تعلموا العربية فاتها كلام الله
- ١٢١، ١٠٩ تعلموا القرآن بعربيته
- ٥٣ التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها
- ٢٠٥ التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها
- ٦٢٠ تقتله الفئة الباغية
- ٣٢٢ الثقلان كتاب الله وعترتي
- ٣١٤ جالس أهل المدينة فأني أحب أن يروا في شيعتنا مثلك
- ٩٦٧ جعل الحق تعالى في قلوب أوليائه رياض أنسه
- ٢١٠ جل ما تعلمت من التفسير من علي بن أبي طالب
- ٧٥٢ حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر
- ٩٧٧ حجابها النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره
- ٨٣٦، ٧٧٧، ٦١٩، ٦٠٦، ٦٠٥، ٦٠٣، ٦٠١، ٢٢١، ٢٢٠ حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
- ٢١٨ حد عرفه من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبالها
- ٣٢٩ حسن الصوت زينة للقرآن
- ٤٣١ الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت
- ١٥٨ خذوا عني مناسككم
- ٦٦٤ خلق الله آدم بيده
- ٦٢٦، ٦٢٥ خلق الله التربة يوم السبت
- ٧٢٨ خلق الله تعالى جبلاً يقال له: قاف، محيط بالعالم
- ٧٢٨ خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً
- ٦٨٩ خلق يأجوج و مأجوج، ثلاثة أصناف
- ٢٥ الخمس في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير
- ٣٠٥ دفناها بليل بعد هدأة
- ٣١٧ ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء
- ٦٩٥ الذبيح إسحاق
- ٢٠ ذلك العرض، و من نوقش الحساب عذب
- ١٠٣٦ ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق
- ٣٥٣ ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة

- ٤٦٣ ذو القربى هم قرابة الرسول
- ٨٣٦ رأني رسول الله ﷺ و أنا أمسك مصحفاً قد تشرمت حواشيه
- ٤٧٤ راجعها، فقال: إني طلقها ثلاثاً يا رسول الله. قال: قد علمت، راجعها
- ٩٤٣ رأيت العقل عقليين فمطبوع و مسموع
- ٤٨١ رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل
- ٦٢٨ رضيت بالله رباً و بالإسلام ديناً و بك رسولاً
- ١٧٢ رفع الأيدي من الاستكانة
- ٣٢٩ زدنا قداك أبي و أمي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول
- ٣٢٣ زوجتك خير أمتي
- ١٧٦ السابق و المقتصد يدخلان الجنة غير حساب
- ٦٦٦ ساروا في السرب سنة و نصفاً
- ١٦٩ سئل عن الاستطاعة، فقال ﷺ: الزاد و الراحلة
- ١٦٩ سئل عن السانحين، فقال ﷺ: هم الصائمون
- ٦٥٠ سئل عن المسوخ، فقال ﷺ: هم ثلاثة عشر
- ١٧٠ سئل عن معنى «عصين»؟ فقال ﷺ: «آمنوا ببعض و كفروا ببعض»
- ٦٦٩ سام أبو العرب، و حام أبو الحبش، و يافث أبو الروم
- ٩١٧ سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر
- ٥٦٩ ستفتح عليكم الشام
- ٨٢٣، ٧٢ السجود على سبعة أعضاء
- ٩٧٨ سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي
- ٢٨٢، ٢٨١ سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار
- ٢١٤ سلاني عمًا بدا لكما
- ٤٣٣ سلوا عن ذلك آل محمد
- ١٨٩ سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله
- ١٩٠ سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار
- ٧١٩ السماء الدنيا موج مكثوف
- ٥٧٣ سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمر بن الخطاب نور في الإسلام
- ٢١٦ السمود: الفناء، وهي يمانية
- ١٦٩ سياحة أمتي الصيام
- ٣٣١ سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده

٩٥٣، ٩٤٦	الشرك في أمتي أخفى من ديب النمل على الصفا
٣٨٨	شهد رسول الله بدرأ في ثلاثمائة وثلاثة عشر
٣٩٩	صار ثمن المرأة تسعاً
٥٦٩	صدّقوا: الأبدال الأوصياء، جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء
٢٨٥	صلاة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة
٧٥٢	صلاة الظهر
٧٥٣	الصلاة الوسطى الظهر
٣٠٥	الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
١٦٦، ١٥٨	صلوا كما رأيتموني أصلي
٣٥٤	طلب العلم فريضة على كل مسلم
٤٧٠	طلق عبدالله بن عمر امرأته ثلاثاً
٨٨	ظهر القرآن الذين نزل فيهم
٨٨، ٢٣	ظهوره تنزيله و بطنه تأويله
١٧٠	عبادة لكل مكين
٤٢٧	عترتي أهل بيتي
٨٦٢	علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل
٨٦٢	العلماء وروثة الأنبياء
٩٨٩	العلم نقطة كثرها الجاهلون
٤٤٤، ٢٨	علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه
٤٣٢	عليّ عترة رسول الله ﷺ
١٠٣٦	عليكم بكتاب الله، فإنه الحبل المتين والنور المبين
٢٠٠	عليّ مع الحقّ، والحقّ معه
١٩٠	عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ
٨٧٧	عليّ و فاطمة و ابناهما
٤٨٤	على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ
٤٨٥	على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ
٥٧٣	عمر بن الخطاب نور في الإسلام و سراج لأهل الجنة
٥٤٨	المُعَرِّي ثقني، فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي
٥٤٨	المُعَرِّي و ابنه ثقتان، فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّيان
٧٥	إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن

- ٨٧٨ فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها
- ٧٨٧ فالبعوضة: أمير المؤمنين وما فوقها: رسول الله
- ٨٣١ فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود
- ٤٦٢، ٢٤ فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام
- ٤٢ فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفة فائتم به
- ٤٢٨ فانظروني بم تخلفوني فيهما
- ٤٣٣ فأتاما على الناس أن يقرأوا القرآن
- ١٧١ فأنها بشارة المؤمن عند الموت، يبشّر بها عند موته
- ٥٤٨ فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا
- ١٧٤ «فتتعد ملوماً محسوراً» الإحساس: الإقتار
- ١٨٣ الفجر هو الخيط الأبيض المعترض
- ٤٦٤ فما كان لله فرسوله، وما كان لرسول الله فهو للإمام
- ٨٦ فما من آية إلا ولها ظهر وبطن
- ١٩٠ فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأها وأملاها عليّ
- ٤٩٨ فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلّ وليجعلها عمرة
- ٦٩٠ فوالذي نفس محمد بيده إنّ دوابّ الأرض لتسمن
- ٦٤٤ فيخبروكم بحق فتكذبوا به
- ١٥٩ «في سدر مخضود» يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة
- ٤٣٢ في كل خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي
- ٤٦٢ في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير
- ٢٠٨ فيما بلغني نزل في النضر بن حارث ثماني آيات من القرآن
- ٦٦٩ قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة
- ٩٤٢ قال الله تعالى: لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن
- ٥٦ قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي من فسرّ برأيه كلامي
- ٨٠٣ قال الله عزّ وجلّ: «ما آمن بي من فسرّ برأيه كلامي»
- ٩٤٥، ٥١ قالت الحكمة: من أرداني فليعمل بأحسن ما علم
- ٤٩٨ قد علمتم أنّي أتاكم لله وأصدقكم
- ٥٨٧ قد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر
- ٤٨١ قدم عمرو بن حريث الكوفة فاستمع بملواة، فأتي بها عمّر
- ٤٣٤ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهر وبطن

- ١٢٠ القرآن حمّال ذو وجوه
- ٥٤٠ القرآن يفسّر بعضه بعضاً
- ٣٧٨ ، ٨٩ ، ٦٧ القرآن ينطق بعضه ببعض
- ٤٣٤ قرأت على النبي ﷺ سبعين سورة من القرآن
- ٤٣٤ قرأت على رسول الله ﷺ تسعين سورة
- ٤٣٥ قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي عليّ تسعة أجزاء
- ٧٥٥ قولوا: اللهم صلّ على محمد و على آل محمد
- ٩٩٤ قيّدوا العلم بالكتابة
- ٢٠٢ كان أبي (الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام) يحبه (أي ابن عباس) حباً شديداً
- ٢٨٢ كانا على هذا الأمر
- ٥٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٥٨ ، ٤٩ ، ٤٧ كان الرجل متى إذا تعلّم عشر آيات لم يتجاوزهنّ حتى يعلم
- ٧١٥ كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة
- ٤٧٥ كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر
- ٦٤٩ كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة و المموّهون
- ٢٦٢ ، ٢٦١ كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول
- ٦٦٨ كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة
- ٦٦٤ كانت من سدر الجنة، طول اللوح اثنا عشر ذراعاً
- ٤٦٢ كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية فغنموا، خمّس الغنيمة
- ٢٨٢ كان سعيد بن المسيّب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي
- ١٩٨ كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق
- ١٧٢ كانوا يخدقون أهل الطريق و يسخرون
- ٨٠٦ كان يكفيك - أي التيمم - !
- ٤٢٧ كتاب الله و أهل بيتي
- ٤٣٠ كتاب الله و سنتي
- ٦٢٨ كتاب نسخهته لنزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ
- ٤٤٥ كذّابون مكذّبون كفّار عليهم لعنة الله
- ٣٠٩ كذب أبو ظبيان أما بلغك قول عليّ فيكم
- ٢٣١ كذب كعب الأحبار، كذب كعب الأحبار، كذب كعب الأحبار
- ٦٤٩ كذبوا في قولهم: إنهما كوكبان
- ٤٩٨ كرهت أن يظلموا مغرّسين بهنّ في الأراك

- كلّ أمر يريدّه الله فهو في علمه قبل أن يضعه ٤١
- كلّ بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمّه إلاّ مريم وابنها ١٠١٩
- كلّ شيء خلق من الماء ١٧٥
- كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة ٧٧
- كلّ مسكر حرام، وكلّ مسكر خمر ٣٥٤
- كلّ هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟ ٤٥
- كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق ٤٨١
- كنّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: «يا أيّها الرسول بلغ...» - أنّ عليّاً مولى المؤمنين ١٩٣
- كنت أوّل داخل على النبي ﷺ وآخر خارج من عنده ١٩٠
- كنت عند النبي ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن سرّك أن تنظري ٥٦٦
- كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان ٥٦٦
- كنت لا أدري ما ما «فاطر السماوات» حتّى أتاني أعرابيّان ٢١٥، ١٨٦
- كنتم أمواتاً قبل أن يخلقكم؛ فهذه ميتة، ثمّ أحياكم ٢٠٧
- كنت نبياً و آدم مجبول في طينته ٩٨٠، ٩٨١
- كنيف ملئ علماً ٧٧٣
- كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ٥٩٩
- كيف طلقها ثلاثاً؟ قال: في مجلس واحد! فقال رسول الله ٤٧٤
- لا إلاّ بكفّه ٤٥٧
- لا أوتي برجل تزوّج امرأة إلى أجل إلاّ رجّمته ٤٨٥
- لا تؤوّل كتاب الله عزّ وجلّ برأيك ٥٦
- لا تتبعوا هؤلاء فإنهم قد هوكوا و تهوكوا ٦٣١
- لا تحدّث به السفلة فيذيعونه ٣٥٧
- لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ ٥٧٠
- لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٥٩٨، ٢٢٥
- لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلّوا أنفسهم ٦٤٤، ٦٠٣، ٢٢٥
- لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ٦٤٤، ٦٠٣، ٥٩٩، ٢٢٥، ٢٢١
- لا تصلّ! فقال عمار: أما تذكر ٨٠٦
- لا تقدّموها فتهلّكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلّكوا ٤٢٩
- لا تملّوا أعينكم من أعوان الظلمة ٢٨٦
- لا سبق إلاّ في خفّ أو حافر أو جناح ٥٦٤

- ٥٧٧ لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر أو جناح
- ١٩١ لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل
- ١٩٠ لأنني كنت إذا سأته أنبأني وإذا سكت ابتدأني
- ٥٦٦ لاها الله، لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله
- ٤٣٦ لا والذي فلق الحية وبرأ النسمة
- ١٧٠ لا ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر
- ١٨٤ لا، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف الله
- ٨٠٦ لا يتيمم، وإن لم يجد الماء شهراً
- ٥٧٠ لا يزال أهل الفرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
- ٨٠٦ لا يصلي حتى يجد الماء
- ٦١٤ لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور
- ١٨٢ لا يمنعكم أذان بلال من سحوركم فإنه ينادي بليل
- ١١٧ لتبعن سنن من قبلكم شهراً بشهر
- ٤٤١ لتطفن الدنيا علينا بعد شماسها
- ٦١ لعن الله المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبياً
- ٣٣٥ لعن الله عمرو بن العاص، فإنه كتب إلي يخبرني أنه قتله بالإسكندرية
- ٤٤٥ لعنه الله إنه أعمى القلب أعمى البصر
- ٧٦ لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون
- ٢٢٥ لقد جنتكم بها بيضاء نقية
- ٩٠٥ لقد قف شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث، من حدّثكهن فقد كذب
- ٩٥٠، ٩٤٩، ٩٤٧ لكل آية ظهر و بطن و حدّ و مطلع
- ٨١٢ للراجل سهم ولل فارس سهمان
- ٦٧٦ لما جمع الملك النسوة قال لهن: أنتن راودتن يوسف عن نفسه؟
- ٢٠٨ لم أزل حريصاً أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ
- ٥٩٠ لما عرج بي إلى السماء، قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعدي علي
- ٦٧٦ لما قال يوسف ذلك قال له جبرئيل ﷺ: ولا يوم هممت بما هممت به؟
- ٢١٥ لم أكن أدري ما «افتح بيننا وبين قومنا بالحق» حتى سمعت
- ٦٤٩ لما مات سليمان النبي ﷺ وضع الشيطان السحر
- ٥٩١ لما مرض رسول الله ﷺ قال لبلال: هلّم علي بالناس
- ٥٩٠ لما نزلت «إذا جاء نصر الله والفتح» جاء العباس إلى علي

- لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ فَصَلَّ لِرَبِّكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَا جِبْرِيْلُ ١٧٢
- اللَّمَمُ: الرَّجُلُ يَلْمُ بِالذَّنْبِ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ ٢٨٥
- لَمْ يَجْرُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ إِلَّا وَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مِثْلَهُ ٥٠٦
- لَمْ يَرْعُ عَمْرٌ إِلَّا أُمَّ أَرَاكَةَ قَدْ خَرَجْتَ حَبْلِي، فَسَأَلَهَا عَمْرٌ ٤٨٢
- لَمْ يَسْعُنِي سَمَانِي وَلَا أَرْضِي وَلَا كُنْ وَسْعُنِي قَلْبَ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ ١٤٦
- لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حِكْمَةٌ وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ ٦٩
- اللَّهِمَّ أَنْتَنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَا كَلَّ مَعِي ٧٤٩
- اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا ٥٦٨
- اللَّهُمَّ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُ دَارَ ٨٧٥
- اللَّهُمَّ انصُرْ مِنْ نَصْرِ عَلِيًّا ٣٤٤
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْيَا عَلَى مَا حَيَّيَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ٢٠٠
- اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَأَنْشُرْ مِنْهُ ٢٠٤، ١٩٨
- اللَّهُمَّ بَيَّتْ لِسَانَهُ وَاهْدِ قَلْبَهُ ١٨٨
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ وَفَقَّهُهُ فِي الدِّينِ ٢٥٨
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ ٥٦٨
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ١٩٨
- اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ ٧٧٣، ٤٣٦، ١٩٨، ٥٩، ٤٧
- اللَّهُمَّ لَا تُبْقِنِي لِمَعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ٨٠٨
- لَوْ أَدْرَكَتْ عِكْرَمَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ لَنَفَعْتَهُ ٣٠٦
- لَوْ أَدْرَكَتْهُ لَنَفَعْتَهُ ٣٠٦
- لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْرَفَ بِكِتَابِ اللَّهِ مَنِّي تَبْلَغُهُ الْمَطَايَا ٤٣٤
- لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَضْرَبْتُ إِلَيْهِ أَبَاطِ الْإِبِلِ ١٩٣، ١٨٩
- لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنْوُطًا بِالثَرِيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارَسٍ ١٧٥
- لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنِيُّ مِنْ هَذَا، وَالْكَاتِبُ مِنْ تَيْفٍ، لَمْ يَقَعْ فِيهِ هَذَا ٢١٥
- لَوْ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ ٩٤٢
- لَوْ أَنَّ عَمْرٌ نَهَى عَنِ الْمَتْعَةِ مَا زَنَى إِلَّا شَقِيًّا ٤٨٧، ٤٧٩
- لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ ٨٦٩
- لَوْ لَمْ يَقُلْ - يَعْنِي يُوسُفَ - الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَهَا، مَا لَبِثَ فِي ٦٨١
- لَيْسَ بِشَيْءٍ. ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ ٤٧٠
- لَيْسَ بِمَلِكٍ وَلَا نَبِيٍّ، وَلَكِنْ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا ٥٠٣

- ٦٠٩ ليس لك أن تبيع
- ٥٠٧، ٤٨٩ ليس منّا من لم يقل بمتعتنا
- ٦١١ ليلزم كلّ إنسان مصلاًه
- ٢٧٠ ليبيّنك العلم، أبا المنذر
- ٢١٠، ١٩٨، ٤٧ ما أخذت من تفسير القرآن فمن عليّ بن أبي طالب
- ١٢١ ما استوى رجلان في حسب ودين قطّ
- ٥٩١ ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب
- ٤٤٠ ماؤمكم: أبوابكم، أي: الأئمة عليهم السلام، والأئمة أبواب الله بينه وبين خلقه
- ٢٨ ماؤمكم: أبوابكم، والأئمة: أبواب الله، فمن يأتيكم بماء معين
- ٧٦ ما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله
- ١٧٣ ما يُسوّقها؟ فقال عليه السلام: طولها
- ٣١٠ ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحجّ
- ٣٢٣ ما تحمد الله عليه فهو منه
- ٣٠١ ما حدّثكم عكرمة عتيّ فصدّقه، فإنّه لم يكذب عليّ
- ٩٤٣ ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل
- ٦٢ ما علمتم فقولوا و ما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم
- ٢٤٠ ما عندك في المتعة؟
- ٢٣ ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر و بطن
- ٤٦ ما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يفسّر شيئاً من القرآن إلّا آياً تُعدّ
- ٤٧٩ ما كانت المتعة إلّا رحمة من الله رحم بها عباده
- ٢١٦ ما كنت أدري ما معنى «يحور» حتّى سمعت أعرابية تقول
- ٦٨٧ ما لي و ما لهم،... إن شئتم سألتهم فأخبرتكم
- ٨٨ ما من آية إلّا ولها ظهر و بطن
- ٩١٠ ما من مولود يولد إلّا والشيطان يمسه حين يولد
- ٤٥٨ ما نزل القرآن إلّا بالمسح
- ٦٣٠، ٦٢٨ ما هذا في يدك يا عمر؟!... فقال: يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم
- ٢١٥ ما هيئنا من هذيل أحد؟
- ٦١٥ ما يُبيكك؟ فقالت: هذا اليهوديّ يقول: إنك على باب من أبواب جهنّم!
- ٨٠٧ ما يمنعك يا فلان أن تصلّي في القوم؟
- ٤٨٥ متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنا أنهى عنهما

- ٤٨٣ متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا محرّمهما
- ٤٧٩ المتعة منسوخة نسختها الطلاق و العدة و الميراث
- ٨٨٥ مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلمتكم
- ٧٢١ المجرة التي في السماء هي عرق حية تحت العرش
- ٧١٩ مرحباً بالمهاجر الأول
- ٦٤٨ معاذ الله من ذلك، إن الملائكة معصومون
- ٥٩١ معاشراً أصحابي، أي نبي كنت لكم، ألم أجاهد بين أظهركم
- ٧٠٣ المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمان
- ٤٠٩ مكثت سنة و أنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرين
- ٢٠٨ مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبي ﷺ
- ٧٦٩ ملك من الملائكة معه مخاريق من نار
- ٧٢٣ ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب
- ٢٨٦ من اتقى الله عاش قوياً
- ٩٤٥ من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه
- ٣٥٢ من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري
- ١٧٠ من تركه (الحج) لا يخاف عقوبته و لا يرجو مثوبته
- ٨٠٢، ٥٧ من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
- ٥٧ من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
- ٥٥ من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار
- ٢٠٠ من تمسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين
- ٧٠٤ من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته
- ٥١٣ من زعم أن الله عز و جل يبدو له
- ١٩٢ من سره أن يقرأ القرآن غصاً طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد
- ٤٩ من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
- ٦٣، ٦٢، ٥٧ من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر
- ٤٩ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
- ٥٧٢ من فعل اليوم كذا فله كذا، و من فعل كذا فله كذا
- ٥٧ من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم
- ٥٩، ٥٧ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
- ٤٩ من قال في القرآن برأيه فقد كفر

- من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٥٧، ٨٠٣
- من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ٥٧
- من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة مُلجماً بلجام من نار ٥٧
- من قال: لا إله إلا الله، خلق الله كل كلمة منها طيراً ٥٧٧، ٦٣٧
- من قتل مؤمناً على دينه فذلك ٤٦٩
- من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ٤٨، ٥٦٣، ٦٠١
- من كنت مولاه فعلي مولاه ٢٩٦
- من مات على حب آل محمد مات شهيداً ٨٧٧
- من هذا وقومه. والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثريا ١٧٥
- من وسع عليك الطريق ٣٢٣
- الميزان الذي وضعه الله للأتام ٢٧
- النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم ١٧٤
- النجوم أمان لأهل الأرض من الفرق ٤٣٢
- نزلت في القائم وأصحابه ٤٤٢
- نزلت في أمة محمد خاصة ٤٣٣
- نزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في سفر ٧٥٢
- نزل جبرئيل على النبي ﷺ وعليه قباء أسود ومنطقة ٥٨٨، ٥٦٥
- نعم، استمتعتنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ٤٨١
- نعم الفارس عويمر ٢٧٢
- نعم ترجمان القرآن ابن عباس ٤٧، ٢٥٩
- النعيم: المعرفة والمشاهدة والجحيم: ظلمات الشهوات ٨٧٦، ٩٦٧
- نور يذف به فينشرح له وينفسح ١٧١
- النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة ٦٢٤
- هؤلاء قوم حزقيل - ويقال له ابن المجوز - فرّوا من القتال ٥٠١
- هذا الشيطان أيس من عبادته ١٩١
- هذا عطية الله ٢٤٨
- هذا في الرجعة ٥٠٠
- هذا لعمر الله هو التكلّف، فما عليك أن لا تدري ما الأرب ١٨٤
- هذا وإنما أكل ابنه، فلو أكله رُفِع في عليين ٥٩٠
- هذا يوم من أيامك ٢٩٨

- ١٨٥، ١٨٤ هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم... فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمرا!
- ٣٥٦ هكذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، ويُجلس المملوك على الأسرة
- ٩٠٣ هل تضارون في رؤية الشمس والقمر دونهما صاحب؟
- ٥١ هل عندك علم عن النبي لم يقع إلى غيرك قال: لا إلا كتاب الله
- ٥٩١ هلّم عليّ بالناس، فاجتمع الناس
- ٧٧٣، ٧٧٠ هم آل محمد ﷺ
- ٤٤١ هم آل محمد يبعث الله
- ٤٤٢ هم أصحاب المهدي في آخر الزمان
- ١٧٥ هم الفرس، هذا وقومه
- ٢٨٥ هو الذئب يلمّ به الرجل
- ٤٥٧ هو الذي نزل به جبرئيل ﷺ
- ٢١٧ هو بالعربية الأسد، وبالفارسية شار (شير)، وبالقبطية أريا
- ٢٧٢ هو حكيم أمتي
- ١٧٥ هو رجل وُلد عشرة من الولد
- ١٧٤ هو قرن يُنفخ فيه
- ٢١٧ هو قول أحدهم: زه هزار سال، يقول: عش ألف سنة
- ٢١٧ هو قول الأعاجم: «زَه، نوروز، مهرجان حر»
- ٤٦٣ هو لقربي رسول الله ﷺ قسّمه لهم رسول الله ﷺ
- ٩٦٣ الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل
- ١٧١ هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو ترى له
- ٧٥٢ هي أوّل صلاة صلاها رسول الله ﷺ وهي وسط صلاتين بالنهار
- ٣٢٣ وأبوها خير منهما
- ٢٠٨ وأعجباً لك يا ابن عباس! هما: عائشة وحفصة
- ٢٦٤ واعلم أنّ القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل
- ١٩٧ وأقرؤهم أبي بن كعب
- ٢٨٥ والأواب: النواحي المتعبّد الراجع عن ذنبه
- ٤٤١ والذي بعث محمدًا بالحقّ بشيراً
- ٢٦٣ والذي لا إله إلا هو، ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت
- ٦٢٨ والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم أتبعتموه
- ٥٨٩ «والعصر» قسم من الله أقسم ربكم بأخر النهار

- ١٥٩ والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم
- ٨٣٦ والله لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أتباعي
- ١٩٠ والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت
- ٢٠٩ وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه من تسيير الجبال
- ٢٠٩ وأنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك
- ٦٠٧ وإنما تسيرون في أثر بين وتكلمون
- ٥٤٤ وإنما هو تعلم من ذي علم... علم علمه الله نبيه
- ٢٥٨ وإنما هو تعلم من ذي علم علمه الله بنبيه وعلمنيه
- ٢٠١ وجبت والله في أعناق القوم...
- ٥٦٠ وسيكون في أمّتي رجل يقال له: محمد بن إدريس
- ٢٦٣ وصدر المفسرين من الصحابة، عليّ ثم ابن عباس
- ٣٠٨ الوضوء غسّلتان ومسحتان
- ٦٤١ وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله
- ١٩١ وقد علمتم موضعي من رسول الله
- ٤٢٩ وقفوههم أنّهم مسؤولون عن ولاية عليّ
- ٣١٥ وكان أبان إذا قدم المدينة
- ٧١٨ وكلّ بالشمس تسعة أملاك، يرمونها بالثلج
- ٤٣٢ ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم
- ١٩٨ ولكلّ شيء فارس، و فارس القرآن ابن عباس
- ٢١٥ ولم يدر ما معنى التخوّف هنا!
- ٨٨، ٢٤ ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم
- ١٥٨ وليس كلّ أصحاب رسول الله كان يسأله
- ٩٤ وهل الإيمان إلا الحبّ والبغض
- ٨٦ وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل
- ٦٢٠ ويحك يا ابن سميّة، تقتلك الفئة الباغية
- ٧٥٦ ويكون خليفتي
- ٧٦ ويل لمن لا كها بين لحبيبه ثم لم يتدبّرها
- ١٩٤ يا ابن مسعود، أنّه قد أنزلت عليّ آية
- ٦١٧ يا أمير المؤمنين، هذا كعب يقول كذا وكذا!
- ٤٢٨ يا أيّها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا

- ٣٢٣ يا بن آدم أزعمت أن الذي نهاك
- ٣٥٨ يا جابر حديثنا صعب مستصعب
- ٦٨٨ يا جوج و مأجوج أمة
- ٣٢٠ يا حسن أسبغ الوضوء
- ٤٥٢، ٧٧ يا زرارة، قاله رسول الله ﷺ و نزل به الكتاب
- ٢٨١ يا سعيد! أفرغت؟ فقلت: نعم، يا ابن رسول الله ﷺ فقال: هذا التسيب الأعظم
- ٥٠٣ يا سلمان، إنك مدرکہم و أمثالک و من تولاهم حقيقة المعرفة
- ٥٦٦ يا عائشة، إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار
- ٥٦٦ يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي
- ٢٠٠ يا عطاء، من القوم؟
- ٣٢٦ يا علي، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه
- ٥٩٠ يا عم، إن الله جعل أبا بكر خليفتي عن دين الله و وحيه
- ١٧٥ يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟
- ٧٢١ يا معاذ، إنني مرسلک إلى قوم أهل عناد
- ٦٣٣، ٢٢٤ يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب
- ٩٤٧ يا وابصة! استفت قلبك؛ البر: ما اطمأنت إليه النفس
- ٥٠٦ يُحشر المتكبرون في صورة الذرّ يوم القيامة
- ٤٣٣ يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول
- ٥٦٠ يخرج الناس من المشرق إلى المغرب
- ٤٨٧ يرحم الله عمر، ما كانت المتعة إلا رحمة من الله
- ٦٦٤ يريد ألواح التوراة
- ٧٨ يُعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عزّ و جلّ
- ٣٣٥ يقتله خير أمتي من بعدي
- ٥٦٠ يكون في أمتي رجل يقال له: محمّد بن إدريس
- ٢٠١ يوم الخميس، و ما يوم الخميس!
- ٧١٥ [إرم ذات العماد] كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة

فهرس الأعلام

	(حرف الألف)
٤٠٦، ٤٠٠، ٣٩٧، ٣٦٧، ٣١٦، ٣١٥	آدم ﷺ، ١٤٦، ٤٤٨، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٤٠
٩٢٥، ٩٢١	٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦٤
أبان بن صالح، ٣٦٢	٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٧١٧، ٧٥٦، ٧٦٩
إبراهيم، ٤٦، ١٩٥، ٣٩٠، ٦١٣	٧٨٨، ٨٣١، ٨٦٩، ٨٧٢، ٩٦٢، ٩٦٣
إبراهيم ﷺ، ٢٢٠، ٣٥٣، ٣٧٤، ٣٨٠، ٤٥١	٩٨٠، ٩٨١، ١٠١٣، ١٠١٦
٦٠٢، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٧	آدم بن أبي أياس، ٢٩٢، ٣٦٤
٦٩٨، ٦٩٩، ٧٥٥، ٨٨٩، ٨٩٠، ٩٦٩	آزاد، أبو الكلام، ٣٨٠
إبراهيم بن إسماعيل بن عليّة، ٤١٤	أصف بن برخيا، ٦٥٠
إبراهيم بن جابر، ٥٧٩	آل كاشف الغطاء، محمد حسين، ١٢٢، ٥٠٩
إبراهيم بن عثمان العربي، ٥٨٥	٥١٠
إبراهيم بن مسيرة، ٢٩٦	الآلوسي البغدادي، محمود أفندي، ١٩٣
إبراهيم بن هاشم، ٧٥٦	٢٥١، ٤٥٨، ٦٥٦، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦
الأبطحي، ٣٣٣	٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٨١٥، ٨٤٦، ٨٩٦
الأبطحي، السيد محمد باقر، ٢٠٤	٨٩٧، ٩١٤، ٩٩٨
إيليس، ٥٠٣، ٥٦٠، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٧٠، ٦٨٩	آموزگار، حبيب الله، ٩٨٤
٧٠٦، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٦، ٨٦٥، ٨٦٨	أبا صالح، ٢٥٣
٨٨٦، ٨٨٨، ٨٩٢، ٩١٠، ٩١٠، ١٠١٣، ١٠١٥	أبان بن أبي عيّاش، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٧٢٨
١٠١٦، ١٠١٩	أبان بن تغلب، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٥، ٣١٠، ٣٦٤
ابن أبي أصيبعة، ٨٧٤	

ابن أبي الحديد، ٤٣، ٤٤، ١٨٩، ١٩٠، ٢٠١،	ابن أشيم، ٤٧٣
٢٠٣، ٢٧٢، ٢٨٣، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣،	ابن الأبرص، ٢١٤
٣٣٤، ٣٣٥، ٤٢٠، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥٥٧،	ابن الأثير، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٩، ٣٣٦، ٣٤١،
٥٦٦، ٥٦٧، ٦١٥، ٨١١، ٨٤٠	٣٤٥، ٤٧٩، ٥٦٩، ٥٨٠، ٨١٧
ابن أبي الدنيا، ٦٤٥، ٧٢٨	ابن الأزرق، ٢١٦
ابن أبي العوجاء، ٥٧٦	ابن الأشعث، ٢٤٨
ابن أبي حاتم (محمد بن عبد الرحمان)، ٥٢،	ابن الأتباري (كمال الدين عبد الرحمان)، ٥٨،
١٩٧، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٦، ٣٠٢،	٢١٢، ٣١٣، ٣٩٣، ٤٦٧، ٧٧١، ٩٢٣،
٣٠٤، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٩١، ٦٤٧،	ابن الجوزي، أبو الفرج، ٦٨٩
٦٥٥، ٦٥٦، ٦٦٦، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٤، ٦٨٦،	ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد
٦٨٨، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٦،	المطلب، ٢٢٧
٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٢، ٧١٤، ٧١٧،	ابن الحجّام، ٤٤٥
٧٣١، ٧٥٣، ٧٥٥، ٨٠٩، ٨٦٠	ابن الحنيفة، ٢٥٨
ابن أبي خيشمة، ٦١٣	ابن الخطيب، ٨٧٤
ابن أبي داود، ٧٢، ٣٥٥، ٤٦٤، ٨٢٣،	ابن الدواليبي، ٧٧٤
ابن أبي ربيعة، ٢١٢	ابن الرومي، ٩١٠
ابن أبي رواد، ٣٥٠	ابن الزبير (عبد الله)، ١٨٧، ٢٤٧، ٢٨٧، ٤٨٤،
ابن أبي شيبة، ٢٢٥، ٢٣٥، ٣٩٣، ٤٨٩، ٥٩٧،	٤٨٥، ٤٨٧
٨٠٦	ابن الشاذكوني، ٤١٨، ٥٨٥
ابن أبي عمير، ٢٥٧	ابن الصلاح، ٢٦٢
ابن أبي ليلى، ٢٤٩، ٢٧٥، ٣٢٧، ٣٢٧، ٣٢٧،	ابن الطباخ، ٨٧٨
٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٣، ٤٦٣	ابن الطباخ، ٥٦٣
ابن أبي مليكة، ٢٨٧، ٣٦٣، ٣٦٧	ابن العجوز، ٥٠١
ابن أبي يزيد، ٢١٥	ابن العربي (محمد بن عبد الله بن محمد
ابن أبي يعلى، ٨٠٩	المعافري)، ٤٦٨، ٤٧٩، ٨١٨، ٨٣٤،
ابن أذينة، ٢٤٠	٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٩، ٨٩٧
ابن أرتاة، ٣١٠	ابن الغضائري، ٨٥٠
ابن إسحاق، ١٧٥، ٢١٧، ٣٢٨، ٣٩٣، ٤٠٠،	ابن الفضل، ٣٩٨
٤٠١، ٤٨٨، ٦٦١، ٦٨٤، ٦٨٦، ٧٠٩،	ابن الفضيل، ٤٠٣
٧١٣	ابن القيم الجوزي، ٤٧٨، ٤٨٥، ٤٩٤، ٤٩٨،

٢٣٨، ٢٣٩، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٧٧، ٣٨٣، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٧، ٤٨١، ٥٣٢، ٥٧٨، ٥٩٣، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦٢٧، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٩١، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٣١، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٥٩، ٧٤١	٤٩٩، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٨١، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٥١، ٦٥٧، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧١٦، ٧١٧، ٧٣٠، ٧٦٣، ٧٦٤، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٥
ابن جرير ← الطبري، أبو جعفر	ابن الكوا، ٥٠٣
ابن جنّي، ٧٦٣	ابن المبارك، ٢٤٣، ٤٠٠، ٤١١، ٥٥٨، ٧٦٠
ابن جواس، ٢٩٩	ابن المديني، ٢٣٨، ٢٨٠، ٢٩٩
ابن حبان، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩٣، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٨٥، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤١٣، ٤١٩، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٧، ٦١٣، ٦٩٠، ٧٠٢، ٧٠٩	ابن المسيّب، ٢٨٥
ابن حجر ← العسقلاني، ابن حجر	ابن المظفر، ٧٧٤
ابن حزم الأندلسي (عليّ بن أحمد)، ١٣١، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩٩، ٨٢٣	ابن المنذر، ٢٣٣، ٣٦١، ٤٦٣، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٧٦، ٦٨٦، ٦٩٠، ٧١٢
ابن حكيم، ٣٠١	ابن المنير، ٢٩١، ٤٧١، ٩٠٣، ٩٠٩، ٩١١
ابن حميد، ٣٢٨، ٧٤٨	٩١٣، ٩١٤
ابن خالويه، ٤٧١، ٧٦٣	ابن المهدي، ٣٥٦، ٣٩٨، ٤٠٩، ٥٦٤، ٨١٠
ابن خراش، ٣٤٥	ابن النجار، ٦٨٨
ابن خزيمة، ٣٤٧، ٣٦٤	ابن السديم، ٢٥٠، ٢٥٤، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٤٥، ٥٣٣، ٧٣٤، ٧٥١، ٧٧٢، ٨٠٩
ابن خلدون، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٤، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٥٨، ٨١٢، ٨١٦	٩٢٤، ٩٢١
ابن خلّكان، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١١، ٣٢٤، ٣٥٠، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤٨٦، ٥٣٢	ابن النقيب محمّد بن سليمان البلخي، ٦٣
	ابن أمّ الدهماء، ٢٧٩
	ابن أمّ عبد، ٢٧١
	ابن أمّ مكتوم، ١٨٣
	ابن بريدة، ٦١١
	ابن تميمية، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٤٦، ١٥٩، ١٦١، ٢٢٠، ٢٧٠، ٢٩٢، ٣٣٠، ٣٦٣، ٣٨٩، ٦٠١، ٦١٩، ٦٩٩، ٧٣٣، ٧٥٥، ٧٦٢، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٧٥، ٧٧٧، ٨١٤، ٨٥٩، ٨٦١، ٨٩٨، ٩٦٥

ابن عامر، ٤٥٧، ٩١٢	٩٢٦، ٨٧٢، ٨٧٢، ٧٥٨، ٧٣٤
ابن عباس، ٥، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٥٣، ٥٧، ٥٨	ابن خيثمة، ٢٩٩
٥٩، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨	ابن داود، ٣٣٠، ٣٩٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨
١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ١٩٩	ابن دُرَيْد، ٤٢٣
٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥	ابن ذي الحوزين، ٣٥١
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢	ابن رسته، ٤٠٤
٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨	ابن زعنة، ٧٤٨
٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤	ابن زهرة، ٨٦٣
٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠	ابن سعد، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٥٣
٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦	٢٨١، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٠، ٣١٦
٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢	٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢
٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢	٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩	٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٤١٢، ٦٠٩
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٧	٦١٤، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٢١، ٧٣٤، ٧٧٢
٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣	ابن سلام، ٦٣٨، ٦٣٤
٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١	ابن سليمان بن عبد الملك، ٢٩٧
٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩	ابن سمية، ٦٢٠
٣١٠، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٤٣، ٣٤٥	ابن سيده، ٤٦٧، ٤٦٨
٣٤٦، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢	ابن سيرين، ٤٥، ٣٢٤، ٣٤٨، ٤٨٩، ٥٨٣
٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩	ابن شبرمة، ٢٤٧
٣٧١، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩١	ابن شبيب، ٧١٩
٣٩٢، ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١٢، ٤٣٥، ٤٣٦	ابن شهاب، ٢٨٠، ٣٤٩، ٤٨٨، ٦١١
٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥	ابن شهبة، ٧٧٥
٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٤	ابن شهر آشوب، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٤، ٢٨٢
٤٨٥، ٤٨٧، ٥٣٦، ٥٣٢، ٥٤١، ٥٥٣	٢٩٤، ٣٣٢، ٣٥٧، ٣٩٢، ٥٩٣، ٧٣٥
٥٥٤، ٥٦٢، ٥٨١، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠	٨٦٤، ٨٩٨، ٩٣٠
٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦١٧، ٦١٨	ابن صائد، ٢٣١
٦٢٣، ٦٢٣، ٦٢٣، ٦٢٣، ٦٢٣، ٦٤٥	ابن طاووس، ١٩٤، ٢٩٦، ٣٤٦
٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٦٨	ابن طاووس، السيد رضي الدين، ١٨٩، ٢٠٢
٦٦٩، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٦، ٦٧٨، ٦٨١	٢٦٣، ٣٣١، ٣٩٤، ٥٠٣، ٧٣٦

ابن عياش، ٥٠٤	٧٠٠، ٦٩٨، ٦٩٣، ٦٩١، ٦٨٩، ٦٨٤
ابن عيسى، ٤٠٣	٧٢٤، ٧٢٣، ٧٢١، ٧١٧، ٧١٦، ٧٠٦
ابن عيينة، ٢٤٣، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣١٦	٧٤٣، ٧٤٠، ٧٣٤، ٧٣٣، ٧٢٩، ٧٢٨
٣٢٤، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٣، ٤١٧، ٤١٩	٧٧٣، ٧٧٠، ٧٦٩، ٧٥٩، ٧٤٨، ٧٤٥
٦٦٦، ٧٣٣	٨٣٩، ٨٢٤، ٨٢٢، ٨٠٨، ٨٠٣، ٧٧٦
ابن فورك، ٤٢٠، ٩٦٨	٩٨٢، ٨٦١
ابن قاضي شهبة، ٧٧٤	ابن عبد البر، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٤٧٦
ابن قتيبة، ٢١٦، ٢٣١، ٢٤١، ٢٧٨، ٣٩٣	ابن عبد الحكم، ٢٠٤، ٦٥٥، ٦٨٨
٤٨٣، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٣٥، ٦٥٦	ابن عجلان، ٣١٦، ٣٥٤
ابن قتيبة الدينوريّ المروزيّ، عبد الله بن	ابن عدديّ، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠
مسلم، ٩٢٧، ٩٢٨	٢٥٣، ٣١٦، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٩٢، ٣٩٣
ابن قدامة، ١٢٩	٤٠٨، ٤١٧، ٥٧٨، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٨
ابن قلابة، ٧١٣	٦٨٨
ابن كثير، ٤٦، ٢٢٦، ٢٥١، ٣٠٤، ٣٧٣، ٣٧٧	ابن عربيّ (محيي الدين)، ٥٣٥، ٩٤١، ٩٥٩
٣٨٥، ٣٩٣، ٤٠٩، ٤٢٨، ٤٥٧، ٤٧٧	٩٨٨، ٩٨٧، ٩٨٦، ٩٨٥، ٩٨٤، ٩٦٠
٥٨٧، ٦١٥، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٥٥	٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨
٦٥٦، ٦٦٦، ٦٧٥، ٦٧٧، ٦٨١، ٦٨٤	ابن عساکر، ١٨٢، ٣٣٣، ٤١٥، ٤٣٤، ٥٧٠
٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٢، ٦٩٨، ٧٠٢، ٧٠٣	٥٨٨، ٦٦٩، ٦٨٨، ٦٩٠، ٧٠٦، ٧١٢
٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٢، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٥٤	٨٢٢، ٨٦٠
٧٥٥، ٧٥٨، ٧٧٤، ٧٧٥، ٨٩٦، ٩٠٣	ابن عطاء، ٢٩٦
ابن لؤلؤ، ٤٩٥	ابن عطاء الله، ٩٦٧
ابن لهيعة، ٥٥٩، ٦٨٧، ٦٨٨، ٧٠٢	ابن عطية الأندلسيّ (محمد بن عبد الحقّ بن
ابن ماجة، ١٦١، ٣٦١، ٣٩٣، ٤١٠، ٤١٩	غالب)، ٤٧، ٥٩، ٧٢٤، ٧٦٤، ٧٦٥
٦٩٠، ١٠١٧	٧٩٦، ٨٩٦، ٩١٤، ٩٣٦
ابن مالك، ٤٥٢	ابن عطية الدمشقيّ، ٧٩٦
ابن محبوب، ٢٤٥	ابن عقيل، ٣٥٩
ابن مردويه، ١٩٣، ٣٦١، ٦٤٥، ٦٥٠، ٦٦٨	ابن عليّة، ٣٥٦
٦٦٩، ٦٧٦، ٦٨٤، ٦٨٨، ٦٩٠، ٧١٥	ابن عماد، ٤١٢، ٧٥٨
٧١٧	ابن عمرو، ١٩٥
ابن مسعود (عبد الله)، ٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ١٥٨	ابن عون، ٣١٨، ٣٣١، ٤١٦

٥٧٩، ٥٧٨	١٥٩، ١٦١، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢
أبو الأحوص، ٣٥٨	١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٧
أبو الأسود، ٣٠١، ٢٥٤	٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣
أبو الأشنان، ٥٨٤	٢٧٠، ٢٧١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٣
أبو اليخترى وهب بن وهب، ٥٦٤، ٥٦٥	٣٣٤، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦
٥٨٨، ٥٨٥	٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٨
أبو البلاد، ٣١٦	٣٦٩، ٣٨٩، ٤٣٤، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠
أبو الجهم خالد بن هاني المتفقه، ١٣٨	٤٨٧، ٤٤٤، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦٣٣، ٦٤٤
أبو الحسن ابن القطن، ٢٥٣	٦٤٥، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٨٩، ٦٩٥، ٧٣٤
أبو الحسن علي بن محمد بن سيار، ٤٤٦	٧٤١، ٧٧٣، ٧٧٦، ٨٠٦، ٨٠٧
٧٨٤	ابن مسكويه، ٨١٧
أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة، ٣٣٦	ابن معين، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٩٣
أبو الحمراء، ٧٤٨	٣٠٤، ٣١٠، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٨٦
أبو الدرداء، ٥، ١٧٦، ١٨٢، ٢٧١، ٢٧٢	٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٢
٢٤٥، ٣٢٢، ٣٢٨، ٢٧٣	٤١٣، ٤١٩، ٤٧٨، ٤٩٤، ٦١٣
أبو الزبير، ٤٨١	ابن ملجم، ٥٠٣، ٥٦٧
أبو السائب، ٨١٢	ابن منبه، ٦١٤، ٦٣٨
أبو السعود، ٨٩٥، ٨٩٦	ابن مندة، ٢٩٩
أبو الشعثاء، ٢٧٠، ٣٦٣	ابن منظور، ٤٦٧
أبو الشموس، ٤٩٤	ابن نباتة، ٣٠٤، ٧٤٩
أبو الشيخ، ٣٦١، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٦، ٦٨٦	ابن نمير، ٣٤٨، ٤٠٠، ٤١٣، ٥٨٠
٧٢٨، ٦٨٨	ابن هشام، ٢٠٩
أبو الطفيل، ١٨٩، ٣٣١، ٣٤٦	ابن وائل الحضرمي، ٢٤٠
أبو العالية (رُفِع بن مهران الرياحي)، ١٩٧	ابن واضح، ٣٠٤، ٧٤٩
٢٧٥، ٣٠٨، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠	ابن وكيع، ٦٨١
٣٦٣، ٣٦٤، ٧٥٤، ٧٥٩، ٧٧١، ٧٧٧	ابن وهب، ٥٨٨، ٧٦٠
أبو العباس، ٤٦٧	أبو أحمد بن عدي، ٣٦٠، ٤١٠، ٥٧٨
أبو العباس بن عطاء، ٩٦٤	أبو إسحاق، ٢٤٤، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٤٩
أبو العباس ثعلب، ٥٣٣، ٩٢٠	٥٧٥، ٦١٤
أبو العلاء، ٦١٠	أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى،

- ٩٩٨ أبو الفداء، ٥٨٠، ٦٢١، ٨٠٩
 أبو الفرج، ٣٩٣
 أبو القاسم بن حبيب، ٧٦٠
 أبو المعالي، ٥٦١
 أبو المغيرة، ٥٨٦
 أبو النضر، ٤٠٠
 أبو الهذيل، ٤١٤، ٦٦٦
 أبو الهيثم ابن التيهان، ٣٣٧، ٥٩١
 أبو الورد، ٣٠٩
 أبو الوليد، ٤٨٧
 أبو أامة، ١٥٩، ٣٠١، ٣٨٦
 أبو بُردة، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٣١
 أبو بشر صالح بن بشير المرّي البصري، ٥٨٥
 أبو بصير، ٣٠٥، ٤٤٥
 أبو بكر، ٤٤، ٤٥، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٧،
 ٢٢٣، ٢٥١، ٣٤٢، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٦٣،
 ٤٧٥، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٦،
 ٥٨٩، ٥٩٠، ٦٠٩، ٦١٤، ٦١٨، ٦٢١،
 ٦٢٨، ٧٣٥، ٧٤٩، ٧٦٥، ٨١١، ٨٥٤
 أبو بكر الأصمّ عبد الرحمان بن كيسان، ٣٦٠
 أبو بكر بن أبي حنيفة، ٤١٨
 أبو بكر بن أبي داود، ٤٩٣
 أبو بكر بن أبي شيبة، ٣٦٤، ٤٩٣، ٥٧٩
 أبو بكر بن احمد بن حامد، ١٣٨
 أبو بكر بن عياش، ١٩٦، ٣٣٣
 أبو بكر بن فورك، ٧٦٠
 أبو بكر، ١٩٩
 أبو بكر عبد الرحمان بن كيسان الأصمّ، ٣٨٣،
 ٤١٤
 أبو بكر عبد الله الرازيّ (نجم الدين دايدة)،
 ٩٩٨
 أبو بكر محمّد بن مجاهد، ٧٤٠
 أبو بكر هشام بن أبي عبد الله، ٣٩٦
 أبو ثور، ٣٠٣، ٤٧٢
 أبو جعفر محمّد بن الحسن (أبو سارة
 الرواسيّ)، ٩٢١
 أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه (الشيخ
 الصدوق)، ٥٦، ٦١، ٧٨، ١٣٨، ١٧١،
 ١٨٣، ١٩٣، ٢٤١، ٢٤٥، ٣١٣، ٣٢٥،
 ٣٢٦، ٣٢٣، ٣٧٣، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٧،
 ٤٢٣، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٦٠، ٥٠١، ٥٠٢،
 ٥٠٣، ٥٤٦، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٤، ٨٠٣
 أبو جلد (غيلان بن فروة الأزديّ)، ٢٢٨
 أبو جهضم موسى بن سالم، ٢٢٨
 أبو جهل، ٣٥١، ٥١١، ٥٦٦، ٥٨٩، ٩٧٩،
 ٩٨٠
 أبو حاتم، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣١٦،
 ٣١٩، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦١،
 ٣٦٧، ٣٩٦، ٤١١، ٤١٦، ٤٧٦، ٥٣٢،
 ٧١٩
 أبو حاتم ابن حبان، ٣٠٢، ٥٥٩، ٥٩١
 أبو حامد، ٥٦١، ٥٨٣
 أبو حمزة الثماليّ (ثابت بن دينار)، ٣٣١،
 ٣٥٢، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٣،
 ٤١٣، ٤٣٧، ٧٣١، ٧٣٥، ٧٦٠
 أبو حنيفة، ١٠٨، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢، ٢٤٤،
 ٣١١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٠١، ٤٧٢، ٤٩٠،
 ٤٩٩، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٧٧، ٥٨٣، ٥٨٥،
 ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨٢٥، ٨٢٦،
 ٨٢٧، ٨٣٣، ٨٣٧، ٨٣٨

أبو ضمرة، ٦٥٥	أبو خالد، ٢٨٢
أبو طالب، ٤٧٦، ٥٦٦، ٦١٣	أبو خلدة، ٣٥٥
أبو ظبيان، ٣٠٩	أبو خيثمة، ٤١٦
أبو عبد الرحمن، ٤٨، ١٩٤، ٣٤٧، ٥٧٣، ٨٨٥	أبو داود، ٤٠٠، ٤١٩، ٤٧٤
أبو عبد الله ابن مندة، ٣٠٢	أبو داود سلمة بن قتيبة، ٢٤٢
أبو عبد الله بن القيم الجوزي ← ابن القيم الجوزي	أبو ذر، ٢٩٣، ٣٠٧، ٣٢٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٥٥
أبو عبيد، ٢١٣، ٣٨٦، ٥٧٩	٣٨٦، ٨٦١
أبو عبيد القاسم بن سلام، ٤١٩، ٧٦٠، ٩٢٢، ٩٢٦	أبو رافع، ١٩٩، ٣٣١
أبو عبيد بن سلام، ٦١٠	أبو رجاء، ٢٧١، ٣٢٢
أبو عبيدة، ١٨٦، ٣٤٨، ٧٧١، ٩٢٨	أبو روق، ٢٤٢، ٣١٤، ٣١٦
أبو عليّ الحسن بن عليّ، ٩٦٨	أبو ريّة، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٥
أبو عليّ الدقاق، ٩٦٨	٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٤، ٦١٤
أبو عليّ الفارسيّ، ٩١٤	٦١٦، ٦١٨، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٦
أبو عمر، ٥٩٣	أبو زرعة، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٨٠، ٣١٨، ٣١٩
أبو عمران يوسف بن يعقوب، ٧٢٠	٣٢٠، ٤٧٦، ٥٦٣، ٦١٥، ٧٥٤
أبو عمرو، ٤٥٧	أبو زيد، ٤١٠، ٧٧٧
أبو عمرو ابن عبد البر، ٣٠٢، ٣٢٢	أبو زينب، ٣١٧، ٣١٨
أبو عمرو بن العلاء، ٢٠٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٦٩٨	أبو سعيد، ٢٤٦، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٣، ٤٠٧، ٥٩٠
أبو عميس، ٤٩٣	أبو سفيان، ٩٣، ٤١٧
أبو عوانة، ٢٥٠	أبو شامة، ٥٦١، ٨١٥
أبو قدامة، ٤١٦	أبو شهبة، ٦٠١، ٦١٩، ٦٢٩، ٦٣٥، ٦٣٨
أبو قطن، ٣١٣	٦٤٥، ٦٥٧، ٦٦٦، ٦٧٨، ٦٩٥
أبو قلابة، ٥٧٣	أبو شيبة، ٥٥٩
أبو كريب، ٦٨٧، ٦٩٥	أبو صادق، ٣٣٤
أبو لؤلؤة، ٦١٦	أبو صالح، ١٩٣، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٨
أبو لهب، ٩٥٨	٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٩٢
أبو مالك، ١٩٣، ٢٠٧، ٢٣٦، ٣٦٤	٣٦٠، ٣٩٢، ٤١٥، ٤١٨، ٥٧٥، ٦٩٨
	٧١٥
	أبو صالح باذان، ٢٥٣

- أبو محمد، ٢٨٢، ٧٥٤
 أبو مخنف، ٣٤١
 أبو مروان، ٢٨٢
 أبو مسعود، ٢٣٩
 أبو معمر، ٤٤
 أبو مليكة، ٤٨
 أبو منظور، ٥٩١
 أبو موسى، ٣١٩، ٤٩٨، ٧٢٠
 أبو نصر سابور بن أردشير، ٨٥٠
 أبو نضرة، ٤٨٤، ٤٨٥
 أبو نعيم الفضل بن دكين، ٣٣٤
 أبو نوف، ٣١٠
 أبو هاشم، ٣٣٥، ٨٨٦
 أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ٢٠٤، ٣٩٠
 أبو هريرة (شيخ المضيرة)، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٧، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٥٦٠، ٥٦٤، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٨، ٥٩٩، ٦٠٣، ٦٠٨، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٣٤، ٦٣٣، ٦٢٨، ٦٢٦، ٦٢٥، ٦٢٤، ٦٩٠، ٦٩٥، ٧٤٤، ٧٤٨
 أبو هلال، ٣٢٧
 أبو وائل، ٢٧١، ٢٧٨، ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٤٧
 أبو يزيد البسطامي، ٩٤١
 أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، ٤٤٦، ٧٨٤
 أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ابن الفراء)، ٨٣٢
 أبو يوسف، ١١٠، ١٢٩، ٣٠٩، ٣٧١، ٨١٣
 أبو يونس محمد بن أحمد، ٢٨٢
 أبي الصلاة، ٣٢٨
 أبي بن قيس، ٣٢٨، ٣٣٠
 أبي بن كعب، ٥، ٤٧، ١٨٧، ١٩٧، ٢٠٩، ٢٤٠، ٢٧٠، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٥٦، ٤٧٧، ٤٨٧، ٥٥٩، ٥٦٢، ٥٨٩، ٦٣٣
 الأجدع بن مالك، ٣٣٣
 الأجلح، ٣٨٧
 أحمد، ١٦١، ١٩٧، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٦، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٦، ٤٢٨، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٨٩، ٥٧٠، ٥٨٠، ٥٩٧، ٦٠٣، ٦٠٩، ٦١٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٩٠، ٧٠٣، ٧٢١، ٧٢٣، ٨٠٧، ٨٣٢
 أحمد بن إسحاق، ٥٤٨
 أحمد بن حنبل، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٤٩، ٣٦١، ٣٩٧، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٥٣٢، ٥٥٤، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩٤، ٦٢٦، ٦٣٧، ٦٩٨، ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٤٦، ٧٧٦، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٥، ٨١٦، ٨٢٦، ٨٣٢
 أحمد بن داود، ٥٨٢
 أحمد بن زهير، ٢٣٨
 أحمد بن سيار، ٢٤٢
 أحمد بن عبد الحلیم، ٣٦٢

أحمد بن عمر، ٤٠٣	أستاذي، رضا، ٨٤٧
أحمد بن محمد الأردبيلي ← المحقق الأردبيلي	الأستر آبادي، ٨٠، ٣١٠، ٤٤٦
أحمد بن محمد بن الصلت، ٥٨٣	الأستر آبادي، إسماعيل بن علي بن المنثي الواعظ، ٥٨٣
أحمد بن محمد بن سعيد، ٥٧٨	الأستر آبادي، السيد شرف الدين، ٢٧
أحمد بن يونس، ٣٤٧	الأستر آبادي، القاضي عماد الدين، ٨٦٤
أحمد زكي، ٤١٥	الأستر آبادي، محمد أمين، ٧٩
أحمد صقر، ٤٠٤، ٩٢٧	إسحاق، ٤٧٢
أحمد نصر، ١٢٦	إسحاق <small>عليه السلام</small> ، ٦٩٦، ٦٩٥، ٦٩٤، ٦٤٥، ٦٢٩، ٦٩٦
الأحمدي الطاهري، محمد، ١٢٨	٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩
الأحمر، جعفر بن زياد، ٤٠٢	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد (ابن راهويه)، ٣٠٣، ٣٦١، ٣٦٤، ٤١٦، ٤٧٦، ٧٢٨
الأخنف بن قيس، ٦٩٥	إسحاق بن بشر، ٦٦٩
الإخشيدي، ٤٢٣	إسحاق بن جرير، ٢٨٢
الأخفش، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦١، ٧٦٠، ٩٢٢	إسحاق بن عبد الله بن الحرث، ٢٢٧، ٢٢٨
٩٢٦	إسحاق بن عيسى، ٣٠١
الأخنس بن زيد، ٢٢٧، ٣٨٩	إسحاق بن ناصر، ٥٨٣
إدريس <small>عليه السلام</small> ، ٦٤٦	أسد حيدر، ٨٠٩
إدوارد براون، ٩٧٢	أسد عويلم، ٨٧١
الأربلي، ٣١٠	الأسدي الكوفي، قيس بن الربيع أبي محمد، ٢٣٥
أرميا، ٥٠١	الأسدي، خندف بن زهير، ٣٣١
الأرتووط، شعيب، ٦٠٨، ٦١٧	إسرائيل (يعقوب <small>عليه السلام</small>)، ٥٩٤، ٦٦٠
الأزدي، أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزدي الحميدي)، ٢٧٥، ٣٤٦	إسرافيل، ٤٥١، ٥٨٧، ٧٦٩
الأزدي الكوفي، عبد الرحمان بن محمد، ٣١٤	أسعد، ١٥٩
الأزرق، ٦٥١	الإسراييني، ٩٦٨
الأزهري، ٤٧٩	الإسراييني، أبو حامد، ٧٦٣
أسباط، ٦٥٦	الإسكافي، ١٥٨
أسباط بن سالم، ٢٨٢	الإسكافي، أبو جعفر، ٣٢٤، ٥٦٦
أسباط بن نصر، ٢٣٧	الإسكندراني، محمد أحمد، ١٠٠٤

- الإسكندراني، محمد بن أحمد، ١٠٠٢
 الإسكندراني، أحمد، ٩١٨
 الإسكندراني، تاج الدين أحمد بن محمد بن
 عبد الكريم بن عطاء الله، ٩٤٧
 أسلم، ٥٧٩
 الأسلمي، إبراهيم بن أبي يحيى، ٦٠٨
 الأسلمي المدني، سمان، ٥٧٨
 الأسلمي، حكيم بن أمية، ٤٨٢
 أسماء بنت أبي بكر، ٤٨٠
 إسماعيل بن عيسى، ٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٧، ٦٩٦، ٦٥١، ٦٠١، ٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٧، ٦٩٦، ٦٥١، ٦٠١
 إسماعيل باشا، ٨٤٥
 إسماعيل بن أبي أويس، ٤٧٦
 إسماعيل بن أبي خالد، ٢٩٨، ٢٥٣
 إسماعيل بن عبد الخالق، ٤٧٠
 إسماعيل بن عبد الرحمن (الذبي الكبير)،
 ١٩٢، ١٩٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٥٢، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٨٢، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤١١، ٤٧٨، ٦٠١، ٦٤٥، ٦٥٦، ٦٦٦، ٦٧٦، ٦٩١، ٧٠٠، ٧٣١، ٧٣٣، ٧٣٤
 ١٠١٦
 الإسماعيلي، أحمد بن إبراهيم، ٦٣٠
 الأشر، ٣٤٦، ٣٣١، ٢٠٣
 الأشعث، ١٨٢
 الأشعري، ٩٥٧
 الأشعري، أبو الحسن، ٢٧٢، ٣٥٠، ٩٠٣، ٩٠٤
 الأشعري، أبو موسى، ٥، ١٨٧، ٢٧١، ٢٧٢
 ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٥٠، ٧٦٥، ٨٠٦
 ٨٠٧
 الأشعري القمي، سعد بن عبد الله، ٤٤٦
 أصبغ بن نباتة، ٣٣١
 الأصبغ بن نباتة (أبو القاسم الكوفي)، ١٧٢،
 ٢٧٥، ٣٠٤، ٣٤٦، ٣٩٦، ٧٣٧، ٧٤٨
 الأصبهاني، أبو الفرج، ٢١١، ٢١٢، ٤٠٤
 الأصبهاني، أبو بكر ابن مردويه، ٨٦٠
 الأصبهاني، أبو منصور إبراهيم بن الفضل،
 ٥٨٢
 الأصبهاني، أبو نعيم، ١٨٩، ٢٥٠، ٢٧٨، ٢٧٩
 ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠
 ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٦، ٣٥٦، ٣٩١
 ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٤، ٤٢٨
 ٥٩٣، ٦٠٩، ٦١٩
 الأصبهاني، أحمد بن موسى، ٣٦١
 الأصبهاني، أبو مسلم (محمد بن بحر)، ٣٢٥،
 ٣٢٦، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٣، ٤٢١
 ٤٢٢، ٤٢٤، ٨٧٣
 الأصفهاني الزواري، علي بن الحسن، ٧٧٩
 الأصمعي، ٢٥٠، ٢٥٣، ٣٩٨، ٤١٢
 الأعشى، ١٩٤، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٨٧،
 ٢٩٠، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٤٢
 ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٩، ٤٠٠، ٤١١
 ٤١٣، ٤٩٤، ٥٦٧، ٥٧٥، ٦١٣، ٧٣٧
 ٧٣٨، ٧٤٤، ٨٠٦
 الأعشى، سليمان، ٤٠٧، ٤١٣، ٨٩٨
 الأكوخ، علي بن أحمد بن الحسين، ٩٢٧
 إلهي قمشاي، ١٤٥
 إلياس بن عيسى، ٦٤٥
 أم أراكة، ٤٨٠، ٤٨٢
 الإمامي، أبو القاسم، ٨١٧

- الأَنْصَارِيُّ، الخُوَاجَا عَبْدَ اللَّهِ، ١٣٩، ١٤٠،
 ٩٤٦، ٩٧٢، ٩٨٣، ٩٧١، ٩٨٤
 الأَنْصَارِيُّ الهِنْدِيُّ، سَعِيدٌ، ٤٢٢
 الأَنْصَارِيُّ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ١٨٧، ٢٤٠،
 ٣٠٨، ٣١٩، ٣٢٢، ٤٢٨، ٤٨٠، ٤٨١،
 ٤٨٤، ٤٨٧، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٠٨، ٧١٩،
 ٧٢١، ٨٣٦، ٨٦١، ٨٧٠
 الأَنْصَارِيُّ، حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، ٨٦٠، ٨٧٠،
 ٨٧٦، ٩١٨
 الأَنْصَارِيُّ، سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سَنَانَ، ١٧٦
 الأَنْصَارِيُّ، سُوَادَةُ بْنُ غَزِيَّةَ، ٥٩٣
 الأَنْصَارِيُّ، يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، ٤٥، ٢٣٨، ٢٥٣،
 ٢٧٩، ٢٨٣، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٥٠، ٤٠١،
 ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١١، ٥٦٢، ٥٧٨، ٦١٣
 الأَهْوَازِيُّ، أَبُو عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، ٥٨٣
 الأَهْوَازِيُّ الْخَطِيبُ، مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ٧١٩،
 ٧٢٠
 الأَوْدِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى، ٥٧٨
 أَوْرِيَا، ٤٤٩، ٧٠٤، ٨٩٦
 الأَوْزَاعِيُّ، ٣١٢، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٧٢،
 ٦٤٧
 أَيَّازِيُّ، السَّيِّدُ مُحَمَّدُ عَلِيٍّ، ٨٤٨، ١٠٣٣
 إِيَّاسُ بْنُ سَلْمَةَ، ٤٩٣
 أَيُّوبُ، ٢٣٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٩٧
 أَيُّوبُ ﷺ، ٤٤٩، ٦٤٥، ٦٨٠، ٧٠٥، ٧٠٦،
 ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠
 (حرف الباء)
 بَابِيَّيْنِي، أَحْمَدُ عَلِيٍّ، ١٠٣١
 بَادَامُ، ٢٥٢، ٣٦٠
 اِمْتِيَازُ عَلِيِّ عَرَشِيٍّ، ٤٠٦
 أُمُّ سَلْمَةَ، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٤٨، ٣٨٦، ٣٨٧،
 ٧٥٨، ٧٥٦
 أُمُّ قَيْسٍ، ٣٤٠
 أُمُّ كَلْثُومٍ، ٦١٥
 أُمُّ هَانِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، ١٧٢، ٢٤٨، ٢٥٢،
 ٢٥٣، ٣٦٠
 أُمِّيَّةٌ، ٤٨٢
 أُمِّيَّةٌ بِنْتُ أَبِي الصَّلْتِ، ٣١٥، ٦٩٨
 أُمِّيَّةٌ بِنْتُ خَلْفٍ، ٤٨٠، ٤٨١
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ ← عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ
 أَمِينٌ، أَحْمَدُ، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٥٠٩،
 ٥٢٣، ٥٧٤، ٦١١، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨،
 ٦٣٩، ٦٤٠
 الأَمِينُ الْعَامِلِيُّ، السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ٤٠٤، ٤٠٤،
 ٤٣٠
 الأَمْسِينِيُّ، ١٩٣، ٤٢٧، ٤٨٤، ٤٩٨، ٥٦٠،
 ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٨٢، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٠،
 ٨٦٠
 الأَنْبَارِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ٤١٤
 الأَنْدَلِسِيُّ، ابْنُ رَشْدٍ، ٧٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٨٢٦،
 الأَنْدَلِسِيُّ، أَبُو حَيَّانَ (مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ)، ٣٩٣،
 ٤٢٣، ٥٣٥، ٧٢٤، ٧٣٠، ٧٦٤، ٨٩٦،
 ٩١٤، ٩٣٨، ٩٦٨
 أَنَسٌ، ١٨٧، ٣٠٨، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٤٨،
 ٣٩٧، ٤٥٨، ٥٧٧، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٧،
 ٥٨٨، ٦٢٣، ٦٣٧، ٦٧٦، ٧٠١، ٧٠٢،
 ٧٠٨، ٧٠٩، ٧٤٨، ٨٦١
 الأَنْصَارِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانَ بْنُ نَاصِرٍ، ٤٣٦
 الأَنْصَارِيُّ، أَبُو أَيُّوبَ، ٣٥٥، ٩٧١

- باشافكري، عبد الله، ١٠٠٣
 الباهلي، أبو أمامة، ٥٧٠، ٧١٨
 الباهلي، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غالب،
 ٥٨٣
 البجلي، أبان بن عثمان، ٣٥٠
 بحر العلوم، السيد محمد، ٧٩٥
 البحراني، السيد هاشم بن سليمان، ٢٨، ١٦٣،
 ٤٤٧، ٥٣٧، ٥٤١، ٧٣٢، ٧٨٤
 البحراني، جعفر، ٨٢
 البحراني، جمال الدين ابن المتوج، ٨٢٠
 البحراني، فخر الدين أحمد بن عبد الله بن
 المتوج، ٨١٩
 البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم،
 ٤٣، ٨٢، ٨٤٤
 البحراني، يوسف، ٨٣، ٨٤، ٢٤٠، ٩١٤
 البخاري، أبو حذيفة إسحاق بن بشر، ٥٨٣
 البخاري (محمد بن إسماعيل)، ٢٠٤، ٢٢٠،
 ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٩٢،
 ٣٠١، ٣٠٣، ٣٣١، ٣٦٣، ٣٨٦، ٣٨٩،
 ٣٩٦، ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٧٦، ٤٧٨،
 ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٦٦، ٥٦٨،
 ٥٧٠، ٥٧١، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٠٣، ٦١٧،
 ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٥، ٧٣٣، ٨٠٦، ٨٠٧،
 ٩٠٣، ١٠١٠، ١٠١٧، ١٠١٨
 بختنصر، ٣٨٠، ٦٥٩، ٦٨٠
 بخيت، محمد، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢
 بدر الدين الزركشي، ٢٠، ٥٢، ١٤٤، ١٦٢،
 ١٨٨، ٢٦٣، ٣٥٩
 البراء بن عازب، ٣٣٢
 برده، ٢٤٥
 البردوني، أحمد، ٧٦٩
 البرغاني، ٧٣٢
 البرغاني القزويني الحائري، المولى صالح بن
 آغا محمد، ٧٩٧
 البرغاني القزويني، صالح، ٥٣٧
 البرقي، ٣٠٦، ٤٠٧
 برهاني، محمد، ١٦٣
 البروجردي، السيد آغا حسين، ٢٠٤
 بريده، ٢٩٦
 البزار، ٢٢٥، ٢٤٦، ٣٠٣، ٣١٩، ٣٦١، ٣٨٦،
 ٥٩٧، ٦١٣، ٦٢٣، ٧١٩
 البزري، الحسين بن محمد، ٥٨٤
 البزنطي، ٢٨٢
 البزنطي، أحمد بن محمد بن أبي نصر، ٤٥٧
 بسر بن سعيد، ٦٢٢
 بسرة بنت غزوان، ٦٢٠
 بشر بن المفضل، ٤٠٧
 بشر بن عمارة، ٢٤٢
 بشر بن عمرو، ٢٤٩
 بشر بن معاذ، ٣٥٣
 البصري، إبراهيم بن هدبة، ٥٨٢
 البصري، أبو الحسين، ٨٨٢، ٨٨٤
 البصري، أبو أيوب سليمان بن داود، ٥٨٥
 البصري، أبو سليمان داود بن المحير، ٥٨٤
 البصري، أبو معاوية، ٢٢٧
 البصري، أحمد بن الحسن بن أبان، ٥٨٢
 البصري، بشير بن نمير، ٥٨٣
 البصري، روح بن عبد الله بن سلمى (أبو بكر
 الهذلي)، ٣٢٤
 البغدادي، ٣٢٧

- البغدادي، أبو جعفر، ٣٤٧
 البغدادي، أبو هاشم زياد بن أيوب بن زياد،
 ٤١١
 البغدادي، جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم
 ابن الخليل، ٩١٩
 البغوي، ٣٩٣، ٤٠٩، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٦٤،
 ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧٥، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٩١،
 ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٧،
 ٧٥٥، ٧٦٢، ٧٧٤
 البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد، ٧٦٠
 البقلتي الشيرازي، أبو محمد روزبهان بن أبي
 نصر، ٩٩٧
 بقة بن الوليد، ٢٤٤
 البكاء، يحيى، ٣٠١
 البكري، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن
 محمد، ٥٨٣
 بكير بن الأشعث، ٤٧٣، ٤٧٥
 البلاذري، ١٨٨، ١٨٩
 البلاغي النجفي، محمد جواد، ٨٩٩، ٩٠٠
 بلال، ١٨٣، ٣٤٢، ٣٨٦، ٣٨٧، ٥٩١، ٥٩٢
 بلال بن أبي بردة، ٣١٧
 بلال بن رباح، ٢٧٣
 البلخي، أبو القاسم، ٣٩٠، ٥٠٢
 البلخي الخليلي، أبو القاسم أحمد بن محمد،
 ٧٣٦
 البلدي، أبو بكر محمد بن أحمد، ٩٦١
 بلقيس، ٦٩١، ٦٩٣
 بندار، ٤١٦
 البههاني، الوحيد، ٢٤٠، ٣١٠، ٣١٢، ٣٨٩
 اليهودي، ٥٤٧
 البويهني، بهاء الدولة، ٨٥٠
 البياضي، ٧٤٦
 البياضي، خالد بن القاسم، ٢٩٨
 البيضاوي الشافعي، ناصر الدين أبو الخير عبد
 الله بن عمر بن محمد بن علي، ٧٨٠،
 ٧٨٣، ٧٩٤، ٧٩٦، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٦
 البيهقي، ١٧٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٩٣، ٤٨٤،
 ٥٦٩، ٥٨٢، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٥، ٦٦٥
 ٦٧٦، ٦٨٨، ٦٩٠، ٨٠٦، ٨٣٠، ٨٣١
 البيهقي، أبو بكر، ٤٥٤
 البيهقي النيسابوري الشافعي، أبو بكر أحمد
 ابن الحسين بن علي، ٨٢٩
(حرف التاء)
 تاج الشريعة، ١٢٩، ١٣٦
 التاجي، سليمان بن عتر، ٦٣٦
 الترجماني، أبو إبراهيم، ٤١٢
 الترقفي، ٤١٩
 الترمذي، ٥٨، ٢٤٦، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٨٦،
 ٣٩٣، ٤١٠، ٤١٩، ٤٢٨، ٤٧٦، ٤٨٨
 ٥٦٨، ٦٢١، ٦٩٠، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٢٣
 الترمذي، أبو عيسى، ٥٨
 الترمذي، صالح بن محمد، ٤١٢
 التستري، ١٩٤، ٣٤٢، ٩٦٤
 التستري المرعشي، القاضي نور الله، ٨٦٥
 التستري، سهل بن عبد الله، ٩٤٦، ٩٦١
 التستري، محمد تقي، ٢٠٣
 تسهر، جولد، ٦، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦،
 ٢٢٨، ٢٢٩
 التفتازاني، سعد الدين، ٩١٤، ٩٤٧، ٩٥٠

الثقفي الكوفي، أبو نجیح يسار، ٢٥٤
 الثقفي، المختار بن أبي عبيدة، ١٨٢، ٢٤٧
 الثقفي، محمد بن يزيد، ٦٦٥
 الثلجي الحنفي، أبو عبد الله محمد بن شجاع،
 ٥٨٥
 ثمامة بن الأشرس، ٩٢٠
 ثوبان بن إبراهيم (ذو النون المصري)، ٩٧٩

(حرف الجيم)

جابر، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٦، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨١،
 ٤٨٥، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٦٥، ٥٩٨
 جابر بن زيد، ٢٩٨، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢
 الجاحظ، ٣٩١، ٤٠٤
 الجاري، سعد، ٦٦٥
 جالوت، ٧٦٧
 الجامي، ٩٦٨
 الجامي، عبد الرحمان، ٩٤٢
 الجبائي، ٥٣٥، ٧٧١، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٧٣
 ٨٨٦
 الجبائي، أبو علي (محمد بن عبد الوهاب بن
 سلام)، ٣٨٣، ٤٢٠
 جبرئيل عليه السلام، ٣٢، ٤١، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ١٧٢،
 ٤٥٧، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠
 ٦٥١، ٦٦١، ٦٦٤، ٦٦٧، ٦٧٦، ٦٧٧
 ٦٨٠، ٦٩٤، ٧٠١، ٧٠٧، ٧١٧، ٧٦٩
 ٨٩١، ٩١٣، ٩٣٤
 جبير بن مطعم، ٢٨٢
 جبير بن نضير، ٦٣٠
 جبير بن نضير، ٢٧٣
 الجدلي، أبو عبد الله، ٢٤٧

التفلسي، أبو الفضل حبیب بن إبراهيم، ٩٢٩
 تميم الداري، ٦٠٨، ٦١٠، ٦١١، ٦٢٨
 التميمي، إبراهيم، ٤٥
 التميمي، ابن عبد الرحمان، ٢٢٧
 التميمي الحنبلي، أبو محمد، ٨٣٢
 التميمي المدني، عبد الله بن عبيد الله، ٢٨٧
 التنوخي، ٤١٠
 التنوخي، أبو علي، ٤٢١
 التيمي، أبو عبيد معمر بن المشي، ٧٦٠، ٩٢٢،
 ٩٢٦
 التيمي، محمد بن خلف، ٤١٣

(حرف الكاء)

كاتب بن مالك، ٢٠٠
 الكعبي، ٦٢٢
 كعلب، ٤٢٧، ٧٣٩
 الكعبي، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣١٢، ٣٢٨،
 ٣٣٦، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٠،
 ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٤،
 ٥٣٥، ٦٦١، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٧٥، ٦٨٠،
 ٦٩١، ٦٩٣، ٧٠٢، ٧١١، ٧١٧، ٧٣١،
 ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٢،
 ٧٦٦
 الكلبي النسابوري، أبو إسحاق أحمد بن
 محمد بن إبراهيم، ٢٤٩، ٧٥٨
 الكلبي، إبراهيم بن هلال، ٣٣٤، ٣٣٥
 الكلبي، الحجاج بن يوسف، ٢٣٥، ٢٤٦،
 ٢٤٨، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٤،
 ٣٢٦، ٣٨٨، ٤٢٧، ٤٥٥
 الكلبي الكوفي، أبو محمد، ٣١٣

٤٠٧، ٤٠٥، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٠٠، ٣٩٨	الجراح، ٤١٩
٤٥٥، ٤٤٥، ٤٤٢، ٤٣٣، ٤١٥، ٤١٠	الجراح، أبو الحسن علي بن عيسى بن داود،
٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥٠٠	٤٢١
٥٠١، ٥٠٧، ٥١٣، ٥٤١، ٥٦٤، ٥٦٥	الجزجاني، ٧٦٠
٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٨، ٥٩٣، ٦٤٩، ٦٧٨	الجزجاني، السيد أبو طالب، ٨٥٦
٦٧٩، ٧٠٤، ٧٣٥، ٧٣٧، ٧٥٣، ٧٥٦	الجرمي، ابن عاصم بن كليب، ٣٣٤
٧٧٣، ٧٨٧، ٨١١، ٨١٣، ٨١٤، ٨٧٦	الجرمي، قاسم، ٤١٣
٩٢١، ٩٢٦، ٩٦٤، ٩٦٥	جريح، ٢٣٨، ٢٤٠
الجُعفي، أبو محمد، ٣٥٧	جرير، ١٧٢، ١٧٣، ٣٥٨
الجُعفي الكوفي، الحارث بن قيس، ٣٢٩	جرير بن حازم، ٣١٨، ٤١٩
٣٣٠، ٣٤٨، ٣٧٥	الجزائري، ٣٢٤
الجُعفي، المفضل بن عمر، ٣٥٧	الجزائري، السيد نعمة الله، ٨٣، ٥٦١، ٧٨٦
الجعفي، جابر، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٧٥، ٣١٠	الجزائري، نعمة الله، ٨٢
٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٩٧، ٤٠٠	الجزار، أبو خلف، ٣٠١
٤٠٥، ٤٠٦	الجزري، شمس الدين، ١٩٣
جلانان اكبرنيا، علي، ٥٢٥	الجزيري، ١٣٠، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٧٧، ٨٠٧
الجلالي، السيد محمد جواد، ٩٢٧	الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي)،
جلالي الثاني، ٧٧٩	٣٠٩، ٣٧١، ٤٨٥، ٥٣٥، ٧٤٦، ٨١٨
الجلودي، أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى،	٨٢١، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩
٢٥٥	٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٩، ٨٦١
الجلودي الأزدي البصري، ٢٥٥	جعفر بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> ، ١٣٤، ٣٢٣، ٤٢٨،
جمال الإسلام أبو سعيد، ٩٧٢	٤٦٣، ٦٢١
الجمال، محمد عبد المنعم، ١٠٠٤، ١٠٠٧	جعفر بن سليمان، ٤٠٨، ٥٥٨
جندب، ٥٧، ٥٩، ١٩٤	جعفر بن محمد الصادق <small>عليه السلام</small> ، ١٨، ٢٧، ٢٨،
جندب بن زهير، ٣٣١	٤١، ٥٦، ٦٢، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٩، ٩٤
جندب بن عبد الله، ٤٥	١١٠، ١٢١، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٤، ٢٠١،
الجنيد، ٩٦٦، ٩٧٨، ٩٨٠	٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٤
الجهني، سيرة بن معبد، ٤٧٨، ٤٩٢، ٤٩٤	٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣١٠،
جواد الآملي، ١٠٤٢	٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٣،
الجوزجاني، ٢٤٧، ٢٥٣	٣٧١، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٧،

الحاكم الحسكاني، ١٦٣، ٤٢٩، ٤٣٥، ٧٥٢،
٨٦١، ٨٥٦

الحاكم الحسكاني النيسابوري، عبيد الله بن
عبد الله، ٧٥١

الحاكم النيسابوري، ٢٦٠، ٣٩٣، ٨٦٠، ٩٦٣
حام بن نوح، ٦٦٩

حبر الأئمة، ٢١٣

الحبيب العجمي، ١١٠، ١١١

حجاج بن أرطاة، ٤١٦

الحجاج بن محمد، ٣٠٧، ٣١٢، ٦٦٦، ٧٣٦

حجتي، السيد محمد باقر، ١٠٣٢

حجر بن عدي، ٣٣١

حذيفة، ٢٧١، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥

٣٥٥، ٦٨٨، ٧٦٥

الحز العاملي (محمد بن الحسن)، ٢٥، ٨١

٢٤٢

الحزاني، أبو العباس أحمد بن تيمية، ٩٦٥

الحزاني، أبو عمران، ٧١٩

الحزاني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة،

٣٢٥

الحزاني، عبد الله بن ميسرة، ٢٢٦

الحري، إبراهيم، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٩٥، ٥٧٩

٥٨٠، ٥٨١

حرملة، ٤٩٤، ٨٣١

حريث بن ظهير، ٢٢٥

الحريري، أبو محمد، ٩٦٦

الحزامي، عبد الرحمان بن عبد الملك، ٤٩٣

حزقيل، ٥٠١

حزن، ٢٨١

حسان بن عطية، ١٦٤

الجوزقي، أبو بكر، ٥٩٠

الجوني، أبو الجلد، ٢٢٨

الجوهري، ١٠٦، ٤٦٧، ٤٦٨

الجويباري، أحمد بن عبد الله، ٥٦٢، ٥٨١

٥٨٢

جوهر، ٢٤٣

جوهرية بن مسهر، ٣٣١، ٣٤٦

الجويني، ٨٣٣، ٨٣٩

الجويني، عزيز الله، ٨٩٥

الجيلاني، عبد القادر، ٨١٧

(حرف ج)

الجلبي، ٢٥٦

چنگيز خان، ٩٩٨

(حرف الحاء)

الحائري، ٢٤٠

حانم، ١٨٢

الحاتمي الطائي، محمد بن علي بن محمد بن

أحمد بن عربي، ٩٨٦

حاجي خليفة، ٢٣٦، ١١٩، ٨٧٤، ٩٨٧، ٩٨٨

الحاكم، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦

١٧٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٧

٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣

٢٧١، ٢٧٢، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٨٩، ٣٩٧

٤١٩، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٧٦، ٥٨٢، ٥٦٢

٥٨٥، ٥٨٨، ٦١٣، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٤

٦٤٥، ٦٤٧، ٦٧٦، ٦٩٠، ٧٠٩، ٧٢٩

٩٤٦

الحاكم أبو أحمد، ٤٩٣، ٧٠٢

الحسين بن ذكوان، ٦١١، ٦١٣	حسان بن مزارق، ٢٢٧
الحسين بن سعيد بن أبي الجهم، ٣١٥	الحسانيّ، محمد بن إسماعيل، ٤١٤
الحسين بن عليّ <small>عليه السلام</small> ، ٢٠٣، ٢٣٧، ٢٤٧، ٣٣١، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٨٩، ٤٥١، ٥٧٣	الحسن، ٥٩٣، ٥٦٣، ٤٦٨، ٤٦٧، ٢٩٠، ٦٦٧، ٦٦٩، ٧٠٢، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٨١
٨٧٨، ٨٧٧، ٨٧٠، ٧٧٢، ٧٤٨	٧٧١
الحسين بن واقد، ٣٠٤، ٦١٣	الحسن البصريّ، ١١٠، ١٣٠، ١٣٢، ٢٧٥
الحسينيّ الجلابيّ، ٩٢٧	٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١
الحسينيّ، السيّد أحمد، ٨٤٣	٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧
الحسينيّ الفيروز آباديّ، مرتضى، ٤٢٨	٣٢٨، ٣٢٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٦٠
الحسينيّ القاتنيّ، السيّد أبو الحمد مهديّ بن نزار، ٨٥٦	٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٦
الحسين بن سلام بن الحارث الإسرائيليّ	٤٠٣، ٥٣٢، ٦٨٠، ٦٩٨، ٧٠٨، ٧٣٧
(عبد الله بن سلام)، ٦٠٨	٧٥٩، ٧٤٠
حصين بن عبد الرحمان، ٤١١	الحسن السّاج، ٩٦٠
الحضرميّ، أبو بكر، ٣٠٦، ٣٨٧	الحسن المجتبى <small>عليه السلام</small> ، ٢٠٣، ٣٢٥، ٣٤٦
الحضرميّ، عبد الجبار بن وائل، ٣٤١	٣٨٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٥٦٩، ٥٧٣، ٧٤٨
الحضرميّ، مسروق بن وائل، ٣٤١	٨٧٨، ٨٧٧، ٧٧٢
حفص، ٤٥٧، ٩١٣	الحسن بن دينار، ٦٩٥
حفص بن غياث، ٤٠٠، ٤١٢، ٤٣٣	الحسن بن زيد، ٢٤٠
حفصة، ٢٠٨، ٤٠٩	حسن بن سليمان، ٣٩٥، ٥٠٣
حفنيّ، حامد، ٧٩٥، ٩٣٤، ٩٣٥	الحسن بن سهل، ٥٣٣، ٩٢٠
الحكم بن عتيبة، ٣٩٧، ٣٩٩	الحسن بن صالح، ٣٣٤
حكمت، عليّ أصغر، ٩٧٢	الحسن بن عرفة، ٤١١، ٤١٢
الحكيم، ٨٧	الحسن بن عليّ العسكريّ <small>عليه السلام</small> ، ٤٤٥، ٥٤٨
حكيم بن جابر، ٦٧٧	٦٤٨، ٧٨٤، ٧٨٥، ١٠٣٦
الحلاج، ٩٨٠	الحسن بن عليّ مندوس، ١٣٨
الحلبيّ، ٧٧١	الحسن بن محبوب، ٢٤٥
أبو الصلاح تقيّ الدين، ١٩٤، ١٩٧	حسن عباس زكيّ، ٩٤٨
٥٤٧	الحسين بن أبي العلاء، ٣٥٧
الحليّ، ابن فهد، ١٢١	الحسين بن أشكيب، ٤٠٣
	الحسين بن الحسن، ٢٤٨

٧٨٦	الحلبي، الحسن بن المطهر، ٩٠٤ حماد، ٣٢١، ٤٩٩، ٧٣٧
(حرف الخاء)	حماد بن زيد، ٢٩٢، ٣٢٧، ٣٥٥، ٣٩٧، ٥٥٨
خالد، ٣٥١، ٣٥٢	حماد بن سلمة، ٣٩٧، ٤١٩، ٥٥٨، ٦١٠
خالد الحداد، ٣٥٥	٨١٢
خالد بن الوليد، ٣٥١	حمدان بن الأصبهاني، ٥٧٨
خالد بن عرقطة، ٦٢٩	حمران، ٣٠٥
خالد بن معدان، ٢٣٥	حمران بن أعين، ٥٠١
الخباب بن الأرت، ٣٣٣	حمروش، إبراهيم، ١٢٦
الخدري، أبو سعيد، ١٧٦، ٢٢٠، ٣١٩، ٣٨٦	حمزة، ٣٢٣، ٣٢٢، ٤٥٧
٤٠٨، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٨٠، ٤٨٧، ٦٩٥	حمزة الزيات، ٤١٩
٧٥٦، ٧٤٨	الحمصّي، ابن الناعمة، ١٠٥
خديجة، ١٩١، ٧١٩، ٧٢١	الحمصّي، العلاء بن عتبة، ٢٣٤
الخراساني البغدادي، أبو بكر دلف بن جحدر، ٩٨٠	الحمصّي، علي بن عياش، ٢٣٤
الخراساني، عطاء، ٢٣٩، ٣٨٣، ٣٩١، ٣٩٢	الحموي، ياقوت، ٣٤٠، ٣٩١، ٤٢١، ٤٦٠
٣٩٧	٧٤٠، ٧٤٦، ٧٤٩، ٧٥٠
الخراساني، عطاء بن أبي سلمة، ٣٦٠، ٣٦٤	حميد، ٣٢٧، ٥٨١
الخراساني، محمد كاظم، ٨٧	حميد بن قيس، ٢٥٤
الخرّاز الرازي، ٣١٠	الحميدي، ٤٠٦، ٤٩٤
الخرّاز الرازي، أبو القاسم علي بن محمد، ٢٠٠	الحميري، ٢٨٢، ٤٧٠
الخرّاعي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد، ٨٦٣	الحميري، السيد إسماعيل بن محمد، ٥٠٥
الخرّاعي الواسطي، عبد الله بن علّان بن رزين، ٥٨٥	٥٠٦
الخرزجي، ٢٢٩	الحميري، حميد بن عبد الرحمان، ٣٢٤
خزيمة بن ثابت، ٣٣٧، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١	الحنبلي، أبو غالب، ٨٣٢
٨٦٠	الحنفي النحوي، تاج الدين، ٩٣٨
الخشاب، أبو الفتح محمد بن محمد بن	الحنفي، عبد الرحمان عيش، ١٢٧
٥٣٧، ٤٤٧	حنين بن إسحاق، ١٠٦
	حواء، ٤٤٨، ٦٥٣، ٧٨٨
	الحويزي، ٧٣٢
	الحويزي، عبد علي بن جمعة، ٥٣٧، ٤٤٧

خولة بنت حكيم، ٤٨٢	عبدالرحمان، ٥٨٥
الخَوَّيِّ، ١٥٩	الخضري، ٨٠٩
خَيْثَمَةَ، ٣٥٦، ٣٤٢	الخطيب، أبو الحسن محمد بن القاسم، ٤٤٦
خير النجاج، ٩٨٠	الخطيب البغدادي، ١٦١، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٣٢٧، ٣٢٧، ٣٤١، ٣٥٣
(حرف الـهـاء)	٣٦٧، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠١، ٤١٦، ٤٨٦
الداراني، أبو سليمان، ٤١٣	٥٦٠، ٥٨٠، ٥٨٥، ٥٨٨، ٥٨٩، ٦٤٥
الدارقطني، ٤١٩، ٤٨٨، ٥٥٩، ٥٩٠، ٦٩٥	٦٤٧، ٧٥٠، ٨٣٢، ٩٢٢، ٩٦٥
٨٣٦، ٩٦٥	الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ٩٦٥
الدارمي، ٤٢٨	٩٦٥
الداري، ٦٣١	الخطيم التميمي، ٢١٤
الدائي، ٧٦٣	خلف بن خليفة، ٢٧٨
دانيال <small>عليه السلام</small> ، ٦٣٠، ٦٢٩	الخليل، ١٨٩، ٤٦٢، ٥٨٣، ٩٢٦
داود <small>عليه السلام</small> ، ٢٨١، ٢٩٥، ٤٤٣، ٤٤٩، ٦٤٢	الخليل بن أحمد، ٩٢٦
٦٤٥، ٦٩٥، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣	الخليلي، ١٩٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٥
٨٩٦، ٧٠٤	٣٨٩، ٣٩٦، ٧٥٤
داود بن أبي يزيد، ٣٨٧	خليل ياسين، ٩٣٢
داود بن الحصين، ٣٠٦	الخناوي، أبو صالح عمرو بن خليف، ٥٩٠
داود بن عفان، ٥٨٧	٥٩١
الداودي، ٣١٧، ٤١١، ٧٠٤، ٨١٩، ٩٦٦	الخورزمي، ١٩٣، ٣٤٤
الدجال، ٢٣١، ٥٠٩، ٦٠٩	الخورزمي، أبو بكر محمد بن العباس، ٧٥٠
الدجوي، يوسف، ١٢٦	الخوانساري، ٨٥٦
دخيل، محمد علي، ٩٣٧	الخوانساري، جمال الدين محمد بن حسين، ٧٩٠، ٧٨٩
الدريندي، آقا بن عابد، ٥٦١	الخصوي، ٤٣، ٦٤، ٦٥، ٧٩، ١٢٣، ١٢٤
الدستواني، هشام، ٣٩٦	٢٣٦، ٢٤٢، ٣١٣، ٣٤٦، ٣٥٤، ٣٥٨
دسوقي عبد الله البدري، ١٢٦	٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٧٣٧
الدلبشاني، أحمد، ١٢٦	٨٧٤، ١٦٠، الخوني، شمس الدين، ٨٧٤، ٨٧٥
الدمشقي، أحمد بن عمر، ٥٨٨	٨٧٥، الخوني، شهاب الدين، ٨٧٤، ٨٧٥
الدمياطي، بكر بن سهل، ٧٣٦	٢٧٣، الخولاني، أبو إدريس، ٢٧٣
الدميري، ٦٢٤	

الذهليّ، أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ، ٣٤٩
 ذو الشدية، ٣٣٥
 ذو الخويصرة، ٣٣٥
 ذو الرمة، ٩٠٧
 ذو القرنين، ٣٨٠، ٥٠٣، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧،
 ٦٨٨
 ذي الكلاع، ٦١٤

(حرف الراء)

الراجا (رائك مهروق)، ١٣٤، ١٣٩
 الرازيّ، إبراهيم، ٧٢٨
 الرازيّ، أبو الفتوح، ١٤٠، ٢٨٩، ٧٨٠، ٧٨١،
 ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٧٣
 الرازيّ، أبو الوفاء، ٨٥٦
 الرازيّ، أبو جعفر، ١٩٧، ٣٤٨، ٣٥٦، ٧١٩
 الرازيّ، أبو عبيد الله محمود بن محمّد، ٢٥٥
 الرازيّ، زين الدين محمّد بن أبي بكر، ٩٣١
 الرازيّ، فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين
 (ابن الخطيب)، ٤٠، ٤١، ٢٨٩، ٢٩١،
 ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٥، ٤٢٢،
 ٤٣٧، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٧١، ٤٨٣، ٤٨٦،
 ٤٨٩، ٥٠٧، ٥١٤، ٥٣٥، ٧٢٤،
 ٨٦٥، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٨،
 ٨٧٩، ٨٨٢، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧،
 ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩٣، ٨٩٦، ٨٩٧، ٩٢٨،
 ١٠٠٦

الرازيّ، محمّد بن أيّوب، ٧٦٠
 الرازيّ، هشام بن عبيد الله، ٢٥٣، ٤١٢
 الرازيّ، باقر، ٨١٦، ٨١٧
 الراغب الأصبهانيّ، ١٧، ٢٠، ٣٩، ٤٩، ٦٣،

الدندانّي، أبو صالح الهذيل بن حبيب، ٢٤٣
 الدنياويّ، محمود، ١٢٦
 الدورقيّ، يعقوب، ٤١١
 الدوريّ، ٦١٣
 دياب، عبد الحميد، ١٠٠٣
 دي كلوفي، ١٣٦
 الديلميّ، ٦٩٥، ٦٧٦، ٦٥٠
 الديلميّ، أبو خليفة الحجّاج بن أبي عتاب،
 ٣١٩

(حرف الذال)

الذُبَيانيّ، قطبة بن مالك، ١٧٣
 الذهبيّ، ٦، ٧٣، ٧٤، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦،
 ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٥،
 ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٨،
 ٣٠٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٩،
 ٣٧٠، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٥،
 ٤٠٦، ٤١١، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٩٣،
 ٤٩٤، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٨١،
 ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٨٩، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٥،
 ٦١٠، ٦١٨، ٦٢٣، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٣٨،
 ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٩، ٧٣٧، ٧٥٤، ٧٦٥،
 ٧٨٤، ٧٩٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٤، ٨١٧،
 ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٣،
 ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٩٧،
 ٨٩٨، ٩٠٠، ٩٠٩، ٩١١، ٩١٥، ٩٣٣،
 ٩٥٩، ٩٧٢، ٩٩٧، ١٠٠٦، ١٠١١،
 ١٠١٣، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٢
 الذهبيّ، شمس الدين، ٦٠٨، ٨٣٢
 الذهبيّ، محمّد سبيع، ١٢٦

٧٥٩، ٤١٦، ٤٠٧	٨٩٣، ٤٨٦، ٢١٥، ٢١٤، ١٧٣، ١٤٤
رياح، أبو المثني، ٣٢٩	٩٤٥، ٩٢٩
	الرافعي، ٦٢٢
(حرف الزاء)	الرافعي، مصطفى صادق، ١٠٠٣
زائدة بن قدامة، ٢٤٩	الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن
زاذان، ٣١٤، ٤٣٤	عبد الله بن الحسين بن هبة الله (سعيد بن
الزاهد، أبو عمر محمد بن عبد الواحد، ٧٣٩	هبة الله الراوندي)، ٤٣، ٨٤٠، ٨٤٢
الزاهد، أبو عمرو، ١٨٩	رؤية بن العجاج، ٣١٧
الزبيدي، ٤٦٨، ٩٢١	الربيعي، ٤١٦
الزبيدي، السيد محمد مرتضى، ٤٢٧	الربيعي، الحرث بن عبد الله، ٥٠٥
الزبير بن العوام، ٤٨، ٣٣٧، ٥٧٥، ٥٨٥	الربيع، ٤٩٤، ٦٤٥، ٦٥٨، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٧٠
الزبير بن بكار، ٤٠٧، ٥٧٣، ٦٥٠	٨٠٩، ٧٥٩، ٧٥٤
الزبيري، بكار بن عبد الله، ٥٦٤	الربيع بن أنس، ١٩٧، ٢٧٥، ٣٤٨، ٣٥٥
الزجاج، ٤٢٣، ٥٣٥، ٧٦٠، ٧٧١، ٨٥٤، ٩٢٣	٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٦٦٥، ٦٩٨
زوارق، ٧٧، ١٨٤، ٢٤٠، ٣٠٦، ٤٥٢، ٤٦٠	٧٧١، ٧٤٧، ٧١٩
٧٥٢	الربيع بن خثيم، ٣٣٦
زَرَّ بن حُبَيْش (أبو مريم الأسدي)، ٢٧٥	ربيعة، ٤٨، ٣١١، ٣٢٢
٣٤٦، ٣٣١	ربيعة بن أمية، ٤٨٢
زرقان، ٧٢، ٤٦٤	رستم، ٦٦٠
الزركشي، ٢١، ٥٣، ٦٣، ٢٠٣، ٨١٨، ٨٢١	رسول الله ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
٨٢٣	الرسول ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
الزركلي، ٣٥٧	رشدي العابري، رشيد، ١٠٠٣
زروق، ٩٥٠	رشيد رضا، السيد محمد، ٣٣، ٣٤، ٦٢٦
الزقاق الصغير، ٩٧٨	٧٣٢، ٨١٠، ١٠١١، ١٠٢٠
الزقاق الكبير، أبو بكر أحمد بن نصر، ٩٧٨	رضواني، محمد سعيد، ٥٢٥
٩٨٠، ٩٧٩	رفاعة بن رافع، ٣٠٨، ٣٠٩
زكريا <small>عليه السلام</small> ، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٤٤٩، ١٠١٦	الرقاشي، يزيد بن أبان، ٧٠٢
الزكري الغريابي، محمد بن يوسف بن واقد (أبو	الرماني، ٤٢٣، ٥٣٥، ٧٧١
عبد الله الغريابي)، ٣٨٣، ٤١٨	الرماني، علي بن عيسى، ٣٨٣، ٤٢١، ٤٢٣
زليخا، ٦٧٤، ٦٧٥	روح بن عبادة، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣، ٤٠٠

١٩٣، ١٩٤، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٤٥	زمني نژاد، علي أكبر، ٨٤٧
زين الدين العامليّ (الشهيد الثاني)، ٥٧، ٤٩١	الزَمْخَرِيّ (جار الله محمود بن عمر)، ١٤٤،
زينب بنت جحش، ٤٤٩، ٦٤٥	٢١٦، ٢٤٩، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٧٦، ٤٧١،
(حرف السين)	٥٠٣، ٥١١، ٥٣٥، ٦٥٨، ٧١١، ٧٣٠،
النائب بن يزيد، ٢٤٩، ٦١١	٧٤٦، ٧٤٧، ٧٦٢، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٨٠،
السائح السندهيّ (بزرگ شهريار)، ١٣٥	٧٨٩، ٧٩٦، ٨٦٤، ٨٩٢، ٨٩٤، ٨٩٥،
السايجي، ٢٤٦، ٢٥٠، ٣٤٧، ٣٩٤، ٤١٩،	٨٩٧، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٦، ٩٠٨،
٦٧٠	٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٤، ٩١٥،
السايجي، زكريّا بن يحيى، ٥٦٤	٩١٦، ٩١٧، ٩٣٦
سارة، ٦٩٧	الزنجانيّ، أبو عبد الله، ١٣٦
الساعديّ، ٧٦٢	الزنجانيّ، عميد، ٤١
سالم، ٤٥٧، ٤٨٨، ٦٣٤	الزهريّ، ٢٨١، ٣٠٢، ٣٤٩، ٤١١، ٤٨٨،
سالم بن أبي حفصة، ٤٤٥	٥٦٦، ٥٧٨، ٦١١، ٦٦٠، ٧٠٨، ٧٦٩،
سالم بن صفوان، ٣١٠	زهير بن معاوية، ٣٥٦
سالم بن عبد الله، ٤٥	الزواربيّ، عليّ بن الحسن، ٧٨٠
سام، ٦٦٩	زياد، ٣٣٩، ٣٤٠
السامانيّ، منصور بن نوح، ١٣٧	زياد بن المنذر الهمدانيّ (أبو الجارود)، ٢٤٧،
السامريّ، ٦٤٣	٣٨٣، ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٧٣٧،
سبحانيّ، جعفر، ١٠٤٢	٧٥٧، ٧٥٦
سبط ابن الجوزي، ٨٠٨	زياد بن أيوب، ٤١١
السبكيّ، ٨٩١	زيد، ١٨٧، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٩٧،
السجستانيّ، حريز بن عبد الله، ٣١٤	زيد بن أرقم، ١٧٣، ٢٤٥، ٣٣٢، ٤٢٨، ٤٦٣،
سجستانيّ، خليل بن أحمد، ١٣٨	زيد بن أسلم (أبو أسامة العدويّ)، ٢٧٥، ٣٥٤،
السختيانيّ، أيوب، ٤٠٢، ٤١١	٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧١، ٤٠٠،
السدوسيّ البصريّ، أبو فيند مؤرّج بن عمرو	٧٧١، ٧٥٩
النحويّ، ٩٢٦	زيد بن ثابت، ٤٧، ١٨٧، ٢٧٠، ٣١٧، ٤٢٨،
السراج، ٤٢٣	٧٤٣
السراج، أبو عبد الله محمّد بن عليّ، ١٩٤	زيد بن عليّ بن الحسين <small>عليه السلام</small> ، ٧٣٧، ٩٢٧،
سراقة، ٣١٩، ٣٢٠، ٤٩٨	٩٢٨
	زيد بن وهب (أبو سليمان الجهنيّ الكوفيّ)،

سعيد حوى، ١٠١١	السُّرُوح، ٣٩٦
السَّفَّاح، ٢٩٦، ٢٥٠، ٧٣٤	السرخسي، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦، ٤٨٥
سفيان الثوري (أبو عبد الله سفيان بن سعيد)،	السرخسي، شمس الدين، ٤٨٦
١٩٢، ٢٣٧، ٢٥٢، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٠،	السرخسي، محمّد بن منصور، ٣٣٢
٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٥٦،	السروية، ٩٠٥
٣٦٣، ٣٦٩، ٣٨٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٠،	سزكين، فؤاد، ٢٣٦، ٢٣٨، ٣٥٣، ٣٩٢، ٤١٠،
٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦،	٧٣٣، ٧٣٤، ٨١٩
٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٣، ٤١٤،	سعد، ٦٦٠
٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٧٢، ٥٧٨،	سعد بن أبي وقاص، ٤٨٨، ٧٤٨
٦٣٤، ٦٨٤، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٧، ٧٣٨،	سعد بن جنادة، ٢٤٨
٨١٢، ٧٥٩	سعد بن عبادة، ١٩٨
سفيان بن عبد الملك، ٢٤٣	سعد بن معاذ، ٤٧٦
سفيان بن عُيينة، ٥٢، ٢٤٤، ٣٦١، ٣٦٤،	سعد بن الشيرازي، ٨٦٧
٣٨٣، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨،	السعدي، علي بن حجر بن أياس، ٣٦١
٤٠٩، ٤١٠، ٤١٦، ٧٣٨	سعيد، ٢٠٠، ٢٣٦، ٢٧١، ٣٥٣، ٦٤٧
سفيان بن وكيع، ٦٨١	سعيد بن أبي عروبة، ٣٤٤
السفياني، ٥٠٩	سعيد بن المسيّب (أبو محمّد)، ٤٥، ٦١، ١٨٩،
السكوني، ٤٠٥	٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣،
السكوني، ابن خليل، ٨٧٨	٢٨٤، ٢٨٦، ٣٠١، ٣٤٩، ٣٦٣، ٣٩٥،
سَلَام بن مسكين، ٢٩٨	٦١٤، ٦٩٨، ٧١٢
سلمان الفارسي، ١١٠، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦،	سعيد بن جبیر (أبو محمّد الأسدي)، ٤٧، ٤٨،
١٧٥، ١٩٤، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥،	١٨٨، ١٨٩، ٢١٢، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٥،
٣٨٦، ٣٩٢، ٥٠٣، ٥٠٤	٢٤٢، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩،
سلمة، ٣٢٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٣،	٢٨١، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٢٩٩،
سَلَمَة بن الأَكوع، ٤٩٢	٣١٣، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٨٥، ٣٩١،
سلمة بن الفضل، ٧٤٣	٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٧، ٥٣٢، ٦٦٤، ٦٧٢،
سلمة بن أمية، ٤٨٢	٦٩٣، ٦٩٨، ٧٤٠، ٧٤٣، ٧٥٥،
سلمة بن عاصم، ٩٢١	سعيد بن قيس، ٣٣١
سَلَمَة بن كَهيل، ٣١١، ٣٣٥، ٣٨٧،	سعيد بن محمّد بن الحسن بن عطية، ٢٤٨
سُلَمي، ٣٢٤، ٤٨٢	سعيد بن منصور، ٦٧٧، ٦٦٠،

- السُّلَمِيُّ، أبو عبد الرحمان (عبد الله بن حُثَيْب الكوفي)، ١٥٨، ١٦١، ٢٧٥، ٣١٣، ٣٣٣، ٤٥٧، ٥٣٥، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٦٠، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨
- السُّلَمِيُّ الواسطي، هُثَيْم بن بَشِير (أبو معاوية ابن أبي خازم)، ٣٦١، ٣٨٣، ٤١١
- السُّلَمِيُّ، خزيمه بن حكيم، ٧٢١
- السُّلُولِيُّ، خالد بن طهمان، ٢٤٧
- سليمان عليه السلام، ٤٤٩، ٥١١، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤
- سليمان بن النضر، ٣٩٤
- سليمان بن بريدة، ٦١٣
- سليمان بن رفيع، ٣١١
- سليمان بن سرد، ٣٣١
- سليمان بن عبد الملك، ٢٨٦، ٢٩٦، ٢٩٧، ٩١٣
- سليمان بن علي، ٢٥٠، ٢٥١، ٧٣٤
- سليمان بن موسى، ٢٨٠
- سليمان بن هشام، ٣١١
- سليمان بن يسار، ٤٧٦
- السليمانِي، أحمد بن علي، ٧٤٨
- سليم بن أبي حَيَّة، ٣١٦
- ساعة، ٤٦٢، ٤٦٩
- سَاقُ بن حرب، ٣٩٩، ٤٠٠
- سَمْرَةُ بن جندب، ٥٧٧، ٦٦٩
- السمرقندي، علي بن إسحاق، ٢٥٥
- السمعاني، ٤١٥، ٧٣٦، ٧٥٤، ٨٤٣
- السمناني، علاء الدولة أحمد بن محمد، ٩٩٨
- سُمَيْع، ٢٩٧
- سُنْبِر، ٣٩٦
- السندوبيي المصري، حسن، ٤٠٤
- سُنَيْد بن داود، ٣٦١
- السهروردي، شهاب الدين، ٩٨٨
- سهل، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٦١، ٩٦٢
- سهل بن السري، ٥٨٢
- سواده بن عمرو، ٥٩٣
- سواده بن قيس، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤
- السورتِي، عبد الرحمان طاهر بن محمد، ٧٣٣
- سويد بن عمرو بن الزبير، ٥٨٦
- سويد بن غفلة، ٢٧٣
- السياري، أحمد بن محمد، ٤٤٦
- سيبويه، ٩٢٦
- السيد الأمين، ٢٤٧، ٢٨٣، ٤٠٧، ٧٨٩
- السيد الصدر، ٢٣٦، ٣٥٧، ١٠٣٨
- السيد المرتضى علم الهدى ← الشريف المرتضى
- سيد قطب، ٤٢، ١٠١١، ١٠٢٩
- سيف، ٦٥٩
- السيوري الحلبي الأسدي، أبو عبد الله جمال الدين المقداد بن عبد الله، ٨٢٠، ٨٤٣
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، ٤٥، ٥٢، ٦٣، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٥٦، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٨٩، ٣٩٣، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٥٨، ٥٧٠، ٥٩٤، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٥٦، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٨٤، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٨٩، ٧٠٠، ٧٠٦، ٧١٢، ٧١٦، ٧٢٩، ٧٣٢، ٧٣٤، ٧٣٦

شديد، ٧١١	٧٥٤، ٧٥٥، ٧٧٨، ٨٦٠، ٩٣٦، ٩٦٥
شراحيل، ٣٤٥	٩٦٦
شرحيل، ٣٤٥	
شريح، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٨	
الشريف المرتضى (علي بن الحسين الـبـفـدـاي)، ١٩٤، ٣٠٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٩٠، ٤٤٦، ٥٠٨، ٥٤٦	(حرف الشين) الشاذلي، سيّد بن قطب بن إبراهيم، ١٠٢٣ الشاري، شمس الدين، ٨١٦ الشاطبي، ٣٠، ٨١٠، ٩٤٧ الشاطر، ١١٣، ١١٧، ١١٩، ١٢٠ الشاطر، محمّد مصطفى، ١١٤
٨٦٧، ٨٥٠، ٨٤١، ٥٤٧	
شريف زاده، ٨٤٨	الشافعي، ١٦١، ٢٠٤، ٢٢١، ٢٤١، ٢٤٣
شريك النخعي، ٤١٣	٢٤٥، ٢٨٠، ٣٦٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨
شعبة، ١٩٢، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٤، ٣١٣، ٣٥٦	٤٥٥، ٤٧٢، ٤٩٠، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٠
٣٥٨، ٣٨٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١	٥٨١، ٦٧٠، ٧٣٣، ٧٣٧، ٧٦٤، ٨٠٩
٤١١، ٤١٦، ٤٥٧، ٤٨٥، ٥٨٤، ٦٢٢	٨١٠، ٨١٨، ٨٢١، ٨٢٣، ٨٢٦، ٨٢٧
٨٠٧، ٧٣٤	٨٢٨، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥
شعبة بن الحجّاج (أبو إسّطام بن الورد المتكّي الأردني)، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣، ٣٩٥	٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٧٠، ٨٧٨
٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٣	الشافعي، أحمد بن محمّد، ٣١٠
شعبة بن ربيعة، ٥١١	الشافعي الظاهري، محمّد، ١٢٧
الشعبي، ٤٥، ١٨١، ١٨٢، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣١٧	الشافعي، محمّد بن إدريس، ٤٠٧، ٤٥٤
٣٢٤، ٣٢٩، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦	٥٥٤، ٥٦٠، ٧٧٢، ٨٣٠
٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٦٣	السامي، أبو عبد الله، ٢٩٦
٤٥٨، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦١١، ٦٣٧، ٦٩٨	الشاہ عباس الثاني الصفوي، ٧٧٩
٧٣٧	شبر، السيّد عبد الله بن محمّد رضا، ٧٩٣
الشعراني، ٧٨٠، ٨٧١	٧٩٤، ٧٩٥، ٩٣٣
الشعراني، أبو الحسن، ٧٨١	شبل بن عبّاد (أبو داود)، ٣٨٣، ٧٥٩
الشعراوي، محمّد متولّي، ١٠٤٣	شبل، ٩٨٠
شقيق، ٢٥٩	شحاتة، ٢٤٣، ٧٣٧
شقيق بن سلمة، ٣٤٧، ٨٠٦، ٨٠٧	شحاتة، عبد الله، ٣٩٥
شمس الدين الداودي، ٣١٦، ٣٥٥، ٤١٠	الشحام، زيد، ٢٨، ٣٥٣
شمس الدين بن يوسف، ٨١٨	شداد، ٧١١

الشيخ المفيد ← المفيد، الشيخ أبو عبد الله
 الشيخ محمد رضا المظفر، ٥١٠
 الشيخ محمد عبده، ٣٣، ٣٧٣، ٤٥٣، ٤٥٨،
 ٤٩٠، ٤٩١، ٥٥٧، ٥٥٨، ٦٧٧، ٧٣٢،
 ٨٤٧، ٩٨٧، ٩٩٠، ٩٩٧، ١٠١٠، ١٠١٢،

١٠١٣، ١٠١٦، ١٠٢١، ١٠٢٢

الشيخ ← الطوسي، أبو جعفر محمد بن
 الحسن

الشيرازي، ٦٨٦، ٩٦٤

الشيرازي، أبو محمد، ٩٦٠

الشيرازي البيضاوي، أبو سعيد، ٧٨٩

الشيرازي، السيد محمد، ٩٣٨، ١٠١١

الشيرازي، عبد الكريم، ١٠٣٢

الشیطان، ٣٣٩، ٣٧٣، ٣٧٤

(حرف الصاد)

الصابوني، محمد علي، ٩٣٦، ١٠٤٢

الصاحب بن عباد، ٨٨٣، ٩٣٠

صادق عبد الرضا علي، ١٠٠٣

الصادقي، محمد، ١٠١١، ١٠٢٧

صارم الدين، ٣٩٣

الصاغاني، أبو بكر، ٥٧٩

الصافي الأصفهاني، ٥٤٧

صالح، ٨٣٠

صالح بن أحمد بن حنبل، ٢٣٩

صالح بن حيي، ٤٠٤

صالح بن محمد، ٢٣٤

الصاوي، ٢٠٥

الصاوي، مصطفى، ٢٣٠

صباح بن أشرس، ٧٢١

الشَّارِي، محمد مأمون، ١٢٦

شهاب، ٤٨٨

شهر بن حوشب (أبو سعيد الأشعري)، ٢٩٩،

٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٥، ٤٣٧،

٧٣٧

الشهرزوري الموصلي، تقي الدين أبو عمرو

عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد

الرحمان الكردي، ٩٦٤

الشهرستاني، السيد هبة الدين، ١٠٠٣

الشهرستاني، عبد الكريم، ٢٧٢، ٣٢٧، ٤٣٥

الشهيد الثاني، ٣٤٤، ٨٠٢، ٩١٩

شواخ، علي، ١١٢، ١١٣، ١٥٢، ٢٤٣، ٢٤٧،

٢٥٢، ٢٩٣، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥٣، ٣٥٦

الشوكاني، ٤٠٩، ٧٣٤، ٧٥٥

الشوكاني، محمد بن علي بن عبد الله، ٧٩٥

شيبان، ٢٢٧

الشيبياني الجوباري، أبو علي أحمد بن عبد

الله، ٥٨٢

الشيبياني القفطي، جمال الدين الأكرم أبو

الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم، ٤٢٤

الشيبياني، محمد بن الحسن، ٧٧٠، ٧٧٣

الشيبياني، يحيى بن أبي عمرو، ٦١٤

الشيحي البغدادي، علاء الدين أبو الحسن

علي بن محمد (الخازن)، ٥٣٥، ٦٩١،

٧١٢، ٧٢٢، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٧٣

الشيخ الأنصاري، ٨٥، ٩٨١

الشيخ البهائي، ١٠٦، ٧٨٩

الشيخ الحويرزي، ٤٤٧

شيخ الطائفة ← الطوسي، أبو جعفر محمد بن

الحسن

- صبحي صالح، ٥٤٠، ٥٤٤
 الصدر، السيد حسن، ٣٩٣
 صدقة، ٦٦٦
- (حرف الطاء)**
 الطائفي، عبد الله بن سلمة بن حصم، ٢٠٠
 الطائفي، أبو زيد، ٧٤٥
 الطاطري، مروان بن محمد، ٤١٣
 الطالقاني، ٧٣٤
 الطالقاني، عبد الوهاب، ١٤٥، ٣٩٤
 طالوت، ٧٦٧
 الطاهر، عبد الرحمان، ٢٩٢
 طاووس بن كيسان (أبو عبد الرحمان)، ١٩٩،
 ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦،
 ٢٩٧، ٣١٠، ٣١١، ٣٥٦، ٣٦٣، ٤٨٠،
 ٤٨٧، ٤٨١
 الطباطبائي، السيد محمد حسين، ٣٤، ٣٥،
 ٣٩، ٤١، ٦٥، ٨٩، ٢٦٠، ٣٧٤، ٥٤٩،
 ٧٣٢، ١٠١١، ١٠٢٥
 الطبراني، ٢١٣، ٣٤٤، ٣٦١، ٤٩٤، ٦٠٩،
 ٦١٤، ٦٢٤، ٦٥١، ٦٦٥، ٦٩٠، ٦٩٥،
 ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١
 الطبرسي، ٤٢، ٥٣، ٨٣، ١٣١، ١٤٤، ١٦٩،
 ١٧٥، ١٨٥، ٢١٤، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٨٩،
 ٣٢١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٤،
 ٣٩٧، ٤١٠، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٤١، ٤٤٣،
 ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٧١، ٥٠١، ٧١١، ٧٥٢،
 ٧٨٥، ٧٨٩، ٨٤٧، ٨٥٨، ٨٦١، ٨٦٢،
 ٩٣٧
 الطبرسي، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن
 الحسن بن الفضل، ٣٠٨، ٥٠٤، ٥٣٧،
 ٨٥٦، ٧٣٥
 الطبري، أبو القاسم، ٢٧٨
 الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، ٢١، ٤٤،
- الصدوق ← أبو جعفر محمد بن علي بن
 بابويه (الشيخ الصدوق)
 الصعدي، محمد بن يحيى، ٨١٩
 صفا، ٩٧٢
 الصفار، ٢٣
 الصفار، القاسم بن أحمد، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٩٥
 الصفدي، ١٠٥، ٧٦٠، ٨٣٢، ٩٣١
 الصدي، صلاح الدين، ٤٢١
 صفوان الجمال، ٤٧٠
 الصفوري، ٥٨٩
 الصفوي، طهاسب، ٧٧٩
 صهيب، ٣٠٧، ٧٦٥
 الصيدلاني، أبو الحسن محمد بن القاسم، ٧٦٠
 الصيمري، أبو القاسم، ٧٦٣
- (حرف الضاد)**
 الضبي، أبو الطروق، ٣٩٠
 الضبي، أبو عبد الله محمد بن العباس، ٥٨٢
 الضبي، سليمان بن قزم، ٤٠٢
 الضبي، عمار بن رزيق، ٤٠٢
 الضحاك بن مزاحم (أبو القاسم الخراساني)،
 ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٩٢، ٢٩٩،
 ٣٠٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨٣،
 ٣٨٨، ٣٩٥، ٤٨٨، ٥٨١، ٥٨٥، ٦٦٦،
 ٦٧٦، ٧٢٧، ٧٤١، ٧٧١

الطحاوي، أبو جعفر، ٣٩٣	١٧٥، ١٥٨، ١٣٧، ٥٧، ٥٣، ٤٧، ٤٦
الطريحي النجفي، فخر الدين، ٩٢٩	٢٢٣، ٢١٩، ٢١٥، ٢١٢، ١٩٧، ١٩٣
الطريحي، محمد كاظم، ٩٢٩	٢٤٣، ٢٣٦، ٢٣٣، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦
طغرل بيك، ٨٥٠	٢٦٢، ٢٥٦، ٢٥١، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦
طلحة، ٤٨، ٣٣٧، ٣٩١	٣٠٢، ٣٠٠، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩٠، ٢٦٣
طلحة بن أبي طلحة، ٣٥١	٣٢٨، ٣٢٠، ٣١٢، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٤
طلق بن حبيب، ٤٥	٣٦٢، ٣٦١، ٣٥٦، ٣٥٣، ٣٤٤، ٣٣٨
طليطلّي، بطرس، ١٣٦	٣٨٦، ٣٨٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٠، ٣٦٧
طنطاوي، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٢٨	٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١، ٣٨٩، ٣٨٨
الطهراني، آغا بزرگ، ٢٥٥، ٦٥٠، ٧٥٢	٤١٤، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٢، ٤٠٠
٧٩١، ٨١٩، ٩٢٢	٤٨٢، ٤٧٩، ٤٥٨، ٤١٩، ٤١٧، ٤١٦
الطهراني، محمد بن حمّاد، ٧٥٣	٦١٦، ٥٨٠، ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧، ٤٨٣
الطهرمسي، إسحاق بن وهب، ٥٨٣	٦٥٢، ٦٤٧، ٦٤٥، ٦٤٤، ٦٣٤، ٦١٧
الطوسي، أبو بكر، ٩٦٨	٦٦٦، ٦٥٨، ٦٥٦، ٦٥٥، ٦٥٤، ٦٥٣
الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (شيخ الطائفة)، ٢٧، ٨٣، ٨٤، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٥	٦٧٧، ٦٧٦، ٦٧٥، ٦٧١، ٦٦٩، ٦٦٨
٢٥٤، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٩	٦٨٥، ٦٨٤، ٦٨٢، ٦٨١، ٦٨٠، ٦٧٨
٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٥٤	٦٩٥، ٦٩٣، ٦٩١، ٦٨٩، ٦٨٧، ٦٨٦
٣٥٧، ٣٧١، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣	٧١١، ٧٠٩، ٧٠٨، ٧٠٧، ٧٠١، ٧٠٠
٣٩٤، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠	٧٢٣، ٧٢١، ٧٢٩، ٧١٧، ٧١٤، ٧١٢
٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٣٤، ٤٤٧، ٤٥٧	٧٤٠، ٧٣٩، ٧٣٨، ٧٣٦، ٧٣٥، ٧٣٤
٤٧٠، ٤٧٢، ٥٣٥، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٨	٧٥٠، ٧٤٩، ٧٤٨، ٧٤٧، ٧٤٦، ٧٤١
٥٧٩، ٥٨١، ٧٧١، ٧٨١، ٨٢٦، ٨٤١	٧٧٥، ٧٧١، ٧٦٥، ٧٦٣، ٧٦٢، ٧٥٦
٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٧	٨٠٣، ٨١٦، ٨٥١، ٨٧٣، ٩٢٨، ١٠١٦
٨٦٣، ٨٦٤، ٩٠٤	١٠١٧
الطبري، أبو محمد عبد العزيز بن محمد، ٧٣٩	
الطبري الإمامي، ٣٣٦، ٣٣٧	
الطبري، عماد الدين، ٢٤٧	
الطبري، عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي (الكنيا الهراسي)، ٨١٨	
الطواليبي، نجم الدين، ٨٧٩	
الطيالسي، ٣٩٧، ٤٠٠	
الطيالسي، أبو داود، ٣٩٩، ٤٩٤	
	٨٣٣

عبد الحق، ٢٥٣، ٧٦٤	الطيالسي، جعفر بن محمد، ٥٧٧
عبد الحميد، ٨٩٧	
عبد الحميد بن أبي العلاء، ٣٥٧	(حرف العين)
عبد الرحمان، ٢٤٩، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥٤	عائشة، ٢٠، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ١٥٩، ١٦٦، ١٧٠
٣٦٣، ٣٧١، ٤١٤، ٦٢٠	١٨٣، ١٨٧، ٢٠٨، ٣٢٠، ٣٣٥، ٣٤٢
عبد الرحمان بن الحجّاج، ٣١٥، ٤٠٤	٣٩١، ٤٠٩، ٤٧٩، ٥٦٥، ٥٦٦، ٦٢٢
عبد الرحمان بن جبير، ٧٠٧	٦٤٧، ٦٦٠، ٧٤٨، ٧٥٦، ٨٢٢، ٩٠٥
عبد الرحمان بن زياد بن أنعم، ٦٨٧	عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، ٧١١
عبد الرحمان بن زيد بن أسلم (ابن زيد)، ٧٤١، ٦٩٥، ٧٠، ٤١٠، ٣٨٣، ٣٦٤	٧١٣
عبد الرحمان بن كيسان (أبو بكر الأصم)، ٧٦٠	عاصم، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٤٧، ٤٥٧، ٩١٣
عبد الرحمان قراعة، ١٢٦	عاصم بن أبي النجود، ٣٣٣، ٣٩٧، ٤٠٠
عبد الرحيم محمد علي، ١٢٢، ١٢٣، ١٤٦	عاصم بن بهدلة، ٣٤٤، ٤٠٠، ٤٠٧
عبد الرزاق، ٢٢٥، ٢٤٣، ٣٦٤، ٤٠٨، ٤١٨	عامر الشعبي (أبو عمرو عامر بن شراحيل الحميري)، ٢٧٥، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٤٣
٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٧٧، ٥٨٢	٦١٣
٥٨٥، ٥٩٣، ٦٠٣، ٦٣٤، ٦٣٧	عامر بن صالح، ٥٨٥
عبد الرزاق بن هشام (الصنعاني)، ٣٦١، ٣٨٣	عامر بن عبد الله بن الزبير، ٤٨
٣٩٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٧، ٧٣١	عامر بن عبد الله بن عبد قيس، ٣٣٦، ٦١٧
٧٣٨	العاملّي، ١٢٩
عبد الرزاق حرز الدين، ٣٩٣، ٧٣٦	العاملّي، السيّد محمد، ١٣٠، ١٣١
عبد الغني، ٧٧١	العاملّي، محمد بهاء الدين، ١٠٥، ٨٧٩
عبد الغني بن سعيد، ٧٣٦	عباد بن كثير، ٢٤٤، ٣٩٥
عبد الغني، عليّ حسن، ٣٩٤، ٧٣٦	عبادة بن الصامت، ١٧١، ٤٦٢
عبد القادر حسين، ٨٨٠	عبّاس الجمل، ١٢٨
عبد الكريم بن أبي العوجاء، ٥٥٨	العبّاس بن عبد المطلب، ٤٢٨، ٤٦٣، ٥٦٥
عبد الله، ٢٢٧، ٢٥٦، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٠	٦١٤، ٦١٥، ٦٩٥
٣٣٢، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٩٠، ٤٨١، ٤٨٧	عبد الأعلى، ٧٨، ٧٢١
٥٩٠، ٦١٣، ٦٢٠، ٧٥٦	عبد الجبار، ٨٨٤، ٩٠٤، ٩٣٠
عبد الله بن أبي جعفر، ٧٤٧	عبد الجبار بن عبّاس، ١٩٥
	عبد الحارث، ٤٤٨

- عبد الله بن أبي رافع، ٣٤٦
عبد الله بن أبي نُجَيْح، ٤٠٧، ٤٠٠
عبد الله بن أحمد، ٢٤١، ٤١٨، ٧١٩
عبد الله بن أحمد بن حنبل، ٥٧١، ٨١٠
عبد الله بن الجراح، ٣٦١
عبد الله بن الحارث، ٥٨٥، ٦٢٠
عبد الله بن الحرث، ٢٢٧
عبد الله بن الحسن، ٢٤٧، ٣٩٠، ٧٣٧
عبد الله بن الحسن المثنى، ٢٩٤
عبد الله بن المبارك، ٤٠٢
عبد الله بن بديل، ٣٣١، ٨٦٣
عبد الله بن بريدة، ٣٩١، ٦١٣
عبد الله بن بكير، ٤٦٩
عبد الله بن ثابت، ٦٢٨
عبد الله بن ثعلبة، ٢٨٠
عبد الله بن جعفر، ٣٣٣، ٤٧٠
عبد الله بن حامد، ٧٦٠
عبد الله بن خففة، ٣١٦
عبد الله بن زيد بن أسلم، ٣٦٠
عبد الله بن سلام، ٢٢٢، ٣٧٧، ٦٠٠، ٦٠٩
٦٤٠، ٦٣٩
عبد الله بن سنان، ٤٦٩
عبد الله بن صالح، ٦١٠
عبد الله بن طاووس، ٢٩٥
عبد الله بن عامر، ٩١٤
عبد الله بن عباس ← ابن عباس
عبد الله بن عبد الرحمان، ٤٠٣، ٥٨٥
عبد الله بن عبد ياليل، ١٩٩، ٢٠٠
عبد الله بن علي، ٥٥٩
عبد الله بن عمر، ١٨٧، ٢١٩، ٣٠٠، ٣٠١
- ٣٠٣، ٣٠٧، ٤٧٠، ٤٨٧، ٤٨٨، ٥٧٤
٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٤٥، ٦٤٧
٦٦٤، ٦٨٩، ٦٩٠، ٧١٩، ٧٧٣، ٧٧٦
٨٨٥
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ١٣٤، ١٣٩
عبد الله بن عمرو بن العاص، ٤٧، ١٧٤، ١٨٧
٢٢٠، ٢٦٣، ٥٧٤، ٦٠١، ٦٠٣، ٦٠٨
٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٣، ٦٢٨، ٦٣٣
٦٣٨، ٦٤١، ٦٥٢، ٦٨٩
عبد الله بن عون، ٤٠٢
عبد الله بن قلابة، ٧١٢
عبد الله بن قيس، ٢٧١، ٧٤٢
عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، ٤١٩
عبد الله بن مسعود ← ابن مسعود
عبد الله بن نُعَيْر، ٣٣٥
عبد الله بن وهب، ٤١٠
عبد الله بن يحيى، ٤١٣
عبد الله بن يزيد، ٣٥٠
عبد المجيد خان، ٨٩٦
عبد المجيد سليم، ١٢٦
عبد المطلب، ٢٠٢، ٣٥١
عبد الملك بن الربيع بن سبرة، ٤٧٨، ٤٩٤
٤٩٥
عبد الملك (بن عطاء بن أبي رباح)، ٢٩٦
٣١٠
عبد الملك بن مروان، ٢٧٣، ٢٨٦، ٣٢١
٣٢٧، ٥٣٢، ٦٤٧
عبد الملك بن ميسرة، ٢٤٢
عبد المنعم بن إدريس، ٥٨٥، ٥٩٤
عبد الواحد بن زياد، ٤٩٣، ٤٩٤

٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٧
 ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٦٣، ٤٨٩، ٥٥٧، ٥٧٤
 ٥٧٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٦١١، ٦١٤، ٦٢١
 ٨١١، ٦٢٢

المجلى، ٢٥٣، ٣٠٢، ٣٢٢، ٣٤٣، ٣٤٦
 ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٨٦، ٤١٢، ٤١٣

العجني، أبو النجم، ٩١١
 عدنان، ٦٩٨

العدوي البصري، أبو سعيد الحسن بن علي بن
 زكريا، ٥٨٤

عدي بن حاتم، ٢٠، ١٨٢
 عروة، ٢٧٣

عروة بن الزبير، ٤٨٢، ٥٦٦
 عريف، ٢٩٦، ٣١٠

عز الدين بن عبد السلام، ٨٢١، ٨٢٣
 عزيز، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٤، ٦٦٥

العزيز، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨
 ٦٧٩

العقلائي، ابن حجر، ١٨٣، ١٨٩، ٢٠٢
 ٢٠٤، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢
 ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧١، ٢٩٦

٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣١٠
 ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٣٤

٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥
 ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧١، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٤

٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١
 ٤٥٥، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٣١

٥٣٢، ٥٦٤، ٥٧١، ٥٧٥، ٥٩٠، ٥٩٣
 ٥٩٨، ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٠، ٦١٣، ٦١٧

عبد الوهاب، ٢٨٨، ٨٣٥

عبد بن حميد، ٣٦١، ٣٦٤، ٤١٩، ٦٩٠
 ٧١٢، ٩٠٥

عبد شمس بن صخر، ٦٢٠

عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، ٢٤١
 عبده، محمود محمد، ٤١٨، ٧٣٨

العبدي الكوفي، أبو محمد سفيان بن مصعب،
 ٢٠١

عبد يزيد، ٤٧٤

العبر تائي، أحمد بن هلال، ٥٤٨

العبيسي، عبد الرحمان بن سكرة بن حبيب،
 ٦١

عبيد، ٢٤٩، ٦٨٤

عبيد الله بن أبي رافع، ١٩٩، ٣٣٠، ٣٣١

عبيد الله بن أبي يزيد، ٢٩٣

عبيد الله بن زياد، ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤١
 ٣٤٤

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، ٢٢٤

عبيد الله بن عمر، ٤٥، ٣٥٥، ٣٧١

عبيد الله بن موسى، ١٩٥، ٤١٨

عبيد بن الأبرص، ٢١٤

عبيد بن حنين، ٩-٤

عبيد بن عمير، ٢٨٤

عبيدة، ٧٧٧

عبيدة بن قيس (السلماني)، ٤٥، ٢٧١، ٢٧٥
 ٣٢٩، ٣٤٨، ٣٩٩، ٤٣٣، ٤٣٤

عتبة بن أبي حكيم، ٨٦١

العتكي، عبد الله، ٣٠٨

عثمان، ٤٨، ٦١، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٧، ٢١٥
 ٢٢٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٣١٩، ٣٢٢

- ٧١٢، ٦٩١، ٦٨١، ٦٧٧، ٥٦٢، ٤٥٨
 ١٠١٦، ٧٥٩، ٧٤٨، ٧٤٣، ٧٤٠، ٧٣٧
 العكبي، ٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٩
 العكبي، مسروق، ٣٤٢، ٣٤٠، ٣٣٨
 علاء بن عتبة الحمصي، ٢٣٥
 علقمة بن قيس (أبو شبيل النخعي)، ١٨٩،
 ١٩٣، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٠٤، ٣٢٨
 ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٧، ٤٣٣، ٤٣٥
 ٧٤٨، ٦١٣
 علم الهدى السيد المرتضى ← الشريف
 المرتضى
 العلوي، أبو الفضل العباس بن محمد، ٤٤٦،
 ٤٤٧، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٨٥
 العلوي، حمزة بن محمد، ٤٢٣
 عليّ ابن أبي طلحة، ٢٣٥
 عليان، محمد، ٩٠٣
 عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ٥، ٢٤، ٢٥، ٤٢، ٤٧،
 ٥١، ٥٢، ٥٦، ٦٦، ٦٧، ٧٦، ٨٣، ٨٩
 ١٢٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٢، ١٨١
 ١٨٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١
 ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠
 ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠
 ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٤، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٦
 ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣
 ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣
 ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦
 ٢٩٧، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٤
 ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠
 ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦
 ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣
- ٧٢١، ٧٢٠، ٧٠٩، ٦٣٤، ٦٢٥، ٦١٩
 ٨١٤، ٨٠٩، ٨٠٧، ٨٠٦، ٧٦٠، ٧٤٩
 ٨٤٠، ٨٦٠، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٨، ٩٠٥
 العسكري، أبو أحمد حسن بن عبد الله، ٢١٠
 عطاء، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٩٣، ٢٩٩
 ٣٥٦، ٣٧٧، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٧
 ٤٩٨، ٥٨١، ٧١٩
 عطاء بن أبي رباح (أبو محمد)، ٢٣٩
 ٢٤٣، ٢٧٥، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢
 ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٩١، ٣٩٥، ٥٣٢
 ٦٥٢، ٧٣٧
 عطاء بن السائب (أبو محمد الثقفي الكوفي)،
 ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٧٥، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤
 ٣٤١، ٣٤٣، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٧
 ٩٢٧
 عطاء بن يسار، ٢٨٤، ٣٥٤، ٦٩٥
 العطار النيسابوري، الشيخ فريد الدين، ٣١٨
 عطية، ٢٤٦، ٣٦٤، ٧٣٧
 عقبة بن عامر، ٦٨٧
 عقير بن معدان، ٧١٨
 عقيل، ٤١٥، ٤٢٨، ٤٦٣
 العقيلي، ٢٨٤، ٣١٦، ٣٣٦، ٣٤٦
 عكاشة، ٥٩٤
 العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن
 عبد الله، ٩٢٢
 عكرمة، ٢١٢، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٧٥
 ٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١
 ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧
 ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٤٦، ٣٥٦
 ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٩٥، ٤١٧

٣٩٦، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٣٣، ٣٢٠	٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤
٤١٦، ٤١٤	٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٠
علي بن جعفر، ١٧٠	٣٦٥، ٣٥٥، ٣٥٢، ٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٨
علي بن زيد بن جدعان، ٦٩٥	٣٩١، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٧٨، ٣٦٩، ٣٦٨
علي بن سعيد، ٩٦٦	٤٣١، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤١٧، ٤٠٥، ٣٩٩
علي بن عبد الله، ٤١٦	٤٤١، ٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٣٣، ٤٣٢
علي بن محمد بن الجهم، ٥٦	٤٥١، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٨
علي بن موسى الرضا <small>عليه السلام</small> ، ٢٨، ٥٦، ٢٨٢	٤٧٩، ٤٨٧، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٦، ٤٩٨
٣٣٢، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٦٤	٥٠١، ٥٠٣، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٥٧، ٥٦٦
٥٦٩، ٦٣٨، ٦٤٩، ٧٨٩، ٨٥٠، ٨٧٦	٥٧٣، ٥٧٢، ٥٧١، ٥٧٠، ٥٦٨، ٥٦٧
علي بن هاشم، ٤١٨	٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٩، ٦٠٦
علي بن يقطين، ٤٦٦	٦٠٧، ٦١١، ٦١٥، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٣٣
عماد الدين بن كثير، ٦٣٣	٦٣٧، ٦٥٠، ٦٧٢، ٦٩٨، ٧٠٤، ٧٤٨
عمار، ١٩٤، ٣٣٧، ٦٢٠، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٢٩	٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥٣، ٧٦١، ٧٧٢، ٧٧٣
٨٦١	٧٧٦، ٧٨٨، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٨، ٨٠٩
عمارة بن أبي الأجلح، ٢٠٠	٨١١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٩، ٨٥٣، ٨٥٩
عمران بن حصين، ١٦٤، ١٧٦، ٤٨٩، ٨٠٧	٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٦، ٨٧٠
عمران بن سودة، ٤٨٢	٨٧١، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٩١٨
عمر بن إبراهيم، ٥٩٠	٩٤٣، ٩٤٥، ٩٨٩، ١٠٣٦، ١٠٣٩
عمر بن أبي ربيعة، ٢١١	علي بن أبي طلحة، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٢، ٣٦٠
عمر بن الخطاب، ٤٥، ١٦١، ١٨٤، ١٨٥	٣٦١، ٧٤٥
١٦٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٨، ٢١٥	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ١٣٢
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٧١، ٢٧٢، ٣١٢	علي بن الحسن بن فضال، ٤٢١
٣١٤، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٧١، ٤٠٩	علي بن الحسين بن الجنيد، ٤١٣
٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩	علي بن الحسين زين العابدين <small>عليه السلام</small> ، ٢٢٤
٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥	٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢
٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٢	٢٨٣، ٢٩٤، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٥٤، ٣٧١
٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٦٧، ٥٧٣	٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٢، ٧٣٥، ٧٤٨، ٧٩٣
٥٧٤، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٣	٩٢١، ١٤٤١
٦٠٤، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٤	علي بن المديني، ٢٣٨، ٢٥٢، ٣١٧، ٣١٩

العمرِّي، عثمان بن سعيد، ٥٤٨	٦١٥، ٦١٦، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٨، ٦٢٩
عمير بن زرارة، ٣٣١	٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٥، ٦٤١، ٦٥١، ٧٧٣
عمير بن هانئ، ٢٣٥	٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨١١، ٨٢٣، ٨٢٦
العنبري، حصين بن الحرّ، ٢٩٧	٨٧٦
عُوج بن عُق، ٦٥٧، ٦٥٦، ٦٥٥	عمر بن بكير، ٥٣٣، ٩٢٠
عوف، ٦١٤	عمر بن ذرّ، ٣٥٠
عوف بن مالك، ٦١٤	عمر بن عبد العزيز، ٣٤٩
العُوفِيّ، ٢٤٦	عمر بن هبيرة، ٢٤٦، ٢٤٨
العُوفِيّ، أبو الحسن عطية بن سعد بن جنادة، ٢٤٥	عمر، ٣٩٥
العُوفِيّ، عطية، ٢٤٧، ٢٤٨، ٣٦٠، ٣٩٥	عمرو، ٣٤٥، ٦١٨
٣٩٦، ٧٢٧	عمرو بن أبي سلمة، ٣٩٧، ٧٤٨
عويمر، ١٧٦، ٢٧٢، ٢٧٣	عمرو بن العاص، ٢٢٢، ٢٧٢، ٣٣٥، ٥٦٦
العِيَّاشِيّ (أبو النظر محمد بن مسعود بن عيَّاش السُّلَمِيّ)، ٥٦، ٦٢، ٧٢، ١٦٥	٦١٩، ٦٢٠، ٨٠٧
٣٠٦، ٣٨٣، ٤٠٣، ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٤٤	عمرو بن حبيش، ٢١٩
٤٦٤، ٧٣١، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٨٣، ٨٢٣	عمرو بن حريث، ٤٨٠، ٤٨١
عيسى <small>عليه السلام</small> ، ٢٤٥، ٢٩٥، ٤٣٧، ٥٠٢، ٥٠٩	عمرو بن خالد الواسطيّ، ٢٤١
٥٧٠، ٦٦٦، ٦٦٩، ٩٤٠	عمرو بن دينار، ٢٣٩، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨
عيسى بن زيد، ٤-٤	٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٠، ٣٤٩، ٤١١، ٤٨١
عُيَيْبَة، ٤١٣	٦٨١
(حرف الفين)	عمرو بن شرحبيل (أبو مسيرة الهمدانيّ الوادعيّ)، ٢٧٥، ٢٨٣، ٣٢٩، ٣٣٤
غالب، ٤٥٧	٣٤٤، ٣٤٥
الغَرَّاب، محمود، ٩٦٠، ٩٨٦	عمرو بن عبد الرحمان بن مهرب، ٦٥٣، ٦٥٤
الغَرَّارِيّ، موسى، ١٢٨	عمر بن عبيد، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٩٠، ٤٣٣
الغَزَّالِيّ، ٥٦١، ٨٢١، ٩٤٠، ٩٤٢، ٩٤٤	٥٣٢
الغَزَّالِيّ، أبو حامد، ٦٣٦	عمر بن عليّ، ٦١٣
الغَزَّالِيّ الطُّوسِيّ، أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد، ٥٨٣	عمر بن محمد، ٦٨١
	عمر بن مرة، ٣٣٤، ٣٤٣
	عمر بن معد يكرب، ٣٣٣
	عمر بن ميمون، ٢٧٩، ٢٨٠

- الفَسَائِي السَّمَار، أبو زكريا يحيى بن هاشم، ٥٨٦
 الفَرَّاءِي، ٧٨١
 غلامي، عبد الله، ٥٢٥
 الغمراوي، ٧٢٧
 الغمراوي، محمد أحمد، ٧٢٥
 الغنوي، ٦٢٠
 غياث بن إبراهيم، ٥٦٤، ٥٧٧، ٥٨١
 الفيثاني الكرمانى، السيد محمد رضا، ٤٢٢
 غيلان، زيد بن محارب بن حفصة بن قيس، ٧٦٤
- (حرف الفاء)
- الفارابي، محمد بن تميم، ٥٨٢
 الفارسي، ٧٦٣، ٧٥٨
 الفارسي، خالد بن الهيثم، ٥٦٩
 الفاريايى، أبو محمد جبريل بن أحمد، ٤٠٣
 الفارياناتي، أبو عبد الرحمان أحمد بن عبد الله، ٥٨٣
 الفاضل الكاظمي، ٨١٩
 الفاضل الكاظمي، شمس الدين أبو عبد الله محمد الجواد، ٨٤٧
 فاطمة الزهراء عليها السلام، ٢٤٧، ٢٨٦، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٣، ٤٥١، ٥٦٦، ٥٩٢، ٧٥٨، ٧٥٠
 ٨٧٨، ٨٧٧، ٧٧٢، ٧٥٦، ٧٥٣
 فاطمة بنت قيس، ٦١١
 الفخام، محمد عبداللطيف، ١٢٦
 فخر الدولة، ٩٣٠
 الفراء، ١٨٦، ٦٠٢، ٧٦٠، ٧٧١، ٨١٨، ٩٢٢، ٩٢٨، ٩٢٣
- الفراء البَمَوِيّ (أبو محمد الحسين بن مسعود)، ٧٧٤، ٧٦٦
 الفراء، يحيى بن زياد (أبو زكريا)، ٣٨٣، ٤١٤، ٥٣٣، ٧٤١، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٦
 الفراتي البستاني، أبو عمرو، ٧٦٠
 الفراتي محمد بن يوسف، ٧٥٩
 فرانكلن، ٧٢٥
 الفرج بن فضالة، ٧٤٥
 فرعون، ٦٠، ١٢٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٨٢٢، ٩٥١
 الفريابي، ٢٣٥، ٣٦٣، ٤٠٠، ٦٧٦
 فريد وجدي، ١١١
 الفزاري، محمد بن إسماعيل، ٤١٨
 فضل الله، السيد محمد حسين، ١٠١١، ١٠٢٩
 الفضل بن المختار، ٧٢١
 الفضل بن زياد، ١٦٤
 الفضل بن شاذان، ٢٨١، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٩٢، ٧٥٣
 الفضل بن ميمون، ٥٣١
 الفضيل البرجمي، ٣٥٠
 فضيل بن عياض، ٤٠١
 فطر بن خليفة، ٣٣٤
 الفيروز آبادي، ٢٥٤، ٢٥٦، ٣٤٠، ٤٢٧، ٤٦٧، ٧٤٩، ٨٦١
 الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، ٢٥٥
 الفيض الكاشاني، (المولى محسن محمد بن المرتضى)، ٢٨، ٢٤٠، ٤٣٩، ٤٤٣، ٥٣٥، ٧٧٩، ٧٨١، ٧٨٩، ٨٩٢، ٩٩٨

القرطبي، ٥٩، ٦١، ١٦٤، ٣٧٣، ٣٩٣، ٤٥٦،
 ٤٦٨، ٤٧٨، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٣٥، ٥٦٢،
 ٥٦٣، ٥٧٢، ٥٨٩، ٦٦٤، ٦٨٩، ٧٣٤،
 ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٩٦، ٨٧٩، ٩٢٨
 القرطبي، أبو العباس، ٥٦٠، ٩٢١
 القسري، أبو عبد الله محمد بن أحمد
 الأنصاري، ٥٣٧، ٧٦٨
 القرطي، ٣٣١، ٥٥٩
 القرطي، محمد بن كعب (أبو حمزة)، ٢٧٥،
 ٣٣١، ٣٣٢، ٣٦٠، ٣٦٤، ٦٠٨، ٦٢٧،
 ٦٩١، ٦٩٨، ٧١٢
 قرقوز، أحمد، ١٠٠٣
 القرني، أوس، ٣٣٦
 القسري، خالد بن عبد الله، ٣٥٠
 القسطلاني، ٤٨٤، ٦٣٤
 القشيري، ٥٣٥، ٨١٨، ٨٩٧، ٩٥٢، ٩٥٤،
 ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٩
 القشيري النيسابوري، أبو القاسم عبد الكريم
 ابن هوازن، ٩٦٧
 القظامي، ٧-٩
 القطن، ٤١٦
 القطن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شاعر،
 ٢٠٤
 القطن النيسابوري، محمد بن يوسف، ٩٦٥
 القطناني، ٤٩٤
 القطن، يحيى، ٢٥٢
 القطب الراوندي، ٣٢١، ٨٤١
 قطرب، أبو علي، ٧٤١
 قطرب بن المستنير، ٩٢٢
 القعبي، ٢٩٢

(حرف القاف)

القائم بالله، ٨٣٢
 القائم (عج) ← المهدي (عج)
 القادر بالله، ٨٣٢، ٨٥٠
 القاسم بن العلاء، ٥٤٨
 القاسم بن عبد الغفار، ٣٤٤
 القاسم بن محمد، ٤٥، ٢٨٢، ٤٧٩
 القاسمي، جمال الدين أبو الفرج محمد بن
 محمد، ١٠٢١
 القاسمي، محمد محمد، ١٠١١
 القاضي إسماعيل، ٨١٨
 القاضي سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة،
 ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧
 القاضي عياض، ٧٠٤
 القانوني، سليمان، ٨٩٥
 قبصة بن عتبة (أبو عامر)، ٤١٩، ٤٦٠،
 ٢٠٧، ٢١٥، ٢١٧، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩٨،
 ٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٤،
 ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥،
 ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٨٥،
 ٥٧٧، ٦٣٧، ٦٦٣، ٦٧٦، ٦٨١، ٦٩٣،
 ٧٠٦، ٧٠٨، ٧١٤، ٧٣٧، ٧٥٦، ٧٧١
 قتادة بن دعامة (أبو الخطاب السدوسي)،
 ٢٦٣، ٢٧٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٠،
 ٣٩٧، ٧٤٠
 قتيبة، ٣٣٢، ٤١١
 قتيبة بن مسلم، ٢٤٨
 القتيبي، ٧٧١
 القرافي، ٧٢٨، ٧٢٩
 القرشي، عبد العزيز بن عبد الله، ٣٤٤

٩٩٧، ٩٨٨	القفال، ٤٥٨، ٣٧٦
الكاظمي، ٨٤٨، ٨٢٠	القنطري، ٧٥٨
كالب بن يوحنا، ٦٥٥	القنبي (علي بن ابراهيم بن هاشم)، ١٧١،
الكانكاني، محمد بن القاسم، ٥٨١	٢٤٢، ٣١٢، ٣٣٠، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧،
الكتاني، ٩٧٨	٣٨٨، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٧، ٤٣٩،
كثير النوا، ٤٤٥	٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢،
الكذاب، ميلمة، ٦١٠	٧٨٥، ٧٨٣، ٧٥٧، ٧٥٦، ٧٣٧، ٧٣١
الكراجكي، ٣٢٤، ٣٢٦	٧٩٤
الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي، ٣٢٣	القنبي، الشيخ عباس، ١٩٧، ٢٤٩، ٤١١،
الكرخي، عبد الله، ٨١٤	٤١٥، ٤٢٣، ٥٦٩، ٧٥٢
الكرخي، علي بن عبد العالي، ٧٧٩	القنبي، الميرزا محمد بن محمد رضا
الكرماني، محمد بن عكاشة، ٥٦٢، ٥٨١	(المشهدي)، ٧٨٩
٥٨٢	القنبي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن
كريب، ٢٩٧	محمد، ١٤٠
الکسانتي، ٤٥٧، ٧٦٠، ٩١٩، ٩٢١، ٩٢٢	القواريري البغدادي، أبو القاسم سعيد بن
٩٢٦	محمد بن الجنيد، ٩٧٩
الکسانتي، علي بن حمزة، ٧٤١، ٩٢٦	القوشجي، ٤٨٤
الکشي (أبو عمرو)، ١٩٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٤	قيس، ٤٨١، ٢٤٨
٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣١٠	قيس بن أبي حازم، ٢٧١
٣١٤، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٥٧	قيس بن خرشة، ٦١٤، ٦٦٥
٤٠٣، ٤٢١، ٥٥١	قيس بن سعد بن عبادة، ٣٤٤
الکشي، عبد الحميد بن حميد، ٧٦٠	قيس عيلان، ٤١٢
كعب الأحبار (كعب بن ماتب)، ٢٢٢، ٢٢٣	القيسي، ٧٦٣
٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٧٧	
٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٩٨	
٦٠٠، ٦٠٨، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧	
٦١٨، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦	
٦٢٨، ٦٣١، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٣٩	
٦٤٥، ٦٥٠، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٢، ٦٨٠	
٦٨٤، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٥، ٦٩٦	
	(حرف الكاف)
	الكابلي، أبو خالد، ٢٨١، ٢٨٢
	كازانوف، ١٤٦
	كازيميرسكي، ١٤٦
	الكاشاني، المولى فتح الله، ٧٧٩، ٧٨٠
	الكاشاني، كمال الدين عبد الرزاق، ٩٨٧

- المحاريبي، ٢٧٥، ٣٤٥
 الكوفي، أبو محمّد الحسن بن عمارة بن
 المضرب، ٥٨٤
 الكوفي الخزاز، الحسين بن حميد بن ربيع،
 ٥٨٤
 الكوفي، المغيرة بن سعيد، ٥٨١
 الكوفي، حصين بن جندب، ٣٠٩
 الكوفي، زيد الحُباب، ٤٠٤، ٤٠١، ٤٠٢،
 ٦٨٧، ٦٩٥
 الكوفي، عبد الله بن حُثيب، ٣٣٣
 الكوفي، فرات بن إبراهيم، ٤٤٥
- (حرف هـ)
- الغازر، ٧٨١
- (حرف اللام)
- اللّبان، عبد المجيد، ١٢٦
 لبيد، ٢١٦، ٧٤٥، ١٠١٧، ١٠٢٠
 اللّخمي، أبو الأزهر نصر بن عمرو، ٣٩١
 اللّخميّ الفلسطينيّ، أبو رقيّة تميم بن أوس بن
 حارثة خارجه الداريّ، ٦٠٩
 لقمان، ٣٩٢
 لوثيا، ٧٦٨
 لوط عليه السلام، ٣٨٠، ٦٤٣
 اللّيث، ٣١٠، ٣٣٥، ٦٠٩، ٦١٠، ٦٣٦، ٧١٥
- (حرف الميم)
- الماردينيّ، ربيع بن محمود، ٥٨٤
 ماروت، ٤٤٨، ٦٣٣، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧،
 ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٧٠٩، ٧٦٧
- ٧٧٦، ٧٦٨، ٧١٢، ٧٠٠
 كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم، ٥٠٥
 كعب بن عجرة، ٧٥٥
 الكعبيّ، ٨٨٤
 الكلاعيّ، عمران بن بكّار، ٣٩١
 الكلبيّ، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١،
 ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٦٠،
 ٣٦١، ٣٩٢، ٤٨٢، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٨٠،
 ٧٣١، ٧٥٩، ٧٧١
 الكلبيّ، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب
 ابن بشر، ٢١٨، ٢٨٣، ٣٨٣، ٤١٥
 الكلبيّ، الحسين بن علوان، ٢٤١
 الكلبيّ الفرناطيّ، أبو القاسم محمّد بن أحمد
 ابن محمّد بن جرّيّ، ٩٣٥
 الكلبيّ، محمّد بن السائب (أبو النضر)، ٢٤٨،
 ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣١٤، ٣١٦،
 ٣٨٣، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤١٢، ٥٨١، ٧٣٤،
 ٧٤١، ٨١٩، ٨٢٤، ٩٢٦
 الكلينيّ (أبو جعفر محمّد بن يعقوب)، ١٨،
 ٢٨، ٦٢، ٨١، ١٧١، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٨٢،
 ٣٠٥، ٣٣٠، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٨٧،
 ٣٨٨، ٣٩٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٠، ٤٢٢،
 ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٥٢، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٦٩،
 ٥٤٨، ٧٥٦، ٧٥٧
 كميل بن زياد، ٣٣١
 الكنجيّ، الحافظ، ٨٠٨
 الكنديّ، ٦٣٦
 الكواكبيّ، السيّد عبد الرحمان، ١٠٠٣
 كورش، ٣٨٠، ٦٨٨
 الكوفيّ، أبو الشعثاء (سليم بن الأسود)

٧٥٩ ، ٧٤٤ ، ٧٤٠ ، ٧٣٣ ، ٧٣١ ، ٧٠٠	٨٩٦ ، ٧٩٢ ، ٧٨٧ ، ٧٨٣ ، ٧٧٦
٩٠٥ ، ٨٦١ ، ٨٣٩ ، ٨٣١ ، ٧٧٦ ، ٧٧١	٩٢٢ ، المازني،
٤١٧ ، مجاهد بن موسى بن فروخ،	٨٣٨ ، المالك،
٣٠٥ ، ٧٥ ، ٥٦ ، ٣٩ ، (محمد باقر)، المجلسي	مالك، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ،
٧٥١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٤٦٧ ، ٣٨٨ ، ٣٠٧	٤٥٦ ، ٤٧٢ ، ٤٨٢ ، ٥٦٠ ، ٥٧٨ ، ٦٢٥ ،
١٠٤١ ، ٧٩٤ ، ٧٩٣ ، ٧٩٠ ، ٧٨٩ ، ٧٨٧	٨٣٩ ، ٨٣٦ ، ٨٢٦ ، ٨١٤ ، ٦٧٠ ،
٢٤٠ ، المجلسي، محمد تقي،	مالك بن أنس، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٩٥ ، ٤٠١ ،
٦١٣ ، محارب،	٤٧٦ ، ٨١٠ ،
٢٤٩ ، المحاربي،	مالك بن دينار، ٦٨٠ ،
٧٦٤ ، المحاربي، عطية بن خالد،	المامقاني، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ، ٣٤٢ ،
٤١٢ ، المحاربي، محمد بن عبيد،	المأمون العباسي، ٤٨٦ ، ٥٨٠ ، ٦٤٩ ،
٤٠٩ ، المحاربي، أحمد صالح،	ماهيار، ٢٧ ،
٣٥٢ ، ٢٤٧ ، المحدث القمي،	ماهيار، محمد بن العباس، ٤٤٥ ،
٤٤٠ ، محسن الفيض،	الماوردي، ٦٧٨ ، ٧٦٣ ،
٨٧٤ ، محسن عبد الحميد،	الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن
٨٤٧ ، ٨٤٥ ، المحقق الأردبيلي،	حبيب، ٧٦٢ ،
٢٨٣ ، المحقق البحراني،	مؤرج السدوسي، ٩٢٦ ،
٤٠٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٠ ، ٣٠٦ ، المحقق التستري،	مؤمل، ٤٠٥ ، ٨١٢ ،
٤٩١ ، ١٣٠ ، المحقق الحلبي،	المبرد، أبو العباس، ٣٩٠ ،
٥٤٧ ، المحقق الحلبي، نجم الدين أبو القاسم،	المتقي الهندي، ٤٢٨ ،
٥٤٩ ، ٨٧ ، ٨٥ ، المحقق الخراساني،	مجالد، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦١٣ ،
٤٥٩ ، المحقق الفيض،	مجاهد بن جبر (أبو الحجاج المخزومي)، ٣١ ،
٩٣١ ، المحقق القمي،	٤٧ ، ٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ،
٥٥٠ ، المحقق الكاظمي،	٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ،
٥٥٠ ، ٥٤٩ ، ٥٤٧ ، المحقق النائيني،	٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ،
٧٩١ ، المحقق النوري،	٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٦٠ ،
١٠٩ ، المحقق الهمداني،	٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٩ ،
٩٢٩ ، محقق، مهدي،	٣٩٥ ، ٤٠٠ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٨ ،
المحلي الشافعي، جلال الدين محمد بن	٤٨٧ ، ٥٣١ ، ٥٨١ ، ٦١٩ ، ٦٤٥ ، ٦٥٥ ،
أحمد، ٩٣٦ ،	٦٧٢ ، ٦٧٦ ، ٦٨٤ ، ٦٩١ ، ٦٩٣ ، ٦٩٨ ،

٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٢،
 ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٦،
 ٨٨، ٩٣، ١٠٩، ١١٧، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦،
 ١٢٩، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٦،
 ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١،
 ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩،
 ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،
 ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ١٨٩،
 ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦،
 ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢،
 ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨،
 ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣،
 ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢،
 ٢٣٥، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥١،
 ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠،
 ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠،
 ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧،
 ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٠٤،
 ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧،
 ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦،
 ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤،
 ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤،
 ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥،
 ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٧٨،
 ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤٢٧،
 ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣،
 ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٥١،
 ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠،
 ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧،
 ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦،

محمد الطاهر بن عاشور، ١٠١١، ١٠٢٤،
 محمد بن أبي محمد، ٢٣٦، ٧٤٣،
 محمد بن أحمد بن الجنيد، ٥٥٩،
 محمد بن إسحاق، ٢٣٦، ٢٤١، ٣٦٢، ٤١٦،
 ٤٢١، ٥٦٢، ٧٤٣،
 محمد بن إسحاق بن يسار، ٣٩٧،
 محمد بن الجهم، ٩٢٠، ٩٢١،
 محمد بن الحسين بن القاسم، ٨١٨،
 محمد بن الحنفية، ١٩٩، ٢٤٧، ٤٣٧،
 محمد بن العباس، ٢٧،
 محمد بن الفضل، ٩٦٦،
 محمد بن القاسم، ٢٤٦، ٢٤٨،
 محمد بن المستنير (قطرب)، ٩٢٦،
 محمد بن المنتشر، ٣٣٧،
 محمد بن المنكدر، ٢٤١، ٢٨٤،
 محمد بن بيان، ٥٨٩،
 محمد بن ثور، ٥٣٢، ٧٣٦،
 محمد بن جبير بن مطعم، ٢٨١،
 محمد بن جرير بن رستم، ٧٤٨،
 محمد بن جعفر عنندر، ٣٩٥،
 محمد بن حميد، ٧٤٣،
 محمد بن خالد، ٥٧٦،
 محمد بن رافع، ٤٧٥، ٤٧٦،
 محمد بن سعد، ٢٤٧، ٢٤٨،
 محمد بن سعيد، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨١،
 محمد بن سليمان بن علي، ٥٥٨،
 محمد بن سنان، ٤٤٥،
 محمد بن عبد الرحمان، ٣١٦،
 محمد بن عبد الله عليه السلام، ١٢٠، ١٢٥، ١٨، ١٩، ٢٠،
 ٢٣، ٣٢، ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٥.

٨٨٥	٨٧٨	٨٧٧	٨٧٦	٨٧١	٨٧٠	٤٨٣	٤٨٢	٤٨١	٤٨٠	٤٧٨	٤٧٧
٩١٣	٩١١	٩٠٥	٩٠٣	٨٩١	٨٩٠	٤٨٩	٤٨٨	٤٨٧	٤٨٦	٤٨٥	٤٨٤
٩٤٧	٩٤٦	٩٣٧	٩١٨	٩١٥	٩١٤	٤٩٨	٤٩٧	٤٩٦	٤٩٤	٤٩٣	٤٩٢
٩٧١	٩٦٩	٩٦٢	٩٥٣	٩٥٠	٩٤٨	٥٣٩	٥٠٧	٥٠٦	٥٠٣	٥٠٢	٤٩٩
٩٩٥	٩٩٤	٩٨٢	٩٨١	٩٨٠	٩٧٩	٥٥٣	٥٥١	٥٤٥	٥٤٤	٥٤٣	٥٤٠
١٠١٨	١٠١٧	١٠١٣	١٠٠٠	٩٩٦		٥٦١	٥٦٠	٥٥٩	٥٥٨	٥٥٧	٥٥٦
		١٠٣٦	١٠٢٨	١٠٢٠		٥٦٨	٥٦٧	٥٦٦	٥٦٥	٥٦٤	٥٦٣
					محمد بن عبد الله (الديباج)، ٣١١	٥٧٧	٥٧٥	٥٧٤	٥٧٣	٥٧٢	٥٦٩
					محمد بن عبد الله بن الحارث، ٤٨٨	٥٨٤	٥٨٢	٥٨١	٥٨٠	٥٧٩	٥٧٨
					محمد بن عثمان، ٥٤٨	٥٩٠	٥٨٩	٥٨٨	٥٨٧	٥٨٦	٥٨٥
					محمد بن علي الباقر <small>عليه السلام</small> ، ٢٣	٥٩٧	٥٩٦	٥٩٤	٥٩٣	٥٩٢	٥٩١
٦٢	٢٧	٢٤	٢٣	١٨٤	٨٨	٧٧	٦٠٣	٦٠٢	٦٠١	٦٠٠	٥٩٩
					١٧٣	١٧١	٦٠٢	٦٠١	٦٠٠	٦٠٠	٥٩٩
					١٩٧	٢٠٢	٦١١	٦٠٩	٦٠٨	٦٠٦	٦٠٥
					٢٤٥	٢٤٠	٦١١	٦٠٩	٦٠٨	٦٠٦	٦٠٥
					٢٥٤	٢٥٥	٦١٩	٦١٨	٦١٦	٦١٥	٦١٤
					٢٠٦	٢٠٥	٦١٩	٦١٨	٦١٦	٦١٥	٦١٤
					٣٥٢	٣١٧	٦٢٥	٦٢٤	٦٢٣	٦٢٢	٦٢١
					٣١٢	٣١٠	٦٣٢	٦٣١	٦٣٠	٦٢٩	٦٢٨
					٣٥٣	٣٥٤	٦٣٢	٦٣١	٦٣٠	٦٢٩	٦٢٨
					٣٨٧	٣٥٨	٦٤٥	٦٤٤	٦٤٣	٦٤٢	٦٤١
					٣٥٧	٣٥٥	٦٤٥	٦٤٤	٦٤٣	٦٤٢	٦٤١
					٣٨٨	٣٨٩	٦٥٠	٦٤٨	٦٤٧	٦٤٦	٦٤٥
					٤٣٣	٣٩٧	٦٥٠	٦٤٨	٦٤٧	٦٤٦	٦٤٥
					٤٤٣	٤٤٤	٦٧٠	٦٦٩	٦٦٨	٦٦٧	٦٥٦
					٤٥٢	٤٤٥	٦٧٠	٦٦٩	٦٦٨	٦٦٧	٦٥٦
					٤٥٧	٤٥٨	٦٨٧	٦٨٥	٦٨١	٦٧٦	٦٧٢
					٤٥٦	٤٥٦	٦٨٧	٦٨٥	٦٨١	٦٧٦	٦٧٢
					٥٧٩	٥٨١	٦٩٨	٦٩٦	٦٩٥	٦٩٠	٦٨٩
					٥٧٩	٥٨١	٦٩٨	٦٩٦	٦٩٥	٦٩٠	٦٨٩
					٧٢٧	٧٣٥	٧١٥	٧١٠	٧٠٨	٧٠٧	٧٠٢
					٧٢٧	٧٣٥	٧١٥	٧١٠	٧٠٨	٧٠٧	٧٠٢
					٧٢٦	٧٢٥	٧٢٣	٧٢١	٧١٩	٧١٨	٧١٧
					٩٢٦	٩٢٥	٧٢٣	٧٢١	٧١٩	٧١٨	٧١٧
					محمد بن علي الجواد <small>عليه السلام</small> ، ٧٢	٧٢٩	٧٢٨	٧٢٧	٧٢٦	٧٢٥	٧٢٤
					١٢١	١٢١	٧٤٨	٧٤٤	٧٤٣	٧٤٠	٧٣٥
					٤٦٢	٤٦٤	٧٥٥	٧٥٤	٧٥٣	٧٥٢	٧٥٠
					٨٢٣	٥٤٨	٧٥٥	٧٥٤	٧٥٣	٧٥٢	٧٥٠
					٤٦٤	٤٦٤	٧٥٥	٧٥٤	٧٥٣	٧٥٢	٧٥٠
					محمد بن قولويه، ٢٨٢	٧٧١	٧٧٠	٧٦٩	٧٦٧	٧٦٥	٧٥٦
					محمد بن مروان (السدي الصغير)، ٢٤٩	٧٧١	٧٧٠	٧٦٩	٧٦٧	٧٦٥	٧٥٦
					٣٨٣	٣٣٧	٧٨٨	٧٧٨	٧٧٧	٧٧٦	٧٧٣
					٣٥٦	٣٥٥	٨٠٣	٨٠٢	٧٩٧	٧٩٦	٧٩٤
					٣٥٤	٣٥٣	٨٠٣	٨٠٢	٧٩٧	٧٩٦	٧٩٤
					٤١١	٤١١	٨١١	٨١٠	٨٠٩	٨٠٧	٨٠٦
					محمد بن يزيد، ٥٩١	٨١١	٨١١	٨١٠	٨٠٩	٨٠٧	٨٠٦
					٧٥٢	٧٥٢	٨٣٢	٨٣١	٨٣٠	٨٢٣	٨٢٠
					٤٦٠	٤٦٠	٨٣٢	٨٣١	٨٣٠	٨٢٣	٨٢٠
					محمد بن مسلم، ١٧٤	٨٦٣	٨٦٣	٨٦٢	٨٦٠	٨٥٤	٨٥٣
					٧٥٢	٧٥٢	٨٦٣	٨٦٢	٨٦٠	٨٥٤	٨٥٣

- المرزوي، ٢٩٩، ٣٠٣، ٤٠١
 المرزوي، أبو عصمة نوح بن أبي مريم، ٥٦٢، ٥٨٥
 المرزوي البورقي، محمد بن سعيد، ٥٦٠
 المرزوي، محمد بن نصر، ٣٠٢
 مريم عليها السلام، ١٤٥، ٩١٠، ٩٩١، ١٠١٩
 المرزوي المدني، كثير بن عبد الله بن عمرو، ٥٨٥
 المرزوي، ٤٠٦
 المرزوي، أبو الحجاج، ٣٠٤
 مسروق بن الأجدع (أبو عائشة الهمداني الوادعي)، ٤٨، ١٨١، ١٨٢، ١٩٢، ١٩٩، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٧٥، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٦٣، ٣٧٨، ٦١٣، ٩٠٥
 مسعر، ٣٥٦
 المسعودي، ٣٣٥، ٦٥٩، ٦٦٠
 مسكين الدارمي، ٨٥٦
 المسلم، ١١٧
 مسلم، ٤٨، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٦٢، ٣٠١، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٦٧، ٣٨٦، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤٢٨، ٤٣٢، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٦٦، ٦٠٩، ٦١١، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ١٠١٠، ١٠١٧
 مسلم البطين، ٣٢٩
 المسيب بن شريك، ٧٦٠
 المسيب بن نجية، ٣٣١
 المسيب بن واضح، ٥٦٣
 المسيح عليه السلام، ١٢٠، ١٣٤، ١٤٥، ٣٨٧، ٤٣٧
 محمد بن مكّي العاملي، ٨٤٤
 محمد بن موسى بن أبي مريم، ٣١٥
 محمد سليمان، ١٢٥، ١٢٧
 محمد عطا يوسف، ٣٨٩، ٧٣٤
 محمود بن غيلان، ٥٦٢
 محمود بن لبيد، ٤٧٣، ٤٧٥
 المخارقي، ٢٣٩
 مخرمة بن بكير بن الأشج، ٤٧٣، ٤٧٦
 المخزومي القمولي، أحمد بن محمد بن أبي حزم نجم الدين، ٨٧٣
 المخزومي، سعيد بن عبد الرحمان، ٤٠٩
 مخلد الشعيري، ٤١٧
 المدائني، ٣٣٥
 المدرسي، السيد محمد تقّي، ١٠١١، ١٠٢٨
 المرادي، فروة بن مسيك، ١٧٥
 المراغي، ١١٠، ١٢٩
 المراغي، أحمد مصطفى، ٩٠٣، ١٠١١
 ١٠٢٢
 المراغي، محمد مصطفى، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٠٢٢
 المرتضوي، ٧٨١
 المرسي، ابن أبي الفضل، ٢٣٣
 المرسي، أبو العباس، ٩٤٧
 المرعشي، ٨١٩
 المرعشي، السيد شهاب الدين، ٨٢٠، ٨٤٥، ٨٤٧
 مروان، ٤١٣
 مروان بن معاوية، ٣٣٧، ٤١٢
 المرزوي، أبو بكر، ٤١٤
 المرزوي، الحسن بن الحسين، ٤٠٣

معرفة، محمّد هادي، ١٣٠٧	المسيح الدجال، ٦١٢
معروف الحسني، هاشم، ٥٧٢	مسيح الدجال، ٦١١
معروف بن خرّبوذ، ٢٥٤	المشهدّي، ٤٦٩
المعريّ، عبد الله بن يزيد، ٥٥٩	المشهدّي، ميرزا محمّد، ٧٩٠
معلوف، لويس، ٦٠٥	المصريّ الوكاّر، أبو يحيى زكريّا بن يحيى، ٥٨٤
مفّر بن راشد (أبو عروة بن أبي عمرو)، ٣٨٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٧، ٤١٧، ٥٧٧	المصريّ، ذو النون، ٩٦١
٧٣٨، ٦٣٧، ٥٩٣	المصريّ، عطاء بن دينار، ٥٣٢
معن بن زائدة، ٥٥٨، ٦٠٥	مصعب (بن حيّان)، ٣٩٥
معن بن عيسى، ٥٨٠	مصعب بن عبد الله، ٥٧٩
المغربيّ، سراج الدين، ٨٨٠	المصيبيّ، ٣٠٧
مغنية، محمّد جواد، ١٠١١، ١٠٣١	المصيبيّ، الحسين، ٣١٢
المغيرة، ٢٧١	مطر بن الورّاق، ٣١٧، ٣٤٩
مغيرة، ١٩٦	مطرف، ٣٠٢
المغيرة بن شبيل، ٣٥٦	معاذ بن جبل، ٣٣٣، ٧٢١
المغيرة بن شعبة، ٢٦١، ٥٦٦	المعافي التيميّ، ٥٦٤، ٥٨٨
المفضل بن صالح، ٣٦١	معاوية بن أبي سفيان، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٥
المفيد (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان)، ٤٢، ٢٠١، ٢٨٢، ٣٥٧، ٤٨٩، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٤٥، ٥٤٦	٢٧١، ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠
٥٤٧، ٥٤٨، ٧٧١، ٨٥٠	٣٤١، ٣٥٠، ٣٥٨، ٤١٧، ٤٨٩، ٥٦٥
مقاتل، ٦٦٥، ٦٩٣، ٧٥٤	٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١
مقاتل بن حيّان (أبو إسّطام، ابن دوال دوز)، ٢٤٤، ٣٤٨، ٣٨٣، ٣٩٥، ٧٤١، ٧٥٥	٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٧، ٥٩٨، ٦١٤
٧٥٩، ٧٥٦	٦١٧، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٦
مقاتل بن سليمان، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥	٦٣١، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٦٥، ٧١٢، ٨٢٨
٣٦٠، ٣٦١، ٣٨٣، ٣٩٢، ٣٩٥، ٥٧٨	٨٢٩
٥٨٠، ٥٨١، ٧٣١، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٤١	معاوية بن حرمل، ٦١٠
٧٥٩، ٧٧١، ٨١٩، ٨٢٤	معاوية بن صالح، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٧١٥
المقبريّ، سعيد، ٧١٢	معبد، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢
	المعتصم، ٧٢، ٧٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٨٢٣
	معتز بن سليمان، ٢٢٧
	معدّ بن عدنان، ٨٣٨

- المقتفي العباسي، ٩٣١
 المقداد بن الأسود، ٨٦١
 المقدم بن معديكرب، ٧١٥
 المقرئ، أبو الوفاء عبد الجبار، ٨٦٤
 المقرئ، أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد، ٩٢٧
 المقرئ، ٥٧٥
 المقرئ، محمد بن عبد الرحمن، ٧٥٣
 مكارم الشيرازي، ناصر، ١٠١١، ١٠٣٠
 ١٠٤٢
 مكحول، ١٦٤، ٢٨٠
 مكِّي بن أبي طالب، ٩٢٣، ٩٢٤
 الملقبي، إسحاق بن نجيب، ٥٨١، ٥٨٣
 الملك العزيز، ٤٢٤
 الملك عبد العزيز آل سعود، ٦-١٠٠
 ملك مظفر أبو صالح، ١٣٨
 منتجب الدين، ٨٦٤
 منصور، ٢٩٠
 المنصور العباسي (أبو جعفر)، ٢٣٨، ٢٤٤
 ٢٤٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧
 ٥٨١، ٧٣٤، ٧٧٠
 منصور بن زاذان، ٤١١
 منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل، ١٣٨
 المنقري، أسلم، ٣١٠
 المنقري، سليمان بن داود، ٤٣٧
 مهاجر، ٩١٣
 المهدي، أحمد، ٨١٩
 المهدي (العباسي)، ٢٢٧، ٤٠٥، ٤٦٦، ٥٦٤
 ٥٨٠، ٥٧٧
 المهدي (عج)، ١٩٦، ٣٨٧، ٤٤١، ٤٤٢
 ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥١٠، ٧٥٣، ٨٦١
 ٨٦٩
 المهلب الخوي، أبو العباس أحمد بن خليل، ١٦٠
 موسى عليه السلام، ٢٢، ٢٩، ١٠٣، ١٢٠، ٢٢٠
 ٢٢٥، ٢٧٩، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٤٩، ٥٠٠
 ٥٠١، ٥٨٨، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠٨، ٦١٤
 ٦٢٥، ٦٢٨، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٥٤، ٦٥٥
 ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١
 ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧
 ٨٦٢، ٨٦٧، ٩٥١، ٩٧٧، ٩٨٠، ٩٨١
 ٩٨٢
 موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ٢٥، ١٧٠، ٢٨٢
 ٣٩٢، ٤٦٢، ٤٦٦، ٧٣٥، ٨٧٦
 موسى بن سالم، ٢٢٩
 موسى بن عقبة، ٦٣٤
 موسى بن محمد، ٧٣٦
 موسى بن مسعود (أبو حذيفة التمهدي، البصري)، ٣٨٣، ٤٠٦، ٤١٩، ٧٦٠
 الموصل، أبو يعلى، ٦٢٤، ٦٢٩
 الموصل الكواشي، أبو العباس أحمد بن يوسف، ٩١٤
 الموصل، علي بن حرب، ٣٠٤
 الموصل، محمد بن عبد الله، ٤١٣
 المبيدي، أبو الفضل رشيد الدين، ١٣٩، ٧٨٠
 ٩٤٥، ٩٥٩، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٨٣، ٩٨٨
 الميداني، ٦٠٥
 ميسرة بن عبد ربه، ٥٦٣
 ميكائيل، ٥٨٧

٢٧١، ٢٧٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٥	ميمون بن عبد الله، ٤٠٣
٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٤٣٣، ٤٩٩	ميمونة، ٢٢٨
النخعي، مصباح، ٣٣١	الميموني، ٤٧٦
الندبي، أيوب بن أبي الحسين، ٣٨٦	(حرف النون)
التراقبي، مهدي، ٥٦١	نافع، ٤٥، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣٨، ٢٣٩
النسائي، ٢٥٤، ٣١٦، ٣٦١، ٤٧٣، ٤٧٥	٣٠٠، ٣٠١، ٤٥٧، ٥٧٣، ٦٤٧
٤٧٦، ٥٧١، ٦٢٥، ٧٠٢، ٧١٩، ٧٢٢	نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ١٤٠، ٨٦٣
النسائي، أبو عبد الرحمان، ٥٧٨	الناظر، أبو طلحة، ٩٢٠
النسفي، ٧١٢	النباجي، أبو حبيب، ٣٣٣
النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن	النبي ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
محمود، ١٣٩، ٨٩٤	النبي ﷺ ← محمد بن عبد الله ﷺ
النسفي، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد	النجار، عبد الحلیم، ٢٢١
(مفتي الثقلين)، ١٣٩، ٨٩٥	النجار، عبد الوهاب، ٦٣٢
النسفي، هناد بن إبراهيم، ٥٨٦	النجاجشي، ٩٣، ١٣٤، ٢٤٧، ٣١٥، ٣١٦
نصر بن مزاحم، ٣٢٨، ٣٢٩	٣٤٦، ٣٥٧، ٣٩٣، ٤٢٢، ٧٥٦، ٨٥٠
نصرت بنت السيد محمد علي أمين (بانو	٩٢١
أمين)، ١٠٣٣	النجاجشي، أبو العباس، ٢٥٥، ٤١٥
النصيبي المالكي، شرف الدين، ٨٧٩	نجدة بن عامر الحنفي الحروري، ٢١٤، ٤٦٣
النصيبي، حماد بن عمر، ٥٨٤	النجري، الحسين بن أحمد، ٨١٨
النضر بن حارث، ٢٠٨	النحاس، أبو جعفر، ٧٩٦
النضر بن شميل، ٩٢٦	النحوي، يزيد، ٢٩٩، ٣٠٤
الطنزري الأصفهاني، نور الدين عبد الصمد،	النخشي، أبو تراب، ٩٤٢
٩٩٧، ٩٨٨	النخعي، إبراهيم، ٢٧٩، ٣١٥، ٣٢٨، ٣٢٩
العماني، ٤٤٢	٤٥٥، ٤٩٩
العماني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ٤٤٦	النخعي، إبراهيم بن يزيد، ٣٢٨، ٣٤٢، ٤٥٥
العماني، محمد بن إبراهيم، ٧٨٥	النخعي، أبو داود سليمان بن عمرو، ٥٨١
نعيم بن حماد، ٥٦٣	٥٨٥
النهاوندي، أبو عبد الله، ٥٦٣	النخعي، أبو علي الحسن بن علي، ٥٨٤
النهاوندي، علي أكبر، ٥٦١	النخعي، الأسود بن يزيد (أبو عبد الرحمان)،
نوح <small>عليه السلام</small> ، ٢٢٠، ٣٢٥، ٤٣٢، ٥٩٠، ٦٤٩	

- الهروي، مأمون بن أحمد، ٥٨١
 الهروي، يحيى بن محمد بن عبد الله، ٣٦١
 هشام، ٢٨٦، ٢٩٥، ٤١٥، ٤٤١
 هشام بن الحكم، ٤١٤
 هشام بن سالم، ٢٨٥
 هشام بن عبد الملك، ٢٩٤، ٣٥٠، ٥٧١
 هشام بن عروة، ٢٧٣، ٣٤٩، ٥٦٥
 الهلالي، سليم بن قيس، ٣١٨، ٣٢٠
 هشام بن منبه، ٦١٩
 الهمداني، الحارث بن عبد الله الأعور، ٣٣١
 الهمداني الكوفي، ٣٤٢
 الهمداني المعتزلي، عماد الدين أبو الحسن
 عبد الجبار بن أحمد، ٣٢٧، ٥٣٧، ٩٢٩
 الهمداني، حارثة بن مضرب، ٣٣١
 الهمداني، عبد الجبار، ٤١٤، ٧٦٠
 الهمداني، مرة (أبو إسماعيل بن شراحيل)،
 ٢٧٥، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٦٠
 ٣٦٤
 الهمداني، إبراهيم بن الحسين، ٢٩٢
 الهمداني، القاسم بن الحسن، ٣١٢، ٦٦٦
 الهمداني، جبريل بن محمد بن إسماعيل أبي
 القاسم، ٧٦٠
 الهمداني، عبد الرحمان بن الحسن بن أحمد،
 ٢٩٢
 هنكلمان، ١٣٦
 هود عليه السلام، ٧١٣، ٧١٤، ٨٣٠
 الهيثم الطائي، ٥٦٣
 الهيثم بن واقد، ٤٠٣
 الهيثمي، ٤٣٠، ٤٣١، ٧٢٠، ٧٢١
 الهيثمي، ابن حجر، ٤٢٨، ٤٢٩، ٧٢٩، ٧٧٢
- ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١
 ٨٣٠، ٨٨٧
 نوح بن أبي مريم، ٧١٧
 النوري، ٨٦٨
 النوري، ٢٦٢، ٣٦٢، ٤٨٧، ٦١٧
 النويري، ٥٧٠
 نويض، عادل، ٣٢٨، ٣٥٦، ٣٦٧، ٨١٩
 ٨٤٥
 النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، ٢٤٩
- (حرف الهاء)
- هاجر، ٦٩٧، ٦٩٨
 هاروت، ٤٤٨، ٤٤٩، ٦٣٣، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧
 ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٧٠٩، ٧٦٧
 ٧٧٦، ٧٨٣، ٧٨٧، ٧٩٢، ٨٩٦
 هارون عليه السلام، ٦٤٣، ٨٦٢، ٨٦٦، ٩٥١
 هارون الرشيد، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٨
 هارون بن رباب، ٦٤٧
 هاشم، ٣٥١، ٨٧٧
 الهاشمي، ٢٤٠
 الهاشمي، إسماعيل بن الفضل، ٢٣٩
 هاكس، جيمس، ٥٩٤
 هامان، ٤٤٢
 هذيل، ٤٥٧
 هرم بن حيان، ٣٣٦
 الهروي، ٤٦٨
 الهروي، عبد الله بن المأمون، ٢٥٥
 الهروي، عبد الملك بن علي، ٤٢٤
 الهروي، عمار بن عبد المجيد، ٢٥٥
 الهروي، مالك بن سليمان، ٣٦١

الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ٦٢٦	(حرف الواو)
الوليد بن مسلم، ٦٩٥	وابصة بن معبد، ٩٤٧
وهب، ٥٩٤، ٦١٩، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٨٢، ٦٩٢، ٦٩٣	واثلة، ٢٧٣، ٥٨٧، ٧٤٨، ٧٥٦
وهب بن جريز، ٦١٣	الواحدي، ٢٤٩، ٤٢٩، ٥٣٥، ٥٨٩، ٦٧٥
وهب بن منبه، ٢٩٧، ٣٧٧، ٥٩٣، ٦٠٠، ٦٠٨	٧٦٢، ٧٥٨
٦٢٥، ٦٢٦، ٦٣٩، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٦١	الواحدي، أبو الحسن، ٩٦٤
٦٧٢، ٦٧٣، ٦٨٠، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦	الواسطي، أبو بسطام، ٣٥٩
٧٠٠، ٧٠٣، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٢	الواسطي، أبو خالد عمرو بن خالد، ٩٢٧
وهب بن وهب القاضي، ٥٨١	الواسطي، أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣، ٤١٦، ٥٨٠، ٦٢٢
(حرف الياء)	واصل بن عطاء، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٠
يافث، ٦٦٩	الواعظ السبزواري كمال الدين الحسين بن علي (الكاشفي)، ٧٧٩
اليحصي، عبد الله بن عامر، ٩١٣	الواقدي، ٢٨١، ٣٠٥، ٣٢٢، ٣٤٦، ٤٧٦
يحيى، ٢٩٥، ٣١٦، ٤١٤، ٤١٦، ٥٩٤	٥٨٠، ٥٧٨
يحيى ^{عليه السلام} ، ٣٧٢، ٣٧٣، ١٠١٦	الواقدي، محمد بن عمر، ٥٧٩، ٧٤١
يحيى المؤيد بالله بن حمزة، ٨١٩	وجدي، محمد فريد، ١١٧، ١١٩، ١٢١
يحيى بن أبي بكير، ٣٥٦	الوراثي، ٣٢١، ٤٢٣
يحيى بن أبي كثير، ١٦٤، ٣٤٩، ٣٨٣	الوراثي، محمود، ٨٧٢
يحيى بن أكرم، ٤٨٦، ٩٢٦	ورقاء بن عمر الشكري (ابن كليب أبو بشر)، ٢٥٤، ٢٩٢، ٣٨٣، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤١٢
يحيى بن أم الطويل، ٢٨١، ٢٨٢	٧٥٩
يحيى بن شبل، ٢٤٤	الوضاحي، أبو بديل، ٩٢٠
يحيى بن صالح، ٣٩١	وكيع (بن الجراح)، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣١١، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٨٣
يحيى بن قريش، ٣٦١	٤٠٠، ٤٠١، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧
يحيى بن معين، ٣٠٣، ٤٠١، ٤١٢، ٤١٤	٤١٩، ٥٧٥، ٧٣٨، ٧٥٩، ٨١٢
٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٩٥، ٥٦٤، ٥٦٥	الوليد، ٢٨٦، ٣٥٧
٥٧٧، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨٤، ٦٣٧، ٧٣٨	الوليد بن المغيرة، ٥١١
يحيى بن واضح، ٣٠٤، ٧٤٨	
يحيى بن يعمر، ٣٩١	
اليزدي، مصباح، ١٠٤٢	

اليمامي، زيد، ٣٨٧	يزيد، ٢٨٦، ٣٣٠، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٥٠
اليمامي الثلاثي، شمس الدين يوسف بن أحمد	يزيد بن أبي زيد، ٣١٣
ابن محمد، ٨٤٥	يزيد بن أسلم، ٦٥٥
يوحنا بن بطريق، ١٠٥	يزيد بن الوليد، ٢٢٥
يسوسف <small>عليه السلام</small> ، ١٩، ٣٣، ٣٨٠، ٤٤٩، ٦٤٤	يزيد بن زريع، ٣٩٨، ٣٥٣
٦٤٥، ٦٦٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤	يزيد بن شهاب، ٥٩١
٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠	يزيد بن معاوية، ٢٢٧
٦٨١، ٦٨٢، ٨٧٦	اليزيدي، صالح بن محمد، ٣٦١
يوسف بن جعفر، ٥٩٠	يسار الثقفي الكوفي، عبد الله بن أبي نجيح،
يوسف بن عدي، ٢٥٣، ٤١٢	٢٥٤، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٨٣، ٣٨٩
يوسف بن عمر، ٣٤٧، ٦٢٧	٤١٩، ٥٣١، ٧٣٣، ٧٣٧، ٧٣٨
يوشع <small>عليه السلام</small> ، ٦٥٥، ٦٦٥	يعرب بن قحطان، ٦٠٩
يونس، ٣٠٨، ٤٠٣	يعقوب <small>عليه السلام</small> ، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٧٢، ٦٩٥، ٦٩٩
يونس بن حبيب، ٧٥٣	يعقوب بن الصليبي، ١٣٦
يونس بن عبد الأعلى، ٤١٠، ٥٨٠	يعقوب بن سفيان، ٢٣٤، ٥٧٩، ٥٩٨
يونس بن عبيد، ٣١٨	يعقوب بن شيبة، ٣٥٤
يونس بن محمد، ٤٩٣	يغماني، حبيب، ١٣٩
	اليمامي، زُبيد، ٣٣٥

فهرس المواضيع

٥٢٥	شكر و تقدير
٥٢٩	المرحلة السادسة
٥٢٩	النمط الأول
٥٣١	التفسير في عهد التدوين
٥٣٤	تدرّج التفسير و تلوّنه
٥٣٩	النمط الأول: التفسير بالمأثور
٥٣٩	أنحاء التفسير بالمأثور
٥٣٩	١. تفسير القرآن بالقرآن
٥٤٣	٢. تفسير القرآن بالسنة
٥٤٣	٣. تفسير القرآن بقول الصحابي
٥٤٤	٤. تفسير القرآن بقول التابعي
٥٤٥	موضع الحديث من التفسير
٥٥٣	آفات التفسير بالمأثور
٥٥٤	١. ضعف الأسانيد
٥٥٦	٢. الوضع في التفسير
٥٥٨	أهم أسباب الوضع
٥٧٥	أقسام الوضّاعين
٥٧٨	أقطاب الوضّاعين
٥٨٧	أنحاء الموضوعات

٥٩٤ ٣. الإسرائيليات
٥٩٥ الإسرائيليات في التفسير والحديث
٦٠١ هل تجوز مراجعة أهل الكتاب؟
٦٠٤ مناقشة دلائل الجواز
٦٠٦ الرأي الحاسم
٦٠٨ أقطاب الروايات الإسرائيلية
٦٠٨ ١. عبد الله بن سلام
٦٠٩ ٢. تميم بن أوس الداري
٦١٤ ٣. كعب الأحبار
٦١٨ ٤. عبد الله بن عمرو بن العاص
٦٢٠ ٥. أبو هريرة
٦٢٦ ٦. وهب بن منبه
٦٢٧ ٧. محمد بن كعب القرظي
٦٢٧ ٨. ابن جريج
٦٢٨ مبدأ نشر الإسرائيليات
٦٣٨ أقسام الإسرائيليات
٦٤٢ ١. أمثلة على الموافقة
٦٤٣ ٢. أمثلة على المخالفة
٦٤٣ ٣. أمثلة على المسكوت عنه
٦٤٤ نماذج من إسرائيليّات مبنوثة في التفسير
٦٤٥ ١. الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت
٦٥٠ ٢. إسرائيلية في المسوخ
٦٥١ ٣. الإسرائيليات في بناء الكعبة: البيت الحرام والحجر الأسود
٦٥٣ ٤. الإسرائيليات في قصة إخراج آدم ﷺ
٦٥٤ ٥. الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين
٦٥٥ ٦. خرافة عوج بن عوق
٦٥٨ ٧. الإسرائيليات في قصة التيه
٦٦١ ٨. الإسرائيليات في «سؤال موسى ربه الرؤية»
٦٦٤ ٩. الإسرائيليات في ألواح التوراة
٦٦٦ ١٠. خرافات في بني إسرائيل

٦٦٧	التفسير الصحيح للآية
٦٦٨	١١. الإسرائيليات في سفينة نوح
٦٧١	١٢. الإسرائيليات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا...﴾
٦٧٦	١٣. الفرية على المعصوم <small>عليه السلام</small> في قوله تعالى: ﴿ذَلِكْ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ...﴾
٦٧٧	القرآن يرذ هذه الأكاذيب
٦٧٨	التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾
٦٧٩	١٤. الإسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن
٦٨٢	١٥. الإسرائيليات في شجرة طوبى
٦٨٤	١٦. الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف
٦٨٥	١٧. الإسرائيليات في قصة ذي القرنين
٦٨٨	١٨. الإسرائيليات في قصة يأجوج ومأجوج
٦٩١	١٩. الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبأ
٦٩٣	٢٠. الإسرائيليات في هدية ملكة سبأ لسيدنا سليمان
٦٩٤	٢١. الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق
٦٩٦	تحريفهم للتوراة
٦٩٦	نص التوراة
٦٩٨	الذبيح هو إسماعيل <small>عليه السلام</small>
٧٠٠	٢٢. الإسرائيليات في قصة داود <small>عليه السلام</small>
٧٠٤	التفسير الصحيح للآيات
٧٠٥	٢٣. الإسرائيليات في قصة أيوب <small>عليه السلام</small>
٧١٠	الحق في هذه القصة
٧١١	٢٤. الإسرائيليات في قصة ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾
٧١٤	ما روي في عظم طولهم
٧١٥	٢٥. الإسرائيليات والخرافات فيما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق
٧١٥	بعض الظواهر الكونية
٧١٦	ما يتعلق بعمر الدنيا
٧١٧	ما يتعلق بخلق الشمس والقمر
٧١٨	ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية
٧٢٢	ما ذكره المفسرون في الرعد والبرق في كتبهم
٧٢٥	رأي العلم في حدوث الرعد، والبرق، والصواعق

٧٢٥	الرياح، والكهربائية الجوية
٧٢٧	الصواعق
٧٢٨	جبل «قاف» المزعوم، و حدوث الزلازل
٧٢٩	٢٦. الإسرائيليات في تفسير «ن وَالْقَلَمِ»
٧٣١	أهم كتب التفسير بالمأثور
٧٣٣	١. تفسير مجاهد
٧٣٣	٢. تفسير السُّدِّي الكبير
٧٣٤	٣. تفسير الكلبي
٧٣٥	٤. تفسير أبي حمزة
٧٣٦	٥. تفسير ابن جُرَيْج
٧٣٦	٦. تفسير مقاتل بن سليمان
٧٣٧	٧. تفسير أبي الجارود
٧٣٨	٨. تفسير عبد الرزاق الصنعاني
٧٣٨	٩. جامع البيان للطبري
٧٤٠	إلماعة عن هذا التفسير وعن منابعه
٧٤١	منهجه في التفسير و نقد الآراء
٧٤٥	موقفه تجاه أهل الرأي في التفسير
٧٤٦	موقفه تجاه أهل الظاهر
٧٤٧	موضع ولاته لآل البيت
٧٥١	١٠. تفسير العياشي
٧٥٢	منهجه في التفسير
٧٥٣	١١. تفسير ابن أبي حاتم الرازي
٧٥٤	منهجه في التفسير
٧٥٥	نزعتة الفكرية
٧٥٦	١٢. تفسير القمي
٧٥٧	منهجه في التفسير
٧٥٨	١٣. تفسير الثعلبي (الكشف و البيان)
٧٦٢	١٤. تفسير الماوردي (النكت و العيون)
٧٦٣	منهجه في التفسير
٧٦٤	١٥. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)

- ٧٦٦ ١٦. تفسير البتوي (معالم التنزيل)
- ٧٦٦ منهجه في التفسير
- ٧٦٨ ١٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)
- ٧٧٠ ١٨. تفسير الشيباني (منهج البيان)
- ٧٧٢ فراند تفرّد بها
- ٧٧٣ ١٩. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)
- ٧٧٥ ٢٠. تفسير ابن كثير
- ٧٧٧ ٢١. تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان)
- ٧٧٨ ٢٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور
- ٧٧٩ ٢٣. منهج الصادقين
- ٧٨٠ منهجه في التفسير
- ٧٨١ ٢٤. تفسير الصافي
- ٧٨٣ منهجه في التفسير
- ٧٨٤ ٢٥. تفسير البحراني (البرهان)
- ٧٨٥ منهجه في التفسير
- ٧٨٦ ٢٦. تفسير الحويزي (نور الثقلين)
- ٧٨٧ منهجه في التفسير
- ٧٨٩ ٢٧. تفسير المشهدي (كنز الدقائق و بحر الغرائب)
- ٧٩٣ ٢٨. تفسير شبر (الكبير و الوسيط و الوجيز)
- ٧٩٥ ٢٩. فتح القدير للشوكاني الزيدي
- ٧٩٧ ٣٠. تفسير البرغاني (بحر العرفان)
- ٧٩٩ النمط الثاني
- ٨٠١ النمط الثاني: التفسير الاجتهادي
- ٨٠٣ تنوع التفسير الاجتهادي
- ٨٠٥ التفسير الفقهي آيات الأحكام
- ٨٠٥ (لمحة عن تطوّر التفسير الفقهي)
- ٨٠٥ ١. التفسير الفقهي في عهده الأول
- ٨٠٨ ٢. و بعد أن ظهرت المذاهب الفقهية
- ٨١٤ ٣. دور تحكّم التقليد و التعصّب المذهبي
- ٨١٥ ٤. أوار التعصّب في عهد متأخر

- ٨١٧ ٥. تنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية
- ٨١٨ ٦. الإنتاج التفسيري للفقهاء
- ٨١٩ ٧. تعداد آيات الأحكام
- ٨٢١ ٨. آيات الأحكام على أقسام
- ٨٢٤ أهم كتب آيات الأحكام
- ٨٢٥ ١. أحكام القرآن للجصاص الحنفي
- ٨٢٩ ٢. أحكام القرآن (المنسوب إلى الإمام الشافعي)
- ٨٣٢ ٣. أحكام القرآن لأبي يعلى الحنيلي
- ٨٣٣ ٤. أحكام القرآن لكيا الهراسي الشافعي
- ٨٣٤ ٥. أحكام القرآن لابن العربي المالكي
- ٨٤٠ ٦. أحكام القرآن للراوندي (فقه القرآن)
- ٨٤٢ منهج الكتاب
- ٨٤٣ ٧. أحكام القرآن للسيوري (كنز العرفان في فقه القرآن)
- ٨٤٥ ٨. الثمرات اليبانة والأحكام الواضحة الفاطمية
- ٨٤٥ ٩. زبدة البيان في أحكام القرآن للمحقق الأردبيلي
- ٨٤٧ ١٠. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام
- ٨٤٨ ١١. قلاند الدرر في بيان الأحكام بالآثر
- ٨٤٩ التفاسير الجامعة
- ٨٤٩ التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)
- ٨٥١ التعريف بهذا التفسير
- ٨٥٢ منهجه في التفسير
- ٨٥٦ مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي
- ٨٥٧ منهجه في التفسير
- ٨٦٣ رُوح الجنان وروح الجنان لأبي الفتوح الرازي
- ٨٧٢ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)
- ٨٧٥ عنايته بأهل البيت
- ٨٧٩ إمام المشككين
- ٨٩٠ مباحث تافهة
- ٨٩١ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)
- ٨٩٤ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

٨٩٥	تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)
٨٩٦	تفسير الألوسي (روح المعاني)
٨٩٩	تفسير البلاغي (آلاء الرحمان)
٩٠١	تفسير أدبية
٩٠١	الكشاف
٩٠٦	اعتماده على التأويل والتمثيل
٩١٢	امتهانه بشأن القراء
٩١٥	تهاجمه على أهل الحديث
٩١٨	البحر المحيط
٩١٩	معاني القرآن
٩٢٢	إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن
٩٢٥	تفسير لغوية
٩٢٩	تفسير المتشابهات
٩٣٣	تفسير موجزة
٩٣٩	التفسير العرفاني الصوفي
٩٣٩	(التفسير الرمزي الإشاري)
٩٤٢	منبع عرفان الأصفاء
٩٤٥	التأويل عند أرباب القلوب
٩٥٠	ظاهرة تداعي المعاني
٩٥٣	تأويل أو أخذ بفحوى الآية العام
٩٥٣	ما يؤخذ على تفسير الصوفية
٩٥٩	التنوع في التفسير الباطني
٩٦١	أهم تفسير الصوفية وأهل العرفان
٩٦١	١. تفسير التستري
٩٦٣	٢. حقائق التفسير للسلمي
٩٦٧	٣. لطائف الإشارات للقشيري
٩٧١	٤. كشف الأسرار وعدة الأبرار (تفسير الميبدي)
٩٧١	المعروف بتفسير الخوaja عبد الله الأنصاري
٩٨٢	اللغات الغريبة التي جاءت في هذا التفسير
٩٨٣	٥. تفسير الخوaja عبد الله الأنصاري

- ٩٨٤ ٦. تفسير ابن عربي
- ٩٨٥ هل لابن عربي من تفسير؟
- ٩٨٦ تفاسير منسوبة إلى ابن عربي
- ٩٨٨ التعريف بهذا التفسير
- ٩٩٧ ٧. عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي
- ٩٩٨ ٨. التأويلات النجمية لنجم الدين داية، وعلاء الدولة السمناني
- ٩٩٩ التفسير في اتجاه عصري
- ١٠٠٠ ألوان التفسير في العصر الحديث
- ١٠٠١ ١. اللون العلمي
- ١٠٠١ أهم الكتب التي عُنيت بهذا اللون
- ١٠٠٤ الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوي
- ١٠٠٥ منهج المؤلف في التفسير
- ١٠٠٧ التفسير الفريد
- ١٠٠٨ ملحوظة
- ١٠٠٨ ٢. اللون الأدبي الاجتماعي
- ١٠١٠ أهم رواد هذه المدرسة
- ١٠١١ المنار (تفسير القرآن العظيم)
- ١٠١٣ موقفه من حقيقة الملائكة والشياطين
- ١٠١٦ إنكاره على أهل الحديث في روايتهم للطائعات
- ١٠٢٠ رأي صاحب المنار في الجن
- ١٠٢١ تفسير القاسمي (محاسن التأويل)
- ١٠٢٢ تفسير المراغي
- ١٠٢٣ في ظلال القرآن
- ١٠٢٤ التحرير والتنوير
- ١٠٢٥ الميزان في تفسير القرآن
- ١٠٢٧ الفرقان في تفسير القرآن
- ١٠٢٨ من هدى القرآن
- ١٠٢٩ من وحي القرآن
- ١٠٣٠ تفسير نمونه (الأمثل)
- ١٠٣١ الكاشف

١٠٣٢	التفسير المبين
١٠٣٢	مخزن العرفان
١٠٣٥	التفسير الموضوعي
١٠٣٧	ألوان التفسير الموضوعي
١٠٤٠	التفسير الموضوعي ضرورة
١٠٤١	أنحاء من التفسير الموضوعي
١٠٤٧	فهرس الآيات القرآنية
١٠٧٩	فهرس الأحاديث والآثار
١١٠١	فهرس الأعلام
١١٥٠	فهرس المواضيع